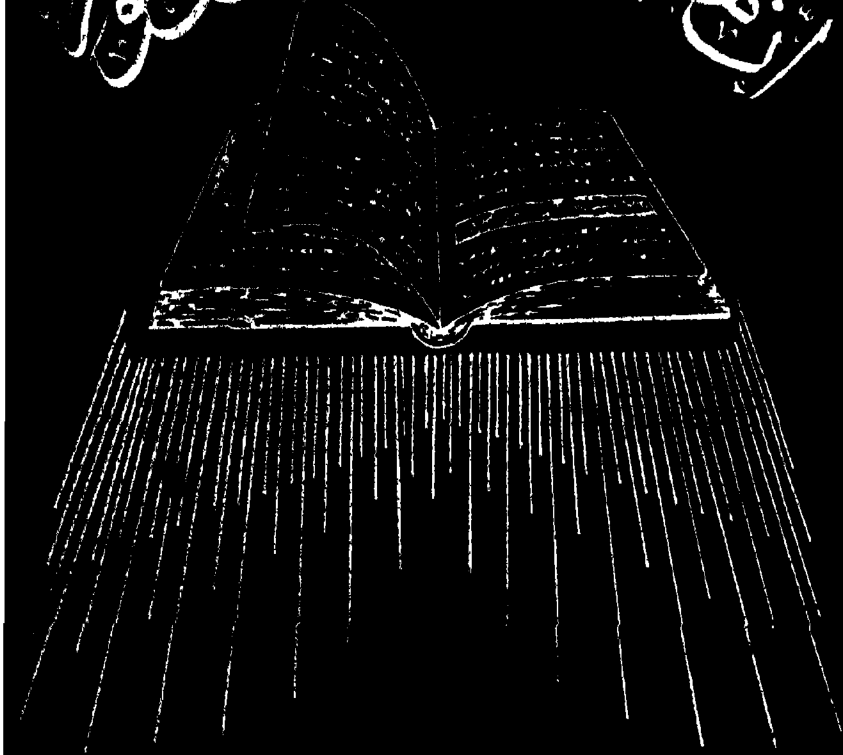
إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم



الهادي

مجلة فكرية اسلامية جامعة

تصدرها

دار التبليغ الاسلامي

الهادي

مجلة فكرية اسلامية جامعة

« عــدد ممتاز »

بمناسبة بدء السنة الثانية

الفهرس

العدد الاول السنة الثانية

شعبان

١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

حكمة العدد

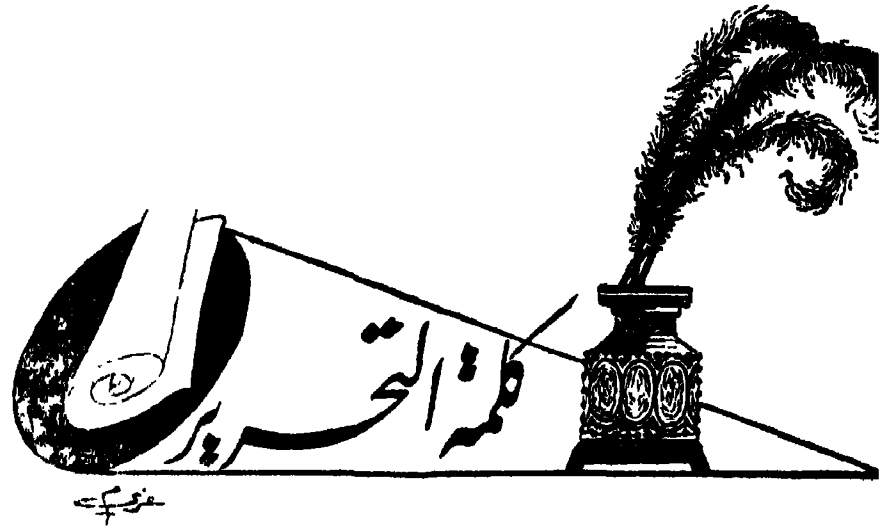
اليمين والشمال مضلة . . والطريق الوسطى هى الجادة . . عليها باقى الكتاب ، وآثار النبوة . .

«الامام علي عليه السلام»

اعتذار

والمجلة تصدر فى محيط لا تتوفر فيه الامكانات المطلوبة طبيعى أن تقـع فيها أخطاء مطبعية . . فعذراً للقراء الكرام مؤكدين على أنا سنتلافى ذلك فى العدد القادم ، ان شاء الله . .

بسم الله الرحمن الرحيم



وأسرجنا الشمعة الثانية

بهذا العدد أطفأنا الشمعة الاولى من عمر مجلتنا «الهادى» الفتية . . وأسرجنا الشمعة الثانية .

ولا نقول : انها خطت خطوات واسعة فى طريقها نحو التكامل . . وانما ـ وبكل تواضع ـ نقول : انها خاضت تجربة كان لا بد من اقتحام غمارها يوم اختار لها السيد المؤسس الحياة ، وحملها مسؤولية رسالية فى ظرف عصيب . . وهكذا كل أطروحة واقعية . . تنطلق من نقطة الصفر، ثم تدرج على السفح رويداً رويداً، حتى يهيىء الله لها عملية التسلق السريع ، ويمنحها الامكانات اللازمة .

وكانت الخطوة التالية أن تحملت هيئة جديدة المسؤولية . . وكان ذلك من العدد الرابع .

ولم يكن قبولنا لهذه المسؤولية الا امتداداً للخط الذى رسمناه لانفسنا حينما واكبنا مسيرة الحياة أن نكون جنود معركة، وكتائب فداء ، دفاعاً عن مقدساتنا، وحفاظاً على مصالح امتنا .

أخذنا على عاتقنا هذه المسؤولية الجسيمة، ونذرنا أنفسنا لها، ولم يكن بأيدينا الا أقلام حرة جريئة، كما لم يكن فى متناولنا الا حروف خضراء بريئة . . . وكان علينا ان نحارب بهذه الحروف وتلك الاقلام، مهما كانت الظروف .

وشجعنا اكثر على اقتحام المعركة المقدسة بهذه العدة . . ان الاقلام الحرة، والحروف الخضراء ليست أقل شأناً من سائر فعاليات المعركة . . بل العكس هو الصحيح . . فالاقلام الرسالية ، والاحرف الهادفة تقفان ـ دائماً وأبداً ـ فى المواقع الامامية من الجبهة . .

وبهذا الشعور أتينا للمجلة ، وأنهينا السنة الاولى من عمرها ، وتمكنا ان نصلح من شأنها رويداً رويداً . . رغم كل المعوقات عن ابراز معالم لغتنا الجميلة .

ثم أسرجنا الشمعة الثانية . .

وبين أيدى القراء الاعزاء العدد الاول .. ونحسب أنه يستطيع ان يقف على قدميه ـ دون استحياء ـ وان كنا لاندعى له الكمال .. رغم أبوابه المتنوعة ، وعطائه الفكرى، واخراجه المتناسب ، والكتاب الذى الحقناه به ـ هدية المجلة بمناسبة دخولها العام الثانى ـ .

ومهما يكن تقييم هذا العدد ـ لدى القارىء الكريم ـ فاننا نصر على أنه مع اعداد السنة الاولى ليس الاخطوة جيدة فى مسيرة مجلتنا الفتية .

وسوف نعمل ـ ان شاء الله ـ على بذل المزيد من الجهود مستهدفين تكامل هذا المشروع الفكرى بكل جوانبه البناءة .

ولا نريد ان نمن على أحد بذلك ، اذ «كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته» .

واذا كنا بهذا التفكير والواقعية . . فلتكن أمام أعيننا الظروف الدقيقة لحياة الامة فى الوطن الاسلامى الكبير، وانها قاسية الى درجة كبيرة ، بحيث لم يمر بمثلها فى أى ظرف مضى . .

فالتيارات الوافدة، والمبادىء المختلفة والافكار المسمومة ، والاتجاهات المتضاربة ، ووراءها الاستعمار بأهدافه التوسعية ، تعمل ليل نهار بجد وحيوية لتستنزف طاقاتنا بغية استثمارها لمصالحها الخاصة . .

هذه حقيقة هامة لابد أن ندرك محتواها العميق ـ اذا كنا ملتزمين بتوجيه أمة، مدركين مسؤوليتنا عنها ـ .

ولا بد ـ ونحن فى هذا الموقع ـ أن نصمد بقوة وعزم لكل مجابهة شرسة حاقدة تستهدف تصديع كياننا .

ولا بد ـ ايضاً ـ من جهود مشتركة لجميع قطاعات الامة، وعلى جميع المستويات ليمكن بواسطتها صيانة مقدساتنا، وتراثنا ، وكل مقوماتنا الانسانية ، وقيمنا الخلقية من الدمار والضياع .

وبعد :

فلنا من تشجيع اخواننا القراء ما يشد أزرنا ، ويقوى عزيمتنا على المضى قدماً فى تحقيق الغاية التى تحملنا من أجلها المشاق والصعوبات فى هذه الفترة العصيبة من تاريخ أمتنا وبخطوات ثابتة واضحة ، غير ملتوية ، وعسى أن يكتب الله لنا الاستمرار ، واكمال الشوط .

ومنه التوفيق والسداد . .

رئيس التحرير

شموس لن تغرب

تصادف فترة هذا العدد ذكريات غر، فمن مبعث النبي الى ميلاد الامام امير المؤمنين علي . . ومن ميلاد الامام الحسين ، الى ميلاد الامام المهدي ـ صلوات الله عليهم ـ، ثم تأتي ذكريات اخرى يتوجها ما يمر في شهر رمضان المبارك من مناسبات خالدة .

نعم . . انها شموس . . فالشمس تنير للبصر ، وهذه الذكريات منطلق انارات للبصيرة ، ولو لا الشمس لكانت الارض غير الارض ، فلا شجر ولا ربيع ولا ورود . . ولو لا هذه الذكريات وأصحابها لكانت الارض غير الارض . . . فلا امل ولا رجاء ولا ندى . . . ولو لا هذه الذكريات وأصحابها لما علا للحق جانب ، ولا استبان له معلم . . ولعشنا الجهالة . . وتجرعنا الضلالة دون ان ندري او نشعر .

وما احوجنا اليوم وقد عدنا كما كنا فئة مستضعفة ، لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً . . ما احوجنا الى ان نعكف على هذه الذكريات ، ونلقي عندها عصا الترحال فلقد اضنانا المسير ، وأرهقنا الليل ، ولما يطلع الفجر .

لقد تعبت منا الدروب الوعرة قبل ان ندرك وعورتها . . وهدنا التشتت والضياع دون ان نبصر الشاطىء ولو من بعيد . . وضاقت علينا الارض بما رحبت ، ونحن في التركاض جادون . . ومن يدري اننا لا ندري ؟ **«بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره»** .

وأيهما كان فالبلاء واقع ، والمحنة حالة . . فهل من عودة . . هل من توبة . . هل من حركة تصحيحية تخلق من هذا الركام امة وسطاً تبني نفسها على اساس هدى

الله ، ثم تحمله للعالم . . ليستفيق هو الاخر من سباته ، ويفتح عينيه على الحقيقة .

نعم .. هل من ثورة تغييرية، تبني على هذه الانقاض من جديد صرحاً اراده الله ان يرتفع وأمده بجميع مقومات الوجود ، فارتفع واستطال شطراً من الزمن،وجاد بأروع النتائج وأعلى الارقام . . ولكن . .

لم يلبث أن أخذ الخراب يدب اليه،لسبب واحد،وهو اهمال مقومات استمراره وتماسكه . .

لم تفقد مقومات الاستمرار خصائصها أبداً .. وانما فقد الذين نصبوا انفسهم حماة وقادة خصائصهم اذا كان لهم من قبل اية خصائص . .

وسرى المرض الى المجتمع ، وكثرت رقع الخراب ، وكان لكل ثلمة في هذا البناء دور وتاريخ . .فقد كان ثمة **«رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار»** كان هؤلاء الى جانب مهمتهم الاساس وهي اكمال البناء الذي بدأه الرسول الاعظم(ص) يسعون لاصلاح ما انهدم . . . ويبذلون في سبيل ذلك كل ما يستطيعون بذله . . . ولكنهم كانوا يواجهون بعناد وجهل من قبل أولئك الذين لم تختمر التجربة في نفوسهم ، أو أنها لم تدخلها أبداً .. ولم يكن ذلك ليثنيهم عن جهادهم . . وعن الوصول الى هدفهم ترميم الصرح،واكمال البناء حتى اذا كلفهم ذلك دمهم الشريف .

والذكريات ككل . . وهذه التي هي موضوع حديثنا ليست الا ايام عطاء أنعمت به السماء على الارض فيما أنعمت وأيام قادة عظماء ، وجهوا هذا العطاء وجهته الحقيقية ، وحافظوا عليه ما استطاعوا . .

وانا على يقين من أنهم يريدون منّا أن نقتدي بهم وننهج نهجهم،يريدون منا أن تكون ذكرياتهم مدرسة لنا تعلمنا الاقدام اذا عز المقدام . . والتضحية اذا سيطرت الاهواء،واستخذت الهمم،وأصبح دين الله في مهب الرياح .. وتعلمنا كل ما يحتاجه المسلم الصمود في العمل ، والعناد في المثابرة عليه ، ومقارعة الاعداء، والخشوع بين يدي الله،والفناء في ذاته سبحانه وتعالى،انهم يريدون منا ان نقتدي بهم .. وكيف

لا . . وقد بذلوا هم ما بذلوه في وقت كان للصرح وجوده . . أما الان وقدانهدم الصرح ، وتقوض البنيان . . فلا شك ان علينا واجباً عسيراً ومهمة شاقة . . فماذا نحن فاعلون ؟ . .

انه لا يغير من واقعنا أن نحث الامة على فهم الاسلام والالتزام به فقط..مجرد الحث لا يكفي . . وذلك لان بين أمتنا والاسلام حجاباً حاجزاً ، وستاراً كثيفاً ... حجاباً أقامه الجهل ، وأحكمه تقاعس القيمين . . وستاراً نسج خيوطه أعداء هـذا الدين . . . وكلف بمراقبته ، والحفاظ عليه نفر تنكروا للقيم والمثل . . .

ونحن هنا لا نريد ان نقلل من اهمية ما يبذل من جهود في سبيل توعية الامة على سر حياتها . . الا أنا نؤكد على ضرورة تكتيل هذه الجهود ، وصبها في مصب واحد لتؤتي أكلها أضعافاً مضاعفة . .

نعم . . انه لا يصلح واقعنا ولا يغيره شعارات تطلق ، وكتب تؤلف . . ولا يبني مجتمعنا خطب رنانة ، ومواعظ منمقة،وارشادات قيمة ، وكلمات توجيهية... هذا وحده لا يكفي، هذا الروتين الذي تسير أمورنا طبقه،لا يرمم بناءنا المنهار فضلا عن ان يعيد بناءه المطلوب .

انا بحاجة الى جديد . . فالأساليب القديمة لم تعد تؤد دورها . . ما أروع النتيجة لو عرضنا الاسلام علىحقيقته دون زيادة أو نقصان . . ولكن بأساليب تثلج الصدر . . . أبعد ما تكون عن أساليب «الاسلام البروتوكولي» .

وانا قبل كل شيىء بحاجة الىالعمل الجريء الدؤوب، عمل من لا تأخذهم فى الله لومة لائم ، عمل من لم تبهرهم الدنيا ، عمل من لا يريدون فيالارض علواً . . والا فاذا كنا نفكر فيما يقوله هذا وما سيقوله ذاك . . او اذا كان حب الدنيا يملاء قلوبنا . . أو اذا كان همنا أن يكون لنا المقام والوجاهة والسلطة والنفوذ . .

اذاكنا هكذا فلن نستطيع تحقيق أي نصر ضؤل، أم كبر .. وهذا هو التاريخ فاستنطق صفحاته . . . وهذا هو الواقع فاقرأ قضاياه .

استنطق ، واقرأ فانك لن تجد لغير العمل المخلص خلوداً ولا بقاء . .

ان اصحاب هذه الذكريات التي يعمر قلوبنا حبها ، ونقف امامها خاشعين ، قد جاهدوا وتعبوا . . وأعداؤهم ايضاً عملوا واشتغلوا . . فلم يا ترى خلد هؤلاء وجهادهم . . ومات اولئك واتعابهم . . وان كان لهم من ذكر . . فلسر يعلمه الله . .

لم اذن . . انه الاخلاص سر البقاء ، وسر الخلود .

اننا بحاجة الى العمل الدؤوب الواعي والمركز . . كما اننا بأمس الحاجة للروح المضحية المجاهدة . . فان الأمة وقد ابتعدت عن دينها ابتعاداً تاماً لم يعد ينفع معها أساليب هزيلة هي في منتهى البساطة والسذاجة . .

وكما كان قادتنا عليهم السلام على استعداد لبذل الجهود والطاقات مهما كلفتهم، فلنرب انفسنا اقتداء بهم لنكون على استعداد لذلك .

وأننا لنرضي الله سبحانه ، ونبينا ، والائمة صلوات الله عليهم اجمعين .. ان جعلنا هذه الذكريات نقطة تحول في حياتنا . .فنترك الى الابد مشاكلنا الخاصة التي تمنع من توحيد الفعاليات .

«اللهم ما عرفتنا من الحق فحملناه ، وما قصرنا عنه فبلغناه ، اللهم المم به شعثنا ، واشعب به صدعنا» .

واخيراً نتقدم الى الامة الاسلامية بأسمى التهاني والتبريكات سائلين الله سبحانه ان يوفق الجميع للافادة من هدى هذه المناسبات الثرة المعطاءة .. وان يعيدها عليهم بالخير والعز والمنعة ، انه سميع مجيب .

أسرة التحرير





استجابة طيبة من سماحة آية الله العظمى السيد شريعتمدارى دامت بركاته ، حيث أعطى من وقتـه مجالا لمندوب مجلة «الهادى» فوجه اليـه الاسئلة التالية ، وأجاب كعادته بعمق وصراحة ...

السؤال الاول :

ما هي فى نظركم المقومات التي تكفل للامة ـ أية امة ـ بناء كيان حضاري متين ، يخرجها من دوامة التبعية ، والتخلف عن الركب الحضاري المعاصر ؟

الجواب :

يمكننا ـ هنا ـ ان نقرر على ضوء الواقع ـ ان هناك اموراً ثلاثة يجب ان تكون متوفرة فى كيان الامة التي تريد ان تفعل ذلك ، وهي :

أولا : وجود العقيدة الواقعية التـي ينبثق منها نظام ، ينظـم لها مختلف الجوانب الحياتية .

ثانياً : حصول الأيمان الكامل بالعقيدة ، والذي قام على اسـاس برهاني متين تدعمه عواطف مركزة .

ثالثاً : استيعاب هذه العقيدة جملة وتفصيلا ، بحيث يمكن ادراك ما يترتب عليها من واجبات فى مختلف مجالات التطبيق العملي لذلك النظام المنبثق .

هذه الامور الثلاثة هي الاسس التي تهيىء للامة الامكانات الكاملة ، والجو المقتضي ليكون فيه العمل مثمراً وذا نتيجة عالية .

ولا يفوتنا ان نشير الى عبارة (الركب الحضاري المعاصر) الواردة فى السؤال وأرى اننا نتسامح كثيراً فى اعطاء صفة الحضارة لهذا التقدم المدني الذي نراه اليوم مع انه يفقد كثيراً من مقومات الحضارة الصالحة .

السؤال الثانى :

هل ترون ـ سماحتكم ـ ان هذه المقومات التى تفضلتم ببيانها متوفرة لدى الامة الاسلامية اليوم ؟

الجواب :

بملاحظة ماورد فى جوابنا الاول على امتنا الاسلامية اليوم يتوضح جوابنا هذا.

فالركن الاول : ـ وهو العقيدة الواقعية التي ينبثق عنها نظام كامل ـ حاصل وموجود ، ويتمثل فى الاسلام ، ومقوماته العظيمة ، والمسلمون ـ كأمة ـ يملكون فى كل حين ما تفقده كل امم الارض .

والركن الثاني : وهو الاعتقاد والايمان بها ـ فموجود ، ولكن لم يكن بالمستوى المطلوب ، انما بصورة سطحية تفقد كثيراً من حيويتها وطاقاتها الدافعة .

والركن الثالث : وهو فهم العقيدة جملة وتفصيلا ـ ومع كل الاسف نجده يبلغ حد الانعدام ـ تقريباً ـ عند اكثر المسلمين .

ولكن املنا كبير بالله سبحانه ان يكشف عن العيون المعصبة، ويرشدهم للصواب كما لاحظنا طلائع الخير والبركة على الكثير من هذه الامة ، اذ بدأوا يتحسسون

اخطاءهم ، ويرجعون الى عقيدتهم ومبدئهم العظيم لفهم المقاصد والغايات الكبيرة التي جاء بها الاسلام لامته ، وكل ذلك بفضل المخلصين من العلماء العاملين ، والمجاهدين الواعين .

السؤال الثالث :

ما هي نصائحكم التي توجهونها للامة ، وهي تحاول النهوض من كبوتها الطويلة ؟

الجواب :

الذي اؤكد عليه هنا ان تفهم امتنا انها تملك اعظم رصيد للنهضة ـ كماسبق ـ في حين تفقدها الامم الاخرى ، وان وجودها المستقبل مرتبط تماماً بمقدار تفهمها لهذا المبدأ ، كما ارتبط به وجودها الماضي ، فكوّن منها خير أمة اخرجت للناس.

فيجب ان يكون الاسلام مقياسنا في جميع ما نعمل ، ويجب ان تكون اهداف الاسلام اهدافنا لا غير .

وحينها نكون قد حققنا مقتضيات الخلافة الالهية التي توج بها الانسان : «اني جاعل في الارض خليفة» .

مقتدين في سلوكنا الدنيوي والاخروي بمسلك النبي الاكرم (ص) وائمتنا الاطهار (ع) ، الذين هم خير قدوة لكل المسلمين في كل العصور . ومنه سبحانه وتعالى نستمد التوفيق . . .

والسلام على من اتبع الهدى . . .

من وصية لقمان لابنه

يا بني : ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها عالم كثير ، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله ، وحشوها الايمان وشراعها التوكل،وقيمها العقل ، ودليلها العلم ، وسكانها الصبر .

تحية رمضان

الينا . . يا شهر الحياة . . في ظل السماء .

ها نحن . . اذرع مفتحة للقاء ..وقلوب مشوقة للعطاء..وعالم ظامىءللرحمة..

فمرحى وألف مرحى . .

ومرحباً.. بالدعوةالكريمة التي حبانا بها الله العظيمالودود..لتركع الارض. ـكل الارض ـ في محراب الجلال الالهي . . وحيث تقف . هنا . وهنا . . على الابواب ملائكة ابرار . . يمسحون بالرحمةكل الوجوه.. ويسكبون الفضيلة والخير في كل القلوب . . ويرشون الوجود . . بندى رمضان الفضيل فتمرع ربى المحبة، وتزهر ربوع الايمان .

مرحباً . . ياشهر الارادة الواعية.. والانسانية المتكاملة . . حيث تدخل البشرية دورتها التدريبية بهذا الجلال . . وتمر بلحظاة المعاناة المقدسة فتهذب من دوافعها الغريزية العمياء . . وتطهر قلوبها بالاخلاص . . وتستشعر النعم الجمة التي تعيشها في باقي الشهور ، دون ان تعني بعمق ما فيها من منن سابغة . . وتشعر شعوراً حسياً بآلام الجوع والعطش مما يذكرها بجزئها المنسي غالباً ، والمحروم دائماً من لذات الحياة . . ومما يذكرها بذلك اليوم الرهيب ـ يوم القيامة . بجوعـه وعطشه حيث يقوم الخلق للحساب الدقيق الدقيق ، وحينها يوفى الصابرون اجورهم، ويـدعّ المجرمون في نار جهنم دعّا ..

كل هذه الاحاسيس تستشعرها البشرية في دورتها المقدسة هذه . . الى جنب النعمة العظمى اذ تشرق فيحسها الاصيلـشموس مترفة بالنور..من قلبهايطل القرآن

الخالد . . كتاب الله الثمين الثمين، والجوهرة التي حبا الله ـ تعالى ـ بها البشرية في افضل الشهور ، وافضل الليالي . . ليلة القدر . . يحمل للبشرية بلسمها الشافي، وخط سعادتها العريض . . ويرسم لها طريقها اللاحب . .ويعطيها من النور . . فيضاً وهوباً يبدد كل الدياجير . . ويجسد كل الآمال السخية .

ثلاثون ليلة . . وما اجملها من ليال . . تتجسد فيها الطاعة والخضوع الى الله سبحانه ، وتتجرد فى رفيف ظلامها اعمال البشرية خالصة من كل شائبة،لتسجد فى محرابه تطلب ثوابه وجزاءه .

ثلاثون ليلة . . ينقطع الانسان المسلم عن الدنيا اللاهية ليسمو بروحه الى خالقه المتفضل، ليعيش معه احلى ساعات العمر الرهيبة اللذيذة..تعبر عن الخلجات الروحية للانسان المؤمن فى أدق لحظات الايمان .

ثلاثون ليلة . . خفيفة الظل ، جزيلة العطاء ، كبيرة الامل ، رحبة الساعات ، حيث تحل النفوس الهائمة فى ايمانها على ضيافة من لا يسد بابه عن أحد،فتناجيه وعيونها مزروعة فى رحابه النضرة ، وقلوبها تخفق فى لهفة حبه :

« اللهم اذنت لي فى دعائك ومسئلتك ، فاسمع يا سميع مدحتي ، وأجب يا رحيم دعوتي،وأقل يا غفور عثرتي ، فكم يا الهي من كربة قد فرجتها ، وهموم قد كشفتها ، وعثرة قد اقلتها ، ورحمة قد نشرتها ، وحلقة بلاء قد فككتها» .

ثلاثون يوماً..وما اروعهامن ايام،تقضيها البشرية فيظل الله . . تغمرها البركات . . وتعمر قلوبها التسابيح الواعية .

ثلاثون يوماً . . حيث ابواب الجنان مفتحة . . تتصاعد اليها ـ بلهفة . . قلوب المؤمنين في تراتيل السحر الجميل . . وابواب النيران مغلقة . . والشياطين مغلولة مبعدة .

ثلاثون يوماً . . حيث الصلاة الواحدة كسبعين صلاة . . والانفاس الرتيبة تسبيح وتنزيه . . والنوم عبادة . . ! . . ورضوان من الله اكبر . . . وهكذا ينتهي

التدريب الالهي ـ هذا ـ للكون في آخر الايام ليطلع علينا هلال العيد السعيد بأبهج حلة . . بالبشرى الغناء . . بشرى جوائز الله ــ تعالى ــ فتعبق الأجواء بنشر وطيب . . وتتراقص الحروف الجميلة معلنة للافاق أن . . . : (فاز الصائمون وربح القائمون)

فاذا الكون يصبح يداً واحدة مرفوعة الى السماء تطلب الرفد الوفير..واذا الرحمة الالهية تصبح يداً مقدسة تمنحها الحب والحياة الهنيئة .

واخيراً

نسأل الباري جل اسمه ان يوفقنا لصيامك ، وقيامك . . وان يهدي الامم لوفير خيرك ، وجزيل هباتك .

انه السميع المجيب .

نجوى صائم

«يا من يقبل اليسير ، ويعفو عن الكثير ، اقبل مني اليسير واعف عني الكثير انك أنت الغفور الرحيم» .

«اللهم اني اسألك ايماناً تباشر به قلبي ، ويقيناً صادقاً حتى اعلم انه لن يصيبني الا ماكتبت لي ، ورضني من العيش بماقسمت لي يا ارحم الراحمين» .

من ادعية شهر رمضان

كيف نزل القرآن

الدكتور السيد محمد باقر حجتي
كلية الالهيات والمعارف الاسلامية
جامعة طهران

ترجمة: عز الدين محيي الدين

ان كيفية نزول القرآن من المواضيع التي كانت مجال بحث لدى علماء المسلمين نذ وقت طويل، ويمكن تحديد آرائهم في ذلك في رأيين رئيسين :

الرأي الاول ـ ما تبناه علماء السنة من ان القرآن نزل على سبعة احرف استناداً الى رواية ـ أكدوا على تواترها وصحة سندها ـ تفيد ان رسول الله (ص) قال: « ان هذا القرآن انزل على سبعة أحرف ، فاقرؤا ما تيسر منه » .

ولقد اختلف علماء السنة في معنى «أحرف» الى حد كبير، ويقول السيوطي: «انه اختلف في معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولاً » (١) .

وفي الوقت نفسه يرون ان «سبعة احرف» لم يكن المقصود بها قراءات القراء سبعة ، لانه حينما بين الرسول (ص) هذا القول ، لم يكن القراء السبعة قد ولدوا ـد ، وان أول شخص اعتبر قراءة القراء السبعة ، واهتم بجمعها هو : أبو بكر بن

---

١ ـ الاتقان : ١/١٣١ ـ ١٤١

مجاهد الذي كان يعيش في اوائل القرن الرابع (١) .

كما انه ليس المقصود من«سبعة احرف» أن قراءة كل كلمة في القرآن بسبعة اشكال جائزة ، لاننا لا نعرف مثل هذه الكلمات في القرآن .

ولعل احسن تفسير لـ «سبعة احرف» هو : أن نزول القرآن بسبعة أوجه من وجوه اللغات واللهجات العربية ، وان القرآن لا يخرج عن هذه اللهجات السبع ، وهي لهجة قريش، وهذيل، وثقيف، وهوازن، وكنانة،وتميم،واليمن. وهذه اللهجات هي التي كانت منتشرة في الجزيرة العربية ، وسائدة فيها .

والى هذا الرأي ذهب عدد من اعلام السنة المتقدمين والمتأخرين، وخاصة المحدثين امثال الدكتور عبد الحليم النجار ،(٢) ومصطفى صادق الرافعي (٣) ، واليه ايضاً ذهب الفيروز ابادي (٤) .

ويقول الحافظ ابوعمرو الداني: انه يمكن تفسير «سبعة احرف» باحد المعنيين :

الاول ـ ان القرآن قد نزل على سبعة أوجه من وجوه اللغة العربية ، وذلك بدليل ان كلمة «حرف» في الآية : «ومن الناس من يعبد الله على حرف» (٥) ، هي بمعنى

---

١ ـ ابوبكر احمد بن موسى بن عباس بن مجاهد ، وكان يعيش في القرن الرابع للهجرة وقد اختار من القراءات المختلفة القراءات السبعة،وجمعها،وهي : قراءة قراء الحرمين : مكة والمدينة ، والعراقين : البصرة والكوفة ، والشام ، وهؤلاء القراء هم : نافع ، عبد الله بن كثير ، وابو عمرو بن علاء وعبد الله بن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي .
وقد ذم الكثير من العلماء ابن مجاهد لاختياره هذا .. لما فيه من الايهام ، ولانه بعمله هذا قد سبب ايهام العامة بأن المقصود من الاحرف السبعة في الرواية المذكورة هو القراء السبعة
وقال احمد بن عامر المهدى : لقد فعل مسبع هذه السبعة ما لا ينبغي له ، واشكل الامر على العامة بايهامه كل من قل نظره ، ان هذه القراءات هي المقصودة بالخبر المذكور. راجع البيان في تفسير القرآن ـ آية الله الخوئي : ١١٢) .

٢ ـ في مقاله بعنوان «في قراءات القرآن» المنشور في مجلة كلية الاداب ـ جامعة فؤاد: ج ١ مجلد ١٠ ص ١١٠

٣ ـ اعجاز القرآن : ٧٠

٤ ـ القاموس

٥ ـ الحج: آية ١١ . . وقد فسر الطبرسي : الحرف بضعف العبادة والشك . راجع(مجمع البيان : ٧/ ٧٥)

وجه من الوجوه ، وتفسير ذلك ، ان قسماً من الناس يعبدون الله لاجل : النعمة ، والخير ، واستجابة الدعاء ، وشفاء المريض ، وامثال ذلك .

الثاني ـ هو القراءات ، وان كانت القراءات تستلزم الكلمات، والكلام الكثير ولكن رسول الله (ص) عن طريق تسمية الكل باسم الجزء قد عبر عن القراءات بالاحرف (١) .

ويمكن ان نعتبر ان احسن تفسير ظهر لـ «سبعة احرف» هو الوجوه السبعة للغات واللهجات العربية ، فمثلا: ان العرب يختلفون في كيفية وطريقة أداء الحرف الواحد بعضهم مع بعض، وكنموذج لذلك نرى ان العراقيين يلفظون «القاف» بشكل «الكاف» الفارسية ، وكذلك السوريين ينطقونها بصورة همزة ، وهكذا . .

ويرى الذاهبون الى القول بنزول القرآن بجميع اللهجات العربية ان الغرض منه استطاعة القراء القراءة بكل سهولة لحروف وكلمات القرآن ، وتأديتها بلهجتهم السائدة عندهم .

اضف الى ذلك ان الالتزام بايجاد لهجة واحدة في قراءة القرآن يبعث على الصعوبة بالنسبة لسائر القبائل العربية التي لم تعتد تلك اللهجة ، ولم تأنسها .

وان التعبير عن اللغات واللهجات السبعة عند العرب بـ «الاحرف السبعة» لا ينفي كون اللهجات العربية اكثر من سبع، لكن اللهجات السبع المستفادة من «سبعة احرف» هي اللهجات الكاملة التى تقف على رأس سائر اللهجات المختلفة، والمتنوعة عند العرب حيث ترجع جميعها الى سبع لهجات .

الرأى الثاني ـ ما تبناه علماء الشيعة ، وهو يعارض الرأي السابق الذي يفيد نزول القرآن على سبعة احرف ، ويستدلون على ذلك بما يلي :

اولا ـ ان قبول هذا القول يخالف رواية زرارة الصحيحة عن الامام الصادق(ع) حيث يقول « ان القرآن واحد ، نزل من عند واحد » (٢) . وان الاختلاف يأتي من قبل الرواة ، والناقلين للقرآن .

---

١ ـ مجلة كلية الاداب ـ جامعة فؤاد : ج ١ مجلد ١٠ ص ١١٠

٢ ـ الوافي ـ للفيض الكاشاني : ٥/٢٧٢ باب اختلاف القراءات .

كما ان الامام الصادق (ع) يرد الرواية المعروفة التي تقول : ان القرآن نزل على سبعة احرف فيقول : « لكنه نزل على حرف واحد من عند واحد » .

ويقول الحاج ميرزا حسين النوري : « هناك أخبار كثيرة من طريق الشيعة تقول: ان القرآن أنزل على حرف واحد ، ووجه واحد على الرسول (ص) ، وليس هناك خلاف في ذلك ، كما يرويه الكليني في كتابه «الكافي» عن الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الوشاء عن حسين بن دراج ، عن محمد بن مسلم ، عن زرارة ، عن الامام الصادق (ع) انه قال : « ان القرآن واحد ، نزل من عند واحد ، ولكن الاختلاف يأتي من قبل الرواة » (١) .

وينقل المحدث النوري روايات متعددة ، وبأسناد مختلفة تتضمن هذا القول ، ثم يقول : « منها ما نقله السيد المحقق الكاظمي في شرح «الوافية» : ان حديث نزول القرآن على سبعة أحرف حديث لدى العامة معروف ، وان الامام الرضا (ع) كذبه ، وقال : « كذبوا انما هو واحد نزل من عند الواحد » .

وذكر علي بن طاووس في سعد السعود : « ان الجبائي قد اخذ على الطائفة الامامية بأنهم يدعون الزيادة والنقصان في القرآن .

ويقال له : انت مقر بهؤلاء القراء السبعة الذين يختلفون في حروف الاعراب وغير ذلك من القرآن، ولو لا اختلافهم ما كانوا سبعة، بل كانوا يقولون قارياً واحداً وهؤلاء السبعة منكم ، وليس من رجال من ذكرت انهم رافضة .

ويقال له ـ ايضاً ـ : ان القراء العشرة ـ ايضاً ـ من رجالكم ، وهم اختلفوا في حروف ومواضع كثيرة من القرآن ، وكلهم عندكم على ثواب . . فمن ترى ادعى اختلاف القرآن وتغييره ، أنتم وسلفكم ، أو الرافضة ؟

ومن المعلوم من المذهب الذي تسميهم رافضة ان قولهم واحد في القرآن » .

ويذكر المحدث السيد الجزائري ـ في منبع الحياة ـ قائلا : «ان السيد المرتضى يمنع حجية الخبر الواحد، ولم يرجحه ولم يعمل به ، ومع هذا فقد اعتمد على رواية « ان القرآن واحد نزل بحرف واحد . . . » .

وجاء في مجمع البيان للطبرسي ان ما هو شائع في أخبار الشيعة ان القرآن قد

---

١ ـ فصل الخطاب : ١٨٨

انزل بحرف واحد . . . ثم يضيف قائلا « ان هذا الموضوع ، يمكن اعتباره على الظاهر من عقائد الصدوق معنوناً بالاجماع » .

ومن الاعلام الذين ادعوا نزول القرآن بحرف واحد ، واجمعوا عليه الشيخ الطوسي في « التبيـان » ، وهو يقول : « ان ما هو معروف عند الشيعة ، وما يستفاد من اخبارهم هو ان نزول القرآن بحرف واحد على نبي واحد » .

ثم يضيف المحدث النوري : « وقال الاستاذ الاكبر في حاشية المدارك : لايخفى ان القراءة عندنا نزلت بحرف واحد ، والاختلاف جاء من قبل الرواة ، فالمتواتر ، ما تواتر صحة قراءته في زمان الائمة ، وحيث يظهر انهم كانوا يرضون به ، ويصححون ، ويجوزون ارتكابه في الصلاة ، لانهم صلوات الله عليهم كانوا راضين بقراءة على ما هو عند الناس » (١) .

ثانياً ـ ان أحسن ما قيل في تفسير رواية «سبعة أحرف» يتنافى مع ما ورد نقلا عن عمر وعثمان، وذلك أن هذه الرواية قد اوردت ان القرآن قـد نزل بلغة ، ولسان قريش . وكذا نهي عمر لعمر بن مسعود عن قراءة «عتى حين» (٢) .

ثالثاً ـ ان هذه الرواية لا تتوافق مع النزاع الذي حدث بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم حول القراءة ، مع ان الاثنين من قريش (٣) .

---

١ ـ فصل الخطاب : ١٨٨ ـ ١٩٠

٢ ـ يلاحظ : ان عمر كان يقول ان القرآن نزل بلغة مضر ، وينهى ابن مسعود الذي كان يقرأ «حتى حين» بـ«عتى حين» ، وكتب اليه بأن القرآن قد نزل بلغة هذيل ويجب عليك أن تقرأ «حتى حين» وفقاً للغة قريش . راجع التبيان ـ للجزائري: ٦٤ ـ ٢٥)

وكذلك عثمان قال لثلاثة من قريش : حين تختلفون مع زيد بن ثابت حول قراءة وكتابة القرآن ، فاكتبوه بلسان ، ولغة قريش ، لان القرآن نزل بلسانهم . راجع (صحيح البخارى باب : انزل القرآن بلغة قريش: ٥٦) .

٣ ـ قرأ رجل القرآن عند عمر ، فتغير عليه ، فقال الرجل : لقد قرأت القرآن على رسول الله (ص) فلم يتغير علي ، فاختصما عند النبي ، فقال الرجل : يا رسول الله ألم تقرئني آية كذا وكـذا ؟ فقال النبي : بلى . . فوقع في صدر عمر شيء ، فعرف النبي ذلك في وجهه ، فضرب صدره ، وقال : ابعد الشيطان ! ، قالها ثلاثاً ، ثم قال: يا عمر ان القرآن كله صواب ما لم تجعل رحمة عذاباً ، أو عذاباً رحمة ..

والرواية عن عمر وهشام بن حـكيم بأسانيد مختلفة ، وورد في صحيـح البخاري ومسلم والترمذي ما هو شبيه بهذه الرواية .

رابعاً ـ ان تفسير «سبعة احرف» بسبع لهجات لا يتنافى بصراحة مع ما جاء في بعض الروايات، اذ ان الأختلاف فى جوهر اللفظ، لا فى كيفية ، وطريقة الأداء (١) .

خامساً ـ ومن ضروريات التفسير المذكور ، هو ان تكون قراءة القرآن بسبع لغات ولهجات جائزة ، وصحيحة . فى حين ان هذا الامر مخالف لسيرة جميع المسلمين : الشيعة منهم ، والسنة .

والخلاصة : ان رواية نزول القرآن على سبعة أحرف مع وجود اكثر من أربعين تفسير لها ، وحتى التفسير الذي تبناه عدد من اعلام السنة المتقدمين والمتأخرين ، وبملاحظة الردود والاعتراضات الانفة الذكر غير مقبولة ، ومرفوضة كلياً من قبل الشيعة ، وليس لها قيمة من ناحية الحكم .

خصوصاً وانها تتنافى مع الرواية الصحيحة المنقولة عن الامام الصادق (ع) حين قال : « نزل القرآن على حرف واحد من عند الواحد » .

واعلام السنة هم أنفسهم المتقيدون بهذه الرواية، يقولون:ان الغرض منها تسهيل قراءة القرآن على جميع القبائل ، حيث اجاز رسول الله(ص) التلاوة حسب لهجاتهم التى يأنسونها (٢) .

ويفترض المستشرق فلرز Vollers ان القرآن قد نزل فى البداية باللهجة العامية والسائدة فى الناس ، ثم تأثر كثيراً نتيجة اسلوب وسبك اللسان العربي الناتج عن التطور فى قواعد الصرف ، والنحو للغة العربية ، اذ كان هناك تفاوت ، واختلاف كثير بينها ، وبعد ذلك صحح وحرر ، ونظم ، ووجدت له هيئة جديدة، حتى تتوافق مع القواعد العربية .

ورد عليه ثلاثة من المستشرقين هم : بوهل Fr.Buhl ونولدهه Th.Noldehe

---

ـ راجع : (صحيح مسلم : ٢٠٢/٢ والبخارى : ٩٠/٣ و ١٠٠/٦ و ٥٣/٨ و ٢١٥ والترمذى مع شرح ابن العربي . باب ما جاء : انزل القرآن على سبعة أحرف :٦٠/١١) .

١ ـ جميع الروايات التى جاء فيها ان النبى(ص) قال: «فاقرأوا ولا حرج،ولكن لاتختموا ذكر رحمة بعذاب ، ولا ذكر عذاب برحمة » ومن الواضح جداً سخافة هذا الفكر .
راجع (تفسير الطبرى : ٧٨/٢٥ فى تفسير آية «ان شجرة الزقوم طعام الاثيم» .

٢ ـ اذا كان هذا هو السبب فى الواقع فما هو مصير الشعوب والملل غير العربية الذين لن ولم يأنسوا هذه اللهجة الغريبة عليهم ؟ ! . .

وجبير R. Geyer ، ولم يقبلوا منه هـذا الرأي ، وقالوا : بأنه لا وجود في اقدم الروايات القرآنية ما يؤيد هذه النظرية ، كما اننا لم نعهد في أي قبيلة من القبائل العربية اسلوباً عادياً، ولهجة عامية ،تخلو من قواعد النحو والعربية، فكيف بالقرآن وهو في الحد الاعلى من الاعجاز في البلاغة والفصاحة في اهمية الأسلوب، والنهج الادبي ؟ ! !

وعلى كل فان علماء الاسلام اتفقت كلمتهم على ان اختلاف القراءات لايسبب بأي شكل، او أي حال تضاداً، او تناقضاً في القرآن،وذلك لانه يستحيل وجود تناقض او تضاد في الكتاب الكريم من وجهة نظر المسلمين .كما يصرح بذلك الله سبحانه :

« أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كـثيراً » (١) .

ويقول ابن الجزري : لقد حققنـا في اختلاف القراءات ، فوجدناها ناشئة عن ثلاث حالات :

١ ـ اختلاف في اللفظ مع التوجه لعدم ايجاد أي اختلاف فـي المعنى ، مثلا : الاختلاف في كلمـة (صراط) التـي تقرأ بصورة سراط ، وزراط ، كمـا في قراءة البعض (٢) .

٢ ـ الاختلاف في اللفظ والمعنى بشرط ان يكون اجتماعهما ممكناً في أمر واحد ومورد واحد ، مثل قراءة (مالك) المكتوبة بشكل (ملك) في سورة الفاتحة (٣) .

والاختلاف في (يكذبون) قرىء بتشديد الذال،وتخفيفها،والمقصود هو المنافقون، فاذا قرئت بتشديد الذال يكون معنـى الاية انهم يكذبون الرسول (ص) ، وينسبون له قول الكذب . اما في حالة قراءة الذال مخففة يكون معنى الاية : المنافقون يكذبون في اخبارهم (٤) .

---

١ ـ النساء : آية ٨٣

٢ ـ نقلها يعقوب عن رويس بالسين ، وآخرون بالصاد قرأوها،وحمزة قرأها بالزاء . راجع (مجمع البيان : ١/ ٢٧)

٣ ـ قرأها عاصم والكسائي ، وخلف ويعقوب الحضرمي «مالك» والبقية «ملك» راجع(مجمع البيان : ١/ ٢٣)

٤ ـ قرأها اهل الكوفة بفتح الياء ، وتخفيف الذال ، والبقية بتشديد الذال . راجع (مجمع البيان : ١/ ٤٧) سورة البقرة : آية ١٠

وكذلك الاختلاف في «ننشزها» قرئت بالزاء مرة ، والراء أخرى. ففي الصورة الاولى يكون معناها اننا نعيد العظام الى حالتها الاولى بعد تناثرها ، وتركيب أجزائها مع بعض . وفي الصورة الثانية : يكون المعنى هو اننا نحيي العظام مرة ثانية (١) .

ويلاحظ ان هذه القراءات توجب الاختلاف في اللفظ والمعنى مع اجتماعهما في مورد واحد .

٣ ـ الاختلاف في اللفظ والمعنى بشرط انلا يكون اجتماعهما صحيحاً في امر واحد ، ومورد واحد ، ولكنهما يقبلان الاتفاق من حيث جوانب الاختلاف ولا يوجبان التضاد والتناقض ، نظير الاختلاف في آية « وظنوا انهم قد كذبوا » التي قرئت بتشديد وتخفيف الذال (٢) .

وكذلك في الاية «وان كان مكرهم لتزول منه الجبال» في «لتزول» بفتح اللام الاولى ، وضم اللام الثانية ، وقرئت بكسر اللام الاولى ، وفتح اللام الثانية (٣) .

والاختلافات الثلاثة السابقة الذكر في القراءة لاتوجب التضاد والتناقض في الايات.

والذي يلفت النظر ان علماء المسلمين الشيعة منهم والسنة يقولون : ان القراءات التي وردت عن الرسول ، أو الامام لها حجيتها ، ويجب التقيد بها علماً وعملا ، ويجب اتباعها ، والاعتقاد بأن القرآن قد نزل بهذا الشكل من الله تعالى .

ومن الامور المهمة التي لابد من بحثها حول نزول القرآن، هو هل انه نزل أولا على دفعة واحدة ، ثم نزل بعدئذ تدريجياً أم لا ؟ .

هذا ما نرجو ان نوفق لمعالجته في المستقبل .

---

١ ـ قرأها اهل الحجاز والبصرة بالراء،واهل الكوفة والشام بالزاء(مجمع البيان:٢/ ٣٦٨) وهذه الكلمة وردت ضمن آية ٢٥٩ من سورة البقرة .

٢ ـ ان أهل الكوفة وفقاً لقراءة امير المؤمنين علي(ع)، والامام علي بن الحسين، والامامين الباقر والصادق(ع) وزيد بن علي، وابن عباس ، وابن مسعود ، وجماعة آخرون قرأوها بتخفيف الذال ،وجماعة اخرى منهم عائشة ، والحسن، وعطاء والزهري وقتادة قرأوها بتشديد الذال . راجع (مجمع البيان : ٥/ ٢٦٩) سورة يوسف : آية ١١٠

٣ ـ القراءة الاولى عن الكسائي ، والقراءة الثانية عن بقية القراء . وفي الصورة الاولى التخفيف عن المثقل ، وفي الصورة الثانية مشابه لليس . راجع (مجمع البيان : ٦/ ٣٢٢)سورة ابراهيم آية ٤٦ .

عرض للاتجاه اللغوي في تفسير التبيان (١)

الدكتور مرتضى الشيرازي
كلية الالهيات والمعارف الاسلامية
بجامعة طهران

ان ثقافة الشيخ الطوسي كانت نموذجاً من ثقافة العلماء فى القرن الخامس،ذلك القرن الذي حفل بنتاج خصب للعقلية الاسلامية فى اوج نضجها ورقيها،فكان نشيطا فى التأليف والتحقيق ، وكانت ثقافته وآراؤه موضع احترام القوم فى عصره، وبعد عصره فقد أثنوا عليه،وعولوا على تصانيفه، وقد اخذ العلم على جماعة عرفوا بالجمع والاحاطة فكان مثلهم فى الجمع والاحاطة . على انه لم يكن متعصباً ولا مقلداً وانما كان حر الفكر ، مستقل الرأي مع سماحة فى النفس ، ونبل فى الخلق .

اما اسلوبه : فأسلوب العالم المتزن الطويل النفس ، الخبير بأساليب الحوار والجدل، يعرض المسألة بايجاز ويورد احسن ما قيل فيها من الاراء والحجج . ثم ينقد ويقوم ويضعف وينقض او يقوى ويستحسن . ويمتاز الطوسي بالدقة والامانة فى النقل والرواية فلا يذكر شاهداً الا معزواً الى قائله ولا خبرا الا مصحوباً بسنده ـ اللهم الا ما غرب عن حافظته وحسبنا دليلا على دقته وامانته ، تأليفه القيم «التبيان فى تفسير القرآن الكريم» ، ففى هذا التفسير نرى الطوسي بكل ثقافته وصوره العلمية،ففيه صورة الطوسي المحدث والفقيه والاصولي والكلامي،والطوسي الاديب النحوي اللغوي المرهف الحس الذواق لجمال النصوص القرآنية من جميع نواحيها

---

(١) القى هذا البحث فى المهرجان الالفى بذكرى الشيخ الطوسى (ره) والمنعقد فى جامعة خراسان .

ومن احب ان يشاهد الصورة الحقيقية التى تمثل جميع جوانب حياة الطوسي الثقافية فلينظر الى التبيان .

ان تفسير التبيان للشيخ الطوسي يعد نموذجاً ومثلا واضحاً لمقدرة الطوسي العلمية والثقافية. اذ انه يمثل بصورة رفيعة الثقافات التى اكتسبها خلال الاعوام التى مرت فى حياته .

ويحدثنا الطوسى عن ظروف تأليف تفسيره بأنه لم يجد بين الامامية قديماً وحديثاً من عمل كتاباً يحتوي على تفسير جميع القرآن ويشتمل على فنون معانيه . فأراد الطوسي ان يملا هذا الفراغ بتفسيره لكلام الله عز وجل لان الذين كتبوا من قبله لم يزيدوا ولم يأتوا بشيء الا النقل عن كتب الحديث واثبات الروايات فى تفاسيرهم دون ان يستوفوا ذلك،وأما علماء العامة من المفسرين ، امثال الطبري فكانوا بين مطيل في جميع فنون القرآن وبين مقصر اقتصر على ذكر غريبه، ومعانى الفاظه وسلك الباقون المتوسطون في ذلك مسلك ما قويت فيهم همتهم وتركوا مالا معرفة لهم به فان الزجاج والفراء وامثالهما من النحويين افرغوا وسعهم فيما يتعلق بالاعراب والتصريف ومفضل بن سلمة وغيره استكثروا من علم اللغة ، واشتقاق الالفاظ ، وان المتكلمين كأبي على الجبائي وغيره صرفوا همتهم فيما لا يتعلق الا بالمعانى الكلامية ، ومنهم من اضاف الى ذلك الكلام فى فنون علمه فأدخل فيه ما لا يليق به من بسط فروع الفقه واختلاف الفقهاء كالبلخي وغيره فهو - أي الطوسي - يشعر بأن الامة محتاجة الى تفسير لكلام الله ولم يك وحده يحس بهذه الفجوة بل ان جل العلماء قديما وحديثا احسوا بهذا النقص فانبرى بينهم وشمر عن ساعديه ليأتي بتفسير يذكر فى مواضع كثيرة منه ادلة الامامية التي يخص بهم الاستدلال على صحة مذاهبهم هذا . والتبيان ينطوي على نواحي متعددة ، ففي كل ناحية يبرز لنا الطوسي بشخصية جديدة لم نكن نعرفها حتى الان أو لم يكن معروفاً لدينا بتلك الصورة .

فهناك الطوسي البلاغي والطوسي اللغوي والطوسي النحوي والطوسي الاديب فالطوسي يحتاج الى دراسة عميقة وصادقة فى كل ناحية من هذه النواحى وحسبنا ان نلتقط جميع هذه الجوانب من تفسيره التبيان، والذي يهمنا الان هنا ان نشير الى نبذة من هذه الجوانب وهي الناحية اللغوية للتفسير، لان الطوسي قد اودع فى تفسيره مجمل

الأصول اللغوية العربية وامهات المسائل الهامة فيها مع ذكر مصادرها التى فقدت كلها أو غالبيتها،فهذا التفسير مودع تلك المصادر الهامة التى تهم الباحثين فى الجانب اللغوي ، والتى كان التبيان من مراجعها الهامة ، لاسيما وان هناك مصادر فقدت او احترقت ولم يكن لدينا نسخ كاملة منها ، مثل تفسير الرمانى وكثير من كتاب العين للخليل، واننى اعتقد اننا اذا تصفحنا التبيان ، يمكن لنا ان نلتقط مقداراً كثيراً من تفسير الرماني ، وكتاب العين للخليل وغيرهما .

« الاتجاه اللغوى عند الطوسى فى التبيان » :

تجلت ثقافة الطوسي العربية ، والدينية ، فى تفسيره التبيان ، الذي يعد دائرة معارف عربية واسعة الذيوع ، فلقد عرض الطوسي فيه للغة ، والنحو ، والتصريف والاشتقاق ، والقراءات ، والبلاغة ، وغيرها من العلوم العربية ، فى مناسبة حديثه عن الآيات القرآنية ، فى سعة بسط ، وقوة عرض ، وعظمة دراية بالمأثور والمام بالمنقول ، واضاف الى كل ذلك ذوقه وشخصيته فى التفسير ، والشرح، والبيان ولا ضير ان نستطرد فى تحليل الاتجاه اللغوي عن الطوسي فى تبيانه :

معانى اللغة فى التبيان :

١ ـ يعرض الطوسي فى كل آية وموضـع للالفاظ اللغوية بالتفسير والشرح مشيراً الى فروع الكلمة واصولها ولما قاربها او شابهها ، من الألفاظ والمشتقات يفسر مثلا الرحمن الرحيم فيقول : هما اسمان مشتقان من الرحمة . . . موضوعان للمبالغة وفى رحمان خاصة مبالغة . . . فان ارادوا المبالغة حملوا على فعلان وفعيل كما قالوا : غضب فهو غضبان .

٢ ـ وهو يتعرض لفقه اللغة،وهل الكلمة من اصل عربي ام انها من الكلمات المعربة والدخيلة، فيقول وقال بعضهم: ان لفظة الرحمن ليست عربية وانما هي ببعض اللغات

كقوله تعالى «قسطاس» فانها بالرومية،واستدل على ذلك بقوله تعالى:قالوا ما الرحمن انكاراً منهم لهذا الاسم ، ولكن الطوسي يرفض هذا الفرض ويقول : والصحيح انه معروف اشتقاقه من الرحمة ويدعم رأيه بقول اللغويين واشعار الجاهليين.ويقول في تفسير قوله تعالى : «الحمد» ومعنى الحمد لله الشكر لله خالصا . . . وقال بعضهم الحمد لله ثناء عليه بأسمائه .. ثم يرجح القول الاول فيقول:والاول اصح في اللغة لان الحمد والشكر يوضع كل منها موضع صاحبه .

٣ ـ قال ابن جريح انما سميت اليهوديهودا لقولهم : «انا هدنا اليك» قال اعرابي يؤخذ بقوله على ما قال ابو عبيدة : فاني من مدحه هائد ، اي تائب ، اي لتوبتهم عن عبادة العجل . وقيل انما سموا يهودا لانهم نسبوا الى يهوذا اكبر اولاديعقوب فعربت الذال دالاً . (١)

٤ ـ النصارى:جمع نصران كقولهم سكران وسكارى ونشوان ونشاوى وقد سمع في جمعهم انصار بمعنى النصارى وفي الانثى نصرانة، انما سموا بذلك لنصرة بعضهم بعضاً وقيل : لانهم نزلوا ارضاً يقال لها: ناصرة وكان ينزلها عيسى فنسب اليها، فقيل عيسى الناصري وقيل لقوله تعالى : «من أنصاري الى الله» (٢)

٥ ـ في جبريل ست لغـات : جِبرائيل . جَبرئيل . جَبرال . جِبريل . جبريل وجبرين.. وجبرائيل وميكائيل اسمان اعجميان أعربا،وقيل ان«جبر»عبد و«ايل» الله مثل عبدالله، وضعف ذلك ابوعلي الفارسي من وجهين: احدهما ان «ايل» لا يعرف في أسماء الله في لغة العرب ، والثاني: انه لوكان كذلك لاعرب آخر الكلمة كما فعل في ساير الاسماء المضافة (٣) .

٦ ـ ونراه ايضاً يكثر من الاتيان بالمعاني اللغوية حقيقية كانت او مجازية ، ففي تفسير قوله تعالى : «المغضوب» يقول : اصل الغضب الشدة ومنه الغضبة الصخرة الصلبة الشديدة المركبة في الجبل المخالفة له،ورجل غضوب شديد الغضب،والغضوب الحية الخبيثة لشدتها ، والغضوب الناقة العبوس .

---

(١) التبيان ج ١ ص ٢٨١

(٢) التبيان ج ١ ص ٢٨١

(٣) التبيان ج ١ ص ٣٦٢ ـ ٣٦٣ .

٧ ـ وكذلك نجده يأتي باللغة ويظهر لنا القرابة الوثيقة بين جذور الكلمات وما تفرع عنهافي تسلسل متطور من المعنى الحقيقي للكلمة الى المعنى المجازي المستقبل فيقول في تفسير قوله تعالى : «المفلحون» هم المنجحون .. والفلاح النجاح .

قال الشاعر :

اعقلي ان كنت لما تعقلي ولقد افلح من كان عقل

يعني من ظفر بحاجته وتقول افلح يفلح افلاحا وتقول فلح يفلح فلاحا وفلاحا والفلاح البقاء . . . . وأصل الفلح القطع . . . ومنه قيل للاكار فلاحاً ، لانه يشق الارض ، والفلاح المكاري لانه يقطع الارض .

٨ ـ وهو يؤمن ايضاً بالاتساع اللغوي وذلك اذا اقتضى الحال فيقول في تكرار الرحمن الرحيم ان عادة القوم تكرير المعنى بلفظين مختلفين ، اتساعاً في اللغة .

٩ ـ لا يستشهد بالالفاظ النادرة واللغات الشاذة فاننا نراه يقول : وحتى لو كان التأويل يحتاج الى شاهد من اللغة فلا يقبل من الشاهد الا ماكان معلوماً بين اهل اللغة شائعاً بينهم ، واما طريقة الآحاد من الروايات الشاردة والالفاظ النادرة فانه لا يقطع بذلك ولا يجعل شاهداً على كتاب الله . (مقدمة التبيان) .

١٠ ـ وهو شديد الاستقصاء للمعاني اللغوية للالفاظ وفي تحريه في تحديد المعنى اللغوي تحديداً واضحا فالطوسي عند ما يتعرض للقرآن من الوجهة اللغوية وغيرها لا ينساق وراء صناعته كسائر اللغويين فينصرف ويبعد عن جانب المعنى ويأخذ بالظاهر بل نراه يجعل كل همه ـ حيثما كانت هناك آراء مختلفة لغوية ـ في تبين مقاصد اللغة من الناحية التي تخدم تفسير القرآن وتنسق معانيه وهو يميل في تفسيره اللغات الى ترجيح الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر فيقول في تفسير «جاءهم رسول» : المعني بالرسول محمد(ص) ويجوز أن يعني به هاهنا الرسالة ، كما قال كثير . . . . وهذا ضعيف ، لانه خلاف الظاهر قليل الاستعمال (١) .

١١ ـ والطوسي يكثر من الاستشهاد باشعار الجاهليين والاسلاميين ، وبأقوال المولدين ، والفلسفة اللغوية ظاهرة جلية في التبيان ؛ حيث نراه يحاول رد الفروع اللغوية الى اصولها ، والمتشابهات الى اصل واحد ، ويحاول ان يجعل بين الاصول

---

(١) التبيان ج ١ ص ١٠١ .

المختلفة وجوه صلة وتناسب .

١٢ ـ ويذهب الطوسي الى الابدال اللغوي ، ويستدل له بشواهد كثيرة في اللغة ومن مثل ذلك كلامه عن الصراط : قرأ بالسين وبالصاد ، واشم الصاد زايا ، وفي بعض الروايات اشمامها الزاي ما كان فيه الف ولام واما الصاد اذا سكنت وكانت بعدها دال نحو يصدر وفاصدع ويصدفون فاشم الصاد الزاي . . . فمن قرأ باشمام الزاي فللمواخاة بين السين والطاء بحرف مجهور من مخرج السين وهو الزاي من غير ابطال للاصل ومن قرأ بالصاد فللموا خاة بين الصاد والطاء بالاستعلاء والاطباق . . والقراءة بالصاد احسن ثم يشرع في تفسير كلمة الهداية فيعود مرة اخرى الى كلمة الصراط ويستشهد بقول جرير بأنه معناه الطريق :

امير المؤمنين على صراط اذا اعوج الموارد مستقيم

وقول الشاعر : «فصد عن نهج السراط الواضح»، وقيل: انه مشتق من مسترط الطعام وهو ممره في الحلق . والصاد لغة قريش ، وهي اللغة الجيدة وعامة العرب يجعلونها سيناً والزاي لغة لعذرة . . . يقولون : ازدق ، فيجعلونها زاءاً اذا سكنت .

١٣ ـ ويقول في تفسير قوله تعالى «وفومها وعدسها الخ ... » انه الثوم ابدل الثاء فاء ، كما قالوا : جدث وجدف واثافي واثاثي (١) .

١٤ ـ كذلك نرى الطوسي يعالج الآيات القرآنية من الناحية النحوية ، ويستخدم النحو لتفسير كلام الله ، ومبيناً لمعانيه ، وموضحاً لاغراضه ، فهو يرجح اعراباً على اعراب، ويحمل الاسلوب على وجه دون وجه ، حتى يستبين من ذلك المعنى المقصود. ويضفي على النحو اهمية خاصة في تفهم القرآن، وجوانب بلاغته ومن ذلك قوله في قوله تعالى «يا عيسى بن مريم» يحتمل عيسى ان يكون منصوبا مثل ماتقول يابن عبد الله وهو الاكثر في كلام العرب ، وانما يجوز ذلك اذا وقع الابن بين علمين. ويحتمل ان يكون عيسى في موضع الضم، ويكون نداء أي كأنه قال: ياعيسى يابن مريم (٢) . ويقول في تفسير قوله تعالى: «قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم» الخ . . . فيوم ظرف للقول وهذه اشارة الى ما تقدم من قوله تعالى :

---

(١) التبيان ج ١ ص ٢٧٥ .

(٢) سورة المائدة .

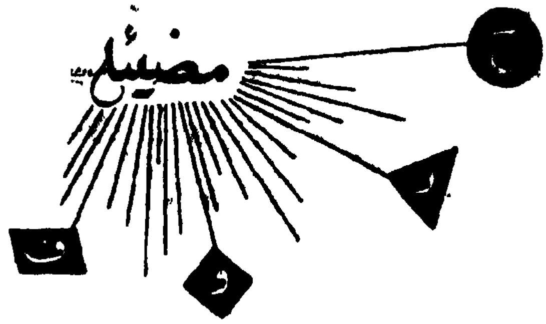
«اذ قال الله يا عيسى بن مريم» ، وجاء على لفظ الماضي وان كان المراد به المستقبل. وليس ما بعد قال حكاية في هذا الوجه . . . ويجوز ان يكون المعنى على الحكاية وتقديره : هذا يوم ينفع أي هذا الذي اقتصصنا به يقع او يحدث يوم ينفع ، فيوم خبر المبتدأ الذي هو هذا الأمر ، اشارة الى حدث ، وظروف الزمان تكون اخباراً عن الاحداث ، والجملة في موضع نصب على انها في موضع مفعول. قال الفراء : يوم منصوب،لانه مضاف الى الفعل وهو في موضع رفع بمنزلة يومئذ مبني على الفتح في كل حال ... قال الزجاج هذا خطا عند البصريين . . . ويجوز هذا يوم ـمنوّناً ـ على اضمار هذا يوم ينفع فيه الصادقين صدقهم..وهكذا نرى في تفسيره كثيرا من آراء علماء النحو مبسوطة ومشروحة قد يميل الى رأي ويترك الرأي الاخر ، وقد يكتفي بسرد آراء النحاة ، واختلاف البصريين والكوفيين في المسألة . (١) وكان الطوسي يؤمن بالقياس في النحو سالكاً نهج سيبويه ، والفراء والفارسي ، والرماني وابن جني ، واترابهم في هذه السبيل .

١٥ ـ كذلك يقول في تفسير قوله تعالى : «لعلكم تشكرون» ـ التوبة ـ : معناه لكي تشكروا ، وهذه لام الغرض . فالطوسي يسخر النحو ليستدل به على صحة عقيدة كلامية وابطال رأي المجبرة فيضيف على ذلك : وفيه دليل على فساد قول المجبرة ان الله تعالى ما اراد من الكفار الشرك لانه لو اراد كفرهم لقال : لتكفروا وذلك خلاف القرآن .

١٦ ـ نراه حينا يرد على المفسرين آراءهم النحوية فيقول في قوله تعالى : «ألم تعلم ان الله له ملك السموات . . .» انه التقرير والتنبيه الذي يؤول الى معنى الايجاب كما قال جرير : الستم خير من ركب المطايا . . . وانكر الطبري ان يدخل حرف الاستفهام على حرف الجحد بمعنى الاثبات ، والبيت الذي انشدناه يفسد ماقاله وايضاً قوله: «أليس ذلك بقادر ...» و قوله : «أليس الله بكاف عبده..» و غير ذلك يفسد ما قاله .

---

(١) سورة الانعام ص ٦١٠ .



العلم وديعة الله في أرضه ، والعلماء أمناؤه عليه ، فمن عمل بعلمه أدى امانته ، ومن لم يعمل بعلمه كتب في الخائنين .

الرسول الاعظم (ص)

عظم الخالق في أنفسهم ، فصغر ما دونه في أعينهم ، فهم والجنة كمن قد رآها، فهم فيها منعمون ، وهم والنار كمن قد رآها ، فهم فيها معذبون .

الامام امير المؤمنين (ع)
في وصف المتقين

كان من اعظم الناس في عيني ، وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه . كان خارجاً من سلطان الجهالة ، فلا يمد يداً : الا على ثقة لمنفعة . . . كان لا يقول ما لا يفعل ، ويفعل ما لا يقول .

الامام الحسن (ع)
يصف أخاً صالحاً

اياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً الا الله جل وعز .

الامام الحسين (ع)

احذر فقد نبئت ، وبادر فقد اجلت ، انك تعامل من لا يجهل ، وان الذي يحفظ عليك لا يغفل ، تجهز فقد دنا منك سفر بعيد ، وداو ذنبك فقد دخله سقم شديد .

الامام السجاد (ع)
في رسالة الى الزهري

والله ما شيعتنا الا من اتقى الله وأطاعه ، وما كانوا يعرفون الا بالتواضع والتخشع وأداء الامانة ، وذكر الله ، والصوم ، والصلاة ، وبر الوالدين ، وتعهد الجيران من الفقراء وذوي المسكنة ، والغارمين ، والايتام ، وصدق الحديث ، وتلاوة القرآن ، وكف الالسن عن الناس .

الامام الباقر (ع)

أوصيك ان تتخذ صغير المسلمين ولداً ، وأوسطهم أخاً ، وكبيرهم أبا ، فارحم ولدك ، وصل أخاك ، وبر أباك .

الامام الصادق (ع)

ليس منا من ترك دنياه لدينه ، أو ترك دينه لدنياه .

الامام الكاظم (ع)

انا أهل بيت نرى وعدنا علينا دينا ، كما صنع رسول الله (ص) .

الامام الرضا (ع)

الخلق عيال الله ، وأحب الخلق الى الله من نفع عيال الله .

الامام الجواد (ع)

من جمع لك وده ورأيه ، فاجمع له طاعتك .

الامام الهادى (ع)

بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين ، يطري أخاه شاهداً ، ويأكله غائباً ، ان اعطي حسده ، وان ابتلي خانه .

الامام العسكرى (ع)

« . . . وأما وجه الانتفاع بي فى غيبتي ، فكالانتفاع بالشمس اذا غيبها عن الانظار السحاب .

الامام المهدى (ع)

الصوم في الاسلام

ما هو الصوم ؟

لا تختلف حقيقة الصوم فى معناه اللغوي عن حقيقته فى معناه الاسلامي، الا فى العموم والخصوص ، فعند ما نلاحظ استعمالات كلمة الصوم المختلفة فى اللغة نراها تندرج تحت حقيقة واحدة هي : امساك النفس وكفها . . فامساك النفس عن الكلام أو عن الطعام ، او عن السير ، او عن الاندفاع بعاطفة ، او عن التصورات ، او عن اي عمل خارجي، او نفسي . . كل ذلك يسمى فى اللغة صوما . .

وحقيقة الصوم فى الاسـلام هي نفس الامساك وكف النفس ، ولكنه امساك فى وقت معين عن اعمال خارجية ونفسية حددها الاسلام .

١ ـ *الحكمة الاساسية من الصوم*

لاجل ان نتعرف على الحكمة الاساسية من أي تشريع اسلامي يجب ان نأخذ بعين الاعتبار الحقائق التالية :

الاولى : انه ليس فى الاسـلام تشريعات من اجل الله تعالى كما يتخيل الذين يتساءلون بسذاجة : لماذا يريد الله ان نصلي له ونصوم ؟

فان جميع ما تضمنه الاسلام من امر ونهي وتأديب انما هو لاجل هذا الانسان لمعالجة نفسه وبناء مجتمعه واقامة حياته .

اما الله سبحانه فيستحيل ان يحتاج الى شيىء من ذلك قليل ام كثير .

«يا ايها الناس أنتم الفقراء الى الله . . والله هو الغنى الحميد» ١٥/ فاطر

الثانية : ان الله سبحانه لم يضع مادة من شريعته الخالدة الا لانها ضرورة لحياة الانسان ، بحيث لو ان حياة الانسان تستقر وتنسجم بدونها لما وضعها الله سبحانه ، ومعنى ذلك : انه ليس فى التشريع الاسلامي مادة يمكن الاستغناء عنها ، كما انه ليس هناك مادة يجب اضافتها .

الثالثة : انا حينما نريد التعرف على حكمة تشريع من تشريعات الاسلام فيجب ان لا نفصل هذا التشريع عن قضية هذا الدين الكبرى . . . من مذهبه فى فهم الحياة،ومذهبه فى اهدافها..لانفصل هذا التشريع عن البناء الاسلامي ككل سوف يعزله عن ظرفه الطبيعي الذي وضعه الاسلام فيه ، وبالتالي يشله ويجعل فهمه عصيا .

واذا اخذنا هذه الحقائق بعين الاعتبار وطرحنا سؤال : ما هي الحكمة من الصوم؟ فسوف نحصل على اجابات اولية تترتب على ضوء الحقائق المارة كمايلي :

* ان الصوم ليس من اجل الله ، وانما هو من اجلنا نحن ، لضمان ضرورة لحياتنا.
* ان الصوم ضرورة وليس ثانوياً ، ولو كانت حياتنا تستقر بدونه لالغي .
* ان الصوم جزء من تشريع لامة لها رسالتها واهدافها .

وهنا نرى ان هذه الاجابات تفرض علينا ان نصوغ سؤالنا عن حكمة الصوم هكذا : ما هي الضرورة التي شرع الصوم لتحقيقها فى حياة الفرد والامة ؟ (١)

والجواب : ان في فريضة الصوم ، ولا شك كثيراً من الفوائد والمنافع التى سنعرض لها باجمال ، ولكن الحكمة الاساسية من الصوم فيما ارى انما هي تربية نفس الفرد والامة على هذه الحالة التى يعبر عنها بالارادة ، او الصمود ، او الثبات او العزيمة ، او التحمل ، . . والتي يختار الاسلام للتعبير عنها كلمة (الصبر) .

---

(١) الامة : وان كانت من الافراد انفسهم ، ولكن لها بوصفها امة وجوداً يختلف عن وجود الافراد ، كما يقرر ذلك علماء الاجتماع ـ وكما هو واضح ـ ولذلك كان لابد ان ينظر الى هذا الوجود المجموعي بوصفه المجموعى، وتلاحظ اهدافه واساليب تربيته، وما الى ذلك .

ان النفس البشرية بطبيعتها الاولى نفس سريعة التأثر وسريعة الرد على التأثر . . ومن طبيعتها انها تتأثر بما هو اقرب اليها ، وترد بما هو اقرب لديها .

وأي انسان ، يدرك انه في حياته بحاجة لان يربي في نفسه الارادة ، ويمرسها بالصمود من اجل وجوده واهدافه، وكل امة تدرك ان الارادة والصمود من ضرورات حياتها واهدافها . . وليس من فرد نال هدفاً في الحياة ذا قيمة الا وله حكاية كيف ربى نفسه ، وكيف واصل تصميمه . .

وليس من أمة صنعت لها وجوداً وحققت هدفاً الا ولها قصة ، كيف انتصرت على ضعفها ، وكيف شحذت عزيمتها ، وواصلت ثباتها . .

ان الانتصار على الضعف البشري ضرورة يدركها الانسان ، ويعمل لها. . وهي ضرورة علمها الله سبحانه عند ما خط للانسان اهدافـه ، فخطط لها ، **« الا يعـلم من خلق وهو اللطيف الخبير»** .

ولكن الفارق يأتي ها هنا بين المنهجين : منهج الله في تربية النفس وتقويمها ومنهج الانسان في ذلك ، بمقدار الفارق بين الأهداف التي يضعها الانسان لنفسه ، والاهداف التي يضعها ربه .. وبمقدار الفارق بين خبرةالانسان بنفسه واهدافه وخبرة الله في ذلك . . وبالتالي ، بمقدار الفارق بين تسرع الانسان وقصور معرفته ،وأناة الله عز وجل وشمول علمه .

ان الضرورة لحيـاة الفرد والأمة واهدافهما ليست هي مجرد الارادة او الصمود والثبات،بل لابد ان يتوفر فيحالة التصميم عنصران آخران هما :الوعي،والاطمئنان.

فقد يملك الفرد ثباتاً وارادة ، وقد تملك الأمة ثباتاً وارادة ، ولكن افتقاد عنصر الوعي يجعل من تلك الارادة عناداً يابساً .

وقد يتوفر الفرد والامة علىالارادة ، ولكن افتقاد عنصر الاطمئنان يجعلمن تلك الارادة تصميماً مقلقاً مرهقاً للاعصاب .

الذي هو الضرورة لحياة الانسان واهـدافه ، ولحياة الأمـة واهـدافها انما هو (الارادة الواعية المطمئنة) . . وهـذا ما يجعل اسم الصبر بما يتضمنه من وعي للمستقبل ، وهدوء في النفس ، اصح اسم لما يريده الاسلام من نوعية الانتصار على *الضعف البشري والتسرع .*

٢ ـ الصبر مبدأ ايجابي

ان المسلم هو الانسان الرسالي الذي يعي الاسلام ويعمل له . . والامة المسلمة هي الامةالرسالية التى تحمل رسالة الله ، وتعمل لنشر عدالتها . . وصبر الفرد المسلم وصبر الامةالمسلمة انما هو صبر فيخط العملالجاد، وليس صبراً خارج هذا الخط.

والصبر فى خطالعمل عمل ايجابي دائماً،ولا ينقص من ايجابيته ان يكوناعراضاً عن الاخرين ، او تأنياً في رد الفعل ، او سكوتاً ازاء الضجيج والتهريج، او هدوءاً على موقف معين . . فان معطى الصبر فى مثل هذه الحالات كثيراً ما لا يقل عن معطاه فى وطيس معركة حامية . . انه فى كل الحالات ارادة ايجابية منتجة تخدم الهدف الذي تعيه ، وتطمئن اليه ، وبهذا المعنى الايجابي الشامل استعمل القرآن الكريم كلمة الصبر فى مختلف المجالات ، وعلى ذلك ربى الله سبحانه رسوله ، وربى الفرد المسلم والامة المسلمة .

٣ ـ الصوم والصبر

فالصوم الذي هو التزام عملي بالانفصال لفترة طويلة نسبياً عن ألصق العادات فى حياة الانسان من طعام وشراب ومتعة . . ، يمثل تمريساً عمليا للنفس على الصبر ويفعمها بأحاسيس ومشاعر بليغة الاثر فى ذلك .

وحينما نريد ان نفهم الصوم ، ونعرف اثره في تكوين الصبر فى نفس الفرد والامة لابد ان نلاحظ العناصر التي تضعه فى ظرفه الطبيعي وهي :

١ ـ ان الصوم جزء من عملية تربوية لفرد وأمة لهما رسالتهما وأهدافهما ، فان من الواضح بأدنى تأمل ، ان الاسلام رسالة للحياة لها مفهومها الخاص ، وتفسيرها الخاص للكون ، والحياة ، والانسان ، ولها نظامها الخاص الذى تدعو لاقامة الحياة الاجتماعية للعالم على اساسه ، ومن تصورات ذلك التفسير ومواد هذا النظام يتكون منهج تربوى فى صياغة الفرد المسلم ، والامة المسلمة ، لحمل هذه الرسالة ، وعيش واقعها ، والعمل لها .

ان عملية الصوم بنظر الاسلام لا يمكن ان تنفصل بحال عن اهدافه فى تخريج الفرد والامة ، وبنائهما النفس ، وبناء الفرد والامة لا يمكن ان ينفصل بحال عن الاهداف التى وضعها لهما الاسلام ، واراد منهما الجهد لها .

ولذلك . . فان الوضع الطبيعي للامة الصائمة ان تحس بأنها امة صاحبة رسالة واهداف ، وانها تتربى فى صومها على حمل رسالتها ، وعلى بذل الجهد لاهدافها .

٢ ـ ان عملية الصوم التربوية ليست شيئاً مخترعاً فى هذه الامة ، بل هى عملية طبيعية فى تربية الامم السابقة عبر التأريخ، وقد قال الله للمسلمين عند ما فرض عليهم الصوم : «يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ،كما كتب على الذين من قبلكم» ، وقصده سبحانه من ذلك ان يبين للمؤمنين برسالته ان ارتباطكم مع المؤمنين من الاجيال السابقة ، لا فى الاهداف الرسالية فحسب ، بل فى الاسلوب العملى الذى رآه سبحانه ضرورياً لتربيتهم على هذه الاهداف . .

فالامة المسلمة امة واحدة عبر الزمان والمكان ، ذات رسالة واحدة الجوهر والاهداف ومنهج تربوى واحد الجوهر والاهداف . .

ولأجل ذلك ، فلابد ان ندخل فى فهم الصوم ان هذا الجزء من عملية التربية الالهية للفرد والامة المسلمة جزء ثابت منذ المجتمع الانساني الاول. وهذا ما يكشف عن كونه ضرورة بشرية تاريخية فى تربية الانسان لبلوغ اهدافه التى وضعها له خالقه الرحيم سبحانه..ولايخفى مدى فاعلية هذه الحقيقة فيعطاء الصوم فى تكوين الصبر .

٣ ـ ان الصوم يجب ان يؤدى فى حالة وعى : ويمثل هذا العنصر اشتراط (قصد القربة) فى الصوم . وحقيقة القربة الى الله انما هى قربة الانسان من سعادته ، وقربته من تكامل وجوده الذى يحرص الله سبحانه عليه. . فليس لله مكان نتقرب اليه ، وليس لوجوده الفريد الاوحد حاجة الى تقرب الانسان اليه . .

ومن بليغ رحمته سبحانه ان جعل عمل الانسان من اجل نفسه تقرباً اليه جل شأنه .

وحينما يشترط الاسلام على الصائم ان يقصد القربة من صومه ، فمعنى ذلك انه يريد منه ان يدرك انه انسان اسلم وجوده الى الله ، فهو يتلقى منه مفاهيمه وتشريعه ، ويمتثل كل ما يصدر اليه من اوامره ، لايمانه العميق بان سعادته موقوفة على اطاعة الله سبحانه الذي تربطه معه علاقة مخلوق بخالق ومرحوم برحيم .

ولا يخفى ان احساس الصائم بأنه قريب من الله يرخص فى نظره بعده عن الطعام

والمتاع ، ويلذذ له التحمل فى سبيل القرب من ملك الوجود سبحانه .

٤ ـ ان الكون كله فى ضيافة الله سبحانه يحيا بفيض الوجود الدائم الذي يمده به : فالعوالم كلها تنعم بعطائه ، وتعيش بحمده، والناس كلهم فى ضيافته ، يعيشون بنعمه ورزقه . .

ولكن للامة الصائمة ضيافةخاصة منه سبحانه «شهر دعيتم فيه الى ضيافة الله» تتمثل هذه الضيافة فى مزيد من العنـاية ، ومزيد من الهـدى ، ومزيد من الرزق ، والعطاء ، والجزاء . . ولا يخفى ما فى كشف هذه الحقيقـة والأحساس بها من اثر فى عطاء الصوم وتكوينه للصبر .

٥ ـ ان الاسلام يركز على ان عملية الصوم يجب ان تقترن بنوعية الفرد والامة على احتياجات وجودهما المستقبلة من الوقاية والمكاسب : وذلك لكى ينسجم تخطيط الانسان لحياته مع ما يكشفه الاسـلام من امتداد لهذه الحياة فى كوكب جديد ، وخضوعها .

وكما ان وجود الانسان فى الحياة الدنيا يحتاج الى وقاية ويحتاج الى مكاسب فكذلك وجوده بعدها فى الحياة العليا ابتداء من لقاء ربه ، فموقفه فى ساحة الحشر، فاستئنافه الحياة الجديدة فى الجنة ، يحتاج الى وقاية ومكاسب ، وقاية ومكاسب لا ينفع فيهما الا ان يخطط لهما من هنا ويعمل لهما فى دار العمل هذه . . .

ولذلك كان من العناصر التى تضع الصوم فى ظرفه الطبيعي ان يتحسس الفرد والامة احتياجات وجودهما المستقبلة من وقاية ومكاسب .

يمثل هذا العنصر نصان وردا عن الرسول (ص) :

* واذكروا بجوعكم وعطشكم جوع يوم القيامة وعطشه» (الوقاية) .
* (للصائم فرحتان:فرحة عند افطاره،وفرحة عندلقائه ربه) (المكاسب ـ النصر)

٦ ـ ان الصوم وما يثمر فى نفس الانسان من الصبر يجب ان يرتبط بالتقوى . والتقوى فى الاسلام مفهوم عام شامل للالتزام بحدية القانون الاسلامى بروح مخلصة واعية . . يظهر هذا الشمول بوضوح حينما نلاحظ استعمال القرآن لكلمة التقوى فى احكام العقوبات (٢/١٧٩) والدين (٢/٢٨٢) والامانة(٢/٢٨٣) والتوحيد (٢٣/٢٣) واعطاء الزكاة (٧/١٥٦) والحياة الزوجية (٣٣/٣٧) والمعاملات التجارية (٢/٢٧٨) والصلاة (٦/٧٢) والصيام (٢/١٨٣) .

فالصيام اذن يجب ان يؤدى من الفرد والامة على اساس انه تربية عملية للاسهام

في تكوين حالة الصبر.. والصبر وهو (الارادة الواعية المطمئنة) وان كان هوالثمرة المباشرة لعملية الصيام ولكنه انما يراد لـكي يؤدي وظيفته التي هي الاسهام فى تحقيق التقوى (القانونية المخلصة فى خط الرسالة) التى تدفع الفرد والامة الى فهم النظرية الاسلامية، والعمل لها، بحديـة ما يجب من الفهم، وما يستطاع من العمل.

ولذا كانت التقوى هي الظرف العام الذي يناسب ان توضع فيه فريضة الصوم ويربط به هدفها فى النتيجة :

«يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون» (٢/١٨٣)

* * *

هذا عرض موجز للحكمة الأساس من فريضة الصوم..

والحكم الأخرى المهمة فيما ارى ثلاث :

الاولى : التحسس بالحرمان.
والثانية : الاحساس بالنعم.
والثالثة : الحكمة الصحية.

وأرجىء دراسة هذه الجوانب من فريضة الصيام المباركة مع جانب آخر مهم هو : الصبر والحرية، راجياً ان يوفقني الله سبحانه لموافاتكم فى فرصة قريبة بالدراسة الشاملة لجميع جوانب هذه الفريضة المقدسة.

* * *

انه لو توفر للفرد منا ان يفهم فريضة الصوم فى ظرفها الذي وضعها فيه الاسلام وتوفر له وهو يؤديها ان يحس بعقله وقلبه عمقها وابعادها.. لافاد منها عطاء من العبر مهماً فى ترقية نفسه وفكره، وبالتالي فى تطوير شخصيته، واحكام بنائها.

وحسب الانسان بعضما فى الصوم ليتعلم الصبر الجميل.. حسبه ان يحس انه يتربى على يد الله، ويصنع على عينه، ليحمل رسالته ويبلغ اهدافه.. وانه لو توفر لامتنا ان تعي هذه الفريضة المباركة : وأن تعيشها بحيوية، وهي تؤديها لافادت منها لوجودها اكبر المقومات، وأمضى اسباب النصر.

ان فرقاً كبيراً بين ما عليه امتنا اليوم من وضعها الفكري، والنفسي ووضعها فى

جميع جوانب وجودها، وشخصيتها واهدافها ، ومكانتها في امم العالم ، وبين وضعها الذي تضمنه لها رسالة الأسلام وفرائضها فيما لو وعتها وعاشتها .

انه بحسب امتنا التى هونت من شأن عقيدة الاسلام وفرائضه فى قضاياها المصيرية - بحسبها - شهر من الصيام تعيش فيه وجودها المضاع ، ورسالتها الملقاة ، واهدافها المنسية ، بحسبها حفنة من الصبر الجميل تزودها بصمود يدفعها للكفاح ، وبوعى يكشف لعينها تعهد الله ونصره ، واطمئنان يذهب عنها قلق الحاضر ، وخوف المستقبل . .

ان امة تؤدي فريضة الصيام،وتعيشها بعناصرها المتقدمة لهي امة لا تذل ،ولاتقهر.

وكيف تذل او تقهر امة تحش في صومها بأنها تتربى على يد الله، وتصنع على عينه لتحمل رسالته الخالدة في ارضه ؟ . . .

وكيف تذل او تقهر امة تحس بأنها وارثة الأمم المسلمة التى رباها الله وحملها منهجه ، وانها تربطها مع الله رابطة خليفة بمستخلف ، ومكلف بمكلف . . وانها وهي تتدرب على الجوع والظمأ تختص بضيافة الله ، ومزيد من رحمته ، ونصره وهداه ... وانها بصومها تتربى على احتياجات وجودها المستقبلة احتياجات وجودها في الارض ، واحتياجات وجودها فيما بعد هذه الارض . .

وكيف تذل أو تقهر امة تعيش التقوى في خط رسالة الله ، والقيام على العدالة في أرضه .

نعم . . بحسبنا أن تتجسد فينا بعض هذه الحقائق ، لا لكي نخرج من النكسة فقط ، بل لنفاجىء العالم بوجود جديد ، وبكيان جديد ، لا يذل ولا يقهر (١) .

---

(١) هذا المقال تلخيص لكتاب «الصوم في الاسلام» للشيخ علي الكوراني .

«الهادي»

أعلام الاسلام

سعيد بن جبير

السيد مرتضى مرتضى - قم

وأخيراً . . . وصل الأمويون الى ماكانوا يطمحون له ، ويصبون اليه ، فتسلطوا على الامة ، وتحكموا بمقدراتها ، واخذوا يعملون على تثبيت ملكهم ، وتدعيم سلطانهم بشتى الصور ، ومختلف الأساليب ، لكي يشبعوا بذلك شهواتهم ، ويرضوا نزواتهم .

ولما كان من الطبيعي ان لا يتم لهم ذلك في ظل الاسلام ، وتحت انظار الواعين من المسلمين . . فقد كرسوا كل جهودهم ، وجندوا كل ما لديهم من قوة وحول ، للتخلص من كل ما يعترض طريقهم ، او يقف في وجههم ، بدلاً من ان يوجهوا تلك الجهود ، الى ما فيه خير الاسلام والمسلمين .

ولهذا نجد انهم منذ اليوم الاول، الذي تحكموا فيه برقاب المسلمين، لم يكفوا لحظة واحدة عن الكيد للاسلام ، ولرجالاته المخلصين ، فكانوا كلما سنحت لهم الفرصة ، وواتاهم الظرف ، يصطادون فريسة ، ويتخلصون من معارض .

وقد تفننوا في الكيد لاعدائهم ، واختلفت اساليبهم في التخلص منهم . فبينما نجد معاوية بن ابي سفيان، اكثر ما يقتل ضحاياه بالسم ، ويرفع شعار «ان لله جنوداً

من عسل» ، نجد ابنه يزيد ، يواجههم علانية بالسيف ، وهو يرفع شعار «فلا خبر جاء ولا وحي نزل» .

بينما نرى الوليد بن عبد الملك ، يتفوق عليهما معاً في هذا المضمار ، فيسلك طريقاً آخر ، اذ يتخذ الحجاج بن يوسف الثقفي ، اداة لتنفيذ اغراضه ، ومآربه ثم يلصق ذلك كله به ، ليبقى ـ هو ـ وكأنه لم يرتكب جريمة ، ولم يفعل منكراً في حين لم يكن الحجاج ـ بكل شروره ، وآثامه ـ الا سيئة من سيئات الوليد ، وجريمة من جرائمه ، لا هم له الا تنفيذ ما يأمره به سيده ، ـ حتى ولو كان هدم الكعبة ـ بكل دقة ، وامانة واخلاص .

وكان طبيعياً ـ جداً ـ ان تحدث في المقابل ردود فعل ، ـ لان لكل فعل رد فعل ـ وان يصطدم الحكم الاموي الجائر ، بثورات ، وانتفاضات ومحاولات للقضاء عليه والتخلص من نير استغلاله ، وعسفه .

وهذا ما حصل بالفعل عند ما استيقظت الامة من سباتها ، فأدركت واقع الامويين ، ووعت مآربهم ، فهالها المصير الذى يجرونها اليه . فكان لابد للمخلصين من ابنائها ان يعبروا عن سخطهم ، ونقمتهم على الظلم والطغيان، بطريقة او بأخرى .

وكان من جملة هؤلاء ، سعيد بن جبير ، بن هشام الاسدى ، الوالبى . ذلك العالم ، الجليل ، المعروف بزهده ، وتقواه . فقد كان كغيره ، من اعلام الصحابة ، والتابعين ، يشعر بالمسؤولية ويحس بأن عليه ان يتحرك ويثور، وأن يعلن سخطه ونقمته على الظلم والجور.

ولهذا . . . فما ان رأى سعيد بن جبير عبد الرحمن بن الاشعث ، يعلن عصيانه لبني امية ، حتى رأى الفرصة مواتية له ، فانخرط في جيشه ـ مع سائر العلماء الذين كانوا يعرفون آنذاك باسم القراء ـ ليحارب الحجاج ـ ومن ورائه بني أمية ـ ويناضله بسيفه ، وايمانه ، فيكون بهذا قد أدى واجبه وأرضى ضميره .

وقاوم جيش بن الاشعث الامويين بضراوة وعنف ودارت بين الفريقين معارك دامية ، وأخيراً استنجد الحجاج بعبد الملك بن مروان فأرسل ـ هذا ـ اليه جيشاً عرمرماً، لقي به جيش بن الاشعث في مكان يعرف (بدير الجماجم) وهناك دارت بينهم وقائع عديدة حامية كان التفوق فيها للحجاج، لكثرة جيشه، فتفرق جيش ابن الاشعث

وكان فيهم سعيد بن جبير الذي يمم شطر قم ، والتي كانت حينذاك من اعمال اصبهان ، فأقام على مقربة منها ، في قرية يقال لها جمكران ، ضيفاً على قبيلة بني اسد العربية .

ولكن الحجاج ، واسياده ، لم يكونوا ليتركوا رجلا حر الضمير كابن جبير يعيش ، وهو يرى شرورهم ، ومفاسدهم ، وانغماسهم في اللذائذ الدنيئة ، والشهوات الخبيثة ، ـ بينما يعيش باقي افراد الامة ، عيشة الفقر والكفاف ، قد لا يجد احدهم ما يسد به رمقه ـ خصوصاً ، وان ابن جبير لم يكن على استعداد للسكوت والرضا بالامر الواقع .

لذلك فقد ارسل الحجاج الى عامل اصبهان ، يطلب منه ان يلقي القبض على ابن جبير ، ويرسله اليه .

لكن هذا الذي كان يعرف من هو ابن جبير ، لم يكن يحب ان يصير شريكاً للحجاج في دمه ، فأمره ان يغادر اصبهان الى اي مكان آخر ، حتى لا يكون مسؤولا عنه امام الحجاج . فما كان من ابن جبير الا ان ان غادر اصبهان ، وتوجه الى اذربيجان «وقيل الى قرية سنبلان في العراق» .

لكنه رأى انه في اذربيجان ، لن يكون بمنأى ومأمن من كيد الامويين وبطشهم ، ووجد ان خير وسيلة له هي ان يذهب الى مكة ، مستجيراً بالله ، وملتجأ الى حرمه .

ولكن . . . متى كان الحجاج ، وسيده الوليد ، يرقبان جانب الله ، ويخشيانه حتى يحافظا على حرمة بيته . . بل متى كان للبيت في نظرهما حرمة ، واعتبار ؟ ! !

وهكذا . . فما ان علم الحجاج بالامر ، حتى ارسل الى الوليد يخبره بوجود سعيد في مكة ، والتجائه الى حرم الله . فأرسل الوليد الى عامله على مكة ، خالد بن عبد الله القسري ، يأمره بالقاء القبض على ابن جبير ، وارساله مخفوراً الى الحجاج يفعل به ما يشاء ، ويصنع به ما يريد .

«ولكن . . لماذا الى الحجاج ، وليس الى الوليد نفسه ؟ ! ان هذا لمما يؤكد ما قلناه سابقاً ! !» .

وامتثل خالد ـ هذا ـ امر الوليد، فألقى القبض على ابن جبير وارسله مع اسماعيل بن واسط الى الحجاج في الكوفة . وما ان وصل ابن واسط الى الكوفة حتى امر الحجاج باحضار ابن جبير بين يديه .

ولم يكن ليخفى على الحجاج ما كان لابن جبير من مكانة ، وما كان يحظى به من احترام وتقدير في قلوب الناس ، فانه كان علاوة على ما اشتهر به من الزهد ، والورع ، والتقوى . . عالماً ، وفقيهاً ، شهد له كل من عرفه بالعلم ، والفضل ، مضافاً الى انه كان من جملة القراء .

لذلك نرى أن الحجاج قد عمد الى استعمال اسلوب جديد ـ لم يحدثنا التاريخ انه استعمله مع غير ابن جبير ـ بهدف ان يستميله الى بني امية ، فيكون بهذا قد حصل على كسب عظيم ، كما يكون في نفس الوقت قد أمن خطراً اعظم، يتهدده، ويتهدد بني امية معه ، لانه كان يدرك أن الخطر الذي يكمن في قتل ابن جبير ، يساوي الخطر الذي يكمن في بقائه حياً ، بل ويزيد عليه . لذلك عمد الى فعل ما يدفع به هذا الخطر ، فحاول ان يساومه على اغلى ما لديه ، وأعظم ما يعتز به ، الا وهو عقيدته ، باستمالته الى بني امية ، بمختلف الطرق ، وشتى الأساليب .

وهكذا . . فما ان ادخل ابن جبير عليه ، حتى ابتدره مستعملا معه اسلوب الشتم والسباب ، عله بذلك يستطيع ان يؤثر عليه ، ويحطم معنوياته ، وليهيئه من ثم نفسياً ، لقبول ما سيعرضه عليه فيما بعد ، فقال له :

. . ما اسمك ؟

ـ سعيد بن جبير .

. . بل أنت شقي بن كسير .

ـ بل كانت امي أعلم باسمي منك .

. . شقيت امك وشقيت .

ـ الغيب يعلمه غيرك .

واذ رأى الحجاج ان اسلوبه هذا لم يفده شيئاً ؛ فلم يظهر لكلماته تلك أي اثر على ابن جبير عمد الى استعمال اسلوب آخر ـ اسلوب التخويف والترهيب ـ فقال له:

لابد لنك بالدنيا ناراً تلظى

وبكل برود اجابه ابن جبير قائلا :

لو علمت ان ذلك بيدك ما اتخذت الهاً غيرك !

وحاول الحجاج ان ينصب له فخاً يوقعه فيه ليكون بذلك قد جعل فى يده مستمسكاً يخيفه به فسأله . فما قولك فى محمد ؟

نبى الرحمة واما الهدى

.. فما قولك فى علي ؟ أفي الجنة هو أم فى النار ؟

لو دخلتها وعرفت من فيها لعرفت اهلها .

.. فما قولك فى الخلفاء ؟

ـ لست عليهم بوكيل .

.. فأيهم احب اليك ؟

ارضاهم لخالقى ؟

.. فأيهم ارضى للخالق .

علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم .

.. احب ان تصدقني

ـ لم احب ان اكذبك

.. فما بالك لم تضحك ؟

ـ وكيف يضحك مخلوق خلق من طين ، والطين تأكله النار ؟ !

فما بالنا نضحك ؟

لم تستو القلوب ! !

وهنا امر الحجاج باللؤلؤ ؛ والزبرجد ، والياقوت ، فجمعه بين يدي سعيد بن جبير ، عسى ان يستهويه المال ، فيستميله به الى بني امية ، ويحقق بذلك غرضه الذي كان يرمي اليه لكنه فوجىء بابن جبير

يأبى التخلى عن عقيدته ، فيرفض ذلك كله ويلتفت اليه قائلا :

ان كنت جمعت هذا لتتقى به فزع يوم القيامة فحسن ، والا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما ارضعت،ولا خير فيشيىء جمع للدنيا الا ما طاب وزكا.

وعند ما وجد الحجاج ايضاً انه لم يستفد شيئاً ، عاد ثانية الى اسلوب التهديد والوعيد . . فقال له : ويلك يا سعيد .

ـ لا ويل لمن زحزح عن النار وادخل الجنة

، . اختر يا سعيد . . أي قتلة نقتلك ؟

ـ اختر لنفسك ، فان القصاص أمامك .

من المحتمل ان يكون ابن جبير عند هذا الحد قدخاف من تهديد الحجاج ولانت نفسه،واصبح مستعداً للسير في ركاب بني امية ، عوضاً عن ان يكون مع الدين واهله هكذا توهم الحجاج . . . فعاد الى اسلوب اللين قائلا :

أفتريد ان نعفو عنك ؟

لكنه فوجىء بما لم يكن في الحسبان عند ما سمع ابن جبير يجيبه قائلا :

ان كان العفو . . فمن الله . واما انت فلا براءة لك ولا عذر .

وعندها ـ فقط ـ انقطع كل امل للحجاج في استمالة قلب ذلك التابعي الجليل فالتفت الى غلمانه قائلا : اذهبوا به فاقتلوه .

فخرج الغلمان لينفذوا الأمر .لكنهم فوجئوا بسعيد بن جبير يضحك ـ بعد اربعين سنة مرت عليه لم يـره فيها احد ضاحكاً ـ فأعلموا الحجاج بالأمر . فصاح بهـم قائلا : ردوه . .

ثم التفت اليه يسأله :

ما اضحكك ؟

فأجابه ابن جبير بقوله :

عجبت من جرأتك على الله . وحلم الله عليك ؟ ! !

فاشتد بالحجاج الغضب ، وامر ان يبسط النطع بين يديه ليقتله امام ناظريه . . وهنا . . . وحتى في هذه اللحظات الحرجة ، لم ينس ابن جبير ربه ، ولم ينس عقيدته التي من اجلها يقتل وفي سبيلها يستشهد ، فاذا به يتلو الآية الشريفة :

«وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما انا من المشركين»

فقال الحجاج : وجهوا به لغير القبلة .

فقرأ ابن جبير : «أينما تولوا فثم وجه الله»

فقال الحجاج : كبوه لوجهه

فتلى سعيد قوله تعالى : «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى».

فقال الحجاج : اذبحوه

فقال ابن جبير : اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . . خذها مني حتى تلقاني بها يوم القيامة .

ثم رفع يديه الى السماء قائلا :

اللهم لا تسلطه على احد يقتله بعدى .

وهكذا يبوء الحجاج بدم سعيد بن جبير ، فى شعبان من سنة ٩٥ للهجرة .

وهكذا ايضاً يستجيب الله دعاء ابن جبير ـ لان من يستجيب لله يستجيب الله له ـ فتكون هذه الجريمة المنكرة ، آخرما يرتكبه الحجاج ـ اذ تصيبه الآكلة فى بطنه، فيموت بعده بأيام قليلة (١) ـ وان لم تكن الاخيرة فى سلسلة جرائم بني امية وجناياتهم ! ! .

(١) اختلفت الروايات فى الوقت الذى مات فيه الحجاج لكن الظاهر ان اصحها هى القائلة بأنه مات فى التاسع عشر من شهر رمضان .

همسات مترفة

أبو علي

١

على قارعة الطريق رأيته ، وقد فغر فاه . . ومد يديه ، وأخذ يصيح : أنا فقير .. اعطوني من مال الله . . . أنا فقير . . . وتخنقه العبرة . . . ويجهش بالبكاء . . . ثم يرجع الى ما قال .. يردده ويردده .

ودهشت .. .اعماد هذا ؟! ياالهي !! ومسحت عيني ليصدقاني الرؤية . . ياالهي! انه هو . . ولكن .. ولكن آه . . لميكن حالي بأحسن من حاله . . بل كان أسوأ .. وقد علم بحاجتي صديق ما ، وأراد مساعدتي فرفضت . . لحداثة الصداقة . . فأنا.. أرفض مساعدة صديق . . وهو . . يفعل هذا ! ! .

كلانا محتاج وفقير . . فما الفرق يا ترى ؟

ولم أجد تفسيراً مقبولا الا أن الفقر والغنى ينبعان من النفس . . . من الداخل .

الغني المترف فقير معدم اذا كان مهزوز الفكر والمعتقد.والفقير المعدم غني وغني اذا كان متين الفكر نافذ البصيرة . . .

وهنا ادركت بعمق معنى قوله تعالى يصف بعض المؤمنين الفقراء :

« يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف »

٢

وفجأة رأيته أمامي . . .

قلت : من أنت ؟

قال : انا المظلوم .

قلت : المظلومون فى هذه الايام كثيرون .

قال : انا اكثرهم مظلومية .

قلت : كل يدعي ذلك .

قال : انا الذي ديست كرامته وأصبح يباع ويشترى.

قلت هذه بعض صفات الانسان فى هذا العصر . . فهل تقصد انك انسان ؟ !

قال . لا يا عزيزي . . . أنا «الحرف»

٣

قال:هل تعلمان الانسان يكون فى القمة حين يولد ثم يأخذ بالانحدار رويداًرويداً؟

قلت : وكيف ذلك ؟

قال : لانه يمتلك رصيداً من العمر ضخماً ، سيفقده بالتدريج . . وكلما فقد منه شيئاً اصبح اصغر مما كان .

قلت : الامركما تقول بالنسبة لمن يتلف عمره ، ويقضيه دونما فائدة . . لكن من يكون عمره لانات اليتامى ودموع المساكين . . لاعانة المحتاجين . . واغاثة الملهوفين .. من يكون عمره وسيلة للجنة . . فهو فى لحده اكبر من أىوقت

قال : تقصد ان المؤمن لا يعتبر ما مضي من عمره خسارة ؟ !

قلت : بل يعتبره ربحاً ، لانه استغله وخرج منه بأروع حصيلة . . . وأصبح مؤهلا لان يكون «في مقعد صدق عند مليك مقتدر» .

قال : فما رأيك في التقليد الشائع : « أن تطفأ الشموع في الاحتفالات بأعياد الميلاد » ؟

قلت : ذلك تقليد من يعتبر الحياة الدنيا كل شيء ، وما يمضي منها فهو خسارة لا تعوض . .

٤

قلت له : اف . . ما أطول النهار . . . أتمنى لو تغرب الشمس الان .

قال : أتحب الموت ؟

قلت متعجباً : ومن ذا يحبه ؟ ! ! حتى المؤمن يناجي ربه فيقول : «وتطيل عمري في خير منك وعافية» .

قال : اذن تنقصك الايدولوجية في افكارك .

قلت : كيف عرفت ذلك ؟ ! .

قال : ان كل دقيقة تمضي ، تدنيك من القبر بقدرها ، ولذا فرغبتك في انقضاء النهار بسرعة ، رغبة في اسراع الموت اليك .

الإسلام
ومشاكل الأسرة وتربية الجيل في مجتمع اليوم

الدكتور جعفر شهيدي
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة طهران

«يريد الله ليبين لكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلاً عظيماً . يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا» .

(النساء ٢٦ ـ ٢٧ ـ ٢٨)

الاسلام قانون الحياة الطبيعي،وميزان الفطرة التي نشأ عليها الانسان . ان مناهجه ونظمه النظرية والعملية ، لتتكفل حل كل مشكلة اجتماعية ، وتقوم كالحارس الامين الغيور على الفرد ، وتحول دونه ودون كل ما من شأنه ان ينحط بمقامه الانساني ، او يؤدي به الى حمأة الضياع ، لكن انى لنا ان نستخلص مواد هذا القانون ونصحح نظرتنا المستقيمة طبق التعادل التام الذي يقدمه لنا هذا الميزان ؟ انى لنـا ان نطهر عقولناونفوسنا قبل ان نقدم الاسلام بصورته الالهية على موائد الافكار امام المجتمع؟

ان الاسلام عدالة اينماقصدته او وجهته ، عدالة تقوم على وضع الامور فى نصابها واحقاق الحق بما له وما عليه ، انه اذيتكلم عن الاسرة انما يتكلم بعد ان بين لبناتها المكونةلها وحقوق اعضائها ، فقرر حق الزوجة على زوجها وحق الزوج على زوجته وحق كل من الوالد والولد على الاخر . ثم هو اذ يتكلم عن الاسرة انما يتكلم عنها كلبنة ووحدة فى بناء المجتمع ، لها حقوق قبله كما ان له حقوقاً قبلها،وانى للاسلام

ان يغفل عن بيان الأسس الصحيحة لبناء الأسرة فى حد ذاتها والروابط التى تربط بعض اعضائها ببعض ، وهو الذي يمم هذه الألفة والمحبة حتى تتعدى جدار المنزل الواحد الى المنزل الاخر ، فنرى رسول الله (ص) يوصي المسلم بجارة حتى يكاد يورثه، وقيل لرسول الله (ص): ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها ، فقال(ص) : هي فى النار (١) . ان اسلاماً ينبض قلبه بهذه المحبة والألفة والانسانية حين يقول : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى والسهر» (٢)، وهو الذى يقول : (لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه)

فأي مجتمع ذلك الذي يريده الاسلام ، الاسلام الذي لم يغفل حق الاموات على الاحياء ، (وقل ربى ارحمهما كما ربيانى صغيراً) (٣) او يغفل حق الاحياء على الاموات (وكان ابوهما صالحاً) (٤) الاسلام الذي جاء ليعلن انه آخر الرسالات واكمل النظم،واتمها واجل نعمة ارسلتها السماء الى الارض ومن فيها، لايريد الا المجتمع الذي وصفه بكونه (خير امة اخرجت للناس) (٥) .

فاذا ما تغيرت عوامل الزمان والاحداث على خير امة،واعتراها الخلل من جانب او جوانب،فماهو ـ اولاً ـ الا ابتلاء من الله «ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا» (٦) وما هو ـ ثانياً ـ الا لانها انحرفت عن مستوى الطريق الذي رسمته السماء لها ، (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (٧) فامتحنت ، بقوم اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ووقف على مفترق الطرق اشباه رواد لا رواد ، وقادتها

---

(١) ـ رواه احمد والحاكم ، وانظر احياء علوم الدين ج ٢ ص ١٨٩

(٢) ـ حديث النعمان بن بشير .

(٣) ـ الاسرى : ٢٤

(٤) ـ الكهف : ٨٢

(٥) ـ آل عمران : ١١٠

(٦) ـ طـه : ١٢٤

(٧) ـ الرعد : ١١

مثل زائفة لا مثل حقيقية، وبدلا من ان تتشدد وتتمسك وتحافظ فرطت وأفرطت حتى اصبحت صغائر الامور مشكلات مستعصية وادواء مزمنة ، او على جد قول المتنبي:

و تعظم في عين الصغير صغارها   وتصغر في عين العظيم العظائم

ان اي مشكلة في الاسرة على الاغلب لا تجد طريقها الى الوجود مالم يمهد لوجودها رب الاسرة .

فلو كان رب البيت بالدف ناقرا   فشيمة اهل البيت كلهم رقص

فالمسألة في نظري اذن لا تخرج عن ان هذه المشكلات التي مني بها مجتمعنا الاسلامي ، وخاصة الاسرة ، وحدة تكوين هذا المجتمع ـ انما نشأت من عدم التقيد بالقدوة الأسلامية ، ان لنا في رسول الله اسوة حسنة . فما دمنا لا نتمسك بهذه القدوة ، وما دمنا لا نجعل دستور الله رائداً وهادياً ودافعاً ومحركا ومرجعاً ومستشاراً نقتدي به ونتبعه ، فقد اتبعنا انفسنا وأهوائنا ، وكان اولادنا اولى بالانصراف عنا ، و من ثم تنشأ هذه المشكلات التي لم يزدها علماء النفس وعلماء التربية والاجتماع الا تعقيداً بما ابتدعوه من آراء تبعد كل البعد عن حقيقة المشكلة و تفهم طبيعتها .

ان كل المشاكل الاجتماعية انما تنشأ من أننا نخطىء فهم مرحلة التلقي في حياة الانسان اعني مرحلة الطفولة التي يكون الانسان فيها تلك الصفحة البيضاء فتنقش فيها ماتشاء وتسطر عليها ما تريد ، ان الطفل في هذه المرحلة لشديد الميل والرغبة الى الاكتساب والتقليد ، ثم لتنظر اليه وقد وقف قاضياً بين نفسه و عقله . ان كل من غرست الفضائل في نفسه طفلا ، لابد وأن ينتصر غالباً على شهواتها و يكبح ميولها مهما اعوج به الطريق او انحرف عن جادة الصواب .

وبالمناسبة :

اراني ميالا قبل أن أدخل في الموضوع الى القول بأن الذي نسميه نحن المسلمين اليوم مشكلة الشباب ، شيء ليس جديداً ، فهي مشكلة كل قرن وجيل ، كل مكان وكل زمان ، مشكلة كل أب يرى ان ولده في سن معينة ومرحلة بالذات قد بدأ ينزع الى الاستقلال في آرائه وتصرفاته ، ويختار لنفسه ما يشاء ، فيأ كل ما يحب ويلبس

ما يريد ، ويعاشر من ينتخب ، بيد أن من شأن الاب ان يرى أنه هو لا يزال صاحب الرأي ، وأن الاختيار يجب أن يكون له ، فاذا بطرفي النقيض يتضارب الرأي بينهما ، وتتعالى الشكوى من الطرفين وتنشأ المشكلة ،مشكلة تربية النشىء الحديث ومن ثم يدور البحث عن الكيفية التي يمكن للمجتمع أن يربي الجيل المتمرد . الا أن هذه المسألة تؤول في الحقيقة ـ والحقيقة احق أن تتبع ـ الى أنه كيف يمكن للاب أن يحتفظ بحكومته على اولاده ويجبرهم على العمل برأيه والنزول عندخيرته فقضية شكوى الاباء من الابناء ـ وان شئت فقل شكوى الجيل الحديث ـ مسألة طبيعية بالنسبة لحياة الانسان ، ان هذه المشكلة لا تزال قائمة منذ ان اختار هذا الكائن الحي ان يعيش عيشة اجتماعية تشترك فيها الثلاثة او الاكثر .

ولو أننا تصفحنا التاريخ ، او حتى كتب السير الاسلامية ووصلنا الى عصر التابعين او الصحابة مثلا ، بل الى عهد المشرع الاكبر محمد (ص) لرأينا أنه ما من جيل الا وكان يشكو من جيله الوارث ، الذي سوف يحتل مكانه ، ويتسلم الازمة من بعده ، على حين نراه يحن الى الجيل السابق و يترحم عليه ، وان كان هو في حد ذاته قدتمرد عليه يوماً قبل أن يبتلي بالجيل اللاحق .

واعتقد انه لايخفى على السادة، ان الحسن البصري قال ذات يوم لبعض ابناء عصره:

(اى ذنب اذنبت حتى ابتليت بكم بدلا من اصحاب رسول الله (ص) ؟ فأجابه صبي كان جالسا في طرف المجلس فكيف كانت مصيبة اصحاب رسول الله (ص) حين عوضوا عنه (ص) بكم ايها الشيخ ؟ فقال البصري ارى ان ملوك العصر سيحتاجون اليك والى فكرتك الثاقبة ، وكان هذا الولد اياس بن معاوية الذى تولى منصب القضاء فيما بعد ، واظهر من فطنته وحدة ذكائه ما اعجب به علماء عصره) .

وروى ايضاً ابن جرير في تهذيب الاثار ، عن ابي حميد الحمصي احمد بن المغيرة ، عن عثمان بن سعيد ، عن محمد بن مهاجر ، عن الزبيدي عن الزهري ، عن عروة عن عائشة ، انها قالت : يا ويح لبيد حيث يقول :

ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب

قالت عائشة:فكيف لو ادرك زماننا هذا ؟ قال عروة : رحم الله عائشة فكيف لو ادركت زماننا هذا ، ؟ ثم قال الزهري : رحم الله عروة فكيف لو ادرك زماننا هذا ؟ ثم قال الزبيدي : رحم الله الزهري فكيف لو ادرك زماننا هذا ؟ ، قال محمد : وانا اقول: رحم الله الزبيدي فكيف لو ادرك زماننا هذا ؟ ، قال ابو حميد : قال عثمان ، ونحوه نقول : رحم الله محمداً فكيف لو ادرك زماننا هذا ؟ ، قال ابن جرير : قال لنا ابوحميد: رحم الله عثمان فكيف لو ادرك زمانناهذا ؟ قال ابن جرير رحم الله احمد ابن المغيرة فكيف لو ادرك زماننا هذا ؟ (١)

فنرى ان هؤلاء جميعاً كانوا يشتكون من ابناء زمانهم ، ويرون ان الذين عاشوا قبلهم ، كانوا احسن منهم حياة واكثر تحفظاً ورعاية لمبادىء الاخلاق ، فهل لنا ان نحكم اليوم على من عاصر ابن جرير مثلا بأنه ـ لا سمح الله ـ خرج عن الدين او استهتر بالشريعة على الاقل؟ ـ كلا ـ ولكن هؤلاء كانوا يرون ان ابناء جيلهم قد خرجوا عن طورهم الذي كانوا يستأنسون به ويعدونه اصلا اخلاقياً ثابتاً لا يمكن التخلف عنه واذا كان ذلك كذلك . وقد دار الزمان وتغيرت الاوضاع واصبحت شموس المدنية والحضارة تطلع من المغرب ونسبة المعتقدين بذلك فى عالمنا الاسلامي، هي الكثرة الساحقة التى تنكرت لميراثها الاجتماعي والاخلاقي، بل لقد تنكرت لنفسها بالذات وراحت تتطلع الى ابواب المدنيــة الفارغة من كل قيمة حقيقية والتى لم تنصف اهلها او ينصفوها .

لا شك هناك فرق بين عصرنا وعصر ابن جرير والبصري ، وهو ان الصــلة بين الشعوب المختلفة ، حتى القرن الرابع عشر من الهجرة لم تكن قد بلغت هذا الحد من التوسع ، لقد اصبح العالم ـ اليــوم ـ كبيت واحد والامم كأسرة واحدة، فكل تطور يحدث فى الاسرة الغربية يؤثر فى الاسرة الشرقية فوراً ، كما نرى ان ابناء هذا الجيل فى الشــرق ، سريعوا العــدو نحو العادات الغـربية وتقبلها ، بقضها وقضيضها ، وان الاسرة الشرقية قد اصبحت مرآة تعكس ملابسات الاسرة الاوربية

(١) ـ كنز العمال ، ج ٧ ص ٢٥٨

وتقاليدها ، بصورة اقل ما توصف به ، انهـا تقليد اعمى . فالمشكلة التى يعانيها المجتمع الاسـلامي فى تربية الجيل فى الجزائر مثلا ، هي نفس المشكلة التي نعانيها نحن فى ايران او اخواننا فى الجمهورية المتحدة ، او أي بلد آخـر ، لو ضربنا الصفح عن بعض الفوارق الشكلية.أو على حسب المثل الفارسي اينما ذهبت فالسماء لونها هكذا (١) .

ثم أعود لاقول : الحقيقة ان هناك سنناً ومبادىء اخلاقية فى كل جيل متمسك، من شأن الجيل الكبير بها ان يوجه اللوم للجيل الصاعد ان هو لم يسر عليها ويعتبر ان التخلف عنها ، يستوجب الوصف بأسباب الفسق وعـدم المروءة ، وسقوط الاعتبار الاجتماعي، ومن ثم عذاب الله وسخطه، بيد ان الناشئين يعتبرون رفض هذه التقاليد نوعاً من التقدمية ويعدون الثورة عليها خطة ايجابية أو جهاداً فى سبيل رقي البشر وانتصاراً لمبادىء الحضارة الانسانية .

وأقول ان هناك اصولا ومعايير اخلاقية اعتبرها علماء الاخلاق اصولا ثابتة،وملاكاً اساسياً للتربية ، وزعموا ان المتخلق بها قد بلغ غاية الكمال من الفضيلة والمتخلف عنها قد ابتعد عن جادةالتأدب، الا ان هذهالاصول والمعايير ليست جميعهاعلىجانب كبير من الصواب،وما أحرانا بأن ندرس الملاكات الدينية التي اقرها كتابالله وسنة نبيه ، وقال فى حقها انها ثابتة لا تتغير الى يوم القيامة، لانها تنبع من فطرة الله التي فطر الناس عليها ، ونفرق بينها وبين ما يتحكم فى مجتمعنا بصورة تلقائية ويفرض نفسه علينا كصورة ومثل أعلى للتأدب والكمال .

ولمزيد من الايضاح استميحكم العذر فى ان اذكر بعض ما يعده علماء الاخلاق من المبادىء الرئيسة للكمال الديني فى العصور المتقدمة، فلننظر مثلا الى ما عدّه الفيلسوف،والعالم الاخلاقي الكبير فى القرن الرابع ـ ابن مسكويه ـ دعامة للسعادة والرقي ثم نناقش رأيه ونرى أهو على جانب من الصحة ام لا ؟ أما مما لا شك فيه، انه كان فى وقته فى غاية الصواب .

---

(١) بهر كجا روى آسمان همان رنگ است

يقول ابن مسكويه ما نصه :

«فمن اتفق له في الصبا ان يربى على ادب الشريعة ويؤخذ بوظائفها وشرائطها حتى يتعودها ، ثم ينظر بعد ذلك في كتب الاخلاق ، حتى تتأكد تلك الاداب والمحاسن في نفسه بالبراهين ثم ينظر في الحساب والهندسة حتى يتعود صدق القول صحته فلايسكن الا اليها ، ثم يتدرج حتى يبلغ الى أقصى مرتبة الانسان فهو السعيد الكامل ، ومن لم يتفق له ذلك في مبدأ نشوئه ثم ابتلي بأن يربيه والده على رواية الشعر الفاحش وقبول أكاذيبه واستحسان ما يوجد فيه من ذكر القبائح ونيل اللذات كما يوجد في شعر امرىء القيس والنابغة واشباههما، ثم صار بعد ذلك الى رؤساء يقربونه على روايتها وقول مثلها ويجزلون له العطية، وامتحن بأقران يساعدونه على تناول اللذات الجسمانية ومال طبعه الى الاستكثار من المطاعم والملابس والمراكب والزينة وارتباط الخيل الفره، والعبيد الروقة كما اتفق لي مثل ذلك في بعض الأوقات ثم انهمك فيها واشتغل بها عن السعادة التي هو أهل لها ، فليعد جميع ذلك شقاء لا نعيماً وخسراناً لا ربحاً» (١)

هكذا نرى ان هذا العالم الاخلاقي الكبير ، يعد النظر في الحساب والهندسة او صحة الاستدلال بالقياس البرهاني ركناً اساسياً للوصول الى اعلى منازل السعادة ويعتقد الركون الى الشعر ورواية قصائد امرىء القيس والنابغة من الخسران والشقاء ، بيد أن هذا الرأي ليس على جانب كبير من الصحة او الدقة في عصرنا هذا حيث ان القياس البرهاني الذي يعتبر مبنى لهذا الاستدلال ونظائره، اصبح ساقطاً من الاعتبار فكيف بما يترتب عليه ، ونرى ان الضابطة للسعادة والكمال في عصرنا هذا تكاد تكون على العكس مما قال في بعض المجتمعات ، او ان بعض المجتمعات ليس لها خبر عنه، وهي في نفسها سعيدة متكاملة اخلاقياً و **«كل حزب بما لديهم فرحون»** ونظير هذا ما يعتبره ابن مسكويه دليلا على كمال الصبيان ـ في فصل عقده في تأديب الاحداث ـ اذ يقول : «ان اول ما ينبغي ان يتفرس في الصبي ويستدل به

---

(١) ـ تهذيب الاخلاق ، طبع مكتبة الحياة ص ٥٣

على عقله الحياء، فانه يدل على انه قد احس بالقبيح ، ومع احساسه به هو يحذره ويتجنبه ، ويخاف ان يظهر منه او فيه ، فاذا نظرت الى الصبي فوجدته مستحيياً مطرقاً بطرفه الى الارض ، غير وقاح الوجه ولا محدق اليك فهو اولدليل نجابته، والشاهد لك على ان نفسه قد احست بالجميل والقبيح (١).

وهكذا مرة اخرى نرى ان ابن مسكويه يعد اطراق الصبي بطرفه الى الارض علامة لكماله ، ودليلا على نجابته ، مع ان بعض علماء النفس في هذا العصر يرون وجود هذه النفسية في الطفل نقصاً وتخلفاً . بناء عليه ، فلابد على من يريد القيام باصلاح الأسرة او المجتمع ان يفرق بين التخلف عن المبادىء الدينية ، وبين الاصول الاخلاقية الوضعية ، حتى لا يعد من يطيل شعر رأسه او يلبس ثوباً منقشاً كمن يرتكب الغدر والسرقة والفاحشة خارجاً عن الدين اومستهتراً باحكام الشرع. او بعبارة اخرى ، يجب علينا حينما نبحث عن طريق عملي وخطة ايجابية نضعها لاصلاح الناشئين في الأسرة ، والاسرة في المجتمع ، لابد وان تكون خطتنا على اساس تقره النصوص الدينية من كتاب الله وسنة رسوله ، لاحسب ما قرره علماء الأخلاق في الكتب ، وان كانوا مسلمين .

اذ اننا نعلم ان عدداً كبيراً من علماء المسلمين الذين صنفوا الكتب في علم الأخلاق قد ادرجوا البحث عن الأسرة والتخطيط لاعمال البيت وتربية الاولاد في مبحث الفلسفة العملية ، حسب اصطلاحهم وتقسيمهم .

ان الاسلام ينظر الى المرأة وهي دعامة الأسرة فيقول «ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة» (٢) ، وبذلك يضع الاساس الاول في تكوين الأسرة من لبنتين هما المودة والرحمة وما يلقي على هذين الينبوعين من ظلال الحب وافياء السكون والاطمئنان .

روي ان رجلا اتى النبي (ص) فقال: يا نبي‌الله لقد عجبت من امر وانه لعجب،

---

(١) نفس المصدر ص ٥٩

(٢) الروم : ٢١

ان الرجل ليتزوج المرأة وما رآها وما رأته قط،حتى اذا ابتنى بها اصبحا وما شيىء احب الى احدهما من الآخر فقال رسول(ص) : وجعل بينكم مودة ورحمة (١).

فالحب فى نظرالاسلام هو الاصل فى تربيةالاسرة وتربيةالمجتمع،بل الحب هو الأصل الأساس فى الدين وعليه مداره.وكم حث القرآنالكريم والسنة النبويةالمسلمين على هذا . ولا اريد ان اكثر عليكم بالتعرض المفصل لما قرره الاسلام من الحقوق ـ حق الابوالام وحق الزوجة والزوج، حتى حق الجار ولو كان مشركاً فهذاشيىء يطول بنا ولا داعي لذكره بعد ما يمكننا ان نقراه فى كتب الحديث والتفاسير وانتم به اعلم.

فاذا ما عرفنا ان دعامة الأسرة وقوامها فى نظر الاسلام كما قلنا ـ هي الحب والتودد ـ يجب علينا وعلى المجتمع كله ان نتدثر بهـذا الدثار حينما نريد ان نقوم بتربية اولادنا ، فالانسان بطبيعته خاضع للتودد والمحبة ويقبل العظة لو جاءت عن طريق المحبة والرحمة، ويرفض قبول الحق اذا ما جاء عن طريق الغلظة والخشونة ولاجل ذلك قال تعالى لرسولهالعظيم : «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك» (٢) .

وقال «فبما رحمة من الله لنت لهم» وقال: «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين» (٣) فالرحمة أساس آخر من اسس الدين ، ومن ثم الأسرة ايضاً .

فلنرجع اذن الى هدفنا الرئيس ـ يعنى مشكلة تربية الجيل الناشىء .

ان المشكلة فى نظري هي المشكلة الدينية لا العلمية بطبيعة الحال ، يعني كيف يمكننا أن نربي الجيل ، حتى يكون متديناً صالحاً ، وكيف يمكننا أن نمنعهم عن الاستهتار بالموازين الاخلاقيـة ، والقيم الانسانية ، التي يقررها الدين ـ كنتيجة

---

(١) كشف الاسرار وعدة الابرار ج ٧ ص ٤٤٦

(٢) آل عمران : ١٥٩

(٣) الانبياء : ١٠٧

لتأثرهم بالحضارة الغربية ، وعدم ادراكهم لقيمتهم الحقيقية .

لا شك أن التقدم الغربي فى ميادين الصناعة والتكنولوجية له أثر كبير فى حط القيم الاخلاقية والانسانية فى هذا العصر فى مجتمعنا . وعلى الخصوص عند ما تسربت الآراء الفلسفية اليونانية الى أوساط المجتمعات الاسلامية فى القرن الثالث والرابع والخامس ، حيث نرى أن زعماء الدين فى ذلك الوقت كانوا يشتكون من انتشار الفكرة اليونانية بين المسلمين .

يقول الغزالي العالم الاخلاقي :

ان للعلوم الرياضية خسارة على المجتمع الاسلامي ، وذلك ان الطالب حينما ينظر الى مباحث الرياضة ، ويرى الدقة والسلامة عن الخطأ فى مباحثه ، يعجب بهؤلاء العلماء ، ثم يفكر فى نفسه لو كان الدين حقاً لكان مثل هؤلاء العلماء ينتمون اليه (١) .

شعر هو بالخطر ، ولكن وقف لا يدري كيف يدفعه ، فحرم النظر فى العلوم الرياضية، حتى لا ينتقل الطالب من التفكير فى دقة مسائلها الى عدم انتماء علمائها الى الدين ، والحق أن مجال العلم ضيق بالدين ، لا بالعكس .

ومن أخطر ما ابتلي به الاسلام ، ان هناك عدة من الافاضل يحاولون أن يطبقوا كل نظرية علمية حديثة على آية من آيات القرآن ، أو حديث من الاحاديث النبوية، كما كان الامر حينما دخلت النظريات الفلسفية فى العالم الاسلامي ، ولا شك أنهم يظهرون غيرتهم وحماسهم للدين بهذه التفاسير غير المرضية ، الا انهم يخطئون فى شيء آخر ، وهو أن الدين له مجال فوق العلم .

---

(١) المنقذ من الضلال ص ٩

اذا تقرر هذا فنقول مستمدين العون من الله العزيز : ان المشكلات التي تكتنف الاسرة في الواقع ، وخاصة في يومنا الحاضر كثيرة ، والاصلاح متعدد الجوانب الا انه يمكننا ان نذكر الاهم ، الضروري بالنسبة لمن يقوم بأمر التربية .

١ ـ يجب على من يقوم بالتربية الدينية ، سواء كان رب البيت أو المعلم ، ان يدرس ـ اولا ـ حقيقة الدين دراسة استيعابية ، مستفيضة ، حتى يتمثله نظرياً وعملياً ثم يقدم اصوله ومبادئه التي لاتتغير ، وفروعه التي هي صالحة للتطبيق في كل زمان

٢ ـ ارشاد الجيل الى الفرق بين الدين والقانون ، من أن الدين علاقة بين الانسان وربه ، وان ربه حاضر في كل مكان وزمان ، يراقبه وينظر اليه ، بيد أن القانون يراقب الانسان ما وجدت رقابة المأمور ، وان الضمان الاجرائي للقانون هو الخوف، ولكن الضمان الاجرائي للدين هو المحبة والتفاني في سبيل الله، وحب المجتمع ، والكون .

٣ ـ ضمان حرية البحث للناشيء الذي يريد ان يصل الى حد البلوغ لانه يعتز برأيه وبما يبدو له، ويحصل في فكره وعدم الاعتراض عليه فيما يظهره من اقواله واعماله اعتراضاً يستوحش منه ، حتى يطمئن الى والده او مربيه ، ويستأنس به، ولا يخاف من ان يبوح بأسراره له ، اما ترون ان الطفل يعتمد على صديقه ويطمئن اليه ويودع اسراره عنده ولا يفعل ذلك مع ابيه او اخيه مثلا .

٤ ـ ارشاده الى ان التقدم العلمي مهما بلغ لا يضمن سعادة المجتمع ـ ان لم يكن سبباً لشقائه ، وان الدين الذي اصله حب الله يدعو الانسان دائماً الى عمل ما يفيد ابناء نوعه .

٥ ـ العمل الجماعي المشترك بين الاسرة والمدرسة والمجتمع لارشاد ابناء

الجيل الى القيم الانسانية والحقائق المعنوية عن طريق البرامج الموجهة ، بواسطة الصحف والأذاعات والتلفزيون وغيره ذلك من وسائل الدعايات التى تستطيع ان تهيىء الجو اللازم لابراز الفكرة الاصلاحية ، حتى تكون عين المجتمع رقيباً عليه.

٦ ـ القضاء على كل ما له اثر فى انحراف الجيل عن الأصول الدينية او الاخلاقية الثابتة فى الدين .

٧ ـ ان تكون القدوة اولاً متدينة متمسكة بالشريعة، عاملة باحكامها فان المجتمع فى هذا العصر اشد احتياجاً الى الرواد والمثل العملية منه الى أي شيىء آخر .

نحن نحتفظ فى مكتباتنا بكتب قيمة تحتوي على اغلى المباحث الاخلاقية وأدق الاراء الفلسفية وعندنا خطباء مصقعون يلقون الكلام بأفصح العبارات وأبلغ التعابير ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو لماذا لا يكون لهم اثر كبير ؟ الجواب : ان المجتمع قد تعب من كثرة الأستماع ورؤية القليل من العمل فعليكم دعاة الدين وعلماء الاصلاح ان تخلقوا لنا اولاً معلمين متأدبين بآداب الشريعة، متخلقين باخلاقها فلو ان هؤلاء الوعاة قد توفروا واخذوا بالعمل فانكم سترون اثره العميق فى المستقبل القريب ان شاء الله .

المرأة في الإسلام

السيد محمد حسين الطباطبائي

منذ اليوم الذي ظهرفيه الجنس البشري على وجه البسيطة، وعاش بشكل تجمعات كان الرجل فى حاجة من الناحيـة الطبيعية ، ولاجل اقامة حياته الاجتماعية ، الى الجنس الانثوي . ولم يكن الرجل بمقدوره ان يستغني عن المرأة فى العيش والبقاء .

ولان المجتمع البشري بشكل عام ـ من الانسان البـدائي الى الانسان المتمدن ـ يعيش حياته الجماعية دائماً فى ظل سلسلة من الانظمة تفرضها الرسوم ، والعادات والتقاليد المعاشة، فلهذا كله لابد وان نجد فى كل قبيلة ، او طائفة ، او شعب مقررات خاصة بشأن المرأة .

وكما ان جميع القوانين والرسوم السائدة فى مجتمع ما من المجتمعات البشرية تنبع من سلسلة من العوامل والظروف الطبيعية كعامل البيئة والسكان،والماء والمناخ والسوابق التاريخية ، وأن قانون التحول التكاملي الذي يظهر فى طبيعة الحكومات ما هو الا ظاهرة من ظواهر النظم الاجتماعية ، والوليد الطبيعي لها والمؤثر عليها فان المقررات السائدة فى حق المرأة ليست مستثناة من هذا الحكم الكلي ، فقدكان لها فى مجال الحياة البشرية تحول وتكامل ، وكانت تقطع ـ طبعاً وبكل بطء ـ طريق الاستكمال .

ونستطيع تلخيص مكانة المرأة في المجتمع وما مرت به من تحول وتكامل بما يأتي:

المرحلة الاولى : في المجتمعات البدائية لم تعتبر المرأة جزءاً من المجتمع ولم يكن لها اية قيمة اجتماعية ، بل كانت تعامل كما يعامل الحيوان .

فالحيوان الوحشي له في حياة الانسان الخاصة آثار ومنافع ، فبواسطته يتابع مآربه الشخصية ، ولأجل اشباع حاجاته والوصول الى مقاصده استخدمه، وفي سبيل منافعه الانسانية تملكه ، واستفاد من لحمه ، وجلده ، وصوفه، وعظمه ، وحليبه، ودمه وقدرته ، بل حتى من فضلاته، ولكن الانسان في الوقت الذي أتيح له ان يحوله الى حيوان أليف ويربيه ، لم يعترف له بأي حق .

وحين يعد الانسان وسائل الاكل والشرب والتناسل للحيوانات الاهلية ويوفر لها جميع احتياجاتها ، انما يقوم بهذا كله من اجل ما يتوقعه منها في تأمين حاجات نفسه واعداد متطلباته ، لا لكونها موجودات حية كالانسان لها شييء من الشعور والارادة وتمتلك بعض الحقوق .

واذا ما اعتدى احد على الحيوان الاهلي الذي يعيش تحت سلطة الانسان ، فان المعتدي يؤخذ ويعاقب على ذلك لانه اضاع حقاً من حقوق مالك الحيوان، ولاجل هذا يعد مجرماً، وليس لان الحيوان الذي اعتدي عليه له حق من الحقوق في المجتمع البشري.

والانسان من اجل تأمين رفاه عيشه ، وتحقيق راحتـه ، يلجأ ـ بواسطة المواد الكيماوية ـ الى ابادة ملياردات من الميكروبات الضارة والحشرات ما يحلق منها في الهواء أو ما يدب على الارض. ومن اجل غذائه وسائر متطلباته يقتل الملايين مما يطير ومما يرتع ، دون ان يحس من عمله هذا بأقل جرم او تأنيب .

وكذلك كان للمرأة نفس هذه الحالة في المجتمعات الاولى ، وهو ما تشهد به صفحات التأريخ وتقره بقايـا هذه السيرة والسلوك عند الاقوام الوحشية في اطراف المعمورة .

ومر امد جد طويل ـ ولعله استغرق ملايين السنين ـ من عمر الانسانية ، والمرأة تعيش كطفيلية على المجتمع البشري وليس لها اية عضوية فيه .

وكانوجودها في المجتمع والحفاظ عليها كله من اجل دفع مجموعةمن احتياجات المجتمع فحسب ، لا من اجل ان تستفيد من حقها في المجتمع ، فقد كانت توكل اليها الأعمال الحقيرة ، مثل: حمل ونقل الأثاث ، اثناء ترحال القبائل بحثاً عن الماء والكلأ ، او جمع الحطب وصيد الاسماك وخدمة الرجال في الدار ، كما كان على عاتقها تربية الأطفال والسهر على المرضى .

وما دامت المرأة في دار ابيها ، او أحد اوليائها ، فهي ملك خالص للرجل دون ان تملك شيئاً وحتى الثياب والذهب والحلي التي تخصها فهي ملك لرب الدار ايضاً ، ويباح له ـ وبدون أي مانع ـ ان يتخذ تجاهها أي موقف شديد ، ويؤاخذها بأي عذاب وعنف ، وحتى لو وصل ذلك به الى قتلها، كما انها كانت تقدم للاخرين كهدية ، او للاستعارة او لأجل التسلية .

وبمجرد ان تنتقل الى دار الزوج، ـوكان يتم ذلك بطريقة البيع والشراء طبعاًـ التي هي احدى بقايا ثمن الحضانة ، والتي لا زالت متداولة في بعض البقاع حتى اليوم ـ واضافة الى ذلك الاستغلال لكل اتعابها في دار ابيها ـ بمجرد ذلك تصبح في دارها الجديدة مسرحاً لاشباع شهوات الرجل ، اذ بواسطتها تتم اخماد الشهوات الجنسية (ولا زلنا نسمع اليوم من هنا وهناك عن المجتمعات المتمدنة ، اذ يقال : انه في المدن المتحضرة كما توفر المراحيض العامة لاجل التخلي ودفع الفضلات ، كذلك يجب ان توفر دورالبغاءالعامة لتفريغ الشهوة فهي ضرورية وخاصة لاولئك الذين لايستطيعون ان يبنوا لانفسهم عوائل، او لاولئك المحرومين مؤقتاً بسببالغربة او العوامل الاخرى ، وهذه في الواقع احدى الافكار الاثرية المتبقية من الانسان البدائي ، وفي المجتمعات القديمة لم يكن هناك أي تحديد عددي فيما يأخذه الرجل من النساء ، وكان الطلاق بيد الرجل ، والمرأة انما تعيش دائماً تحت ولاية الرجل وتكون ضحية لميوله ورغباته.وفي ايام المجاعات العامة او الضيافات الخاصة كانوا يتغذون على لحم المرأة ، ويصنعون منه انواع المآكل لضيوفهم .

والخلاصة : ان المرأة في المجتمعات البشرية الأولى كان لها هيئة الانسان ووظائف الحيوان الاهلي .

المرحلة الثانية : وهي المرحلة التي ظهرت فيها الشرائع، والقوانين المدنية لدى الشعوب المتحضرة آنذاك ، مثل شريعة حمورابي في بابل ، وقوانين روما واليونانيين القدماء ، ومقررات مصر والصين وفارس القديمة ، والتي لم تكن تخلو من الشبه بالقوانين المدنية اليوم .

واذا كانت بين هذه الشرائع والقوانين اختلافات كثيرة فاننا يمكن ان نتصور عاملا مشتركا، وقدراً جامعا بينها، وهو ان للمرأة حقوقاً في المجتمع الانساني،وينظر اليها على انها انسان ضعيف لا تستطيع حمل اعباء الحياة وادارة شؤونها .

فالمرأة في تلك المجتمعات بأي شكل وعلى أي حال كانت ، يجب ان تخضع لولاية وقيمومة الرجل في حياتها ، تابعة لزمامه ، منفذة لاوامره ، ولم يكن لها أي استقلال ذاتي ، فهي غير مستقلة الارادة لتعين مصيرها بنفسها ، وتشق طريق حياتها باختيارها ، وهي لا تملك الحرية في أي تصرف من تصرفاتها ، ولا تملك استقلالا في عمل لتستطيع ان تنسب الى نفسها ثماره .

كما انها غير قادرة على اقامة الشكوى او الشهادة في دور القضاء ، ولا الامر والنهي في الشؤون الأخرى ، ففي هذه المجتمعات حين تكون المرأة في دار ابيها تنفذ اوامره وعليها اطاعته، وجميع تصرفات الاب نافذة، ويجب عليها ان لا تعارضه فهو يزوجها ممن يشاء ، ويمنحها لمن يشاء .

ولم يكن للمرأة اقارب معترف بهم في تلك القوانين لترثهم ، وتتمتع بشيء من الحقوق العائلية، مع أي شخص من الرجال أو النساء ، والذي تملكه فحسب هو أن تمنع من الزواج من ابيها ، او اخيها ، او ابنها .

وقد كان في فارس القديمة الزواج من المحارم جائزاً ، وفي الصين وأطراف هملايا كان الاتصال بامرأة واحدة من قبل عدة ازواج امراً طبيعياً ، ولا يزال حتى اليوم بقايا وآثار هذه الظاهرة موجوداً لدى بعض سكان تلك المناطق ، وبدلا من ان ينسب المولود الى ابيه وجده ، ينسب الى امه وجدته وسلالة الأمهات .

وعند هذه الشعوب والامم لا تملك المرأة اية ثروة ، الا اذا جاءتها عن طريق

عمل يسمح لها وليها القيام به ، او من مهر زواجها ، فيما اذا لم يتصرف وليها في هذا المهر ، وأعطاه لها ، وهي تعيش بكفالته لها ، وقيمومته عليها ، ولهـذا كان من حق الاب او الزوج ان يعاملها ويجازيها كيفما يشاء ـ وحتى القتل ـ ، فله ذلك في الموارد التي يرى القتل فيها صالحاً ! ! .

وأقسى الظروف التي تمر على المرأة هي: حينما تكون لها روابط غيرمرغوب فيها مع رجل غريب ، او حين تمر بأيام العادة الشهرية ، اذ في هذه الحالة يبتعـد عنها ككائن قذر ، او حين تلد ، وخاصة اذا كان المولود انثى .

فالمرأة اذا ما قامت بعمل حسن ، كان نفعه ومدحه لحساب الولي ، والثناء يعود اليه ، واذا جاءت بعمل قبيح غير مرغوب فيه ،كانت هي وحدها التي تتحمل عواقبه ومسؤوليته ، وتنال جزاء فعلتها التي لا تغتفر .

نعم كانت تمنح احياناً ـ وفي حالات استثنائية ـ بسبب الشفقة الابوية او الحب الزوجي ، او ما شابه ذلك شيئاً من النقود ، او بعض الحقوق والمزايا في الحياة ، ولكن على اي حال لم يكن لها استقلال ذاتي ، او ارادة مستقلة في عمل ما ، مثلها في هذه المجتمعات ، مثل الطفل الصغير الذي لا يملك القدرة والارادة في معيشته اذ يعيش تحت ولاية ونفوذ اوليائه ، ذلك لان الطفل مع كونه انساناً ، فهو لا يعطى الأستقلال الذاتي ، بسبب قلة تعقله ، وفتور ارادته ، اذ لو اعطي الأستقلال فيمايريد وما يرغب لسبب بذلك اختلالاً في النظام الاجتماعي ، ولشل اعضاء المجتمع .

ولهذا يجب ان يعيش تحت ظل ورعاية اوليائه ويعمل وفقاً لاوامر الكبار حتى يتدرب تدريجياً لتكون له القابلية على المساهمة كعضو في المجتمع .

ويمكن تشبيه موقع المرأة في تلك المجتمعات بالأسير الذي يقضي عمره بالعبودية ، محروماً من حرية الارادة والعمل ، فالاسير الذي يحصل عليه عن طريق الحرب ويقف بيد الفاتحين ـ مع انه انسان وله جميع الصفات الانسانية ـ ولكن نظراً لانه عدو الفئة الفاتحة المنتصرة ، فهم ينظرون الى حرية ارادته وعمله على انها موجهة لانهدام البناء الاجتماعي وسبب لتلاشي اجزائه وفناء الانسانية، لهذا يجب

انتسلب منهحريةالعمل والأرادة وان يحافظ عليه تحت ذل سلطة الأسترقاق،ليستطيع المجتمع الفاتح ان يسير عجلته بالشكل المطلوب له كذلك المرأة بسبب ضعف ادراكها وقوة عواطفها واغواء احساساتها تعتبر عدواً للمجتمع ، اذ لن يكون لاستقلالها من ناحية الارادة والعمل سوى شل المجتمع وجلب الحسرةوالاسفعليه.

كانت مكانة المرأةفي المجتمعات المتحضرة قديماً ، من حيث قوانينها وشرائعها هو ما ذكرناه سابقاً . واما من ناحية الأديان كاليهودية والنصرانية فبموجب كتبهم السماوية ـ التوراة والانجيل..التي بين أيدينا ـكانت منزلة المرأة مشابهة تقريباً لما كانتعليه عند الشعوب المتحضرة آنذاك . فمع انالانجيل والتوراة يوصيان بالرفق والعطفعلى النساء، ولكنالشيىء الثابت من نصوص هذه الكتب المقدسة انالمرأة لن تصل أبداً الى مستوى الرجل ، وان القيمة الاجتماعية والدينية للمرأة ادنى بكثير من الوزن الأجتماعي والديني للرجل (١) . وهكذا في سائر الاديان غير السماوية ليس للاعمال الدينية التي تقوم بها المرأة أي اهمية او قيمة .

المرحلة الثالثة : وفيها نتبين المكانة التي اعطاها الأسلام للمرأة وهذه المقالة ما كتبت الا لتوضيح هذا الجانب وان كان بشكل مختصر . الأسلام قد اعتبر المرأة ـكأي فرد انساني ـ تستطيع ان تؤثر في المجتمع بقدر ما لديها من نفوذ وارادة .

ولاجل تفهم نظر الأسلام بالنسبة الى المرأة يجب ان نذكر أننا نعيش اليوم حياة تعصف فيها مختلف التيارات السياسية والأمواج الدعائية المتضادة ، والمتباينة اعلامياً ، والتي سلبت منا التفكير السليم بما أثارته من اضطراب ورعب وخوف ، وتحت شعار «يجب ان نفكر بشكل علمي مستقل وموضوعي صحيح» سلبت المنطق الفطري لدينا ، واحلت مكانه التقليد الأعمى لها .

---

(١) اقر المجمع الديني الفرنسي في سنة ٥٨٦ م بعد بحث طويل حول موضوعالمرأة ما يلي : ـ المرأة انسان خلقت من أجل خدمة الرجل، والى حوالي مائة سنة قبل هذا في أنجلترا لم تعتبر المرأة جزءاً في المجتمع الانساني، وكذلك الكثير من الاديان القديمة تعتقد ان أعمال المرأة الدينية لاتقبل من عند الله، وفي اليونان قديماًكان يقال: المرأة قذارة ودنس أوجدها الشيطان .

فمن ناحية نجد التعاليم اللامنطقية ، وقول الزور ، والضغط الدكتاتوري ، وظلم الكنيسة في القرون الوسطى والذي استمر عدة قرون متوالية متمثلا في خنقها الكثير من الافكار الحية الصالحة وقتلها الملايين من النفوس البريئة تحت التعذيب لتحتفظ بمكانة مؤسساتها الخاوية والمتفككة . وحيث انها ترى الاسلام اخطر خصومها ، واقواهم ، كانت تتهمه بجميع التهم ، وبكل الافكار المنفرة ، وتظهر كل حقيقة جميلة من حقائق هذا الدين الطاهر بأقبح الاشكال وابشعها . ووصل بها هذا التشنيع والاسراف حداً لا يوصف ، الى ان وضع الاوربيون في القرون الاخيرة حداً لهذا التعسف والتهور نتيجة استقلالهم الفكري المقترن بالنهضة الصناعية، فطوقوا الكنيسة وحصروها داخل الجدران الاربعة لكنيسة روما . كان هذا بسبب رد فعل القرون المتعددة من الاقاويل الفارغة والضغط والكبت المفروض من قبل الكنيسة ، ولقد اثر هذا فيهم الى درجة انهم لايتصورون الحقائق الدينية سوى مجموعة من الخرافات الأسطورية ، وأصبحت كلمة (دين) بالنسبة اليهم مرادفة الى كلمة (التقليد الاعمى)، فاذا كان هذا موقفهم من معتقداتهم الدينية فكيف يكون موقفهم من الاديان الاخرى ومن ضمنها الاسلام . بعد كل تلك الدعاية السيئة التي سبق ان ذكرناها .

ومن ناحية ثانية فشعوب اوربا بما حصلت عليه من قدرة مدهشة عن طريق التقدم العلمي والصناعي مستخدمة جميع الوسائل الممكنة لاجل تسخير قارات العالم وبسط نفوذها ، والتوسع السياسي ، والسيادة الاقتصادية عليها،وبالنتيجة استطاعت ان تجعل هذه الشعوب تعتقد تماماً بتقدمها العلمي والعملي، وتؤمن به الى درجة جعلت هذه الشعوب تتصور ان أي حياة سوى الحياة الأوربية لا قيمة لها ، وان حياتهم ليست سوى تقليد لخرافات الأجداد الجهلة عديمي المعرفة وبذا يجب على كل انسان ذي شعور ان يسحق المنطق الذي منحه اياه ربه تعالى تحت قدميه،ويواكب طريقة الحياة الاوربية بدون تعليل متبعاً بذلك اسلوبها الخاص في الحياة .

ان الدعاية الغربية ـ بكل نجاح ـ قد زرعت في اذهاننا هذا المنطق وهو:(ان البقعة التي يمكن ان تسمى العالم هي المجتمع الغربي فحسب والفرد الذي يدعى انساناً

هو الفرد الغربي فقط ، والحياة التي بها تحقيق سعادة الانسان هي الحياة الاوربية) وان الأحكام الدينية والمقررات الأجتماعية التى لدينا لا تستطيع ان تواكب عالم اليوم،فنحن اذاً فى حاجة الى قوانين جديدة تتفق وتنسجم مع العالم المتحضر اليوم، ويجب ان يستعمل هذا الاسلوب او ذاك لأجل اللحاق بالركب الحضاري الاوربي.

ومن ناحية اخرى يجب الاعتراف بهذه الحقيقة المرة حقاً ؛ ذلك اننا نتيجة الصراعات الداخلية والاختلافات والتناقضات منذ الف سنة او تزيد، وتحكم الانانية فينا وفساد الحكم وانحراف اولياء الامر منا افقدنا كلياً الاستقلال الفكري وحرية التفكير والمنطق الصحيح وابدلناها بمجموعة من التعصبات القومية والجمود والخمود والعبث والفراغ .

وكان نتيجة تجمع كل هذه العوامل والآثار التى عملت فينا هي اننا باسم حرية الفكر ، وكسر قيود التقاليد ،والتخلص من المنطق القديم وضعنا الفكر السليم جانباً واتبعنا بكل اخلاص تقاليد الغرب ولم نجد أي سبيل سوى تنفيذ اقواله وتعقب خطواته.

ومن جملة ماذهبنا اليه انا طلبنا من الغربيين تقييم حقائقنا التاريخية ومعنوياتنا الروحية وشرح مفاهيمنا الخاصة، واستجدينا تعاليمنا من خلال بحوثهم، فى الوقت الذي نجد ان معلوماتهم عن اسلامنا من مخلفات القرون الوسطى، ورواسبها الذهنية المتبقية فيهم او التحقيقات العجيبة والغريبة لمستشرقيهم . فعند ما نطالع كتابات هؤلاء العلماء نترحم مائة مرة على قساوسة وكتاب عصر الحروب الصليبية . فالمستشرقون يكتبون ـ مثلا ـ : ان محمداً قد تزوج من خديجة وهو فى السابعة من عمره ، او ان علياً قد تولى الخلافة بعد عمر ، وان الأمام الحادي عشر للشيعة مدفون فى الكاظمية . . و ..

وعلى هذا المنطق وبهذا الاسلوب عرضوا مكانة المرأة فى الاسلام فقالوا :

المرأة تحت النظام الاسلامي قد عاشت فى حالة اسر ، وحرمان تام من جميع حقوقها الاجتماعية ، وليس لها الارادة ولاحرية العمل ،وهي فى الارث والشهادة لها نصف الرجل وبصورة اسمية ـ لا عملية ـ وان المرأة يجب ان تكون دائماً سجينة الدار ومحرومة من نعمة الكتابة والقراءة . واذا ما اضطرت الى ان تخرج فى بعض الاحيان

نتيجة ضرورةما فيجب انتغطي نفسها بعباءة سوداء لتصبح بعدذلك قطعةسوداء تماما.

وبعد النظر والملاحظة لهذهالمفاهيم المغلوطة الشائعة نجد انعلينا توضيحوشرح نظرة الاسلام بالنسبة الى هذا الموضوع والمواضيـع الأخرى بدون تسرع فى هذا الجانب او ذاك،او الانصات الى قول هذا او ذاك ، ولذلك يجب ان نراجع المتون الدينية معتمدين على التفكير الحر ، والمنطق الصحيح ، باحثين عن روابط هذه الحقوق مع البعض لفهم الدعائم الأساسية لها الى الحد الذي يمكن الحصول عليه.

الاسس العامة للقوانين الاسلامية :

مما لا شك فيه ان الامتياز الذي يجعل الانسان متفوقاً على سائر الحيوانات هو خاصية الأدراك والوعي المتأتية من عمل الحواس ، والشاملة لجميع المعلومات والتى نحصل بواسطتها على تنظيم خاص للنتائج الكلية ونكشف عن طريقها المجهولات.

ان للانسان احساسات نفسية ، وعواطف داخلية كثيرة يستفيد منها بكل جدارة فى مسيرة الحياة. والخاصية الحيوية فى الانسان تستوجب عليه ان يخضعها جميعها الى سلطة العقل لتعطي آثارها الايجابية ، والا فان جميـع الحيوانات لها عواطف واحساسات، وبعض منها لها ذلك بشكل اقوى بكثير من الانسان فى بعض النواحي.

والقرآن الكريم يذكر موهبة التعقل التى منحت للانسان مما يجعل الانسان مسؤولا عن حواسه وتعقله :

«هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة» (١)
«ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا» (٢)

وعلى هذا الأساس فالمجتمع الانساني الذي هو وليد هذه الخاصية المميزة للانسان وثمرة هذه *الشجرة المعطاء مفروض عليهاتباع خاصية التعقل هذه وتشخيص القوانين والمقررات الأجتماعية تحت ضوء العقل السليم لا متطلبات العواطف والاحساسات .*

---

(١) سورة الملك اية ٢٣
(٢) سورة الاسرى آية ٣٦

وبالنتيجة فالاحكام والقوانين الواجب اجراؤهافي المجتمع هي التي يقبلها العقل ويراها ضرورية ، وان كانت تخالف رغبات الكثير من افراد المجتمع ، ذلك لان الانسان من أجل السعادة يجب ان يتخذ سبيلا معيناً يرتضيه ضميره النوعي (عقله وتفكيره) ، ويرى انه سبيل السعادة لا ما تفرضه عواطفه الحيوانية .

«يهدى الى الحق والى طريق مستقيم» (١)

«ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض» (٢)

والاسلام يعتبر الانسان موجوداً راقياً،وان المرأة والرجل انسانان مع اختلافهما من حيث كون احدهما ذكراً والاخر انثى، وليس هناك أي فرق بينهما فيالانسانية، ذلك لان أي فرد انساني بشكل عام هو نتيجة عملية التناسل بين الذكر والانثى .

«اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض» (٣)

«يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم» (٤) على هذا الأساس فان الشريعةالاسلامية قد وضعت المرأة في مكانها كجزء مكمل للمجتمع الانساني مثل الرجل ، وانهما جزءان مشتركان ومتساويان في ذلك . كما منح المرأة حرية العمل والارادة في شرائعه ، كما منح هذا الحق للرجل . وطبيعي فان هذا لا يعني ان هذا الجزء يجب ان يعطي جميع الحقوق المعطاة الى الجزءالاخر ، لكي يكون كاملا، وبذلك يكون قد حصل على جميع الحقوق الممنوحة للجانب الاخر .

اذ مع فرض الجزئية للجنسين فان اختلاف الأفراد في القيمة الاجتماعية، توجب الاختلاف في حقوقهم الاجتماعية ، وهذا ما يشهد به التاريخ والواقع ، فمع ان الروابط الاجتماعيــة عبر التاريخ الانساني كانت موجودة باستمرار، وكان الرجال اجزاء في المجتمعات ، الا اننا نجد التساوي بين العــالم والجاهل ، وان وظائف

---

(١) سورة الاحقـاف آية ٣٠

(٢) سورة المؤمنون آية ٧١

(٣) سورة آل عمران آية ١٥٩

(٤) سورة الحجرات آية ١٣

الرجل المجرب والقادر لا تعطى للرجل العاجز القليل التجربة ، وان مختلف انواع الظلم والتمرد والفساد لا تحل محل العدالة والتحفظ .

صحيح انه يجب ان يتساوى جميع افراد المجتمع امام القانون ، ولكن هذه المساواة يجب ان تكون من حيث تطبيق القانون (يعني الحصول على العدالة الاجتماعية) ، لا المساوات من حيث القيمة الاجتماعية ، والحقوق الموضوعية . كيف يا ترى من الممكن ان يتساوى الامير والمأمور ، والكبير والصغير ، والعاقل والجاهل ، والمتعلم والامي ، والظالم والعادل فى جميع القيم الاجتماعية ، ويبقى المجتمع قائماً بدون ان يتلاشى وينهدم ؟ !

وعلى هذا فان عضوية الفرد في المجتمع الانساني شيىء ، ومقتضيات هذه العضوية وما هيتها شيىء آخر . ويجب ان لا نخلط بين هذا وذاك ، اذ من الواجب ان نأخذ بنظر الاعتبار القيمة الاجتماعية للانسان ، وبأن تراعى العدالة الاجتماعية كاملة غير منقوصة ، ويأخذ كل شخص نصيبه من الحقوق بمقدار ما يستحق .

ما هي القيمة التي اعطاها الاسلام للمرأة ؟

كما أشرنا سابقاً حين اشرقت شمس الاسلام على هذا العالم المعتم ، ووشحت بشعاعها المبهج كل العالمين . كان العالم ينقسم الى قسمين متمايزين :

فريق متحضر مثل : الامبراطورية الرومانية ، والامبراطورية الفارسية ، وسائر الشعوب كمصر والحبشة والهند والصين ، وكانت المرأة فى هذه الشعوب كالاسير واعني بذلك الانسان الذي ليست له حرية فى الارادة والعمل ، والمحروم من جميع الحقوق الاجتماعية العامة ، فلا هي ترث ، ولا لعملها أي قيمة ، ولم يكن لها أي استقلال او حرية فى شؤون الاكل او الملبس او المسكن او الزواج او الطلاق وسائر شؤون المعيشة ، أو التصرف فى الامور الخاصة . فأي تحرك تقوم به او تصرف تتصرفه لا يكون الا باذن الرجل ، واذا ما اعتدي عليها فانها لا تستطيع ان تقيم الدعوى ، بل ان الرجال هم الذين يقومون بذلك . اذ لم يكن هناك من يسمع دعواها او شهادتها او اقوالها .

والفريق الاخر هي الشعوب والقبائل المختلفة كسكان افريقيا وسائر البقاع المتأخرة حضارياً . فالمرأة عند هذه القبائل والشعوب لا تعد انساناً بل متطفلة على المجتمع وتعامل كسائر الحيوانات الاهلية التي يستثمرونها ويستخدمونها. فقد كانت تحمل الاثقال ، وتصطاد، وتخدم الرجل ، وتربي الاطفال ، وترعى المرضى وتخمد نيران الشهوة عند زوجها ، او من شاء هو ان يقدمها اليه ، وفي حالات المجاعة كان يصنع من جسدها ولائم دسمة يتغذون عليها .

هذه كانت الاوضاع العامة في ذلك الزمان بشكل عام ، حين طلوع الاسلام . واما الاوضاع الخاصة بالجزيرة العربية التي كان معظم سكانها يعيشون في الصحراء، والذين يرتبطون بمن حولهم من الشعوب المتحضرة ،كالفرس والروم والحبشة ومصر ، ومن الداخل بيهود يثرب وما حولها ، ونصارى العراق واليمن، فقدكان معظمهم يدين بالديانة الوثنية . اما تقاليدهم وطريقة حياتهم فكانت خليطاً من رسوم وتقاليد هذه الشعوب ، ونتيجة الاخذ والعطاء، والناسخ والمنسوخ اتخذت حياتهم طريقاً بين هذه الاساليب ، ونموذجاً من كل طريقة .

وعلى هذا الترتيب فان روما وفارس قد تبعتهماسائر الشعوب فحرمت المرأة من جميع الحقوق ، وجعلتها تحت الحماية المطلقة العنان للرجل ، ولم يكن لها أي احترام اجتماعي لديهم .

وعدى كل ذلك ـ ونتيجة مفاهيمهم البدوية ـ كانوا ينظرون الى المرأة كعار وينفرون من الفتاة ويكرهونها ، حتى ان قبائل بني تميم كانوا يقبرون الفتاة وهي حية ، وهذا هو القرآن الكريم يشير الى هذا :

«واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء مايحكمون» (١)

«واذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت» (٢)

---

(١) سورة النحل آية ٥٩ .

(٢) سورة التكوين آية ٩

في مثل هذا المجتمع الذي ذكرناه،جعل الاسلام للمرأة حقوقها وأشركها كعضو كامل في المجتمع الانساني . وانقذها من الاسر ، ومنحها حرية الارادة والعمل ، وجعل لها حقاً في الارث الذي لم يكن من حقها فيما سبق ، أذ هي ترث عن ابيها واخيها وعمها وخالها وسائر اقاربها ، كما ترث عن زوجها ، وتستطيع ان تختار أي عمل مشروع ترضاه وأي حياة تشاؤها بكل حرية، وكان لعملها احتراماً اجتماعياً وقيمة ذاتية، ولها الحق في ان تطالب بحقوقها ، وتراجع بذلك المسؤولين بشكل مباشر ، وفي حالة الاعتداء عليها تقيم الدعوى وتشهد على ذلك ، وفي جميع المراحل التي تمر بها المرأة لها حقوقها كاملة من غير نقيصة ، وليس للرجل اية ولاية او قيمومة ، او تحكم عليها :

«لا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف» (١)

«وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر» (٢)

وان حياة الرسول مملوءة بشواهد لهذا الموضوع ولا يسع المجال في هذه المقالة ان ننقل ذلك بالتفصيل .

تعديل حقوق المرأة بالقياس للرجل في الاسلام في موضوع الارث :

المرأة على كل حال تأخذ نصف ما يأخذه الرجل **«وللذكر مثل حظ الانثيين»** (٣) ففي هذا المضمار وان كان حق المرأة اقل من الرجل ، ولكن هذا النقص قد استدرك من ناحية اخرى ، اذ وضعت النفقة (مصاريف المعيشة) على عاتق الرجل .

ويجب ان يبحث رأي الاسلام حول هذا التشريع من جانب آخر لنتعرف بذلك على القصد الحقيقي ، فليس هناك أي شك في ان روح الاحاسيس والعواطف عند المرأة متغلبة على روح التعقل ، وان جميع اعمال وتصرفات المرأة نابعة من انواع

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٤
(٢) سورة النساء آية ٧
(٣) سورة النساء آية ١١

مختلفة من احساساتها وعواطفها الجياشة والبديعة ، والرجل بحسب طبيعته هو النقطة المقابلة لهذه الروحية .

وقد قلنا سابقاً ان الاســلام يقدم التعقل على العواطف والاحساسـات بشأن تنظيم المجتمع الانساني .

وحين ننظر بشكل عام الى المحيط الانساني،نرى ان ثروة العالم في كل عصر هي من حق سكان ذلك العصر ، فما داموا أحياء فأنهم يستثمرونها ، وبعد موتهم تنتقل بالوراثة الى اعقابهم (الجيل التالي) . وحين ينقرض الجيل الحاضر ويليه القادم المتكون من المرأة والرجـل بالتساوي عدداً ، فهم يقتسمون الثروة على اساس ان ثلثين منها للرجل وثلث واحد من حق المرأة ، ونتيجة لتحمل الرجل نفقة المرأة فان ثلث المرأة يوضع جانباً ، وتستهلك هي والرجـل الثلثين الاخرين بالمناصفة اذ هم يصرفونها على شؤونهم الخاصة . وعلى هذا يكون ثلثي الثروة في الواقع من نصيب المرأة وثلث واحد من نصيب الرجل . فهي اذا تتصرف بثلثي ثروةالعالم والرجل يتصرف بثلث واحـد . والنسبة معكوسة . « **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف** » (١) .

فحسب هذا التقسيم يكون الرجل هو الملك والمديروالمشرف على الممتلكات والمتسلط على القسم الاعظم من الارض ، وبيده زمام الامور . اما المرأة فمن حيث التصرف والاستفادة تكون هي الحاصلة على القسم الاعظم من الثروة ، والمستهلكة لها والسعيد بها . ذلك لان العدالةالاجتماعية لا تقضي بسوى ان تكون ادارة الثروة تحت سلطة العقل وأن تكون الاستفادة منها بيد العواطف والاحساسات .

وفي موضوع احترام العمل ، وملكية ثمن الاتعاب والتصرف بهـا ، فللمرأة الاستقلالالكامل في هذا الشأن في نظر الاسلام، بدون ان يكون هناك أي مانع لذلك او رادع يخضعها لولاية الرجل وقيمومته ، اذ هي حرة الارادة والعمل في ذلك.

واما موضوع التعليم والتعلم والتربية ، وسائر الروابط الاجتماعية المشروعة

---

(١) سورة البقره آية ٢٢٨ .

والصداقات فهي لا تختلف عن الرجل ، في هذا المضمار بشرط انلا تظهر زينتها او تتبرج أو تتغنج اوتسقط في أحضان شهوات الرجال،وسوى هذا فهي حرة في معاشرتها.

«لا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف» (١)

واما بالنسبة الى موضوع الطقوس والاعمال الدينية التي هي منشأ الاختلاف بين الافراد في المقام والقيمة والاحترام عندالاسلام فان المرأة لاتختلف عن الرجل من هذا.

«اني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض» (٢)

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (٣)

ففي التشريع الذي لم يكن فيه اي امتياز لطبقة على طبقة سوى التقوى وخدمة الدين ، الذي اعتبر مقياساً للتفاوت في الاسلام، في هذه النقطة، ليس هناك اختلاف بين الرجل والمرأة ، وان امرأة تقية لهي خير الف مرة من رجل بدون تقوى ، وأكثر احتراماً وتقديراً منه .

وأما موضوع التناسل والزواج : فان للمرأة الحق في ان تتزوج من تشاء ، نظراً لان فرائض الزواج كموازين الارث، مبنية على النسبة ، فليس من حق المرأة ان تتزوج اكثر من رجل واحد ، في وقت واحد ، او تكون لها علاقة برجل آخر مع وجود زوجها ، في الوقت الذي يستطيع الرجل ان يتزوج اكثر من امرأة واحدة ، على شرط ان يكون في مقدرته الحياة معهن بعدالة ومساواة .

ان صحة او سقم هذا الحكم ومنطقيته ، تبدو واضحة بعد التأمل في طبيعة المجتمع البشري ، وما تقع فيه من حوادث غير متوقعة ، فلو فرضنا ان عدد النساء مساو لعدد الرجال في المجتمع الانساني ـ كما تشير اليه الاحصائيات غالباً ـ وقمنا ابتداء من سنة معينة ، ثم السنين التي تليها بحساب عدد الاولاد ، وعدد

---

(١) سورة البقره آية ٢٣٤ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٩٥ .

(٣) سورة الحجرات آية ١٣ .

الفتيات المتولدين كلا على انفصال ، وجمعناها ، فسنجد ان المجموعة الاولى من الاولاد حتى يصلون الى سن البلوغ ، فانه سيكون امامها اضعاف المجموعةالثانية من الفتيات المستعدات للزواج .

ومن ناحية اخرى فان النساء بشكل عام ـ ما عدى القليل النادر ـ لا يستطعن التوليد بعد الخمسين ، في الوقت الذي تبقى للرجل مهما بلغ من العمر القدرة على التوليد . . . وعلى هذا ففي حالة تساوي عدد الرجال والنساء في المجتمع ومنع الرجل من الزواج بأكثر من امرأة سوف تذهب سدى الكثير من الصلاحيات الممكنة نتيجة ذلك .

وسوى ذلك فان الحوادث المفجعة كالحروب التي تمزق عوائل كثيرة، والاعمال الصعبة والشاقة والخطرة تبيد الكثير من الرجال ، ويبقى بسبب ذلك الكثير من النساء بلا ازواج ، وفتيات ناضجات بدون رجال ، وفي نهاية المطاف ينهدم صرح العفة ، ويقعن في احضان الرذيلة ، ويلدن اطفالا غير شرعيين ، اذ لا يكون هناك سبيل سوى هذا نتيجة عدم استطاعة الرجل من الزواج بأكثر من امرأة واحدة .

ويتضح هذا بشكل جلي بعد الحرب العالمية الثانية، اذ يصل الامر بجمعية المرأة في المانيا الى ان تطالب الدولة بأن تسمح باجراء قانون تعدد الزوجات طبقاً لقوانين الاسلام ، وبذلك ترفع غائلة المرأة غير المتزوجة، وان كانت مطالبتهن هذه قد ردت بسبب مخالفة الكنيسة لها .

وهذه الحادثة هي احسن دليل على ان مخالفة المرأة لتعدد الزوجات هو نتيجة للعادة وليس لطبيعتها او فطرتها ما يمنع عن ذلك، وهذا خير جواب للمعترضين على الحكم الاسلامي والقائلين: ان قانون تعدد الزوجات حكم يجرح عواطف واحساسات النساء في المجتمع ، ويسبب المرض النفسي لهن . كما يسبب ثورتهن وانتقامهن ويسبب الكثير من الحوادث المؤلمة والمفجعة . ذلك ان هذه الحادثة ونظائرها تثبت بأن ظهور الحاجة الماسة وقلة الازواج تحول الافكار المخالفة الى موافقة ومسالمة.

واضافة لذلك فان تعدد الزوجات قبل الاسلام لم يكن له تحديد عددي ، بينما حدد الاسلام ذلك بعدد خاص، وأجري هذا زمناً طويلا ونفذ ، ولم تكن له بتاتاً اية

عواقب وخيمة او فوضى اجتماعية، والنساء اللواتي يأتين كزوجة ثانية وثالثة ورابعة لم يخرجن من بطن الارض او يأتين من الاجرام السماوية الاخرى ، بل هن من هؤلاء النساء اللواتي يظهرن اعتراضهن حسب طبيعتهن وفطرتهن حول موضوع تعدد الزوجات ومع هذا فان الاسلام لم يوجب تعدد الزوجات ، بل انه اباح ذلك فى الحالة التي يستطيع بها الرجل ان يعدل بينهن . وتوجد طرق فى الفقة الاسلامي تستطيع المرأة بواسطتها ان تمنع الرجل من الزواج بامرأة اخرى ، او تجبر الرجل على طلاقها . وهذا ما يحدث كذلك فى حالة الطلاق ، فمع ان امر الطلاق حسب التشريع بيد الرجل ، ولكن المرأة باستطاعتها ان تتوسل بأساليب وتطالب ـ بحسبها ـ بالطلاق من الرجل لتأمن على حقها ، وتريح بذلك فكرها وتطيب خاطرها .

ان مسئلة الطلاق في الحياة الزوجية قد سلمت بيد الرجل حسبما جاء في التشريع الاسلامي (مع ان باستطاعة المرأة بأساليب معينة وغير مباشرة ان تحصل على الطلاق بنفسها) وهذه من المفاخر الخاصة بالدين الاسلامي المقدس .

فالشعوب المتحضرة والدول الدستورية فى العالم اضطرت الى ان تعترف بقانون الطلاق نتيجة الالام المتزايدة والصراع الطويل . وان تعطي هذا الحق للرجل والمرأة بشكل متساو اذ يستطيع كل منهما متى شاء ان يطلق ، ونتيجة ذلك ارتفعت ارقام الطلاق (وخاصة الطلاق الذي يكون بسبب مطالبة المرأة) مما يسبب اهتزازاً فى هيكل هذه الدول ، وبين حين وآخر يحاولون ان يجدوا حلا لذلك .

وان الدلائل الخاصة التى تقيمها المرأة لتحصل بواسطتها على الطلاق والتي نقرأها من خلال الصحف والمجلات ، قد اثبتت متانة الحكم الاسلامي، بشكل واضح وجلي .

الموارد التى تحدد المرأة فى الاسلام :

ان مانستخلصه من بحثنا السابق، هو ان المرأة فى الاسلام لم تتخلف عن الرجل في شؤون الحياة، والامتيازات الاجتماعية، اذ لها فى جميع الاحوال استقلال الارادة والعمل، كما انها لم توضع تحت قيمومة الرجل . ولكن الذي يمكن ذكره فى هذا الصدد، هو وجوب اطاعة زوجها حول مسائل الجنس .

فالمحدودية التي على المرأة، وهي كتلة من العاطفة والحب في الاسلام تتحدد

في ثلاثة مواضيع: وهي التي سلم الاسلام زمامها بيد القوى التعقلية . اذ يجب ان تكون خارج دائرة العواطف والاحساسات ، والمواضيع الثلاثة هي « السلطة والقضاء والجهاد » .

فالذي يستفاد من الاحاديث الدينية، وسيرة الرسول الكريم (ص) هو ان المرأة في المجتمع الاسلامي لا تستطيع ان تستلم، زمام السلطة او الولاية بيدها ، كما لا تستطيع ان تجلس على منصة الحكم والقضاء ، ولا تستطيع ان تشترك بالجهاد بشكل مباشر، وتقاتل وجهاً لوجه .

«أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين» (١)

اذ ان المسؤول عن هذه المواضيع الثلاثة هو الرجل ، **« الرجال قوامون على النساء »** (٢) ان ارتباط هذه المواضيع الثلاثة بروح التعقل وفسادها في حالة تدخل العواطف والاحساس واضح جداً ، ومما لا يحتاج الى أي بحث او تحقيق ، اذ التجارب القاطعة لا تدع مجالاً للشك في هذا مطلقاً ، فخلال الاعوام الاخيرة التي جعلت الدول المتحضرة المرأة والرجل في رتبة واحدة ، وسعت جاهدة في تربية وتعليم الرجل والمرأة بشكل متساو ، وخرجت الالاف بل الملايين من النساء العالمات والفنانات، وأعدت المخترعات والنابغات الاجتماعيات، ومع هذا كله فحتى الوقت الحاضر لم تتساو قائمة الاحصائات عن المدراء ورؤساء الحكومات والقضاة والمقننين وزعماء الحرب بين الرجل والمرأة ، بل ولا حتى بنسبة يمكن ذكرها في هذا الصدد .

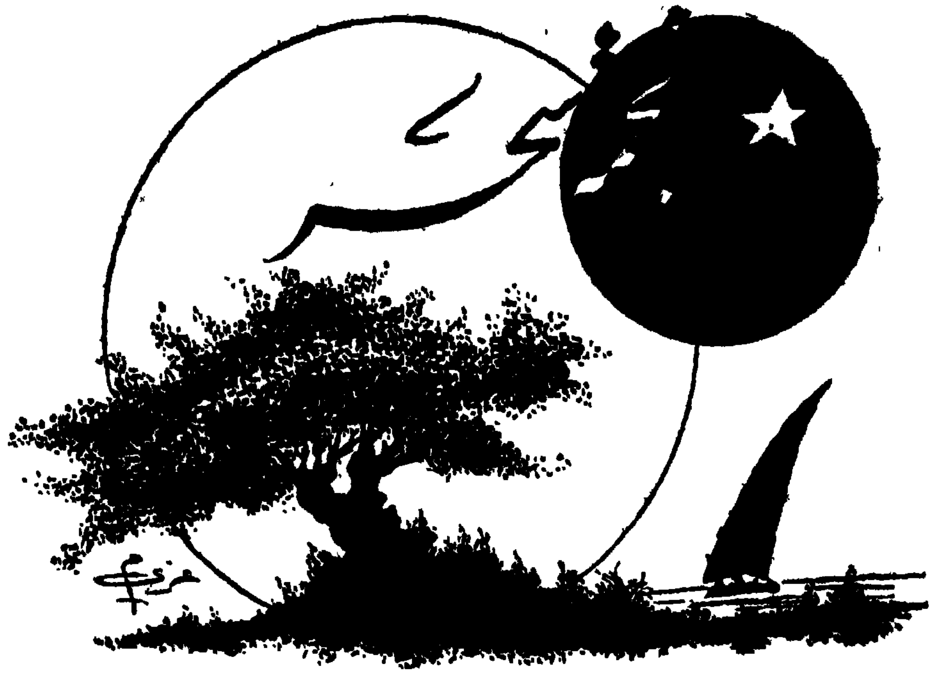
وانني لا انسى ابداً انه في بداية الحرب الأخيرة حين كانت المعركة دائرة على ارض فرنسا والقتال على اشده في «دنكرك» وماحولها، وفي الوقت الذي كانت السماء تمطر ناراً والارض تغلي بالدماء . اخترعت سيده فرنسية ذات رتبة عسكرية عالية في الجيش الفرنسي ـ كما قالت الصحف آنذاك ـ قبعة نسائية جميلة ، مزدانة بمقص في مقدمتها .

ـ مترجم عن الفارسية ـ

---

(١) سورة الزخرف آية ١٨

(٢) سورة النساء ٣٤



أرق في الغربة

خيرية صادق

مضى من الليل اكثره ، والسماء صافية تزهو بنجومها ، وأطلت « نجمة السحر » ترفل بغرورها ، تصافح العيون المسهدة ، وتعانق الوجوه المؤرقة . تلك التي لم تحلم بأطيافها ، ولم تهجع في سكون ليلها .

لم اكن وحدي أرقاً ـ كما احسب ـ ، امثالي كثيرون ممن زعزعهم القدر ، و بددت الأيام شملهم ، فلا ليلهم ليل ، ولانهارهم نهار . .

افكاري مشدودة في هذه الامسية الى «بلدي» اجوب في ارجائه، اعانق نخيله،اتوسد رماله ، امتص رؤى شاطئه . . اعيش في ذكرياته الحلوة والمرة . . افكر فيه . . ابداً لا يمكنني التخلص من هذه السلسلة من الافكار المتعبة ، لملمت علي كل احزاني وآلامي ، وارجعتني الى الوراء بعضاً من السنين . . يوم كانت الآمال العذاب ، تمتد امامي بخضرتها الرائعة ، تبشر عن مستقبل زاهر لامتي التي احتضنت آلامها طيلة اعوام عجاف من عمرها المديد .

يا لوعة الذكرى . . كم ترقبت بعين ملتاعة ، تلك الشتلات الزاهية ، والآمال الحلوة ، ونحن نزرعها بأرضنا الحبيبة ، و نسقيها بدموعنا ودمائنا ، ونرعاها بقلوبنا وحناننا ، ونسهر من أجلها الليالي الحالكات ، ونحسب الساعات والايام ننتظر موعد قطف ثمارها . . اليوم أو غداً . . العشية اوضحاها . . سنفرح بالثمار الناضجة . . بالعطاء الجميل . . تلك الثمار التي شدت اليها انظارنا منذ عشرات الاعوام .

ومرت الايام،وتلبد افقنا «بالغيوم الشرقية» ، و« العواصف الحمراء » ، ولم تلبث الكارثة ان حلت بنا . . وكانت اللوعة . . وكان ما كان . .

مر ذلك كطيف خاطف ، جمع كل ما حولي من آمال،واغتصب من عيني كل زهوة انتظار . . واذا بي اعيش في غربة محرقة . . ومثلي كثيرون هنا وهناك، ـ في داخل «بلادي» ـ يشعرون بالغربة ومآسيها تماما كما اعيشها انا الغريب منذ سنين .

وبقيت في دوامة السراب اجول في افكاري ، احصد الساعات ملحاً علني اجد لنفسي مسرباً انفذ اليه ، اخفف عني الاحزان ، ابعد الالام . . ولكن بدون جدوى . . كل ما حولي يلهث من الاعياء ، حتى ذبالة الاضواء التي تنير الدروب تكاد تلفظ انفاسها ، تعصر حياتهـا ، جزعت حتى من زغردة الورود . . . سأمت حتى من ضحكة الأطفـال .

ورغم ما اصابني ، فأنا مقتنع بأني لست الخاسر فى الشوط ـ وان كنت معذباً فى البعد ـ بل العكس لاني مؤمن بالقضية التي من أجلها لاقيت ما لاقيت.

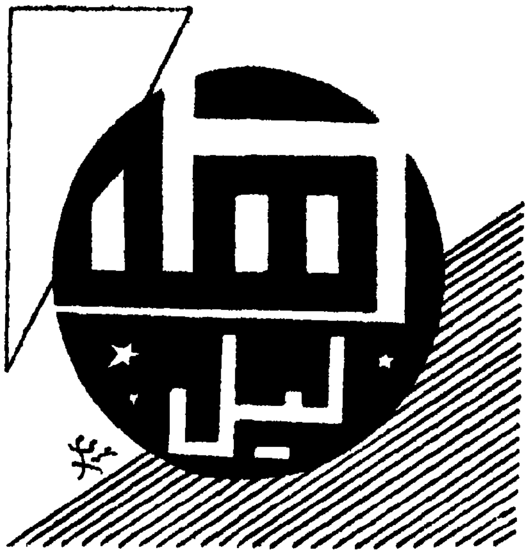
أنا واحد من جنود العقيدة . . اولئك الذين ترسموا خطى القادة ، وقاسوا ما قاسوا فى سبيل مبدئهم العظيم . . ودين الله لن ينطفىء . . شعلة وهاجة تمتد مع الزمن لتنير للاجيال الزاحفة ـ فى تطبيق رسالتها المقدسة ـ دروب الحرية والكرامة .

وصعدت بنظري الى السماء ، فرأيت «نجمة السحر» تجمع اضواءها لتغرب ، وامتدت خيوط الفجر . وحتماً بعد الفجر شروق . . وعلى يقظة الصباح ستنقشع الغيوم ، وتتمزق العاصفة ، وأعود لارضي الطيبة ، ازرع فيها آمالي الحلوة ، شتلة ربيعية . . وسوف ننتصر فى النهاية بالصمود والصلابة ، ونقطف الثمار ، باذن الله . .

الاجر المضمون

« ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطؤن موطأ يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين » .

التوبة ـ ١٢٠



أمٌ في الوطن

الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، كل شيء هادئ ، السكون مخيم ، الظلام يلف الافق ، الشبابيك الزاهية بالمصابيح خمد ضوؤها .

تركت الام سريرها ، لتمر - كعادتها - على غرفة اولادها لتتأكـد من نومهم ، واوضاعهم . . وتفتح الباب بهدوء ، وعلى الضوء الخافت لمحت صبيها الصغير - والذي هو في عمر الورد ، فلم يتجاوز التاسعة ، يتقلب على سريره ، يصارع الارق فاتجهت اليه ، وهمست في اذنه :

لماذا لم تنم يا نور عيني ؟

وحاول الطفل ان يخفي سهره عن امه ، فشد عينيه ، لكنه عبثاً حاول . . . فقد

تلاشت محاولاته امام حنان الامومة . . قبلات الام الساحرة مفتاح لانفتاح قلب الولد ولم تكتف بها . . ارسلت اناملها الحانية لتجوب مسارب العاطفة فى شعر الصبي الذهبي . . ووسدت وجه الفتى على خفقات وجهها المحمل بالهموم والآهات . . وامتزجت دموعها بالحبات اللؤلؤية التي نفرت من تلك العينين البريئتين ، وانساب صوتها الذي نبضت فى طياته اللوعة واللهفة ، يناغي مشاعر الصبي المتوججة .

شيىء يؤلمك يا عزيزي ؟

لا . . . يا ماما .

اذاً لماذا تبكي ؟

وسكت الصبي ولم يجب بشيىء . . ماذا يقول لها . . لقد بقي سؤاله زمناً طويلا دون جواب . . استفسر من أمه عن غيبة أبيه ، والتي طالت اكثر من ثلاث سنوات وسأل اخوته واخواته ، اهل البيت كلهم ، ولم يحصل على جواب مقنع . .

وتجمعت فى صدر الصبي زفرات وآهات ، ثم . . . تفجرت ، تمزق سكون الليل ، وتقطع قلب الام ، وتصدع حتى جدران الغرفة التي تضمهم . .

احتضنته الام بدفء قلبها المضطرم . . واستدرجته للحديث

قل يا ولدي ماذا بك ؟

ماما . . صباحاً تفتح المدارس ، ويذهب كل الطلاب ، وسوف يستقبلنا المدير يطالب كلا منا بوثيقة ولي امره ـ طبعاً سيقدمون وثائقهم الا انا . . كل مرة اقول للمدير سيأتي بابا من السفر ، ويوقعها . . طال سفره . . بعد لا يصدقني المدير ، انا اخجل منه . . اخبريني يا ماما ، اين بابا ؟ متى يأتي ؟ وقطع كلماته البكاء .

وتجمدت الام ، وارتسم على وجهها حزن عميق . . ماذا تقول لصبيها الوديع ؟

ابوه بعيد . . مشرد . . متغرب . . لا يحن عليه بلد . . يعيش هناك .. هناك فى قلب الغربة ـ وما اروعها غربة ـ على أمل اللقاء ـ وما احلاه من لقاء . .

ماذا تقول لطفلها الملتاع ؟

ان اباه واحد من مئات المواطنين ، الذين لاقوا مصيرهم المظلم فى ظل (الحرية) المذبوحة ، لانه لم يوافق على بيع ضميره ، كما وافق الكثيرون .

طال صمت الام .. وضاق الصبي ذرعاً بسكوتها . . شد نظره اليها، لعلها تخفف عنه لوعة السؤال الذي ارقه اياماً طوالا .

واخيراً : نطقت الام ، ولهجتها تتمزق من الالام . . بابا . . بابا . . ولم تتم كلامها ، فقد خمدت صحوة الحروف على شفتيها ، ورسمت عنها الدموع ، آهة الليل الحزينة ترفرف على وجهها المثقل بالهم والاسى . .

الباقيات الصالحات

(المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) .

الكهف ـ ٤٦

دور المسلمين الايرانيين في تشييد صرح الثقافة الاسلامية

الدكتور محمد غفراني
كلية الالهيات والمعارف الاسلامية
جامعة طهران

— ١ —

ان ايران قد لعبت دوراً هاماً فى ارساء دعائم الثقافة الاسلامية منذ ان بزغت شمس الاسلام فى سماء هذا البلد الحبيب، ورفرف لواء الدين الحنيف على ربوع هذا الجزء الغالي من الوطن الاسلامي الكبير، حيث ظهرت فى هذه البقعة من العالم الاسلامي ثلة من الجهابذة والاشاوس كرست حياتها لخدمة الثقافة الاسلامية ،واثراء اللغة العربية بثراء واسع من العلوم النقلية والعقلية مما لا يتسع المجال لاحصائها والافاضة فيها ، غير اننا نحاول فى هذا المقال ان نكشف القناع عن هذه الخدمة الجبارة ، لتلقي ضوءاً على مدى مساهمة ابناء هذا الوطن المخلصين فى نشأة العلوم الاسلامية فى عصورها الزاهية ،كما نحاول ان نبين العوامل والاسباب التي أسندت الى الايرانيين دور القيادة فى الكتابة والتأليف فى العصرين الاموي والعباسي.

— ٢ —

قتل مروان بن محمد الجعدي يوم ٢٧ من شهر ذي الحجة عام ١٣٢ هـ وبموته دالت دولة بني امية وزالت شوكتها ، وخفقت راية بني العباس من جديد (١).

---

(١) ومما يؤسف له ان بنى العباس لم يستطيعوا ان يقيموا العدل الذى من اجله [illegible] الثورة ضد الحكم الاموى ، فأنكروا حق الشيعة وفضلها فى دعم اركان الدولة الجديدة [illegible]

وعلى اثر ذلك فسح المجال أمام الموالي ـ وهم فى اغلبيتهم ايرانيون ـ لتولي المناصب فى الدولة ، والاشتراك مع المسلمين العرب في ادارة شؤون البلاد بعد أن حرموا من مزاولة حقوقهم السياسية طوال خلافة بني امية التي استمرت زهاء قرن واحد (١) ، ولذلك نرى الجاحظ يصف دولة بني امية بأنها عربية اعرابية

ـ مذهب الشيعة عقيدة تتغلغل فى القلوب ، وتسرى فى الدماء ، وتدفع الى الكفاح فى سبيل تحقيق المثل العليا ، واحياء سنة الرسول الكريم (ص) ، واتباع سيرة الاوائل ، ولكنه لم يتحقق هذا الهدف المنشود ، فقد ذاقت الاسرة الهاشمية وشيعتها مر العذاب ، واضطهدهم العباسيون أشد مما اضطهدهم بنو أمية ولطخوا جبين الانسانية ، وما احسن قول الشاعر :

فليت جور بنى مروان عـاد لنا   وليت عدل بنى العباس فى النـار

ويقول شاعر آخر :

والله مـا فعلت أميـة فيهـم   معشـار مـا فعلت بنو العباس

(١) وذلك ان بنى امية كانوا يعتزون بالعرب اعتزازاً كبيراً ، ويحتقرون الموالى ، ولا يسندون الى احد منهم منصباً فى الدولة الا فى شؤون الكتابة ، وكان لا يلى الخلافة احد من ابناء المولدين الذين ولدوا من امهات اعجميات (العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٣ ص ٢٩٧) وكان الحجاج بن يوسف والى العراق (٧٥ ـ ٩٥هـ) يمقت الموالى مقتاً شديداً فأمر ان لا يؤم بالكوفة الا عربى. قال لرجل من اهل الكوفة لا يصلح للقضاء الا عربى (العقد الفريد لابن عبد ربه ج ١ ص ٢٠٧) .

ومما يدل على تحمسه الشديد للعرب انه امر كاتبه صالح بن عبد الرحمن السجستاني بأن ينقل ديوان الخراج من الفارسية الى العربية،فقام بنقله طمعاً فى تولى منصب رئاسة الديوان، ويقال ان صالح هذا كان ينافس استاذه زادان فروخ الذى رفض اقتراح الحجاج ، وكان ديوان الخراج يكتب باللغة الفهلوية حتى عام (٨٢هـ) .

ويقول الراغب الاصفهانى فى كتابة (محاضرات الادباء ج ١ ص ٤٥) تعقيباً على نقل ديوان الخراج الى العربية: قال لصالح بن عبد الرحمن رجل من الفرس : كيف تكتب «دهبوده» «پنجبوده» فقال : «عشير» و «نصف عشير» ، فقال له كيف تكتب «اندى» قال «نيف»،فقال قطع [illegible] من الدنيا كما قطعت اصل الفارسية

كما يصف دولة بني العباس بأنها اعجمية خراسانية (١) ، وذلك أنه كان للايرانيين فى الدولة العباسية نفوذ كبير ، ومقام خطير ، ومكانة عالية عند العباسيين ، وكانت بيدهم مقاليد الامور ، وتصريف شؤون الخلافة ، فأخذ يزيد سلطانهم ، ويقوى نفوذهم يوماً بعد يوم ، وازداد تبعاً لذلك شأن الموالي فى الدولة ، على خلاف ما كان عليه فى العصر الاموي ، وكان ابرز مظاهر نفوذ العنصر الأيراني فى الدولة العباسية هو نقل العاصمة من دمشق الى بغداد فى العراق ، لقربها من خراسان موطن الدعوة .

واستأثر الايرانيون بالمركز الوزاري ، حتى اصبح ذلك قاعدة مألوفة لدى الخلفاء العباسيين ، ومن الطبيعي ان تتجلى فى بيئة كهذة مظاهر الحياة الفارسية ، بما تحمل الكلمة من معنى ، فقد اصطبغت الدولة العباسية بالصبغة الفارسية، بنقلها النظام الساساني فى الدواوين ، وفنون الحرب ، والاحتفاء بآداب الأيرانيين ، وتقاليدهم،كما شاع فى بغداد لبس الأزياء الفارسية، وجعل المنصور اغطية الرأس القلانس ، وهي اغطية طويلة وسوداء مخروطية الشكل،وكان يلبسها فى الاحتفالات الرسمية ، مع جبة مطرزة بالخيوط الذهبية ، وعليها نقوش (٢) .

فان دلت هذه المظاهر على شيىء فانما تدل على مدى تغلغل نفوذ الايرانيين فى المجتمع الاسلامي آنذاك ، ومساهمتهم في نشأة التراث الاسلامي .

ومما اسلفنا يمكن أن نقول : ان العنصر الفارسي من أقوى العناصر التي تتألف منها الثقافة الاسلامية ، وكان للاثر الذي احدثه الايرانيون فى هذا المجال أعظم الخطر ، حتى انه يعد من مظاهر تاريخ الحضارة الاسلامية (٣) .

---

(١) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٠٦ تحقيق حسن سندوبى طبعة القاهرة ، وكذلك وصف ابو ريحان البيرونى في كتابه «الاثار الباقية» دولة بنى العباس بأنها خراسانية شرقية .

(٢) تاريخ الادب الايرانى لادوارد برون ج١ ص٣٧٥ ترجمة على باشا صالح طبعة طهران

(٣) الحضارة الاسلامية لادم متز ترجمة الدكتور ابو ريدة ج ١ ص ١٨٩ طبعة القاهرة.

- ٣ -

ان اهتمام الايرانيين وعنايتهم بالعلوم ، جعلهم يحتلون منصب الزعامة في مجال الكتابة والتأليف فى الحقل الاسلامي ، وقد بلغ شأوهم فى هذا المضمار درجة بذوا الناطقين بالضاد انفسهم ، كما يعترف بذلك الرحالة والمؤرخ الكبير ابن خلدون فى مقدمته حيث يقول : « من الغريب الواقع ان حملة العلم فى الملة الاسلامية اكثرهم العجم ، لا من العلوم الشرعية ، ولا من العلوم العقلية الا فى القليل النادر ، وان كان منهم العربي فى نسبته ، فهو عجمي فى لغته ومرباه ومشيخته، مع ان الملة عربية ، وصاحب شريعتها عربي ، والسبب فى ذلك أن الملة فى اولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى احوال السذاجة والبداوة ، وانما احكام الشريعة التي هي أوامر الله ونواهيه ، كان الرجال ينقلونها فى صدورهم . . . فصارت العلوم لذلك حضرية ، وبعد عنها العرب وعن سوقها . والحاضر لذلك العهد هم العجم ، أو من فى معناهم من الموالي ، وأهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم فى الحضارة ، وأحوالها من الصنائع والحرف ، لانهم أقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس ، فكان صاحب صناعة النحو سيبويه ، والفارسي من بعده ، والزجاج من بعدهما ، وكلهم عجم ، او مستعجمون باللغة والمربى ، وكان علماء اصول الفقه كلهم عجماً ـ كما يعرف ـ ، وكذا حملة علم الكلام ، وكذا اكثر المفسرين ، ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه الا الاعاجم ، وظهر مصداق قوله صلى الله عليه (وآله) وسلم : لو تعلق العلم بأكناف السماء لناله قوم من اهل فارس» (١) .

ويؤيد كلام ابن خلدون ما اورده ابومعشر البلخي فى كتابه «اختلاف الزيجات» فيقول: «ان ملوك الفرس بلغ من عنايتهم بصيانة كتب العلوم، وحرصهم على بقائها على وجه الدهر، واشفاقهم عليها من احداث الجو وآفات الأرض ان اختاروا لها من المكاتب اصبرها على الاحداث ، وابقاها على الدهر ، وأبعدها عن التعفن» ، كما يقول الجاحظ فى معرض الحديث عن محاسن الكتابة والكتب ، وكانت العجم

(١) مقدمة ابن خلدون ج ١ ص ٤٥٢ طبعة القاهرة عام ١٣٢٢ هـ . بمطبعة التقدم .

تجعل الكتاب في الصخور ونقشاً في الحجارة ؛ وخلقة مركبة في النبات ؛ اذاكان ذلك تاريخاً لأمر جسيم ، او عهداً لأمر عظيم ، او موعظة يرتجى نفعها، او احياء شرف يريدون تخليد ذكره . . . ويضعون الخط في أبعد المواضع من الدثور ، وأمنعها من الدروس . . . ولو لا الحكم المحفوظة ، والكتب المدونة لبطل اكثر العلم ، ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر (١) .

فهذه المصادر تنص على ان الايرانيين كان لهم باع طويل في فن الكتابة ، فخدموا اللغة العربية بانتاجهم الغزير في ميدان التأليف والترجمة ، كما تشيد بفضلهم وتنوه بمكانتهم في المجتمع الاسلامي العام .

- ٤ -

ويجب ان لا ننسى دور الترجمة في انعاش الحركة الثقافية في العصرين الاموي والعباسي ، وكما نعلم ان الترجمة بدأت منذ عصر بني امية ، كما يحدثنا بذلك المسعودي (٢) ، ولكنها نشطت منذ اوائل العصر العباسي عندما قام نفر من الايرانيين الذين يجيدون اللغة العربية الى جانب اتقانهم اللغة الفهلوية بترجمة الكتب الفهلوية الى العربية ، فأخذ الناس يتطلعون الى الثقافات الجديدة في الدولة الاسلامية ، تلك الثقافات التي اصبحت رافداً للثقافة الاسلامية فيما بعد .

وأول من عني بتشجيع ترجمة كتب النجوم والطب والفلسفة الخليفة العباسي الثاني ابو جعفر المنصور ، وقيل ان خالد بن يزيد الأموي المتوفى سنة (٨٥ هـ) هو أول من قام بترجمة بعض كتب النجوم والطب والكيمياء (٣) .

ومهما يكن من امر فاننا لسنا هنا بصدد دراسة حركة الترجمة بصفة عامة والبحث عن الكتب التي نقلت من الفهلوية ، والسريانية، والهندية ، والعبرانية الى

---

(١) المحاسن والاضداد، المنسوب للجاحظ ص ٣ طبعة القاهرة .

(٢) التنبيه والاشراف للمسعودي ص ١٠٦ طبعة القاهرة .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٢١٣ طبعة القاهرة ، والفهرست لابن النديم ص ٤٩٧ ، طبعة ليبزيك ، وتاريخ الفلسفة في الاسلام ، لدى بور ، ترجمة أبو ريدة ص ٢١ ، طبعة القاهرة .

اللغة العربية ، وانما نريد ان نشير باجمال الى مساهمة الكتاب الايرانيين في هذه الحركة فحسب .

ذكر ابن النديم قائمة بأسماء عدد كبير من المترجمين الايرانيين، وعلى رأسهم عبد الله بن المقفع الفارسي الذي نقل كتاب كليلة ودمنة وغيره من الكتب الفهلوية الى العربية . ومن هؤلاء المترجمين نذكر آل نوبخت وموسى ، ويوسف بن خالد ابن برمك ، وكانا يخدمان داود بن عبد الله بن حميد بن قحطبة ، وينقلان له من الفارسية الى العربية ، وأبو الحسن علي بن زياد، وقد نقل مجموعة كبيرة من الكتب الفهلوية الى العربية منها : «زيج الشهريار» ، والحسن بن سهل والبلاذري احمد ابن يحيى الذي ترجم كتاب : «عهد اردشير» ، وجبلة بن سالم واسحاق بن يزيد ومحمد بن الجهم البرمكي وهشام بن القاسم ، وموسى بن عيسى الكسردي وداود شاهويه الاصفهاني ، ومحمد بن بهرام بن مطيار الاصفهاني ، وبهرام بن مروان شاه وعمر بن فرخان ، وسلم الحران ، الذي كان يعمل مع سهل بن هارون فى بيت الحكمة ، واسحاق بن علي بن سليمان والفضل بن سهل وزير المأمون ، وزادان فروخ بن پيري الكسكري ومحمد بن مرزبان المشهور بابن العباس الدميري الذي ترجم اكثر من خمسين كتاباً فارسياً الى العربية (١) .

وهناك عدد آخر من المترجمين الايرانيين لم يذكرهم ابن النديم، فمنهم ما شاء الله بن الاثري الذي كان معاصراً للمنصور ، وكان من كبار المنجمين ، ومشاهير علماء مدينة مرو فى عصره ، ومنهم ابن الطبري احد الكتاب والمترجمين لكتب الرياضة فى مدينة مرو وهو والد علي بن ربن الطبيب المعروف فى القرن الثالث الهجري (٢) .

وكذلك يجب ان نضيف الى هذه المجموعة من المترجمين الايرانيين جميع

---

(١) راجع الفهرست لابن النديم ص ٢٤٤ - ٢٤٦ ، وكذلك راجع كتاب ايران وتأثير آن در تمدن اسلام وعرب ، للدكتور محمد محمدى ص ٢٣ طبعة طهران . وبيست مقاله قزويني ج ٢ ص ٥٩ الطبعة الثانية . ومدخل الترجمة والنقل عن الفارسية ، للدكتور محمد محمدى ص ١٠ ، طبعة بيروت .

(٢) اخبار الحكماء ، للقفطي ص ١٢٨ ، وكلمة ربن - بتشديد الباء - وربن [illegible] لمقتضى شريعة اليهود ، وانتقل علي بن ربن من مدينة مرو الى العراق ، واستوطن مدينة رأى [illegible]

الكتاب والوزراء، والحكام الذين اشتغلوا لدى الخلفاء او الامراء ، فان هؤلاء كانوا ينحدرون من اصل ايراني . وقد تركوا لنا كثيراً من الرسائل ، والتوقيعات ، والتأليفات التي اغنت المكتبة الاسلامية بنتاج عظيم جليل القدر ، وعظيم الخطر ، وما رسائل عبد الحميد الكاتب والصاحب بن عباد ، وبديع الزمان الهمداني ، ومنشآت آل برمك وآل الصولي الا امثلة قليلة بالنسبة الي نظائرها التي بقيت على مر الزمن .

- ٦ -

وكذلك رأينا ان نذكر قائمة باسماء عدد من اعلام الثقافة الأسلامية وهم ينتسبون الى اصل ايراني لكي يقف القارىء الكريم على مدى مساهمة الشعب الايراني المسلم في تشييد صرح الثقافة الاسلامية ، ونشرها في ارجاء العالم الأسلامي ، فليس من الغريب اذن ان نجد ان اللغة العربية تحتل منزلة رفيعة ، ومكانة مرموقة لدى الشعب الايراني ، اذ انها الى جانب كونها لغة القرآن الكريم نمت وترعرعت ، وأرسيت قواعدها وتحددت مناهجها ومناحيها على ايدي الايرانيين انفسهم منذ ان اعتنقوا الاسلام، وحملوا لواءه الى العالم بأسره متكاتفين في ذلك مع اخوانهم العرب المسلمين.

الف ـ فمن اشهر المؤلفين الذين ينتمون الى اصل ايراني من رجال القرنين الثالث والرابع الهجريين :

١ ـ ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦هـ ، ومن اشهر مؤلفاته كتاب الشعر والشعراء ، وكتاب عيون الأخبار ، وأدب الكاتب ، وكتاب المعارف ، وكتاب الأمامة والسياسة .

٢ ـ أحمد بن داود الدينوري المتوفى سنة ٢٨١هـ ، وهو صاحب كتاب الاخبار الطوال ، وكتب اخرى في الجبر والمقابلة ، وفي النبات ايضاً .

٣ ـ حمزة الاصفهاني المتوفى سنة ٣٥٠هـ ، ومن تآليفه كتاب سني ملوك العجم.

٤ ـ محمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٩ هـ ، وهو من اهم محدثي الشيعة ، وله كتاب الكافي .

٥ ـ ابن بابويه المتوفي سنة ٣٨١ هـ ، وهو من الفقهاء المعروفين ، وله كتاب باسم «من لا يحضره الفقيه» يعتبر من اهم المراجع فى فقة الشيعة .

٦ ـ أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ، المتوفى سنة ٣٢٥ هـ ، وهو من كبار الحكماء والعلماء الايرانيين ، وله جملة من الكتب الفلسفية والطبيعية ، منها : كتاب الطب المنصوري وكتاب الحاوي ، وجملة من الرسائل الفلسفية .

٧ ـ أبو معشر البلخي المتوفى سنة ٢٧٢ هـ ، وهو من أشهر المنجمين ، وله فى التنجيم ما يقرب من أربعين كتاباً .

٨ ـ أبو نصر الفارابي المتوفى سنة ٣٢٩ هـ وهو من اشهر الحكماء والعلماء وله تأليفات كثيرة فى الحكمة والفلسفة ، والموسيقى ، وكان ممتازاً فى معرفة اللغات .

ب ـ فاذا انتقلنا الى القرنين الخامس والسادس الهجريين وجدنا من ائمة الفقه والأصول ، والتفسير ، ومن أعلام كتاب العربية الذين ينتسبون الى اصل فارسي عدداً كبيراً لا يبلغه حصر ، نكتفي بأن نذكر منه على سبيل المثال :

١ ـ الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٣٠ هـ وهو صاحب كتاب يتيمة الدهر وكتاب فقه اللغة وغرر اخبار ملوك الفرس ، وغير ذلك من الكتب القيمة .

٢ ـ أبو ريحان البيروني المتوفى سنة ٤٤٠ هـ صاحب كتاب «الاثار الباقية» ، وكتاب «تحقيق ما للهند» وكتاب التفهيم فى صناعة التنجيم ، وله رسائل باللغة الفارسية أيضاً .

٣ ـ بديع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ وهو اول من انشأ المقامات .

٤ ـ أبوعلي ابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ ، وهو من العلماء والمؤرخين ، وكان في البداية زردشتياً ثم اعتنق الاسلام ، ومن أشهر مؤلفاته كتاب «تجارب الأمم» وكتاب تهذيب الاخلاق (الطهارة) وجاويدان خرد (الحكمة الخالدة) .

٥ ـ أبوعلي ابن سينا ، المتوفى سنة ٤٢٨هـ ومن اشهر مؤلفاته الشفاءوالقانون له كذلك كتاب دانشنامة علائى باللغة الفارسية .

٦ ـ أبو جعفر محمد بن حسن الطوسي الملقب بشيخ الطائفة المتوفى سنة ٤٦ هـ وهو من اشهر فقهاء الشيعة ، ومن تأليفاته كتاب الاستبصار وتهذيب الاحكام كتاب العدة فى اصول الفقه ، وكتاب الرجال ، وله من التفاسير كتاب التبيان .

٧ ـ أبو الحسن الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٨هـ ، وقد امتاز فى الأدب ، ومن أليفاته المعروفة كتاب دمية القصر .

٨ ـ عبدالقاهر الجرجاني المتوفى سنة ٥٠٢هـ وهو من علماء النحو والبلاغة واشهر كتبه اعجاز القرآن واسرار البلاغة .

٩ ـ الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ هـ وقد امتاز فىالأدب واللغةالعربية واشتغل بالتدريس فى المدرسة النظامية ببغداد ، وله شروح على المعلقات والدواوين العربية .

١٠ ـ أبو حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ وقد امتاز فى الفقه والحكمة ، ومن اشهر مؤلفاته كتاب احياء علوم الدين فى الفقه والاحكام ، ومقاصد الفلاسفة وتهافت الفلاسفة فى الحكمة، ومعيار العلم فى المنطق ، والمنقذ من الضلال،وله ايضاً كتاب كيمياي سعادت بالفارسية، وقد ولد الغزالي، ودفن فى مدينة طوس التى تقع الان قرب مشهد الرضا (ع) .

١١ ـ الطغرائي الاصفهانى وزير سلاجقة العراق المتوفىسنة٥١٤هـ وله ديوان شعر عربى ، ومن اهم ما يذكر له القصيدة التى عرفت باسم لامية العجم ، واولها :

(اصالة الرأي صانتنى عن الخطل)

١٢ ـ ابو الفضل الميدانى المتوفى سنة٥١٨هـ ومن اشهر مؤلفاته كتاب«الامثال» وكتاب السامي فى الاسامي .

١٣ ـ جار الله الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨ هـ وهو صاحب الكشاف فى التفسير ، وكتاب المفصل فى النحو وكتاب اساس البلاغة فى اللغة.

١٤ ـ ابو الفتح الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ وقد امتاز في الفقه ، والكلام وعلم الاديان ، وله الكتاب المشهور الذائع الصيت الملل والنحل .

١٥ ـ أبو علي فضل بن حسن الطبرسي ، المتوفي سنة ٥٥٠ هـ من كبار فقهاء الشيعة ، وكان متبحراً في الحديث ، والتفسير ، والفقه ، ومن تأليفاته : مجمع البيان .

١٦ ـ شهاب الدين السهروردي ، المتوفى سنة ٥٨٧ هـ ، وهو من سهرورد ، بالقرب من زنجان . ومن أشهر تأليفاته حكمة الاشراق .

١٧ ـ الفخر الرازي ، المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ، وقد اشتهر بالحكمة ، والفقه والكلام ، ومن كتبه : كتاب نهاية العقول ، وكتاب المباحث المشرقية ، وكتاب المحصول في الفقه ، وشرح اشارات أبي علي ابن سينا في المنطق.

كان هذا عرضاً عابراً لدور الايرانيين في تشييد صرح الثقافة الاسلامية الخالدة التي كانت ولا تزال نبراساً للحضارة الانسانية عبر القرون والاعصار ، ونرجو أن تتاح لنا الفرصة في مستقبل قريب لنعالج بعض جوانب تأثير الفرس في الثقافة الاسلامية في بحث مستقل .

مع الدعاء في شهر رمضان

فلسفته وعلاقته بالحياة

السيد محمد حسين فضل الله - بيروت

في شهر رمضان نلتقي بالدعاء كأحد شعائر العبادة التى أرادها الاسلام - في هذا الشهر - لتشارك في خلق الاجواء الروحية التي يبني فيها الانسان شخصيته بين يدى الله .

وقد كان الدعاء - في شرائع السماء القديمة - صلاة المؤمنين ، تربطهم بالله دون ان يصاحبها شيء مما تعارفنا عليه الان حتى ارتبطت كلمة الصلاة بمفهومه في اللغة العربية .

ولسنا هنا لنؤرخ للدعاء ، او لنبحث مواسمه ، بل نحن هنا في محاولة سريعة للتعرف على فلسفته من جهة ، وعلاقته بحياتنا من جهة اخرى ، لنخرج من كل ذلك بالفكرة التي تربط العبادة بالحياة عند ما تربط الحياة بالله .

\- ١ -

في بداية الحديث عن فلسفة الدعاء نجد انه يلبي في الانسان حاجات طبيعية ذاتية ، كما يستجيب لدوافع تربوية وايمانية، وهذا ما سنراه فيما يأتي من حديث :

اولا : ان الدعاء حاجة ذاتية طبيعية للانسان المؤمن بالله يحس بها في داخله تماماً ، كما يحس بلذعة الجوع عند حاجته الى الطعام ، وحرارة العطش عند

حاجته الى الماء ، فهو جوع الانسان للحنان ، وللسلام الذي يملأ قلبه بالحياة ، وروحه بالنور .

فهناك حالات يشعر الانسانفيها ـ أمام قسوة الحياة ، وضغط المشاكل، وتراكم الأزمات الداخلية والخارجية ـ بحاجةالى التعبير عنالألام التى تمزقذاته، والمشاعر التى تجيش فى نفسه ، دون ان يجرح كبرياءه ، أو يهدر كرامته .

وهنا يأتي دور الدعاء الذي يسمح للانسان ان يتنفس بكرامة ومحبة ، وللروح أن تنطلق بعزة وحنان فيفتح قلبالأنسان على ربه،وينطلق بروحه الى الله حيث السلام والطمأنينة، والحياة الوادعة الرضية المطمئنة التى تجعل الانسان يغفو على هدهدات الأمل ،عبر لفتات الرحمة ، ونبضات الرضوان .

ان الانسان يتحول ـ آنذاك ـ الى طفل فى روحه . يعيش طفولة الروح بكل بساطتها ، وصفاءها ، وعفويتها ، وتمردها الساذج عند ما يجلس بين يدى الله فى ايمان محبب ، وديع واثق بالفوز ، مطمئن للفرج .

انه يبكي ، ويشكو ، ويتألم ، ويطلب ويستعطف ، ويلح فىالطلب والاستعطاف ويمارس شتى الأساليب التى تمثل مظهر الضعف فى الانسان ، ولكنه ـ مع ذلك ـ يبقىيحس بلذة هذا الضعف الذي يربطه بمصدر القوة المطلقة ليستمد منه القوة على مواجهة عقبات الحياة .

انه ضعف المخلوق أمام خالقه ، الضعف الوحيد الذي يشعر معه الضعيف بالاعتزاز ، والزهو بضعفه عند ما يقف امام القوي .

وهكذا كان الدعاء ، عامل تجديد لقوة الحياة فى الانسان ، لئلا يختنق بين قسوة مشاكله ، وضغط كبريائه ، فيتحول الى انسان منهار ، أو معقد .

ثانياً : الحاجة الى الاعتراف . قد يستسلم الانسان فى حياته الى رغبة ملحة تضغط عليه ، وتدفعه تحت عبء الضمير المثقل الى الاعتراف بنواياه السيئة ، وأفعاله الشريرة ، وخططه الشيطانية تجاه نفسه ، وتجاه الاخرين كوسيلة من وسائل تجسيد الاحساس بالذنب فى داخل النفس ، ليتعاظم بذلك الشعور بالندم

وهنا يقف الانسان بين الاعتراف للخالق ، وبين الاعتراف للمخلوق .

ويأتي دور الدعاء ليحقق للانسان اختيار الاعتراف لله لعدة اسباب :

آ ـ انه ـ باعترافه لله ـ لا يكشف سره لاحد فهو ـ مع الله ـ مكشوف بكل أعماله ونواياه ، فلا يزيده الاعتراف انكشافاً أمام من يعلم خائنة الاعين ، وما تخفي الصدور ، بينما يمثل الاعتراف للمخلوقين انسحاق شخصيته أمام افتضاح سره .

ب ـ ان الغاية من الاعتراف هو الوصول الى تصحيح الخطأ ، وفتح صفحة جديدة ، وهذا ما يكفله الدعاء الذي يمثل الاعتراف لله الذي هو الملاذ ، والمرجع للمغفرة ، والعفو والرضوان . أما الانسان ـ أي انسان كان ـ فلا يملك أي شيء من هذا حتى الانبياء والاوصياء الذين لا يملكون الشفاعة الا لمن ارتضى الله ، ولهذا فلا يحقق الاعتراف للانسان أي هدف .

ج ـ انه ـ باعترافه لله ـ اقدر على تحليل ذاته ، ودوافعه ، وتفضيل اعماله واحواله ، بكل جوانبها ، ومظاهرها ، لانه يشعر بحرية الاعتراف بعيداً عن الملابسات الذاتية والاجتماعية ، بينما يشعر الانسان أمام الانسان الاخر بكثير من الملابسات التى تحول بينه ، وبين الافاضة بكل شيء ، مما قد لا يتحمل الاخر سماعه او لا يرضى المعترف باظهاره لاحد .

د ـ تحقيق عملية النقد الذاتي بشكل أفضل ، فالانسان يشعر ـ مع الدعاء ـ أن ارادة التغيير نابعة من داخل الذات ، لا من ضغوط خارجية تمارس المواعظ ، والنصائح والتهديدات .

ان الدعاء يوحي للانسان أنه ـ هو ـ وحده ـ لا الاخرون ـ يريد ان ينقد ذاته ليغيرها الى الافضل . وهذا ما يجعل المهمة اكثر انسجاماً مع النفس ، وأكثر التقاء بالاهداف .

وقد حفلت الادعية المأثورة عن ائمة المسلمين بالكثير من اساليب الاعتراف التي يبرز فيها الانسان بكل جرائمه وشروره وخطاياه امام الله في محاولة للانطلاق عنها الى عالم من الفضيلة جديد .

- ٢ -

اما الجانب الثاني من الحديث : وهو علاقة الدعاء بحياتنا العامة والخاصة ، فنستطيع ان نفهمه اذا استعرضنا لمحة من الأدعيــة المأثورة لنرى كيف ساهمت بالايحاء بالمعاني الخيرة، والخروج بالدعاءعن ان يكون مجرد عبادة روحيةخالصة لا ترتبط بالحياة من قريب أو بعيد ، الى عبادة تحاول ان تجعـل من اجواء الروح طريقاً لتهذيب اجواء المادة .

١ ـ الشعور بالمسؤولية تجاه الجانب السلبي من تصرفات الانسان ، تماماً ، ـ كما هو الجانب الايجابي منه ـ وقد نلمح ذلك واضحاً فی بعض فقرات دعاء الامام زين العابدين فی الاعتذار عن تبعات العباد ، والتقصير فی حقوقهم :

«اللهم اني اعتذر اليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم انصره، ومن معروف اسدی الی فلم اشكره ، ومن ذی فاقة سألنی فلم اوفره ، ومن عيب مؤمن ظهر لی فلم استره ، ومن كل اثم عرض لی فلم اهجره ، اعتذر اليك يا الهی منهن اعتذار ندامة يكون واعظاً لما بين يدی من اشباههن» .

اننا نجد من خلال هــذه الفقرات ، فی الموقف السلبي تجاه حالات الظلم ، والحرمان ، والمعروف ، ونحوها خطيئة ينبغي للانسان ان يعتذر منها ـ كما يعتذر من سائر خطاياه ـ لان الموقف السلبي يتحول الى موقف ايجابي لمصلحة الظالـم ضد مصلحة المظلوم، ويؤدي الى زهد اهل المعروف بالمعروف، والى غير ذلك من الحالات التی لايجوز للانسان ان يقف فيها موقف الحياد، او اللامبالاة فی أي مظهر من مظاهر الحياة التی تتمثل فی معركة الصراع بين الخير والشر .

٢ ـ الاستعانة بالله على محاربة غريزة الظلم ، والاعتداء على الاخرين بنفس الروح التی يطلب فيها الاستعانة به على دفع ظلامة الاخرين . . . وقـد نلمح ذلك فی فقرات متفرقة من الصحيفة السجادية :

«اللهم فكما كرهت لی ان اظلم فقنی من ان أظلم» .

«اللهم اكسر شهوتی عن كل مأثم ، واحرصی عن كـل محرم ، وامنعنی اذی كل مؤمن ومؤمنة ، ومسلم ومسلمة» .

«ولا أظلمن وأنت مطيق للدفع عني ، ولا أظلمن ، وأنت القادر على القبض مني» .

انه يستعدي قدرة الله على نفسه ، ويستعطفها ان تحمي الاخرين من نزوات قوته ومن نزعات انانيته ، انه يبلغ قمة السمو الانساني عند ما يرفض الظلم من نفسه كما يرفضه من الاخرين . انسجاماً مع الفكرة التى ترفض الظلم كمبدأ دون النظر الى طبيعة الظالم أو شخصية المظلوم ، ومع الفكرة الدينية التى تقول :

«احبب لاخيك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، فلا تظلم كما لا تحب ان تظلم» .

٣ ـ التركيز على حقيقة انسانية ترى الظلم نتيجة طبيعية لعقدة ضعف تتحكم فى الظالم فتدفعه الى التنفيس بالانتقام من المظلوم . . الأمر الذي يجرد الظالم من وهم العظمة الذي يحاول أن يحيط به نفسه ليغطي عوامل الضعف داخل نفسه وقد نلمح ذلك فى دعاء ليلة الجمعة :

«يا رب: وقد علمت انه ليس في حكمك ظلم، ولا في نقمتك عجلة ، وانما يعجل من يخاف الفوت ، وانما يحتاج الى الظلم الضعيف وقد تعاليت ياالهى عن ذلك علواً كبيراً» .

فالله لا يظلم لانه قوي . . اما الاخرون فانهم يظلمون لانهم يخافون الناس ، ويخافون الحق ، فيبادرون الى البغي والاعتداء لتغطية هذا الضعف ، والتمويه على الباطل .

٤ ـ الارتفاع بالاخلاق الى المستوى الذي يجعلها تنطلق من داخل الانسان عضوياً ـ كما هو النور من الشمس ، والماء من الينبوع ، دون مقابل ـ لئلا تتحول المسألة الى مبادلة تجارية .

ان يشعر الانسان بالجذور الاصيلة للخير تمتد فى داخل نفسه ، وتدفعه للخير من أجل الخير دون تفكير فى حساب الربح والخسارة على المستوى المادي انسجاما مع الفكرة الاسلامية التى تقول : «صل من قطعك ، واعف عن ظلمك ، واعط من حرمك» وهذا ما نراه فى دعاء مكارم الاخلاق :

«اللهم وسددني لان اعارض من غشني بالنصح، وأجزي من هجرني بالبر واثيب من حرمني بالبذل ، وأكافي من قطعني بالصلة وأخالف من اغتابني الى حسن الذكر ، وان اشكر الحسنة وأغضي عن السيئة . . »

٥ ـ الايحاء بضرورة الاندماج الروحي بالطبقات المحرومة من الفقراء ، والمساكين ، والتعاطف معهم كخلق ذاتي اصيل تنطلق فيه الممارسة من محبة النفس الذاتية لامن طبيعة الواجب المفروض من أعلى، ثم الانسجام معهم بالسيطرة الدائمة الواعية على الانفعالات النفسية ، التى تحدث للانسان من خلال اصطدامه باطارهم الضيق الذي يجعلهم يفقدون الكثير من اصول اللياقة واللباقة تبعاً لقسوة ظروفهم وخشونة واقعهم .

وهذا ما تعبر عنه هذه الفقرة من ادعية الصحيفة السجادية :

«اللهم حبب الى صحبة الفقراء، وأعني على صحبتهم بحسن الصبر ..».

٦ ـ الايحاء الذاتي للمؤمن بأن البيئةالتى يسودها الكسل ، وتنتشر فيهاالبطالة تبعده عن الله ، كما تبعده عن الحياة الجادة الهادفة ، الامر الذي ينبغي له معه ان يرفض تلك البيئة ، ويتحول الى بيئة اخرى يسودها العمل ، والجد والاجتهاد كما نجده فى دعاء شهر رمضان فى معرض تعداد الأسباب التى تبعد عن الله ،

«ام رأيتني آلف مجالس البطالين فبيني و بينهم خليتني . .» .

٧ ـ التركيز على تغيير الانحراف فى اخلاق الانسان سواء أكان الانحراف فى داخل النية ، فيتمثل التغييرفى تحويلها الى نيات طيبة ، أم كان فى طبيعة الكلمة فيتمثل فى تحويلها الى كلمات خيرة ، أو فى طبيعة العلاقات الانسانية التى ترتكز على الرغبة والرهبة ، فيتمثل فى تغييرها الى علاقات ترتكز على اساس الكفاءة الذاتية ، والقيمة الواقعية وسنجد كل ذلك متمثلا فى دعاء مكارم الاخلاق :

«اللهم واجعل ما يلقي الشيطان فى روعى من التمني ، والتظني والحسد ذكراً لعظمتك ، وتفكراً فى قدرتك ، وتدبيراً على عدوك ، وما اجرى على لساني من لفظة فحش أوهجر أو شتم عرض، أو شهادة باطل، أو اغتياب مؤمن غائب ، أو سب حاضر ، وما اشبه ذلك نطقاً بالحمد لك ، واغراقاً فى الثناء

عليك ، وذهـاباً في تمجيـدك ، وشكراً لنعمتك ، واعترافاً باحسـانك ، واحصاء لمننك . .»

«اللهم وصن وجهي باليسار ، ولا تبتذل جاهي بالاقتار ، فأسترزق اهل رزقك ، واستعطى شرار خلقك فأبتلى بحمد من اعطاني ، وذم من منعني ، وانت من دونهم ولي الاعطاء والمنع»

٨ ـ الالحاح على مراقبة النوازع الداخلية في النفس لابقائها على طبيعة التوازن الذاتي وعدم السماح بطغيان العوامل الخارجية التي تتمثل في المـدح الذي يكال للانسان دون حساب ، وللجاه الذي يحصل عليه، أو العزة التي ينالها نتيجة اعماله وأخلاقه «اللهم لا ترفعني في الناس درجة ، الا حططتني عند نفسي مثلها ، ولا تحدث لي عزاً ظاهراً الا احدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها .»

٩ ـ الاصرار على المحافظة على الحق مع الاولياء والاعداء، وعدم الانجراف مع تيار العاطفـة ، في اخضاع السلوك للعواطف ، والاغراض الشخصيـة ، والنزعات الطارئة .

«اللهم وارزقني التحفظ من الخطايا ، والاحتراس من الزلل في الدنيا والاخرة في حال الرضا والغضب حتى اكون مما يرد على منهما بمنزلة سواء عاملا بطاعتك ، مؤثراً لرضاك على ما سواهما ، في الاولياء والاعداء حتى يأمن عدوي من ظلمي وجوري ، وييأس وليي من ميلي وانحطاط هواي ..»

وبعد . . فهذه نماذج من الادعية الاسلامية التي لم يحاول منشؤها ، ان يجعلوا الانسان يبتعد بها عن حياته بل حاولوا ان يشددوا معها على صلته بالحياة ، ويرشدوه الى المجالات التي يستطيع ان ينتبه فيها الى مواضع الخطأ فيصلحها ، والى مواطن الانحراف فيصححها ، والى زيغ النيات فيخلصها من الشوائب . . الامر الـذي يجعلنا نستوحي منها الفكرة التي تقول : ان الإسلام يريد من المسلم ان لا يصرف بوجهه عن حياته حتى وهو بين يدي الله بل يريد منه ان يندمج بالحياة بكل قوة يجسد كل ارادات الله، وكل تعاليمه التي تغدو الارض معها جنة مصغرة ، نتعلم فيها كيف نمارس نعيم الله في الدنيا قبل ان نعيش معه في الاخرة .

وفى ختام الحديث نريد للانسان المسلم فى هذا الشهر المبارك ان ينطلق مع هذه الاجواء التى تمثل السمو فى الاخلاق ، والروح والفكر ليحلق بأجنحة الايمان الى المدى الذى يلتقى فيه بمعانى المحبة والتسامح، والتعاون وبناء الحياة على اساس الايمان من اجل مواصلة السير فى طريق الله ، طريق الحياة الرضية المرضية الوادعة المطمئنة التى لا تستجيب الا للنور ولا تنطلق الا مع الخير ، حياة الذين أنعم الله عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين ٠

من دعاء الافتتاح الوارد فى شهر رمضان المبارك

«اللهم ما عرفتنا من الحق فحملناه . . وما قصرنا عنه فبلغناه ، اللهم المم به شعثنا واشعب به صدعنا» .

يا امام الأحرار *

ابو علي - بيروت

منك من وحي فجرك المسحور ينتشي الشعر بالندى والعطور
حالماً ينهل الوداعة في دفء المعاني ، وفي سمو الشعور
ويزف النجوى ، ونهجك يهديه فيستل روعة التصوير
ويكاد الخيال ينبض بالروح اذا لحت في حنايا الضمير
انت انشودة الفدا من رؤى الفجر وقد فاض بالشعاع الطهور
حضنتها الحياة ، وانطلق الخلد يوشي بها حديث الدهور
وأنا ها هنا التفات الى الذكرى فنضر بوحيها تفكيري
علني اقطف النجوم فأجلو عبر اضوائها طريق العبور

* * *

يا امام الاحرار حطمت اصنام الدياجي بخاطر مستنير
وحملت الضحى بكفيك ينبوع حياة نخفاقة بالعبير
يمرح النور في غلائلها الخضر رقيقاً كهينمات الغدير
وعلى روحك التماعة فجر ، وانطلاق لعالم مسحور

* من قصيدة فى ذكرى ميلاد الامام أمير المؤمنين (ع) .

لا ترى حوله سوى خفقات الخلد في نشوة الربيع النضير
وصلاة الحياة في معبد النور على مشرق الصباح القرير
وعناق الارواح والدين يحدوها الى الفجر في انطلاق المسير
هادئاً يبعث الحقيقة وحياً عبقرياً اصفى من البلور
ايها الناس وحد الحب نجواكم فسيروا الى اتحاد المسير
بين روح تقبل الجرح اشفاقاً وروح تزف وحي النور
فطريق النضال وعر اذا لم يملأ الحب أفقه بالزهور
وجرى الركب وانتخى النصر في كفيك زهواً بالقائد المنصور
واذا بالحياة تستقبل الفجر على ضوئه بوحي منير

* * *

يا امام الاسلام لم يعد الدين بأعماقنا انطلاق شعور
يلهب الشوط بالحياة ويقتاد السرايا الى النضال المرير
انه عاد باهتاً لا نرى فيه سوى خفقة النزاع الأخير
وهو وحي النضال في كل درب وهو نور الحياة في الديجور
وهو رمز الحقيقة البكر ان عدنا نغذي كياننا بالقشور
وهو تاريخ امة لم يحررها سوى زهو مجده المأثور
انه زورق الحياة الى الشاطىء ان دمدمت رياح الشرور
ويشد الخطى الهزيلة ان زلت بروح جياشة التفكير
انه لم يعد كما كان دفاقاً بوحي من النداء الطهور
واستثار الضباب آفاقه البيض بأنفاس عالم مخمور
فتنفس عليه بالنور وابعث في حناياه زغردات النشور
وانطلق في رحابه شعلة تضرى فنجتاح كبرياء القصور
لتعود الذرى الفساح كما كانت مع الدين ملعباً للنسور

* * *

وانا حسب خاطري روعة الذكرى وذوب السنا ونفح العبير

الآمال الجريحة

السيد محمد السيد علي

هل فات يومك ميعاد ومشوار ؟ … أرى تذيب رؤى عينيك افكار
على جبينك ظل ساهم أشر … يقتات من وهج الاحزان مكثار
أرى تكلكل في فوديك طافحة … في بهجة العمر اسرار ، واخبار
وفي فؤادك آمال محطمة . . … والقلب رغم الليالي السود فوار
وفي كتابك دمع تائه نزق … يموج فيه مع الايام تيار . . .
وفي سطورك انغام مبعثرة … لم يدر كيف يلم اللحن قيثار
وفي حديثك آلام مبرحة … وفي ضلوعك للاحداث اعصار
وانت في صخب الدنيا وثورتها … تبدد الفجر في نجواك اقدار

* * *

ماذا يهدك لا ليل توسده … في مقلتيك ، ولا صبح ، ولا ثار
ولا انتفاضة نجم في مضاربها … ولا ازدهار ، ولا عطر ، فيشتار
ولا ابتسامتك الزهراء عائدة … الى شفاهك لا نور ولا نار
سجت عليك من الارزاء نائبة … تهمي وفي شفق الاحلام تذكار
تؤوب من رحلة وعثاء مرهقة … بالاصبعين هما : الذل والعار
بالامس كنتم ومجد الشمس مطلعكم … يجول منكم على الاعداء مغوار
وصرتم وبحمد الله . . قادتنا . . … لا يستلين لكم في الضيم بتار
وسرتم وانين الزحف اغنية … سمت بها للمعالي الغر او تار
وكان فتح على الايام صولته … تمزق العمر ، وهو المجد والغار

ثم انكفأتم وسلمتم مكاسبكم   للقاعدين لهم في الوزر او زار
لم يشركوا في جحيم الحرب سيفهم   لكنهم في مجال النهب احرار

* * *

ماذا يقضك يا من كنت احسبه   يوم الكريهة منه الاسد تنهار
ذكرت امسك ، والاقدار ساخرة   وحولها من رفاق الامس سمار
ذكرت موطنك الغافي على شجن   وصبحه صاخب ، والليل اكدار
ذكرت مجدك مزهواً بجلوته   وعاصف الليل في بلواه هدار
تفجرت في سعير الليل حشرجة   وانتاب صبحك احداث واضرار
يا من ينام على ضيم وينعشه   بصمته ، وهو منه الروح يمتار
ارح ركابك لا فجر تغازله   ولا خيام بها يلقاك زوار
ارح ركابك شد الليل كلكله ..   والسير في الليل اهوال واخطار

* * *

يا تربة الوطن المحبوب طاف بها   من نفحة الله طول الدهر معطار
على محياك تاريخ لامتنا   وفي حناياك قلب المجد زءار
وفي ترابك ابائي يشرفهم   من الرسالة عنوان ، ومضمار
غذيت رملك من قلبي فما برحت   تضوع في روضك المعطاء ازهار
وفي شواطيك احلامي مطرزة   زرعتها وشغاف الفجر انوار
وفي نخيلك امالي معلقة   وفي سفوحك اطياف واسرار
وفي حقولك من حبي مباهجها   سنابل وحصاد الدمع اثمار
وفي جبالك عز من شوامخنا   سجت عليها مع الايام ادوار
ثلاثة من سنين العمر ابعدني   عنك الزمان وقلبي فيك موار
اجوب في هذه الدنيا ، ولا امل   لي غي سواك ، ولا ليل ، ولا دار
اعيش فيك معنى الفكر تيمه   منك البعاد ، واحباب ، وسمار
على الوفاء مقيم ، لا تزعزعني   في وقدة الضيم اقدار واسفار

المذاهب الإسلامية السبعة
ووجوب الاشهاد على الزواج والطلاق والرجعة
مقارنا بالقوانين الوضعية

السيد محمد بحر العلوم

تقـديم :

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على محمد وآله الطاهرين .

وبعد :

فنظراً الى الاختلاف الكبير الذي حصل في مسألة «الاشهاد» على النكاح ، والطلاق، والرجعة لدى المذاهب الاسلامية عامة ، فقد رغبت ان اتناول هذا البحث بشيء من التبسيط ، والمناقشة الموضوعية ، لعلنا نصل الى حقيقة المسألة ـ دون تحيز ـ لما لها من علاقة وطيدة بكياننا العائلي واهميتها بالنسبة لترتب الآثار عليها .

واتماماً للبحث رغبت ان اشير الى موقعها من القوانين الوضعية في البلاد الاسلامية . ومن أجل ذلك بذلت الجهد في التتبع والتحقيق سواء في المصادر الفقهية أو القانونية بغية الحصول على معلومات كافية في سبيل تقديم نتاج ناضج مختصر .

وأملي بالله سبحانه ان اكون قد وفقت فيما اصبو اليه ، ومنه وحده استمد العون .

أضواء وتعاريف

١ ـ الاشهاد والشاهد :

آ ـ لغة

الاشهاد : الابانة .

الشاهد : ـ كما يعرفه ابن سيده ـ هو : العالم الذى يبين ما علمه . وشهد له بكذا شهادة ـ أى ادى ما عنده من الشهادة فهو شاهد (١) .

ب ـ المصطلح الفقهى :

الاشهاد : «اخبار جازم عن حق لازم للغير من غير حاكم» .

الشاهد : «حامل الشهادة ، ومؤديها لانه مشاهد لما غاب عن غيره» .

وعلى ضوء ما ورد فى المصادر الفقهية انها : «اخبار الانسان فى مجلس القضاء بحق لغيره على غيره . والمخبر يسمى شاهداً ، والمخبر له يسمى مشهوداً ، والمخبر عنه يسمى مشهوداً عليه ، والحق يسمى مشهوداً به (٢) .

وللمجلة العراقية تعريف ، هو :

«الاخبار بلفظ الشهادة ، يعني بقوله : اشهد باثبات حق احد الذي هو فى ذمة الاخر فى حضور الحاكم ، وبمواجهة الخصمين» (٣) .

وعقب المرحوم سماحة الامام الحسين كاشف الغطاء على هذا التعريف بقوله:

« ان الشهادة لا تنحصر بقضية الحق فى الذمة ، بل تشمل الشهادة على الأعيان وغيرها، كذلك لا يعتبر فى تحقق معنى الشهادة حضور الحاكم، أو مواجهة الخصمين، وانما تلزم هذه الخصوصيات فى مقام اعتبارها فى الخصومة، وحكم الحاكم» .

(١) لسان العرب : ٢٢٥/٤

(٢) شرائع الاسلام : ٣٣٥ هامش ، وبدائع الصنائع : ٢٦٦/٦ ومغنى المحتاج ٤٢٦/٤ ومنتهى الارادات : ٦٤٧/٢ وشرح المجلة للمحاسنى : ٣٩٨/٣ المرافعات الشرعية للابيانى : ٩٨

(٣) المجلة العراقية مادة : ١٦٨٤ ، وكانت تصدر فى العراق فى العهد العثمانى وتتضمن الاحكام الشرعية ، وعلى الاغلب كانت تمثل الرأى الحنفى .

٢ ـ النكاح :

آ ـ لغة :

النكاح : الضم ، والجمع ، والتقابل . يقال : تناكحت الاشجار اذا تمايلت ، وانضم بعضها الى بعض . ونكح المطر الارض اذا اختلط في ثراها (١) .

ب ـ اصطلاحاً :

وقد ذهبت بعض المصادر الى ان للنكاح ثلاثة معان :

الاول : المعنى اللغوي : وهو الوطء والضم ، وقد تقدمت الاشارة اليه .

الثاني ـ المعنى الاصولي اوالشرعي ، وقد اختلف فيه العلماء الاعلام على ثلاثةاقوال:

١ ـ انه حقيقة في الوطء . مجاز في العقد . كالمعنى اللغوي من كل وجه .

٢ ـ حقيقة في العقد مجاز في الوطء ، عكس المعنى اللغوي .

٣ ـ انه مشترك لفظي بين العقد والوطء .

الثالث ـ المعنى الفقهي ـ الذى يراد به الوطء (٢) .

واذا لاحظنا تعاريف المذاهب في تحديد النكاح هل هو الوطء،او مجردالعقد، رأينا شيئاً من الاختلاف في ذلك ، كما سيتضح لنا ذلك فيما يلي :

الامامية ـ النكاح يطلق على العقد المخصوص ، والدخول ايضاً، واختلفوا فيه. فقيل: حقيقة في الدخول ، ومجاز في العقد ، وقيل : العكس (٣) .

قال العلامة الحلي :

النكاح : الوطء ، وقد يقال : العقد ، وهو يدل على غلبة استعماله في الاول .

قال الله تعالى : «يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن» (٤) وهو دليل على تناول النكاح للعقد بمجرده ، وقد ثبت في علم الاصول ان المجاز أولى من الاشتراك ، فان جعل مجازاً في العقد فهو من باب استعمال لفظ المسبب في السبب (٥) .

---

(١) تاج العروس : ٢٤٣/٢
(٢) الفقه على المذاهب الاربعة : ١/٤ ـ ٣ وهامش ١ ص ٢
(٣) اللمعة الدمشقية : ٥١/٢ هامش
(٤) الاحزاب آية ٤٩
(٥) تذكرة الفقهاء : ٥٦٥/٢

الحنفية ـ هو «عبارة عن ضم وجمع مخصوص ، وهو الوطء ، لان الزوجين حالة الوطء يجتمعان ، وينضم كل واحد الى صاحبه حتى يصير كالشخص الواحد .

وقد يستعمل فى العقد مجازاً لما انه يؤول الى الضم،وانما هو حقيقة فى الوطء فمتى اطلق النكاح فى الشرع يراد به الوطء (١) .

الشافعية : هو «حقيقة شرعية فى العقد ، مجاز فى الوطء» (٢) .

وفى بعض المصادر تفصيل ، فبعضهم يقول : انه عقد يتضمن ملك الوطء بلفظ انكاح ، أو تزويج ، او معناهما .

وبعضهم يرى : انه يتضمن اباحة الوطء، فهو عقد اباحة لا عقد تمليك(٣) .

المالكية ـ هو «حقيقة التداخل، ويطلق فى الشرع على العقد والوطء، وأكثراستعماله فى العقد ، والصحيح انه لا يطلق على الصداق .

وأما اطلاقه على العقد . فقيل : حقيقة . والصحيح انه مجاز (٤) .

وفى مصدر آخر تصريح على العقد يقول : انه «عقد على مجرد متعة التلذذ بآدمية غير موجب قيمتها ببينة قبله » (٥) .

الحنابلة ـ هو «عقد التزويج ، فعند اطلاق لفظه ينصرف اليه ما لم يصرفه عنه دليل. وقال القاضى : الاشبه باصلنا انه حقيقة فى العقد والوطء جميعاً، لقولنا بتحريم موطوءة الاب من غير تزويج لدخوله فىقوله تعالى: «ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء»(٦).

وقيل : بل هو حقيقة فى الوطء ، مجاز فى العقد .

والصحيح ما قلنا : لان الاشهر استعمال لفظ النكاح بازاء العقد فى الكتاب والسنة ، ولسان اهل العرف .

وقد قيل : ليس فى الكتاب لفظ نكاح بمعنى الوطء الا قوله : «حتى تنكح

---

(١) الاختيار شرح المختار : ١٤٤/٢

(٢) حاشية الباجورى على شرح ابى قاسم العزى على متن أبى شجاع : ١٥١/٢

(٣) الفقه على المذاهب الاربعة : ١/٤ ـ ٢

(٤) مواهب الجليل : ٣ـ٤٠٣

(٥) الفقه على المذاهب الاربعة : ٢/٤

(٦) المصدر المتقدم

زوجاً غيره» (١) .

والذي نستفيده من خلال هذه التعاريف ان النكاح هو العقد المخصوص دون شرط الوطء ، كما هو واضح من الاية الكريمة (يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ، ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن) ، والـذي عليـه اغلـب ـ المذاهب الاسلامية .

ولا مانع ان اصبح بالاستعمال مشتركاً لفظياً بين العقد والوطء ، كما صرح بذلك اعلام الشيعة : « يطلق ـ النـكاح ـ على العقـد المخصوص ، والدخول ايضاً » (٢) .

٣ ـ الطلاق :

آ ـ لغة : طلاق المرأة بينونتها عن زوجها . وطلاق النساء لمعنيين :

١ ـ حل عقدة النكاح .

٢ ـ بمعنى التخلية والارسال (٣) .

المصطلح الفقهي : فقد جاء في تعاريف المذاهب كما يلي :

الامامية ـ انه «ازالة قيد النكاح بغير عوض بصيغة طالق» (٤) .

والحقت بعض المصادر الامامية بالتعريف المشار اليه قولها : «او ما في معناه » (٥) .

الحنفية ـ انه «رفع قيد النكاح بلفظ مخصوص»او«عبارة عن المعنى الموضوع لحل عقدة النكاح» (٦) .

---

(١) المغني : ٤٧٨/٦
(٢) اللمعة الدمشقية : ٥١/٢ هامش
(٣) لسان العرب : ٩٥/١٢ ـ ٩٦
(٤) اللمعة : ١٢٦/٢
(٥) الرياض : ٢/ بحث الطلاق
(٦) شرح ابن عابدين : /٥٧٠

الشافعية ـ «حل عقد النكاح بلفظ الطلاق ونحوه» (١) .

الحنابلة ـ «تحريم بعد تحليل كالنكاح تحليلا بعد تحريم» (٢) .

الزيدية ـ «اللفظ المزيل لعقد النكاح من غير فسخ ، او ما في حكمه» (٣)

والتعاريف ـ كما نراها ـ متقاربة مفهوماً ، لو لا اغفال ذكر الصيغة في تعريفها مع اقتضاء الذكر .

٤ ـ الرجعة :

آ ـ لغة ـ تفتح راؤها ، وتكسر على المرة والحالة . وهي ارتجاع الزوجة لمطلقة غير البائنة الى النكاح من غير استئناف عقد (٤) .

ب ـ فقهاً ـ وهي لدى الفقهاء :

الامامية ـ «رد المرأة الى النكاح السابق من غير طلاق بائن في العدة (٥) .

الشافعية ـ «رد المرأه الى النكاح من طلاق غير بائن في العدة» (٦) .

الحنفية ـ «هي ابقاء الملك القائم بلا عوض في العدة» (٧) .

الحنابلة ـ «اعادة مطلقة غير بائن الى ما كانت عليه بغير عقد» (٨) .

المالكية ـ «عودة الزوجة المطلقة للعصمة من غير تجديد عقد» (٩) .

---

(١) مغني المحتاج : ٣ / ٢٧٩

(٢) الانصاف : ٨ / ٤٢٩

(٣) البحر الزخار : ٣ / ١٥٠

(٤) لسان العرب : ٨ / ١١٩

(٥) الرياض : ج ٢ كتاب الطلاق .

(٦) الفقه على المذاهب الاربعة : ٤ / ٤٢٩

(٧) الفقه على المذاهب الاربعة ٤ / ٤٢٨

(٨) المصدر المتقدم : ٤ / ٤٢٩

(٩) المصدر المتقدم : ٤ / ٤٢٩

وتكاد التعاريف تتفق في اركان التعريف التي يجب ان تتوفر فى المرتجع بها ، وهي :

١ ـ ان لا تكون مطلقة طلاقاً بائناً .

٢ ـ وان تكون في العدة .

الاشهاد على النكاح :

من المواضيع التي كثر النقاش فيها، واختلف حولها ائمة المسلمين وفقهاؤهم موضوع «الاشهاد على النكاح» .

فالامامية ، يذهبون الى مندوبية الشهادة في عقد النكاح ويؤيدهم عدد من اعلام المذاهب الاسلامية ، بينما يرى القسم الاخر من علماء المسلمين وجوبه .

ودعم كل فريق رأيه بادلة نقلية ، وعقلية . .

ومن اجل الوقوف على حقيقة الامر لابد ان نستعرض اقوال المثبتين والنافين وادلتهم ، لنتمكن من اعطاء الرأي فيها بصورة موضوعية .

١ ـ وجوب الاشهاد :

اتفق ابوحنيفة ، والشافعي ، واحمد ـ في احد قوليه ـ وابن حزم والمهدي الزيدي . على ان النكاح لا ينعقد الا بالشهادة .

غير ان اباحنيفة لم يشترط العدالة ، والذكورية في الشاهد ـ كما هو الشرط عند الائمة المشار اليهم ـ .

وجوز ابوحنيفة انعقاد النكاح بشهادة فاسقين، او شاهد وامراتين (١) ، اعمين أو محدودين في قذف .

---

(١) ذكر قول لاحمد يذهب الى انعقاد الشهادة من رجل وامرأة . راجع : (التذكرة للعلامة الحلي : *كتاب النكاح ، احكام الخطبة : ٢٥/ ٥٧١*

وعلل بأن صحة شهادة الفاسقين باعتبارها حالـة تحمل فتصح من الناس ، كسائر التحملات (١) .

اما مالك فقد ذكر عنه قولان :

احدهما ـ ان الاشهاد ليس بشرط في النكاح ، انما الاعلان شرط ، فلو اعلنوا بحضرة الصبيان والمجانين صح النكاح .

فشرطه ترك التواطيء بالكتمان. فان تواصوا بالكتمان بطل،وان حضره الشهود وان لم يتواصوا بالكتمان صح ، وان لم يكن شهود . هكذا حكاه الابهري .

ويستند مالك الى حديث نبوي نصه : «اعلنوا النكاح ولو بالدف» (٢) ومفاد الحديث واضح في طلب الاعلان وليس الاشهاد .

ثانيهما ـ ان الشهادة ضرورية ، لابد منها ، ولكن عند الدخول ، فلا يلزم ان يحضر الشهود عند العقد ، بل يندب ذلك . فاذا قال الولي : زوجتك فلانة وقـال الزوج : قبلت . انعقد النكاح ، وان لم يحضر احد .

ولكن يجب ان يحضر شاهدان عدلان عند الدخول بها ، فان دخل عليها من غير شاهدين فسخ النكاح بطلقة ، لانه عقد صحيح ، فيكون فسخه طلاقاً بائناً (٣) .

اما الزيدية : فقد رووا عن زيد بن علي (ع) انه قال : «لانكاح الا بولي وشاهدين» (٤) .

---

(١) المصدر المتقدم : ٢/ ٥٧١

(٢) المبسوط : ٥/ ٣٠ ـ ٣١ ورحمة الامة : ٢٠٦

(٣) الفقه على المذاهب الاربعة : ٤/ ٢٣

(٤) مسند الامام زيد : ٣٠٤

أدلة الذاهبين الى الوجوب :

واصحاب هذا الرأي استندوا في صحة قولهم الى جملة من ادلـة الأثبات نعرضها بايجاز :

١ ـ السنة :

فقد رويت عن الرسول الاعظم (ص) عدة احاديث يستفاد منها رأيهم .

آ ـ ما روى عن عائشة عن الرسول الأعظم (ص) ، و هي ما رواها ابن حيان والدارقطني ، وابن حزم ، وهى :

١ ـ «لا نكاح الا بولي وشاهدي عدل» . (١)

(٢) «لابد في النكاح من اربعة : «الولي ، والزوج ، والشاهدان» (٢) .

(٣) «أيما امرأة نكحت بغير اذن وليها ، وشاهدي عدل،فنكاحها باطل» (٣) .

ب ـ ما روي عن ابن‌عباس ان النبي (ص) قال: «البغايا اللاتي ينكحن إنفسهن بغير بينة »(٤) .

وما نقل عنه (ص) انه قال : «كل نكاح لم يحضره اربعة فهو سفاح : خاطب ، وولي وشاهدان» (٥) .

ج ـ ما روي عن عمران بن‌حصين«لانكاح الابولي رشيد،وشاهدين عدلين» (٦).

---

١ ـ مغنى المحتاج : ١٤٤/٣
٢ ـ المغنى : ٤٥١/٦
٣ ـ المحلى : ٤٦٥/٩
٤ ـ المنتقى من اخبار المصطفى : ٥١٢/٢
٥ ـ المبسوط : ٣٠/٥ ـ ٣١
٦ ـ التذكرة : ٥٧١/٢

ومن قوله (ص) : «لانكاح الا بشهود» ، وقوله : «لابد في النـكاح من اربعة» وامثالها والنفي في ذلك نفي الصحة ، كما فسرت ذلك كلمة «لا بد» .

٢ ـ آراء الصحابة :

فقد روى هذا القول عن : علي (ع) ، وعمر ، وعائشة ، واليه ذهب الشعبي والنخعي ، والاوزاعي ، والثوري ، والحسن البصري (١) .

ورد عمر نكاحاً لم يشهد عليه الا رجل وامرأة ، وقال : هذا نكاح السر ، ولا اجيزه ولو تقدمت لرجمت (٢) .

٣ ـ الاستحسان :

بتقريب ان عقد الزواج يتعلق به حق غير المتعاقدين ، وهو الولد ، فاشترطت الشهادة فيه لئلا يجحده ابوه فيضيع نسبه (٣) .

٤ ـ سد الذرائع :

وذلك لان المقصود من الشرط هو الاظهار شرعا ـ للاحتياط ، وصيانة الانكحة والنسب عن الانكار ـ وبشهادة شاهدين يتحقق ذلك ، ولا يبقى سراً (٤) .

هذه هي ملخص ادلتهم .

مندوبية الاشهاد :

ذهب الامامية الى ان الاشهاد ليس شرطاً في صحة العقد، وانه يتم العقد بدونه، ويصح الدخول .

ولاحمد بن حنبل ، ومالك، وابن ابي ليلى ، وعثمان البتي قول في عدم اشتراط

---

١ ـ المغنى : ٦/٤٥٠ ، الخلاف : ٢/١٤٥
٢ ـ التذكرة : كتاب النكاح ، احكام الخطبة : ٢/٥٧١
٣ ـ الزواج والطلاق في الاسلام : ٥٤
٤ ـ المبسوط : ٥/٣١

الشهادة ، وانما يكتفى بالاعلان ، وعندهم هو الشرط في صحة النكاح (١) .

وعن بعض المصادر الفقهية : ان الامام الحسن بن علي (ع)، وابن عمر، وابن الزبير ، وسالم وحمزة ابنا عمر ، اجروا نكاحاً بدون اشهاد .

وذهب الى هذا الرأي امثال : عبد الله بن ادريس ، والعنبرى ، وعبدالرحمن بن مهدي ، والزهري ، و داود الظاهري (٢) .

وبه صرح ابو ثور وجماعة من الاعلام بانه « ليس الشهود من شرط النكاح : لا شرط صحة ، ولا شرط تمام» (٣) .

وقال ابن المنذر : «لا يثبت في الشاهدين في النكاح خبر ، وقد اعتق النبي صلى الله عليه وآله صفية ابنة حي فتزوجها بغير شهود» (٤) .

وروى يزيد بن هارون انه ، «امر الله تعالى بالاشهاد في البيع دون النكاح ، فاشترط اصحاب الرأي الشهادة للنكاح ، ولم يشترطوا للبيع» (٥) .

واوضحت بعض المصادر الفقهية هذا الرأي بقولها : «واحتجوا لذلك بان البيوع التي ذكرها الله تعالى فيها الاشهاد عند العقد ، وقد قامت الدلالة بان ذلك ليس من فرائض البيوع . والنكاح الذي لم يذكر الله تعالى فيه الاشهاد احرى بأن لا يكون الاشهاد فيه من شروطه وفرائضه ، وانما الغرض الاعلان والظهور لحفظ الانساب » (٦) .

أدلة القائلين بالندب :

ويمكن ان نستدل للامامية على عدم وجوب الاشهاد فى النكاح بما يلي :

---

١ ـ الانصاف فى معرفة الراجح من الخلاف : ١٠٢/٨ والمبسوط : ٣٠/٥
٢ ـ التذكرة : ٥٧١/٢ والمغنى : ٤٥١/٦
٣ ـ بداية المجتهد : ١٩/٢
٤ ـ المغنى : ٤٥١/٦
٥ ـ المصدر المتقدم
٦ ـ فقه السنة : ٥٦/٢ هـ ١

ظواهر الكتاب: حيث وردت (فانكحوا وانكحوا)مطلقة بلا تقييد، ولم
الاشهاد فيالنكاح،كما ذكر الشهادة في البيع والدين،مع ان الحكم في
النكاح اكثر اهمية لما فية منحفظ النسب،وزوال التهم، والتوارث وغير
ابع النكاح .

ؤان الاشهاد فيه شرطاً لما اهمله الله تعالى في القرآن، لانه مناف للحكمة
اشتراط ما ليس بشرط فيه .

. السنة

ما روى عن الرسول الاعظم :

ـ «روى سهل بن سعد الساعدي : ان امرأة اتت النبي (ص) فقالت : يا
رهبت نفسي منك . فقال لي : مالي اليوم بالنساء حاجة . وذكر الحديث
زوجتكها بما معك من القرآن، ومعلوم انه لم يكن شهود» (١).

.روي ان جحش بن رباب من بني اسد خطب الى رسول الله آمنة بنت
، فزوجه اياها، ولم يشهد (٢).

ـ وعن مالك بن انس قال : «ان رسول الله (ص) اشترى جارية بسبعة
ل الناس : ما ندري أتزوجها رسول الله (ص)، أم جعلها أم ولد ؟ فلما
كب حجبها، فعلموا انه تزوجها (٣).

هذه الروايات التي نقلت عن الرسول (ص) لم نحصل على نص يفيد
هاد .

ا روى عن أهل البيت (ع) :

.روى محمد بن مسلم عن الامام الباقر (ع) قال : «انما جعلت البينة في
جل المواريث» .

رة النور الاية ٣٢
.روايتان عن الخلاف للطوسى : ٢/١٤٥
مغنى : ٦/٤٥١

٢ ـ روى مسلم بن بشير عن ابي جعفر الباقر (ع) انه قال : بعد ان سئل عن رجل تزوج امرأة ولم يشهد ـ «اما فيما بينه وبين الله عز وجل ، فليس عليه شيىء ، ولكن ان اخذه سلطان جائر عاقبه» (١) .

٣ ـ وعن زرارة انه سئل الأمام الصادق (ع) عن رجل تزوج بغير شهود قال : «لا بأس بالتزويج البتة (٢) ، بغير شهود فيما بينه وبين الله تعالى» (٣) .

(٤) ـ وعن محمد بن الفضل ان ابا الحسن الأمام موسى (ع) قال لابي يوسف القاضي:«ان الله تبارك وتعالى امر في كتابه بالطلاق ، ووكدفيه بشاهدين، ولم يرض بها الا بعدلين ، و امر في كتابه بالتزويج فأهمله ، بلا شهود . فأتيتم شاهدين فيما اهمل ، وأبطلتم الشاهدين فيما اكد» (٤) .

وقول أئمتنا عليهم السلام ـ كما هو رأينا ـ هو في واقعه قول الرسول الاعظم (ص) لتصريحهم بذلك ، و هم الصادقون .

ثالثاً ـ الاجماع :

اجمععلماء : الامامية على ان الاشهاد ليس شرطاً في عقد النكاح ولم يعرف منهم مخالف .

وأخيراً مقتضى الاصل ذلك

اذ مع الشك بالظواهر المذكورة ، فان الاصل عدم الاشهاد .

الموازنة :

مرت علينا ادلة الطرفين ، وفي صدد الموازنة بينها نرى :

١ ـ ان ادلة الامامية تستند ـ أولما تستند ـ على اطلاقات الكتاب، فقد ورد للنكاح

---

١ ـ الروايتان عن الحدائق : ج٦ ، كتاب النكاح

٢ ـ المقصود بـ(البتة) هنا يعنى النكاح الدائم ، ويقال : هذا اللفظ لكل امر لارجعة فيه. راجع : (الحدائق : ج ٦ كتاب النكاح) .

٣ ـ مستند الشيعة : ج٦ كتابالنكاح.

٤ ـ الحدائق : ج٦ كتاب النكاح .

واحكامه ذكر فيه ، ولم يرد للاشهادشرط ، وهو دليل على عدم ارادته ولو اراده لذكره ، استناداً لمقدمات الحكمة.

ويؤيد ذلك مبنى ابي حنيفة من ان كل زيادة في القرآن توجب النسخ فلو زادت الشهادة لكان ذلك نسخاً للكتاب ، والكتابلا ينسخ بأخبار الاحاد (١).

كما يؤيده ان الله تعالى ذكر الكثير من العقود في الكتاب ، كالبيع والدين والنكاح . ونص على الأشهاد فيهما ، ولم ينص عليه فى النكاح ، مما يدل على عدم اعتباره فيه .

وفى هذا الصدد قال يزيد بن هارون : «امر الله تعالى بالاشهاد فى البيع دون النكاح ، فاشترط اصحاب الرأي الشهادة للنكاح . ولم يشترطوا للبيع» (٢) .

٢ ـ ان بعض الروايات التي يستند عليها القائلون بالوجوب فى اسنادها مجاهيل ،كما فى قوله (ص) : « لانكاح الا بشاهدي عدل ، وولي مرشد» ، فقد قال ابن رشد فى صدد هذا الحديث «هذا الحديث قد روي مرفوعاً، ذكره الدارقطني ، وذكر ان فى سنده مجاهيل» (٣) .

وقال ابن عبد البر في حديث : «لانكاح الا بولي وشاهدين عدلين» من حديث ابن عباس ، وابي هريرة، وابن عمر ، الا أن في نقل ذلك ضعفا ، فلم اذكره ،»(٤).

٣ ـ ان فعل عمر ـ في رد نكاح لم يشهد عليه بأنه نكاح سر لا اجيزه . . ليس بحجة .

٤ ـ ان ما رواه عمران بن حصين لم يستفد منه أن الحديث عن الرسول(ص) واذا كان كذلك ، فلا يمكن اعتبار روايته كمصدر تشريع .

٥ ـ فان قيل : ان المراد من هذه الاية «وانكحوا الايامى منكم» وامثالها هو

---

١ ـ الانتصار : ٦٦

٢ ـ المغنى : ٦/٤٥١

٣ ـ بداية المجتهد : ٢/١٩

٤ ـ المغنى : ٦/٤٥١

العقد على النساء ، والأشهاد شرط في صحة العقد .

قلنا : ان الايات القرآنية التي في هذا الصدد يستفاد منها الأذن بزواج النساء الجاهزات للتزويج باسلوب يقع به التحليل والاباحة ، وليس فيها ما يستفاد منها عناصر العقد ، وهو الايجاب ، والقبول ، و غيرهما من شرائطه .

على ان مقتضى الجمع بين ما دل على اعتبار الاشهاد ـ لو تمت دلالته،وسلمت اسانيده ـ ، وما دل على العدم هو الحمل على الاستحباب .

ولهذا نرى ان ما ذهبت اليه الأمامية هو الذي يقتضيه الجمع بين الأدلة على اختلافها .

« عش المودّة »

«ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون»

اخترنا لك

مع الدكتور احمد امين

حديث المهدي والمهدوية

*

تأليف : الشيخ محمد امين زين الدين ـ النجف

عرض وتلخيص : محمد علي الريحاني

تمر علينا ـ قارئي العزيز ـ ذكرى ولادة الامام المنتظر العظيم (ع) ، في الخامس عشر من شهر شعبان المبارك ، فتبعث فينا كل ما في انتظاره (ع) من معطيات وطاقات تدفع الانسان المنتظر لطلعته الكريم نحو اعداد نفسه اعداداً اسلامياً عالياً ، ليكون مؤهلا تماماً للانخراط في سلك الثلة التي ستنشر الاسلام خفاقاً على ربوع الأرض.

ونحن بهذه المناسبة ، اذ نهنىء العالم الاسلامي بالمولود الميمون ، نقدم له موجزاً عن هذا الكتاب الشيق ، الذي ألف بعد تلك المزاعم التي رددها الدكتور احمد امين ، حول هذه الشخصية الجليلة ، في كتابه (المهدي والمهدوية) ويمتاز الكتاب بأسلوبه الممتع ، واخلاقيته العالية ، وأدلته المحكمة .

---

* باللغة العربية، القطع الصغير : في ١٠١ صفحة ، طبع في مطبعة دار النشر والتأليف في النجف .

المصلح المنتظر في أحاديث الاديان : يشير المؤلف هنا الى رسوخ هذه الفكرة في الأديان السماوية، وتعديها الى غيرها ، كالزردشتية ، ممايؤكد انها ليست وليدة الضغط الشديد على الشيعة ـ كما يؤكد الدكتور ـ .

فان النبي (ص) ـ باحاديثه الشريفة ـ يعتبر اشد المبشرين بها ، لانها ثمرة كامله لغرسه ـ بعد ان احال الاسلام مجييء دين آخر بعده .

وهكذا يكون التواتر محققاً ، يعتمد عليه العقلاء ، ولا يصح ان توصف الأمم جميعاً بالتواطؤ على الكذب ، ولا يجعلها كاذبة مجرد موافقة اخبارها لميول الناس او كونها تخبر عن المستقبل .

كما لا معنى لنقد الاخبار المتواترة عن النبي (ص) ، من حيث السند اذ لا يشترط في الأخبار المتواترة صحة السند عند الذين يعقلون ـ على انه ما اكثر الاخبار الصحيحة السند في هذا الموضوع .

وتواترها واضح لا غبار عليه ، شهد له ابن خلدون ـ وهو في معرض نقدها متغافلا عما في محاولته من تناقض . فهذه اربعون حديثا خرجها الحافظ ابو نعيم في كتابه (ذكر نعت المهدي) ورواها الاربلي في (كشف الغمة). وهذه ثمانية وثلاثون ذكرها ابن خلدون نفسه في مقدمتة ، وتلك سبعون خرجها الحافظ الكنجي في البيان وقد روي صاحب (كشف المخفي) مائة وعشرة احاديث ـ وكل الرواة من رجال المذاهب الاربعة .

ولو اضفنا الى هذه، الاعداد الصغيرة التي يذكرها المحدثون في مختلف ابواب الحديث لاصبح العدد ضخماً جداً .

ويشهد بالتواتر (الحافظ الكنجي) و(ابو الحسين الآبري) و (السيد الشبلنجي) و (زيني دحلان) و (السيد البرزنجي) و (السيد جمال الدين الشيرازي) نقله عن اكثر اهل الرواية و (احمد بن محمد بن الصديق) و (الأمام الشوكاني) ولقد شهد الدكتور لصحيحي البخاري ومسلم بالفخار لانهما لم يرويا منها شيئاً ولو بحث لعلم انهما خرجا بعضها كما خرجه الاخرون .

ثم يقول المؤلف (ومن الاحصاء المتقدم نعلم مقدار الجهد الذي بذله ابن حجر

لاحصاء روايات المهدي حين وجدها نحو الخمسين ، ونعلم ايضاً ان لفظة المهدي ولفظة المنتظر ليستا من مؤسسات الشيعة ، ولا من مخترعات المختار بن ابي عبيد ـ كما يراه الدكتور ـ وهذارأى قد لا يوافقه عليه ابن خلدون ، ولكن الدكتور يحاول ان يخضع الحقائق لرأيه الخاص ثم ليعتذر عما يقول بأنه من المؤرخين وان الفرق واضح بين باحث يبحث المسائل من حيث تاريخها ، وبين داع يخطب فى تأييد مذهب او نقده . على ان التأريخ يأبى له هذا الاستنتاج ايضاً . . . (والناظر فى الصحيفة المتقدمة من كتاب المهدي والمهدوية ، يقرأ فيها تهمة جريئة يوجهها الاستاذ الى حفاظ السنة واكابر المنقول من رجال الصحاح والجوامع) (١) .

والنتيجة ان اخبار المهدي متواترة .على ان الشيعة لم تعتمد على مجرد التواتر فى القضية ـ كما سنرى .

المهدى فى ديوان الخلفاء :

تساؤل يطرحه المؤلف :

لماذا اختصت الشيعة بالقول بالامامة؟ أليس الامام هو الحاكم؟ ثم أليس الحاكم ضرورة حياتية يتوقف عليها بقاء المجتمع؟ فلابد اذن ان يكون الخلاف فى الشرائط.

انها تقول (الامامة خلافة النبوة) فيشترط فيها ما يشترط فى النبوة سوى الوحي.

فالامة رأت قائدها فى الصباح كذلك وتريد ان ترى قائدها ايضاً كذلك فى المساء والا حدثت الفجوة الكبرى وعليه :

١ ـ بعد انقطاع الوحي بوفاة القائد الاول سيبقى الثاني حافظ شريعة وحارس نظام ومتمم عملية كبرى . . وهذا لايتأتى الا ان يكون عالماً بدقائق التشريع ـ وكيف يحفظ من لا يعلم ؟ ! ولا يكفي ان يعلمها باجتهاد او تقليد ، لان المجتهد ـ فضلا عن المقلد ـ لا تجب اطاعته على المجتهدين او مقلديهم ـ والامام واجب الطاعة على الجميع بلا استثناء .

---

(١) ص ٢٢ .

ولكن ما هو طريق العلم اذن ؟

الدكتور يستكثر ـ وحتى لو قام الدليل ـ القول بالالهام ، والله اوحى الى النحل ما تفعل ! !

ويستكثران يحتفظوا ببعض مخلفات الوحي للمستقبل ـ بل قد يستكثرها على الوحي نفسه ـ والله تعالى يقول (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً الا من ارتضى من رسول) .

٢ ـ لما كان القائد الاول يحتاج الى قوة تؤهله لحمل امانة السماء وتسهل للمدعوين طريق القبول ـ وهي العصمة ، وبدونها : لا تحصل الثقة ويقع التناقض بين القول والعمل ، بل يكون صدور الخطايا منه سبباً لحصول التناقض فى احكام الله بحكم وجوب اتباع الامام .

ويجب بدون العصمة وامكان صدور الخطايا ـ رد شهادته ـ والعياذ بالله ـ الى غير ذلك مما تقيمه الشيعة دليلا على عصمة الانبياء .

بل قد احصى العلامة الحلي(رحمه الله) ألفي دليل على عصمة الامام(ع) فكيف بعصمه النبي (ص) ؟

بعد هذه الأدلة تكون العقيدة راسخة يقينية يرد كل حديث يضادها وتؤول كل آية يفهم منها ما يخالفها .

ويستند الدكتور فى عدم العصمة الى حديثين شريفين الاول ورد فيه (فاني اتوب اليه فى اليوم مائة مرة) ، الثاني ورد فيه (انه ليغان على قلبي) ولو فسرناهما بمثل ما فسرهما الدكتور فلا يمكن تصور الأمر فى غير المستهترين من الناس . . فلابد من رد الحديثين مع عدم صحة السند ومعها فلابد من التأويل .

والحقيقة اننا نجد ان بعض الأخبار تنسب الى الانبياء المخلصين خلافاً لصريح القرآن ـ كثيراً من الجرائم فهل يمكن ان تكون اساساً لبناء عقائدي لمجتمع يسير وفق هدى الله ؟

فالنبي يجب ان يكون معصوماً وكذلك الامام لتكافؤهما فى المهمة باستثناء الوحي، والامام واجب الاتباع بنص الكتاب وقطعي السنة ولو لم يكن معصوماً

كانت طاعته نقضاً للغرض ،وخفي عليه الكثير فلا يكون حافظاً للشريعة، ومع احتماله الخطأ في نفسه وجب عليه اتباع غيره ، وان اتبع غيره سقط وجوب اتباعه على الناس لقوله تعالى « أفمن يهدى الى الحق احق ان يتبع ام من لا يهدّى الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون » .

وسواء اكان وجوب نصب الامام عقلياً او سمعياً فالنتيجة واحدة . . .

ويوم تخلى المسلمون عن اتباع احكام الاسلام الصافية اتي جمعهم وبدأت البدع.

ثم يقول المؤلف انه لن يضير فكرة المهدي أن ادعاها كثير من الكذابين ثم يتحدث عن تعيين الامام وبيد من يكون ؟

وينتقل للتهمة التي رددها الدكتور كغيره بأن الشيعة نتيجة تناقضات الظروف تحولوا الى حزب سياسي سري مهمته الاغتيال وتعلته فى فكرة المهدي المنتظر(ع).

والقاء نظرة بسيطة على تاريخ الائمة ـ بلا تعصب ـ يدحض هذا الرأي(١) .

فليس هناك من امام تزعم حركة ضد الحكم الا الامام الحسين (ع)، وهل بقي مفكر يجهل حقيقة المعركة الخالدة ومبرراتها ونتائجها فى تعديل مسيرة الأمة ؟ !

ان الذي هد تلك العروش هو بناؤها على اسس ظالمة

اما دعوى نشر الفرس للتشيع ـ كمبدأ غريب ـ فغريبة جداً ! فى حين ان التشيع لم ينتشر بمفاهيمه المحددة فى بلادهم الا فى زمان السلطان المغولي محمد خدابنده.

واخيراً يعرض تهمة تحول فكرة التفويض الالهي للاكاسرة وابنائهم الى فكرة الامامة عند الشيعة ، ويتساءل عن علاقتها برأيهم في وجوب تعيين الامام من قبل الله تعالى على لسان النبي (ص) .

كل هذه التهم كيف يمكن جمعها مع الاية المباركة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » . ومع حديث الثقلين وقد رواه مائة وعشرون صحابياً ، أليس يعني عصمتهم، واحاطتهم، وخلود سلسلتهم حتى يردا «الكتاب واهل البيت» على النبى (ص) الحوض .

---

(١) دفع هذه التهمة لا يعنى البتة ان الائمة لم يكونوا ليتركوا مواصلة عملية التربية لمركزة لطبقة واعية تحمل على اكتافها عبء الدعوة الى الله وهم الذين سموا بالشيعة .

والمهدي (ع) صفة لخاتم هؤلاء الامناء فلا بد وان يكون موجوداً ان ظاهراً وان مستوراً .

هؤلاء اهل البيت في الكتاب والسنة أما في التاريخ فهم الوجود المقدس المضحي وفي نظر الامام الشافعي هم كما يقول :

ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم　　مذاهبهم في ابحر الغي والجهل
ركبت على اسم الله في سفن النجا　　وهم اهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وامسكت حبل الله وهو ولاؤهم　　كما امرنا بالتمسك بالحبل ـ

اما اهل البيت في نظر احمد امين فأنهم : (يختفون عن الاعين ويرتكبون ما يرتكبون من الاثم . . ! ! !) هل من المنطق هذا القول ؟

هل يحمل اهل البيت ما يرتكبه بعض ادعياء الامامة او ادعياء التشيع كالقرامطة ؟ أمن العدل هذا التحميل ايها القاريء العزيز؟ ان احاديث (الاثني عشر خليفة او أميراً) تعينهم تماماً فان حتم الدليل في النهاية وجود المهدي(ع) وبقاءه لانه الخاتمة ، واذا اثبت القرآن عصمته فليكن ظاهراً وليكن مستوراً اذا حتمت عليه الظروف ذلك .

مع الناقـدين :

الشيىء الذي يفقـده الدكتور في نقده هو خاصية النقـد ، كما يلاحظ ذلك من كل كتاباته .

فها هو يوجه لفكرة المهدي (ع) صنفين من النقد :

آ ـ ما يتعلق بنفس الفكرة　ب ـ ما يتعلق بشؤونها .

اما في الصنف الاول : فهو اولا يشيد بالعقل ويدعو لتحكيمه في فكرة المهدي وهو منصف في ذلك فنحن اذا تيقنا بشيىء او ّلنا حتى ظاهر الاية ولنضرب مثلا على ذلك فكرة التجسيم .

هذا ما نفهمه من العقل . . اما مشتهيات النفوس فهذا ما لا يحكمه منصف لجرح الاخبار او تعديلها . انما هو سنة الطفولة اذ لا تصدق الا ما تألف .

واحاديث المهدي ـ في نظره ـ تخالف العقل لانها تبتني على فكرتين :

الاولى : عصمة الامام ، وهو نقد يوجهه للقرآن اذ يشهد بالتطهير كما سبق .

الثانية : حياته الطويلة وهو نقد يوجهه للقرآن ايضاً اذ اخبر عن نوح (ع) واخبر عن عمر ابليس وانه من المنظرين ، وعن المسيح وان اهل الكتاب لا بد وان يؤمنوا به قبل موته .

ثم يستعرض المؤلف ما ينقله التاريخ من قصص المعمرين . ولقد تحدثت الصحاح عن عمر الدجال .

اما العلم الحديث : فحسب الدكتور ان يطلع على شيىء من نتائجه ليتضح له خلاف ما يريد (١) .

ثم يقول الدكتور : (وأصبح لا يجوز على العقول امام مختف) .

ولكن من أين اشترطنا في الامام الظهور ؟ وأي عقل لا يجوز الاختفاء لمصلحة ؟ ثم ألم يغب موسى (ع) ، ويحتجب يونس (ع) ، ويختفي (ص) فى الشعب ؟ ولا فرق في مدة الغيبة اذا اقتضت المصلحة .

والقرآن يخبرنا ان المسيح (ع) غاب قبل المهدي (ع) بتسعة قرون ، فأي سبب معقول يحرم على الامام تأجيل دعوته الى الغد ، اذا كان يطلب في كل مكان، وهذا تاريخ أهل البيت الدامي يستصرخ الضمائر أن تعترف بالواقع .

على ان النهضة ــ أية نهضة ــ تحتاج الى عملية اعداد مسبقة قد تطول فكيف بالنهضة التي تريد أن تملأ الارض قسطاً وعدلا ؟ وذلك اليوم آت لا ريب فيه ، حيث تبلغ البشرية ذروة العدل ، بعد أن قاربت ذروة التكامل المادي .

ثم ينتقد الدكتور فكرة تحديد زمان لخروجه (ع) ، ونحن معه في ذلك ، ونعتبر حساب الجمل وغيره من المزخرفات . ولكن لا ندري من أين استقى فكرة كونه (ع) يحرك أتباعه من وراء الغيب ليعملوا على ازالة المظالم ؟ !

وأخيراً يتحول الدكتور عن الواقعية الى الخيال ، عندما يرى ان افضل طريق للاصلاح في مختلف الظروف ان ينهض القائد ، ومعه اتباعه ، ويتعرض للتعذيب

---

(١) ثم أين الاعتقاد بقدرة الله ــ ان شاء ــ فى هذا المجال ؟

والتنكيل، ويكثر اتباعه شيئاً فشيئاً، وأخيراً يصبح قوة لاتقهر، وعندها يكون النصر.
يقترح هذا متناسياً الضمانات لابقاء القائد حياً ، وهو الذي لا يقوم مقامه أحد.

المهدوية في التاريخ :

وهنا ينتقد شؤون الفكرة ، بعد أن انتقد اصلها ــ كما سبق ــ ، والغريب حقاً هنا انه يعلم ان الشيعة اسم يطلق على فرق متكثرة ، وبعضها فنى من التاريخ ، والبعض الأخر صور مدعاة لا واقع لها ، يعلم هذا ، ولكنه يصر على ان يخاطب الجميع بلسان واحد ، ويحمل البعض ذنب الأخر .

فهل هذه هي الحقائق التي تأكل اوقات الملايين من القراء ؟ لا يمكن ان يكون أئمة أهل البيت معصومين ، لان الفاطميين كانوا ظالمين ! وفكرة المهدي باطلة لان من نجح في ادعائه بها لم يحقق عدلا ! وأن المهدي في رضوى ــ وهي ارض خيالية ــ لان الكيسانيين يقولون بها . . . وهكذا دواليك ! ! !

وهنا يرى ان التشويشات في فكرة المهدي دليل على البطلان ، ولكن هل تكون التشويشات في تاريخ النبوات ــ مثلا ــ دليل كذبها جميعاً ؟ ! !

وبعد ذلك فانه ينظر بعين الحقد للمسلمين لانهم سمحوا للشيعة ان يندسوا الى الحديث والعلوم والفنون ، حتى انهم لوثوا الأدب بالدم والثورة ! !

ونحن لا ننكر انهم قد اضفوا على الأدب هذا الطابع بل نعتبره فضيلة ارتقت بالأدب الى القمة العقائدية وذلك بعص عطاء ثورة الحسين(ع) التي مزجت العقيدة بالعاطفة في اعماق الامة ــ ولكن نستنكر استنتاجه :

ان يكون كل اديب باك شيعياً وكل شاعر ثائر قرمطياً ، وهل بامكان الاديب ان لا يبكي وان لا يثور .

والحقيقة الاخيرة ان كل التهم هذه اصابت الشيعة لانها اختفت بعقيدتها ايام التقية والخوف .. وماذا يصنعون ، وقد ألجأهم البرهان للاعتقاد ، واضطرتهم الظروف للاستتار ، وهل يفعل الدكتور نفسه غير ذلك لو مر بنفس البرهان والظروف ؟ !

وهكذا كان الامر : فان فكرة المهدي كانت ضرورة يؤمن بها المجتمع وقد تذرع بها كثير من اصحاب الفكر الغامضة والأغراض الثائرة ليمرروا من بعد مخططاتهم.

وتأريخ الشيعة ورواياتهم ومؤلفاتهم تبرئهم من كل هذه الحركات ، ولكن المصيبة تكمن في اصرار بعض المؤرخين على ان الحلاج والشلمغاني وأشباههما مثلا شيعيون ، وان القرامطة شيعة ، وهم يتبرؤون من فكرتي الحلول والتجسيم ، وان البابية والقاديانية شيعيتان ، وهم يحكمون بأن من يدعي النبوة بعد النبي (ص) نجس ، وان المتصوفة اخذت مبادئها من الشيعة ــ على رأي ابن خلدون ــ في حين تتبرأ الشيعة من القائلين بوحدة الوجود ، وترى ان الشرائع كافية لتهذيب الظاهر والباطن . .

ان نظرة واحدة الى مؤلفات الشيعة تقنع الانسان بأن كل هذه الفرق معزولة تماماً عن النظرة الشيعية الأصيلة .

وفي خاتمة المطاف يقول المؤلف :

(واذا كان الاسلام هو الدين الذي شرعه الله ليكون دين البشر العام ، فان غايته لا بد ان تكون هي تحقيق العدل العام الذي يملأ الارض .

هذا ما اراد الله للبشر حين شرع لهم الدين ، وهذا ما تفاءلت به الأديان حين اخبرت بالعدل المنتظر .

والبشر الذي يسير الى الكمال في العلم المادي بسرعة البرق ، وبقوة الذرة لا يمتنع عليه ان يسير الى الكمال في العدل الخلقي بسرعة القدم .

سيصل البشر الى هذه الغاية من دون ريب حين يدركون سمو العدل ، وحين يفهمهم المصلح ان هذا العدل لا يتحقق الا بدين الأسلام هذه الفكرة هي التي تقول بها الشيعة في المهدي ، وتقول : ان المهدي الذي يفهم الناس بهذه الضرورة هو آخر رجال العترة الذين خلفهم النبي في الأمة ، وبقية ذوي القربى الذين اوجب الله مودتهم في الكتاب ، هذه خلاصة رأي الشيعة في المهدي) .

شموع وقناديل

إعداد: أبو إبراهيم

تعشق الفراشة بسمة الشموع ، فتذوبان حناناً متعانقتين .

وتحتضن الدروب المبللة بالدموع والالام خفقة القناديل لتحيا بها .

واذا كنا نعيش دنياً كئيبة ، متعبة الاضواء مجروحة الحس. .

فلتكن هذه (الشموع والقناديل) الشعرية : نجوماً تطرز اجواءنا ببسمة الحنان والمحبة وحروفاً تزرع فينا زهوة العاطفة . . .

حنان أب :

غذوتك مولوداً ، وصنتك يافعاً ... تعل بما أجني عليك وتنهل
اذا ليلة ضافتك بالشجو لم أبت ... لشكواك الا ساهراً أتململ
كأني انا المطروق دونك بالذي ... طرقت به دوني فعيناي تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وانني ... لاعلم ان الموت حتم مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي ... اليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة ... كأنك انت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق ابوتي ... فعلت كما الجار المجاور يفعل

أمية بن أبي الصلت

* * *

وقالت !! :

وقالت : وكان الاسى عابراً . . على وجهها الشاعري الحزين
وريحانة سقطت في الطريق فداست عليها خطى السائرين
وما ذلك الامر ؟ قلت : اصمتي غداً مثلها في الثرى تصبحين
يشيب الجمال ، يشيب الشباب تشيب الحياة ، تشيب السنين
خذي ما تشائين من كل شيء حذار الذي عنه ما تسألين !

محمود حسن اسماعيل

* * *

في عيد الامهات :

ربي سألتك باسمهنه ان تفرش الدنيا لهنه
بالورد ، ان سمحت يداك وبالبنفسج بعد هنه
حب الحياة بمنتين . . وحبهن بغير منه
نمشي على اجفانهن ونهتدي بقلوبهنه
فردوسهن ، و بؤسهن ببسمة منا وأنه
سمارنا في غربة الدنيا وصفوة كل جنه
ربي سألتك رحمة وجه السماء ووجهنه
امنتهن على الحياة وكنت في احشائهنه
وتركت من خفقات لطفك خفقة في صدرهنه
فامسح بأنملك الجراح ورد اطراف الاسنة
لتطل شمسك في الصباح وكل ام مطمئنة

رشدي معلوف

* * *

الى أخي المتغرب :

ماذا تريد الليالي من فراقدها ؟ ضوءاً ؟ لقد فر من اضوائها الغسق
وأنت يا قمر السمار ، هل تعبت خطاك ؟ فالافق مشدود به أفق

ترنو اليـك بأحداق مـؤرقة | عيون من ارهقوا حقداً ومن عشقوا
غابات وجـدك لقاء يضيع بها | فجر الاماني ، ويلقى حتفه الشفق
فازرع شموسك في ظلمائها سهراً | تشع افنانه الخضراء والورق
واستمطر الالم القاسي يكن سحباً | مدرارة ، وربيع العمر يتسق . .
اني لالمح في عينيك فجر غد | عيداً على نوره الامال تستبق

عبد الصاحب الموسوى

* * *

لقاء :

والتقينا من بعد ان ملأ الشوك | دروب الصبا نعد السنينا
وكؤوس الذكـرى تميل بنا | حيناً الى شاطىء ، وتجفل حينا
نتقرى الايام ، آه على رخص | خضيل مضى وأبقى الحنينا
اين اسحارنا القصار ؟ منحناها | فتـونـا فعـوضتنـا غضونا
اين ذوب الحياة فينا ؟ سهاماً | ندريها بالذوب فيها ؟ لحونا
اين اصحابنا ؟ ـ اقلني يا قلبي ـ | اذا قلـتهـا : نسـوا ونسـونـا
ذهبت كـل تلك ، لكن لقياك | اعادت صحراء قلبي غصونا

محمد عبد الله

* * *

والى اللقاء في حلقة جديدة في العدد القادم .

من حياة القادة

(٢)

أهل البيت
انسانية فذة.. وعطاء خالد

الشيخ محمد علي التسخيري

- عرض لما سبق
- مواصلة البحث عن التحريف
- جانبا الافراط والتفريط
- في الظلام تتساوى الاشباح
- الخلاف الفكري والصراع العملي
- ظاهرة القتل والسم . . ماذا تعني ؟

ملخص ما سبق :

قلنا ـ في مجال هذا الموضوع ـ انه توضحت منذ فجر التاريخ الاسلامي الاول مسيرتان : احداهما : تتجلى فيها معطيات الهداية ، والأخرى : تتجلى فيها معالم التراجع الانساني . وكان الصراع المر العنيف بين الحق والباطل . . ووقف على التاريخ اناس اختلفت مشاربهم ، ومشاعرهم ، وكل يهدف الى شيىء ، وكان اوفق هؤلاء بالواقع من استجلوا فيه صفات الانسان الانسان .

وفى مجال تقديمنا بين يدي البحث تحدثنا عن :

الهدف والقائد : حيث تتناسب الطاقات الرائدة مع الاهداف المتوخاة من المهمة التي تحملها . وهكذا كان الامر فى اهل البيت (ع) . . . وعن :

ان الربط يكشف عن السمو : حيث انكشف لنا مجال عظمتهم (ع) انكشافاً اجمالياً عن طريق الربط الذي اوجده النبي (ص) بينهم وبين الامة التي سلمت لهم امر قيادتها . . . وعن :

التقديس : الذي خلقه ذلك الربط ، وتلك المعالم الانسانية العالية فيهم حتى اصبحوا فوق كل تشكيك . . وعن : انهم كانوا فى الحقيقة معجزة الصياغة المثلى للاسلام تضاف الى معاجزه الكبرى الاخرى وما اكثرها ! . . . واخيراً تحدثنا عن:

يد التحريف السوداء : وآثارها المشؤومة فى تضييع الصورة الحقيقية للاسلام وتشويه المفاهيم الاسلامية كجزء من الحملة المركزة على جذوره ، لاجتثاثها من الواقع الانساني ـ وهيهات ذلك هيهات ـ

والواقع ان التحريف اخطبوط يمد أذرعه الى مختلف الزوايا الحياتية ، وفى مختلف الظروف ، فيغيرها ، ويعبث بواقعها الى درجة تبهر نفس القائم على العملية والمنفذ لها ، فيظن الصورة الباطلة حقاً ، مع انه بنفسه بدأ بها باطلا .

وقد قلنا . . ونؤكد على ان الشيىء المحرف كلما كانت مساقطه أكبر كانت نتائج تحريفه متناسبة مع الحجم الحقيقي قبل التحريف تناسباً طردياً ، ومع قربها منها بصورة عكسية .

والملاحظ ان الاسلام لم يلاق تحريفاً فضيعاً فى اصول العقيدة ـ كالمسيحية ـ نظراً لوجود القرآن الكريم ، والذي كانت الضمانات كافية كل الكفاية لبقائه سالماً محصناً من كل يد تمسه بأي سوء ، وكذلك نظراً لجهاد الائمة القادة ، والنصوص الشريفة ، وغير ذلك ، مما ابقى الاصول مسلمة بلا أية شائبة ، وان ضاع قوم فى تفصيلاتها حين ادخلوا مخلفات الفلسفة القديمة ، واستعملوا مقاييسها ، فبلغوا الى مرحلة قد تنسف الأصل من حيث لا يشعرون ، ويمكننا ان نشير فى هذا الصدد الى فكرة التجسيم التي شاعت بين بعض المتكلمين الفلسفيين ، وهي فى الحقيقة تنسف

فكرة التوحيد من الاساس ، مع انها الاساس الاول للاسلام ، ولكن الاسلام واجه منذ الصدر الأول حملة تشويه عنيفة له في فروعه وفلسفتها ، ومفاهيمه ومعطياتها ، وشخصياته وصورها الحقيقية .

وقد تعاونت في ذلك الايدي اليهودية الحاقدة التي كسرت في ميدان القتال ، والايدي الملحدة العنيدة ، والانفس المصلحية التي لم ينغرس الاسلام في اعماقها ، بالاضافة الى تأثيرات الهزات العاطفية العميقة ، وجهل البعض ، وعنصر المغالاة في ابراز الولاء والحب ، الى غير ذلك مما خلف لنا تراثاً يحار الباحث امامه ، ويصعب التمييز ـ الاعلى الفطن ـ بين حقه وباطله .

وتطاول الزمن ، وتفاقمت هذه التزييفات ، حتى بلغت كما نراها اليوم اوجها فاذا بالاسلام الذي جاء ينتظم البشرية في رتل واحد ، وينظم لها كل جوانبها في بناء متناسق الأبعاد ـ اذابه ـ ينزوي في زوايا وتكايا، لينظم للانسان ـ كمايزعمون ـ علاقته بربه تاركاً له العنان في ان يسلك في حياته ما يشاء .

وليت هؤلاء فهموا معنى علاقة الانسان بربه خير فهم ، اذن لكان قولهم اقرب الى الصواب. ان علاقته بربه علاقة مخلوق بخالق، ضعيف بجبار ، مكلف بمشرع، خليفة بمستخلف ، انسان بحقيقة عظمى خلقته وكل شيىء كائن معه .

ووجدنا التحريف فظيعاً في المفاهيم بشكل لا يمكننا هنا ان نصفه .

جانبا الافراط والتفريط :

وقد كان الاسلام واعياً تماماً لعوامل التحريف ، فحسب للامر حسابه ، وعلم ان التحريف سواء سار في خط الافراط او في خط التفريط فأنه يؤتي ثماره البشعة ولذا لاحظ كلا الجانبين في اعداد الضمانات .

اما جانب الافراط : ـ وأقصد به تحوير الشيىء الى حد اخراجه عن واقعه ـ فهذا من اول مصاديقه شخصيات القادة التي تبهر الانظار بأعمالها العظيمة ، ووجودها المعجز ، فينساق البعض الى تقديسها المفرط ، ويتنامى هذا حتى يصور لها القائد في شخصية اله .

هذا الجانب كان موضع تركيز من قبل الانبياء والائمة (ع) لنفيه عنهم بكل صورة ، لانه في الحقيقة يؤدي الى نسف جهودهم من جذورها ، وانغمار المسيرة في دروب النية والضلال .

فنلاحظ التأكيد الشديد من قبلهم (ع) على بشريتهم ، وانهم أناس يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، وانما هم بلغوا مرتبة انسانية عالية اهلتهم لهذا المنصب كما نلاحظ في الايات التالية :

قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد (١)

«قل سبحان الله هل كنت الا بشراً رسولا» . (٢)

«قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم» (٣)

وكذلك الائمة(ع) حاربوا كل نزعة مغالية فيهم ، واكدوا العنصر البشري فيهم. والذي اعتقده ان من عوامل التحريف المهمة - بالاضافة لما سبق ولغيره - عامل الجدل العنيف الذي قد يدخل في طرق مسدودة احياناً بين ابناء الأديان ، فيحاول كل ان يمطط الصورة التي في ذهنه عن الشخص حتى يصل بها الى تلك المرحلة الخطيرة .

اذا عرفنا ذلك توضح كيف انهم (ع) كانوا اكثر تعرضاً للتحريف، لان بعض من بدأوا معهم بداية طبيعية، ونظروا اليهم نظرة واقعية - هؤلاء - قد تبهرهم العظمة احياناً ، ويلجئهم النقاش - الذين هم ليسوا في مستواه - احياناً اخرى ، وتصلهم روايات التشويه المغرضة فيتقبلونها بكل ترحاب، ويشبعون بها نهمهم ، لضعف في شخصياتهم ، وجهل فظيع في ثقافتهم ، ومن هذا وذاك يتم التحريف والتحور .

وكونهم (ع) اشد تعرضاً للتحريف نابع من انهم سيواجهون حينذاك رتلا من اعداءلاسلام الى جنبهم الاعداءالمسلمون الذي لم ينغرس الاسلام فيهم،والذين نماهم الحسد والجهل . وحينذاك تكون ردود الفعل قوية لدى الاتباع .

---

(١) ١١٠ الكهف .

(٢) ٩٢ الاسراء .

(٣) ١١ ابراهيم .

اما جانب التفريط : فان المنفذ الرئيس له يكمن فى الرواية ، سواء كانت حديثاً ، او واقعة يعرضها مؤرخ او راوية (على الاصطلاح القديم) .

وقد وضعت للوقاية من هذا الجانب ضمانات اهمها : التأكيد الشديد له (ص) ولهم (ع) على ضبط الحديث ، ونقله بأمانة ، وملاحظة الراوي ملاحظة دقيقة ، وذم المتقولين ، والوضاعين الذين باعوا ضمائرهم للشيطان ، ليشتروا بها ثمناً قليلا ـ ما اتفهه تجاه ما ابدعوه من ضلال .

وكان ان ورد الذم الشديد لعمل القصاصين الذي كان منفذاً لهذا الجانب ونكتفي فى هذا المجال بذكر بعض النصوص التي أكـدت على ذم هـؤلاء وحرمت الاستماع اليهم .

فعن الصادق (ع) : «لعنهم الله يشنعون علينا» (١) .

وسئل (ع) عن القصاص أيحل الاستماع لهم ؟ فقال : لا (٢) .

وعن ابى عبد الله (ع) قال : ان امير المؤمنين رأى قاصاً فى المسجد ، فضربه وطرده (٣)

ومما يجدر بالذكر ان نشير هنا الى ان النهي عن القص لا يعني النهي عن القصة مطلقاً، فالقصة من اعظم وسائل ايصال المفاهيم الفعالة الى الاخرين، والتي استعملها القرآن الكريم اروع استعمال ، وكذلك نفس المعصومين فى ايصال مقاصدهم ، وانما غرضهم اولئك الوضاعون الذين كانوا يملأون المساجد بالتفاهات المجة لاجل غايات مشبوهة او تكسبية ، فى حين كان المسجد يشهد نمواً حركياً فعالا للعقليات التي ستصنع الحضارة التي انبعثت منها رغم بعض الانحرافات فيها ـ وفيها الكبيرة ـ كل حضارات الارض التالية فكيف بها لو بقيت على صورتها الحقيقية .

ولو استرجعنا تلك الصورة الكالحة ، التي عرضها بعض تواريخ الخلفاء (٤) ،

(١) سفينة البحار ج ٢ ص ٤٣٣ .

(٢) سفينة البحار ج ٢ ص ٤٣٣ .

(٣) سفينة البحار ج ٢ ص ٤٣٣ .

(٤) اكثر مؤرخينا القدامى يكادون أن يكونوا مؤرخين للحاكم ، اما الشعب فهو كمية مهملة . . لذا ندعو الى تاريخ سليم يؤرخ للصفات الانسانية قبل الخليفة .

وقارناها بتلك الصورة التي رسمناها لأهل البيت (ع) ، لرأينا البون شاسعاً، ولأيقنا بأن عين الله هي التي حفظت لنا الصورة ذخراً ، وقدوة ، ورحمة ، وابقتها لنا من بين هذا الركام العجيب من التصورات الخاطئة ، نبراس حياة ، ونهج انفتاح على السعادة .

في الظلام تتساوى الاشباح :

كثيراً ما يمكن ارجاع الاراء المختلفة الى رأي واحد بعد عملية تجميع سهلة أومعقدة .. فاذا بالكل وهم متفقون على شيىء واحد،وان بدا لاول وهلة انهم مختلفون كل ذلك لانهم لم يحددوا منذ البدء نقطة الخـلاف ، او (محل النزاع) باصطلاح الاصوليين من العلماء ، وهذا امر له مبرراته ولـكن الصعب المستصعب ان تقنع انساناً ينظر فى الظلام الى اشياء لا يرى منها الا شبحيتها الماثلة امام عينيه عبر الافاق السوداء المترامية . . يراها متساوية تماماً تعبر نقاط الضوء بصورة باهرة ، حتى انها لا تدع مجالا لان يميز بينها .

اقول هذا . .

لان البعض نظروا الى اهل البيت(ع) هكذا فى الظلام ظلام البقايا التقليدية... والصور المتوارثة . . فلم يستطيعوا تبين تلك المعالم المميزة لهم(ع) عن غيرهم .

«ومهما تأتيهم من اية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين» (١)

والحقيقة ان الموضوعية اليوم وقبله كانت شعاراً يرسمه الكثيرون او سمة على صدور كتبهم ، ولافتات كتبت بعبارات بارزة للاستهلاك .

فما ان تمضي مع الكتـاب لحظات حتى يتجلى لك البرهان الساطع على انتفائها او اختفائها وراء حجب من سراب .

ان الموضوعية هى الظرف الملائم لاجتياز الموانـع نحو الحقيقة ، فى حين تكون الذاتية ارتكاساً الى الوراء ، ودفعاً للحقيقة ، لتجتاز الموانع وتدوس واقعها

---

(١) الاية (٦) الانعام .

تكون بالتالي مجرد مبرر ـ لا غير ـ لمصالحنا ، واعمالنا نحن ، فاقدة بذلك صفتها كحقيقة مجردة .

الخلاف الفكرى والصراع العملى :

وهنا آن لنا ان نشير الى ظاهرة خبيثة فى اعماقنا نحن المسلمين ـ وان لم نختص بها نحن دون غيرنا ـ تلك هى عملية تحويل للخلاف الفكري الى صراع عملي ، وسب وشتم ، ونظرات احتقار ، وتقسم وتوزع ، وتآمر وانتقام . . وهـذا من اكبر علل الانحسار ، هبني اعتقد شيئاً . . وتعتقد خلافه ، وهب انك بنيت على اسس لم ابن انا عليها ، لانها وفق ما انتهيت اليه خاطئة ، فهل هذا يبرر ان نتشاتم او نصطرع ونحن جميعاً يؤطرنا اطار التوحيد والاسلام ؟

اترى ذلك يعطي احدنا الحق فى تعيين مصير الآخر عند الله مما يخدشه بمقدساته؟

فلندع ـ عزيزي القارىء ـ خلافنا يثمر على صعيـد الفكر ، ويوقعنا معاً على صخرة الحقيقة ، فعساها تكون معي ، أو تكون معك .

أليس هذا قرآننا العظيم يعلم الرسول الأكرم (ص) اسلوباً فى المحاورة ما اروعه حينما يقول على لسان نبيه (ص) مخاطباً الذين لا يؤمنون « و إنا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين» .

الست تعتقد معي ان هذا الانزال الى مجال الصراع العملي يقضي على التعقل والموضوعية ، فتضيع الحقيقة بين العواطف الثائرة من جهة ، وردود الفعل القوية من جهة اخرى ؟

ألست تعتقد معي ان من اسباب هذه العمليه ان يحاول من ليس هو بأهل للنقاش ــ لانه لايملك اولياته ، ولا يعرف مسالكه ، وفوق كل ذلك لا يدري ما هو الهدف ــ ان يظهر نفسه بأكبر مما هو عليه ؟ !

اصحيح ان ينبري طالبان فى المرحلة الثانوية فيناقشا النظرية النسبية مثلا ؟ . ان صح هذا فعلى العلم ومراحله السلام ! ! !

ان على كل طائفة تسعى نحو الحقيقة ان تؤدب اتباعها بأدب الاســلام ، وان

تهذب عامتها بحيث يعون حقيقة واحدة ، هي التـي يؤمل لها ان تقود البشريـة الى الخير ، ومن ثم يتركون الخلاف ـ ان لم يكونوا اهلا ـ الى المفكرين ـ وحينها يتجلى النهار .

تلك الحقيقة هي «الأسلام» دين الرقي ، والتعاون ، والسعادة .

ظاهرة القتل والسم . . ماذا تعنى ؟

وهي ظاهرة تستلفت الانظار حقاً ـ فاول ما يواجه الباحث فى تاريخهم (ع) ظاهرة القتل والسم ، التي تشملهم (ع) جميعاً ! ! واول ما يطالع المرء العابر فى الاماكن التي اتخذت ولاءها لأهل البيت (ع) شعاراً ومشعلا، سورة الحزن ، ومضض الالم المرتسم على صفحات القلوب .

لم هذه الظاهرة ؟ ولم يعبر احدهم (ع) « ما منا الا مسموم او مقتول » ان مصائبهم (ع) تتراوح من سم زعاف يسقاه الأمام (ع) دسيسة رخيصة ، ليقطع امعاءه قطعة قطعة . ثم ليقضي على حياته . ثم ليخرج المجرم الحاكم ـ ساقي السم ـ خلف الجنازة يولول ويعول، ومعه علية القوم حفاة الاقدام ، يخدشون الوجوه .

الى حالة هستيرية تصيب الحاكم ، فيأمر بجلب الأمام (ع) فى جوف الليل ليقتله ، وقد يبلغ الامر الى ان يسجن الامام سنين عديـدة فى سجون رهيبـة مكبلا بالسلاسل والاغلال ، ثم يسقيه السم .

والمرحلة الفضيعة الأخيرة تتمثل فى واقعة الطف المريرة ، حيث قتل سبط رسول الله (ص) الحسين (ع) ، بشكل يندى له جبين الانسانية ، وصرع الى جنبـه ابناؤه ، واخوته ، وانصاره القراء المجاهدون . . ثم تصاعد الحقد حينما ذبح على صدره طفله الرضيع ! ! وديست الجثث الطواهر بحوافر الخيل ـ وسيقت عقائل الوحي ، حيث تتصفح وجوههن البلدان ـ وامامها الرؤوس الزواكي ، يخضبها دم الجهاد القاني .

وهنا لا بد وان يثور تساؤل مخضب . . لم كل هذا ؟ ألم يكن لهؤلاء الحـكام طريق آخر غير ما سلكوه ؟

ان مقامهم (ع) السامي الذي حدثنا به التاريخ ، ومحبوبيتهم الواسعة الابعاد. كانت تكفي لان تزلزل العرش . فالحاكم اذن يتوقع زوال ملكه ـ وهو كل شيء فى حسابه ـ تماماً بهذه العملية المجرمة التي يقدم عليها .

ألم يشاهد هشام بن عبد الملك ـ وهو يؤمئذ امير ـ وكان يريد الطواف فيمنعه الزحام من الناس ، فينتظر كي يقل الزحام ـ ألم يشاهد ـ انفراج الجمع الحاشد لرجل من احسن الناس وجهاً ، واشد الناس ورعاً ، ذى هيبة وجلال . . فيلتفت اليه شامي ليسأله عن شخصية هذا الرجل المهيب ، فيتظاهر هشام بعدم المعرفة ، لينبري الفرزدق الشاعر المحلق مرتجلا ابياته العصماء :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه ، والحل ، والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي ، النقي ، الطاهر العلم

الى ان يقول :

ان عداهل التقى،كانوا ائمتهم أو قيل: من خيراهل الارض ، قيل:هم

ألم يحدثنا المأمون نفسه عن موقف عجيب للرشيد فيقول :

«دخل موسى بن جعفر (ع) على الرشيد يوماً فقام اليه واستقبله واجلسه فى الصدر ، وقعد بين يديه ، وجرى بينهما اشياء ثم قال موسى بن جعفر لابي :

« يا امير المؤمنين ! ! ان الله عز وجل قد فرض على الولاة عهدة : ان ينعشوا فقراء الامة ، ويقضوا عن الغارمين ، ويؤدوا عن المثقل ، ويكسوا العاري، ويحسنوا الى العاني ، وأنت أولى من يفعل ذلك .

فقال افعل يا ابا الحسن ! ! ثم قام فقام الرشيد لقيامه وقبل بين عينيه ووجهه ثم اقبل على وعلى الامين والمؤتمن فقال يا عبد الله ويا محمد ويا ابراهيم . . امشوا بين يدى ابن عمكم وسيدكم خذوا بركابه ، وسووا عليه ثيابه ، وشيعوه الى منزله وعندما يأخذ المأمون العجب يسأل والده ـ بلهفة عن سر هذا الرجل فيجيبه : هذا امام الناس (١) .

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ١٦٥

ولقد صدق الرشيد فقد كان الأمام الكاظم امام الامة يقود قلوبها ، تهـواه فى ايجا بيته العالية واخلاقيته المثالية ـ ووعيه لمشاكلها وسعيه لحلها ؟ !

ألم يحدث سفر الامام الرضا (ع) من المدينة الى خراسان ضجة ـ يا لها من ضجة ـ لاستقباله.. خرج الناس عن بكرة ابيهم من مدنهم، وللاستفادة منه استعدت آلاف الاقلام ، وهللت مثلها قلوب . .

فاذا كان الامر كذلك فلم كانت النتيجة كما سبق ؟

لا يمكننا ان نفسر هذه الظاهرة بما فسره بعض الناظرين الى الامور بصـورة سطحية، مشوهين بذلك الواقع عن لا شعور احياناً وعن شعور فى كثير من الاحيان فلم يكن ـ الحسد هو عامل التنكيل الوحيد فى كل هذه الموارد ـ كما يدعي البعض ، اذ يرى ان الحكام اندفعوا لذلك ، بما اعتمل فى نفوسهم من حسد لمقامهم الرفيع ، وقدرهم عند الله تعالى والناس . . ان هذا لا يكفى مبرراً لذلك ، كما لم تكن بعض الحوادث التى ينقلها المؤرخون ـ كسبب لقتلهم (ع) ـ علة كافية . وذلك من امثال :

حادثة أرينب . . المرأة التى تآمر يزيد، ليطلقها زوجها فيتزوجها هو ، لولا ان تدخل الامام (ع) ففشلت المؤامرة، مما اغاظ يزيد كثيراً ، فصمم على فعلته الشنيعة.

او حادثه السبق الكلامي ، الذي فاز به الامام الكاظم (ع) على الرشيد عند قبر رسول الله (ص) ، مما اوغر صدر الرشيد عليه ، وهو يعلم من هو بشهادة ابنه المأمون فى روايته المشهورة .

وغير ذلك من الحوادث الجزئية من امثال حقد زوجة الامام (ع) لانه يحب غيرها مما دفعها لان تدس اليه السم بأمر الخليفة، اننا لو لاحظنا مجموع العوامل التي تفرض نفسها فى صياغة الموقف لوجدنا ان تلك الامور ما كانت سوى محفزات وقتية ، او مبررات مجردة ـ لو صحت ـ ، لتنفيذ ما يدور فى خلد القائم على شؤون الحكم من مخططات جهنمية . .

اذن ما هو السبب الأصيل ؟ !

انه ـ كما اعتقد ـ يكمن فيما نحن جادون فى عرضه ، انه يكمن وراء مجموع

الصفات الانسانية العالية ، التي تجلت بأروع صورة فيهم ، مما اهلهم كما سبق لان يكونوا ذلك الامتداد العظيم للرسول الكريم (ص) ، ومركزه القيادي التربوي للعالم كل العالم ، والاجيال كل الاجيال .

اعني ان وظائفهم القيادية ، وعملهم المركز لتنمية الطبقات الرسالية الواعية ، التي تحمل على عاتقها عبء الرسالة ، وتعطيها للامة بصورة واقعية ، بعيدة عن الشوائب .. وحينها يمكن للاشعاع الرسالي ان يجدله مساقط في قطاعات المجتمع المختلفة ، وتستمر الشعلة الوهوب ، ويثمر العمل جماعة منزهة عن المآثم تمتلك معالم اسلامية عالية سميت بـ (الشيعة) . ان هذا الموقف كان يعطيهم صفة ايجابية حركية فعالة لها آثارها الكبيرة التي لا تخفى على الحاكم ، الذي يرى في ذلك خطراً على نظامه انه كان يلاحظ انهم يمتلكون اطروحة الاسلام الصافي النقي لاغير والتي تتعارض مع الخط التحكمي الوراثي الجائر ، للحكمين الاموي ، والعباسي والذي انعزل عن الاسلام في مجال القيادة التربوية للمجتمع الى درجة كبيرة .

هذه الايجابية الصناعة . هي التي كانت تقلق بال الحكام ، وتقض مضاجعهم ، فيلتمسون الخلاص بشتى الوسائل ، حتى اذا اعيتهم السبل مدوا يداً يلفعها الخزي وقبضوها ملطخة بدم القادة العظام للانسانية (١) .

واستطيع ـ بعد تأمل ـ ان أقول ان محاولة المأمون الخليفة العباسي المبرز التى انتهت بتنصيب الامام الرضا(ع) ولياً للعهد بعد ان شرط عليه الامام ان لا يتدخل في الامور العامة ، اقول انها كانت ـ بالاضافة لعوامل اخرى ـ محاولة غير موفقة

---

(١) يذكر الطبرسي «ره» في الاحتجاج رواية المأمون في فضل الامام الكاظم(ع) والسالفة الذكر ثم يعقب عليها محدثاً :

بأن الامام (ع) لما اراد الرحيل ارسل له الرشيد مع الفضل مائتي دينار معتذراً بالضيق المالي . . وحينما طلب الفضل الازادة بادره الرشيد قائلا :

«اسكت لا ام لك : فاني لو اعطيته هذا ما ضمنته له ما كنت آمنه ان يضرب وجهي غداً بمائة الف سيف من شيعته ومواليه ، وفقر هذا واهل بيته اسلم لكم من بسط ايديهم واغنائهم» .

للتعرف على هذه الاطروحة ووسائل عملها ـ ومحاولة تعويمها على السطح وتلويثها بمظاهر الترف .

ومن ثم . . تفقد رصيدها الاجتماعي ، الذي اصبح آنذاك قوة يحسب لها حسابها في مختلف الميادين ـ بعد ان حاولت العصور المتطاولة افناءها .

وقد يدعي احد ان المأمون اراد ان يعيش الأطروحة نفسها بلا أي قصد ولكننا نقول انه فشل على أي حال، لانه كان يعيش عالماً يتنافى مع نزاهة الأطروحة وروحها الاسلامية الطاهرة .

وعلى أي ـ فان فشله في الكشف ، او التشويه ، او السير . . هو الذي دفعه في نهاية الأمر الى ان يكيد للامام (ع) في نهاية المطاف .

أهل البيت (ع) : دعائم الاسلام

هم عيش العلم ، وموت الجهل ، يخبركم حلمهم عن علمهم وصمتهم عن حِكَم منطقهم ، لا يخالفون الحق ، ولا يختلفون فيه ، هم دعائم الاسلام ، وولائج الاعتصام .

من كلام للامام أميرالمؤمنين في وصف أهل البيت (ع) .

نهج البلاغة ج ١ ص ٢٣٢

التعريف بالتراث

(٢)

الاثناعشريات

تأليف الشيخ بهاء الدين العاملي

السيد احمد الحسيني

الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الجبعي (٩٥٣ - ١٠٣١) علم من أعلام الفكر الاسلامي ، وعالم كبير ، جمع أطراف العلوم الاسلامية وكان متبحراً فيها، بحيث قيل فيه : عديم النظير في زمانه في الفقه والحديث والمعاني والبيان والرياضيات وغيرها من العلوم والمعارف .

جال في كثير من الاقطار مستفيداً من الاساتذه والشيوخ، مفيداً التلامذة وطلاب العلم ورواد المعرفة .

أغرق في الثناء عليه كل من عرفه ، و مدحه ببالغ المدح كل من كتب ترجمته من السنة والشيعة ، فهو مجمع على فضله و عظيم منزلته و جليل مكانته .

عاش حياة العلم فكان المعترف بتقدمه ، و عانى القرب من الساسة والملوك فكان يتمتع باحترام الشاه عباس الصفوي وحاشيته .

ألف كتباً كثيرة تمتاز بالاختصار والعمق والشمول ، ولعل قليلا من المؤلفين تمكن من السير في طريقه في طرافة التأليف وحسن العبارة وجمال الاسلوب وجزالة اللفظ و عمق الموضوع ، فكأنه كان يخطط أولا تخطيطاً دقيقاً لما يريد أن يؤلف ثم يبدأ بالكتابة حسب مخططه الدقيق . ومن هنا يمكننا الادعاء بأنه ليس في كتبه كتاب أو رسالة لا تتسم بطرافة أو لم يكن فيها جديد (١) .

* * *

والاثنا عشريات مجموعة تتكون من خمسة كتب هي :

(١) الاثناعشرية في الطهارة .

(٢) الاثناعشرية في الصلاة .

(٣) الاثناعشرية في الصوم .

(٤) الاثناعشرية في الزكاة .

(٥) الاثناعشرية في الحج .

وبالرغم من أن الاسم يوحي بأن هذه الكتب كلها على نسق واحد الا أنها تختلف كل الاختلاف في النظم والتنسيق مما يدل على ابداع المؤلف وذوقه المرهف فيما كان يكتب ، واليك تفاصيل نظمها :

الاثنا عشرية في الطهارة :

نسق أحكام الطهارة في اثنى عشر مطلباً كل واحد منها يجيب على سؤال مما يلي: ما الطهارة ، كم الطهارة ، لم الطهارة ، بم الطهارة ، مم الطهارة ، على م الطهارة ، متى الطهارة ، ممن الطهارة ، فيم الطهارة ، ما الذي يتقدم الطهارة ، كيف الطهارة ما الذي يتبع الطهارة ؟

أوله : «أما بعد الحمد لله على آلائه . . هذه رسالة اثنا عشرية ، تتلو عليك

---

(١) أنظر للتوسع في ترجمته روضات الجنات ص٥٣٢ ـ ٥٤٠ خلاصة الاثر ج٣ ص٤٤٠ ـ ٤٥٥ ، أمل الامال ج ١ ص ١٥٥ ـ ١٦٠ ، سلافة العصر ص ٢٨٩ ـ ٣٠٢ و غيرهما من المصادر الكثيرة .

مسائل الطهارة على نهج جديد ونمط سديد» .

آخره : «واطالة المكث بغير حاجة وادخال الخلاء شيئاً عليه اسم الله تعالى أو أحد المعصومين سلام الله عليهم أجمعين» .

٢ ـ الاثنا عشرية في الصلاة :

رتب جميع الافعال المعتبرة في الصلاة في اثني عشر نوعاً : الافعال الواجبة اللسانيةالأفعال الواجبةالجنانية، الأفعالالواجبة الاركانية، الافعال المستحبة اللسانية، الأفعال المستحبة الجنانية ، الأفعال المستحبة الاركانية ، التروك الواجبة اللسانية ، التروك الواجبة الجنانية، التروك الواجبة الأركانية، التروكالمستحبةاللسانية، التروك المسنحبة الجنانية ، التروك المستحبة الاركانية .وفي كل فصل من هذه الفصول يعدد اثنى عشر شيئاً .

أوله : «الحمد الله الذي وفقنا للاهتداء بشريعة أشرف المرسلين . . وبعد . . هذه مقالة لطيفة في واجبات الصلوات اليومية ومستحباتها» .

آخره : «ولا تكون قاعداً على الارض بل انما قعد بعضك على بعض فلا تصبر للتشهد والدعاء» .

٣ ـ الاثنا عشرية في الصوم :

وهو مرتب في ثمانية فصول : مالا يتحقق الصوم الا بالامساك عنه ، عدد صوم الواجب ، المختار من أنواع الصوم المستحب ، عدد الصوم المحرم ، الأمور المعتبرة في نية الصوم ، لا يصح الصوم من اثني عشر ، ما يستحب فعله في شهر رمضان ، ما يكره للصائم . والتزم في كل فصل من هذه الفصول الثمانية أن يورد فيه اثنى عشر أمراً ، كما أورد خاتمة في آخر الكتاب ذكر فيها اثنتى عشرة مزية لشهر رمضان مذكورة في الكتاب والسنة .

أوله : «الحمدلله الذي جعل الصوم جنة من النار . . لما فرغت من تأليف المقالة الاثنا عشرية في الصلوات اليومية» .

آخره : «الثانية عشرية أن ثواب تلاوة آية واحدة فيه كتلاوة ختمة القرآن في غيره»

٤ ـ الاثنا عشرية في الزكاة والخمس :

نسق فيه ما يتعلق بأحكام الزكاة في اثني عشر مطلباً : ما الزكاة المالية ، على من الزكاة المالية ، فيم الزكاة المالية ، كم الزكاة المالية ، متى الزكاة المالية ، لمن الزكاة المالية ، ما زكاة الفطرة ، على من زكاة الفطرة ، عمن زكاة الفطرة ، مم زكاة الفطرة ، كم زكاة الفطرة ، متى زكاة الفطرة . وفي آخر الكتاب خاتمة مختصرة في الخمس .

أوله : «حمداً لك اللهم على جميل آلائك .. هذه ثالث الاثناعشريات الخمس تتلو عليك المهم من مسائل الزكاة والخمس» .

آخره : «ومع حضوره يصرف اليه الكل والزيادة عن كفايتهم له والنقيصة اكمالها عليه عجل الله تعالى فرجه .. » .

الاثنا عشرية في الحج :

ذكر فيه مايتعلق بالحج من الواجبات والمحرمات والمستحبات والمكروهات في اثنين وعشرين فصلا كل فصل يشتمل على اثنى عشر أمراً ، وفي آخر الكتاب خاتمة فيها اثنا عشر أدباً من آداب زيارة الائمة عليهم السلام .

اوله : «الحمد لله على آلائه .. هذه رسالة اثنى عشرية تتلو عليك حج التمتع» .

آخره : « الثاني عشر اكرام خدمة تلك البقعة المقدسة وسدنتها وتعظيمهم واحترامهم ، فان ذلك راجع الى تعظيم صاحب البقعة عليه السلام» .

نسخ هذه المجموعة كثيرة في المكتبات العامة والخاصة ، ونذكر فيما يلي النسخ المهمة في المكتبات العامة :

١ ـ مكتبة الامام الرضا في مشهد ، المجموعة كلها ، نسخة نفيسة مجدولة مذهبة كتبت سنة ١٠٧٢ .

٢ ـ مكتبة الامام الرضا في مشهد ، الصلاة والصوم والحج ، كتبت في حياة المؤلف سنة ١٠٢٧ .

٣ ـ مكتبة الامام الرضا في مشهد ، الصلاة فقط ، كتبه الشيخ زين الدين علي بن

احمد النباطي ، وفي آخره اجازة بخط المؤلف للناسخ .

٤ ــ كتابخانه مجلس سنا في طهران (مجموعه ٢٢٥) الصلاة فقط ، كتبه نظام الدين احمد بن عبد الحي الشريف ، سنة ١٠١٢ ، وفي آخره اجازة بخط المؤلف للناسخ .

٥ ــ مكتبة السيد الوزيري في يزد (مجموعة ٩٦٢) الصلاة فقط ، كتبه نصر الله الدماوندي سنة ١٠١٢ .

٦ ــ كتابخانه مجلس شوراى ملى في طهران (مجموعة ١٢٨٣) الطهارة والصلاة والصوم والحج ، كتبه محمد مؤمن سنة ١٠١٢ .

٧ ــ مكتبةالامام الحكيم فيالنجف(مجموعة ١٩هدايا الرشتي)الصلاةوالصوم والحج كتبه على بن شاه محمود البافقي سنة ١٠٢١ .

٨ ــ مكتبة الامام الحكيم في النجف(٩هدايا الرشتي) الصلاة فقط ،كتبه ابراهيم ابن مير على رضا الحسيني سنة ١٠١٢ .

٩ ــ مكتبة آية الله المرعشي في قم (٧٥) الصلاة فقط ، كتب سنة ١٠١٣ وفي آخره اجازة بخط المؤلف للسيد سليمان بتاريخ ١٠١٦ .

١٠ ــ مكتبة آية الله المرعشي في قم (١٠٤ مجموعة) الصلاة فقط ،كتبه على بن عبد الله الحلي سنة ١٠١٨،وفي آخره انهاء كتبه المؤلف بخطه بتاريخ ١٠٢٠ .

١١ ــ مكتبة كلية الاداب في جامعة طهران (١٢٠ مجموعة) الصلاة والصوم والحج ، الاول بعده انهاء بخط المؤلف كتبه للشيخ يونس بن حسن الصيمري الجزائري بتاريخ ١٠١٢ ، والثاني بعده انهاءكتبه المؤلف للناسخ في اصفهان، والثالث بخط احمد بن محمد بن ماجد النجفي ، وبعده اجازة بخط المؤلف كتبه في اصفهان .

١٢ ــ المكتبة المركزية فيجامعة طهران (٩١٨ مجموعة ــ هدايا مشكاة) الصلاة فقط ، كتبه محمد مقيم بن محمد على التبريزي للمولى محمد امين سنة ١٠١٤ ، وفي آخره اجازة بخط المؤلف للمولى محمد امين المذكور بتاريخ ١٠١٤ .

على درب قم

السيد حسن الأمين - بيروت

قاضي قم الذي أكسبها عزله شهرة حين نودي به : أيها القاضي بقم ، قد عزلناك فقم ! هذا القاضي الذي قال : والله ما عزلني الا حب السجع ! هذا القاضي المنكوب بوظيفته له علينا حق ، أي حق ، اذ عن طريقه سمعنا أول ما سمعنا بقم ونحن لا نزال بعد اطفالا ، نصغي الى ما يتحدث به رجالنا فى مجالسهم ، فتعلق فى اذهاننا من كلامهم شوارد طريفة من الأدب والتاريخ والشعر والعلم .

وكانت هذه الطرفة مما استعذبناه فحفظناه ، وجعلنا نستحب اسم «قم» حتى قدر لنا ان نمشي اليها ، وأن نراها عياناً ، وأن نتذكر قاضيها المعزول ، ونحن على كثب من داره ! .

بلى هذا طريق «قم» ينفتح أمامنا ، ونمشي اليها من طهران فى السيارة ، بين مزارع وصحاري وتلال ترابية ، واخرى صخرية ، وبين سهول بعيدة المدى ، يتخللها احياناً مزارع ، تشقها محاريث البقر ! .

وننسى قاضي قم ، ونحن ننحوها فى تلك الصحاري القاحلة . . ننساه ، ولا يبقى له فى الذهن مكان ، أمام ما ينثال على الذهن مما توالى على قم من ذكريات وبكل ما حفل به تاريخها من أطايب ، تتمثل لنا فى هذه الهينهات من الزمن الذي يحملنا اليها ، فنحن الساعة نذكر «الأشعريين» الذين هجروا ديارهم نازحين من جور الحجاج ، فحملوا اليها عبقات من نوافح علي عليه السلام ظلت تتأرج فيها وتفوح حولها ما شاء الله أن تتأرج وأن تفوح ! .

ونذكر الشاعر دعبل الخزاعي ، وقد مر بها راجعاً من لقيا الامام الرضا (ع) بعد أن مدحه بتائيته الشهيرة :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

وبعد أن منحه الامام بدر المال ، فأباها وقنع بثوب من اثواب الامام، فأهداه جبته ، فآب بها فرحاً مسروراً ، ومر بقم ، فعرفوا القصة ، فاستضافوه ، وساوموه على ان يهبهم الجبة بما شاء من المال ، فأبى ، وأعزوه فامتنع ، حتى اذا رحل عنهم قطعوا عليه الطريق ، وانتزعوا منه الجبة قهراً ، بعد أن رفض أن يسخوا بها طوعاً ، فرجاهم عند ذلك ان يهبوه أحد كميها ليجعله في قبره عند موته ، فوهبوه الكم وأعطوه المال ! .

في هذا الطريق نفسه مر دعبل الخزاعي راحلا من قم ، وعلى هذه التلعات اشرف ، وعلى هذه السهول اطل !

هذا هو طريق الشاعر الثائر الحر ، فما احب هذه الآصال تحمل الينا انفاساً كان دعبل قد شمها ، وترينا معالم كان قد ابصرها ، وتحملنا على محجة كان قد سلكها.

اني لأتمثله الساعة وقد طلعت به النيب على هذه الاكمة ، فتلفت الى الوراء أسيفاً على فراق «مرو» ومن في مرو ، فجعل يترنم بتائيته، واني لاسمعه يشدو :

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات

رحمك الله يا دعبل ، فلقد كنت رفيقي في طريق قم ، وسميري في هذه الصحارى وأنيسي على هذا الدرب البعيد ! .

وهاهنا موكب فاطمة بنت موسى بن جعفر (ع) مقبلة من الحجاز الى اخيها الرضا (ع) في مرو ، حتى اذا بلغت «ساوة» ومرضت بها ، تساءلت عما يفصلها عن قم ؟ فقيل لها عشرة فراسخ ، فتحاملت على نفسها ، وسألتهم ان يحملوها الى قم، فحملوها ، فلما بلغ القميين مقدمها هب أشرافهم يستقبلونها ، وفي مقدمتهم موسى ابن الخزرج بن سعد الأشعري ، فأخذ بزمام ناقتها ، وجرها الى منزله ، فكانت في منزله سبعة عشر يوماً ، ثم ماتت ، فدفنها موسى في ارض له .

كأنما شاءت فاطمة ان لا تموت الا في قم ، وكأنها اصرت على ان تحمل من ساوة ليكون لقم من بعد هذا الشأن .

لقد كانت فاطمة وفية لقم ، وفية للبلدةالتي فر رجالها بحريتهم من الظلمحتى حطوا هنا على هذه النواحي . . . على قم . . . على البلدة الوادعة المؤمنة، فكانت لهم ملاذاً،وكانوا لها اهلا ، يتداولونها جيلا بعد جيل ، حتى جيل موسى بن الخزرج منهم ، فكانت ارضه جدثاً لسليلة الفاطميين بنت الائمة ، جدثاً فضلته تفضيلا، وسارت اليه بهزالها وداثها ، سارت حيث يشق عليها السير ويبهظها السفر . .

ولكنها وفي طبعها الوفاء ، شاءت أن ترد للاشعريين احباب اهلها جميلهم وتضاعف لهم تحيتهم ، فأناخت في رحابهم ، يقود زمام ناقتها رجالهم ، ويمرضها نساؤهم . . . حتى اذا حكم القضاء ، واراها ترابهم ، وأظلها سحابهم . . . فاذا بالارض الطيبة ، ارض موسى بن الخزرج الاشعري ، الذي لم يكن في حسبانه يوماً ان تكون ارضه اكثر من صعيد ، ينبت العشب ، أو يطلع الزرع . . . اذا بالارض البسيطة التي شق فيها الجدث ، ودفنت فيها التجاليد ، ثم اهيل التراب ، كما يهال كل يوم على الالوف،ثم يطويهم النسيان . . . اذا بالارض الاشعرية الطيبة والحقل الخزرجي البسيط ، اذا بأرض موسى مضيف فاطمة العلوية ، وقائد ناقتها ، والآخذ بزمام راحلتها ، اذا بأرض زعيم الاشعريين محب الفاطميين تعود محجة من محجات الدنيا ، واذا بها بعد قرون وقرون ـ كما كانت من قبل ، وكما ستظل من بعد ـ مهوى القلوب ، وملتقى النفوس . . . واذا بها مدرسة من اضخم مدارس الكون ، يتحلق فيها ألوف التلاميذ ، ويندفق فيها خير الاساتيذ ! .

فيا لله للوفاء ، ما ازكى منابته ، وأطيب اصوله ! .

* * *

ومضت بنا دروب قم ، ومضينا عليها في هبوب الذكريات ، وتألق الاحاسيس وشبوب العواطف ، وطالعتنا مساربها بصحاري في عز الربيع ، وبواد قاحلة في في اعقاب الشتاء ، وما خلت من قرى متناثرة في اليباب ، وزروع ممرعة على حافات الاجداب ! .

وفي «علي آباد» تقف الركبان متزودة من المأكل والمشرب ، ومتخففة من وعثاء السفر وعناء الطريق ، ثم تعود مفوزة في الآماد البعيدة . . .

ها هي ذي في السهل مضارب سوداء ، كتلك التي نبصرها في بوادينا ، منطوية على رحل تحف بهم مواشيهم ، وتدانيهم ابلهم ، قاضمة نبات الربيع ، فهم هنا في بادية قم ، كما هم هناك في بادية الشام ، لا تستقر بهم دار ، ولا يقر لهم قرار ، بل يركضون وراء الماء والعشب أنى وجدوهما ، فها هم اليوم يطلون في اطلال الربيع على ما اخضوضر من هذه الأرض ، وما فار من هذا الماء ، مخلفين وراءهم «دامغان وسمنان» على امل العودة اليهما في قابل .

وها نحن نشارف تخوم النفط ، وها هي حقوله المتعالية تملأ النواظر ، وهكذا في ساعة واحدة من مضارب الرحل ومنازل البداوة الى آبار الزيت ونفاطات الحضر .

ثم ها هي ذي قم ، بقبابها الوضاءة ، ومناراتها الوهاجة ، وها نحن على ابواب الارض الاشعرية ، ندخلها مع الداخلين ، فنغيب في تلك الجموع المتزاحمة على اعتاب فاطمة ، وها هم السدنة في الحرم الطاهر يقودون الحشود الايرانية في الزيارة مرتلين بلسان عربي مبين : باذن الله واذن رسوله واذن خلفائه ادخل هذا البيت .

ثم يمضون في الترتيل ، والحشود ترتل معهم محيية محمداً وآله وصحبه وخاصة بالتحية دفينة هذه الروضة : فاطمة بنت موسى بن جعفر (ع) .

انه لتكريم رائع ، لا لفاطمة وحدها ، بل للمرأة الفاضلة أينما كانت ، تكريم للمرأة ، واعزاز لجنسها في شخص بنت الائمة ، تعلنه جموع الزائرين الهابطين من كل مكان . . . تعلنه وهي تتضرع الى الله في (حرم معصومة قم) ، شهيدة الوفاء ، وحفيدة سيدة النساء .

تحقيق السعادة

الشيخ عيسى عبد الحميد الخاقاني قطر

ضمنا ناد أدبي ، كان متناول حديثنا فيه توزيع بعض الكتب الطائفية المفرقة لصفوف المسلمين،في الأونة الحرجة التي تفرض التغاضي عن «الاجترار» والمنطق «العلكي» الذي هلهل من موقف المسلمين في حياتهم الدنيا . ! فانجر الكلام الى تحقيق السعادة التي خسرها المسلون في عصرهم الأخير وعن اسبابها .

قال صديقي : لو ترك الأنسان الشغب ، وخرف من الدين الثمار ، ونهل من اعذب الانهار، واشتغل بعبادة ربه الجبار،لكان من السعداء،فما السعادة الا في العبادة !

وقال صديقي الثاني : لا اكاد اتصور تحقق السعادة في العبــادة ، فما أسعد الانسان السري الذي ينال المطلوب، ويصل الى المرغوب،والله تعالى عبر بالخير عن المالية ، فقال ، : « ان ترك خيراً ، الوصية » ، فما السعادة في المآل ، الا بوفرة المال !

ونط الثالث، وكان مترامي الأطلاع، وله في المعرفة سعة باع، قائلا : «المال او العبادة ، لا يحرزان ـ او احدهما ـ السعادة ، ولا يلقي العاقل عليهما اعتماده ! ولكن السعيد من هو بالعلم فريد ، ولذة العلم لا تقرن بالمال، ولا بالاذكار في الغدو والاصال ! ولقدقال الله تعالى: «هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون» وقال رسول الله (ص) : «فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم رجلا !» .

وسخر منهم «خليفة» ، وقال : ما السعادة الا في «الوظيفة» وان الجاه والمقام يجلب التجلة والاحترام، ويحاط صاحبه بالاكرام، فما السعادة الا بحسن الرفادة !

اما انا فقد لزمت جانب الصمت ، مفكراً في الجواب البت ، فقد تصورت السعادة فيما ذكروه ، فرأيتهم،في كل دليل أتوه ، جانباً اهملوه . فخان من اخوتى الالتفات،فالفوا ما في بالي من شتات ،فتوجهوا الي متسائلين ، عن الجواب المتين فناقشتهم في ما قالوه ، ونفيت الاطلاق عما استدلوا به وأيدوه ، فلم يقتنع منهم مقتنع ، ولم يرتدع عما قاله منهم مرتدع ، فطال الجدال بين الاخوان ، حتى جاس اوتار الاذان نغم السماء بالأذان.فاقترحت ان نؤدي الفريضة خلف الامام، ونعرض عليه المسئلة بالتمام ، ونستوفي الجواب في خير كلام . فناقش «خليفة» في هذا الاقتراح بأن رجل الدين لا يأتي بالجواب الصراح،وايدني بقية الصحب باجماع جلي ، وقالو : «**علي مع الحق والحق مع علي**» . فأخذ صاحبنا بالاجماع ، فخضع للحق وانصاع .

وبعد أن ادينا الفريضة ، مثلنا أمام الشيخ وأدلى كل بحجته ودليله ، وكل منا يرجوالنصر على قبيله،فتكلم الامام بنهج بلاغته وكشف لنا الغطاء عن جواهر فصاحته وأتحفنا بغنية رياضه و حدائقه ، ونطق بالسداد،وانتقى وسائل الارشاد ، فكان منطقه بالمحجة صافيا ، ولفرائد القواعد بحسم الخلاف كافيا ، وبمعالم الشرائع وافيا ، ولمختلف الشبهات نافيا .

قال الشيخ : ليعلم اعزائي ان الخلاف في هذه المسئلة يرقى الى اكثر مما اختلفهم . وفي بحوث الفلسفة ومضرب الاراء في المعرفة مثار للانظار ، وميدان للافكار ، بيد ان الجواب ، يقتصر على ما دار بين الاحباب .

ان السر في اختلاف آراء الناس في هذا المجال يعود الى اختلافهم في الطبيعة والاحوال ، ولو توجه اعزائي الى النكسة في المقام ، لما قضوا وقتاً في النقض والابرام . وهي : ان السعادة هي مقصود كل كامل ، ومطلوب كل عاقل ، وليس منا من يحب الشقاء ، او يطلب التعاسة والعناء،فالانسان بحركته ، وسلوكه ومسيرته ، في انحاء وجوداته هادف نحو الكمال ، فاذا رست على مينائه سفينته ، تحققت حينئذ سعادته . فلو كانت السعادة في شيىء مما طربتم ، لاشترك الناس طراً في ما ذكرتم ! ! ومن الناس من هو غارق في بحر الاثام ، ومنهم من ليس له

عهد بالطعام ، ومنهم من لم يقتبس من بحر العلوم نوراً ، ومنهم ظل سوقه دهوراً ، وبحرمان هؤلاء من ذلك ينقدح ان السعادة في الواقع ونفس الامر غير ذلك ، اذ هي الهدف والمبتغى وعليها المعول في الشدة والرخاء .

واذا زرنا العابد قائماً في المحراب ، تاركا خلفه الضرب في الارض،والنظر في الكتاب فلا يصح ان نقول صارسعيداً . ولما كان في عمله بنظر العقلاء مجيداً. ولقد ذكر أحدهم عند رسول الله (ص)عابداً بالمدح فقال(ص): من يأتيه «بالقوت ؟» قال : «أنا» قال (ص):«عملك من عبادته افضل» . وقال امير المؤمنين(ع) «المتعبد على غير فقه كحمار الطاحونة يدور ولا يبرح» !

* * *

وليس جمع المال من كل طريقة ، يضمن السعادة في الحقيقة . فمن خص بالمال في كتاب التكوين ، نرى الذم ثابتاً له في كتاب التدوين، ما لم يطبق منهج الدين ألم تر رب الجلال كيف ذم ارباب المال ، حيث قال في القرآن الكريم :

«الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم»

فالمال الكثير لا يقي الانسان من السعير ما لم يشرك في ماله الفقير ! قال تعالى :

«يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولاشفاعة والكافرون هم الظالمون» . وقال تعالى **«يا ايها الذين آمنوا لاتلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون، فانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى أجل قريب فأصدّق وأكن من الصالحين»** .

وقال امير المؤمنين عليه السلام : «ان خير المال ما اورثك ذخراً ، او ذكراً أو اكسبك خيراً او اجراً» .

وقال عليه السلام لكميل بن زياد رضي الله عنه: «هلك خزان الاموال وهم احياء»!

* * *

والعلم فضيلة،ومقامه معلوم في دين الاسلام،كيف لا ، وقد كسر سيدالاكوان في طلبه ، قيود الزمان والمكان ، فقال : «تعلم العلم من المهد الى اللحد» . وقال :

«اطلبوا العلم ولو في الصين» . وجعله فرضاً فقال : «طلب العلم فريضة على كل مسلم» وقال : «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» .

ولكن ربما ابعد العلم صاحبه عن شاطىء السعادة، واودى به في غمرة الشقاوة وذلك عند ما ينحرف العالم عن جادة التطبيق،فيصبح كشجر بلا ثمر، اوكسحاب بلا مطر ، كما ورد في الاثر، اوكالصخرة في نهر ، لا هي ترتوي ، ولا تدع الماء يجري ويسيح ، كما وصفه السيد المسيح .

والعلم ، ما لم يكن لتكميل النفس وخدمة الانسانية ، عاد وبالا على البشرية. ولعمرك لم يستفد سكان الارض من العلم في الزمن المعاصر بأكثر مما نالهم من الضرر والخسائر ألم تكن «هوروشيما» ضحية العلم ؟ بل ألم يكن احتلال فلسطين وهزيمة ذوي الحق من جراء العلم ؟ ألم يكن اشتعال النيران في بقاع الارض المختلفة من الكرة الارضية ــ التي يجب ان يمشي عليها العباد هوناً ــ من ثمرات العلم ؟

ألم يولد جيلنا الحاضر في ظلال البارود ، وينشأ على دوي المدافع . . ويترعرع على ازيز «الميگ» والفانتوم، وقاذفات الألغام. ويعيش في سعير الغازات ويأوي في جحيم الحروب الميكروبية ؟ !

قال بعض المحررين : «في احدي الصحف وقع بصري على صورة مجموعة من الأطفال يركبون درجاتهم في طريقهم الى المدرسة يعبرون بين اكوام الجثث البشرية التي حصدتها المعارك ، دون ان يكون في منظر هذه الجثث ما يلفت انظار الأطفال ، كأن الموت عندهم كشرب الماء ، وكأن حياة الانسان فقدت في عيونهم وأخيلتهم كل معاني الجلال والجمال» .

قالوا بان الغرب عالم !

وقالوا بأن اهل الغرب «علامون» ! !

ونحن لا ننكر علماً وصلوا اليه،ولكن بعلمهم ايضاً عذب ضمير الانسان بمسيره ومصيره ! !

هذه «النفسية الاوربية» على الاطلاق تئن من ردة الفعل الطاغية من جراء الحرب العالمية «العلمية» . تئن لانها فقدت قيمها ومفاهيمها الاساسية حيث احترقت في لهيب المرارة التي سكنت وجدان الانسان هناك..ويلات الحرب، التحلل الخلقي لدى الفرد . . التمزق والتصدع لدى الاسر ! !

ومن معالم تلك الردة ما نشاهده الآن من نظريات الغرب ومذاهبه الادبيةوالفنية الجديدة ، كاللا انتهاء ، والرفض ، والوجودية، والغضب والنهليسية، وما شاكل من المحدثات التي زعزعت الثقة ، وشتت الأفكار ، فلا من استقرار .

وليتهم تركوا الكواكب والقمر ، وطهروا الارض باصلاح البشر ! !

* * *

اما الوظيفة يا خليفة، فحكم تخلف عنها ذووالحق،وانزوى ذووا الاهلية،وتناوشها ذووا النفوس الدنية، وتقمصها من لم يستحقها..فليتهي السير التكاملي الذي يوصل الى السعادة . على ان أولئك الذين وطأوا التمهيد،واعدوا للوظيفة العدة والعديد، كان ، ولا يزال اغلبهم من الوصوليـين والانتهازيين الذين جعلو الشعب جسراً ؛ وتحقق رغبات الامة ظهراً فاذا ماحازوا قصب السبق،وتربعوا على الكراسي وذاقو كؤوس الزعامة ، طرحوا آمال الشعب في القمامة ، ثم لم يكتفوا بملء الكراش والمصير ، فالتهموا طعمة الشعب الفقير وطمعوا في بلغة البائس الحقير ، وحرمو من البر والشعير . ! !

فما هي السعادة ، اذن ؟ ؟

مع غض النظر عن انظار الفلاسفة في بيان السعادة وتشتت افكارهم فيها ، فان الاسلام قد اوضح طريقها لسائر الافراد على السواء ، بدون فرق بين الفقراءوالاغنياء وبين السوقة والاولياء . فالسعادة في نظر الدين هي : «الايمان والعمل الصالح» . لن يفترقا ، اذ لا نفع بأحدهما دون الاخر ، ومن حرمهما ، أو احدهما فهو خاسر . قال تعالى : **والعصر ان الانسان لفى خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر»** .

فالايمان ، بمفهوميه الخاص والعام ، ي الايمان بالله تعالى ووخدانيته وأحديته في ذاته وفي صفاته وافعاله وعبادته ، والايمان بأنبيائه ورسله و بختم رسالاته بمحمد بن عبد الله سيد خلقه(ص) ، وبامتداد اشعاع رسالته بأوصيائه و خلفائه اولي الامر الذين فرضت طاعتهم ، وبالمعاد والبعث وبالمغيبات .

والعمل الصالح : هو تطبيق ما جاء من فروع في الاحكام الاسلامية التي ترفع من شأن المرء الى عليين .

وحينئذ يكون العابد مطبقاً عبادته على ما جاء في الشريعة ، جاعلا حياته كلها ورداً واحداً ، وحاله في خدمة الله سرمداً ، فهو سعيد بقرب مولاه ، يجيبه اذا دعاه ويرحمه اذا ناجاه . !

وحينئذ يكون رب المال قائماً بوظائفه الدينية بما عليه من الواجبات :كالحج والخمس والزكاة ، ورد المظالم ، والكفارات ، وسائر المبرات والمندوبات !

كما كان عليه ائمة الهدى والصالحون من صحابة المصطفى (ص) والتابعين .

وما أروع الامثال التي قام بها محمد والآل (ص) بالنسبة الى توزيع المال على الشعب وعلى ذوي القربى .كما تشرق بذلك صفحات التاريخ من سيرة الامام زين العابدين وحفيده الامام الصادق (ع) واولادهما واحفادهما ، في وقت كان المال ينصب في خزائن بني امية وبني العباس صباً ، ثم يصرف في البذخ على القينات والمؤسسات والمحترفين !

وحينئذ يكون العالم قد طبق علمه وخدم المجتمع بطاقاته ، فينال من الله القرب والزلفى ، فان طالب العلم ليمشي على اجنحة الملائكة ، وينال مقام الخشية لله « انما يخشى الله من عباده العلماء » فينكشف له الشهود ، فيشهد لله بالوحدانية كما شهد لنفسه وشهدت له الملائكة : « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم» . وما نال ابونا آدم (ع) مقام الاجلال وسجود الملائكة الا تعظيماً لمقام العلم فلولا انه كان اعلم منهم لما استحق ذلك التكريم .كما صرح بذلك القرآن العظيم .

وحينئذ ، يكون الموظف قائماً بالخدمة الاجتماعية ، وفياً لعمله ، مخلصاً لشعبه ، اميناً على ما أوتمن عليه ، عفيفاً عما في ايدي الناس ، تقياً في انجاز عمله .

وحينئذ تتشكل المدنية الفاضلة في ظلال الاسلام ، وتحت راية القرآن ، ويمسح الله على عقول الناس وافكارهم فتنكشف لهم الحقائق : «وان لو استقاموا

على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً » . والماء الغدق تعبير لاله الازل فى اسباغ النعم وسعة الرحمة ، وانزال البركات «ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لانزلنا عليهم بركات من السماء » .

وها هو القرآن الكريم يفضى بآياته الكريمة يبين لنا « السعداء » :

«من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم بأحسن ماكانوا يعملون» .

«من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

«الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب» .

نسأل الله لنا ولكم سعادة الدارين بتطبيق الاحكام الشرعية المرادة منا بمحمد وآله المعصومين .

لا سعادة الا فى الاسلام

«ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى * قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى» .

سورة طه
الايات : (١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦)

نحن عطاء الذكرى *

-بيروت ابو علي

أنناجيك ، والنجاوى تطول حسبها منـك أنك المأمول
لوعة نحن ها هنا ، وجراح تتنزى فى وعينـا وتسيل
كلما امتدت الحياة ، وطال الدرب ، واشتد بالسؤال السؤول
وأطالوا الحديث، فى السر والأعلان ، ماذا قالوا وماذا نقول ؟
وحكينا لهم احاديث من عاشوا طويلا ، ان قيل : عمر طويل
ردّنا للحقيقة البكر وحي خالـد شد وحيـه التنزيل
انت كالشمس فى هدانا ، وان ضلت بمعناك فى الدياجي العقول

* * *

اناجيك ، كيف يسمو بنا القول ، وماذا ؟ اذا دهانا المحول
أي لفظ لم يبتذل ، أي معنـى لم يتاجر به خؤون جهول
أي دمع فى الاعين الحمر لم يسفح رياء ان اعوزتنا الحلول
أي فكر لم نهدر الطاقة الـكبرى به للطغاة حين يجول

* * *

اناجيك للشـكاوى التي تلتاع فينـا وترتجي وتميـل
بين شكوى تهزّنا بحديث الظلم طوراً يخبو وطوراً يصول
وشكاوى تنعى لك الدين والدنيا ويشتـد بالنعـي العويل

---

* فى ذكرى ولادة صاحب الامر (عج) .

أي شكوى لم تصطنعها خطايانا ، ولم تجر في مداها الخيول
أي ظلم في الكون ، لم تنصر الظالم فيه اسنة ونصول
من هم الظالمون ؟ من أين جاؤا ؟ أين كانوا ومن هو المسؤول ؟
نحن سوط الطغيان، نحن سيوف البغي، ان سلها الدعي الدخيل

* * *

كان فرداً ، وجاء زيد وعمرو حوله ، ثم عامر وعقيل
ثم اغرى بالمال كل ضعيف حلمه في المدى عطاء جزيل
ثم مد السماط ، وامتدت الايدي ، فهذا هو الجواد المنيل
ثم اهوى بالسوط يلسع فيه كل حر لا ينحني أو يزول
فاذا بالنفاق ـ في مهرجان الشعر ـ يزهو بمدحه ويطول
هو ذا المصلح الكبير ، فمن ذا يتحدى الأصلاح ، أين العذول
وتعود السياط تهوي علينا فهي تدري ان النفاق ذليل
وتدور الدنيا ، فهذا الذي صفق للظلم ، وهو غرّ عليل
هو ذا في السجون يغضي على الذلة ، وهو المعذب المغلول
وينادي عجل لنا الفرج الاكبر . . ان الحياة عبء ثقيل
هو عبء الحياة اثقل دنياها ، فعاشت بالزيف منه الفلول

* * *

نحن نرجوك من جديد لكي تظهر فينا ليستريح القبيل
لترينا ان العقيدة لم تشرق ، ليقتادها جبان دخيل
أو ليلهو بها دعي يعيش العمر جهلا ، كما يعيش الكسول
أو ليستام وحيها تاجر يلهث في السوق حلمه المعسول
أو ليحيا لها جلالا وجاهاً يلتقينا به الصراع الطويل
فاذا بالذين يحتضنون الحق وحياً يسمو به جبريل
عادت الأمنيات تلعب فيهم فهي دين لهم ودنيا تدول
أيهم يمسك الثرى بيديه فهو ذاك العظيم وهو الأصيل
أيهم ينشر اسمه كلما امتد به العمر فهو ذكر جميل

أي شيء نرجو ، أنرجوك للحق ، فها نحن جيشه المخذول
أي حلم نهفو اليه ، ألم يقتل لدينا حلم الحياة النبيل
ربما نرتجيك ان تقهر الزيف ، فهذا شعارنا المحمول
من ترى زيف الحقيقة فينا انه عندنا العظيم الجليل
دمعه يملأ الجفون ، وان شاء اصطياداً ، فبسمة تستميل
حسبه من سذاجة الناس ان يرعى علاه التكبير والتهليل
ويعيش المزيفون على اسم الحق والحق بينهم مقتول

* * *

نحن نرجوك من جديد ، لكي تظهر فينا فقد اضيع السبيل
انها حكمة الاله فلا تبلغ اسرارها لدينا العقول
غير انا نهفو اليك ، وفى الروح حنين وفى الحياة ذهول
نحن في وحشة الطريق حيارى ولديك الهدى وأنت الدليل

تحية الى الهادي

الشيخ حسن طراد العاملي

من وحي افصح ناطق بالضاد   بزغت لنا أنوار فجر (الهادي)
وجلت دياجير الضلال بساطع   من ضوئها المتألق الوقاد
ومضت تنير الفكر من الهامها   بسنا الهدى وأشعة الارشاد
لتبين بالارقام ان شريعة الاسلام   اعذب منهل للصادي
تسدي بمنهجها المقدس كل ما   يسمو به الانسان من امجاد
وتحل ألغاز الوجود بنظرة   نفاذة وبمنطق نقاد
وتسن للاجيال في تشريعها   نهجاً رفيعاً واسع الابعاد
الدين والدنيا لديه تلاقيا   في ظل عدل شامل ورشاد
فالحقل والمحراب فيه معبد   لله يثمر منتهى الاسعاد
لم لا وواضعه حكيم عالم   بعوامل الاصلاح والافساد
بعث الرسالة بالفضائل رحمة   للعالمين ونجعة الرواد
تمضي العصور وفجرها متالق   يطوي المدى بصلابة وعناد

عالم المرأة

الاسلام فوق الشبهات

بنت الهادى

الاسلام يفرض على كل مسلم أن يلتزم بكافة أحكامه التزاماً كاملا ، كمايوجب عليه أن يعتقد بأنه هوالدين الذى فرضه الله عليه ، وأن يؤمن كذلك بأن الله سبحانه أدرى بما يكون صالحاً للانسان ، وما يكون ضاراً له ، وأنه لايكلفه الا بما يضمن له السعادة فى الدنيا والآخرة .

بناء على ذلــك : أرجو أن يكون واضحاً أن كتابتي هذه ليست موجهة لمن يعتقد بالاسلام مثل هــذا الاعتقاد ، بل هي تدور حول رد شبهة من الشبهات التي روجها أعداء الاسلام ضد تشريعاته العادلة .

أيتها الأخت العزيزة :

أن أهم ما يتميز به الاسلام بالنسبة الى المرأة عن غيره من الاديان التي كانت قبله ، والنظم التي أتت بعده على السواء نظرته الانسانية السوية الى كل من المرأة والرجل في كل تشريعاته وأحكامه.

والقرآن الكريم هو دستور الاسلام ، يذكرحقوق المرأة وواجباتها، ويساوي بينها وبين الرجل مساواة عامة صريحة ، في كل خطاباته الموجهة الى الجانبين ، قبل ان يقررللرجل على المرأة درجة الرئاسة ـ قال تعالى : «ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم» (١)

والاسلام كما أنصف كلا منهما فيما فرض عليه من الاحكام ، وما أوجبه من الحقوق ، انصفه كذلك في الأجروالجزاء ، بل ساوى بينهما في ذلك مساواة كاملة بحيث نقرأ في كتاب الله :

«فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض» (٢)

(ليس بأمانيكم ، ولا أماني أهل الكتاب ، من يعمل سوءاً يجز به ، ولا يجد له من دون الله ولياً ولانصيراً ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى ، وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً) (٣)

(من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (٤).

ذلك في الاسلام . . . في حين انالغرب ـ ومنذ وقت ليس بالبعيد ـ كان يعتبر المرأة نوعاً من الرجس، وكانت الكنيسة تعتبر مجرد ملامسة يدها للانجيل اهانة له (٤) في حين ان الاسلام كان قد اوجب قراءة القرآن ـ في الصلاة ـ على كل من المرأة والرجل وحثهما على قراءته وتجويده فيغيرها .

ومن وصايا رسول الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم لامته ـ (أوصيكم بالنساء خيراً)

ومع ذلك : حاول أعداء الاسلام تشويه حكمه العادل بالنسبة الى الأرث ، لان المرأة في تشريعه ترث نصف ما يرث الرجل .

---

(١) سورة البقره الايه ٢٢٨ .

(٢) سورة آل عمران الايه ١٩٤ .

(٣) سورة النساء الايه ١٢٣ .

(٤) سورة النحل الأيه ٩٧ .

(٥) راجع ما يدل على ذلك ـ في العدد الثالث ص ٩٦ ـ من مجلة ـ المسلمون. سنة ١٩٦١ م.

يقولون : بهذا ميز الاسلام الرجل عن المرأة ، ويعني هذا ـ فى نظرهم ـ أن المرأة مضطهدة من حيث الحقوق فى تشريع الاسلام، اننـا نقول ، لكل من لا يعرف عن الاسلام واقعه الحقيقـي ، ولجميـع الذين يتسمون بـالأسلام وهم لايعرفون عنه شيئاً ، بل يناصرون جميع التهم الموجهة اليه،ولجميـع اولئك الذين يعرفون واقـع الاسلام ، ولكنهم يصرون على تشويه معالمه، مكابرة وعناداً لهؤلاء جميعاً نقول :

ان الاسلام فرض للرجل اكثرمن المرأة ، لان الرجل مسؤول عن نفقة عائلته المكونـة من زوجته ، وأولاده، ونفقة أبويه العاجزين الفقيرين اذا لم يكن عندهم ما يعتاشون به ، وكذا أوجب عليه الانفاق على بعض أرحامه في ظروف معينة،مع تمكنه من ذلك (١) .

أما المرأة فليست مسؤولة حتى عن نفقة نفسها ، لان الاسـلام أوجب نفقتهـا على والدها ان كانت عنده ، وأوجبها على زوجها انكانت عنده ، وأوجبهـا على المتمكن من اجدادها ان لم يكن لها أب ولا زوج، وكانت هي عاجزة عن الانفاق على نفسها .

فانما فرضه الاسلام للمرأة انما هومختص بها نفسها لأنها ليست مسؤولة عن أحد فى النفقة الا فى ظروف نادرة ، ـ ولكن بشرط ان تكون متمكنة ـ .

بل المسؤول عنها غيرها فى ذلك ، كما عرفت سابقاً .

لأجل هذا ـ والله العالم ـ فرض الاسلام للرجل ضعف ما فرضه للمرأة .

فلو أعطى الاسلام الرجل مثل المرأة فأين هي العدالة اذن ؟

هل العدالة فى أن يعطى شخص مسؤول عنجميع هذه النفقات،مثل شخص ليس مسؤولا حتى عن نفقات نفسه ، فى أغلب الحالات ؟ . . !

لا اظن بأن انساناً عاقلا ومنصفاً يسمح لنفسه أن تحدثه بجواز ذلك .

---

(١) كما يشير اليه فى منهاج الصالحين ص ١٩٩ .

وأنني بصفتي واحدة من المسلمات اللاتي يفتخرن بدينهن وعقيدتهن، لانهن كن قد تشربن بشيء من معارف الاسلام، وآمن به ايماناً واعياً ، أوجه نصيحتي الى كل الاخوات المسلمات ، بأن لاينخدعن بأقوال أعداء الاسلام الحاقدين عليه وعلى أتباعه .

وان يتنبهن الى أن عمليات التشكيك في تعاليم ديننا المقدس ، جزء من المخطط الواسع النطاق، المتعدد الجوانب ، الذى وضعه هؤلاء الاعداء، لتضليل الجهلاء بحقيقة الاسلام ، ومبادئه العادلة ، تمهيداً لابعاده عن واقع الحياة لدى المسلمين ، وليتم لهم فى النهاية ـ كما يتوهمون ـ القضاء على نور الاسلام قضاء تاماً ، ولكن خاب فألهم ، وخسيء كيدهم، لأن قوة الاسلام ورسوخ أركانه، ومتانة أسسه ، ورعاية الله له ، أقوى من كل وسائلهم ومخططاتهم المجرمة .

«يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله ألا أن يتم نوره ولو كره الكافرون» (١) .

(هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (٢) .

(ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) (٣) .

(١ و٢) آية ٣٢ و ٣٣ سورة التوبة .

(٣) سورة المائدة الاية ٤٤ .

حقل الأدب المترجم

الى السجين رقم ٥ .. إنتبه .. *

تأليف : محمود حكيمي

ترجمه بتصرف ، حسين العاملي - بيروت

فى الناحية الغربية لمدينة «جوهانسبورغ» ، كان رئيس البوليس المقدم تشارلز سميث يرمي ذلك الرجل الأسود النحيف ، الذي كان يجلس قبالته بنظرة ملؤها النفرة والاشمئزاز . . . وبصوت يرتجف من الغضب قال :

ـ ايها الأسود القذر . . . بسرعة اعترف . .

ولم يبد على وجه ذلك الأسود اية علامة اضطراب . . ولم يجب . الأمر الذي زاد من حدة غضب الضابط الابيض ، فنظر مرة اخرى الى المنشورات التي كانت على طاولته وقال :

ألا تعلم ان توزيع مثل هذه المنشورات يعرضك لعقوبات شديدة ؟

ألا تعلم ان هذه الاوراق من جمعية مسلمي افريقيا ، وهي تتضمن الحث على اقامة مراسم العزاء للشيخ عبد الله هارون . . ذلك الذي قتلناه في السجن بالرغم من كونه زعيم المسلمين الديني ؟ ! ! .

(*) قصة فارسية ، باسم داز او برايم سخن بگو» .

وقطع الاسود النحيف حبل صمته فجأة وقال :

ليس في هذه المنشورات أي شيء ضد الحكومة . . كل ما فيها مجرد الحث على اقامة مراسم العزاء كما قلت..وهذا امر عادي ، لا يستدعي توقيفي ولا تهديدي..

وامتلأ سميث غيظاً مما سمع ، وقال :

ـ ولكن هناك عبارات في اعلى كل نسخة ، طالما رأيتها في منشوراتكم . . . هذه العبارات تعتبر استفزازاً للحكومة، واهانة لها . . ألا تقرأ ؟ ها قدكتب هنا :

«يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير» .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

«الناس سواسية كأسنان المشط» .

وسكت تشارلز سميث لبضع لحظات..ثم صرخ وقد احمر وجهه من الغضب:

من ذا يقبل هذا الكلام ؟ ! ! الابيض والاسود سواء يأكلان معاً ! ! ويعملان معاً في مكان واحد ! ! أليس هذا معنى تساويهما ؟ !

أيها الاسود القذر . . من اعطاك هذه الاوراق ؟ قل . . ممن اخذتها ؟

ولم يتلق جواباً . . فأخرج من طاولته ورقة وسأل :

ـ ما اسمك ؟

ـ علي .

ـ اريد اسمك الاصلي .

ـ اسمي الاصلي «الكلب الاسود» ، هكذا كان يناديني واحد منكم ، كان قد استرقني ، ولكن من الان فصاعداً لست كلباً . . لقد اصبحت انساناً .

قال له المقدم سميث بهزء :

ـ متى اصبحت انساناً ؟ ! !

ـ منذ ان اشرق على قلبي نور الاسلام .

ـ وضحك الضابط بملء فيه وقال :

ـ قل منذ غرر بي وخدعت . . . اسمع أيها الاسود :

بحسب التقاليد اعتبر أنا مسيحياً . . ولكن ـ اذا اردت الحقيقة ـ لا اتقيد ولا التزم بأي دين .

قال هذا ونظر مرة اخرى الى المنشورات التى كانت امامه على الطاولة..كانت نظرته توحي بأنه سيمزقها . . وفجأة انتفض علي قائلا :

لا اسمح لك بتمزيقها ، ألا ترى ان فيها آيات قرآنية ؟ كيف تجرؤ على اهانة كلام الله سبحانه ؟

وبهت تشارلز سميث لهذه الحركة الفجائية ، وقال متحيراً :

ـ كلام الله ؟ !

ـ نعم كلام الله.. ذلك الذي كتب بخطاسود في الوسط هو من آيات القرآن الكريم . . دستور الحرية الذي أوحى للنبي الاعظم محمد صلى الله عليهوآله وسلم حتى تكف انت وأمثالك عن مناداة السود ـ لانهم سود ـ بالكلاب القدرة .

وجن جنون سميث لهذا التوبيخ الصريح العنيف فقال :

ـ بناء على هذا سنضاعف لك العقاب : اعلم انك اذا لم تعترف فان مصير عبد الله هارون ينتظرك .

ـ ليس في هذه الاوراق شيىء خلاف القانون . . . فلماذا تتهمني زوراً ؟

ـ يا للفضول..اسكت ايها الاسود القذر..اذا لم تعترف باختيارك ولم تخبرني من أين جئت بهذه الاوراق ، فان لي طرقي الخاصة التي ترغمك على الاعتراف .

وهز علي كتفيه ساخراً وقال :

ـ اصنع ماشئت فلن تستطيع أن تجبرني حتى على الكلام .

وأخرج سميث ساعتة الذهبية من جيب صدريته ونظر اليها قائلا :

ـ كن على ثقة بأنك سوف تندم . . . وبصوت عال صاح : تعال . .

وفتح الباب ودخل عريف كأنه من بقايا عاد . . محمر الوجه منتفخ الاوداج ، يبدو عليه انه جزار . .

قال له سميث :

ـ في الزنزانة رقم ٨ ، لايوجد الا كلب واحد ، أليس كذلك ؟ .

ـ نعم سيدي .

ـ بسرعة خذ هذا الاخر اليه .

* * *

يتألف السجن من مجموعتي زنزانات متقابلتين ، يفصل بينهما ممر طويل جداً تقع عندنهايته غرفة المقدمسميث الذيكان يدور فيها هذا الحوار...وكانت كلزنزانة تتسع لاثنين فقط . . وكانت الزنزانة رقم ٨ التي سيودع فيها علي، قد استقبلت ضيفاً جديداً قبل ساعات .

* * *

ما انفتح العريف الذي اقتاد علياً باب السجن،حتى ارتفعت أصوات المساجين ـ وأكثرهم مسلمون ـ بالنشيد الاسلامي ، وبصورة لاشعورية وجد علي نفسه يردد النشيد مع اخوانه في الله دون أن يمنعه من ذلك هذا الجزار الذي امتلأ غيظاً مما يسمع ويرى ، فأمسك علياً بكلتا يديه وقذف به الى داخل السجن ، مستعيناً بضربة من رجله كادت تقصم ظهر صاحبنا السجين . . . ولكن ذلك لم يقطع على السجناء نشيدهم . . . . الأمر الذي زاد من غيظ العريف الجلاد فصاح بملء فيه :

ـ اسكتوا أيها الكلاب القذرة . . . قبحكمالله، وفتح بابالزنزانة وأدخل علياً وأقفلالباب..وكان المساجين مايزالون يرددونبلغتهم المحلية النشيد الاسلاميالاتي:

اضحى الاسلام لنا دينا — وجميع الكون لنا وطناً
توحيد الله لنا نور — اعددنا الروح له سكنا
الكون يزول ولا تمحى — في الدهر صحائف سؤددنا

* * *

بنيت في الارض معابدنا — والبيت الاول كعبتنا
هو اول بيت نحفظه — بحياة الروح ويحفظنا

علـم الاسلام على الايـام　　شـعار المـجـد لملتـنا

* * *

بشـر متسـاوون خلـقنا　　والـتقـوى رمـز تفاضـلنا
فالابيـض منـا ليس لـه　　شـرف الـلون على اسـودنا
لا العنصر بالحقد يغذينـا　　لا العـرق يمزق وحدتنا (١)

* * *

يا ارض النور من الحرمين　　ويـا ميـلاد شـريعتنا
روض الأسلام و دوحتـه　　فـي ارضك رواهـا دمنا
ليعيـد قـوافلـنا الاولـى　　فى المجد ويبعث امتنـا

وانتهى النشيد... فالتفت علي الى زميله الاسود الذين كان متمدداً على سريره وقال له :

ـ لماذا لم تشترك معنا بتلاوة النشيد يا اخي ؟ ! .

اجابه قائلا :

ـ ان حياتي كحياة دودة حقيرة . . انا مسكين ضائع ، اعيش دائماً فى دوامة لا اجد منها مخرجاً . . قل لي : لماذا نحاول ان نفعل شيئاً ؟ ! نتعلم شيئاً . . نسمع شيئاً . . اية فائدة نطلبها من حياتنا ؟ واي شيىء نقدر عليه نحن المسيرين الضعفاء . . لقد سئمت كل ما رأيت . . حتى نفسي سئمتها . . اني أريد أن أموت . . .

وسكت . . فجلس علي الى سريره الخاص به و قال : آه . . انت أيضاً كالبعض حفظت شيئاً من ذلك الكتاب اليائس المشؤوم ورحت ترددها .

صحيح ان هذا الكتاب يصور بدقة ما نعانيه نحن السود ، ولكنه في واقعه يجرنا الى اليأس والقنوط . . . دعني اقرأ لك كلمات من نوع آخر لترى . .

ولم يتم كلامه حتى هب صاحبه واقفاً وقال :

ماذا تراك تسمعني،وهل هناك كلمات احسن ؟ هل هناك ما يستطيع ان يخفف من تعاستنا او يزيلها ؟ ! !

وانتفض واقفاً للمرة الثانية وكان يبدو عليه الغضب الشديد، وضرب يده بالاخرى وقال : منذ وفاة عبد الله هارون وانتم المسلمون مشغولون بالنشيد وترديده . . فماذا استفدتم ؟ . لقد تعبتم واتعبتمونا معكم . . اتركونا وشأننا . . دعونا نموت بهدوء...

سأله علي :

ـ ما اسمك يا عزيزي ؟

ـ ريمون .

ـ أمسيحي انت ؟ .

ـ الان نعم ، ولكني قبل اشهر خلت كنت وثنياً ، غير ان سيدي الذي تملكني اجبرني على اعتناق الدين المسيحي ..ومنذ ذلك الوقت اصبحت اذهب الى الكنيسة في ايام الآحاد ، حيث ذلك القسيس الذي لا يعرف حديثاً الا المحبة . . كان يقول ان المسيحي اذا اراد ان يكون مؤمناً ، عليه ان يحب الآخرين . .

وسكت ريمون،وبدأت اوداجه تنتفخ . . واحمر وجهه وبصوت مخيف قال : ذلك القسيس الاحمق،ومالكي الابيض، ما اكثر ما يحدثنا عن المحبة . . ولكن هل تعلم كم كانت مؤذية تلك العصي التي كانت تنهال علي ليل نهار . . فهل كانت عصي سيدي هذه عصي المحبة التي يتشدقون بها .

وجلس على سريره واخذ رأسه بين يديه واردف قائلا :

ـ طبعاً انا عامل زراعي . . ولكني لم اكن في السابق عند هذا الاقطاعي الظالم، لقدكان لوالدي قطعة ارض صغيرة كانت تكفل لنا لقمة العيش بالرغم من تلك المشاكل التي عانيناها آنذاك . .

لم يكن عندنا بقرة ، فكان ابي ـ في الاغلب ـ يربط المحراث بحمار كنا نمتلكه ويحرث الارض بواسطته .

وذات يوم قريب الغروب عدت الى المنزل فرايت العائلة كلها مجتمعة في الاصطبل حول جثة الحمار .. . آه . . لايمكن ان انسى ذلك اليوم مدى الحياة . . . وجدت ابي يبكي بكاءمريراً . . لقدمات الحمار المسكين الهزيل،مات فجأة وهو يحرث!!!.

ورايت ان اقدم نفسي لوالدي بدلا . . عن الحمار ! !

وبدانا من اليوم الثاني . . المحراث في عنقي من ناحية ، ووالدي يمسكه من الناحية الاخرى . . وماذا نفعل ؟ كان لا بد من ذلك . . لان ثمة بطوناً خاوية تتوق الى

لقمة الخبز . . وقديماً قيل : من زرع حصد .

بعد مدة شعرت بأن مصيري لن يختلف عن مصير ذلك الحمار المسكين . . وحينها صادف ان رآني هذا الاقطاعي الابيض الظالم ، فاشتراني من ابي بمأة ليرة ومن هنا بدات قصتي معه . .

وسكت ريمون عدة لحظات ، ثم قال :

قد تظن ان ابي كان مادياً قاسي القلب ، لانه باعني لهذا الاقطاعي ، ولكنني ـ وانا المبيع ـ لا احتمل ذلك ابداً . . . لان والدي كان مضطراً ، ولو لا قبولي واصراري الشديد لما فعل ، والذي جعلني اقبل واصر ليس الا الفقر والجوع الذي لا يرحم . . وارجو ان تصدقني .

على اي حال اخذني ذلك الاقطاعي الابيض الى مزرعته الكبيرة، حيثالتقيت بأعداد هائلة من المستعبدين السود . .

كان «سيدنا» يعاملنا معاملة الحيوانات ، وكان بعضنا يتمنى الموت ليستريح .. والغريب المضحك هو ان هذا الاقطاعي الظالم ، الذي امتص دماءنا ، كان يجمعنا ايام الاحاد في الكنيسة ويقف فينا خطيباً :

«ايها العمال الاعزاء . . ليتكم تعلمون مدى حبي لكم ، وتعبي في سبيلكم . . ان هدفي الاول والاخير هو ان يكون مستوى حياتكم لا يختلف بشيىء عن مستوى حياتي ، ولا ارضى ابداً بأن يكون بيننا اي تفاوت» .

في الكنيسة هكذا ! ! وفي المزرعة ضرب ، ولا كضرب الحمير . . كل ذلك ليؤكد مدى محبته لنا ! ! ! .

لقد استطعت ان افهم بسرعة ان ما يقال في الكنيسة لا يجب ان يكون صحيحاً وما ذكرته لك مثال حي .. وهناك شيىء آخر . . كنت اسمعهم في الكنيسة يقولون: ان الله واحد ، ولكنه في نفس الوقت ثلاثة : الاب ، والابن ، والروح القدس ، ولم يقبل عقلي هذه الخرافة ! ! كيف يكون واحداً ، وفي نفس الوقت ثلاثة ؟ ! ! .

وهنا ارتفع صوت ريمون ، ونهض عن سريره ، وبغضب قال :

ليكن واحداً . . وليكن ثلاثة . . . المهم اني فعلت ما ارضيت به ضميري ، ففي احد الايام . . . .

(١) النشيد للشاعر الاسلامي محمد اقبال ، وهذا المقطع وحده للشيخ قاسم عباس .

ـ البقية في العدد القادم ـ



ماذا وراء زيارات رجال الدين الروس للشرق الأوسط (*)

«السوفيات هم الحلفاء العظام للمسلمين . . هذا ما يدعونه في كل مناسبة» الا ان لهم شرطاً وحيدا وهو ان لا يعيش المسلمون في الاتحاد السوفياتي نفسه» .

منير حافظ في جين افريك ، عدد تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٨ .

ومع ان كلام منير حافظ هـذا كتب في عام ١٩٦٨ الا انه ما زال ينطبق على واقع الحال اليوم ليس فقط بالنسبة الى المسلمين بل والى المؤمنين من اتباع الديانات الاخرى.غير ان الاسلام يحظى باهتمام خاص من جانب السوفيات،ذلك لان المسلمين يتركزون في بلدان العالم الثالث التي ترغب موسكو في التأثير عليها ، ولأن رفض المسلمين للنفوذ الاستعماري قد ساعد الاتحاد السوفياتي على الظهور بمظهر الحليف ضد الاستغلال الغربي . كما ان العدد الكبير من السكان المسلمين في آسيا الوسطى قد مكن الاتحاد السوفياتي من اعتماد اسلوب ديني مغر،ولا سيما في العالم العربي *في الوقت الذي يتناسى فيه اضطهاده المسلمين في اراضيه . غير ان موسكو اظهرت في الاونة الاخيرة انها تزداد حساسية للانتقادات الموجهة اليها من هذه الناحية .*

(*) عن جريدة «الحياة» البيروتية ، بتاريخ ٢٢/٥/١٩٧٢ .

رأى باحث علوم سوفياتي : وقد تضمن حديث اذاعه راديوموسكو في ٢٧ اذار (مارس) ١٩٧٢ دلائل صريحة على حساسيات الروس الراهنة، ومطامعهم في الحقل الاسلامي . وكتب الحديث ديمتري بونوماريف ، من الباحثين في العلوم التاريخية، وكان عنوان الحديث - وقيل انه الحلقة الاولى في سلسلة مماثلة - مثيراً وبعيد المرامي وهو «ضد المحاولات الاستعمارية لاستغلال الدين في اغراض رجعية» .

وقال بونوماريف «من الطبيعي للاحزاب الثورية التقدمية، بما فيها الاحزاب الماركسية اللينينية،ان تدعو الى تحالف مع المؤمنين في الكفاح المشترك في سبيل اهداف عادلة» . واعاد الى الأذهان ان مؤتمر احزاب العمال والاحزاب الشيوعية الذي عقد عام ١٩٦٩ في موسكو لاحظ تطور تعاون الشيوعيين مع الجماهير الديمقراطية الضخمة من الكاثوليك وغيرهم من اتباع الديانات الأخرى في عدد من البلدان . واضاف يقول: «ان الرجعية والامبريالية ترهبان وحدة العمل بين الشيوعيين وجميع القوى التقدمية والملايين من المسلمين . الا ان الدعاية الامبريالية تخلق الاكاذيب لعرقلة هذه الوحدة . وتحاول ان تدخل في روع الناس ان الشيوعيين يقفون موقفاً عدائيا من الاسلام . ولا يهدف هذا التلفيق الا الى التحايل على الشعوب الاسلامية».

الامبراطورية الباقية :

ومع ان موسكو تحب ان تستخدم الاسلام كوسيلة في سياستها الخارجية،فانها لا تستطيع ان تدرا عن نفسها تهمة معاملة المسلمين في اراضيها معاملة «استعمارية». فقد علق احد المراقبين بقوله «في عام ١٩٢٠ كان جميع المسلمين تقريباً يعيشون تحت الحكم المباشر او غير المباشر لبريطانيا او فرنسا او هولندا او روسيا . اما اليوم فلم يبق غير الروس محتفظين بامبراطوريتهم . فعدا عن الثلاثين مليون مسلم تقريباً الذين يعيشون في الاتحاد السوفياتي فان المسلمين في كل مكان يعيشون مستقلين عن اوروبا باستثناء بلاد البلقان وفي بعض المناطق الباقية كالصحراء الاسبانية، ولم تشهد السنوات الخمسين الماضية سوى تقدم سياسي ضئيل لدى مسلمي الاتحاد السوفياتي بالمقارنة مع المسلمين في الخارج. فالقومية الكامنة في اسيا الوسطى السوفياتية والتي عبر عنها الى حد بعيد عن طريق الاسلام ، هي مصدر قلق مستديم لموسكو وسبب يجيه لاضطهاد المسلمين هناك .

الاضطهاد الديني في روسيا :

وعلى الرغم من كل بيانات النفي الرسمية ، فان الاضطهاد قائم من غير شك . فقد اقفل عدد من المساجد ووضعت العراقيل في وجه التعليم الديني. اما التساهلات من امثال اصدار ثلاث طبعات صغيرة من المصحف الشريف منذ عام ١٩٥٥ (وقد صدر من طبعة عام ١٩٦٩ خمسة آلاف نسخة فقط) فلا تعني شيئاً ، ذلك لان مسلمي الاتحاد السوفياتي لا يستطيعون قراءة الحرف العربي الذي كانت لغاتهم المحلية تكتب به اصلا . وثمة حملة دعائية الحادية مستمرة. وفي شهر اب (اغسطس) ١٩٧٠ دعت صحيفة البرافدا الى مضاعفة الدعاية الالحادية للتأثير على «عقول وقلوب» المؤمنين، وقالت ان اكثر بقايا الماضي احتمالا للبقاء هي «التحزبات والميول الدينية بين بعض فئات الشعب» .

الاديان :

وقد حمل تململ المسلمين في جمهوريات آسيا الوسطى السوفياتية صحيفة البرافدا على نشر تعليق في اذار (مارس) ١٩٧٠ بقلم م . كزيوكوف دعا فيه الى مضاعفة الجهود الدعائية ضد «الطائفيين» المسلمين في جمهورية الشيشن الانغوش. وقال «يجب ان لا يغيب عن الأذهان ان ليس المهم فقط انتقاد النواقص والعيوب دون احترام الأشخاص ، بل المهم ايضاً الدعاية بأفضل الوسائل لمحاربة التخدير الديني . فهذا هو الواجب الأهم للصحافة» .

مقاومة نشاط عالم اسلامي :

ومع ذلك فان التقدم في رأي السوفيات بطيء . وقد تضمنت صحيفة ترود الناطقة بلسان النقابات في ٢١ ايلول سبتمبر ١٩٧١ مقالة بقلم ز . خاسانوفا هاجمت نشاط احد العلما المسلمين،وأوضحت قوة الأسلام في طاجقستان . فقد زعم الكاتب ان العالم كان يحتال على السكان المحليين «غير ان حيل هذا الرجل لم تكن بخافية على السكان الا انهم لزموا الصمت لانهم يرهبون جانبه».اما الان فان الصمت مستحيل

وقد تمكن هذا العالم من بناء مسجد بالمواد والاموال التي وفرها «الكولخوز» المحلي الذي رصدها اصلا لبناء نادٍ له . والواقع ان البناء افتتح اصلا كناد «غير ان العالم المزعوم امام الدين زاره اول مرة ثم ثنى وثلث . وبمهارة فائقة حول الحديث الى الكلام عن الله . ومن هناك سار في طريقه » .

وقد حظر على العالم دخول النادي ، غير ان خاسانوفا هاجم ترسبات العادات والتقاليد التى تتيح «للكسالى» من امثال هذا الرجل ان يشقوا طريقهم في الحياة . ودعا الكاتب الى تحسين الدعاية الالحادية » .

حيل معروفة :

وتلجأ موسكو الى عدد من الحيل في محاولة تبديد شكوك الشعوب الاسلامية بشأن ما يدور داخل حدود الاتحاد السوفياتى . فهي تدعو عدداً من المسلمين لزيارة الاتحاد السوفياتى وتاخذهم في جولات متقنة التدبير ، ويرسل بعض المسلمين السوفيات الذين يركن اليهم سياسياً الى الخارج . و شهر هؤلاء الشيخ ضياء الدين باباخانوف «المفتي الاحمر» لاسيا الوسطى الذي قام اخيرا بجولة في بعض البلدان العربية .

وقد زار باباخانوف القاهرة في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٨ ثم في اذار (مارس) ١٩٧١ (فهو خريج جامعة الازهر) . وقد لعب دوراً عملياً بارزاً في مؤتمر طشقند للمسلمين السوفيات فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٠ والذي حضره اكثر من ٤٠ مسلما اجنبيا من ٢٥ بلداً .

ومن الشخصيات المسلمة البارزة التي حضرت المؤتمر المفتي خالدنوف . وهو الاخرزار مصر ، الا انه اتهم بتحريف العقيدة الاسلامية لملاءمة المطالب السوفياتية السياسية . وزار الحاج اسماعيل مخدوم الذي وصف بأنه نائب رئيس الجمعية الاسلامية فى الاتحاد السوفياتي الازهر في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ ، ثم عاد الى زيارتها في اذار (مارس) ١٩٦٩ على رأس وفد الحجاج السوفيات السنوي .

رحلة البطريرك بيمن :

وتحركت ايضاً الكنيسة الارثوذكسية الروسية لخدمة الاهداف السياسية السوفياتية . ففي الثامن من نيسان (ابريل) ١٩٧٢ ذكرت* وكالة انباء تاس ان البطريرك بيمن ، بطريرك موسكو وكل روسيا، الذي زار مؤخراً سورية ولبنان والقدس المحتلة، دعا في رسالته بمناسبة عيد الفصح الى عقد مؤتمر للامن الاوروبي .

وثمة براهين عديدة على ان المؤمنين ولا سيما المسلمين ، لاتنطلي عليهم هذه الخدع ، وفى عام ١٩٧١ انفجرت احتجاجات كبيرة في العالم الاسلامي بسبب كتاب وصفه الروس بأنه زور وبهتان وضع «لتشويه واقع الحال بالنسبة الى حرية العبادة في الاتحاد السوفياتى» . ونسب الكتاب الى ن . نيشانوف . السفير السوفياتي في سيلان وكان بعنوان « الاتحاد السوفياتي والاسلام » . وسواء أكان الكتاب زوراً وبهتاناً أم لم يكن، فليس ثمة من شك في الاقوال المقتبسة عن لينين وغيره من الدارسين السوفيات . وثمة سابقة هي مؤلفات الكاتب السوفياتي ل. ا . كليموفتش المناهضة للاسلام . وقد تهجم كليموفتش في احد كتبه على القرآن الكريم وقال انه اداة من ادوات النظام الاقطاعي وزعم ايضاً ان الاسلام دين للاضطهاد الطبقي. وقامت السلطات الاسلامية في اندونيسيا بوضع النسختين العربية والروسية من الكتاب بين يدي السكرتير العام لدائرة الشؤون الدينية «فشكرها على ذلك، لان من الواضح ان وجود الكتاب ومؤلفه كان موضع نفي السفارة السوفياتية منذ زمن» .

ولنا تعليق :

الخنافس عناصر مطرودة اجتماعياً

ذكرت وكالة رويتر ، نقلا عن وكالة الانباء الليبية: ان قوات الامن في طرابلس اعتقلت نحو ١٠٥ من الخنافس الليبيين الذين يطلقون شعر الرأس ، ويرتدون السراويل الضيقة ، وذلك خلال يومين .

كما ذكرت الانباء ان حكومة المغرب قامت بعمل مماثل : فأمرت بطرد الهيبيين من اراضيها .

ولنا تعليق :

خطوات نرجو لها التوفيق والنجاح ونأمل ان يتنبه كافة المسؤولين في الاقطار الاسلامية الى هذا الأمر الخطير ، الذي بدا يهدد هذه الامة ، ويطعنها في انشط قطاعاتها وهم الشباب ، رصيد الشعوب ومصدر قوتها ، وسر عظمتها ، والعنصر المؤثر في حياتها ، ومأساة هؤلاء الشبان انهم يعيشون الفراغ والضياع ، فلا يحسون لأوقاتهم بقيمة ، ولا يعرفون للزمن ثمنا فيقتلونه بمثل هذه الامور التافهة ، هروباً عن مسؤولياتهم وواجباتهم .

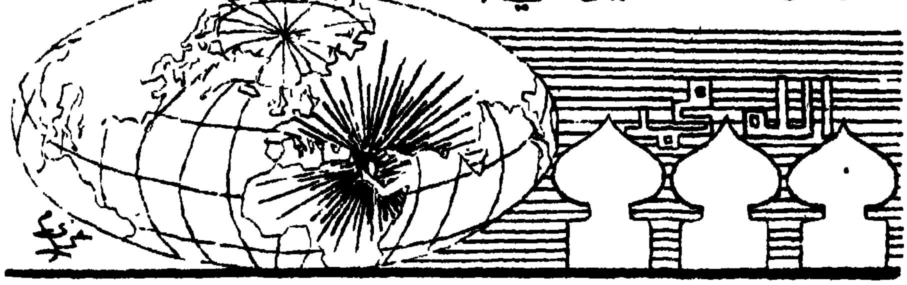
ولا بد لنا هنا ان ننبه المسؤولين الى انهم يجب ان يضعوا ايديهم على مواطن الداء فيعالجوه ، والافان هذه المواقف والاجراءات لن تكفي لحسم هذا الداء الوبيل .

والذي نعتقده هنا انه من الضروري اعادة النظر في مناهج التربية والتعليم والثقافة والاعلام بما ينسجم واعطاء شخصية قوية مؤثرة للشاب ، تتحمل المسؤولية ، وتحس بالواجب ، وتملأ وجوده و كيانه كله بما لا يدع له مجالا للتفكير في التوافه .

وهل هناك غير الاسلام من يستطيع ان يحقق كل هذه الامور؟ الاسلام بعقائده النيرة ، ومناهجه التربوية السليمة ، ومفاهيمه الواضحة عن كل شيىء ، عن الحياة ، عن الانسان ، هذا الاسلام هو وهو وحده الكفيل بالارتفاع بنا عن هذه الهاوية التي ننحدر اليها ، ليأخذ بأيدينا الى معارج السمو ، والقمم السامقة ، ويجعلنا منار هداية ، ومشعل نور للامم والشعوب - كما كنا اول مرة - .

ونجدد تبريكاتنا لهذه الخطوات ، ونحن على امل ان نرى الخطوات التالية لها المكملة والمحققة لشخصية هذه الامة وكيانها .

شؤون المسلمين في العالم



ابو مقداد

حريق الاقصى

صادف اليوم الحادى عشر من رجب والموافق لليوم الحادى والعشرين من آب ١٩٧٢ الذكرى الرابعة لحريق المسجد الاقصى ، الذي تم على ايدى اعداء الله والانسانية من اليهود المجرمين، وقد ترك هذا الحادث المروع اثراً بالغ العمق فى نفوس كل الخيرين الذين يدركون ويقدرون التراث الحضاري للامم، ويعون مدى التأثير الروحي في حياة الشعوب.

ولكن انى للصهاينه هذا الاحساس وهم الحاقدون على كل امة المتنكرون لكل القيم والمثل ؟

وبمناسبة هذا الحادث الاليم الذي الهب قلوب المسلمين ، صدرت بيانات من الاقطار الاسلامية في ايران والسعودية ومصر والكويت وليبيا وماليزيا وغيرها منددة بهذا العمل المجرم الاثيم . ومما يذكر ان حريق المسجد الاقصى قدهز كيان المسلمين جميعاً وأثار مشاعرهم فعقد على اثره مؤتمر القمة الاسلامي في الرباط الذي اسفر عن قرارات وتوصيات مهمة على الصعيد الرسمي .

واننا لنهيب بالأمة الاسلامية جمعاء ان لا تخمد في قلوبهم شعلة المسجد الجريح، بل تبقى مضطرمة متوهجة تدفعهم لتحمل مسؤولياتهم كاملة ، في الحفاظ على ما تبقى من كيانهم ووجودهم الذي لا حياة لهم في سواه ولا عدة ولا كرامة لهم بدونه .

وليكونو يداً واحدة وقلباً واحداً فهم احوج مايكونون اليوم الى رص الصف وجمع الشمل هذا و«ان الله يحب الذين بقاتلون في سبيله صفاً كانهم بنيان مرصوص»

الاعتراف بـ بنگلادش

اعترفت بعض الحكومات التي تدعي الاسلام بنظام الحكم في بنگلادش . وكأنها فعلت ذلك لتضيف دليلا جديداً على خروجها عن دائرة الدول الأسلامية التي ما زالت تنتظر كلمة دولة الپاكستان في هذا الموضوع .

نعم انه لا شك في ان بنگلادش قد صارت حقيقة واقعة ، وستعترف بها الدول اليوم او غداً ، لانها قد حضيت بموافقة جميع الأطراف المعنية والقوى الاعظم في العالم ، شأنها في ذلك شأن اسرائيل التي ركزوها في قلب العالم الاسلامي، وتسابقوا للفوز بالاعتراف بها.

ولكن الا يحسن بالدول الاسلامية والعربية منها على الخصوص ان تراعي مشاعر الملايين من المسلمين في الپاكستان وفي كل مكان ؟

الم تقف پاكستان ، وعلى جميع المستويات في محنة المسلمين ونكبتهم بفلسطين موقفاً مشرفاً سيذكره لها التاريخ منطلقة في ذلك من ايمانها بأن المعركة اسلامية ، وان آمال وآلام المسلمين في شتى اماكنهم واحدة .

ولكن لا عجب من خطوات هذه الدول التي ربطت مصير شعوبها المسلمة بعجلة الشيوعية العالمية، ونقلت الاستعمار من كتفها الايمن الى كتفها الايسر، لا عجب اذا سارعت للاعتراف بتلك الدولة التي اقامها اعداء الأسلام على اشلاء الالاف من الضحايا الابرياء ليحققوا مصالحهم، وينفذوا خططهم من خلال تمزيق وحدة المسلمين .

ولا يفوتنا هنا ان نذكر ما يتعرض له الاسلام واهله من محنة أليمة قاسية من هؤلاء المأجورين ، فلا زالت حملات التبعيد والتشريد والسجن ، والتضييق مستمرة وبشكل يدعو للاسف وينذر بالخطر ، ولا بد للغياری على الاسلام والمسلمين في كل مكان ان يتحملوا مسؤولياتهم ولا يدخروا جهداً في ايقاف هذه الحملات الظالمة التى تهدد دينهم وجامعاتهم العلمية. هذا وقد قال الرسول الاكرم (ص) : «من اصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم» .

حقائق يزاح عنها الستار

اتخذ الرئيس المصري السيد انور السادات قراراً بانهاء مهمة المستشارين والخبراء العسكريين السوفيات وتأميم المنشآت العسكرية التي اقيمت داخل الاراضي المصرية خلال فترة ما بعد عدوان حرب حزيران واعتبارها ملكاً خالصاً لجمهورية مصر .

وتشير التقارير الى ان هذا الموقف اتخذ بعد نفاذ صبر القيادة المصرية من مماطلة الزعماء السوفيات في منح مصر اسلحة هجومية تحتاج اليهـا لاسترداد اراضيها،وازالةآثار العدوان الاسرائيلي. اضافة الى ما يذكر من تدخـل هؤلاء المستشارين في كثير من الشؤون الداخلية لمصر .

وهكذا يزاح الستار ، وتنكشف الحجب عن حقائق جديدة فيما يتعلق بواقع الوجود السوفياتي في المنطقة ، فالقضية في حساب (الرفاق الحمر) ليست ارجاع حق و بسط عدل وانما هي مصالح فقط .

فلتبق حالة اللاحرب واللاسلم،ولتطل، مادامت محققة لاغراض هذا الحليف الصديق ! ! وليتحمـل شعب مصر ومن يشاركه همومه ، ما تفرضه هذه الحالة الشاذة من تكاليف باهضة ، ومن مشاعر وانفعالات، وهو يرى كرامته المطعونة ، واراضيه المسلوبة ، وحرماته المنتهكة .

هذا موقفهم منا في نفس الوقت الذي يمدون به الكيان اللقيط بالقوة البشرية ، فالهجرة قائمة على قدم وساق ، والباب مفتوح لالاف اليهود ليسكنوا اسرائيل(١)

فمن غيرهم المال والسلاح ، ومنهم البنون . والنتيجة ضياع الحق بين هـذا وذاك .

ومع هذا كله يبقى الكثير من ادعياء الاسلام مغفلين عما يحاك ضدهـم في وضح النهار ، فضلا عن ظلام الليـل ، ويبقى الكثير يتخبطون في ظلمة الشعارات ولا زال التيه يلفهم ، وتراهـم يجعلون اصابعهم في آذانهم حذر اصوات الحق ولكن لكل شيىء اجل ، ولا بد ان يأتي يوم تراجع الامة حساباتها وتنقشع جميع الغيوم من سمائها ، لتأخذ مكانها الطبيعي في هذا العالم ، وليس ذلك ببعيد .

---

(١) تذكر بعض المجلات والجرائد نقلا عن مصادر اسرائيلية ان المهاجرين اليهود من روسيا بدأوا يصلون باعداد متزايدة ، ففي اسبوع واحد بلغ عددهم ٧٠٠ شخص ، وان عددهم ربما وصل خلال العام الحالي الى ٦٥ ألف شخص ، علماً بأن هؤلاء يضمون عدداً كبيراً من الفنيين والمهندسين والاطباء والجنود السابقين .

استمرار الاعتداءات الاسرائيلية

قامت اسرائيل باعتداءات جديدة على الاراضي اللبنانية ، وشملت هذه المرة الاراضي السورية في يوم ٩ ايلول ١٩٧٢ .

كما وتكررت غاراتها على لبنان ، واحتلت ستة عشر قرية من جنوبه ، يوم ١٧ ايلول ١٩٧٢ .

وقد اتسمت جميع هذه العمليات بقسوة بالغة، وبوحشية وحقد اسوديملأ قلب هذا العدو الغادر،فقدكانت الطائرات تغير على القرى الآمنة دون تمييز ، وتصيب العشرات من الاطفال والنساء والعجزة ، في الوقت الذي يبدأجنودهم بتدمير البيوت ونسفها بالقنابل والدبابات

وكعادتنا بدأنا برفع المذكرات لمجلس الامن ، واستجداء العطف من الرأي العام العالمي ، وتحسيسه بنكبتنا وبما يحل بنا من ظلم وعدوان .

ولكن الاجدى والانفع في نظرنا هو ان نحول الاهتمام الى مجتمعاتنا نحن ، ونثير روح التضحية والتفاني بين شبابنا وابنائنا بدل ان نتركهم فريسة للضياع. ان نظرة سريعة الى العالم الاسلامي الذي تتوالى عليه الويلات والضربات ترينا مدى عدم المبالاة الذي نواجه به الاحداث ، فلن نجد هناك جدية او نشاطاً ولن نجد مجتمعاً نستطيع ان نسميه مجتمع حرب ، حرب مع العدو الغادر الذي يسلب اراضينا،حرب مع التخلف الذي يعيشه ويجعله بعيداً عن ركب التقدم.

اننا نريد من الاجهزة المسؤولة ان تولي شطرها نحو ابنائها، وتوجه وسائل الاعلام والثقافة بما يرفع من مستواهم العلمي والاخلاقي ،لا بالمجلات الخليعة وافلام الشذوذ التي لا تزيدنا الا وبالا وخساراً .

مشاعل في الظلام

عقد اتحاد طلبة المسلمين بالولايات المتحدةالامريكية وكندا مؤتمره السنوي العاشر يوم ١ - ٤ ايلول ١٩٧٢ .

وكان محل انعقاده في كلية «لندنوود» بمدينة سانت تشارلس الواقعة في ولاية ميسوري،وكان موضوع المؤتمر «الاسلام والمسلمون في امريكا الشمالية» .

واننا بدورنا نبارك لهؤلاء الاخوة مؤتمرهم مكبرين فيهم هذه الروح الجهادية وهذا الاحساس بالمسؤولية .

ولابد ان لا يغيب عن اذهانهم ان السيرة الحسنة والسلوك الافضل والالتزام الكامل بمناهج رسالتهم المقدسة كل هذه الامور لها التأثير الاكبر في جذب الكثير الى الاسلام

مع الاخبار:

الخبر . . الذى اهملناه

اذاعت وكالة الانباء الفرنسية خبرا اهملته جميع الصحف . . ولم يكن فى اهمال الخبر ما يثير العجب، بل ربما كان لابد من اهماله لانه يؤكد على مبدأ يعمل كثيرون في بلداننا على طمسه. وفيما يلي نص الخبر الذي أذيع يوم ٣١ يوليو الماضي من عاصمة افريقية الوسطى .

«اصدر الجنرال بوكاسا قراراً أذيع عن طريق الراديو عن الاجراءات الأخيرة التي اتخذتها حكومة جمهورية افريقية الوسطى للوقوف امام شراذم اللصوص الذين هددوا الامن في البلاد الاجراءات هي بالترتيب: السرقة الاولى : قطع اذن واحـدة ، والسرقة الثانية: قطع الأذن الثانية: والسرقة الثالثة: قطع اليد اليمنى والسرقة الرابعة الأعدام في الميدان العام» .

ولو كنا لا نزال قادرين على الاعتبار. فهذا الخبر يحمل لنا عبرة عظيمة .

انه يؤكد ان الانسان قد توصل ـ تقريباً ـ فى نهاية الامر الى التشريع الذي قدمه الاسلام قبل اربعة عشر قرناً وهو التشريع الذي كانما اتفقت دولنا الاسلامية بعد ذلك على عدم تنفيذه . ماعدا دولة او دولتين . . ان بعض التيارات الشائعة في بعض هذه الدول تنظر الى هذه الحدود الالهية نظرتها الى (عمل بدائى) لم يعد له مجال.. ولكن التجربة الطويلة للبشرية اثبتت انه لا يمكن ردع المجرمين الا بالحدود التي نص عليها التشريع الاسلامي.

ان ما وصل اليه الجنرال بوكاسا ـ بدون ارشاد من المسلمين بكل تأكيد ـ هو اجتهاد مخلص اقترب به من روح هذا التشريع. فالعقوبات التي شنها هذا الجنرال الذي لايعاني من العقد ولا يخجل من ان يرمى بتهمة الرجعية هي الى حد كبير توافق تشريعنا الذي يتدرج من التعزير الى حد السرقة الى حد الفساد في الارض .

لقد توصل الجنرال بوكاسا الى هذه الاحكام باستنتاجه الخاص ، ولا فضل للمسلمين *المعاصرين في ذلك لانهم لا يقومون به. فالذين يرون في اجراء الحدود دليلا على الرجعية ، بل حتى يخافون من الحدود*

على انفسهم كيف يمكنهم ان يرشدوا غيرهم الى تشريع الله ، وان فعلوا ذلك فقد حق عليهم قول الله : (اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ؟» «يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون» .

ان معظم الدول العربية والأسلامية تعلن ان الاسلام هو دينها ، وانه المصدر الاساسي لتشريعاتها . ولكن مثل كثير من الشعارات الخجولة ، لا يزال هذا الاعلان شعاراً مجرداً من اي محتوى حقيقي واقعي .

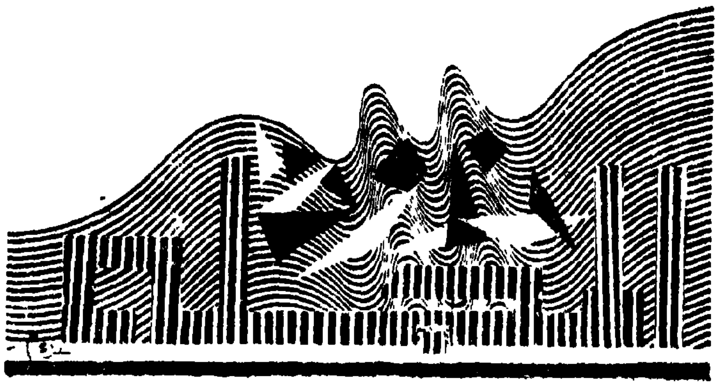
ان دارس التاريخ الاسلامي يعرف جيداً ان عصور السيادة الاسلامية هي عصور تمسك المسلمين بدينهم وايمانهم بهدفهم السامي في الحياة (عبادة الله ونشر دينه) . اما عصور انحلالهم وسقوطهم السياسي والاجتماعي فهي عصور انشغالهم بالدنيا دون الأخرة . عندما طلبنا الشهادة كتبت لنا السيادة وحين تلهفنا على الدنيا كتب علينا الذل والهوان . وهي سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ظفر الاسلام خان
صحفي هندي

مقتبس من جريدة الأخبار القاهرية
بتاريخ ٢ رجب ١٣٩٢ ه .

«والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم * فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم» .

(المائدة - ٣٨ - ٣٩)



وردتنا رسالة من الاخ الأستاذ احمد عبود الكاظم من بغداد تتضمن الاجابةعلى الأسئلة التي وجهتها ندوة المجلة للقراء، ننشرها شاكرين له اهتمامه وشعوره الفياض.

اخواني اعضاء هيئة التحرير : كان من نعم الله علي أن وفقني لان أطلع على (مجلة الهادي) في عددها الرابع . . فوجدته ـ والحق يقال ـ طافحاً بالمقالات القيمة والقصائد العصماء ، و الأبواب الرائعة ، مما دفعني لان اشترك معكم في ندوتكم،واني اذ آمل أن تتابعوا طرح هذه الأسئلة البناءة والتي تهم قضيتنا الأسلامية ارجوان تحظى اجوبتي بنشرها ، ولكم جزيل الشكر.

السؤال الاول : كيف تتصورون المعالم الحقيقة للمجتمع المسلم على ضوء النصوص الأسلاميه ؟

الجواب : يمكنني ان اتصور المعالم الحقيقة للمجتمع المسلم من زاويتين :

الاولى ـ الزاوية الاجمالية ـ :

فالمجتمع المسلم هو المجتمع الذي يدخل تحت الاية المباركة :

« يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة » .

حيث طلبت الآية الدخول المجموعي تحت اطار التسليم لله تعالى في كل شيء ، فمعالم المجتمع المسلم هي المعالم التي ارادها الله في صيغته الاسلامية للمجتمع . وبتعبير آخر لا يمكن ان نصف المجتمع بأنه (مسلم) ان لم تتمثل فيه كل مقتضيات ايمانه بالأسس العقائدية للاسلام ، وما تفرضه من خطط تالية :

الزاوية التفصيلية :

فأتصور ان المجال لايتسع لبسط القول فيه ، وان كنت سأذكر لذلك عدة نقاط :

١ ـ فمن زاوية المقاييس يجب ان يتخذ المجتمع الاسلامي مقياساً الهياً واحداً ، قائماً على اساس عقائدي متين ، ولايقبل أي تعديل ـ والمقياس يجب ان يكون ثابتاً حتى يقاس عليه ، نعم لايفوتني ان اذكر ان ثبات المقياس لايعني جمود المجتمع خصوصاً اذا كان قائماً على اساس نظرة موضوعية مستوعبة لكل الحقائق . ذلك المقياس ـ في نظري ـ هو (رضا الله) .

٢ ـ ومن زاوية الشعائر: يجب ان يكون واضحاً ان الاشياء التي جعلها الاسلام شعار الأيمان هي الميزة التي يعرف بها هذا المجتمع ، فهو المجتمع المصلي والحاج و .... ، أما بدون ذلك فلا يحق له ان يطلق على نفسه هذه التسمية .

٣ ـ ومن زاوية النظام: يجب ان يستمد المجتمع نظمه ودساتيره من الاسلام لا غير باعتباره ديناً يستوعب حياة الانسان في اي عصر كان .

٤ ـ ومن زاوية حفظ النظام : يجب ان يتمتع بخاصية (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) التي ذكرتها الآية المباركة :

(كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)

٥ ـ ومن الناحية الاخلاقية : فان المجتمع المسلم يجب ان يتمتع بقدر عال من الاخلاقيه يتناسب مع روح العقيدة التي يملكها .

٦ ـ ومن زاوية التطور الحضاري والعلمي : فهو مجتمع متطور متقدم بل يفرض ان يكون في طليعة الامم وهو مجتمع يقتبس ـ طبيعياً ـ ولكن اقتباسه يكون وفق قاعدة (اتباع الاحسن) التي ذكرت في مواطن عديدة في القرآن الكريم والحديث الشريف .

وبالاضافه الى ذلك فهو مرجو لعملية التطوير الذاتي للحضارة و المعرفة بدافع عقائدي .

السؤال الثاني : كيف يمكن ان يكون الادب رسالياً مع احتفاظه بطابعه كأدب معبر .

الجواب : للاجابة على هذا السؤال يجب ملاحظة ما يلي من النقاط :

النقطه الاولى : ان العقيده تحضى بأنواع من التلقي والتقبل لها وهي .

ا ـ التلقي البرهاني الجاف: حيث يقتنع العقل مع اسسها البرهانية ثم يتبناها لوحده .

ب ـ التلقي التقليدي الاعمى .

ج ـ التلقي البرهاني الوجداني: فبعد ان يقوم العقل بدوره بتقييم الادلة عليها يستعد هو والاحاسيس والمشاعر لتقبلها ليصبح الكيان كله كياناً مسلماً .

النقطة الثانية : الأدب اما ان يعبر عن واقع حي أوعن ترف خيالي سانح وماعداه فليس ادباً فى الحقيقة .

النقطة الثالثة : للاطار الاجتماعي الذى يعيشه الاديب ومدى تفاعله مع افكاره اثر كبير فى حرارة التعبير باعتبار هذا الاطار الاذن التي تتلقى نشيده وأنغامه ، وبتوضح هذه النقاط نقول :

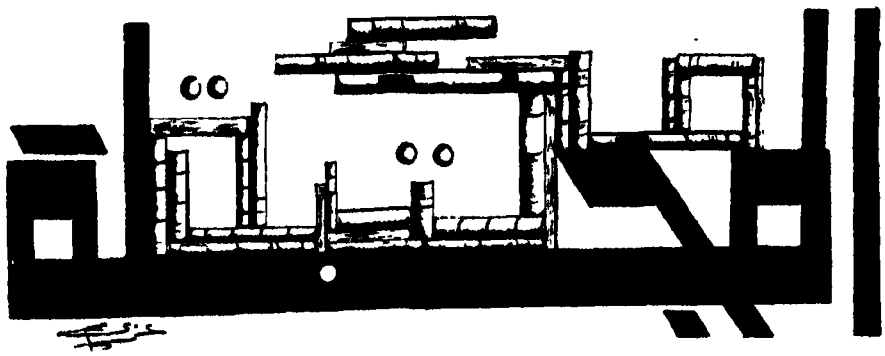
بعد ان تكون العقيدة قد انغرست فى اعماق المرء وعاش مجتمعاً عقائدياً حقاً فلاشك فى تبني العقيدة للفكر،وكون التعبير الرسالي محتفظاً بأروع طابع ادبي.

اما اذا لم يكن الامر كذلك فسنجد اختلالا فى هذه الضرورة ولكن لو كان الشرط الاول متحققاً فيمكن ان تمتلك دافعاً اقوى للتعبيرعن نفسها احياناً كثيره .

اما لو تخلف شرط التلقي الواعي فان الادب قد يكون رسالياً ، ولكنه يفقد ميزته الادبية . اما الادب المعبر عن خيال مترف فهذا يواكب جميع الفروض .

اما الجواب الثالث فأؤجل الاجابة عنه الى رسالة اخرى، ودمتم للمخلص.

بغداد : احمد عبود الكاظم



وردت الى مكتبة المجلة مجموعة من الكتب والمجلات منها :

١ ــ خمسون ومائة صحابي مختلق (القسم الاول) تأليف السيد مرتضى العسكري من منشورات كلية اصول الدين ـ بغداد ـ الطبعة الثانية ١٩٦٩ فى ٤١٦ صفحة ـ طبع دار التضامن ـ بغداد ـ .

الكتاب من سلسلة دراسات فى الحديث والتاريخ ، عني بها سماحة المؤلف منذ زمان لكشف الجوانب المزيفة التي فرضت على التاريخ الاسلامي منذ الف ومائتي عام ، فشوهت وجه الحقيقة .

٢ ــ عبد الله بن سبأ (الجزء الاول) تأليف السيد مرتضى العسكري من منشورات كلية اصول الدين ــ بغداد ــ الطبعة الثالثة ١٩٦٨ فى ٣٣٦ صفحة ــ طبع دار الكتب ــ بيروت .

الكتاب يتناول فى البحث والتحقيق ما كتبه المؤرخون و المستشرقون عن الاسطورة السبئية وأساطير اخرى، انتشرت فى التاريخ الاسلامى المدون منذ فجره حتى اليوم .

٣ ــ احاديث ام المؤمنين عائشة : (القسم الاول) تأليف السيد مرتضى العسكري طبع مطبعة الحيدري ـ طهران ، فى ٣١٦ صفحة .

دراسة موضوعية علمية فى الأحاديث التي روتها «ام المؤمنين عائشة» وتحليل واف لشخصيتها .

٤ ـ مع الدكتور الوردي في كتابه «وعاظ السلاطين» .

تأليف : السيد مرتضى العسكري

طبع مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٥٥ فى ٩٦ صفحة .

مناقشة علمية رصينة للفجوات التي بدت فى كتاب «وعاظ السلاطين» ، والشبه التي اثارها الدكتور المؤلف ، ودفع تلك الشبه بأسلوب رائع .

والجدير بالذكر ان سماحة حجة الاسلام والمسلمين المحقق البحاثة السيد العسكري من الشخصيات اللامعة فى الأوساط العلمية والأجتماعية .

فقد عرف ببحوثه العلمية الرصينة فى الحديث والتاريخ الاسلامي ، والتي كان لها الأثر الكبير فى كشف كثير من الجوانب الهامة ، التي ارتكز عليها تاريخنا فى ادواره الاولى .

بالأضافة الى ذلك مشاريعه العلمية ، والتربوية العامة فى العراق ، وفي مقدمتها تأسيسه للمدارس ، بمرحلتيها الأبتدائية والثانوية للبنين والبنات ، وكلية اصول الدين ـ بغداد ـ والتي تمنح طلابها شهادة «الليسانس» فى العلوم الأسلامية ، واللغة العربية وتخرج عدد من طلابها ، وواصلوا دراساتهم العليا فى الجامعات العالمية ، حفظ الله سماحة السيد العسكري ، وأبقاه ذخراً للجميع .

٥ ـ صفحات من تاريخ اندونيسيا المعاصر . تأليف : محمد اسد شهاب

اصدار : دار لبنان للطباعةوالنشر ـ بيروت الطبعةالثانية ١٩٧١ فى ٣٣٦صفحة

الكتاب يبحث عن تاريخ اندونيسيا المعاصر ، ويسجل الصور الواضحة للاحداث التي مرت بها هذه الدولة الأسلامية ، وكيف فشلت الثورة الشيوعيةفيها.

٦ ـ كفاح تركستان ضد الاستعمار الروسي . تأليف : محمد اسد شهاب

طبع ـ مطبعة شعاركو بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٧١ هـ فى ٢٧٠ صفحة .

يضع المؤلف بين يدي القارىء عرضاً شاملا لحالة المسلمين في تركستان ،

التي ترزح تحت الحكم الشيوعي ، وما يعانيه المسلمون هناك .

٧ ـ من صميم الواقع .   تأليف : محمد اسد شهاب

طبع بيروت ١٩٧٢ يقع فى ٩٥ صفحة .

الكتاب قصة تصور بعض الفئات والجماعات الاندونيسية ، وتمثل آراءهم ، ومستوى عقلياتهم واتجاههم فى الحياة .

٨ ـ العلامة محمد هاشم اشعري .   تأليف : محمد اسد شهاب

اصدار مطبعة شعاركو بيروت ـ الطبعة الاولى ١٩٧١ فى ٥٦ صفحة .

يتناول الكتاب ترجمة شخصية اسلامية ، هذا ويقوم المؤلف باصدار سلسلة تبحث عن أعلام المسلمين فى اندونيسيا .

والمؤلف من الشخصيات الاندونيسية المعروفة فى العالم الاسلامي ، وقد كرس حياته لخدمة القضية الأسلامية ، وفقه الله ، وأخذ بيده لتحقيق الاماني .

٩ ـ اخبار التراث العربي :

اصدار ـ معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ـ القاهرة .

نشرة دورية ، وصلنا منها ٢٤ عدداً ، تتضمن أهم اخبار التراث المطبوع ، والمحقق والمصور . ورغم انها فتية لكنها فى واقعها تزخر بالعطاء القيم، والأخبار الثرة التي تهم كل باحث ومحقق وعالم وأديب .

واننا اذ نعرف الاستاذ الكبير السيد قاسم الخطاط ، مدير المعهد بالوكالة ، والذي يشرف على اصدارها ، ويعمل على تنميتها ، لا نستكثر عليه هذا العمل الجليل انما نطالب الجهات المسؤولة فى الجامعة العربية بأن تساعده ، وتعينه على اصدار هذه النشرة بصورة مجلة شهرية ، لما لها من أثر كبير في خدمة التراث .

تهانينا لأخينا الكبير الاستاذ الخطاط وزملائه الكرام في نجاح هذا المشروع وأخذ الله بيده الى تحقيق آماله فى هذا المضمار .



١ ـ الشؤون العامة :

* عاد سماحة آية الله العظمى الامام السيد شريعتمداري دام ظله، من زيارة مشهد الامام الرضا عليه السلام ، بعد أن أدى مراسيم الزيارة ، وتفقد الحوزة العلمية هناك.

وقدكان طيلة مكوثه فى خراسان موضع حفاوة وتكريم من مختلف الشخصيات العلمية ، ورجال الدين ، وسائر طبقات البلد البارزين .

واستقبل استقبالا حافلا عند عودته الى مركزه «قم» ، وتوافد العلماء الاعلام وطلاب الحوزة العلمية ووجوه هذه المدينة للترحيب به ، والسلام عليه .

سدد الله خطى الامام المؤسس فى حله وترحاله ، وعزز بوجوده الشريف كلمة الاسلام .

وأسرة مجلة «الهادي» ترحب بمقدمه الميمون ، وترجو من الله سبحانه ان يحفظه ذخراً وسنداً للاسلام ، ويمتع المسلمين بطول بقاه .

* ببالغ الاسى والاسف نعت الاوساط العلمية فى قم وفاة حجة الاسلام والمسلمين الحاج الشيخ غلام رضا الزنجاني (عضو الهيئة المشرفة على مكتبة دار التبليغ) ، فقد وافاه الاجل المحتوم على اثر عارض ألم به لم يمهله طويلا ، ولم ينفع معه نطس الاطباء ، وأحدث رحيله المفاجيء تأثراً بالغاً لدى الهيئة العلمية

عامة ، وعارفيه ومحبيه بصورة خاصة ، نظراً للمزايا الطيبة التي كان يتمتع بها .

وأقيمت الفواتح على روحه الطاهرة من قبل مختلف الهيئات وفي اكثر البلدان، في مقدمتها مجلس الفاتحة التي اقامها سماحة الامام السيد شريعتمداري ، وفاتحة اسرة الفقيد ، وتوالت برقيات التعازي ، ورسائل المواساة على سماحة الامام ، وآل الفقيد من كل الجهات .

كما وأقامت دار التبليغ الاسلامي مجلس الفاتحة ، وفاء منها لجهوده المقدرة في ، سبيل توطيدها ، وقد غصت بمختلف الطبقات، في طليعتهم العلماء الاعلام .

وأسرة مجلة (الهادي) اذ تشاطر المفجوعين بهذا المصاب الجلل، تبتهل الى العلي القدير أن يتغمد الفقيد برحمته ورضوانه ، ويحفظ سماحة الامام ويصونه من كل مكروه ، ويلهم الجميع الصبر والسلوان . . و انا لله وانا اليه راجعون .

* في الأشهر الثلاثة الماضية زار عدد كبير من الشخصيات الاسلامية، ومن مختلف البلدان دار التبليغ الاسلامي في قم وكان في مقدمتهم الشخصية المعروفة ، والكاتب الشهير الأستاذ محمد اسد شهاب ، من رجال اندونيسيا اللامعين ، والذي يعمل الآن في رابطة العالم الاسلامي بمكة . وكانوا جميعاً موضع حفاوة وتقدير من قبل اعضاء هذه المؤسسة .

٢ ـ الشؤون الدراسية :

* بدأت الحياة الدراسية في اقسام دار التبليغ الاسلامي ، بعد انتهاء العطلة الصيفية المقررة ، فقد زاول الطلاب نشاطهم ودوامهم ابتداء من منتصف شعبان الحالي ١٣٩٢هـ في مختلف المناهج المخصصة في المراحل الدراسية لهذه المؤسسة .

* كما اجريت الامتحانات التكميلية لطلاب دار التبليغ، من ٥ شعبان وانقضت في ١٥ شعبان الحالي، وكانت النتائج مبشرة، مما يدل على وعي طلابي جدير بالاهتمام.

* ان اهم المواد المقررة للتدريس في هذه المؤسسة هي :

الفقه ـ تفسير القرآن ـ علم التفسير ـ الفلسفة ـ اصول الفقه ـ المنطق ـ اللغة العربية ـ علوم البلاغة ـ العقائد ـ التاريخ الاسلامي ـ علم الاخلاق ـ الانشاء الجغرافية ـ الرياضيات ـ العلوم الطبيعية ـ علم النفس ـ اللغة الانكليزية ـ اللغة

الأردوية ـ فن الخطابة ـ بحوث فى الخطب الاسلامية . .

* بدأ المدرسون والمحاضرون من الاعلام والاساتذة ـ الذين يقومون بالعمل في دار التبليغ يتوافدون عليها لممارسة اعمالهم ودوامهم ، واملنا ان يكونوا شعلة وقادة للجيل المتطلع للفضيلة والثقافة .

* بأمر من سماحة السيد المؤسس فقد وضع نظام دراسي خاص للطلاب الافريقين الذين احتضنتهم هذه المؤسسة وتكفلت بجميع شؤونهم طيلة السنوات الدراسية التي يقضيها الطالب فى قم ، بغية اعدادهم ، وتهيئتهم علمياً وثقافياً،بحيث تكون لديهم القابلية التامة للقيام بالتبليغ والدعوة للرسالة الاسلامية فى مختلف الاقطار الاسلامية .

اما المناهج المقررة لطلاب العام الماضي فهي :

المنطق ـ التفسير ـ العقائد ـ التاريخ ـ الفقه ـ الأصول ـ البلاغة .

ولطلاب العام الحالي هي :

النحو ـ الصرف ـ الفقه ـ العقائد ـ اللغة الفارسية.ومن المحتمل انتضاف مواد اخري عند ملاحظة استعدادهم وقابلياتهم . .

* تعلن ادارة (دارالتبليغ الاسلامي) انها على استعداد لقبول طلبات الراغبين فى دراسة دورات خاصة فيالمعارف الاسلامية،والعلوم العربية،والعقائد، والخطابة وهي تعمل جاهدة فى تذليل المصاعب لهم من ناحية تهيئة الاساتذة ، وتوفير المستلزمات لذلك .

٣ ـ نشاط مكتبة دار التبليغ العامة :

ان نشاط المكتبة العامة لهذه المؤسسة نشاط حافل زاخر ، فهي توفر كل كل الأمكانيات المساعدة لتهيئة الجو المناسب للمطالعين ، وتضع تحت تصرفهم الكتب التي هم بحاجة لها سواء فى المكتبة ، أو خارج المكتبة بالاستعارة .

ففي المكتبة حالياً (١٢٠٠٠)كتاباً مطبوعاً فى مختلف اللغات ، وباستثناء الكتب الدراسية ، كما فيها مجموعة من الكتب الخطية ، والمصورة .

وفيما يلي الجدول البياني لعدد من يؤمها شهرياً للاستفادة ، والكتب التي تداولت بين المطالعين وما يردها من كتب ومجلات :

التاريخ		عددالمطالعين	عددالكتب المطالعة	الكتب المهداة للمكتبة	المجلات
صفر	١٣٩٢	١٣٧٩٠	٣٤٢٥٧	٣٤	١٢
ربيع الاول	«	١٨٧٠٥	٤٦٨٩٨	٢٩	١٠
ربيع الثاني	«	١٤٨٠٢	٣٦٤١١	١٩٧	١٢
جمادي الاولى	«	٧٣٣٠	١٤٥٧٧	٣٦	١٣
جمادي الثاني	«	١١٩٣٣	٢٥٦٧٦	٩٨	٦٥
رجب	«	١٣٩٥٧	٣٣٥٤٠	٥٧	١١

هذا وان سماحة الامام المؤسس أمر بتشكيل لجنة خاصة لاعداد قوائم بأمهات الكتب العلمية ، والتاريخية ، والأدبية ، والمتنوعة بغية توفيرها للمكتبة .

كما وأن سماحته حفظه الله ابدى اهتماماً بالنسبة للكتب المخطوطة والمصورة ، وطلب من بعض الأعضـاء المعنيين اعداد تقرير بهذا الشأن لغرض اتحاف المكتبة بالتراث الاسلامي النفيس .

٤ ـ النشاط الثقافي لدار التبليغ :

يولي سماحة السيد شريعتمداري اهتماماً خاصاً بالجانب الثقافي ، بـاعتباره الوسيلة الفعالة للتبليغ ، ونشر الفكر الاسلامي على الصعيدين العربي والفارسي .

وعلى هذا الاساس سبق ان أمر بتاليف لجنة من الاعلام والفضلاء والأساتذة تتولى اعداد الكتب اللازمة بمختلف المواضيع فى اللغة الفارسية .

وفعلا وفقت هذه اللجنة من حين عملها حتى اليوم الى اصدار الكتب التالية واهدائها :

١ـ حقوق والدين	فارسي	ترجمة عنوان الكتاب	حقوق الوالدين
٢ـ حقوق زن در آئين اسلام	«	« «	حقوق المرأة فى الاسـلام
٣ـ حقوق مرد برزن	«	« «	حقوق الرجل على المرأة
٤ـ نگرشى به آئين حج	«	« «	نظرة فى معطيات الحج

٥ـ علم امام	«	« «	علم الامام المعصوم
٦ـ طول عمر امام غائب	«	« «	استمرارية حياة الامام الغائب
٧ـ نقش امام زمان	«	« «	خطة امام العصر
٨ـ چرا ازمسيحى بودن پشيمان شدم	«	« «	لماذا ندمت على كوني مسيحياً
٩ـ تعدد زوجات	«	« «	تعدد الزوجات
١٠ـ مقام زن در اسلام	«	« «	مكانة المرأة فى الاسلام
١١ـ نماز را بچه زبان بخوانيم	«	« «	بأية لغة نؤدي الصلاة
١٢ـ سقوط كليسا، وانقراض مسيحيت	«	«	سقوط الكنيسة وانقراض المسيحية
١٣ـ مسيحيت از ديدگاه مسيحيان	«	« «	المسيحية من زاوية المسيحيين
١٤ـ تثليث ياسه گانه پرستى	«	« «	التثليث أو عبادة الثلاثة
١٥ـ در باره عهد جديد	«	« «	حول العهد الجديد
١٦ـ اناجيل را بشناسيم	«	« «	لنعرف الاناجيل
١٧ـ غذاي فكرى براى مسيحيان	«	« «	الغذاء الفكري للمسيحيين
١٨ـ ارزيابى كتب مقدسه يهود و نصارى	«		تقييم الكتب المقدسة لليهود و النصارى
١٩ـ دور نماى مسيحيت كنونى	«	« «	ابعاد المسيحية الحاضرة
٢٠ـ حل مشكلات اقتصادى از نظر اسلام	«	« «	حل المشكلات الاقتصادية...
٢١ـ راه وحدت اسلام	«	« «	طريق الوحدة فى الاسلام

هذه الكتب التي اصدرتها اللجنة الثقافية الفارسية لهذه المؤسسه، بالاضافة الى مجلة « پيام شادى » و هى مخصصة للاطفال يراعى فيها مستوياتهم الفكرية، والثقافية. وترجمة هذه المجلة هو « رسالة الفرح » وتصدر شهرياً وقد صدر منها ستة اعداد.

اما اللجنة العربية : فبعد ان باشرت اعمالها قامت باصدار مجلة «الهادى» فى السنة اربعة اعداد بصورة موقته. وفى هذا العدد الخامس تدخل سنتها الثانية.

كما اصدرت كتابا بعنوان «فى طريق الوحدة الاسلامية»، وهي جادة ـ وبعد ان توفر امكانيات المجلة العربية ـ لتهيئة مجموعة من الكتب الثقافية و بأقلام ناضجة واعية تقدمها للقراء الكرام فى القريب العاجل.

ان هذه الاعمال التى تقوم بها اللجان العامة فى مؤسسة دار التبليغ بقسميها

العربي والفارسي ، وفي كل جوانبها يمكن ان نعدها عملا يفتخر ويعتز به، في مضمار الخدمات الاسلامية العامة، ولعل السر في هذه الجدية الصارمة في تنفيذ هذه الأعمال يعود الى سماحة الامام المؤسس السيد شريعتمداري دامت بركاته الذي اقتنع بضرورة العمل في هذا الاسلوب ، واقدم عليه بكل جرأة وصلابة ، حتى اصبح المشروع يشق طريقه في النجاح والتقدم بفضل توجيهاته القيمة وتوفيق الله تعالى .

اخذ الله بيد الجميع ووفقهم لخدمة الاسلام .

٥ ـ في مجال النشاط التبليغي العالمي :

وجهت مؤسسة دار التبليغ الاسلامي الدعوة الى الاستاذ الفاضل الدكتور مظفر پرتوماه ، المتخصص في الفيزياء الذرية في جامعة ويسكانسين بأميركا ، والرئيس السابق لجمعيه الطلاب المسلمين في اميركا وكندا، دعته ليحاضر في قاعتها الثقافية العامة عن النشاط التبليغي الاسلامي في اميركا وكندا فاستجاب للدعوة مشكوراً ، وألقى محاضرته في يوم الاثنين ٢٤ شعبان ١٣٩٢ هجري ، المصادف ١٣٥١/٧/١١ شمسي من الساعة ١٠/٥ الى الساعة ١١/٥ صباحاً ، وقد قدمه الى المستمعين الذين غصت بهم القاعة الاستاذ الفاضل خليل النقوي بعد أن تحدث عن أوجه ذلك النشاط ، ودور العقول المفكرة المؤمنة في دفع عجلته الى الامام لكي ترى الارض كل الارض نور الاسلام يغمرها بالعطاء، وكانت المحاضرة المذكورة تدور حول ثلاثة خطوط رئيسية .

ا ـ الفعاليات الاسلامية الفرديه في مختلف النواحي في الولايات المتحده .

ب ـ الفعاليات الاسلامية المجموعية في اميركا وكندا .

ج ـ الفعاليات الاسلامية لنفس مسلمي اميركا وكندا. وهكذا قامت الدار بواجب من واجباتها التي نذرت نفسها لها لتحصيل رضا الله تعالى .

* وانطلاقاً من مهمتها العظمى ومن اهمية شهر رمضان المبارك فقد قامت دار التبليغ الاسلامي بتنظيم محاضرات عامة وبشكل واسع طوال الشهر حيث يقوم الخطيب القدير العلامة الشيخ (گل سرخي) بالقاء محاضراته القيمة .

ـ مراسل مجلة الهادي ـ



تلقت ادارة المجلة عدداً كبيراً من الرسائل التي تفضل بها جمع من الاعلام ، ورجال الفكر والادب ، وكثير ممن يهمهم الثافة العامة ، وكلها تؤكد على الخطوة الرائعة فى تطوير المجلة ، وابراز معالمها الحية .

وادارة «الهادي» لايسعها الا ان تتقدم للجميع بجزيل شكرها ، وعظيم امتنانها، مقدرة العواطف الجياشه والمشاعر الفياضة راجية من الله ان تكون دوماً عند حسن ظن الجميع .

ونظراً لضيق المقام فسوف نقتصر على مقتطفات من بعهضا . .

١ ـ فقدوردتنا رسالة من سماحة السيد موسي الصدر رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى فى لبنان جاء فيها :

«لم يعد ثمة شك بأن فى هذه الظروف التي يعاني فيها الاسلام أعنف صراع بينه وبين خصومه فى المجال الفكر والخلق والقيم ، فى مثل هـذه الظروف القاسية يعتبر اصدار مجلة تعني بعرض الفكر الاسلامي الأصيل وتراثه الضخم ، وحضارته الفائقة ، وتمتاز بلباقة فىعطاعها وأسلوبها وتلتزم بوجهة نظر اسلامية فى معالجتها *للمشاكيل الفكرية والخليفة والاجماعية* .

ان هذاالعمل البناء يعتبر اقوى سلاح فى هذا المعترك،نظراً الى اتصاله المباشر بالامة وخاصة الشباب المثقف . . .

ان خطوتكم التوجيهية هذه تعبر عن جهاد بالغ الاهمية في مجال التوعية والاصلاح ، فأهنئكم بهذا العمل الاسلامي المبارك ، سائلا الله سبحانه وتعالى أن يسدد خطاكم ، ويوفقكم في انجاز هذه المسؤولية الجسيمة بأحسن وجه» .

٢- وفي رسالة لفضيلة الاستاذ احمد عبد الرحيم السايح ، من رجال الازهر - القاهرة - «أود الافادة بانني سعدت وأنا أطلع على مجلة «الهادي» بادارة مجلة الازهر، ورأيت انها مجلة رائعة ، تتسم بالاصالة والعمق والموضوعية ، وان مجلة كهذه جديرة بأن تقود المسلمين الى ما فيه الخير» .

٣ - وجاء فى رسالة لسماحة الشيخ حسن طراد العاملي :

«انها بشارة سارة تتألق ، وأمنية دينية تتحقق ، ان يبرز فجر «الهادي» بأنوار الهدى والرشاد ، فى هذا الظرف الذي تراكمت فيه ظلمات الاوهام وغياهب الشبهات فتاه النشىء عن نهج دينه القويم وصراطه المستقيم، وأصبح بحاجة ماسة الى «الهادي» الامين ، والمرشد الحكيم . . .

وختاماً ادعو لكم بدوام التأييد ، واطراد النجاح ، وأقدم ابياتاً نظمتها تقريضاً لمجلتكم الفتية ، وتقديراً لجهادكم الاسلامي المثمر» .

هذا وقد نشرنا قصيدة سماحته فى مكان آخر من هذا العدد .

٤ - وردتنا رسالتان من الحاج عمر الحاج عبد المؤمن ، مدير مدرسة الفلاح الاسلامية فى «اكرا - افريقيا» وقد جاء فى احداهما :

«لا يفوتني ان أنوه بما تزخر به «مجلة الهادي» من بحوث عميقة قيمة تهدف الى تجلية الاسلام فى مبادئه السمحة ، مبرءاً من شوائب التعقيد والاسرائيليات ، والتأويلات ، وفى ذلك كله اكبر الخير للمسلمين والبشر عامة» .

٥ - وتلقت المجلة رسالة من الاستاذ محمد اسد الكاتب الاندونيسي المعروف

وعضو رابطة العالم الأسلامي فى مكة المكرمة ، وقد جاء فيها :

« اطلعت صدفة على مجلتكم الهادي الغراء ، فوجدت فيها المجلة التي كنا نتمناها ، وقد جاءت على ماكنا نأمل ، مادتها غزيره ، أبحاثها قيمة ، مواضيعها مهمة ، وبصدورها شفت غليلنا ، وأروت ضمأنا ، ربنا يأخذ بأيديكم ، ويمدكم بالعون وينصركم » .

٦ ـ كما تلقت المجلة عدداً من الرسائل من سفارات الدول الأسلاميه في طهران ، كسفارة جمهورية مصرالعربية في طهران ، والتي ذكرت في رسالتها :

«يسعدنا ان نهنأكم على الجهد العظيم الذي تبذلونه وهيئة تحرير المجله في هذا المجال السامي » .

وأما سفارة المملكة المغربيه ـ طهران ـ فقدكتبت لنا تقول :

«ونحن لايسعنا الا أن نقدر ونكبرفيكم هذه الروح الطيبة ، والجهود السامية ، التي تبذلونها عن طريق اصدار مجلة «الهادى» خدمة لتعاليم الدين الأسلامي الحنيف ولتوثيق عرى الأخوة والمحبة بين المسلمين» .

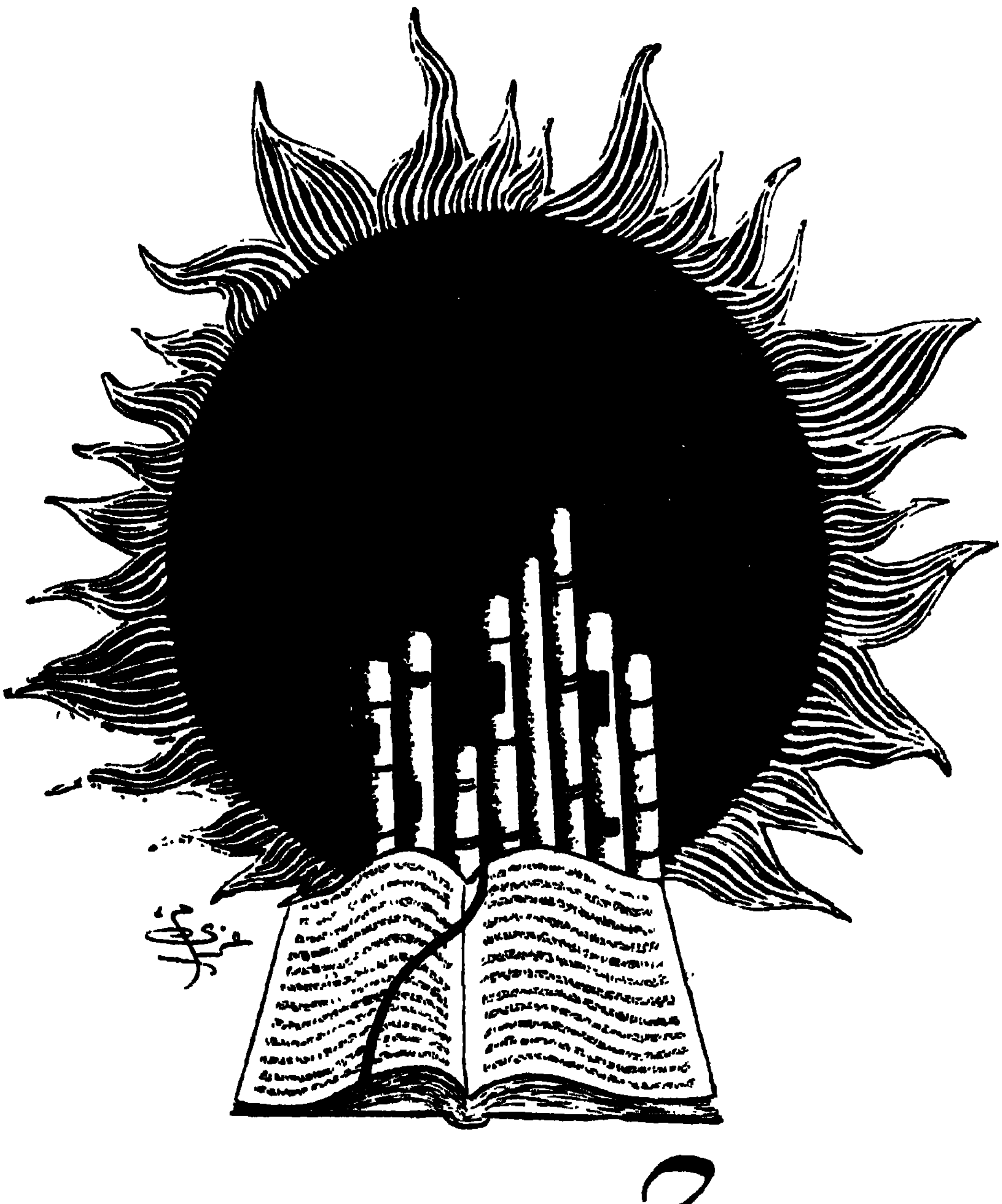
وجاء في رسالة الجمهورية العربية السورية بطهران .

« نأمل أن تصلنا اعداد مجلتكم باستمرار ، واننا نرحب بالتعاون معكم في مجال الثقافة ، ونسأل الله لكم التوفيق وسداد الخطى في سبيل اعلاء شأن الاسلام ، وكلمة الحق » .

تصحيح خطأ

وردنا من فضيلة السيد مرتضى مرتضى مايلي :

«نعتذر عما ورد خطأً فى ص ١١٤ من العدد الرابع من أن الهجرة الى الحـ
كانت بعد حصر المسلمين في شعب مكة ، والصواب أن الهجرة كانت قبل ذلـ



كتاب العدد

معدن الجواهر
ورياضة الخواطر

تأليف

أبي الفتح محمد بن علي الكراجكي

المتوفى سنة ٤٤٩ هـ

تحقيق

السيد احمد الحسيني

تقديم

(١)

«الحكمة ضالة المؤمن» يأخذها متى وجدها ويتلقاها من الافواه، ويجعلها مرآة صافية يرى فيها عيوبه ونواقصه ، ذلك لانه دائم الجهاد في تهذيب النفس والتحلي بالكمالات والتخلي عما يشينه، لايدع فرصة لاضافة حسنة الى محاسنه والازدياد في مكارمه الاخلاقية الا واقتنصها .

هكذا شأن المؤمن الذي قياده بيد عقله وقد سيطر على نفسه، فانه يسير في طريقه اللاحب بنور العقل مبتعداً عن الزلات ومجانباً مهاوي الشهوات، وهو يستفيد من تجاربه ويستضيء بما أثر عن العظماء الماضين الذين خلفوا بعدهم هذه الكثرة الكاثرة من الحكم المنثورة والطرائف المنظومة والعلم المأثور .

ان هذه الازهار المبهجة والرياحين العطرة والورود الفواحة المنضدة في بساتين الكتب والاسفار لمما تفتح للانسانية آفاقاً من الخير والصلاح لو أدمن الناس على قراءتها وحافظوا على العمل بها وطبقوها على أفعالهم وأقوالهم، وخاصة تلك التي أثرت عن النبي العظيم والائمة الهداة عليهم الصلاة والسلام، الذين هم مصابيح الظلام ومرشدو البشر الى ما فيه خير الدنيا وسعادة الاخرة .

(٢)

ولقد أقبل علماء الاسلام على ما روي عن النبي والائمة عليهم السلام، وما أثر عن الفلاسفة والمفكرين من المسلمين وغير المسلمين اقبالا عظيماً، فجمعوا تلك الكلم والحكم في كتبهم ومؤلفاتهم بشتى الالوان والاشكال حسب أغراضهم وأذواقهم .

وكان من بين تلك الالوان جمع الحكم في أبواب متسلسلة بتسلسل الاعداد ، ففي الباب الأول ما كانواحداً وفي الباب الثاني ما كان اثنين وفي الباب الثالث ماكان ثلاثة . . . وهكذا .

ومن تلك المحاولات العلمية الطريفة هذا الكتاب الذي نقدمه الى القراء الاعزاء، ففيه عشرة أبواب تجمع طائفة من قصار كلمات النبي والائمة عليهم السلام وبعض ما نقل عن جماعة من الاعلام المسلمين وغير المسلمين .

والطريقة التي سار عليها المؤلف هي أنه يذكر أولا شيئاً مما أثر عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله ، ثم بعض حكم الائمة عليهم السلام ، ثم طائفة مماجاء عن أعلام المسلمين ، ثم طرائف مما نقل عن بعض الفلاسفة الماضين .

وهذا الكتاب مع صغره يجمع مقداراً لاباس به من الاحاديث والكلمات، ذلك لانه حذف الاسانيد ولم يعقب الحكم بتعاليق من المؤلف ، وكأنه قصد أن يجمع العدد الكبير من الاقوال في أقل حجم أمكن .

وهو بحق طرفة أدبية جليلة، ومصدر عظيم لموضوعات أخلاقية قيمة، يخرج الى عالم الطبع بهذه الصورة التي يراها القارىء الكريم ، والتي لم نتمكن من اكمالها في كل جوانبها ، وذلك لعدم العثور على نسخ متعددة كما هو المتبع في أمثال هذه الاعمال العلمية الفنية .

(٣)

ومؤلفنا هو (١) :

الشيخ الفقيه القاضي أبوالفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي .

---

(١) المصادر التى استقينا منها هذه الترجمة هى :
أ ـ أمل الامل ٢/٢٨٧ .
ب ـ روضات الجنات ص ٥٥٢ .
ج ـ الاعلام للزركلى ٧/١٦٢ .
د ـ رجال بحرالعلوم ٣/٣٠٢ـ ٣٠٨ .

من أجلة العلمـاء والفقهـاء والمتكلمين ، رأس الشيعة ، صاحب التصانيف الجليلة ،كان نحوياً لغوياً منجماً طبيباً متكلماً فقيهاً محدثاً ، أسند اليه جميع أرباب الاجازات ، من تلامذة الشيخ المفيد والشريف المرتضى والشيخ الطوسي ، روى عنهم وعن آخرين من أعلام الشيعة والسنة،وروى عنه وقرأعليه جماعة من علماء عصره.

كان نزيل الرملة ، وأخذ عن بعض المشائخ في حلب والقاهرة ومكة وبغداد وغيرها من البلدان،وتوفي بصور،ثاني ربيع الاخرسنة أربعمائة وتسع وأربعين هجرية.

وكتابه كنز الفوائد ـ كما يقول السيد بحر العلوم في رجاله ـ يدل على فضله، وبلوغه الغاية القصوى في التحقيق والتدقيق والاطلاع على المذاهب والاخبار، مع حسن الطريقة وعذوبة الالفاظ .

له مؤلفات كثيرة بلغت السبعين حسب عد بعض معاصريه،ومنها «كنزالفوائد» و«الاستطراف في ذكرماورد من الفقه في الانصاف » و «الأستنصار في النص على الائمة الاطهار» و « الاعلام بحقيقة ايمان أميرالمؤمنين وأولاده الكرام » و«البرهان على صحة طول عمرصاحب الزمان » و « البيان عن جمل اعتقاد اهل الايمان » و

ـ هـ ـ لؤلؤة البحرين ص ٣٣٧ .
و ـ مرآة الجنان ٣/٧٠ .
ز ـ لسان الميزان ٥/٣٠٠ .
ح ـ بحار الانوار ١/١٨ و٣٥ .
ط ـ ريحانة الادب ٣/٣٥٢ .
ى ـ شذرات الذهب ٣/٢٨٣ .
ك ـ مصفى المقال ص ٣٧٥ .
ل ـ هدية العارفين ٢/٧٠ .
م ـ معالم العلماء ص ١١٩ .
ن ـ مستدرك وسائل الشيعة ٣/٤٩٧ .
س ـ الذريعة ١/٥٧ و٢/١٦ ، ٢٧ ، ٣٤ ، ٢٣٧ و ٣/٩٢ ، ١٧١ و٤/٢١٠ ، ٢١٦ ، ٣٥٩ ، ٤٢٩ و١١/٢٩٨ و١٦/٣٩٣ و١٧/٢١٤ و١٨/١٦١ .
ع ـ الكنى والالقاب ٣/١٠٨ .
ف ـ الفوائد الرضوية ص ٥٧١ .

«التعريف بحقوق الوالدين» و«التعجب من أغلاط العامة في مسألة الامامة» و«تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام» و «تهذيب المسترشدين» و «شرح جمل العلم للمرتضى» و«الكروالفرفي الامامة » و « معارضة الاضداد باتفاق الاعداد » و « معدن الجواهر ورياضة الخواطر» و«معونة الفارض في استخراج سهام الفرائض» و «المنهاج في معرفة مناسك الحاج» و«النوادر» و «وجوب الامامة» .

و «الكراجكي» بفتح الكاف واهمال الراء وكسر الجيم، نسبة الى «الكراجك» عمل الخيم ، ولهـذا وصفه بعض مترجميه بـالخيمي ، وضبطه بعضهم بضم الجيم نسبة الى «الكراجك» قرية على باب واسط ذكرها ياقوت في معجم البلدان ٤/٤٤٣، ولكن هذا ليس بصحيح .

(٤)

أما النسخة التي حققنا عليها هذا الكتاب فهي النسخة الوحيدة التي عثرنا عليها في مجموعة عند الأخ العلامة الحجة سيدنا السيد محمود المرعشي النجفي ، واليك وصفها :

هذه المجموعة تحتوي على الرسائل التالية :

١ ـ النكت الاعتقادية للشيخ المفيد .
٢ ـ شرح واجب الاعتقاد لعبد الواحد بن الصفي النعماني .
٣ ـ وصية النبي صلى الله عليه وآله لابي ذر الغفاري .
٤ ـ وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام .
٥ ـ النفلية للشهيد الاول محمد بن مكي العاملي .
٦ ـ معدن الجواهر ورياضة الخواطر للكراجكي .
٧ ـ قصة الحولا مع زوجها ووصية النبي لها .
٨ ـ أحاديث متفرقة من كتاب ليس له أول ولا آخر .
٩ ـ منظومة ملحة الاعراب للحريري .

كتب هذه المجموعة علي بن حسين بن علي بن حسين بن الصائم الحسيني العنقاني ، برسم المولى السعيد الحاج زين الدين بن مفلح بن الحاج شهاب الدين

احمد بن الركن المارونى ، في نهار السبت مستهل جمادى الاخرة سنة ٩٠٢ ، (كما جاء في آخر كتاب شرح واجب الاعتقاد) .

وفي هوامش أوراق بعض كتب المجموعة بلاغات،وخلالها تماكات بخطوط مختلفة وتواريخ متفرقة. كما يوجد في الصفحة الأخيرة من كتاب النفلية انهاء كتبه الشهيد الثاني زين الدين بن علي بن احمد العاملي بتاريخ يوم الاحد تاسع عشر ربيع الاخر سنة ٩٥٠ ، وكتب الى جنبه الشيخ عباس القمي تصديقاً بأنه خط الشهيد الثاني ،وذلك بتاريخ ١٣٤٤ ﻫ .

والنسخة بالرغم من أهميتها التاريخية كثيرة السقط والخطأ و التحريف كما يظهر لمن يقرأ هذا المطبوع ، وهي مع كونها بخط نسخ واضح تهمل كثيراً من نقاط الكلمات ولاتتبع قواعد الاملاء الصحيح ، ولهذا لاقينا بعض الصعوبة في قراءة جملة من الكلمات وربما لم نوفق الى قراءتها بصورة صحيحة . ولولا عدم عثورنا على نسخة أخرى لماأمكن الاعتماد عليها، ولكننا اضطررنا الى جعلها أصلا والرجوع الى الكتب الحديثية وتصحيح ماأمكن التصحيح عليها أو ترجيح ماظننا أنه الارجح ، ولعلنا نعثر في المستقبل على نسخة ممتازة فنخرج الكتاب في طبعة جيدة أخرى .

(٥)

وختاماً أقدم شكري المتواصل وثنائي العاطر الى :

الاخ العلامة الحجة السيد محمود المرعشي حيث تفضل علي باعارة مجموعته الثمينة لنسخها والتحقيق عليها .

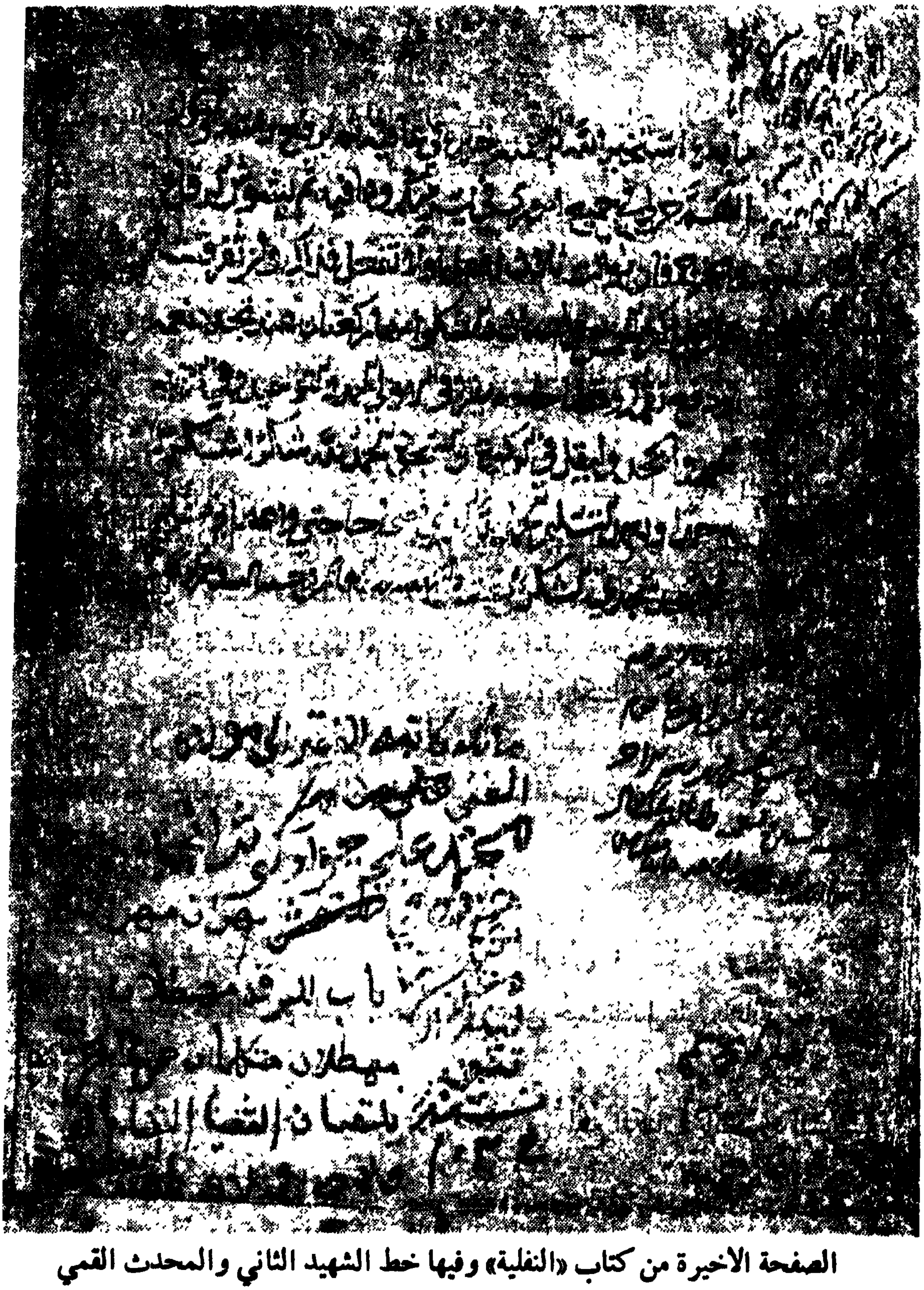
وأسرة مجله «الهادي» الزاهرة التي سعت في طبع الكتاب بالصورة المرضية التي يراها القارىء الكريم .

فحياهم الله وأسبغ عليهم نعمة التأييد والتسديد .

وهو تعالى الموفق . . .

قم ١٢ شعبان ١٣٩٢ ﻫ .

السيد احمد الحسيني



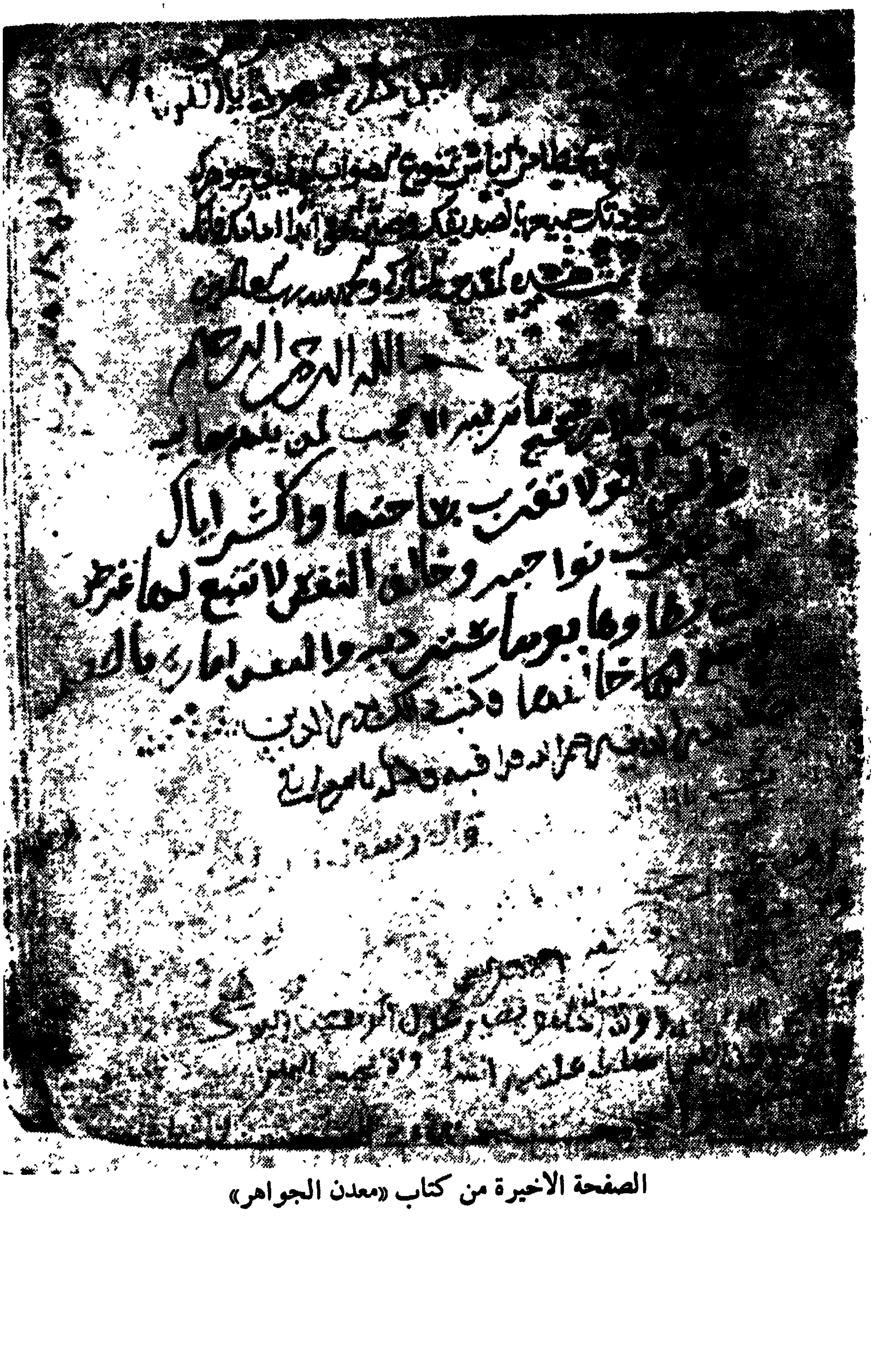
الصفحة الأخيرة من كتاب «النفلية» وفيها خط الشهيد الثاني والمحدث القمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي الكرم ومولي النعم وواهب الاذهان لطايف الحكم
ومطلق الالسن بانواع الكلم وصلواته على المبعوث رحمة للامم
وكاشف الظلم سيدنا محمد رسول الله افضل العرب والعجم
وخير من ارشد واعلم وعلى آله الطاهرين وسلم وهذا كتاب
جمعت فيه من جواهر الالفاظ ودررها وعيون المعاني وغررها
ما ينتفع به من انتفع وعلم من وعى وجمع جعلت فصوله مبوبه
في عشر اقسام مرتبه على ترتيب توالي الآحاد ونظم تاليف
الاعداد وقد سلك غيري هذا النمط واختصر وفي هذا الكتاب
زيادة على ما ذكر وكل باذل استطاعته والعلم لا يدرك احد
غايته باب ما جاء في واحد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه
يا ايها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد لا فضل لعربي على
عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لاسود على احمر الا بالتقوى قال الله
تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال عليه السلام خصلة من لزمها اطاعته
الدنيا والآخرة وربح الفوز بقرب الله تعالى في دار الكرامة قيل وما

ولا لاحمر على اسود

الصفحة الاولى من كتاب «معدن الجواهر»



الصفحة الاخيرة من كتاب «معدن الجواهر»

كتاب معدن الجواهر ورياضة الخواطر

تصنيف الشيخ الفاضل أبي الفتح

محمد بن علي الكراجكي قدس الله روحه ونوّر

ضريحه بمحمد وآله الطاهرين وأصحابه

المنتجبين وسلم تسليماً

كثيراً آمين رب

العالمين

الدنيا والآخرة . قال : لا تكذب . قال الرجل : فكنت على خلال يكرهها الله تعالى فتركتها خوفاً من ان يسألني سائل هل عملت كذا فأفتضح أو أكذب فأكون قد خالفت رسول الله فيما دلني عليه .

وجاء عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال : خصلة من عمل بها كان من أقوى الناس . قيل : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : التوكل على الله عزوجل .

وقال عليه السلام : أفضل العبادة شيء واحد ، وهو العفاف .

وقال رجل لأحد الائمة عليهم السلام : يابن رسول الله علمني ما يجمع لي خير الدنيا والآخرة ولا تطل علي . قال : عليك بشيء واحد ، وهو ترك الغضب .

وروي عنهم عليهم السلام : ان اصل كل خير في الدنيا (١) شيء واحد ، وهو الخوف من الله عزوجل .

وقيل لبعضهم : ما أعجب الأشياء ، قال : شيء واحد ، وهو قلب عرف الله ثم عصاه .

وقال بعض العلماء : أشقى الناس رجل واحد ، وهو من كفي أمر دنياه ولم يهتم بدينه .

وقال : أغنى الناس رجل واحد ، وهو من ُعين نصيبه من الله عزوجل .

وقيل لبعضهم : من أعظم الناس قدراً ؟ قال : رجل واحد ، وهو من يجعل الدنيا لنفسه خطراً . وقيل : هو الذي لايبالي بالدنيا في يد من كانت. وأجود الناس رجل واحد ، وهو من جاد من قلة ، وأخذ ذلك من قول النبي صلى الله عليه وآله «أفضل الصدقة جهد المقل» . وأسوأ الناس حالا رجل واحد ، وهو من لايثق بأحد لسوء ظنه ، ولايثق به أحد لسوء نظره . وأصبر الناس رجل واحد ، وهو الذي لايفشي سره الى صديقه مخافة أن يقع بينهما فيفشيه . وأعجز الناس رجل واحد ، وهو المفرط في طلب الاخوان . وأعز الاشياء شيء واحد ، وهو أخ يوثق بعقله ويسكن الى غيبه .

وقال أحد الفضلاء : أحب الاشياء الي شيء واحد، وهو الافضال على الاخوان.

وقيل لآخر : أي الاشياء أنت به أشد فرحاً . فقال : شيء واحد ، وهو قوتي

---

(١) والاخرة خ ل .

على مكافأة من أحسن الي .

وقيل له : ما أفضل الاعمال ؟ قال : شيء واحد ، وهو ادخال السرور على قلب مؤمن .

وسئل حكيم عن البخل والجبن والحرص ؟ فقال : الجميع طبيعة واحدة ويجمعهن شيء واحد ، وهو سوء الظن .

وقيل : ماشيء أضر بالانسان من شيء واحد ، وهو لجاجته في الباطل، ولاشيء أقعد به عن مكرمة من شيء واحد ، وهو صغر همته .

وقال بعض الحكماء : امتحنت خصال الناس فوجدت أشرفها خصلة واحدة، وهي صدق اللسان ، فمن عدم الصدق من منطقه فقد فجع بأكرم أخلاقه . وأقبح القبائح شيء واحد ، وهو الكذب . وابتداء منازل الحمد شيء واحد، وهو السلامة من الذم . وأعظم ماعلى الانسان من الضرر شيء واحد ، وهو قلة علمه بعيوبه .

وقيل لحكيم: ما أجل ماأفادك الدهر ؟ فقال : شيء واحد ، وهو العلم .

وقال أبوذر جمهر : قد يغرس الحكيم جزءاً واحداً من الحكمة يعيش بها ملوك كثيرة .

وقيل : أي الخصوم ألد ؟ فقال : خصم واحد ، وهو العمل السيء .

قيل : فما أحمد الأشياء ؟ قال : شيء واحد ، وهو ثمرة العمل الصالح .

وقيل لبعض الزهاد : دلنا على عظة واحدة تكون أبلغ العظات . فقال: النظر الى محلة الاموات .

وقال له رجل : أوصني . فقال: أوصيك بشيء واحد، ان الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما .

وقيل : انما لك من عمرك يوم واحد ، لان أمسك قد خلا وغدك لم يأت ، فان صبرت ليومك حمدت أمرك وقويت على غدك ، وان عجزت عن يومك ذممت أمرك وضعفت عن غدك .

وقال بعضهم : انما بيني وبين الملوك يوم واحد ، أما أمس فلا يجدون لذته

ولا أجد شدته ، واني واياهم من غد على وجل ، وانما هو اليوم وماعسى أن يكون اليوم.
وقال : انما ينتفع المرء من عمره بالساعة التي هو فيها مع سرعة تقضيها ، فما أخيب امرىء باع الخلود في النعيم بساعة وشيكة التصرم عائدة بأعظم الندم .

وأوصى حكيم ولده فقال: يا بني احذر خصلة واحدة تسلم، واتبع خصلة واحدة تغنم : لا تدخل مداخل السوء تتهم، واشكر تدم لك النعم . واعلم أن العز في خصلة واحدة ، وهي طاعة الله، والذل في خصلة واحدة، وهي معصية الله ، والغنا في خصلة واحدة ، وهو الرضا بقسم الله ، والفقر في خصلة واحدة ، وهي استقلال نعم الله . والناس يا بني يتفاضلون بشيء واحد وهو العقل، ويتميزون بشيء واحد وهو العلم، ويفوزون بشيء واحد وهو العمل ، ويسودون بشيء واحد وهو الحلم . فعليك يابني في دينك بشيء واحد وهو الأزدياد ، وفي دنياك بشيء واحد وهو الاقتصاد .

وقال حكيم آخر لتلميذه: اعلم أنه ليس أنصح لك من صديق واحد وهو عقلك، ولا أغش من عدو واحد وهو جهلك ، ولا أصدق من وافد واحد وهو أجلك ، ولا أكذب من موعد واحد وهو أملك. فاحفظ دينك ودنياك بخصلة واحدة وهي العفاف، واغلب طارق النوائب بشيء واحد وهو حسن الصبر، وأرح قلبك بشيء واحد وهو ترك الحسد ، وتزين بين الناس بشيء واحد وهو الكرم ، وتودد اليهم بشيء واحد وهو حسن الخلق . واعلم أن أعلى منازل اهل الايمان درجة واحدة ، فمن بلغ اليها فقد فاز وظفر ، وهو أن تنتهي سريرته في الصلاح الى أن لا يبالي بها اذا ظهرت ، ولا يخاف عقباها اذا استترت .

باب

ذكر ما جاء في اثنين

قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله : العلماء رجلان:رجل أخذ بعلمه فهو ناج ، ورجل تارك لعلمه فهو هالك .

وقال صلى الله عليه وآله :العلم علمان:علم في القلب فذاك العلم النافع ، وعلم على اللسان فذاك حجة الله على العباد . والعلم علمان ، علم الأبدان ، وعلم الاديان.

وقال صلى الله عليه وآله:لاخير في العيش الالرجلين:عالم مطاع،ومستمع واع(١) .

وقيل : منهومان (٢) لا يشبعان : طالب علم ، وطالب دنيا .

وقال صلى الله عليه وآله:يهرم ابن آدم ويشب فيه اثنتان:الحرص،وطول الامل. وأخذ حجرين فألقى بين يديه حجراً وقال : هذا أمل ابن آدم . وألقى خلفه حجراً وقال : هذا أجله ، فهو يرى أمله ولا يرى أجله .

وقال صلى الله عليه وآله : ألا أخبركم بأشقى الاشقياء ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : من اجتمع عليه شيئان : فقر الدنيا ، وعذاب الآخرة .

وقال صلى الله عليه وآله : خصلتان ليس فوقهما من الخير شيء : الايمان بالله والنفع لعباد الله.وخصلتان ليس فوقهما من الشر شيء:الاشراك بالله،والضرر لعباد الله.

وقال صلى الله عليه وآله : الناس اثنان ، فواحد استراح وآخر أراح ، فأما الذي استراح فعبد أطاع الله في حياته ثم مات فأفضى الى رحمة الله ونعيم مقيم ، وأما الذي أراح فعبد عصى الله في حياته ثم مات فأفضى الي عقاب وعذاب وهوان أليم ، ولا يستوي من أفضى الى رحمة الله ومن أفضى الى غضب الله .

وقال صلى الله عليه وآله : المؤمن بين مخافتين : بين أجل قد مضى لايدري ماالله صانع فيه ، وأجل قد بقي لايدري ما الله قاض فيه .

وقال صلى الله عليه وآله لابي ذر:ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر وأثقل في الميزان ؟ فقال : بلى يا رسول الله . قال : عليك بحسن الخلق وطول

---

(١) كذا في الاصل ، وفي الخصال ص ٤١ «أو مستمع» .

(٢) المنهوم بالشيء : المولع به ، وفي اصل اللغة هو الذي لا يشبع من الطعام .

الصمت ، فوالذي نفس محمد بيده ماعملت الخلائق بمثلهما . وخصلتان لايجتمعان في مؤمن : البخل ، وسوء الخلق .

وقال للاسبح العبدي : ان فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم، والحياء.

وقال صلى الله عليه وآله: خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكراً صابراً، ومن لم يكونا فيه لم يكتبه الله شاكراً ولاصابراً : من نظر في دينه الى من فوقه فاقتدى به ، ونظر في دنياه الى من دونه فحمدالله على مافضله عليه به .

وقال صلى الله عليه وآله : من كف عن شيئين وقاه الله شيئين: من كف لسانه عن أعراض المسلمين وقاه الله عثرته ، ومن كف غضبه وقاه الله عذابه .

وقال : اتقوا الله في الضعيفين : المرأة ، واليتيم .

وقال صلى الله عليه وآله: نعمتان مغبون فيهما كثيرمن الناس : الصحة، والفراغ.

وسئل عن أكثر ما يدخل في النار ؟ فقال : الأجوفان البطن والفرج.

قال أميرالمؤمنين عليه السلام : الناس في الدنيا رجلان : رجل ابتاع نفسه فأعتقها ، ورجل باع نفسه فأوثقها .

وقال عليه السلام : أفضل العبادة شيئان : الصبر ، وانتظار الفرج .

وقال عليه السلام : قصم ظهري رجلان : عالم متهتك ، وجاهل متنسك، هذا يضل (١) الناس عن علمه بتهتكه ، وهذا يدعوهم الى جهله بتنسكه .

وقال عليه السلام : أشد الناس بلاء وأعظمهم عناء من بلي بشيئين : بلسان مطلق ، وقلب مطبق ، فهو لايحمد ان سكت ولايحسن ان نطق .

وقال عليه السلام : لن يعدم الأحمق خلتين :كثرة الالتفات،وسرعة الجواب. يعني سرعته (٢) بغير عرفان .

وقال عليه السلام : يهلك فيّ رجلان : محب غال ، ومبغض قال (٣).

---

(١) يصد خ ل

(٢) تسرعه خ ل .

(٣) الغالى : المتصلب فى الدين حتى يتجاوز الحد و المقدار ، وأصل الغلو الارتفاع ومجاوزة القدر فى كل شيء . والقالى : المبغض .

وقال الحسن بن علي عليه السلام: المروءة في شيئين : اجتناب الرجل مايشينه، واختياره مايزينه .

وقال الصادق عليه السلام لسفيان الثوري: ياسفيان خصلتان من لزمهما دخل الجنة قال : وما هما يابن رسول الله ؟ قال : احتمال ما يكره اذا أحبه الله ، وترك ما يحب اذا أبغضه الله ، فاعمل بهما وأنا شريكك .

وقال الباقر عليه السلام : ما من خطوة أحب الله من خطوتين : خطوة يشد بها صفاً في سبيل الله ، وخطوة الى ذي رحم قاطع. وما من جرعة أحب الله من جرعتين: جرعة غيظ ردها مؤمن بحلم ، وجرعة مصيبة ردها مؤمن بصبر . وما من قطرة أحب الى الله من قطرتين : قطرة دم في سبيل الله ، وقطرة دمع في سواد الليل لا يريد بها الا الله عز وجل .

وقال عليه السلام : الخرق شيئان : العجلة قبل الأمكان ، والدالة على السلطان .

وسئل أحد الائمة عليهم السلام(١) عن تفسير الحسنتين المذكورتين في كتاب الله عزوجل «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة» (٢)، ان الحسنة فى الدنيا شيئان طيب المعاش وحسن الخلق ، والحسنة فى الآخرة شيئان رضوان الله والجنة .

وقال رجل لأحدهم: عظني يابن رسول الله. فقال لا تحدث نفسك بشيئين بفقر ولا بطول عمر، فانه من حدث نفسه بالفقر بخل، ومن حدث نفسه بطول العمر حرص .

ووعظ أبوذر الغفاري رحمة الله عليه رجلا فقال له : ان لك في مالك شريكين الحادث والوارث ، فان استطعت أن لا تكون أخسر (٣) الشركاء فافعل .

ولقي حكيم حكيماً فقال له : عظني وأوجز . فقال : عليك بشيئين : لا يراك الله من حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك .

ووجدت هذا الفصل عن الصادق عليه السلام .

وقال لقمان لابنه: يا بني أنهاك عن شيئين ،عن الكسل والضجر ،فانك اذا كسلت لم تؤد حقاً ، واذا ضجرت لم تصبر على حق .

---

(١) وعن أحد خ ل .

(٢) سورة البقرة : ٢٠١ .

(٣) اخس خ ل .

ووعظ رجل رجلا فقال : استعملوا عباد الله الصبر في حالتين : اصبروا على عمل لا غنى بكم عن ثوابه ، واصبروا عن عمل لا صبر لكم على عقابه .

وقيل : اثنان يستحقان البعد : من لا يؤمن بالمعاد ، ومن لا يضبط نفسه عن المحارم . والعبد بين شيئين لا يصلحهما الا شيئان،هو بين نعمة وذنب لايصلحهما الا الحمد والاستغفار .

وقيل لراهب: ما يبكيك ؟ قال : شيئان قلة اعتداد(١) الزاد،وطول سفر المعاد. وشيئان يزيدان في الحسنات، وهما الهم والحزن.وشيئان يزيدان في السيئات ، وهما الأشر والبطر (٢) .

وقيل لعابد : كيف أصبحت ؟ قال : بين نعمتين : رزق موفور ، وذنب مستور.

وقيل : ان للدنيا فضيلتين: هي أفصح المؤذنين ، وأبلغ الواعظين .

وقال بعض الحكماء:أروح الاشياء للبدن شيئان:الرضا بالقضاء،والثقة بالقسم.

وقيل:الموت موتان موت الأجساد وموت الأنفس ، فأما موت الأجساد فعند مفارقة الروح ، وأما موت الأنفس فعند مفارقة العقل لها .

وقيل ينبغي للعاقل أن يتخذ مرآتين،فينظر من احداهمافي مساوىءنفسه فيتصاغر بها ويصلح ما استطاع منها،وينظر من الاخرىفي محاسن الناس فيتحلى بها ويكتسب ما استطاع منها .

وقيل : ان من أخلاق المؤمن شيئين هما (٣) : لا يشمت بالمصاب ، ولا ينابز بالالقاب .

وقيل : المروءة شيئان الانصاف والتفضل . وشيئان يعمران الديار ويزيدان في الاعمار : حسن الخلق ، وحسن الجوار .

وقيل : اذا قدم شيئان سقط شيئان:اذا قدمت المصيبة سقطت التعزية ، واذا قدم الاخاء سقط الثناء .

---

(١) اعداد خ ل .

(٢) الاشر : المرح ، وقيل اشد البطر . والبطر : الطغيان عند النعمة وطول الغنى .

(٣) فى الاصل «شيئان» .

وقال بعض العقلاء : الناس رجلان : عالم فلا أماريه ، وجاهل فلا أجاريه .
وقال آخر : النبل شيئان : صديق أماريه ، وعدو أداجيه (١) .

وقيل : ان العرب تستدل بشيئين اللحظةواللفظة ، وشيئان لا ينفكان عن الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار ، وما تقربت المرأة الى الله تعالى بمثل شيئين طاعة زوجها ولزوم بيتها ، وأطيب الروائح ريحان (٢) ريح جسد تحبه وريح ولد تمر به.

وقيل:عذابان لايعرف قدرهما الا من ابتلي بهما:السفر الشاسع والبنا الواسع.

وقيل لرجل : ما اللذة ؟ فقال : شيئان ترك الحيا واتباع الهوى.فقيل له: (٣) هذه لذة لا تنفك من شيئين : عاجل العار ، وآجل النار .

وقيل : ليس يحتمل الشر الا رجلان : رجل آخرة يرجو ثواباً،ورجل دنيا (٤) يصون حسباً .

وقال عبد الملك بن مروان يوماً لعبدالله بن زيد بن خالد:ما مالك؟فقال:شيئان لا عيلة علي معهما : الرضا عن الله ، والغنا عن الناس . فلما نهض من عنده قيل له:هلا أخبرته بمقدار مالك؟ قال:خشيت من أحد شيئين:اما أن يكون قليلا فيحقرني واما أن يكون كثيراً فيحسدني .

ورؤي على رجل جبة صوف، فقيل له : ما حملك على لبسها ؟ فسكت ، فقيل له : لم سكت ؟ فقال : أنا بين حالتين : أخاف أن أقول زهداً فأزكي نفسي ، واكره أن أقول فقراً فأذم ربي .

وأوصى حكيم ولده فقال : يا بني ان أردت الخلاص فعليك بشيئين : لا تضع ما عندك الا في حقه ، ولا تأخذ ما ليس لك الا بحقه. تحصن يا بني من الساعي(٥) عليك بشيئين بالمداراة وحسن المعاشرة ، فانك لا تعدم أحد شيئين: اما صداقة تحدث بينكما تؤمنك شره ، واما فرصة تظفرك (٦) به . ولا تلاعب رجلين فتكون مفتوناً :

---

(١) النبل:النجابة والفضل . والمماراة: المجادلة . وأداجيه : أداريه وأساتره العداوة .
(٢) فى الاصل «ريحتان» .
(٣) فى الاصل «فقال له العاقل» ، ثم صحح كما ذكرنا .
(٤) فى الاصل«ورجلا ديناً» .
(٥) عن الباغى خ ل .
(٦) تمكنك فتظفر خ ل .

الشريف فيحتقرك،واللئيم فيجترىء عليك.وكن أشد الناس حذراً من رجلين:الصديق الغادر ، والعدو الفاجر . واختبر أخاك عند حالتين : نائبة تنوبك ، ونعمة تحدث له، فانهما الحالتان اللتان تختبر بهما الاخوان فتكشف خيارهم عن النظرة والاغتباط وشرارهم عن الجفوة والحسد .وقد تعرف عدوك بشيئين : اذا رأى بك نعمة بهت ، واذا ظهر منك على عثرة شمت . وقد نظرت يا بني فلم أجد فى الدنيا أقل من شيئين : درهم حلال ينفق في حقه ، وأخ في الله يسكن الى غيبه، فعليك بأخلاق الفاضلين في أمور الدنيا والدين . والزم الشرف،وهو شيئان: كف الأذى وبذل الندى.وعليك بالسخاء، وهو سخاءان : سخاوة نفس المرء بما يملك ، وسخاوة نفسه عما في أيدي الناس . واعلم أن الكرم شيئان : التقوى ، وطيب النفس . واللؤم شيئان : الفجور ، وخبث النفس . والجود شيئان : التبرع بالمال ، والعطية قبل السؤال . والعجز عجزان : التقصير في تناول أمر وقد تيسر، والجد فى طلبه وقد تعذر. والصبر صبران: صبر على ما تكره فيما يلزمك الرأي ، وصبر عما تحب فيما يدعوك اليه الهوى .

باب
ذكر ما جاء في ثلاثة

روي أن في بعض كتب الله تعالى:من عافيته من ثلاثة فقد أكملت نعمتي عليه: من أغنيته عن مال أخيه ، وعن سلطان يأتيه ، وعن طبيب يستشفيه .

وقال سيدنا رسول الله صلى الله عليهوآله : ثلاثة تجب لهم الرحمة : غني قوم افتقر ، وعزيز قوم ذل ، وعالم تتلاعب به الجهال . وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق والمنان ، ومدمن الخمر . ومدمنها هو الذي متى وجدها شربها .

وقال عليه السلام : رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، والصغير حتى يبلغ ، والمجنون حتى يفيق .

وقال عليه السلام : حبب الي من دنياكم ثلاث: الطيب ، والنساء ، وقرة عيني في الصلاة .

وقال عليه السلام : ان الله كره لكم ثلاثاً : العبث في الصلاة ، والرفث في الصيام ، والضحك في المقابر .

وقال عليه السلام : ان الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً ويكره ثلاثاً :يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويكره كثرة القيل والقال وكثرة السؤال واضاعة المال .

وقال عليه السلام : ان أشد ما أتخوف على أمتي من بعدي ثلاث خلال : أن تتأولوا القرآن غير تأويله ، وتتبعوا زلة العالم ، وأن يظهر فيهم المال فيطغوا . وسأنبئكم بالمخرج من ذلك : أما القرآن فاعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه ، وأما العالم فلاتتبعوا زلته ـ يعني لا تقتدوا به فيها ـ وأما المال فان المخرج منه شكر النعمة(١).

وقال صلى الله عليه وآله : ما من عبد الا وله ثلاثة أخلاء : فأما خليل فيقول

---

(١) متن الحديث هنا فيه شيء من الارتباك، وقد ورد في الخصال ص١٦٤ هكذا : انما أتخوف على امتي من بعدي ثلاث خصال : أن يتأولوا القرآن على غير تأويله ، أو يتبعوا زلة العالم ، أو يظهر فيهم المال حتى يطغوا ويبطروا . وسأنبئكم عن المخرج من ذلك: أما القرآن فاعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه ، وأما العالم فانتظر فيئته ولا تتبعوا زلته ، وأما المال فان المخرج منه شكر النعمة وأداء حقه .

ما أنفقت فلك وما أمسكت فليس لك فذلك ماله ، وأما خليل فيقول أنا معك فاذا أتيت باب الملك ذهبت وتركتك فذاك أهله وحشمه ، وأما خليل فيقول أنا معك حيث دخلت وحيث خرجت فذاك عمله . فيقول : ان كنت لأهون الثلاثة علي .

وأوصى رسول الله صلى الله عليه وآله أبا ذر رحمة الله عليه بثلاث فقال : نبه بالفكر قلبك ، وجاف عن النوم جنبك ، واتق الله ربك .

وقال : اكثروا من ذكر ثلاث تهن عليكم المصائب : اكثروا من ذكر الموت، ويوم خروجكم من القبر ، ويوم قيامكم بين يدي ربكم عزوجل .

وقال عليه السلام : ثلاث مهلكات وثلاث منجيات : فالمهكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه ، وأما المنجيات فخشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل فى الرضا والغضب .

وقال عليه وعلى آله السلام: من وقي شر ثلاثة فقد وقى الشر كله، لقلقه ، وقبقبه، وذبذبه . لقلقه لسانه ، وقبقبه بطنه ، وذبذبه فرجه .

وقال صلى الله عليه وآله : ثلاث من كن فيه فقد تمت مروءته : من تفقه في دينه ، واقتصد في معيشته ، وصبر على النائبة اذا نابته .

وقال صلى الله عليه وآله . ثلاث والذي نفسي بيده ان كنت لحالف عليهن: لا ينقص مال من صدقة فتصدقوا ، ولا يعفو عبد عن مظلمة يبتغي بها وجه الله تعالى الارفعه الله تعالى بها يوم القيامة ، ولا يفتح عبد على نفسه باب مسألة الافتح عليه باب فقر فاستعفوا .

وقال صلى الله عليه وعلى آله : عرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار: فأول ثلاثة يدخلون الجنة الشهيد وعبد أحسن عبادة الله ونصح لسيده ورجل فقير كثير العيال عفيف متعفف ، وأول ثلاثة يدخلون النار أمير متسلط ليس بمقسط وفقير فجور وذو ثروة من المال لا يؤدي حق ماله .

وعاد صلى الله عليه وعلى آله سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال له : شفاك الله من علتك وعافاك في مدة أجلك، يا سلمان ان لك فى مرضك هذا ثلاث خصال : أول خصلة ذكر الله تعالى اياك، والثانية أنه يكفر عنك خطاياك، والثالثة أنه نبهك بالدعاء فادع يا سلمان ، فانك تشفى وتعافى .

وقال صلى الله عليه وآله : ان العبد لا يخطئه من الدعاء أحد ثلاث : اما

ذنب يغفر ، واما خير معجل ، واما خير يؤجل .

وقال صلى الله عليه وآله: ثلاثة لا يعادون ، صاحب الدمل والرمد والضرس .

وقال صلى الله عليه وعلى آله : المجالس بالامانة الا ثلاث مجالس : مجلس سفك فيه دم حرام ، ومجلس استحل فيه فرج حرام، ومجلس استحل فيه مال بغير حقه.

ونزل عليه صلى الله عليه وآله بمكارم الاخلاق في الدنيا والاخرة، وهي ثلاثة فقال «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» (١). وهو أن تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك .

وقال عليه السلام : ثلاثة يجلبن الفقر: الاكل على جنابة ، والمرأة الصخابة(٢) واليمين الفاجرة . وثلاثة اذا كانوا في بيت لم يلجه ملك ما دام فيه منهم شيء : كلب ، وخيانة ، وصورة ذي روح .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : يا طالب العلم ان لكل شيء علامة بها يشهد له وعليه ، وللدين ثلاث علامات الايمان بالله وبكتبه ورسله ، وللعلم ثلاث علامات المعرفة بالله عزوجل وبما يحب ويكره ، وللعمل ثلاث علامات الصلاة والزكاة والصوم ، وللمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويقول مالا يعلم ويتعاطى مالا ينال ، وللظالم ثلاث علامات يظلم من فوقه بالمعصية ومن دونه بالغلبة ويظاهر الظلمة، وللمنافق ثلاث علامات يخالف لسانه قلبه وقوله فعله وسريرته علانيته، وللمرائي (٣) ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان مع غيره ويحرص على كل أمر يعلم فيه المدحة، وللغافل ثلاث علامات اللهو والسهو والنسيان.

وروي عنه عليه السلام أنه قال : في المعروف ثلاث خصال ، قال : هو أزكى الزرع ، وأوثق الحصون ، وأفضل الكنوز . غير أنه لا يصلح الا بثلاث خصال : تعجيله ، وتصغيره ، وستره . فانك اذا عجلته أهلته ، واذا صغرته عظمته، واذا سترته تممته .

وقال عليه السلام : المؤمن المصيب من يفعل ثلاثاً : من يترك الدنيا قبل أن

---

(١) سورة الاعراف : ١٩٩ .

(٢) الصخب والسخب : الصيحة واضطراب الاصوات للخصام .

(٣) فى الاصل «وللمرآى» .

تتركه ، ويبني قبره قبل أن يدخله ، ويرضي ربه قبل أن يلقاه .

وقال عليه السلام : ثلاث من لم يكنّ فيه لم يجد طعم الايمان : حلم يرد به جهل كل جاهل ، وورع يحجزه عن المحارم ، وخلق يداري به الناس .

وكان عليه السلام قد منع الناس بالكوفة من القعود على الطريق، فكلموه في ذلك فتركهم بعد أن شرط عليهم ثلاث خصال : غض الابصار ، ورد السلام ، وارشاد الضال .

وروي عن زين العابدين عليه السلام انه قال : ثلاث منجيات للمؤمن : كف لسانه عن الناس واغتيابهم،وشغله بما ينفعه لدنياه وآخرته، وطول بكائه على خطيئته.

وقال الباقر عليه السلام : كل عين باكية يوم القيامة الا ثلاث عيون : عين سهرت في سبيل الله ، وعين فاضت من خشية الله ، وعين غضت عن محارم الله .

وقال الصادق عليه السلام : ثلاثة ليس معهن غربة : كف الأذى، والأدب، ومجانبة الريب .

وقال عليه السلام : من غضب عليك ثلاث مرات ولم يقل فيك سوءاً فاتخذه لنفسك خليلا .

وروي عن العالم عليه السلام (١) أنه قال : الخير كله في ثلاث خصال : في النظر والسكوت والكلام : فكل نظر ليس فيه اعتبار فهو لهو ، وكل سكوت ليس فيه فكر فهو سهو ، وكل كلام ليس فيه ذكر (٢) فهو لغو .

وروي عنه (ع) أنه قال : ثلاث خصال من كن فيه أو واحدة منهن كان في ظل عرش الله يوم لا ظل الا ظله : من أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لها ، ومن لم يقدم رجلا حتى يعلم أن ذلك لله عز وجل [فيه] (٣) رضى ، ومن لم يعب أخاه بعيب حتى ينفي ذلك العيب عن نفسه ، فانه لاينفي عنها عيباً الا بدا له عيب ، وكفى بالمرء شغله عن الناس .

وروي عن المسيح (ع) أنه ذم المال فقال : فيه ثلاث خصال . قيل : وما هي

---

(١) يريد الامام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام ، أنظر جامع الرواة ٢/٤٦٢ .

(٢) في الاصل «فكر» وانظر الخصال ص ٩٨ .

(٣) الزيادة من الخصال ص ٨١ .

يا روح الله ؟ قال : يكسبه المرء من غير حله ، فان هو كسبه من حله منعه من حقه، فان هو وضعه في حقه شغله اصلاحه عن عبادة ربه .

وروي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال : أبكتني ثلاث وأضحكتني ثلاث ، فأما الثلاث المبكيات : ففراق رسول الله (ص) ، والهول عند غمرات الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل . وأما المضحكات فغافل ليس بمغفول عنه، وطالب دنياه والموت يطلبه، وضاحك ملء فيه لايدري ضحكه رضى لله عز وجل أم سخط.

ووعظ أبو ذر الغفاري رحمة الله عليه عمر بن الخطاب فقال له : عليك ياعمر بثلاث : ارض بالقوت ، وخف الفوت ، واجعل صومك الدنيا وفطرك الموت .

وقال عبد الله بن عباس رحمه الله : ان الله تعالى حرم أذى ثلاثة : كتابه الذي هو حكمته نطق به وأنزله ؛ وبيته الذي جعله مثابة للناس وأمناً ، وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله . فأما الكتاب فمزقتم وخرقتم ، وأما البيت فخربتم وهدمتم ، وأما العترة فشردتم وقتلتم .

وروى أنس عن النبي (ص) انه قال : يقول الله تعالى : لو لا رجال خشع وصبيان رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صباً .

وقال معاوية بن ابي سفيان لخالد بن المعتمر : علام حبك لعلي بن أبي طالب؟ فقال : أحبه على ثلاث : حلمه اذا غضب ، وصدقه اذا قال ، ووفائه اذا وعد .

ذكر أن ابليس لعنه الله قال : اذا أنا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم اطالبه بغيرهن: [اذا أعجب] (١) بنفسه ، واستكثر عمله ، ونسي ذنوبه .

وقال الاحنف : مهما كان عندي فيه من أناة (٢) فلا أناة عندي في ثلاث : في الصلاة اذا حضرت حتى أؤديها لوقتها ، وفي الميت اذا مات ان أواريه ، وفي المرأة اذا جاءها كفؤها ان أزوجها .

وقالت الفرس : ثلاث خلال لا ينبغي للعاقل ان يضيعهن (٣) بل يجب ان يحث عليهن نفسه وأقاربه ومن اطاعه : عمل يتزوده لمعاده ، وعلم طب يذب [به] (٤) عن

---

(١) ليس بواضح في الاصل .

(٢) الاناة : التروي في الامر .

(٣) في الاصل «أن يضعهن» .

(٤) الزيادة منا لاكمال الجملة .

جسده ، وصناعة يستعين بها في معاشه .

وقيل : لو لا ثلاث خصــال ما وضع ابن آدم رأسه لشيء أبداً وانــه معهن لوباب (١) الموت ، والمرض ، والفقر .

وقيل : اذا اراد الله بعبد خيراً جعل فيه ثلاث خصال : فقهه في الدين ، وزهده في الدنيا ، وبصره عيوبه .

وقال بعض الحكماء لرجل : ألا أعلمك ثلاثة أبواب من الحكمة تنتفع بها؟ قال : بلى . قــال : أعلمك علماً لاتتعايى فيه العلماء اذا سئلت عما لاتعلم فقل الله ورسوله أعلم ، وأعلمك علماً لا تتعايى فيه الاطباء وهو اذا أكلت طعاماً فارفع يدك عنه وأنت تشتهيه ، وأعلمك حكماً لاتتعايى فيه الحكماء وهو اذا جلست الى قوم فلاتبدأ هم بالكلام حتى تسمع مايقولون ، فان خاضوا في خير خضت معهم ، وان كان غير ذلك قد سلمت من شرهم .

وقال ابوذر جمهر (٢) : ماورّثت الاباء الابناء خيراً من ثلاثة اشياء: الأدب النافع ، والاخوان الصالحون ، والثناء الجميل .

وقال العباس بن عبدالمطلب لابنه : يابني لاتعلم العلم لثلاث خصال: لتماري به ، ولترائي فيه ، ولتباهي به . ولاتدعه لثلاث خصال : لرغبة في الجهل ، ولزهد في العلم ، ولاستحياء من التعلم .

وقال ابن عبـاس رحمة الله عليه : قال لي اني (٣) أرى اميرالمؤمنين يدنيك دون أصحاب النبي صلى الله عليه وآله . قال: فاحفظ عني ثلاثاً : لاتتحدثن كذباً، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا تفشين له سراً .

وروي أن بعض الملوك استصحب علي بن زيد الكــاتب ، فقــال له علي : اني (٤) أصحبك على ثلاث خلال . قال : ماهي ؟ قـال : لاتهتك لـه (٥) ستراً ، ولاتشتم له (٦) عرضاً ، ولاتقبل فيّ قول قائل حتى ترى . قـال : هذه لك فمالي

(١) كذا في الاصل .
(٢) في الاصل « ابن جمهر » .
(٣) كذا في الاصل ، ولعله «قال لي أبي» .
(٤) في الاصل « ان » .
(٥-٦) كذا في الاصل ، والظاهر أن يكون « لي » .

عندك ؟ قال : ثلاث لاأفشي لك سراً، ولا أدخرعنك نصحاً ، ولا أوثرعليك أحداً. قال : نعم الصاحب استصحبت أنت .

ومن كلام لقمان لابنه : يابني ثلاثة لا تعرفهم الا عند ثلاثة : لا تعرف الحليم الا عند الغضب ، ولا الشجاع الا عند الحرب ، ولا أخاك الا عند الحاجة .

وقال آخر : من حق أخيك عليك أن تحمل له ثلاثاً : ظلم الغضب ، وظلم الدالة ، وظلم الهفوة .

وقال ارسطاطاليس (١) : بلغني عنك انك عتبتني.فقال له : مابلغ من قدرك عندي أن أدع لك خلة من ثلاث : اما علماً أعمل فيه فكري ، أو عملا صالحاً لاخرتي ، أولذة في غير ذات محرم أعلل بها نفسي .

وأوصى حكيم ولده فقال : يابني احفظ عني ثلاثة : وقر أباك تطل أيامك ، وقر أمك ترى لبنيك بنيناً ، ولاتحد النظر الى والديك فتعقهما .

واعلم يابني أن الايام ثلاثة : أمس يوم ماض كأن لم يكن ، وغد يوم منتظر كأن قد أتى، واليوم مقيم بغنيمة الاكآيس لتزود الخيرات وتقطعه الفجرة بالاماني مع أنها ليست أيام ولكنها ساعات ، وليست بساعات ولكنها أوقات أقل من ارتداد الطرف .

وفي كتب الحكمة أنها ثلاثة أيام : أمس موعظة وأجل، واليوم غنيمة وعمل، وغد اجتهاد وأمل.

واعلم أن الناس في الدنيا بين ثلاثة احوال حسنات وسيئات ولذات ، وفي الاخرة بين ثلاثةأحوال درجات ودركات ومحاسبات، فمن عمل في الدنيا بالحسنات نال في الاخرة الدرجات ، ومن ترك في الدنيا السيئات نجا فى الأخرة من الدركات ومن هجر في الدنيا اللذات خلص في الأخرة من المحاسبات .

واعلم يا بني أن أنصف الناس من جمع ثلاثاً : تواضعاً عن رفعة ، وزهداً عن قدرة ، وانصافاً عن قوة . وعليك بالقنوع ، ففيه ثلاث خلال : صيانة النفس ،

(١) كذا في الاصل ، ولعله « وقال رجل لارسطاطاليس » .

وعز القدر ، وطرح مؤن الاستكبار . ولا تضع المعروف الى ثلاثة : اللئيم فانه بمنزلة السبخة ، والفاحش فانه يرى أن الذي صنعت اليه انما هو مخافة لفحشه، والاحمق فانه لا يعرف ما أسديت اليه .

واعلم ان الشكر ثلاث منازل : هو لمن فوقك بالطاعة ، ولنظيرك بالمكافأة، ولمن دونك بالافضال . ولا تطلب حاجتك يا بني من ثلاثة : لا من كذاب فانه يقربها (١) بالقول ويباعدها بالفعل ، ولا من أحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك ، ولا ممن له أكلة من جهة رجل فانه يؤثر أكلته على حاجتك.واياك يا بني والكذب فان المرء لا يكذب الا من أحد ثلاثة أشياء : اما لمهانة نفسه ، أو لسخافة رأيه ، أو لغلبة جهله . واحذر مشاورة ثلاثة : الجاهـل ، والحاسد ، وصاحب الهوى .

واعلم أن ثلاثة أفضل ما كان لا غناء بهم عن ثلاثة : أحزم ما يكون الرجل لا غنى به عن مشاورة ذوي الرأي، وأعف ما تكون المرأة لا غنى بها عن الزوج، واوفر ما تكون الدابة لا غنى بها عن الوسط.وثلاث هن للكافر مثلما هن للمسلم: من استشارك فانصح له ، ومن ائتمنك على امانة فأدها اليه ، ومن كان بينك وبينه رحم فصلها .

وقيل لاعرابي : ما تفتنهم (٢) من اميرك؟ فقال : ثلاث خلال: يفضي بالعشوة ، ويطيل النشوة (٣) ، ويقبل الرشوة .

وقيل لثلاثة مجتمعين: ما السرور.فقال الاول منهم السرور مجتمع في ثلاث: امرأة حسناء ، ودار قرور (٤) ، وفرس مرتبط .

وقال الثاني: السرور مجتمع في ثلاث: لواء منشور، وجلوس على السرير، والسلام عليك ايها الامير . وقال الثالث : السرورمجتمع فيثلاث : رفع الاولياء، وحط الاعداء ، وطول البقاء مع القدرة والنماء .

---

(١) فى الاصل « فانها يقى بها » .

(٢) كذا فى الاصل ، ولعله «ما تتهم» .

(٣) العشوة بفتح العين : ركوب الامر على غير بيـان . والنشوة بفتح النون : السكر أو أوله .

(٤) القرور بضم القاف : الثابت ، وكأنه يريد الدار التى هى ملك الانسان .

باب

ذكر ماجاء في أربعة

روي عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال أربعة لاتكون الا بأربعة: لاحسب الا بتواضع ، ولاكرم الابتقوى ، ولاعمل الابنية ، ولاعبادة الابيقين .

وقال صلى الله عليه وآله : اربعة ينظر الله اليهم يوم القيامة ويزكيهم : من فرج عن لهفان كربه، ومن اعتق نسمة مؤمنة ، ومن زوج عزباً،ومن أحج صرورة(١).

وقال صلى الله عليه وآله : اربع من عجل لهن (٢) اذا اصبح اجرى الله له نهراً في الجنة : من أصبح صائماً،وعادمريضاً ، وشيع جنازة ، وتصدق على مسكين.

وقال : اربع تزيدفي الرزق : حسن الخلق ، وحسن الجوار، وكف الأذى ، وقلة الضجر .

وقال صلى الله عليه وآله لاميرالمؤمنين عليه السلام : انهاك ياعلي عن اربع: عن الحسد ، والبغي ، والكبر ، والغضب .

وقال عليه السلام : أربعة أشياء تلزم كل ذي حجى من أمتي . قيل : وما هي يا رسول الله ؟ فقال : استماع العلم ، وحفظه ، والعمل به ، ونشره .

وقال: أربع اذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ أمانة ، وصدق حديث ، وحسن خليقة ، وعفة طعمة .

وقال صلى الله عليه وآله : اربع من كنوز البر : كتمان الحاجة ، وكتمان الصدقة ، وكتمان المصيبة ، وكتمان الوجع .

وقال عليه السلام : اربع خصال من الشقاء : جمود العين ، وقساوة القلب ، والاصرار على الذنب ، والحرص على الدنيا .

وقال عليه السلام : اربع خصال من كن فيه ادخله الله جنته ونشر عليه رحمته: من آوى اليتيم ، ورحم المسكين ، واشفق على والديه ، ورفق بمملوكه .

---

(١) الصرورة : الذى لم يحج بعد .

(٢) فى هامش النسخة «من عمل بهن ـ ظ» .

وقال صلى الله عليه وآله: من الهم اربعة اشياء الصدق في كلامه والأنصاف من نفسه وبر والديه وصلة رحمه ، انسيء في اجله ووسع عليه في رزقه ومتع بعقله وسهل عليه في ساقته (١) ولقن حجته في قبره .

وقال : اربعة من قواصم الظهر: اخ تصله ويقطعك، وزوجة تأمنهاوتخونك، وجار ان علم خيراً ستره وان علم شراً اذاعه ، وفقر داخل لايجدصاحبه منه مداوياً.

وقال عليه وعلى آله السلام : اربعة القليل منها كثير : النار القليل منهاكثير، والوجع القليل منه (٢) كثير، والفقر القليل منه كثير ، والعداوة القليل منها كثير.

وقال عليه السلام : العلوم اربعة : الفقه للاديان ، والطب للابدان ، والنحو للسان ، والنجوم لمعرفة الازمان .

وقال عليه السلام: الفضائل اربعة : اولها الحكمة وقوامها في الفكر، وثانيها العفه وقوامها في الشهوة ، وثالثها القوة وقوامها في الغضب ، ورابعها العدل وقوامه في الاعتدال .

وقيل له عليه السلام : هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله ينعت (٣) الاسلام ؟ قال : نعم سمعته يقول : بني الاسلام على اربعة اركان الصبر و اليقين والجهاد والعدل (٤) ، فللصبر اربع شعب الشوق والشفقة و الزهادة و الترقب ، فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات،ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا تهاون بالمصيبات ، ومن ترقب الموت سارع الى الخيرات . واليقين على اربع شعب : تبصرة الفطنة ، وتأويل الحكمة ، [ومعرفة العبرة، وسنة

---

(١) يريد به الموت ، فان السوق بفتح السين هو النزع ، كأن روح الانسان تساق لتخرج من بدنه ، و يقال له «السياق» أيضاً .

(٢) في الاصل «منها»

(٣) أي يصفه ، فان النعت هو الوصف ، و اكثر ما يستعمل للوصف بما طاب و حسن .

(٤) ذكر في الكافي ٢ / ٤٢ حديثاً بهذا المضمون أوله بعد الاسناد « عن أبي جعفر (ع) قال : سئل أمير المؤمنين عن الايمان فقال : ان الله عز وجل جعل الايمان على أربع دعائم ، على الصبر واليقين والعدل والجهاد . . . » ، وصححنا النسخة على هذا الحديث للشبه التام بين ألفاظهما .

الاولين، فمن أبصر الفطنة عرف الحكمة] (١) ومن تأول الحكمة عرف العبرة(٢)، ومن عرف العبرة (٢) اتبع السنة، ومن اتبع السنة فكأنما كان من الاولين. وللجهاد اربع شعب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في المواطن و بغضة الفاسقين ، فمن امر بالمعروف شد ظهر المؤمن ، ومن نهى عن المنكر أرغم انف المنافق [وأمن كيده] (٣) ، ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه واحرز دينه، ومن ابغض الفاسقين فقد غضب لله عز وجل ، ومن غضب لله غضب الله له .

وللعدل اربع (٤) شعب عرض الفهم (٥) وزهرة العلم ومعرفة شرائع الحكمةوورود روضة الحلم (٦) ، فمن غاص الفهم لبس جميل العلم ، ومن وعى زهرة العلم عرف شرائع الحكمة ، ومن عرف شرائع الحكمة ورد روضة الحلم ، ومن ورد روضة الحلم لم يفرط في أمره وعاشر الناس وهم منه في راحة .

وقال عليه السلام : الرجال اربعة : رجل يدري ويدري أنه يدري فذاك عالم فاسألوه ، ورجل لا يدري ويدري انه لايدري فذاك مسترشد فأرشدوه ، ورجل لايدري ولايدري أنه لايدري فذاك جاهل فارفضوه، ورجل يدري ولايدري انه يدري فذاك نائم فأنبهوه .

وقال عليه السلام : القضاة اربعة ثلاثة في النار وواحد في الجنة : قاض قضى بالباطل وهولايعلم انه باطل فهوفي النار ، وقاض قضى بالباطل وهويعلم انه باطل فهوفي النار ، وقاض قضى بالحق وهو لايعلم انه حق فهوفي النار ، وقاض قضى بالحق وهو يعلم انه حق فهو في الجنة .

وقال عليه السلام : أربع خصال تعين المرء على العمل : الصحة ، والغنى، والعلم، والتوفيق . وأربع من كن فيه يبدل الله سيئاته حسنات: الصدق، والحياء، والشكر، وحسن الخلق .

---

(١) الزيادة من الكافى .

(٢) فى الاصل «العشرة» والتصحيح من الكافى .

(٣) الزيادة من الكافى .

(٤) فى الاصل « أربعة » .

(٥) كذا فى الاصل ، ولعله «غوص الفهم» بقرينة مايذكر ، وفى الكافى «غامض الفهم» .

(٦) فى الاصل «روضة الحلمة» ، والتصحيح من الكافى .

وقال عند وفاته لولده الحسن عليه السلام:يابني احفظ عني اربعاً (١) قال : وماهن ياابتي ؟ قال : اعلم ان أغنى الغناء العقل ، واكبر الفقر الحمق ، واوحش الوحشة العجب ، واكرم الحسب حسن الخلق .

وقال عليه السلام : ما احق باللبيب ان يكون له اربع ساعات في النهار:ساعة يحاسب فيها نفسه وينظر ما اكتسب لها وعليها في ليلته ويومه ، وساعة يرفع فيها حاجته الى ربه ، وساعـة يفضي فيهـا لاخوانه وثقاته الذين يصدونه عن عيوبه ، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذتها ممـا يحمد و يحل ، وان هذه الساعة لمرغوبة على هذه الساعات الاخر ، وان استجمام (٢) القلوب وتوديعها زيادة في قوتها .

وروي عن الحسن بن علي عليه السلام انه قال: اكثروا الاختلاف الى المساجد فلن يعد منكم خلال أربع : آية محكمة ، وعلم مستفاد ، وترك الذنب اما حياءاً واما خشية ، واخ مستفاد .

وقال عليه السلام : احذروا كثرة الحلف ، فانما يحلف الرجل لخلال اربع : اما لمهانة يحسها من نفسه تحثه (٣) على الضراعة الى تصديق الناس اياه ، واما لغو المنطق فيتخذ الأيمان حسواً (٤) وصلة لكلمه ، واما لتهمة عرفها من الناس فيرى انهم لايقبلون قوله الا باليمين ، واما ارساله لسانه من غير تثبت .

وقال عليه السلام : مصائب الدنيا اربع : موت الوالد ، وموت الولد ، وموت الاخ، وموت المرأة . فموت الوالد قاصم الظهر، وموت الولد صدع الفؤاد،وموت الاخ قص الجناح ، وموت المراة حزن ساعة .

وروي عن الحسين بن علي عليهما السلام انه قال : ان الله عزوجل اخفى اربعة في اربعة : اخفى رضاه في الحسنات فلا يستصغرن احد منكم حسنة لانه لايدري فيم رضى الله تعالى ، واخفى سخطه في السيئات فلا يستصغرن احدكم سيئة فانه لايدري فيم سخط الله ، و اخفى اولياءه في الناس فلا يستصغرن احدكم احداً فانه يوشك

---

(١) فى الاصل «أربع» .

(٢) فى الاصل «استحمام» .

(٣) فى الاصل « يحثه » .

(٤) كذا فى الاصل ولعله «حشواً» .

ان يكون ولياً لله، واخفى اجابته في الدعاء فلا يستصغرن احدكم دعوة فانه لايدري لعل دعاه مستجاب .

وقال علي بن الحسين عليه السلام : لا تقومن الا لاحد اربعة : مأمول خيره ، ومرجو عونه ، ومرغوب علمه ، ومرهوب شره .

وقال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام : وجدت علم الناس كله في اربعة: اولها ان تعرف ربك ، وثانيها ان تعرف ماصنع بك، وثالثها ان تعرف ما أراد منك، ورابعها ان تعرف ما يخرجك من دينك .

وقال عليه السلام لاحد اصحابه : اضمن (١) لي اربعة خلال بأربعة ابيات في الجنة : انفق ولاتخاف [فقراً] (٢) ، وافش السلام في العالم ، واترك المراء و ان كنت محقاً ، وأنصف الناس من نفسك .

وقال : اربع من كن فيه كمل اسلامه ولو كان بين قرنه الى قدمه خطايا غفرها الله له : الصدق ، والحياء ، والامانة ، وحسن الخلق .

وروي عن العالم عليه السلام : من أشرب قلبه حب الدنيا التاط (٣) قلبه منها بأربع: شغل لاينفك عناه، وامل لايدرى منتهاه، وحرص لايبلغ مداه، وهم لايعرف انقضاه.

وكتب يوسف عليه السلام على باب السجن الذي كان فيه اربع كلمات : هذه محل البلوى ، وقبور اهل الدنيا ، وشماتة الاعداء ، وتجربة الأصدقاء .

وروي أن سليمان بن داود عليه السلام قال : اربعة اشياء لاتطيقهن الارض : عبد ملك ، ونذل شفع ، وأمة ورثت مولاها ، وعجوز قبيحة تزوجت صبياً .

وقيل : ان ملاك السلطان أربع خلال : العفاف عن الجاني، والقرن (٤) عن المحسن ، والشدة على المسيء، وصدق اللسان . وأربعة أشياء لايأنف منها شريف وان كان أميراً ، قيامه في منزله ، وخدمته لضيفه ، وقيامه على فرسه ولو كان له مائة

---

(١) الكلمة مشوشة فى الاصل .

(٢) فى الاصل مخروم ، والتصحيح من حديث فى الخصال ص ٢٢٣ .

(٣) التاط : ادعاه وليس له ، التصق بقلبه .

(٤) كذا فى الاصل .

عبد، وخدمته للعالم الذي أخذ منه علمه. وأربعة لاتستحيي من الختم عليهن لنفاستها ونفي التهمة عنها والاحتياط فيها : المال ، والجوهر، والطيب ، والدواء .

وذكر أن ذاالقرنين وجـد لوحاً من ذهب تحت حـائط احد المدائن فيه اربعة اسطر : « السطر الاول » عجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح ، « السطر الثاني » عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن، «السطر الثالث» عجبت لمن يوقن بالنار كيف يضحك ، «السطر الرابع» عجبت لمن يرى الدنيا و تقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها .

قيل: ولزم حكيم باب بعض ملوك العجم دهراً فلم يصل اليه، فتلاطف الحاجب في ايصال رقعة اليه ، ففعل ، فكتب فيهـا اربعة اسطر : « السطر الاول » الضرورة والامل أقدماني عليك ، «السطر الثاني» العدم لايكون معه صبر ، « السطر الثالث » الانصراف بغير فائدة شماتة الأعداء ، «السطر الرابع» فاما نعم مثمرة واماالامريحة . فلما قرأ السطر الاول وقع على كل سطرمنها عشرة آلاف درهم .

وروي عن ابن عباس انه قـال : اربعة لااقدر على مكافـأتهم : رجل بـدأني بالسلام، ورجل وسع لي في المجلس، ورجل عثرت قدماه في المشي في حاجتي، واما الرابع فلا يكافئه عني الا الله عزوجل . قيل : ومـا هو ؟ قال : رجل نزل بـه امر فبات ليلته مفكراً (١) بمن ينزله ثم رآني اهلا لحاجته فأنزلها بي .

وقالت كليلة : تقسمت النـاس اربعة : الرغبة في المـال ، والشهوة للذات ، والطلب للذكر ، والعمل للمعاد . فالثلاثة متاع وشيك الفناء بـاقي التبعة ، والرابعة تنظم الثلاث بغير تبعة ، فلاغنى كالرضى عن الله تعالى ، ولالذة كالتقوى ، ولا ذكر أشرف من طاعة الله .

وحفظ عن الحسن البصري اربعة خلال : عش ما شئت فانك ميت ، واجمع ماشئت فانك تاركه ، وأحب من شئت فانك مفارقه ، واعمل ماشئت فانك ملاقيه .

وقيل لبعضهم : علامَ بنيت امرك؟ فقال : على اربع خصال : علمت ان رزقي لايأكله غيري فاطمأنت نفسي، وعلمت ان عملي لايعمله غيري فأنا مشتغل به،وعلمت ان اجلي لا ادري متى يأتي فأنا مبادره ، وعلمت اني لا اغيب من عين فأنامستحي منه.

---

(١) فى الاصل «مفكر» .

وقال الاحنف بن قيس : اربعة من كن فيه كان كاملا ، ومن تعلق بخصلةمنهن كان صالحاً : دين يرشده ، او عقل يسدده ، اوحسب يصونه ، او حياء يحجزه .

وقيل : الرجال اربعة : جواد وبخيل ومقتصد ومسرف . فأما الجواد الذي يوجه نصيب دنياه ونصيب آخرته في امر آخرته ، والبخيل الذي لايعطي واحدة منهما حقها،والمقتصد الذي يلحق بكل واحدةقسطها،والمسرف الذييجمعهمالدنياه.

وقال بعضهم : الثياب اربعة : السخاء ثوب جمال ، والكرم ثوب حياء ، والتذمم ثوب وقار ، وانجاز الوعد ثوب مروءة .

وقيل : اربعة يهددن (١) البدن وربما قتلن : دخول الحمام على البطنة،واكل القديد الحار (٢) ، ومجامعة العجوز ، و التجربة في النفس بالمصارعة (٣) ـ و هو النكاح على البطنة .

وأوصى حكيم ولده فقال: خذ يابني بأربعة واترك اربعة . فقال: وماهن؟فقال : خذ حسن الحديث اذا َحدثت ، وحسن الاستماع اذا ُحدثت ، وأيسرالمروءة اذا خولفت ، وبحسن البشر اذا لقيت . واترك محادثة اللئيم ، ومنازعة اللجوج ، ومماراة السفيه،ومصاحبة الماقت . واحذر اربع خصال فثمرتهن اربع مكروهات : اللجاجة والعجلة والعجب والشره ، فأما اللجاجة فثمرتها الندامة ، واما العجلة فثمرتها الحيرة ، واما العجب فثمرته البغضة ، واما الشره فثمرته الفقر . وكن من اربعة على حذر : من الكريم اذا أهنته ، ومن العاقل اذا أهجته ، ومن الاحمق اذا مازحته ، ومن الفاجر اذا صاحبته . واحتفظ من اربع نفسك تأمن ما ينزل بغيرك : العجلة ، واللجاج ، (٤) والعجب ، والتواني . واعلم انه من اعطي اربعة لم يمنع اربعاً : من اعطي الشكر لم يحرم المزيد ، ومن اعطي التوبة لم يحرم القبول ، ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ، ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب .

وأقبل بعض العلماء على تلميذه فقال:أربعة ترقى الى اربعة:العقل الى الرياسة،

(١) اى يضعفن البدن ويذهبن بقواه .

(٢) الكلمة مشوشة فى الاصل .

(٣) فى الاصل « بالمضارعة » .

(٤) فى الاصل «والالجاج» .

والرأي الى السياسة ، والعلم الى التصدير ، والعلم الى التوقير . واربعة تدل على اربعة : العفة على الديانة ، والصحة على الأمانة ، والصمت على العقل ، والعدل على الفضل. واربعة تفضي الى اربعة: السعاية الى الدناءة ، والأساءة على الرداءة، والخلف على البخل ، والسحو (١)على الجهل.وأربعة لا تنفك من اربعة : الجهول من الغلط ، والفضول من السقط ، والعجول من الزلل ، والملول من العلل . واربعة تتولد من اربعة : الشره من الممازحة ، والبغض من المكادحة (٢) ، والوحشة من الخلاف ، والنبوة (٣) من الأستخفاف . واربعة تزال بأربعة : النعمة بالكفران ، والقدرة بالعدوان ، والدولة بالاغفال ، والحظوة بالادلال . واربعة لا تنتصف من اربعة : شريف من دني ،وسيد من غوي (٤) ، وبر من فاجر ، ومنصف من جاهل. واربعة تؤدي الى اربعة : الصمت الى السلامة ، والبرالى الكرامة ، والجود الى السيادة،والشكر الى الزيادة. واربعة تعرف بأربعة : الكاتب بكتابه،والعالم بجوابه، والحكيم بأفعاله ، والحليم باحتماله . واربعة لا بقاء لها : مال يجمع من حرام ، وحلال يعقد من الاثام (٥)،ورأي يعرى من العقل،وبلد يخلومن العدل. واربعة لايزول معهاملك:حفظ الدين،واستكفاء الامين،وتقدم الحزم،وامضاء العزم.واربعة لايثبت معها ملك: غش الوزير ، وسوء التدبير ، وخبث النية ، وظلم الرعية . واربعة لا يطمع فيها عاقل : غلبة القضاء ، ونصحة الاعداء ، وبعسر الحلف (٦) ، ورضى الخلق . واربعة لا يخلو منها جاهل : قول بلامعنى ، وفعل بلاجدوى ، وخصومة بلاطائل ، ومناظرة بلاحاصل . واربعة لا مرد لها : القول المحلى ، والسهم المرمي،والقدر الجاري ، والزمن الماضي . واربعة تولد المحبة : حسن البشر ، وبذل البر ، وقصد الوفاق ، وترك النفاق . واربعة من علامات الكرم:بذل الندى،وكف الأذى، وتعجيل

---

(١) كذا فى الاصل .

(٢) الكدح : السعى والحرص فى الاعمال الدنيوية والاخروية .

(٣) النبوة : التجافى والتباعد .

(٤) فى الاصل «من عوى» .

(٥) كذا فى الاصل .

(٦) كذا فى الاصل .

المثوبة ، وتأخير العقوبة . واربعة من علامات اللؤم : افشاء السر ، واعتقاد الغدر، وغيبة الأحرار ، واذية الجار . واربعة من علامات الايمان : حسن العفاف ، والرضا بالكفافَ ، وحفظ اللسان ، واعتقاد الاحسان . واربعة من علامات النفاق : قلة الديانة وكثرة الخيانة ، وغش الصديق ، ونقض المواثيق .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : ما من يوم يمضي عنا الا ويضحك أربع على أربع. قيل:وما هن يا رسول‌الله ؟ قال:يضحك‌الأجل على الأمل ، والقضاء على القدر والتقدير على التدبير ، والقسم على الحرص .

باب
ذكر ماجاء في خمسة

روي عن النبي صلى الله عليه وآله في قول الله عزوجل «وعنده مفاتح الغيب» (١) الاية . فقال : مفاتح الغيب خمسة وهي : لايعلم متى يأتي المطر الا الله عزوجل، ولايعلم ماتغيض الأرحام الا الله عزوجل، ولايعلم ماتكسب نفس غداً الا الله عزوجل، ولايعلم نفس بأي أرض تموت الا الله عزوجل ، ولايعلم متى تقوم الساعة الا الله تعالى .

وقال صلى الله عليه وآله : خمسة في كتاب الله تعالى من كن فيه كن عليه. قيل: وما هي يا رسول الله ؟ قال : النكث ، والمكر ، والبغي ، والخداع ، والظلم . فأما النكث فقال الله عزوجل « فمن نكث (٢) فانما ينكث على نفسه » (٣) ، واما المكر فقال الله تعالى « ولا يحيق المكر السيء الا بأهله » (٤) ، واما البغي فقال الله تعالى «يا أيها الناس انما بغيكم على انفسكم» (٥) ، واما الخداع فقال الله تعالى «يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون (٦) الا انفسهم وما يشعرون» (٧) ، وأما الظلم فقال الله تعالى « وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» (٨) .

وقال عليه السلام : خمسة يفسدون القلب . قيل وما هن يارسول الله ؟ قال: ترادف الذنب على الذنب ، ومجاورة الأحمق، وكثرة مناقشة النساء ، وطول ملازمة المنزل على سبيل الانفراد والوحدة ، والجلوس مع الموتى . قيل يا رسول الله وما

---

(١) سورة الانعام : ٥٩ .
(٢) في الاصل « ومن نكث » .
(٣) سورة الفتح : ١٠ .
(٤) سورة فاطر : ٤٣ .
(٥) سورة يونس : ٢٣ .
(٦) في الاصل « وما يخادعون » .
(٧) سورة البقرة : ٩ .
(٨) سورة البقرة : ٥٨ .

الموتى ؟ قال : كل عبد مترف فهوميت ، وكل من لا يعمل لاخرته فهو ميت .

وقال لا تجلسوا الا عند من يدعوكم من خمس الى خمس: من الشك الى اليقين ومن الكبر الى التواضع ، ومن العداوة الى النصيحة ، ومن الرياء الى الاخلاص، ومن الرغبة الى الزهد .

وقال عليه السلام خمس خصال لا يجتمعن الا في قلب مؤمن حقاً حتى توجب له الجنة : النور فى القلب، والفقه في الاسلام، والورع في الدين، والمودة في الناس، وحسن السمت في الوجه .

وقال عليه السلام لا يزول ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم ابلاه ، وعن ماله فيم انفقه ومن أين اكتسبه ، وما عمل فيما علم .

وقال عليه السلام خمسة من خمسة محال: الحزم (١) من الفاسق محال، والكبر من الفقير محال ، والنصيحة من العدو محال، والمحبة من الحسود محال ، والوفاء من النساء محال .

وقال النبي صلى الله عليه وآله: خمسة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، وهم: النائمون عن العتمات ، والغافلون عن الغدوات، واللاعبون بالشامات ، والشاربون القهوات (٢) ، والمتفكهون بشتم الاباء والامهات .

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: خذوا عني خمساً فوالله لو رحلتم بالمطي اليها فأبطأتموها قبل أن تجدوا مثلها: لا يرجو احد (٣) الا ربه ، ولا يخاف الا ذنبه ، ولا يستحي العالم اذا سئل عما لا يعلم أن يقول « الله أعلم » ، ولا يستحي الجاهل أن يتعلم ، والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد .

---

(١) فى الاصل «الحرم» .

(٢) العتمات جمع العتمة: الثلث الاول من الليل، وكأنه أراد صلاة العشاء أو صلاة الليل، والغدوات جمع الغداة: ما بين الفجر وطلوع الشمس ، وكأنه أراد صلاة الصبح . والشامات جمع الشامة ، وهى السيف . والقهوات جمع القهوة ، وهى الخمر .

(٣) فى الاصل «أحداً» .

وقال عليه السلام من كرم المرء خمس خصال: ملكه لسانه ، واقباله على شانه، وبكاؤه على ما مضى من زمانه ، وحفظه لقديم اخوانه ، وحنته الى أوطانه .

وقال عليه السلام معاشر التجار تجنبوا خمسة اشياء: مدح البائع،وذم المشتري واليمين على البيع ، وكتمان العيب ، والربا يصح لكم الحلال وتخلصوا بذلك من الحرام .

وجاء عن أبي جعفر عليه السلام خمس خصال قال:من كذب ذهب جماله،ومن ساءخلقه عذب نفسه وكثرت همومه،ومن تظاهرت عليه النعمة فليكثر من الشكر، ومن كثرت همومه فليكثر من الاستغفار ، ومن ألح عليه الفقر فليقل «لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم» .

وقال ابو عبدالله عليه السلام خمس خصال من لم تكن فيه فلا ترجوه: من لا يعرف الكرم في طبعه ، والديانة في خلقه ، والصدق في لسانه ، والنبل في نفسه ، ومخافة من ربه .

وقال عليه السلام خيار العباد من تجتمع فيه خمس خصال : الذين اذا أحسنوا استبشروا ، واذا اساؤا استغفروا ، واذا اعطوا شكروا ، واذا ابتلوا صبروا ، واذا غضبوا غفروا .

وعن عبد الله بن عباس انه قال خمسة تورث خمسة:ما فشت (١) الفاحشة في قوم قط الا أخذهم الله بالموت ، وما طفف قوم بالميزان الا اخذهم الله بالسنين ، وما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدواً ، وما جار قوم في الحكم الا كان القتل بينهم ، وما منع قوم الزكاة الا منعتهم الارض بركاتها .

وقال بعض الحكماء الناس خمسة اصناف: صنف طلبوا الدنيا فهم للدنيا ملومين (٢) غير مأجورين ، وصنف طلبوا الاخرة فهم مأجورين (٢) غير ملومين،وصنف تركوها لخفة الحساب فهم اكياس، وصنف تركوها اعظاماً لله تعالى حين ذمها لهم ومخافة شغلهم بها عن الله تعالى فهؤلاء ملوك الدنيا والآخرة ،وصنف تركوها لطلب الراحة

---

(١) في الاصل «مانشت» .

(٢) كذا في الاصل .

والعز فهم غير ملومين .

وقال حكيم آخر يجب على العاقل في دنياه خمسة اشياء : أن يهجر الحرص والأمل ، ويواصل العلم والعمل ، وان يتحرز من ارتكاب الزلل ، وان يلاحظ قدوم الاجل ، وان يكون واقفاً بين منزلة الرجاء والأمل (١) .

وقال بعض الحكماء رأيت امور الناس على خمسة اوجه: الأول القضاء والقدر، والثاني الاجتهاد والحرص ، والثالث الخلقة، والرابع الجوهر ، والخامس الوراثة . فالذي بالقضاء والقدر على خمسة اقسام الاهل والولد والمال والسلطان والعمر ، والذي بالاجتهاد على خمسة اقسام الصنعة والعلم والعمل والجنة والنار ،والذي بالخلقة على خمسة اقسام الأكل والشرب والنوم واليقظه والنكاح ، والذي بالجوهر على خمسة اقسام الخير والتواصل والكرم والصدق وأداء الامانة، والذي بالوراثة على خمسة اقسام الجسم والهيئة والجمال والشرف والذهن . ولا يكون الرجل عالماً حتى يتم له خمسة اشياء: غريزة محتملة للتعليم، وعناية تامة، وكفاية قائمة ، واستنباط لطيف، ومعلم ناصح.

وقيل : خمسة لا تشبع من خمسة : عين من نظر ، وأذن من خبر ، وأنثى من ذكر ، وأرض من مطر ، وعالم من أثر .

وقيل : انس المرء في خمسة اشياء: الزوجة الموافقة، والولد البار ، والصديق المصافي (٢) .

وقيل : انس العالم في كتاب يقرؤه ، وأنس العابد في انفراده بعبادته . وخمس اذا أفرط فيهن المرء هلك: النساء، وشرب الخمر ، ولعب الشطرنج والنرد ونحوها، والصيد، ومخالطة الجهال .

وقال ابن المقفع (٣) خمسة مسطون (٤) في خمسة مستذمون عليها: الواهن المفرط اذا فاته العمل ، والمنقطع عن اخوانه اذا نابته النوائب ، والمتمكن من

---

(١) فى الاصل «والاجل» .

(٢) كذا فى الاصل ، وهى ثلاثة أشياء .

(٣) فى الاصل « ابن المقنع » .

(٤) كذا فى الاصل .

عدوه ثم يفوته بسوء تدبيره اذا ذكر عجزه ، والمفارق الزوجة الصالحة اذا ابتلي بالطالحة ، والجريء على الذنب اذا حضره الموت .

وقال الاشتر لاصحابه في وصيته اوصيكم بخمسة اشياء فيها راحة انفسكم ودوام سروركم واجتماع صلاح اموركم : أولها الرضا بالقسم ، والثاني القمع لفاحش الحرص، والثالث (١) التنزه عن المنافسة والحسد ، والرابع التعزي (٢) من مفتون به اذا أدبر ومرجو اذا فات ، والخامس ترك السعي فيما لا يتفق نجحه (٣) وتمامه. فانه من لم يرض بما قسم الله طالت معتبته، ومن فحش حرصه ذلت نفسه ، ومن ابى الا المنافسة والحسد لمن فوقه لم يزل مغموماً طول عمره ، ومن طال أساه على ما ادبر عنه فانه لم يزل مغموماً بما لا منفعة له فيه وقد حمل نفسه عناءاً طويلا من النهى احزاناً ليس للراحة منها غاية،ومن سعى فيما لاتمام له كانت عاقبته الحسرة والندامة.

وأوصى حكيم ولده فقال يابني توق خمس خصال تأمن الندم: العجلة قبل الاقتدار والتثبط مع سقوط الأعذار، واذاعة السر قبل التمام،والأستعانة بالحسدة وأهل الفساد، والعمل بالهوى وميل الطباع .

واحذر خمساً فان سلامة اصحابها من العجب:صحبة السلطان،وركوب البحار، وايتمان النساء على الأسرار ومصادقة الأسقاط،والتجربة في النفس بما يخاف الضرر.

واعلم يا بني انه من تزود في هذه الدنيا بخمسة اشياء بلغته البغية وآنسته عند الوحشة :كف الأذى،وحسن الخلق، ومجانبة الذنب، وجميل العمل، وحسن الأدب.

واحذر يا بني المقام في بلد ليس فيه خمسة: سلطان قاهر،وقاض عادل،وسوق قائم ، ونهر جار ، وطبيب عالم .

واعلم ان المحرقات خمسة: وهي النار تطفأ بالماء، والسم يطفأ بالدواء،والحزن يطفأ بالصبر ، والعشق يطفأ بالفرقة ، ونار العداوة وهي التي لا تخبو أبداً .

(١) فى الاصل « والثالثة » .
(٢) الكلمة ليست واضحة فى الاصل .
(٣) الجملة مشوشة فى الاصل .

باب

ذكر ما جاء في ستة

قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله اضمنوا لي ستة من انفسكم اضمن لكم الجنة: اصدقوا اذا حدثتم ، وأوفوا اذا وعدتم ، وأدوا اذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا ابصاركم ، وكفوا ايديكم .

وقال صلى الله عليه وآله اوصيكم بست (١) خصال : اصدقوا فان الصادق على شفا منجاة، والا قولوا خيراً تعرفوا به، واعملوا الخير تكونوا من اهله، وأدوا الأمانة الى من ائتمنكم ، وصلوا من قطعكم ، وعودوا بالفضل على من جهل عليكم .

وقال (ع) ست خصال (٢) يعرف في الجاهل: الغضب من غير شر، والكلام من غير نفع ، والعطية في غير موضعها، وافشاء السر، والثقة بكل احد لا يعرف صديقه من عدوه (٣) .

وقال (ع) ما عصي الله عزوجل الا بستة اشياء: حب الدنيا ، وحب الرياسة ، وحب الطعام ، وحب المال ، وحب النساء، وحب النوم .

وقال عليه السلام الا اني اخاف عليكم ستة اشياء: امارة السفهاء ، والرشوة في الحكم ، وسفك الدماء ، [. . .] (٤) يتخذون القرآن مزامير في اصواتهم ، وكثرة الفتوى بغير علم .

وقال (ع) ستة لا تفارقهم الكآبة: الحقود، والحسود ، وحديث عهد بغنى، وغني يخشى من الفقر ، وطالب زينة يقصر عنها قدره ، وجليس لاهل الأدب وليس منهم .

وقال عوف بن مالك جئت الى رسول الله (ص) في غزاة تبوك وهو في فيئة،

---

(١) فى الاصل « بستة » .

(٢) فى الاصل « ستة » .

(٣) كذا فى الاصل وهى خمس .

(٤) بياض فى الاصل .

فسمع وكز رجل ، فقال:من هذا ؟ فقلت:عوف بن مالك . فقال : ادخل يا عوف . فدخلت فاذا به يتوضأ وضوءاً بالغاً . فقال لي:يا عوف اعدد ستة بين يدي ما توعدون أولهن موت نبيكم . قال عوف:فوخمت من ذلك وخمة (١) شديدة. فقال : قل واحدة فقلت: واحدة . فقال: وفتح بيت المقدس . قلت اثنتين . قال:وفتنة تكون فيكم تعم بيوتات العرب . قلت:ثلاث قال:وموت يقع فيكم كعقاص الغنم (٢) والخامسة يفشو المال فيكم حتى ان احدكم ليعطى المائة دينار فيضل لها ساخطاً ، والسادسة هدنة تكون بينكم وبين بني الاصفر (٣) فيجتمعون على ثمانين راية ، تحت كل راية اثنا عشر ألفاً.

وقال سلمان الفارسي رحمة الله عليه : أوصاني رسول الله (ص) بست (٤) خصال لا أدعهن على كل حال: اوصاني ان لا انظر الى من هو فوقي وان انظر الى من هو دوني، وان احب الفقراء وأدنو منهم، وان اقول الحق وان كان مراً ، وان اصل رحمي وان كانت مدبرة ، ولا اسأل الناس شيئاً ، وان اكثر من قول «لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم» .

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: ستة أشياء لم يتبينها أحد قبلي ولم يبينها أحد بعدي (٥) : الاسلام هو التسليم ، والتسليم هو اليقين ، واليقين هو التصديق ، والتصديق هو الاقرار ، والاقرار هو العمل ، والعمل هو النية .

وروي عنه عليه السلام أنه قال : لا خير في صحبة من تجتمع فيه ست (٦) خصال : ان حدثك كذب ، وان حدثته كذبك ، وان ائتمنته خانك ، وان ائتمنك اتهمك ، وان أنعمت عليه كفرك ، وان أنعم عليك منّ عليك .

---

(١) وخم : اذا استثقل الشيء فلم يستعذبه ، ويمكن أن يكون «فوجمت من ذلك وجمة»، والوجوم اشتداد الحزن حتى يمسك عن الكلام .

(٢) العقاص : الدوارة التى فى بطن الشاة .

(٣) قال فى سفينة البحار ٢ / ٣٥ : بنو الاصفر الروم ، لان أباهم الاول كان أصفر اللون.

(٤) فى الاصل « بستة » .

(٥) فى الكافى ٢ / ٣٨ روى هذا الحديث هكذا : لانسبن الاسلام نسبة لا ينسبه أحد قبلى ولا ينسبه أحد بعدى الا بمثل ذلك ، ان الاسلام . . .

(٦) فى الاصل « ستة » .

وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال : المروة في ست (١) خصال ثلاثة في السفر وثلاثة في الحضر ، فأما اللواتي في الحضر فتلاوة كتاب الله عزوجل وعمارة مساجده واتخاذ الأخوان، وأما اللواتي في السفرفبذل الزاد واكرامالرفيق وحسن الخلق .

وقال عليه السلام يهلك الله ستة بستة : العرب بالعصبية ، والدهاقين بالكبر ، والتجار بالخيانة ، والفقهاء بالحسد ، وأهل الرساتيق بالجهل ، و أهل الرياسة والامارة بالجور .

وعن العالم عليه السلام أنه قال:خذ من ستة قبل ستة : خذ من شبابك قبل هرمك ، ومن صحتك قبل سقمك ، ومن قوتك قبل ضعفك ، ومن غناك قبل فقرك، ومن فراغك قبل شغلك ، ومن حياتك قبل موتك .

ومما روي عن الصادقين عليهمالسلام: ان من كانت له الى اللهحاجة فليطلبها في ستة أوقات : عند الأذان ، وعند زوال الشمس ، وبعد المغرب ، وفي الوتر ، وبعد صلاة الفجر، وعند نزول الغيث .

وحفظ عنهم عليهمالسلام: ان ستة لاتحجب لهم عن الله دعوة:الأمامالمقسط، والوالد البار لولده، والولد الصالح لوالده، والمؤمن لاخيه بظهرالغيب،والمظلوم يقول الله تعالى لانتقمن لك ولو بعد حين ، والفقير المنعم عليه اذا كان مؤمناً .

و قال لقمان لابنه في وصيته: يابني أحثك على ست خصال ليس منها خصلة الا تقربك الى رضوان الله تعالى وتباعدك من سخطه:الأولة (٢) ان تعبداللهلاتشرك به شيئاً ، الثانية الرضا بقدر الله تعالى فيما أحببت أو كرهت ، والثالثة تحب في الله وتبغض في الله ، والرابعة تحب للناس ما تحب لنفسك ، والخامسة كظم الغيظ والاحسان الى من أساء اليك ، والسادسة ترك الهوى ومخالفة الردى .

وستة تحتاج الى ستة أشياء : حسن الظن يحتاج الى القبول ، والحسب يحتاج الى الادب ، والسرور يحتاج الى الامن ، والقرابة تحتاج الى الصداقة ، والشرف يحتاج الى التواضع ، والنجدة تحتاج الى الجد .

---

(١) في الاصل « في ستة » .

(٢) الاولى ـ خ ل .

وقال بعض العلماء يصبح المؤمن وله ستة أعداء : نفسه ودنياه والشيطان والجاهل والمنافق والكافر ، فأما نفسه فتنازعه الشهوات ، وأما الشيطان فيريد منه الزلة ، وأما الدنيا فتفسده ، وأما الجاهل فيحسده ، وأما المنافق فيؤذيه ، و أما الكافر فيريد قتله .

وقال الهند: ستة أشياء لاثبات لها: ظل الغمام والأشجار،وخلة الأشرار،والمال الحرام ، وعشق النساء ، والسلطان الجائر، والثناء الكاذب .

ومن أحسن البيان قول أحد العلماء : ان عمارة الدنيا منوطة بستة أحوال : أولها التوفر على المناكح وقوة الداعي اليها التي لو انقطعت لانقطعت أسباب التناسل معها ، وثانيها الحنو على الاولاد الذي لوزال من البشر لزال سبب التربية وكان في ذلك الهلاك ، وثالثها انبساط الأمل الذي به يتعاظم الحرص والمعاش والمهن والعمارة والعمل، ورابعها عدم العلم بمبلغ الأجل الذي به يصح انبساط الأمل ولو علم العبد مبلغ أجله لضاق عليه فسيح أمله وتقاصرت حركاته عن عمارة الدنيا بكده وعمله ، وخامسها اختلاف أحوال البشر في الغنى والفقر وحاجة بعضهم الى بعض فانهم لو تساووا في حالة واحدة هلكوا في الجملة فهذا من نظام الحكمة ، وسادسها وجود السلطان الذي لولاهيبته وكفه لأيدي العتاة بسطوته لأهلك بعض الناس بعضاً وكان ذلك داع الى الخراب والفناء .

ووصى حكيم ولده فقال : يابني اعلم أن أصعب ما على الانسان ستة أشياء : أن يعرف نفسه ، ويعلم عيبه ، ويكتم سره ، ويهجر هواه، ويخالف شهوته،ويمسك عن القول فيما لايعنيه .

وست (١) خصال لايطيقها الامن كانت نفسه شريفة: الثبات عند حدوث النعمة الكبيرة ، والصبر عند نزول الرزية العظيمة ، وجذب النفس الى العقل عند دواعي الشهوة ، ومداومة كتمان السر ، والصبر على الجوع ، واحتمال الجار .

واعلم أن النبل في ستة اشياء : مؤاخاة الاكفاء ، ومداراة الاعداء ، والحذر من السقطة ، واليقظة من الورطة ، وتجرع الغصة ، ومعاجلة الفرصة .

واعلم أن السخي من كانت فيه ست (٢) خصال: ان يكون مسروراً ببذله، متبرعاً

---

(١) فى الاصل « وستة » .

(٢) فى الاصل « ستة » .

بعطائه،لا يتبعهمناً ولا أذى،ولا يطلبعليه عوضاًمن دنيا،يرى أنه لما فعله مؤد لهفرضاً، ويعتقد أن الذي يقبل عطاءه قاض له حقاً .

فأما حق النعمة عليك فتشتمل على ست(١) خصال : المعرفة بها ، وذكر ما يناسي منها عندك ، ومعرفة موليها ، وان ينسبها اليه، وأن يحسن لباسها ، وان يقابل مسديها بالشكر عليها .

وأوصيك يا ولـدي بست خصال فيها نمام العـلم ونظام الادب : الاولى ألا تنازع من فوقك،والثانية (٢) أنلا تتعاطى مالا تنال،الثالثة أن لا تقول مالاتعلم،الرابعة أن لا يخالف لسانك ما في قلبك ، الخامسة أن لا يخالف قولك فعلك ، السادسة أن لا تدع الامر اذا أقبل و أن لا تطلبه اذا أدبر .

واحذر العجلة فانالعرب كانت تسميها أم الندامات،وذلك ان فيها ست خصال: يقول صاحبها قبل أن يعلم ، ويجيب قبل أن يفهم ، ويعزم قبل أن يفكر ، ويقطع قبل أن يقدر ، ويحمد قبل أن يجرب ، ويذم قبل أن يحمد . وهذه الخلال لا تكون في أحد الا صحب الندامة وعدم السلامة .

واعلم أن ستة أشياء ينفين الحزن:استماع العلم ، ومحادثة الأصدقاء ، والمشي في الخضرة ، والجلوس على الماء الجاري،والتأسي بذوي المصائب ، وممر الايام.

وستة أشياءمن مات فيها فهو قاتل نفسه:من أكل طعاماًقدأكله مراراً فلم يوافقه، ومن أكل طعاماً فوق ما تطيقه معدته،ومن أكل قبل أن يستبرىء ما أكل ، ومن رأى بعض اخلاط جسده قد هجم بهيجان ووجد لذلك دلائل فلم يستـدركها بالأدوية المسكنة،وأن أطال حبس الحاجة اذا هاجت به ، ومن أقام بالمكان الوحش وحده.

واعلم أنمن رضي بستة اشياء صفت له دنياه وصح له دينه : من رضي ببلده ، ومنزله ، وزوجته ،،ومعيشته ، وما قسم الله له من رزقه ، وما يقضيه الله عليه انآلمه وخالف أمله .

---

(١) في الاصـل « ستـة » .

(٢) فـي الاصـل « والثـانى » .

باب
ذكر ما جاء في سبعة

قال سيدنا رسول‌الله صلى الله عليه وآله : سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل الا ظله:امام عادل،وشاب (١) نشأ في العبادة عبادةالله عزوجل،ورجل كان قلبه متعلقاً (٢) بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ، ورجل ذكر الله عز وجل وهو خال (٣) ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة أخفاها أنفق بيمينه عن شماله .

وعن الامام الحسين بن علي عليهما السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أوصاني ربي بسبعة أشياء : أوصاني بالاخلاص له في السرو العلانية ، وأن أعف عمن ظلمني ،وأعطي من حرمني (٤) ، وأوصل من قطعني، وأن يكون صمتي تفكراً ونظري عبراً (٥) .

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من ولي سبعة من المسلمين من بعدي فلم يعدل فيهم ولم يسرفيهم بسنتي لقي الله وهو عليه غضبان .

وقال عليه السلام:اني لعنت السبعةالذين (٦) لعنهم الله وكل نبي مجاب‌الدعوة وهم : الزائد في كتاب الله،والمكذب بقدر الله تعالى،والمخالف لسنتي،والمستحل ماحرم‌الله،والمحرم ماأحل‌الله تعالى،والمتسلط بالجبرية،والمستأثر على المسلمين بفيئهم.

وقال البراء بن عازب : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بسبع ونهانا عن

---

(١) في الاصل « وشب » .
(٢) في الاصل « متعلق » .
(٣) في الاصل « خالياً » . وفي الخصال ص ٣٤٣ « ورجل ذكر الله عز وجل خالياً » .
(٤) في الاصل « من أحرمني » .
(٥) كذا في الاصل وهي خمسة لا سبعة .
(٦) في الاصل «الذي» .

سبع : أمرنا باعادة المريض واتباع الجنائزو افشاء السلام واجابة الداعي وتسميت العاطس ونصرة المظلوم وبر القسم ، ونهانا عن آنية الفضة والتختم بالذهب وعن المنبثرة (١) وعن لبس الحرير والديباج والوشي ـ وهو المضلع ـ والاستبرق .

وقال ابن عباس رضي الله عنــه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : سبعة أشياء يكتب للعبد ثوابها بعد وفاته : رجل غرس نخلا ، وحفر بئراً ، وأجرى نهراً ، وبنى مسجداً ، وكتب مصحفاً ، وورث علماً ، وخلف ولداً صالحاً يستغفر له بعد وفاته .

وقال صلى الله عليه وآله : سبعة أشياء آفة لسبعة أشياء : آفة السماحة المنّ ، وآفة الجمال الخيلاء ، وآفة الحديث الكذب ، وآفة العلم النسيان ، وآفة العبادة الفترة، وآفة الظرف الصلف ، وآفة الحسب الفخر .

وقال الصادق عليه‌السلام : كمال الادب والمروءة سبع (٢) خصال : العقل ، والحلم ، والصبر ، والرفق ، والصمت ، وحسن الخلق ، والمداراة .

وقال الصادق عليه السلام : الكبائر سبع (٣) فينا أنزلت ومنا استحلت : فأولها الشرك بالله ، وثانيها قتل النفس التي حرم الله ،وثالثها أكل‌مال اليتيم،ورابعها عقوق الوالدين ، وخامسها قذف المحصنة، وسادسها الفرار من الزحف ، وسابعها انكار حقنا أهل البيت .

وقال الرضا عليه السلام سبعة أشياء من الاستهزاء : من استغفر بلسانه ولم يندم بقلبه فقداستهزأ بنفسه، ومن سأل الله‌التوفيق‌ولم يجتهد فقداستهزأ بنفسه،ومن‌سأل الله الجنة ولم يصبر على الشدائد فقد استهزأ بنفسه ، ومن تعوذ بالله من النار ولم يترك الشهوات‌فقداستهزأ بنفسه،ومن ذكرالموت ولم يستعد له فقداستهزأ بنفسه،ومن ذكر الله تعالى خالياً ولم يشتق‌الى لقائه فقد استهزأ بنفسه (٤) .

---

(١) كذا فى الاصل،والظاهر أنها «الميثرة» وهى الغطاء الوثير الذى يوضع على الدابة وهى‌كنايةعن‌الترف فى الدواب‌وكيفية ركوبها ـ أنظرالخصال ص٣٤٠ومجمع‌البحرين٣/٥٠٩

(٢) فى الاصل « سبعة » .

(٣) فى الاصل « سبعة » .

(٤) كذا فى الاصل وهى ستة أشياء .

وروي عن العالم عليه السلام أنه: قال سبعة من كن فيه فقد كمل حقيقة الايمان وفتحت له أبواب الجنان: من أسبغ وضوءه ، وأحسن صلاته ، وأدى زكاة ماله ، وكف غضبه ، وسجن لسانه ، واستغفر الله تعالى ، وأدى النصيحة لأهل بيت نبيه.

وقال صلى الله عليه وآله: سبعة اشياء تدل على عقول اصحابها: المال يكشف عن مقدار عقل صاحبه ، والحاجة تدل على عقل صاحبها ، والمصيبة تدل على عقل صاحبها اذا نزلت به (١) ، والغضب يدل على عقل صاحبه ، والكتاب يدل على عقل صاحبه ، والرسول يدل على عقل من أرسله ، والهدية تدل على مقدار عقل مهديها .

وقيل : سبعة اشياء لا قوام لها الا بسبعة : المرأة بزوجها ، والولد بوالده ، والمتأدب بمؤدبه ، والرعية بالملك ، والملك بالعقل ، والعقل بالتثبت ، وطاعة الله بمخالفة الهوى .

وينبغي أن يكون للملك سبعة أشياء : وزير يثق به ويفضي اليه سره ، وحصن يلجأ اليه عند حاجته ، وفرس اذا فزع اليه نجاه ، وسيف اذا بارزته الأعداء لم يخيبه ، وذخيرة خفيفة المحمل اذا نابته نائبة وجدها ، وحضينة (٢) اذا دخل اليها أذهبت همه ، وطباخ اذا لم يشته الطعام صنع له ما يشتهيه .

وتبع رجل حكيماً سبعمائة فرسخ في سبع كلمات ، فقال : أتيتك تعلمني مما علمك الله . فقال له : اسأل . فقال : أخبرني عن السماء وما أثقل منها ، وعن الارض وما أوسع منها ، وعن البحر وما أغنى منه ، وعن الحجر وما أقسى منه ، وعن النار وما أحر منها ، وعن الثلج وما ابرد منه ، وعن اليتيم وما اضعف منه . فقال: البهتان على البريء أثقل من السماوات السبع (٣) ، والحق أوسع من الارض ، وقلب القنوع أغنى من البحر ، وقلب الكافر أقسى من الحجر ، وصدر الحريص أحر من النار ، وصدر الواثق بالله أبرد من الثلج ، والنمام أضعف من اليتيم (٤) .

وأوصى حكيم ولده فقال: اعلم يا بني أنه لا خير في سبعة الا بسبعة : لا خير في قول الا بفعل ، ولا في منظر (٥) الا بمخبره ، ولا في ملك الا بجود ، ولا في صداقة

---

(١) في الاصل « بهـا » .

(٢) الحضينة الزوجة ، تسمى بذلك لانهـا تحتضن .

(٣) في الاصل «السماء السبع» .

(٤) روى هذا الحديث في الخصال ص ٣٤٨ مع شيء من الاختلاف اليسير .

(٥) في الاصل «في مناظره» .

الا بوفاء،ولا في فقه الا بورع ، ولا في عمل الا بنية،ولا في حياة الا بصحة وأمن.

واعلم أن سبعة أشياء تؤدي الىفساد العقل:الكفاية التامة،والتعظيم،والشرف، واهمال الفكر، والانفة من التعليم، وشرب الخمر،وملازمة النساء،ومخالطة الجهال.

وسبعة أشياء ياولدي لا تحسن بك أن تهملهن: زوجتك ما وافقتك، ومعيشتك ما كفتك ، ودارك ما وسعتك ، وثيابك ما سترتك ، ودابتك ما حملتك ، وصاحبك ما أنصفك ، وجليسك ما فهم عنك .

واعلم أن لولدك عليك سبعة حقوق :تتخير أمه، واسمه ، وظئره (١) ، وتعلمه كتاب الله عزوجل ، والخط ، والحساب ، والسباحة .

وليس صديقك صديقك الا في سبعة أشياء : في أهلك ، وولدك ، وعلتك ، ونكبتك ، وغيبتك ، وقلتك ، وبعد وفاتك .

---

(١) الظئر : المرضعة ، سميت بذلك لانها تعطف على الرضيع .

باب

ذكر ما جاء في ثمانية

قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله : ثمان خصال من عمل بها من امتي حشره الله تعالى جملة (١) النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . قيل : ومـا هي يارسول الله؟قال : من زوّد حاجاً ، او اغاث ملهوفاً ، او اعتق مملوكا ، وربى يتيماً ، وأهدى ضالا ، وأطعم جائعاً ، وأروى عطشاناً ، وصام يوماً شديد الحر .

وقال صلى الله عليه وآله: ألا اخبركم بأشبه [الناس] (٢) بي خلقاً ؟ قالوا: بلى يا رسول الله . قال:من اجتمع فيه ثمان خصال : من كان احسنكم خلقاً ، وأعظمكم حلماً ، وأبركم بقرابته ، وأشدكم حباً لاخوانه في دينه ، وأصبركم على الحق ، وأكظمكم الغيظ ، وأحسنكم عفواً ، وأشدكم من نفسه انصافاً .

ولعن النبـي صلى الله عليه وآله من النسـاء ثمانيـة : النامصة والمتنمصة والواشرة والمؤتشرة(٣) والواشمة والمتوشمة والواصلة والمستوصلة. فأما النامصة فهي التي(٤) تنتف الشعر من الوجه ، والمنماص هو المنقاش ، والمتنمصة هي التي يفعل ذلك بها ، والواشرة هي التي تحدد أسنانها حتى يكون لها أشر وهي رقة في اطراف الاسنان تفعله المرأة الكبيرة ليرى أنها شابة ، والمؤتشرة التي يفعل ذلك بها ، والواصلة التي تصل الشعر بالشعر ، والمستوصلة التي يفعل ذلك بها ، والواشمة التي تغرز خدها بالأبر بظاهر الكف والمعصم حتـى يؤثر فيه ويحشوه بالكحل ليتزين ، والمتوشمة التي يفعل ذلك بها .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : اني لا أسلم على ثمانية ولا اصافحهـم ولا اعود مرضاهم ولا أشهد جنـائزهم وهم : اليهودي ، والنصراني ، والمجوسي ،

---

(١) كذا في الاصل ، ولعله « مع جملة » .

(٢) الزيادة منا لاكمال الجملة .

(٣) في الاصل « والمتوشرة » .

(٤) في الاصل « التي » .

والمتفكه بشتم الامهات ، والقاذف المحصنات ، ومن هو على مائدة يشرب عليها خمراً ، وقاطع الرحم ، والمتبرىء من ولاء اهل البيت عليهم السلام .

وقال عليه السلام : عباد الله عليكم بثمان خصال : ارحموا الأرملة، واليتيم ، وأعينوا الضعيف ، والغارم ، والمكاتب ، والمسكين ، وانصروا المظلوم، وأعطوا المفروض .

وقال عليه السلام : ثمانية ان أهينوا لا يلومن الا انفسهم : الجالس على مائدة لم يدع اليها ، والمتأمر على رب البيت ، وطالب الخير من اعدائه ، ومبتغي الفضل من اللئام ، والداخل بين اثنين فى حديثهما ولم يأمراه به ، والمستخف بالسلطان ، والجالس مجلساً ليس له بأهل ، والمقبل بحديثه على من لا يستمع منه .

وعن الأمام الحسن بن علي عليهما السلام انه قال : [...] (١) ثمانية أشياء : الحلم زينة ، والوفاء مروة ، والصلة نعمة ، والاستكبار صلف، والعجلة سفه، والسفه ضعف ، والغلق فرط ، ومجالسة أهل الفسق ريبة .

وعن الصادق عليه السلام أنه قال: ينبغي أن يكون في المؤمن ثمان خصال: وقار عند الهزاهز ، وصبر عند البلوى ، وشكر عند الرخاء، وقنوع بما رزق الله عزوجل، وأن لا يظلم الاعداء، ولا يتحامل للاصدقاء (٢) ، وأن يكون بدنه منه في تعب والناس منه في راحة .

وقال عليه السلام : اذا أحب الله تعالى عبداً ألهمه العمل بثمان خصال : غض البصر عن المحارم ، والخوف من الله جل ذكره ، والحياء، والحلف (٣) ، الصبر، والامانة ، والصدق، والسخاء .

وقال عليه السلام من رزقه الله ثمان خصال فقد أسبغ عليه النعمة و أكمل له الكرامة: مسكناً واسعاً ، ومكسباً فاضلا، وخادماً موافقاً ، وبلداً آمناً ، وجاراً مسالماً ، وأخاً مؤمناً ، وزوجة صالحة ، وتمم ذلك بالسعادة والعافية .

وقال عليه السلام لاحد أصحابه وقد ذكر المسير: ان المأمور به من ذلك ثمانية

---

(١) بياض فى الاصل .

(٢) فى الاصل « الاصدقاء » ، والتصحيح من الخصال ص ٤٠٦ .

(٣) كذا فى الاصل .

أشياء : سر سنتين بر والديك ، سر سنة صل رحمك ، سرميلا عد مريضاً، سرميلين شيع جنازة،سر ثلاثة أميال أجب دعوة،سر أربعة أميال زر أخاك في الله،سر خمسة أميال أنصر مظلوماً ، سر ستة أميال أغث ملهوفاً .

وروي عن العالم عليه السلام انه قال : ثمانية أشياء من كن فيه أدخله الله الجنة ونشر عليه الرحمة : من آوى اليتيم ، وبر والديه ،وأحسن تربية ولده ، ورفق بمملوكه ، ورحم الضعيف ، وأنصف من نفسه ، وأحسن مع كل أحد بشره،ووسع في نفقته .

وروي عن أحد الائمة عليهم السلام انهم قالوا : ثمانية لا تقبل لهم صلاة ولا تجاب لهم دعوة:العبد اذا أبق حتى يعود الىمولاه،والمرأة الناشزة عن زوجها وهو ساخط عليها ، ومانع الزكاة، والجارية [المدركة](١) تصلي بغير خمار،وامام قوم يصلي بهم وهم لهكارهون ، وعاق والديه ، والسكران ، وجاحد حق أهل البيت .

وروي ان من اخلاق الانبياء والائمة عليهمالسلام ثمانية أشياء :البر ، والسخاء والصبر عند الشدة ، والقيام بحق المؤمن ، والسواك، واستعمال الحناء ، والتعطر، والنكاح .

وقال لؤي بن غالب لامرأته : أيّ بنيك احب اليك ؟ قالت : أحبهم الي الذي(٢) اجتمع فيه ثمان خصال : الذي لا يخامر عقله جهله ، ولا يخالط حلمه سفهه ، ولا يلوي لسانه غي ، ولا يفسد يقينه ظن ، ولا يغير بره عقوق ، ولايقبض يده بخل ، ولا يكدر صنعه منّ ، ولا يرد اقدامه جبن . قال : ومن هو ؟ قالت : ولدك كعب .

وقيل:من اجتمعت فيه ثمان خصال فقد أنعم الله عليه : أولها الرفق ، وثانيها أن يعرف نفسه فيحفظها ، وثالثها اذا صحب الملوك جرى على ما يرضيهم ، ورابعها اذا كان على ابواب الملوك أن يكون اديباً ملق اللسان ، وخامسها ان يكون لسره وسر غيره حافظاً ، وسادسها ان يكون على لسانه قادراً ، وسابعها ان يعرف موضع سره من اصدقائه ومن يصلح منهم ان يطلعه عليه اذا احتاج الى ذلك ،

---

(١) الزيادة من الخصال ص ٤٠٧ .

(٢) في الاصل «التي» .

وثامنها ان لا يتكلم في محفل بما لا يسأل عنه بما لا يستثنيه (١) مما لا يأمن الندم على اظهاره .

وقال بعض الزهاد لأحد القضاة : قد كنت أحب لك الخلاص من التعرض للحكم بين الناس ، فاذا قد بليت به فيجب عليك ان تنفي عن نفسك ثمان خصال : يجب (٢) ان لا تكره اللوائم ، ولا تحب المحامد ، ولا تخاف العذل، ولا تأنف من المشاورة اذا كنت عالماً ، ولا تتوقف عن القضاء اذا كنت بالحق عارفاً، ولا تقضي وأنت غضبان ، ولا تتبع الهوى ، ولا تسمع شكوى أحد ليس معه خصمه .

وأوصى حكيم ولده فقال : تحصن يا بني من ثمان بثمان: بالعدل في المنطق من ملامة الجلساء، وبالروية في القول من الخطاء وبحسن اللفظ من البذاء، وبالانصاف من الاعتداء ، وبلين الكنف من الجفاء ، وبالتودد من ضغائن الأعداء ، والمقاربة من الاستطالة ، وبالتوسط في الامور بالطخ (٣) العيوب .

واعلم ان من كان منه ثمانية كان له من الله ثمانية : من اتقى الله تعالى وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن اقرضه وفاه ، ومن سأله اعطاه ، ومن عمل بما يرضيه رضاه ، ومن صبر على محارمه حباه ، ومن أنفق في سبيله جازاه (٤) .

وثمانية أشياء لا تنفع الا بثمانية : العقل الا بالورع ، ولا الحفظ الا بالعمل، ولا شدة البطش الا بقوة القلب ،ولا الجمال الا بالحلاوة ، ولا السرور الا بالامن، ولا الحسب الا بالادب ، ولا الحفظ الا بالكفاية ، ولا المروة الا بالتواضع .

وقيل : ان الأذلاء ثمانية : الكذاب، والغريب، والعليل ، والجرب، والمديون، والفقير بين الاغنياء ، والجاهل بين العلماء ، ومن ترادفت عليه المصائب .

---

(١) كذا فى الاصل .

(٢) فى الاصل «تحب» .

(٣) كذا فى الاصل .

(٤) كذا فى الاصل وهى سبعة أشياء .

باب

ذكر ما جاء في تسعة

روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:الاسلام تسعة أسهم وقد خاب من لا سهم له فيها : أولها شهادة ان لا اله الا الله وحده ، وثانيها الصلاة وهي الفطرة، وثالثها الزكاة وهي الفريضة ، ورابعها الصوم وهو جُنة من النار، وخامسها الحج، وسادسها الجهاد وهو عز الاسلام ، وسابعها الامر بالمعروف وهو الوفاء ، وثامنها النهي عن المنكر وهو العدل، وتاسعها [...] (١) وهو الشريعة والطاعة وهي العصمة (٢) .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:اذا حدث في الناس تسعة أشياء كانت معها تسعة أشياء:اذا كثر الربا كثر موت الفجاء ، واذا طففوا المكيال أخذهم الله تعالى بالسنين والنقص ، واذا منعوا الزكاة منعتهم الارض بركاتها، واذا ارتكبوا المحارم طرقتهم الافات ،واذا جاروا في الحكم شملهم الله تعالى بالظلم والعدوان، واذا نقضوا العهد سلط عليهم عدوهم ، واذا قطعوا الارحام جعلت الاموال بأيدي الاشرار ، واذا لم يأمروا بالمعروف اضطرب عليهم أمورهم ، واذا لم ينهوا عن المنكر ملكتهم أشرارهم فحينئذ يدعو خيارهم فلا يستجاب لهم .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله قال : الكبائر تسعة : أولها الشرك بالله وهو أعظمهم ، وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق،وأكل مال اليتيم،وأكل الربا، وقذف المحصنات،والفرار من الزحف ، وعقوق الوالدين،واستحلال البيت الحرام، وعمل السحر . فمن لقي الله تعالى وهو بريء منهن كان معي في جنة مصاريعها من الذهب .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : [في] (٣) السواك تسع خصال : هو مطهر الفم ، ومشدد اللثة ، ومذهب البلغم ، ومجلي البصر ، ومشهي الطعام ،

---

(١) بياض في الاصل .

(٢) ذكر في الخصال ص ٤٤٧ حديثاً عن الباقر عن الرسول صلى الله عليه وآله قريباً من هذا وفي أوله : « بنى الاسلام على عشرة أسهم . . »

(٣) الزيادة منا.

ومزيل الغمر (١) ، ومزيد في الحفظ ، ومرضاة الرب ، ومضاعف الحسنات .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : تسعة اشياء قبيحة وهي من تسعة انفس اقبح: ضيق الذرع من الملوك ، والبخل من الاغنياء ، والصبوة من الكهول ، والقطيعة من الرؤساء ، والفجور من العلماء، والكذب من القضاة ، والظلم من الولاة، والزمانة من الأطباء ، والبذاء من النساء .

وقال أبو عبد الله معمر بن المثنى (٢) [ارتجل أمير المؤمنين عليه السلام تسع كلمات ارتجالا أيتمن] (٣) جواهر الحكمة وقطعن الاطماع عن اللحاق بواحدة ، فمنهن ثلاث في المناجاة وثلاث في العلم وثلاث (٤) في الادب : فأما اللواتي في المناجاة قوله عليه السلام «كفاني عزاً أن تكون لي رباً، وكفاني فخراً أن اكون لك عبداً، فأنت كما احب (٥) فوفقني لما تحب»، وأما اللواتي في العلم فقوله عليه السلام «المرء مخبوء تحت لسانه، تكلموا تعرفوا، ما خاب من عرف قدره» ، وأما اللواتي في الأدب فقوله عليه السلام «أنعم على من شئت تكن أميره ، واستغن عن من شئت تكن نظيره، واحتج الى من شئت تكن أسيره» .

وروي عن الباقر عليه السلام قال: تسع (٦) خصال خص الله بها رسله فامتحنوا أنفسكم فان كانت فيكم فاحمدوا الله تعالى عليها والا فاسألوه فيها ، وهم : اليقين، والقناعة، والصبر ، والشكر ، والحلم ، وحسن الخلق ، والسخاء، والشجاعة، والتنزه.

وروي عن اهل البيت عليهم السلام أن للمؤمن على المؤمن تسعة حقوق : يديم نصحته ، ويلبي دعوته ، ويحسن معونته ، ويرد غيبته ، ويقيل عثرته ، ويقبل معذرته ، ويرعي ذمته ، ويعود مرضته ، ويشيع جنازته .

---

(١) الغمر بالتحريك : الدسم والزهومة والوسخ .
(٢) نقلها فى الخصال ص ٤٢٠ عن عامر الشعبى .
(٣) فى الاصل «ارتحل أمير المؤمنين بتسع كلمات ارتحلا بشمان» والتصحيح من الخصال.
(٤) فى الاصل « ثلاثة » فى المواضع الثلاث .
(٥) فى الاصل « كما تحب » والتصحيح من الخصال .
(٦) فى الاصل « تسعة » .

وروي: ايمان العبد أن يكون فيه تسع خلال : لا يدخله الرضا في الباطل ، ولا يخرجه الغضب عن الحق،ولا يحمله القدرة على تناول ما ليس له ، وأن يمسك الفضل من قوله ، ويخرج الفضل من ماله، ويحسن تقديره في معيشته ، ويكون ذا بقية جميلة ، وحسن ، وسخاء النفس .

وقال بعض الحكماء : لا تسعة لمن [لا] (١) تسعة له : لا فعل لمن لاعقل له، ولا شرف لمن لا علم له ، ولا ثواب لمن لا عمل له، ولا جزاء لمن لا دين له (٢) ، ولا دين لمن لا عفاف له ، ولا صديق لمن لا خلق له ، ولا رأي لمن لا تثبت له ، ولا رياسة لمن لا حلم له ، ولا خير فيمن لا كرم له .

وقال بعض الحكماء: تسع خصال تدعو الى المحبة : الجود على المحتاج، والمعونة للمستعين ، وحسن التفقد للجيران ، وطلاقة الوجه للاخوان،ورعاية الغائب فيمن يخلف ،وأداء الأمانة الى المؤتمن،واعطاء الحق في المعاملة ، وحسن الخلق عند المعاشرة ، والعفو عند القدرة .

وتسعة لا ينامون : المدنف (٣) ولا طبيب له ،والكثير المال يخاف على ماله، والهائم بدم يسفكه ، والمتمني الشر للناس ، والعامل في غشهم، والمحارب يخاف البيات ، والشاب ، والغارم لا مال عنده، والعاشق لا يصل الى (٤) بغيته ، والمتطلع للسوء من أهله ، والمقصود بالبهت .

وقيل لحكيم:ما النعمة ؟ فقال:هي تسعة أشياء : في الغنى فاني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش ، والكون في الوطن فاني رأيت الغريب لا ينتفع بعيش ، والعز فاني رأيت الذليل لا ينتفع بعيش ، والامن فاني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش،والشباب فاني رأيت الهرم لا ينتفع بعيش ، والصحيح فاني رأيت السقيم لا ينتفع بعيش ، وحسن الخلق فاني رأيت السيىء الخلق لاينتفع بعيش ، [و] وجود الزوجة الموافقة فاني رأيت من لم يتفق له ذلك لا ينتفع بعيش(٥) .

---

(١) الزيادة منا يقتضيها السياق .

(٢) فى الاصل « لا دينه لـه » .

(٣) المدنف : المريض .

(٤) *الزيادة منا يقتضيها السياق .*

(٥) كذا فى الاصل وهى *ثمانية أشياء .*

وأوصى حكيم ولده فقال: اعلم يا بني أن العجب لتسعة (١) أشياء: لمن عرف الله تعالى ولم يطعه، ولمن رجا ثوابه ولم يعمل، ولمن خاف عقابه ولم يحترز، ولمن عرف شرف العلم ورضي لنفسه بالجهل، ولمن صرف جميع همته الى عمارة الدنيا مع علمه بفراقه (٢) لها، ولمن عرف الاخرة وخرب مستقره منها مع علمه بانتقاله اليها، ولمن جرى في ميدان أمله وهو لا يعلم متى يعثر بأجله، ولمن غفل عن النظر في عواقبه وهو يعلم أنه لا يُغفل عنه، ولمن يهنيه في دار الدنيا عيشه وهو لا يدري الى ما يصير أمره.

يا بني عليك بتسع خلال تسد في الناس، وهو: العلم، والأدب، والفقه، والعفة، والامانة، والوقار، والحزم، والحياء، والحلم، والكرم (٣).

يا بني صن تسعة بتسعة: صن عقلك بالعلم، وجاهلك بالحلم، ودينك بمخالفة الهوى، ومروتك بالعفاف، وعرضك بالكرم، ومنزلتك بالتواضع، ومعيشتك بحسن التكسب، ونهضتك بترك العجب، ونعم الله عليك بالشكر.

واعلم يا بني أن الحكماء ما ذموا شيئاً ذمهم لتسع: الكذب، والغضب، والجزع، والحسد، والخيانة، والبخل، والعجلة، وسوء الخلق، والجهل. ولا مدحوا شيئاً مدحهم لتسع: الصدق، والحلم، والصبر، والرضا بالقسم، والوفاء، والكرم، والتأيد، وحسن الخلق، والعلم.

واحذر يابني مشاورة تسعة فان الرأي منهم عازب: البخيل، والجبان، والحريص، والحسود، وذي الهوى والكثير العقود مع النساء ومعلم الصبيان والمبتلى بامرأة سليطة (٤).

---

(١) فى الاصل «تسعة».
(٢) فى الاصل «لفراقه».
(٣) كذا فى الاصل وهى عشرة أشياء.
(٤) كذا فى الاصل وهى ثمانية.

باب

ذكر ما جاء في عشرة

قال النبي صلى الله عليه وآله : الايمان في عشرة أشياء : المعرفة ، والطاعة ، والعلم، والعمل، والورع، والاجتهاد، والصبر، واليقين، والرضا ، والتسليم. فأيها فقد صاحبه فسد نظامه .

وقال عليه السلام : صفة العاقل ان يكون فيه عشر خصال : الاولى [...] (١) جهدعليه، الثانية انيتجاوز عمن ظلمه، الثالثة ان يتواضع لمن دونه، الرابعةان يسابق الى من قرب في السير، الخامسة اذا أراد ان يتكلم يفكر فان كان خيراً تكلم فغنم وان كان شراً سكت فسلم، السادسة اذا عرضت له الفتنة استعصم بالله تعالى وامسك عنها يده ولسانه، السابعة اذا رأى فضيلة انتهزها، الثامنة لا يفارقه الحياء، التاسعة لا يبدي منه الخناء ، العاشرة لا يقعد به الحرص .

وقال عليه السلام : ما عبد الله تعالى الا بالعقل، ولايتم عقل المرء حتى يكون فيه عشرة خصال : الخير منه مأمول، والشر عنه معزول، يستقل كثير الخير من عنده، ويستكثر قليل الخير من غيره، ولا يتبرم بطلب الحاجة، ولا يسأم من طلب العلم طول عمره، والفقر أحب اليه من الغنى، والذل أحب اليه من العز، نصيبه من الدنيا القوت، والعاشرة لا يرى أحداً من الناس الا قال هو خير مني .

وقال عليه السلام : ألا ان فضائل الاخلاق عشرة : صدق الحديث ، وصدق المودة، ونصيحة الناس، واعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، وأداء الامانة، وصلة الرحم، والتذمم للجار، وقرى الضيف، والحياء وهو رأسهن .

وقال عليه السلام : العافية عشرة أشياء تسعة منها في الصمت الا عن ذكر الله، والعاشرة منها في ترك مجالسة السفهاء .

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام : أفضل ما توسل به المتوسلون عشرة أشياء : الايمان بالله وبرسوله فهو كلمة الاخلاص، والجهاد في سبيل الله فانه حفظ الملة، واقامة الصلاة فانها الفطرة، وايتاء الزكاة فانها من فرائض الله تعالى ، والصوم فانه جنة من عذاب الله ، وحج البيت فانه منقاة الفقر مدحض للذنب، وصلة الرحم فانها مثراة المال ومنسأة (٢) في الاجل، وصدقة السر فانها تدفع الخطيئة وتطفي غضب

---

(١) العبارة لا تقرأ في الاصل .

(٢) في الاصل «منشاه» .

الرب، وصنائع المعروف فانها تدفع ميتة السوءوتقي مصارع الهوان، والصدق فان لله تعالى مع من صدق .

ووصف عليه السلام اللسان بما يسبق اليه البيان، فقال: أيها الناس ان في الانسان عشر خصال يظهرها لسانه : شاهد عن الضمير ، وحاكم يفصل به الخطاب، وناطق رد به الجواب، ومخبر يعرف به الصواب، وشاهد يدرك به الحاجة، وواصف يعرف ه الأشياء، وواعظ ينهى عن [...] (١) ، ومعين (٢) يشكر به الاخوان، وحاصل يجلى ه الضغائن، ومونق يلهى به الاستماع .

وجاء عن الائمة عليهم السلام ان النشوة (٣) في عشرة اشياء : المشـي ، الركوب، والارتماس في الماء، والنظر الى خضرة، والاكل والشرب، والنظر الى لمرأة الحسناء ، والجماع، والسواك، وغسل الرأس بالخطمي ، ومحادثة الرجال .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال : ان الله تعالى جعل البركة عشرة جزاء فتسعة منها في التجارة وواحدة في سائر الأشياء، وجعل الحلم عشرة اشياء سعة منها في قريش وواحدة في سائر الناس، وجعل الكرم عشرة اجزاء فتسعة منها في العرب وواحدة في سائر الناس، وجعل الغيرة عشرة اجزاء فتسعة منها في العرب وواحدة في سائر الناس، وجعل الغي عشرة اجزاء فتسعة منها في الاكراد وواحدة في سائر الناس، وجعل المكر عشرة اجزاء فتسعة منها في القبط وواحدة في سائر الناس، وجعل الجفاء عشرة اشياء فتسعة منها في البربر وواحدة في سائر الناس ، وجعل للجاجة عشرة أشياء فتسعة منها في الروم وواحدة في سائر الناس، وجعل الصناعة عشرة أجزاء فتسعة منها في الصين وواحدة في سائر الناس ، وجعل الشهوة عشرة جزاء فتسعة منها في النساء وواحدة في سائر الرجال، وجعل العمل عشرة اجزاء تسعة منها فى الأنبياء وواحدة في سائر الناس، وجعل الحسد عشرة أجزاء فتسعة منها فى اليهود وواحدة في سائر الناس ، وجعل النكاح عشرة اجزاء فتسعة منها في العرب وواحدة فى سائر الناس .

وقال بعضهم : صحبت حكيماً فحفظت منه عشرة خصال : باحتمال المؤن

---

(١) كلمة لا تقرأ فى الاصل .

(٢) فى الاصل «ومعن» .

(٣) في الاصل «السره» والتصحيح من الخصال ص ٤٤٣ .

يجب السؤدد،وبصالح الأخلاق تزكو الاعمال ، وبالأفضال تعظم الاقدار،وبالنصفة تكثر الواصفون ، وبعذب المنطق يجب التقدم ، وبكثرة الصمت تكون الهيبة ، وبحسن الخلق يطيب العيش ، وبحسن التأني تسهل المطالب ، وباجالة الفكر يستفاد الرأي ، وبلين كتف المعاشرة تدوم المودة .

وقال لقمان : ان أخلاق الحكيم عشرة خصال : الورع ، والعدل ، والفقه ، والعفو،والاحسان،والتيقظ ، والتحفظ،والتذكر،والحذر،وحسن الخلق،والقصد (١) .

وأوصى حكيم بعض الملوك لمن خلفه على ناحية، فقال : أوصيك بعشر (٢) خصال : أوصيك بتقوى الله فانك ان تتقه يهديك ويكفيك ويرضى عنك ومتى أرضى عبد (٣) ربه أرضاه،وآمرك أن لا تعجل فيما لا تخاف منه الفوت فان العجلة ثوب ندم ، واذا شككت فشاور يصح لك أمرك،واذا اتهمت فاستدل،واذا استلفيت فاختبر ، واذا قلت فأصدق ، واذا وعدت فلا تخلف ، واذا وقعت على حق فأنفذ ، ولا يكن الافراط من شأنك في نوال ولا نكال فانه في النوال يجحف بك وفي النكال يوثمك ، واضبط حاشيتك فانها ان ضبطتها ضبطت ناصيتك .

وأوصى حكيم ولده فقال : يا بني أوصيك بعشرة : لا تستكثر من عيب فانه من اكثر من شيء عرف به ، ولا تأسف على اثم فانه شيء وقيته ، وأقلل مما يشين تزدد مما يزين ،واذا عرفت قبح أمر فتوقه ، واياك ومخاطبة السفلة فانهم يفرون ولا يشكون تعاب باستصحابهم ولا تحمد على اصطناعهم ، ولا تتجاوز بالامور حدودها واذا أنكرت أمرك فأمسك ، وجانب هواك فانه أضر ما اتبعت ، واعمل بالحق فانه لا يضيق معه شيء ولا ينعت فيه عاقل،وليكن خوف بطانتك لك أشد من أنفسهم لك.

واحفظ عني عشرة:اعلم أن الصدق قوة، والكذب عجز،والسر أمانة،والجوار قرابة، والمعرفة صداقة، والعمل تجربة، والخلق عبادة، والصمت زين ، والشح فقر والسخاء غنى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اذا ظهر في أمتي عشر خصال ابتلاهم الله بعشرة : اذا منعوا الزكاة ما تت المواشي واذا منعوا الصدقات كثرت الامراض،

---

(١) كذا في الاصل وهي احد عشر شيئاً .

(٢) في الاصل «بعشر» .

(٣) في الاصل «عبدا» .

واذا أكلوا الربا كثرت الزلات، واذا جارت السلاطين ابتلاهم الله بالعدو، واذا حكموا بغير عدل ارتفعت البركات، واذا تعدوا عن حدود الله سلط الله عليهم القتل ، واذا بخسوا الميزان سلط الله عليهم النقص (١) .

وأوصى حكيم بعض أصحابه فقال : احفظ عني عشرة : لا تقبل الرياسة على أهل مدينتك البتة، ولا تتهاون بالامر الصغير اذا كان ثقيل النماء ، ولا تلاج رجلا غضباناً فانك تقلقه باللجاج ، ولا تجمع في منزلك نفسين يتنازعان في الغلبة، ولا تفرح بسقطة غيرك فانك لا تدري متى يحدث الزمان بك ، لا تبهـج (٢) في وقت الظفر فانك لا تعلم كيف يدور عليك الزمان، ولا تهزأ بخطايا غيرك فان المنطق لا يملك فلو (٣) الخطأ من الناس تنوع الصواب الذي في جوهرك، ولا تبذلن مودتك جميعها لصديقك ، وصير الحق أبداً أمامك فانك تسلم دهرك .

تمت هذه المقدمة المباركة والحمد لله رب العالمين .

---

(١) كذا فى الاصل وهى سبعة أشياء .
(٢) فى الاصل «ولا سمح» .
(٣) كذا فى الاصل .

مكتب اسلام

الهدى

مجلة فكرية اسلامية جامعة

العدد الثانى - السنة الثانية

ذو القعدة ١٣٩٢ هـ

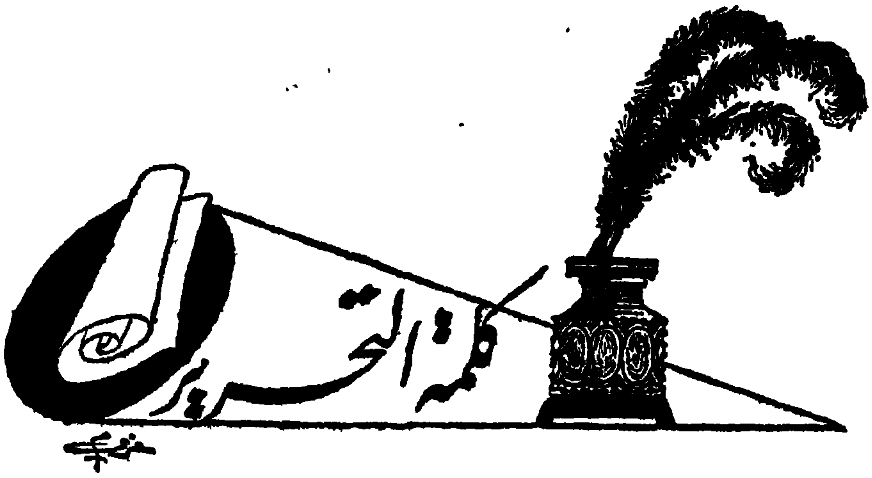
الفهرس

حكمة العدد

من لم يهتم بأمور المؤمنين فليس منهم ، ومن أقر بالذل طائعاً فليس منا أهل البيت .

« الرسول الاعظم محمد (ص) »

بسم الله الرحمن الرحيم



انفتاح ..

نرجوا ما بعده ..

منذ أن غابت تلك الشمس الرائعة سر تقدمنا ومنطلق عزتنا التى كنا فيها نسير على قمم الزمان الشواهق منذ أن أسدلت الستر الكثيفة على منبع النور ــ الا قليلا ــ وكل الفضائل المؤمنة التى وعت واقعها وحددت نقاط الداء فى جسم الامة ومارأت لكل ادوائها علاجاً ومنقذاً الا الاسلام العظيم عند ما يعود فيمسك دفة الامور ويحكم فى كل مجالات الحياة . . كل هذه الفضائل تمر بمرحلة الصبر وما هى الا عملية تخزين للطاقات ومنعها من الاهدار والضياع فى غير وقتها المناسب ومن خلال هذه المرحلة الطبيعية تتطلع قلوبها اليوم الى نقاط ضوء تبدو خلال السحب الكثيفة . . تبشرها بالخير كل الخير . . وتشير لها أن تعد العدة للمستقبل . . .

فهنا شعور معمق بالحاجة الى الاسلام وهنا نمو فى الدعوة الى مبادئه ، وهناك سعى حثيث نحو انزالها الى واقع التطبيق وهناك خطوات مشكورة نحو لم الشمل ورأب الصدع وهنا وهناك بشائر اخرى كلها تبعث فى القلوب آمالها وفى العيون بريقها وتدعو المستقبل البعيد البعيد فاذا به يصبح قريباً جداً بحيث لا يمكن الانكار .

لقد التزمت البشرية بأطروحات عديدة..لا صلة لها بالسماء.. فجربتها وعاشت فى ظلالها.. فلم تجن منها الا الاسى والالم ، ولم تجد فيها السعادة التى تريد..والرواء الذى تحتاج وبالرغم من ذلك بقيت تتخبط بعيداً عن

أطروحة السماء الى ان وجدت نفسها في نهاية الشوط مفلسة وقد أعياها المسير . . . وكان هذا الاعياء الان في القرن العشرين حيث نجد ردود الفعل لضياع الانسانية الطويل يتجلى في مظاهر مختلفة ، منها اقبال ملفت للنظر على رسالة السماء . ومهما يكن هذا الاقبال .. ومهما تكن هذه العودة .. فان لها عندنا قيمتها . . شرط ان توجه الوجهة الصحيحة وتسقى برى القرآن .

اننا نعتبر الامة تعيش الانفتاح على عقيدتها من جديد، ولايعني هذا اننا في الطريق سائرون بلا عقبات وعراقيل ، كلا . . بل يعني العكس لان أعداءنا ـ وهم الاكثر تخطيطاً للامور ـ يرصدون كل حركة يتململ بها هذا المارد السجين ويعدون له كل نفس ، وحتماً فانهم سيحسبون للامر حسابه . ولكننا مطمئنون بأن للباطل جولة وللحق دولة ، وان البشرية بمقتضى واقعها الفطرى الاصيل ، وشعورها بخيبة الامال في آرائها الناقصة ، وتصريحات الذين دقوا لها ناقوس الخطر وتنبؤوا بمستقبلها الذى تؤطره السماء باطارها المقدس كل هذه تؤكد ان النهاية الطبيعية للبشرية وان ميناء الامان يكمن في نقطة واحدة يذوب عندها كل ما عداها . . . ولعل العالم سيصلها عن قريب : انها الاسلام الخالد .

«انهم يرونه بعيداً ونراه قريبا»

على ان تلك القضية الواقعية لايمكن ان تفسر سلبية معينة او توقعاً مريضاً يعيش على فتات الامل .

بل انها على العكس تشكل الدافع الدفاق لكل واع ومخلص لكى يؤدى دوره كاملا وهو مطمئن للنتيجة العظمى التى رسمها من قبل وعد الله تعالى .

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) .

رئيس التحرير

في رحاب الامام الصادق عليه السلام

شهد عصر الامام الصادق عليه السلام اتجاهات عديدة متضاربة يهمنا منها الان ثلاثة :

الاول : محاربة الحق بشكل سافر .

الثاني : استغلال مظلومية الحق لاهداف غيرمشروعة .. أو فقل محاربة الحق تحت ستار الدفاع عنه .

الثالث : تجاوب أفراد من الأمة أو جماعات مع التيارات الالحادية الوافدة من الخارج .

ولقد مثل الامويون الاتجاه الاول خير تمثيل . . فقد وقفوا من الاسلام متمثلا فى أهل البيت عليهم السلام موقفاً لم ولن يذكره منصف بخير . .

ان من يتصفح تاريخ الامويين يستطيع أن يشم من خلال سطوره الروائح الكريهة المنبعثة من أقبية السجون المظلمة، ويستطيع ان يحس بحرارة دموع الايتام ويسمع أناة المظلومين .. الذين لم يكن لهم ذنب الا انهم قالوا : ربنا الله ثم استقاموا .

ومثل العباسيون الاتجاه الثاني بكل جدارة . . فانهم حين رأوا عجزهم عن الوصول الى الحكم بطريقة مشروعة ، لم يجدوا سبيلا اليه الا أن يظهروا بمظهر المدافع عن الحق ، الثائر لكرامته . . مظهر من هز ضميره انتصار الباطل ، وهكذا كان . .

انطلق العباسيون وكل سلاحهم . . « يا لثار آل البيت » كلمة حق يراد بها باطل . . وبهذا النداء استطاعوا أن يحركوا مشاعر الامة التي كانت وان بلغ بها

التخدير مبلغه تدرك أن الاسلام الصحيح ليس لدى قادتها الادعياء . . بل هو عند من جعلهم رسول الله صلى الله عليه وآله امتداداً له حملة للامانة حفظة للرسالة ...

وبهذا الاسلوب قفز العباسيون الى الحكم ، واختطوا طريق استغلال الحق للمآرب الشخصية وللاهداف الرخيصة ليسلكه من بعدهم من لا يقل عنهم سوء في كل جيل . .

طالب العباسيون بحقوق آل البيت. . ثم اغتصبوا حقهم الشرعي .. وتنكروا لهم .. حتى أنهم حازوا قصب السبق على الامويين فى مضمار محاربتهم .

وهكذا شهد التاريخ كيف تُستغل مظلومية الحق للقضاء عليه .

ومثل الاتجاه الثالث فريق من أبناء الامة ، جرفهم التيار الالحادي ، الذي تسرب مع الفلسفة المترجمة فى ذلك العصر، فتنكروا لعقيدتهم .. ـ بايحاء من عناصر غريبة ـ وطفقوا يعملون لاقتلاع جذورها بكل صلف وعناد . . . فأثاروا كثيراً من الشبهات الفاسدة ومدوها بأنواع الاباطيل والاضاليل فكان لذلك أكبر الاثر السيىء فى تاريخ الفكر الاسلامي .

هذه اتجاهات ثلاثة شهدها عصر الامام الصادق (ع) ولقد رافق كل منها اتجاه آخر . . انه الاتجاه الذي أدرك الظروف التي تحيط به.. وعرف الحق المضاع. . فوقف صلباً صلداً..يعتبر مكسبه الرسالي هو المكسب وما عداه خسارة لاتعوض.. انه الاتجاه الذي وعى الاطروحة . . وأدرك مايهددها من أخطار فشرع يعمل على جبهتين : بناء وهدم. . يبني للامة شخصيتها التي تنسجم وواقع دينها .. ويهدم تلك العقبات التي كادت تسد الطريق وتقيم بين الامة ورسالتها السدود .

ولعمر الحق انها لمهمة شاقة . . يصعب تصديقها لولا انها حقيقة مؤكدة . .

ليس سهلاً أن يتحدى انسان أو مجموعة تيار فساد جارف وسيل انحراف عارم يغذيهما الحكام الضالون، ويعمل لتركيزهما ولاة السوء وهما بعد يتجاوبان مع رغبات عامة الناس . . الا من عصم الله . . ليس سهلا أن يقف انسان فى وجه عاصفة عاتية مدمرة دون أن يرمش له جفن . . أو يخفق منه جنان . . يقف أمامها ليحول عتوها

على الحق الى صلابة في الالتزام به .. وتدميرها له وبالا على أعدائه . . ليس سهلا هذا ولكن الامام الصادق (ع) قد فعله . . لم يواجه عاصفة واحـدة بل عواصف عديدة . . ومن قبل الاتجاهات الثلاثة المنحرفة . . فتزعم الاتجاه الرابع لانه « كان لابد من امام صادق في القول ، مصيب في النظر ، مهدي الى الحق ، يرشد الضال ويجادل الذين يثيرون الريب، ويرد كيدهم في نحورهم،وكان ذلك الامام هو الصادق حفيد علي بن أبي طالب وعترة محمد (ص) »(١) .

* * *

واذا أردنا أن نقارن بين عصر الامام الصادق وعصرنا نحن فماذا ترانا واجدين؟

اننا سنجد الاتجاهات الثلاثة الاولى بأجلى صورها فما أكثر أولئك الذين لا يدخرون وسعاً في العمل لطمس معالم الحق وما أكثر أولئك الذين يتسترون باسم الحق للدفاع عنه . . ثم ما أكثر وما أكثر أبناء الامة الذين جرفتهم التيارات الالحادية الوافدة من الخارج فنبذوا رسالة السماء وأخذوا يبحثون في الوحل عن عقيدة لهم ونظام . . .

أما الاتجاه الرابع فهو وان لم يكن في متانة اتجاه الامام الصادق في عصره.. الا انه ذو وجود وقوة . . تمثله صفوة من الامة لاجله تعمل ، وفي سبيله تضحي . . تحوط الأطروحة بالارواح، متحدية قوى الشر الضارية التي تملك من وسائل البطش والارهاب ما لم تملكه قوة على مر التاريخ .

ولم تكن هذه الصفوة لتقوم بدورها الآن لو لم يقم الامام الصادق عليه السلام بدوره الفريد . .حيث أنه عليه السلام كسائر الائمة من آل البيت . . حفظ الرسالة من الضياع وحافظ عليها من التحريف . . وربي لها حملة ربوا بدورهم آخرين. . وبهم وصلت الرسالة الى الاجيال التي تلتهم.

* * *

ان على دعاة الاسلام المخلصين له ان يأخذوا عن الامام الصادق كل ما قاله ،

---

(١) الامام الصادق للشيخ أبو زهره .

وكل صفةشاركتفيبناء شخصيتة العظيمة والتيأهلته لان يكونلا امامعصره فحسب بل امام الأجيال .. وسنشير هنا الى نواح ثلاث لابد لدعاة الاسلام منها فيصراعهم الذين يعيشون :

١ ـ **العلم:** كان الصادق عليه السلام أعلم أهل زمانه . . وعليه وعلى تلامذته تتلمذ أغلب مؤسسي المذاهب الفقهية الأخرىمابقي منها وما اندرس . . وكانتله مدرستان احداهما في الكوفة والاخرى في المدينة وعن تلك التي في الكوفة يقول أحدهم:أدركت في هذا المسجد تسعماءة شيخ كلهم يقول:حدثني جعفر بن محمد.. وكان عليه السلام المرجع عند اختلاف الفقهاءكما أنه كان المرجع في كل معضلة دينية . . (١) الى غير ذلك من نواحي علمه التي يصعب الأحاطة بها .

اذن. .لابد لنا من فهم الدين فهماً صحيحاً . . فذلك هو الشرط الاول لثباتنا في المعركة .. ان من يحمل فكراً ثابتاً سيثبت .. ومن يحمل الفكرالمهزور لايلبث أن يتقهقر . . ولن يغير من حقيقة الفكر المهزوز انتماؤه المزعوم الى الاسلام . . ومنهناكان لزاماًعلينا أنلاتقل فترة تدريبنا عنفاً وضراوة عنعنفالمعركة وضراوتها.

٢ ـ **الصدق** : علينا أن نأخذ من الامام (ع) صدقه . . . مع نفسه . . ومع أمته . . وقبل ذلك كله مع الله جلت عظمته .

ان التبريرات الواهية التي نبرر بها تقاعسنا عن العمل..وفرارنا من الزحف.. وتركنا الامربالمعروف والنهيعن المنكر لتنافي الصدقمع الله والمجتمع والنفس.

٣ ـ **المرونة** : واجه الامام الصادق (ع) عهدين سياسيين ظالمين . . وعاصر بضعة خلفاء جهدوا في تعذيب آل البيت والتنكيل بهم، ومع ذلك استطاع أن يحفظ لعمله الاستمرا ولنفسه المهابة والاحترام. . وما كان له ذلك لولا المرونة التامة والاتقان في العمل . . مما لايتسع لبيانه المجال .

* * *

وهكذا عشنا في رحابهذا الامام العظيم،بمناسبة وفاته في الخامس والعشرين من شوال . . لعلنا نحظى بقبس من سناه نصوغ أنفسنا على هداه . . .

---

(١) المصدر السابق.



حديث الإمام

السيد شريعتمداري

تفضل سماحة آية الله العظمى السيد شريعتمداري فأجاب بعمق على سؤال وجهه اليه مندوب المجلة ، والسؤال هو :

يتردد على بعض الالسنة ان الدين قد استنفذ اغراضه ، ولذا فنحن اليوم مضطرون ، لان نحل العلم محله ، فما هو ردكم على مثل هذه التخرصات ؟

الجواب :

اذا اكتسب الدين معناه الاصيل وكل ايحاءاته فانه يقترن دائماً بالضرورة ويفرض نفسه كحاجة رئيسة لايمكن الاستغناء عنها في وقت من الاوقات أو حال من الاحوال ومن هنا يمكن ان نعرف الوهم الذي وقع فيه الكثيرون ممن بهرتهم الحضارة المادية الخداعة ، حيث تصوروا امكان قيام العلم التجريبي مقام الدين .

فالمشكلة مشكلة تعيين هدف ، وتحديد منطلق ورسم مسيرة متوازنة تنتظم فيها البشرية من نقطة البدء مارة بمراحل المنهج ساعية نحو الهدف الموعود .

ولن يستطيع العلم مهمابلغ ان يقوم ببعض هذه الواجبات بل هو في تطوره محتاج لاصول دينية وذلك لضمان عطائه الايجابي ، وتعديل مسيرته الصاعدة لئلا تنحرف، اذ أن انحرافها يعني كارثة كبرى ومضيبة عظمى لايمكن تصور آثارها .

ألا يكفينا اننا نسمع أن عدد قتلى الالمان فى احدى معارك الحرب العالمية الاولى قد بلغ ٥٠٠ ألف قتيل ، بينما بلغ عـدد قتلى الحلفاء ٧٤٠ ألفاً ، هذا بالاضافة للدمار الأجتماعي والاقتصادي والعمراني الرهيب .

وأين هذا من السعادة والعدل النابعين بصورة طبيعية من الدين «ان الله يأمر بالعدل والاحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي» ، «وتلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الارض ولا فساداً »، ان مضمون هاتين الآيتين لو انغرس فيأعماق قادةالبشرية لما رأيناهذا الخواء المعنوي وهذا الجشع المادي اللذين ما ان اجتمعا مع القدرة الهائلة حتى أعطيا تلكم النتائج المرعبة .

ان المدنية الحاضرة لتفخر كثيراً برقيها المادي ، ولكنها تنسى ان الخط الصعودي في مجال المادة يحتاج احتياج الجسد الى روح .. الى ان يوازيه خط صعودي آخر فى مجال المعنى وفى مباني الفضيلة .

ان عدمالتوازن فيالخطين هوالذي أوجد هذه القوىالرهيبة من ذرية وهيدروجينية لتهدد حياة الارض بالفناء ، ويحترق فيها الاخضر واليابس ، والقنبله عندما تحرق لا تفرق بين شيخ وطفل وامرأة وغيرهم .

ان الملاحظ ان الرقي العلمي أصبح يعطي نتائجه المناسبة من حيث الرعب القاتل ، فنسبة القتلى في الحرب العالمية الثانية أكبر بكثير من نسبتهم فى الاولى .

ان كل الارقام والحسابات تؤكدلنا ان الارض لنتستغني عن وجود دين منظم، وانه حقيقة لايمكن ان يعرض لها البلى فهي ثابتة ثبات الرياضيات البديهية .

الى . .

بيت الله . .

عاش الانسان بأجياله المتعاقبة على سطح الارض وعاشت معه جوعته الشديدة الى من يقوم اوده ويقود جحافله بعدان يرسم له الهدف . .

وتقدم اليه الكثيرون بأطروحاتهم البشريه وتلقفها هو بلهفة فحولت حياته الى الجحيم.

وتقدم اليه الانبياء العظام بأطروحة السماء فقبلها بعض فسعدوا، ورفضها الآخرون فعاشوا الشقاء .

والسماء الرحيمة تصر على الهدى والعطاء وان قابلها الانسان بالجفاء . .

وتوالت الاطروحة تلو الأخرى، دفقات نور ثرة تنير الدرب الحالك الذي زاده ظلاماً ظلم الانسان نفسه .

وكانت اطروحة الاسلام الخالدة أغلى ما قدمت السماء للارض اذ أنها كفلت للانسان كل ما لم يستطعه فكره القاصر فرسمت له نقطه البدء وعينت له نقطة الهدف وراحت تهيء له معالم الدرب وأوقدت له مشاعل من هدى ليستضيء بها في مسيرته .

وقدمت فيما قدمت له منهجاً تربوياً رائعاً مهمته ان يصنع الانسان الانسان، الانسان الذي يبقى على واقعه الفطري ويتلائم مع هدفه الاصيل وكان المنهج واعياً تمام الوعي لواقع الانسان انه وعاه روحاً ظمأى الى عقيدة واقعية تحدد له مركزه من الكون، وتعين له موقعه من المسيرة الصاعدة ووعى الانسان جسداً يهفو نحو الاشباع لانه يريد ان يعيش، وغرائز اصيلة تربط مابين الكمالين .

فقام على تربية الاثنين وهداية الجانبين . . وكانت الحصيلة رائعة كل الروعة فالعقيده الواقعية اعطيت له بكل دقه والنظام اكمل سد باقي الحاجات، فما على المنهج الا ان يعمق هذين ويجسدهما في حياة الانسان لكي يوتيا اكلهما ويثمرا السعادة الحقيقية.

واعتمد للوصول الى ذلك بمختلف الأساليب، فمن اسلوب نظري يعتمد على

النصوص الشريفة ويربي احساس المسلم العميق ويركز فى نفسه الايمان، الى اسلوب تقديم النماذج العالية .. عقيدة وعملا، متمثلة فى شخص النبي (ص) القائدالعظيم وشخصيات الأئمة القادة من اهل البيت (ع) وباقي الصحابة الأخيار (رض) بعد ان امر الامة ان تستجلي روح العظمة ونقاط السمو في سنتهم وسيرتهم .. وتحاول جهدها ان تصل الى بعض ما يمكن الوصول اليه منها «لقدكان لكم فى رسول الله اسوة حسنة ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا» .

ومن الأساليب التي اتبعها هذا المنهج اسلوب التدريب الحسي العملي الذي يركز عقيدة او عملا او كليهما بصورة عملية تنطلق دوافعها من نفس الانسان مؤطرة باطار السماء .

وقدمرت البشرية باحدى تلك التجارب السنوية فى رمضان المبارك . . . وذاقت فيها حلاوة الارادة التي رافقتها مرارة الجوع وما اهون الجوع فى سبيل الأرادة التي هي سر تجلي الانسانية فى الانسان .

وتصاعدت روحيتها الى اعالي القدس وبلغت ذروة علوها فى ليلة القدر التي غمرها انزال القرآن جلالا وعظمة، وأخيراً احتفلت الارض بعيد الفطر وسمو الفطرة على كل القيود المادية الرخيصة والى حيث الصفاء والحقيقة .

وها هي اليوم تمر بتجربة سنوية عالمية أخرى . . ودورة تدريبية انسانية كبرى فيها من المعطيات ما يضيق عنه الحديث . .

انها تجربة الحج وأكرم بها من تجربة رائدة تجتمع فيها صفوة بشريه وقفت لاجابة ذلك النداء التاريخي العظيم نداء ابراهيم (ع) خليل الله للبشرية كل البشريه بكل اجيالها.

«وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق» .

وهنا تتجسد المعاني وتتحول الى واقع محسوس يتجرد هؤلاء الامن لباس بسيط فتربى فيهم كل معاني الزهد الذي هو فى الحقيقة تعال على كل تقييد مادي وضيع وتنطلق

فيهم كل الاحاسيس المذكرة بيوم النشور وينطلق هؤلاء جميعاً فتنبعث في اعماقهم رموز توجه الارض وهم يمثلونها الى مهبط الوحي والرساله لتستمد منه ما يحقق سعادتها وهناءها .

فالهدف واحد والنداء واحد . . انه التكبير والحمد اللذان يغرسان في الانسان الاساس والمبدأ للعقيدة اسم الله الاكبر منطلق الكائنات وكون هذا الانطلاق بمقتضى رحمة كبرى لها الحمد المتواصل .

ويطوف الكل حول الكعبة الحرام البقعة التي اختارها الله لتمثل مركز وحدة الارض .. وهنا تثور المشاعر وتتجلى الاحاسيس .. ما اروع ان يطوف الانسان حول مركز وحدة الارض وقبلتها فتتربى في اعماقه هذه الوحدة فينذر نفسه لتحقيقها كاملة ولتتوجه الارض بأكملها اليه ويكون الدين كله لله ، يقول أمير المؤمنين (ع) واصفاً مجيء الحجيج (حتى يهزوا مناكبهم ذللا يهلون لله حوله ويرملون على اقدامهم شعثاً غبراً له قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم، وشوهوا باعفاء الشعور محاسن خلقهم. .ابتلاء عظيماً وامتحاناً شـديداً واختباراً مبيناً ، وتمحيصاً بليغاً ، جعله الله سبباً لرحمته وصلة الى جنته . . .) (١) .

وفي موضع آخر يقول (ع) (جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزته واختار من خلقه سماعاً اجابوا دعوته ، وصدقوا كلمته ووقفوا مواقف انبيائه، وتشبهوا بملائكة المطيفين بعرشه، يحرزون الارباح في متجر عبادته ويتبادرون عند موعد مغفرته جعله سبحانه وتعالى للاسلام، علماً والعائذين حرماً. (وليتامل متأمل في كلامه عليه السلام فانه سيجد فيه الاحساس الذي رباه الاسلام تماماً) .

انه يشير الى شعور المسلم وهو يطوف بأنـه يقف مواقف الانبياء حساً حيث يطأ موطئاً وطؤوه وهو يقف مواقفهم حيث يقوم بشكل من العمل يمثل عملهم الرئيسي في الكون .

---

(١) نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ج ٢ ص ١٤٦ .

وهو يشير الى شعور المسلم وهو يطوف بأنه يمثل ملائكة الله المطيفين بالعرش فاذا ما اشرنا للعرش بانه نقطة وحدة الكون ومنطلق حياته عرفنا وجه التشبيه فالانسان الذي يطوف حول مركز وحدة الارض يشبه الملائكة المطيفين حول مركز وحـدة الكون ، وهكذا تستمر المسيرة وتسمو النفوس حتى تبلغ قمتها في عرفات حيث مسرح العروج وحيث يعجز القلم عن وصف المنظر ومعطياته ، وينهي المسلمون دورتهم هذه بتلك الحركة المجموعية لرجم رمز الفساد في الارض رجماً متوالياً ما أن ينتهوا من مرحلة حتى يبدأوا مرحلة اخرى .

وهكذا تتوضح من خلال الدورة شخصيتهم بالطواف حول مهبط الوحي وبرجم رمز الشر وما اروع هذين لو اجتمعا واقعاً في قلب انسان . . انه الفائز . . اذن بلا شك وما أن تنتهي هذه الثلة من دورتها حتى يعلن المسلمون جميعاً احتفالهم بعيد الدم والتضحية بعيد الاضحى المبارك .

فهنيئاً للفائزين السعداء

وتعميقاً لاهداف الاسلام في علو الارض الى مراقي السعادة .

اسرة التحرير

عرض للاتجاه اللغوي في تفسير التبيان

« ٢ »

الدكتور مرتضى الشيرازي
كلية الالهيات والمعارف الاسلامية
بجامعة طهران

من مصادر التبيان :

ان كتاب التبيان الذي يعد من أهم كتب التفسير وأصوله حافل بالعديد من الاراء والمصادر التي اعتمد الطوسي عليها،ورجع في تفسيره اليها ، واستدل بآرائها حيناً ، ونقدها حيناً آخر ، وأضاف اليها اضافات حيناً ثالثاً .

ومن أجل اعطاء صورة واضحةعن التبيان رأيت ان أشير في خاتمةهذا العرض السريع الى أهم المصادر التي لفتت نظري ، ولا شك ان في معرفة هذه المصادر ما يوضح لنا ايضاحاً جلياً الكثير من ثقافات الشيخ الطوسي واتجاهاته الفكرية معاً ومدى تأثره بالمفسرين اللذين وجه نظرته اليهم .

من مصادر اللغة والنحو :

قد احتوى تفسير التبيان للطوسي على كثير من الاراء اللغوية والنحوية، ويعد موسوعة غنية لمن يريد ان يراجع اقوال العلماء واللغويين في تفسير الذكر الحكيم،

وقد أتى الشيخ الطوسي بكمية كبيرة من اقوال علماء مدرستي البصرة والكوفة ومن مثل ذلك آراء الخليل بن احمد (١) في اللغة وتفاسيره اللغوية ، وقد استفاد الطوسي من كتاب العين للخليل كثيراً ، وتفسيره يزخر بآراء الخليل في اللغة والاشتقاق ، مع ان كتاب العين للخليل قد فقد ، ولكن يمكن ان نستخلص من التبيان الكثير من هذا الكتاب المفقود ، ولو عني بعض الباحثين بهذا الامر لأدوا خدمة جلى بالنسبة الى اللغة العربية ، لغة القرآن والدين .

ا ـ من الكتاب لسيبويه المتوفي (١٨٨ هـ) ويستشهد ببعض آرائه النحوية (٢).

ب ـ من الفراء ابو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الباهلي (م ٢٠٧ هـ) (٣) ، وهو أول من درس تفسير القرآن في مسجد من مساجد بغداد ، كما كان يلقي غير ذلك من دروس اللغة والنحو (٤) .

ج ـ من الزجاج . أبو اسحق ابراهيم بن السري بن سهل (٥) وكان من اشهر تلامذة المبرد، وله معاني القرآن، أو اعراب القرآن ومعانيه وغير ذلك (٦).

و ـ من أبي علي الفارسي . الحسين بن احمد (أو محمد) بن عبد الغفار الغنوي الفارسي الشيرازي (٧) وهو من تلاميذ ابن السراج والزجاج ، وله كتاب

---

(١) يعتبر الخليل بن احمد الفراهيدى ، المتوفى عام ١٧٥ هـ رائد المعجمات العربية ، الذى ابتكر التأليف المعجمى وهو مبتكر علم العروض ، ومخترع علم الموسيقى العربية . ومنهجه فى معجمه المعروف بـ(العين) قائم على الصوت وسلمه اللغوى، يبتدأ بحروف الحلق ، و يبدأ بالصعود تدريجاً حتى تنتهى الى الشفة وجعل ترتيب الحروف هكذا : ع ، ح ، ه ، غ ، خ ، ق ، ك ، ج ، ش ، ض ، س ، ز ، ط ، ت ، د ، ظ ، ذ ، ث ، ر ، ل ، ن ، ف ، ب ، م ، و ى ، أ .

(٢) التبيان ج ١ ص ٦٤١ و ٨٣٣ ط طهران .

(٣) التبيان ج ١ ص ٦٤٨ و ٤٦٩ و ٦٥٤ و ٦٧٩ ط طهران .

(٤) تاريخ الادب العربى ج ٢ ص ١٩٩ كارل بروكلمان .

(٥) التبيان ج ١ ص ٦٤٠ و ٦٤٦ و ٦٥٤ و ٦٧٩ و ٦٨٣ و ٦٨٩ ط طهران .

(٦) تاريخ الادب العربى ج ٢ ص ١٧١ كارل بروكلمان .

(٧) التبيان ج ١ ص ٦٤١ و ٦٤٦ و ٦٤٩ و ٦٨٣ ط طهران .

اعراب القرآن ومصنفات اخرى ـ توفي عام (٣٧٧ هـ)(١) .

هـ ـ من اشعار الشعراء الجاهليين والاسلاميين وقول المحدثين والاستعمالات الشائعة عند العرب (٢) .

وللطوسي رأي خاص بالنسبة الى الاستشهاد بأشعار العرب الجاهليين فهو لا يأتي بهذه الشواهد اثباتاً لاعجاز القرآن وفصاحته ، بل انه يأتي بهـا قسراً وهو مسير فى الاتيان بهذه الشواهد لا مخير كما يحدثنا هو بذلك فى مقـدمة تفسيره التبيان ، فيقول :

«ولو لا عناد الملحدين ، وتعجرفهم لما احتيج الى الاحتجاج بالشعر وغيره للشيء المشتبه في القرآن ، لان غاية ذلك ان يستشهد عليه ببيت شعر جاهلي ، أو لفظ منقول عن بعض الاعراب ، أو مثل سائر عن بعض اهل الباديـة ، ولا يكون منزلة النبي (ص) (وحاشاه من ذلك) اقل من منزلة واحـد من هؤلاء ، ولا ينقص عن رتبة النابغة الجعدي ، وزهير بن الكعب وغيرهم ، ومن طرائف الامور ان المخالف اذا ورد عليه شعر من ذكرناه ، ومن هو دونهم سكنت نفسه ، واطمأن قلبه ، وهو لا يرضى بقول محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، ومهما شك الناس فى نبوته فلا مرية في نسبه وفصاحته فانه نشأ بين قومه الذي هم الغاية القصوى في الفصاحة ، ويرجع اليهم في معرفة اللغة . . .» الى ان يقول: «وقد علمنا انه ليس بأدون الجماعة في الفصاحة، وكيف يجوز ان يحتج بشعر الشعراء عليه، ولايجوز أن يحتج بقوله عليهم ، وهل هذا الاعناد محض، وعصبية صرف، وانما يحتج علماء الموحدين بشعر الشعراء ، وكلام البلغاء اتساعا في العلم، وقطعا للشغب ، وازاحة للعلة ، والا فكان يجب الا يلتفت الى جميع ما يطعن عليه لأنهم ليسوا بأن يجعلوا عيارا عليه باولى من ان يجعل هو عليه السلام عيارا عليهم» .

---

(١) تاريخ الادب العربي ج ٢ ص ١٩٠ كارل بروكلمان .

(٢) التبيان ج ١ ص ٣٥٥ و ٣٣٤ و ٣٤٤ و ج ٢ ص ٤٩٦ و ٣٩٢ و ١٢٤ و ١٠٥ و ٣٥٨ و ١٥ و ٨٩ ط بيروت .

ولهذا الرأي من الاهمية والصواب مالا يخفى على من درس الادب الجاهلي، وما قيل في إنتحاله (١) .

من مصادر التفسير :

وجدير بالذكر أن أنوه هنا عن بعض مصادر التفسير من حيث اهميتها، ولاجل الاطلاع على المراجــع الهامة التي استقى الشيخ الطوسي منها تبيانه ، ففي ثنايا تفسير التبيان نرى الشيــخ يذكر أسماء تفاسير مختلفة ومتنوعة ، كتفسير البلخي ، والرماني ، ومحمد بن بحر ، والزجاج ، والطبري ، ومن كتـاب خصائص القرآن لحسين بن علي المعربي (٢) ، الى غير ذلك .

وقد نقد هذه التفاسير فيمقدمة تفسيره ، وكثيراً ماكان ينقل عن هذه التفاسير شارحاً الايات القرآنية ، أو أنه ينقدها بنقد ينبىء عناطلاع وسعة باع، وقد اختص من بين تلكم التفاسير تفسير أبيمسلم محمدبن بحر الاصفهاني، وتفسيره هذا «جامع التأويل لمحكم التنزيل» (٣) .

وقد لعبت ايدي الزمان بهذا التفسير فأبادته، وقدقامالاستاذ سعيد الانصاري من الهند بالتقاط نصوص هذا التفسير من مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبيرللفخر الرازي ، وسماه « ملتقط جامع التأويل لمحكم التنزيل » طبع في كلكته عام ١٣٣٠ ، والشيخ الطوسي يكثر من الاستشهاد بقول أبي مســلم في لغوياته وتفسيره للايات القرآنية (٤) .

---

(١) ان بعض المستشرقين من مثل مارجليوث ، والذاهبين على مذهبه ، امثال الدكتور طه حسين يلمحون فى كلامهم عن نظرية الانتحال فى الشعر الجاهلى بأن المسلمين انتحلوا الاشعار لاسباب عديدة ، منها الدفاع عن بلاغة القرآن .

(٢) التبيان ج ١ ص ٣٠٩ و ٣١٨ ط بيروت .

(٣) الفهرست لابن النديم : ١٩٦ .

(٤) انظر التبيان ج ١ ص ٣١٩ و ج ٢ ص ١٣٦ ط بيروت .

بين الطوسي والرماني :

وننتقل الى ناحية اخرى في هذا العرض السريع ، وهي موازنة خاطفة بين آراء الطوسي ، والرماني في تفسيريهما ، وان كان تفسير الرماني مفقوداً ، الا ان الطوسي يشير اليه كثيراً ، وقد وصفه الطوسي في مقدمته بأنه اصلح من سلك في التفسير مسلكاً جميلا ، وأصلح ما صنف في هذا الباب لولا اطالته .

فتفسير الطوسي يمكن ان يكون جامعاً لكثير من المجلدات المفقودة من تفسير الرماني (الجامع) ولو قام احد منا بما صنعه الأستاذ الأنصاري بالنسبة الى أبي بحر لأسدى خدمة عظيمة للقرآن وللعلم (١) .

ويوجد الجزء السابع منه في باريس . اول ٦٥٢٣ (٢) .

---

(١) أبو الحسن على بن عيسى الرماني الذى ولد سنة ست وتسعين ومائتين من الهجرة ، بمدينة سامراء أو ببغداد ، ونشأ نشأة فقيرة ، واشتغل بطلب العلم ، واستعان على كسب قوته بالوراقة ، وأخذ اللغة والنحو عن جماعة من شيوخ العلم امثال أبي بكر بن دريد وأبي بكر السراج ، والزجاج . وتخرج فى الكلام على يد استاذه المعتزلى ابن الاخشيد ، وكان ميالا لعلوم المنطق والفلسفة والنجوم وبرع فى علوم القرآن والتفسير وألف فيها ، وتوفي سنة ٣٨٦ هـ . ومن كتبه التى تذكرها المصادر : التفسير الكبير . الجامع فى علوم القرآن . النكت فى اعجاز القرآن . شرح معانى القرآن للزجاج ، التفات القرآن بشرح شرح الالف واللام للمازنى ، شرح كتاب الموجز والاصول لابن السراج ، كتاب التصريف ، كتاب الهجاء ، كتاب الايجاز فى النحو ، كتاب المبتدأ فى النحو ، الاشتقاق الصغير والالفاظ المترادفة : وتذكر المصادر أن له ما يقرب من مائة كتاب . راجع ترجمته فى : بروكلمان الملحق ١ / ١٧٥ ومعجم الأدباء لياقوت الحموى ط مرجليوث ٥ / ٢٨٠ وما بعدها . وشذرات الذهب لابن العماد ٣ / ١٠٩ وتاريخ بغداد للخطيب ١١ / ٦٢ ط السعادة ، والانساب للسمعاني ٢٥٨ وطبقات النحويين للزبيدى ٥٥ والامتاع والمؤانسة لابى حيان التوحيدى ١ / ١٣٣ وبغية الوعاة للسيوطى . ويذكر كارل بروكلمان ان الزمخشرى قد استفاد من كتاب الجامع فى تفسير القرآن للرمانى ، راجع تاريخ الاداب العربية ج ٢ ص ١٨٩ .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية بروكلمان ج ٢ ص ١٩٠ .

وقد صور معهد المخطوطات بجامعة الدول العربيـة قسماً من تفسير الرماني عن نسخة عثر عليها في المسجد الاقصى، والنسخة جميلة ومشكولة، ويرجع تاريخ نسخها الى القرن السادس الهجري ، وتقع في «١٥٠» ورقة من القطع المتوسط ، وهي ناقصة من الاول والاخر ، وتحمل رقم (١٦ ـ ٤٩٠) وتبتدىء بتفسير قوله تعالى ، من سورة ابراهيم **«يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن وراءه عذاب غليظ»** وتنتهي بتفسير الاية ٣٥ من سورة الكهف وهي قوله تعالى : **«ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا»** وهذه المصورة صحيحة النسبة الى الرماني بعكس تفسير «جزء عم» وهي محفوظة بدار الكتب المصرية ـ قسم المكتبة التيمورية ـ ففي رأيي ان هـذه المخطوطة ليست صحيحة النسبة الى الرماني ، وهي صورة طبق الأصل من تفسير الكشاف ، فاذا سلمنا جدلا بأن هذا التفسير حقاً للرماني يكون معنى ذلك ان الزمخشرى انتحل تفسير الرماني ، ونسبه الى نفسه ، واعتقدان هذا يتنافى مع ما نعرفه من الظروف التي كانت تحيط بالزمخشرى من ناحية منافسيه ومخالفيه في الرأي .

على ان تفسير هذا الجزء يتسم بسمة معادات الاعتزال، ونحن نعرف ان الرماني كان معتزلياً ، فهو ينتهز فرصة تفسيره لبعض الايات ليحملها على تأييد آراء جماعة المعتزلة ، وقد وقـع بعض الباحثين في خطأ الانتساب وأخذ يستنتج استنتاجات لا اصل لها (١) .

موازنة قصيرة بين الطوسي والرماني :

ولاجل ان نرى مدى تأثر الشيخ الطوسي بالاراء اللغوية للرماني نأتي بنماذج للموازنة بينهما :

الرماني ـ من الجزء الاول من تفسير علي بن عيسى النحوي الرمـاني من الوجهة الاولى من القائمة التاسعة من الـكراس الثاني بلفظه اقول : في الرحمن

(١) منهج الزمخشرى في تفسير القرآن ـ تأليف مصطفى الصاوى ، ط القاهرة .

الرحيم يقال لهكرر ذكرالرحمن الرحيم والجواب من ذلك للمبالغة والتأكيد، وللدلالة على ان لله من النعم ما لايفي به نعم منعم ، فجرى على كلام العرب اذاأرادوا الدلالة على المبالغة ، كما قال الشاعر (١) .

هلا سألت جموع كندة يوم ولوا أين أينا

قال الآخر :

كم نعمة كانت لكم كم نعمة وكم وكم

وقال الآخر . . . .

وأنت تقول فى الكلام اذهب اذهب ، اعجل اعجل ، ليدل على الغاية والمبالغة الخ (٢) .

التبيان ـ تكرارالكلام من جنس واحد . وبعضه يجري على بعض . كتكراره فى : «قل يا أيها الكافرون» وسورة المرسلات ، والرحمن . فالوجه فيه : ان القرآن نزل بلسان القوم ، ومذهبهم فى التكرار ـ ارادة التوكيد وزيادة الأفهام ، معروف ، كما ان مذهبهم الايجاز والاختصار ارادة للتخفيف . . . . وقد يقول القائل : والله لأفعله ثم والله لأفعله اذا أراد التوكيد كما يقول : افعله بحذف اللام اذا اراد الأيجاز ، كل هذا يراد به التوكيد ، وقد يقول القائل لغيره:اعجل اعجل، وللرامي ارم ارم . قال الشاعر :

كم نعمة كانت لكم كم نعمة وكم وكم

وقال آخر :

هلا سألت جموع كنـ ـدة يوم ولوا أين أينا

فأما تكرار معنى واحد بلفظين مختلفين ، كقوله الرحمن الرحيم ، وقوله «يسمع سرهم ونجواهم» والنجوى: هو السر ، فالوجه ما ذكرنا من ان عادة القوم تكرير المعنى بلفظين مختلفين اتساعاً فى اللغة .

---

(١) ينسب الى عبيد بن الابرص . راجع ديوان عبيد ص ٢٨ ط اوروبا .

(٢) سعد السعود ، على بن طاووس ص ٢٥٠ ط النجف ١٣٦٩ ه .

الرماني ـ قوله تعالى : «وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم» انما فصل الكفر من النفاق ، مع ان كل نفاق كفر ليتبين الوعيد على كل واحد من الصنفين ، اذ قد يتوهم ان الوعيد عليه من احد الوجهين دون الاخر ، ومعنى هي حسبهم هي كافيتهم فى استفراغ العذاب لهم ، وتقديره هي كافية ذنوبهم ، ووفاء لجزاء اعمالهم (١) .

التبيان ـ وعد المنافقين والمنافقات . . . نار جهنم . . . وكذلك الكفار الذين يتولونهم...فلذلك أفردهم بالذكر ليعلم ان الفريقين معاً يتناولهم الوعيد... وقيل هي حسبهم أي : هي كفاية ذنوبهم ووفاء لجزاء عملهم (٢) .

وهكذاً نرى الطوسي ينظر الى الرماني ، والى آراءه بعين الاعتبار ، فيقول فى «حم» : قد ذكر فيما تقدم ان «حم» اسم للسورة ، وانه اجود الاقوال . قال الرماني وفى تسمية السورة بـ«حم» دلالة على ان هذا القرآن المعجز كله من حروف المعجم لانه سمي به ليدل عليه بأوصافه ، ومن اوصافه انه مفصل قد فصلت كل سورة من اختها ، ومن اوصافه انه هدى ونور ، فكأنه قيل هذا اسمه الدال عليه بأوصافه . . . . (٣) .

وبهذه الموازنة القصيرة اختتم مقالتي هذه ، وأرجو من الله ان يسدد خطانا ويرشدنا الى طريق الهدى ، وأن يوفقنا للقيام بدراسة الاتجاهات المختلفة للشيخ الطوسي ، ومن الزوايا التي لم نكن نعرفها حتى اليوم، ونعني بدراسة منهج الشيخ ومنحاه، دراسة مبسوطة في اللغة والبلاغة، والنحو، والصرف، والقراءات، والادب وهو ولي التوفيق .

---

(١) سعد السعود ، على بن طاووس ص ٢٥١
(٢) التبيان ج ١ ص ٨٤٢ ط طهران ،
(٣) التبيان ج ١ ص ٥٧٩ ط طهران .

الفقه المقارن

المذاهب الإسلامية السبعة
ووجوب الإشهاد على الزواج والطلاق والرجعة
مقارنا بالقوانين الوضعية

« ٢ »

السيد محمد بحر العلوم

١ ـ الاشهاد على الطلاق :

المذاهب الاسلامية ـ غير الامامية ـ لا تشترط « الاشهاد على الطلاق » وان كانت توجبه في عقد النكاح ـ كما تقدم ـ ، بينما الامامية ترى وجوبه ، ولا يتم الطلاق بدونه .

وهذا الاختلاف الواضح في وجهة النظر بين المذهب الجعفري ، وبين بقية المذاهب الاسلامية يعود في اساسه الى الاجتهاد في انصراف القيد في الاية الكريمة ـ كما سيمر علينا ـ الى الطلاق ، أو غيره .

ثم ان الطلاق هل اخذ الإشهاد قيداً فيه على نحو قيود المعاملة الإنشائية ، أو انه اعتبر من الافعال التي يكون الاشهاد طريقاً لاثباتها .

وهذا ما نحاول كشفه في بحثنا التالي .

١ ـ الامامية : لا طلاق الا باشهاد :

اكدت الامامية على وجوب الاشهاد في الطلاق ، واعتبرته ركناً يبطل بفقده الطلاق .

وفي رأيهم ان النص والفتوى متفقان على اشتراط حضور شاهدين حال ايقاعه ، ولو تجرد عنهما لم يقع .

أدلتهم :

واستدلت الامامية على ذلك بالكتاب ، والسنة ، والاجماع .

آ ـ الكتاب :

ذكر سبحانه وتعالى في سورة الطلاق قوله :

«يا أيها النبي اذاطلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم ، لا تخرجوهن من بيوتهن ، ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة ، وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ، لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً .

فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف ، أو فارقوهن بمعروف ، واشهدوا ذوى عدل منكم ، وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر ، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً» (١) .

وفي الاية امر صريح بالاشهاد ، وظاهر الامر ـ في عرف الشرع ـ يقتضي الوجوب ، وحيث ان الاية مسوقة لبيان احكام الطلاق تعين رجوع القيد اليه .

ومن الواضح هنا ان الوجوب وضعي ، لا تكليفي ، ومرده الى ان الطلاق لا يتحقق من دون اشهاد ، لا ان تركه يوجب العقاب مع صحة الطلاق .

قد يقال : ان الاشهاد كما يحتمل ان يكون ركناً في المعاملة ، يحتمل ان يكون من قبيل ما يساق لاثبات الواقعة الخارجية ، شأنه شأن الاشهاد على الدين

---

(١) : الاية ١ ـ ٢

الذي تعرضت له الاية ، فما هو المعين لاحد الاحتمالين ؟

والجواب: ان هذا الاحتمال ـ اعني احتمال اعتباره لاثبات الواقعة الخارجية ـ وان كان ممكناً ،الا انه خلاف الظاهر . لان ظاهر الجمل الجزائية اعتبارها قيوداً، الا ان تقوم قرينة على الخلاف ، كما هو الشأن في آية الاشهاد على الدين .

٢ ـ السنة :

وقبل ان نورد الروايات التي تؤكد على وجوب الاشهاد في الطلاق ، لابد ان نشير الى ان الامامية الاثنا عشرية تعتبر قول الامام المعصوم من آل بيت الرسول الاعظم ، وفعله ، وتقريره ، هو امتداد الى قول النبي (ص) وفعله ، وتقريره .

وعلى هذا الاساس فعند ما نأتي برواية من الائمة العظام فقد أتينا ـ في عرفنا ـ بالسنة النبوية (١) .

والان نورد بعض الروايات التي تؤكد وجوب الاشهاد ، منها :

١ ـ روى محمد بن مسلم عن الامام علي عليه السلام ـ انه سأل رجلا طلق امرأته ـ : «أشهدت رجلين عدلين ، كما امر الله عزوجل . فقال : لا . فقال الامام عليه السلام : اذهب فان طلاقك ليس بشيء» .

٢ ـ وروي عن الامام علي (ع) انه قال : «لا طلاق الا بالشهود . فقال له رجل : ان طلقها ولم يشهد ، ثم أشهد بعد ذلك بأيام فمتى تعتد ؟ . فقال : من اليوم الذي اشهد فيه على الطلاق» .

٣ ـ وعن الامام الباقر (ع) ـ رواه زرارة، ومحمدبن مسلم ـ قال : «الطلاق لا يكون بغير شهود» .

٤ ـ وعن الصادقين (ع) انهما قالا : «وان طلقها في استقبال عدتها طاهراً من

---

(١) لغرض التوسع ، والاطلاع على موضوع «سنة آل البيت من سنة الرسول الاعظم» يرجى مراجعة كتاب (الاصول العامة للفقه المقارن) لاستاذي الحجة الكبير السيد محمد تقي الحكيم (ص ١٤٥-١٨٩) وبحثنا المنشور في مجلة رسالة الاسلام س٤ ص٢٤ - ٢٩ ع ٩ و ١٠

غير جماع ، ولم يشهد على ذلك رجلين عدلين ، فليس طلاقه اياها بطلاق» (١) .
وهناك العديد من هذه الروايات التي تؤكد على وجوب الاشهاد .

٣ ـ الاجماع :

ولقد اجمع الامامية على وجوب الاشهاد فى الطلاق ، وكونه بدونه يقع باطلا،ولم يخالف فيه احد منهم ، بالاضافة الى عدد من اعلام المذاهب الاسلامية .

٤ ـ مقتضى الاصل :

هذا كله مع ثبوت الدليل ، اما مع الشك فالاصل يقتضي عدم صحة الطلاق. اما لاستصحاب بقاء النكاح ، أو لاصالة عدم ترتب الاثر على ما اوقعه من صيغة الطلاق على اختلاف فى كيفية جريان الأصل .

هذه هي ملخص أدلة الأمامية ، كما توصلنا اليها (٢) .

٢ ـ الاشهاد على الرجعة :

ذهب قسم وافر من اعلام المذاهب الاسلامية الى انصراف الامر بالاشهاد فى الآية الكريمة «واشهدوا ذوى عدل منكم» الى الرجعة فقط . وبعضهم صرفه الى الطلاق والرجعة معاً .

والقائلون بانصرافه الى الرجعة فقط ، وقع الاختلاف فيما بينهم ، فمنهم من ذهب الى حمل هذا الامر على سبيل الوجوب ، وبعضهم الى الندب .

وسيتضح فى بحثنا التالي كل ذلك .

---

(١) الروايات من الحدائق كتاب النكاح: ٣٠٦ ـ ٣١٠ والجواهر كتاب النكاح: ٢٩٧ .

(٢) لغرض التوسع فى هذه الادلة يراجع المصادر التالية: الخلاف : ٢/ ٢٢٨ كنز العرفان : ٣٤٠ ؛ الانتصار : ١/ ٧١ ؛ الحدائق : كتاب الطلاق؛ الجواهر: كتاب النكاح.

١ ـ القول بالوجوب :

ذهب الشافعي ، وابن حنبل ـ في احد قوليهما ـ الى وجوب الاشهاد في الرجعة ، وبذلك قال الناصر الزيدي ، وقول للظاهريين كما يقول ابن حزم (١) .

ونقل السرخسي قولاً عن مالك مستنداً الى ظاهر قوله تعالى : «واشهدوا ذوي عدل منكم» ، والامر في الاية محمول على الوجوب .

ثم عقب على هذا بقوله : «في حين ان مالك لا يشترط الاشهاد في النكاح» (٢) .

كما ان محمد بن عبد الرحمن علق ايضاً، على رأي مالك بأن: «ما حكاه الرافعي من ان الاشهاد شرط عند مالك لم أره في مشاهير كتب المالكية ، بل صرح القاضي عبد الوهاب ، والقرطبي في تفسيره بأن مذهب مالك الاستحباب ، ولم يحكيا فيه خلافاً عنه» (٣) .

أدلتهم :

ولقد استدل القائلون بوجوب الاشهاد في الرجعة بعدة ادلة نلخصها بما يلي :

اولا ـ من الكتاب :

آ ـ الاية الكريمة السابقة «**واشهدوا ذوي عدل منكم**» ، بتقريب :

ان الامر بالاشهاد فيها منصرف الى قوله تعالى : «**فامسكوهن بمعروف**» وظاهر الامر يقتضي الوجوب ، لانه اتى عقب الامساك ، ولانه هو المعنى المتبادر من الامر وليس في الاية قرينة صارفة عن ذلك ، ولان الرجعة اقرب الى الامر بالاشهاد من الطلاق فيختص به .

---

(١) البحر المحيط : ٢٨٢/٢ والمبسوط : ١٩/٥ ـ ٢٠ وبداية المجتهد : ٩٢/٢ والمحلى : ٢٥١/١٠ ـ ٢٥٢

(٢) المبسوط : ١٩/٥

(٣) رحمة الامة : ٨٦/٢ هامش ميزان الشعراني .

وبهذا صرح القرطبي ، (١) وعدد من المفسرين . مستدلين بانه ورد بعد هذا الامر قوله تعالى : «واقيموا الشهادة لله» . وعليه فالمستفاد من ظاهر الاية ان الامر فيها للوجوب في الرجعة .

ب ـ قوله تعالى : «ان ارادوا اصلاحاً» (١) والاصلاح يكون بعد تمكن الفساد ولم يتمكن الفساد هنا الا بزوال الاصل ـ اى العقد ـ عند ذاك يتحقق تمكن الفساد بحرمة الوطء، فيحتاج الى اشهاد جديد. وقد اختص بهذا الاستدلال الشافعي (٣) .

ثانياً ـ عمل الصحابي :

فقد روي : «ان ابن عمر لما طلق امرأته صفية بنت ابي عبيد تطليقة أو تطليقتين، فكان لا يدخل عليها الا باذن ، فلما راجعها اشهد على رجعتها ، ودخل عليها» (٤) .

ثالثاً ـ القياس :

ان الرجعة استباحة بضع مقصود ، فلم يصح من غير اشهاد كالنكاح ، وقد أمر الله تعالى بالاشهاد ، ولا يكون الاشهاد الا على القول .

رابعاً ـ الاستحسان :

ان وجوب الاشهاد في الرجعة مبعثه لئلا يموت الزوج قبل ان يقر بذلك ، او يموت قبل ان تعلم الزوجة بعد انقضاء عدتها ، فلا يتوارثان ان لم تعلم الرجعة في العدة .

٢ ـ القول بالاستحباب :

لبعض فقهاء المذاهب الاسلامية اقوال تعرب عن كون الاشهاد في الرجعة

---

(١) تفسير القرطبي : ١٨/١٥٧
(٢) سورة البقرة الاية ٢٢٨
(٣) الام للشافعي : ٥/٢٢٥ ـ ٢٢٧
(٤) السنن الكبرى : ٧/٣٧٣

على سبيل الاستحباب ، ولنستعرض اقوالهم :

قال القرطبي : «قال مالك ، وابو حنيفة ، واحمد ، والشافعي فى القول الاخر ان الرجعة لا تفتقر الى القبول ، فلم تفتقر الى الاشهاد كسائر الحقوق»(١).

وأكد ابن رشد ان هناك قولا لمالك بالاستحباب (٢) .

ونقل ابن قدامه بأنه «قد روى عن أبي عبد الله ـ رحمه الله ـ رواية انه تجوز الرجعة بلاشهادة .

وقد اختار ابو بكر ، وقول لمالك ، وأبي حنيفة ان الشهادة ـ فى الرجعة ـ لا تجب ، لأنها لا تفتقر الى قبول ، فلم تفتقر الى شهادة كسائر حقوق الزوج ، ولان مالا يشترط فيه الولي لا يشترط فيه الاشهاد كالبيع ، وعند ذلك يحمل الأمر على الاستحباب» (٣) .

وقال الشيخ سليمان الجمل الحنبلي: «فان لم يشهد استحب الأشهاد عند اقراره بالرجعة خوف جحودها» (٤) .

ونقل الشيخ مرعي الحنبلي بأنه : «ليس من شروطها الاشهاد ـ خلافاً لجمع ـ بل يستحب ، فلا تبطل لو اوصى الشهود بكتمانها» (٥) .

وقال أبو اسحاق الشيرازي بأن: للشافعي قولا آخر مفاده ان الاشهاد فى الرجعة مستحب ، لانه لا يفتقر الى الولي ، فلم يفتقر الى الاشهاد كالبيع (٦) .

وأكد ذلك الرملي بقوله : «والجديد انه لايشترط لصحة الرجعة الاشهاد عليها. بناء على الاصح أنها فى حكم الاستدامة ، ومن ثم لم يحتج لولي، ولا لرضاها ، بل

---

(١) الجامع لاحكام القرآن : ١٥٨/١٨
(٢) بداية المجتهد : ٩٢/٢
(٣) المغنى : ٢٨٣/٧
(٤) حاشية الجمل على شرح المنهج : ٣٨٧/٤
(٥) غاية المنتهى : ١٧٩/٣
(٦) المهذب في فقه الشافعي : ١٠٤/٢

يندب لقوله تعالى: «فاذا بلغن اجلهن ـ اي قاربن بلوغه ـ فامسكوهن . . . واشهدوا ذوي عدل منكم» . وصرفه عن الوجوب اجماعهم على عدمه عند الطلاق فكذا الامساك» (١) .

اما بالنسبة لابي حنيفة فقد صرح ابن حيان الاندلسي بأنه مندوب عنده (٢) .

واستدل عبد الله بن مودود الموصلي على مندوبيته بقوله : «ويستحب ان يشهد على الرجعة ، لأن النصوص الدالة على الرجعة خالية عن قيد الشهادة ، ولما تقدم انها استدامة للنكاح ، والشهادة ليست بشرط حالة الاستدامة ، وانما استحببناه تحرزاً عن التجاحد ، وهو محمل قوله تعالى عقيب ذكر الرجعة والطلاق ـ وأشهدو ذوي عدل منكم ـ وهكذا هو محمول فى الطلاق أيضاً توفيقاً بينه وبين النصوص الدالة على جواز الرجعة ، ووقوع الطلاق الخالية عن قيد الاشهاد» (٣) .

وكذلك السرخسي يستحسن الاشهاد، فيقول : «واذا أراد (المطلق) ان يراجعها قبل انقضاء العدة ، فأحسن ذلك ان لا يغشاها حتى يشهد شاهدين على راجعتها» (٤) .

ومعلوم ان الاستحسان لايدل على الوجوب، وانما يدل على الاستحباب وصرح المهدي لدين الله ـ وهو زيدي المذهب ـ بأن الاشهاد فى الرجعة مستحب (٥) .

وقال الشوكاني : «وقد ذهب الى عدم وجوب الأشهاد فى الرجعة ابو حنيفة وأصحابه، والقاسمية ، والشافعي ، ـ في أحد قوليه ـ واستدل لهم فى البحر بحديث ابن عمر ، فان فيه انه قال (ص) : «مره فليراجعها» ، ولم يذكر الأشهاد» (٦) .

وبهذا صرح الامامية ، فقد ذهب المحقق الحلي الى الاستحباب (٧) .

---

(١) نهاية المحتاج : ٥٥/٧ ، ومغنى المحتاج : ٣٣٦/٣ .
(٢) تفسير البحر المحيط : ٢٨٢/٨ .
(٣) الاختيار شرح المختار : ١٤٨/٣ .
(٤) المبسوط : ١٩/٥ .
(٥) البحر الزخار : ٢٠٧/٣ .
(٦) نيل الاوطار : ٢٥٣/٦ .
(٧) شرائع الاحكام : ١٨٤ .

وأكد صاحب الرياض : بأن الرجعة تكره بدون اشهاد من جهة الحدود والمواريث والسلطان (١) .

وذهب قسم من اعلام المفسرين من مختلف المذاهب فى حمل الامر بالاشهاد على الندب فى الرجعة .

فأبو بكر الجصاص عند ذكره للاية الكريمة يستدل على عدم وجوب الاشهاد فيقول :

«فأمر بالاشهاد على الرجعة والفرقة، أيتهما اختار الزوج ،وقد روي عن عمران ابن حصين، وطاووس،وابراهيم ، وأبي قلابة : اذا رجع ولم يشهد فالرجعة صحيحة ويشهد بعد ذلك .

قال ابو بكر : لما جعل له الامساك ، او الفراق ، ثم عقبه بذكر الأشهاد كان معلوماً وقوع الرجعة اذا رجع ، وجواز الاشهاد بعدها ، اذ لم يجعل الاشهاد شرطاً فى الرجعة .

ولم يختلف الفقهاء فى ان المراد بالفراق المذكور فى الاية ، انما هو تركها حتى تنقضي عدتها ، وان الفرقة تصح وان لم يقع الاشهاد عليها ، ويشهد بعد ذلك ، وقد ذكر الاشهاد عقيب الفرقة ، ثم لم يكن شرطاً فى صحتها كذلك الرجعة .

وأيضاً لما كانت الفرقة حقاً له ، وجازت بغير اشهاد ، اذ لا يحتاج فيها الى رضا غيره ، وكانت الرجعة ايضاً حقاً له ، وجب ان تجوز بغير اشهاد .

وأيضاً لما امر الله بالاشهاد على الامساك ، او الفرقة احتياطاً لهما، ونفيا للتهمة عنهما اذاعلم الطلاق ولم يعلم الرجعة أولم يعلم الطلاق والفراق فلايؤمن التجاحد بينهما ولم يكن معنى الاحتياط فيهما مقصوراً على الاشهاد فى حال الرجعة والفرقة، بل يكون الاحتياط باقياً،وان اشهد بعدهما وجب أن لا يختلف حكمهما اذا أشهد بعد الرجعة بساعة أو ساعتين ولا نعلم بين أهل العلم خلافاً فى صحة وقوع الرجعة بغير شهود ، الا شيئاً يروى عن عطاء ، فان سفيان روى عن ابن جريح ، عن عطاء قال : الطلاق ،

---

(١) الرياض : كتاب الطلاق .

والنكاح ، والرجعة بالبينة . وهذا محمول على انه مأمور بالاشهاد على ذلك احتياطاً من التجاحد ، لاعلى ان الرجعة لا تصح بغير شهود ، ألا ترى انه ذكر الطلاق معها ، ولا يشك احد في وقوع الطلاق بغير بينة . وقد روى شعبة عن مطر الوراق ، عن عطاء ، والحكم قالا : اذا غشيها في العدة فغشيانه رجعة (١) .

وذهب الالوسي بأن الامر في الاية للندب،كما في آيةالاشهاد على البيع (٢) .

اما بالنسبة لرواية عمران بن حصين ـ عند ما سئل عند رجل طلق امرأته ولم يشهد ، وراجع ولم يشهد ، قال : طلق في غير عدة ، وراجع في غير سنة ، فليشهد الان فقد علق الماردينى عليه بقوله :

ظاهره ان الاشهاد ليس بواجب ، لانه جعله مراجعاً ، وان ترك السنة . قال الطحاوي ولا نعلم له مخالفاً من الصحابة،وروي بسنده عن ابراهيم ، والشعبي قالا : اذا جامع ولم يشهد فهي رجعة، ومعنى قوله تعالى : «فامسكوهن» اي راجعوهن ـ و«أو فارقوهن» اي خلوا عنهن حتى يبن منكم «بمعروف» فينكحن من بدا لهن . ثم قال تعالى : «وأشهدوا» أي على هذين الفعلين . قال ابن عباس : اراد الرجعة والطلاق ذكره ابن عطية في تفسيره . والاشهاد على الطلاق ليس بواجب ، فكذا الرجعة ، والامر بالاشهاد للندب ، كقوله تعالى : «واشهدوا اذا تبايعتم» «فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم» (٣) .

وحكى الموزعي في تيسير البيان ـ كما نقله الشوكاني ان « قول عمران بن حصين لا يصلح للاحتجاج ، لانه قول صحابي في أمر مسارع الاجتهاد ، وما كان كذلك فليس بحجة» (٤) .

---

(١) أحكام القرآن : ٣/٥٦٠ .

(٢) تفسير روح المعانى : ٢٨/١١٨ وتفسير روح المعانى للبروسوى : ١٠/٣٠ .

(٣) الجوهر النقى : ٧/٣٧٣ هامش السنن الكبرى .

(٤) نيل الاوطار : ٦/٢٥٣ .

٣ ـ الاشهاد في الطلاق والرجعة :

وذهب قسم من اعلام المسلمين الى أن الامر بالاشهاد منصرف الى الطلاق والرجعة معاً وجوباً .

قال ابن حزم: ان الله سبحانه لم يفرق في الاية بين الرجعة والطلاق في الاشهاد فلا يجوز ـ والحالة هذه ـ افراد بعض عن بعض ، فمن طلق ، أو راجع ، ولم يشهد ذوى عدل كان متعدياً لحدود الله تعالى (١) .

أدلتهم :

ولقد استدلوا بجملة ادلة اهمها :

اولا ـ المستفاد من الكتاب :

آ ـ ان الظاهر من سياق الايتين الاوليتين من سورة الطلاق ان الامر بالاشهاد في قوله : «واشهدوا» راجع الى الطلاق ، والرجعة معاً ، ولا ينصرف الى احدهما الا بقرينة ، ولا قرينة هنا تصرفه عنهما ، بل القرائن في الاية تؤيد حملة عليهما معاً.

ب ـ واستفاد ابن عباس هذا المعنى من الاية الكريمة ، قال : « ان أراد مراجعتها قبل ان تنقضي عدتها أشهد رجلين » ، كما قال الله تعالى :

« **واشهدوا ذوى عدل منكم عند الطلاق ، وعند المراجعة** » (١) .

معتقداً ان أثر الاشهاد فيها «يرفع عن النوازل اشكالا كثيرة» (٢) .

وروى ذلك السدي ، وعطاء ، ولا يمكن التخلف فيها ، الا عن عذر على حد رأي عطاء (٣) .

---

(١) المحلى : ١٠/ ٢٥١ .

(١) تفسير الطبرى : ٢٨/ ١٣٧ .

(٢) تفسير البحر المحيط : ٨/ ٢٨٢ .

(٣) راجع التفاسير التالية : الطبرى : ٢٨/ ١٣٧ وابن كثير: ٤/ ٣٧٩ والدر المنثور: ٦/ ٢٣٢ .

ثانياً ـ المستفاد من السنة :

هناك روايات متعددة تفيد هذا المعنى ، فقد ذكر مالك عن ربيعة بأن من طلق امرأته فليشهد على الطلاق والرجعة (١) .

ورواية عن ابن المسيب في نفس المضمون (٢) . كما تقدمت رواية عمران ابن الحصين التي تصرح بذلك (٣) .

ثالثاً ـ الاستحسان :

آ ـ ان الطلاق عمل استثنائي يقوم به الرجل وحده ـ وهو أحد طرفي العقد ـ سواء وافقته الزوجة أم لا ، ويترتب عليه حقوق للرجل على المرأة وحقوق للمرأة على الرجل ، وكذلك الرجعة لانها في حقيقتها طلاق وعودة ويخشى فيهما الانكار من احداهما ، فاشهاد الشهود يرفع احتمال التجاحد ويثبت لكل منهما حقه قبل الآخر .

ب ـ ثم ان كلا من الطلاق والمراجعة من غير اشهاد تعد لحدود الله ، فقد أمر بالاشهاد على العقود والايقاعات ، فما الذي صرف الطلاق والرجعة عن هذا الامر؟

رابعاً ـ الاجماع :

فلقد ادعى الاجماع على وجوب الاشهاد فيهما من غير تحديد على أحدهما .

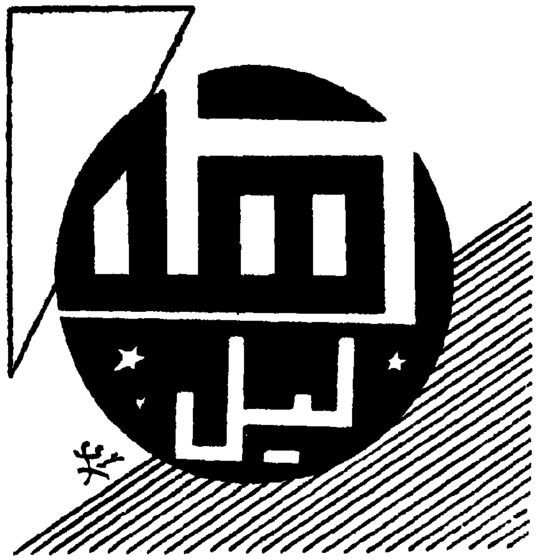
للبحث صلة

---

(١) المدونة الكبرى : ٥/٧ .

(٢) نفس المصدر : ٥/٨ .

(٣) راجع : السنن الكبرى : ٧/٣٧٣ والمنتقى من اخبار المصطفى : ٢/٦١٧ والمدونة : ٥/٨ .



علي السيد محمد ـ بغداد

هدأ الناس فى سواد «ليلة العيد» وتلا"لا"ت المصابيح ضاحكة مستبشرة، وغط الصغار في نوم جميل استعداداً لصبح سعيد ، وانتهت الأمهات من تهيئة ملابس الصغار الجديدة .

ساعات ، وتطل صحوة الفجر تحمل على اجنحتها الأثيرية اجمل الأحلام ، وأزهى الامال ، تطرز حلي يوم تنتظره القلوب بلهفة ، وتزغرد العيون شوقاً له طيلة عام .

ساعات ويتهادي الشفق الوردي يفرش ابتسامته العذبة ارجوحة تتطاير فيها ملايين القبلات تهنئة وفرحة ، وتتلاقى عليها أذرع الاحبة بهجة وحبوراً .

ساعات وتلملم النجوم غرورها لاشراقة شمس «العيد» تداعب الهمسات الوادعة فى محاجر العشاق ، وتدغدع لهاث الندى فوق صدور الورود ، وتهدهد نفحات الياسمين فى الروابي الخضراء.

ساعات تمر ، وعيني مشدودة اليها، ارقب حركاتها، اسير مع خطواتها التهب مع دقاتها ، أتلوى على ثوانيها . .

قلبي يرف كلما دنا الفجر، أحزاني تلهث كلما غابت نجمة ، ذكرياتي تستعر كلما خطت السماء الى الصبح ، آهاتي المعذبة تنفر هائمة من صدري المرهق

كلما لاح فى الأفق نور .

كل الناس بانتظار فرحة العيد عند مايرقص الصباح على عتبة الدنيا ويجتمع شمل العوائل على وهج المسرات .

أنا وأمثالي .. لم تمتدهذه الليلة الى الافق، الأو امتدت معها منا حزم من الآهات الحزينة . . ولم يشرق صباح غد ، الا وتهطل معه على قلوبنا المتصدعة اللوعة والالام .

لم تغف عيني . . كلما بذلت الجهد في ان تخلد الى الراحة ، ازدادت يقظة وضجت حسرة . أنا وعيوني فى صراع عنيف .. أنا وأفكاري فى التماس ورجاء انتهدأ، مهما حاولت ان اتناسى الذكريات فشلت . . وراح الاحساس بالغربة يجثو على ذهني تماماً كحارس لايرغب مفارقتي ، ولا يترك واجبه .

وخضعت، وركضت بي الافكار عبر الفيافي والقفار ، وانتبهت حيث بيتي الذي لم أره منذ سنوات .. هاهي الباب الحلوة التي أعشب عليها الزهو والشروق زمناً ليس بالقصير .. دفعتها بيد مرتجفه أخشى ان احدث فيها ما يثير أهل البيت في سواد هذا الليل البهيم .

ياروعة الذكريات .. كم ناغيت هذه الباب فى هدوء الليل، واشراقة الصباح وتلمست أخشابها الحلوة وهـي تفتح اضلاعها لتضمني بعطفها . .

يالهفة اللقاء مع هذا الدرب الجميل الذي احسبه ـ وهو على هيئته القديمة ـ الطف طريق فى ضمير الحياة .

تسللت الدار على اطراف اصابعي، اوزع نظراتي المروعة هنا وهناك اتسلق الشبابيك، ازحف الى الاعشاش ، يخفق قلبي كلما تقدمت بي الخطوات . .

وتنساب دموعي بدون ارادتي . . ابداً لا اسمع صوت أحد . . كل ليلة عيد لا يستقر البيت استعداداً لاطلالة الصباح . . أما الليلة فالأضواء خافتة ، والصمت مخيم، ولا حركة ولا ضجيج.

وانساب لي بصيص نور ضعيف من احدى الغرف ، فتوجهت اليه ، وكأني عثرت على كنز ، ومن خـلال شقوق الباب لمحت اسرتي . . زوجتي الطيبة وبضعة براعم . . شتلات قلبي ، قناديل حبي . . ولأول وهلة حسبتهم نيامـاً ، لكنما دققت النظر فوجدتهم في يقظة غير ان الصمت يخيم عليهم، واللوعة ترتسم

على وجوههم .

جاء عيد ، وذهب عيد ، وهذا العيد الرابع ، وأبوهم عنهم بعيد في الغربة.. وطال بهم الانتظار، وطال بهالاغتراب.. ومنذ ذلك الحين والبيت لم ترف عليه ظلال عيد .

شيء رائع ان ألتقي بهم ، وحاولت ان ألقي بنفسي عليهـم ، فتحت يدي لاحتضنهم،وازداد اضطراب قلبي،وانهالت دموعي . . ما أجمل هذه العيون البريئة التي تزرع نظراتها في الطريق بأمل العودة .. ما أطيب هذه القلوب الطاهرة التيتنتظر عودة حبيبها بكل فارغ صبر. وهويت من على السرير،وانتبهت لنفسي واذا أنا في غرفتي اعاني مرارة الوحدة القاسية ، وأعيش مأساة الغربة القاتلة ، لا شيء.. تبين لي خلاف ما كنت اسرح فيه ، انه محض خيال ، في خيال . .

وأغمضت عيني بعنف ، وحاولت ان ألملم الخيـال الذي كنت اعيشه من قبل لحظات ، انه جميل للغاية . . ولو انه خيال ولكن هيهات . فقد عز علي ـ هو ايضاً ـ وطويت نفسي من جديد ، اجمع طيوف الاحبة لأسرح متنعماً بها، ابحث عنعبيرأزهاري لأحيا فيروعتها يالهفة اللقاء ، وهو يجثو سراباً على قمة الآمال .

وتسربت خيوط الفجر الى غرفتي ، ونفرت من اعماقي آخر آهة في هذه الليلة تشقطريقها اليالاجواء كأنها بركان تمزقاشراقة العيد،وتثقل احلامه بالاسى واللوعة .

وسيمر العيد ، وأنا لا أعراف عنه الا الصدى الساخر ، ولا أتذوق منه الا مرارة الشقاء ، ولا أتحسس فيـه الا ما يتحسسه آلاف من امثالي ، ممن لم ينعموا بعيد ، ولم تزغرد عيونهم لبهجة العيد .

والعيد طبعاً في « بلادي » للمالكين رقاب الناس بالنار والحديد ، والسجون والارهاب..اولئك السعداء والمتنعمون. اولئك ملاك العيد وتجاره . . ولكنها سحابة صيف لابد أن تنقشع.

ولم تغرب ذكريات أحبتي،بل بقيت تجرح خاطري ، وتحرق نفسي ، وهي تستعرشموخاً كلما تقارب صباح العيد..

من حياة القادة

(٣)

أهل البيت

انسانية فذة.. وعطاء خالد

الشيخ محمد علي التسخيري

عرض لما سبق

لماذا التفضيل ؟

الاطار السامي للعمل الانساني ومقوماته

الاخلاص

العقائدية

الواقعية

التناسب السلوكي

النتيجة

عرض لما سبق :

قلنا في مجال هذا الموضوع : أنه توضحت منذ فجر التاريخ الانساني الاول

مسيرتـان :

احداهما : تتجلى فيها معطيات الهداية ، والاخرى : تتجلى فيها معالم التراجع الانسانى وكان الصراع المر العنيف بين الحق والباطل . ووقف على التاريخ أناس اختلفت مشاربهم ومشاعرهم ، وكل يهدف الى شيء . وكان اوفق هؤلاء بالواقع من إستجلوا فيه صفات الانسان . واستعرضنا التناسب المطرد بين سمو الهدف والطاقة العاملة له ، وقلنا ان ربط الامة بأهل البيت (ع) يكشف عن سمو نفسياتهم ايضاً ، مما أوجد هو وغيره في النفوس تقديساً يسمو على التشكيك. ثم استعرضنا الآثار السيئة للتحريف وجانبي الأفراط والتفريط فيه والضمانات التي قدمها الأسلام ليحفظ وجوده من بليتها وخصوصاً وجوده المتمثل في قادته،وقلنا: أن من نتيجة التحريف نظرة البعض اليهم في ظلام التقليد الاعمى، مما أهوى بالخلاف الفكري النقي الى وهدة الصراع العملي البغيض. وأخيراً حللنا ظاهرة القتل والسم في حياتهم(ع) والآن لنلاحظ هذا التساؤل:

لماذا التفضيل ؟

لماذا التفضيل ؟؟ سؤال يطرحه بعض السطحيين فيقول : كثيرون . . اولئك الذين قدموا على الصعيد العام خدمات جلى . . اولئك المخترعون الذين قضوا حياتهم في سبيل العلم والرقي الانساني . . اولئك المكتشفون الذين ركبوا المصاعب سفيناً ، تمخر بهم عباب مجاهيل الارض . . القطبين المهولين . . الصحاري العريضة الجرداء . . . الغابات الكثيفة . . حتى خرجوا للانسانية بأعظم النتائج الاكتشافية ورسموا للانسان صورة ممهدة ، ودلوه على منابعه الاصيلة . . . اولئك القادة العظام

الذين وهبوا وجودهم لقضية الامن البشري ، والسلام العالمي ، فنالوا جوائز نوبل . . اولئك الكتاب الذين حملوا حروفهم مشاعل ثقافة.. وهكذا اولئك الفنانون الذي رسموا الجمال في أحداق الانسانية ، والطرب المبدع في قلوبها الظمأى اليه . . .

فلماذا التفضيل؟ ولماذا تكون فئة اتصفت مثل اولئك بصفات انسانية جليلة ، ولها معالم أخلاقية عالية . . لماذا تكون افضل من هؤلاء لابشيء من الفضل فحسب ، بل بشوط بعيد المدى من مراتب التفضيل والتعظيم ؟ ؟ !

وواقع الامر أن المسألة ليست مسألة خدمات مجردة تقدم للانسانية هكذا وبصورة جافة أولا ، وأن الامر الذي ذكر لم يكن معبراً عن كل أجزاء الصورة التي قدمت لتلك الشخصيات السالفة ثانياً .

كلا عزيزي القارىء . .

ولو كان الامر كذلك ، لوجب على الانسانية أن تمجد بعض الالات الضخمة أداء ونتاجاً ، وبعض الحيوانات التي تقوم على وجودها حياته لا لشيىء الا لمجرد خدماتها ! ! هذا اذا لم نعل قليلا ، فنجد أن الشمس والقمر والتناسق الكوني كل منها بمفرده يقدم لنا خدمات تعدل كل الخدمات المتصورة لهؤلاء الأفراد ، ولكنا لم نجد صوتاً واحداً واعياً يفضل تلك المعطيات ، ويمنحها جوائز نوبل للسلام ، ويرى أنها أفضل من انسان واع عامل . بل ان الاسلام بقرآنه العظيم يصرح بأن الكون الذي نعيشه مسخر لصالحنا تماماً ، وأنه مجرد طريق لبلوغنا مرتبة الكمال المتمثلة في العبودية التامه ، والعبادة الشاملة من قبل الانسان .

ففي الامر عناصر مقدسه يجب أن تؤطر الخدمات المقدمة ، لترفع العمل من مجرد خدمة الى عمل انساني أرفع بكثير من مرتبة الخدمة .

وكثيراً ما قيل وصدقنا ، ورددوا ورددنا ـ كالببغاوات الاصيلات ـ أن فلاناً رجل الانسانية العظيم ، وأن فلاناً أتحف الكون بكذا من العطاء . . انه أنشأ مستشفى في مجاهيل افريقيا ، ليداوي المساكين ـ قربة الى الله ! ، انه حقق في المنابع الفكرية

للبشرية ، وخرج علينا بنقد نزيه جداً لها . . . وهكذا .

وبنينا في مخيلتنا ـ صغاراً وكباراً ـ هياكل لتقديس تلك الشخصيات المثلى ثم نقلناها من المخيلة الى الواقع كتماثيل مجسدة ، تمجيداً لتلك الخدمات الجلى.

ولكن ما أن توضحت للعقل معالم الحقيقة، حتى هوى بناء (الكارتون الورقي) وتبدّت من ورائه ذئبية كاسرة . . وسبعية مقيتة . . وشره ونهم مخاتل .

كم مجدت اوربا نفسها بكل أساليب التمجيد . . وقرعنا لذلك التمجيد طبولا جوفاء رنانة ؟ انظروا أيها الناس الى المصانع الكبيرة ، والمنتوجات الكثيرة ، والرقي والمخترعات ، ثم ماذا كانت الحصيلة للبشرية ؟ انها لم تكن الا امتصاص دماء الشعوب الضعيفة ، والا المسيحية الكنسية المقنعة تحاول أن تثأر لقتلى القرون الوسطى فتتبع شتى الاساليب لتضليل الاخرين، والا الاستغلال الشرس لخيرات البلدان الفقيرة الغنية بالخيرات .

وسخرت لذلك الكثير من المخترعين الذين لم يعملوا لمصالح شخصية فحسب بل عملوا لمصالح طبقة كل وجودها أن تظلم الانسانية ، وتبخسها حقها .

فكم من العلماء اليوم ـ وهم يعدلون كل علماء الانسانية خلال حياتها فى المجالات التجريبية ـ كم منهم يصنعون الدمار للارض ، ويحفرون للبشرية قبرها الذري التقدمي ؟ !

وكم من الرحلات الاستكشافية ـ الانسانية النبيلة جداً ـ أعقبتها حملات ماحقة أحرقت القرى ، ودكت حتى أطلالها في سبيل سوق الناس عبيداً لاوربا الانسانية الخيرة ! ! .

كم من هؤلاء الذين نالوا جوائز السلام من لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً.

وأخيراً كم ممن ادعوا أنهم جاؤا لاصلاح التاريخ البشري وارجاع المسيرة الانسانية الى خطها الواقعي ، بل وحتى من دعاة الاصلاح فى التاريخ الاسلامي كم من هؤلاء من انكشف أمرهم بعد لأي،فاذا بهم يرتبطون بتشكيلات مشبوهة مغرضة.

اولئكم قادة الشيوعية الذين جاؤوا ليرسموا في عيون الجماهير الكادحة جنتهم

الموعودة في الارض حيث يكون الانسان نزيهاً لحساب مجتمعه تماماً . وتعاورت الامور، وتكشفت الفضائح التي تزكم الانوف من قادتهم اولاء ، فتوالت الاعدامات واستحكم الستار الحديدي الخانق حول الشعوب ، وذاقت من ذلكم الامرّين .

أظن أن الامر يخرج بنا عن اطار البحث العلمي في مجلة لو استعرضنا الامر بصورة اكثر استيعاباً ، فنكتفي بهذه الاشارات المركزة .

والحق أن عملا واحداً يقدمه رجل يحب الانسانية على أساس عقائدي ، فيعمل لصالحها ، ويتفانى لأجلها ، لهو أقدس في نظر الانسان من رجل يصعد الى القمر ليتخذه منطقة نفوذ ـ مثلا ـ ، فكيف بالعمل الذي قدمه النبي (ص) والائمة الطاهرون ، والذي استهدف بناء الهيكل البشري الرصين ، وبث الروح المتكاملة فيه ، ونفي كل الشوائب والعقبات التي تحطم المعنويات ، وتتخم الوجود بالفراغ والانحطاط .

الاطار السامي للعمل الانساني :

يمكن ان نحدد مثل هذا الاطار بتوافر عناصره الاصيلة ، وأهمها ما يلي :

١ ـ الاخلاص :

أي الاخلاص للخط الانساني. وأعني به أن تكون الاهداف كلها منشدة بالهدف الانساني الاصيل : (الكمال بمختلف جوانبه) ، وأن تسمر الاحداق بذلك الهدف التاريخي الاكبر ، وأن يكون كل سلوك متخذاً طابع الهدف ، وسائراً وفق ما يقتضيه. فالاخلاص روح كل عملية وسلوك، فان تجردا منه فهما ميتان ينخر فيهما العذاء للانسانية نفسها وبلا شعور احياناً كثيرة ، وان بدا منهما عطاء وفير .

ولذا نجد ان الانسان يقدر جندياً فرداً انطلق يحمل قلبه على كفيه وتدفعه مبادؤه لخوض المعركة ، مجاهداً في سبيلها ، ولكنه لم يوفق في مسعاه ، فكبا في اول

الطريق ، وقتل بالرصاصة الاولى ـ نجد الانسان يفضل هذا على قائد كبير ، فتح الكثير من الافاق واذل الكثير من الاعداء ، ولكنه كان من المرتزقة الطوافين .

والفرق واضح جداً بين الشخصين ، اذا كان عمل الجندي يعبق بأريج الاخلاص للمبادىء في حين كان عمل القائد خلواً من روحه الحقيقية .

فالاخلاص اذن لا يرتبط بالنتيجة، بل هو كيان بوحده قائم تقاس اليه قيمة العمل انه الذي يشد الاخرين الى الشخص ، وعلى أمله تصفق الامة للقائد ، ويعطي الصوت للنائب بل ويمشي صديق الى جنب صديق ، ويتعامل فرد مع فرد آخر ، ومع فقدانه المعبر عنه بفقدان الثقة ، فالمضاعفات التي لا تحصى تمزق كل العلائق ، وتذيب كل النظرات الخيرة .

والذي أمات التقييم للاشخاص الكبار ـ آنفي الذكر ـ أنهم عملوا ما عملوا مستهدفين خيرهم وحدهم ، أو خير اممهم فقط ، مفضلين المصلحة الاقليمية الضيقة ناظرين اليها أولا وبالذات .

وهناك من يعمل ويفكر تفكيراً يتقاضى عليه اجراً من شركة فيخترع شيئاً ما ، فهل لنا حينذاك أن نظل في محراب عظمته واجمين مقدسين ؟

ب ـ العقائدية :

فقد يحصل الاخلاص لخدمة الانسانية ولـكنه اخلاص ساذج لا يملك اساساً رصيناً ، وهدفاً واضحاً ، وطريقاً ما بينهما لاحبا .

ان مثله حينذاك مثل الحيوان الوفي الـذي يحرس صاحبه مخلصاً ويتفانى في سبيل ذلك دون أن يعي مايعمل، ويطلع على اهداف ذلك العمل ، وقد يؤذي صاحبه في حالة من حالات حرصه على راحته فينبح ضيفاً ، ويجرح عزيزاً وغير ذلك .

اننا نريده عملا يمتلك خلقية دافعة تهيىء نفسية العامل واحساساته وتخلق في نفسه الدوافع الدائمة لـه ولتطويره وتحسينه ، وحينذاك نضمن أن يقوم العمـل بكل خدمة

متوقعة للهدف دون أن يتعدى عليه من الجوانب الاخرى .

فالعقائدية ـ تعني فيما تعني ـ وجود النظرة التحديدية لمركز العامل من كل شيء وتركز هذه النظرة في اعماقه بحيث تخلق فيه طاقة حركية فعالة .

والاخلاص يجب أن يبنى على أساس ذلك الموقف المحدد من الحياة والطبيعة والذي يتبعه فكر حصيف ، ومن ثم تتأصل في الاعماق فكرة عن المنطلق والمسير والهدف . . وبتوضح هذه الفكرة يتفانى الانسان تفانياً واعياً لها، ولايهمه ما يصادف في الطريق من عقبات ما دام الهدف يلوح له من بعيد .

ومع انعدام العقائدية فان ذلك يعني الارتجالية والسطحية القلقة والخسران أحياناً كثيرة . ولن يكون هناك انتاج انساني مادامت هذه هي مقدماته .

ج ـ الواقعية :

ومع فرض حصول الاساسين السابقين فاننا نحتاج الى هذا الاساس الاخر اذ قد تحصل الاخلاص للقضية مبنياً على أساس عقائدي معين، ولكن العيب يكمن في العقيدة ذاتها حينما تكون في عالم خيال محض لاتمتلك أي رصيد من الواقع ولاتصلح للتطبيق المنتج ، بسبب تقصير في مجال الاستطلاع، وأشياء وهمية فرضت كمبادىء حقيقية وحينها فلا ينسجم الهدف والمنطلق والطريق بينهما مع الهدف الواقعي . وحينها ينفع التناقض بينه وبين الواقع .

ولن يستطيع فكر أو عمل أن يقف في وجه قوانين الواقع مهما بلغا من شأن. وانه لن يكون الا كذلك الطاغية المتفرعن الذي اراد أن يطلع الى اله موسى بمركبة بشرية ويقضي عليه بسهم تائه .

ولأجل التدليل على هذا، فلنفرض انه اخلص لعقيدة مادية رافضاً ماعداها من افكار ، فعمل على تأليه المادة المتمثلة في أي شيء، وبنى حضارة مادية صرفة وكيف الاشياء كلها لهذا الهدف طارحاً كل ما عدا ذلك من عقائد الهية وأخلاق تبنى عليها

ومشى يتخطى كل مقدس فى هذا السبيل فما هي النتيجة ؟

ان أقل مايقال فى نتائج هذا العمل انه خلاف الواقع الانساني وذلك، لانه يخدم كماله المادي فقط ـ لوتجاوزنا عن أخطائه الكثيرة الأخرى ـ ويرجح كفة الجانب المادي فى الانسان تماماً في حين أن الجانب الروحي المعنوي أصيل فى الانسان لن ينكره أحد وجدانه وان أنكر استدلالا وعملا ، وسيبقى هذا مهملا ليموت التوازن المطلوب بين الروح والجسد وينتج بالتالي ذلك الانسان القلق الحائر ليذوب فيه نفس الاساسين الاولين أيضاً ، وهذا ما لا يقبله أي عاقل .

وحينها فيكون أقل وصف يعطى لأي عمل فى هذا السبيل أنه عمل غير انساني وان كان في ظاهره يخدم الانسان .

ولكم هو غريب من بعض كتابنا الكبار طبعاً غير الواعين ـ غريب منهم ان يدعوا لتقديس أي انسان قام بعمل بغض النظر عن فلسفته الواقعية !

نحن نسأل هؤلاء هل لكم ان تقدسوا رجلا يعيش ارضكم ويخدم عدوكم الذي يذبح أبناءكم كل يوم لا لشيء الا لأنه اخترع آلة أو صنع سفينة صعد بها الى الاعالي فامتلك السيطرة الجوية ، وكشف كل تحصيناتكم ؟ هل يقدس هؤلاء اخذ يمتلك ذرة من وعي ؟

وهذا يرينا كيف ان الحضارة الغربية أفسدت الانسان كثيراً ، حينما تصاعدت بالعنصر الحيواني فيه .

د ـ الانسجام والتلاؤم بين كل انواع السلوك بما يحقق وحدة سلوكية .

وأعني من وضع هذا الاساس أنه قد يوجد الشخص الذي يحمل في اعماقه تلك الاسس السابقة جميعها ـ ولكن في خصوص مجال واحد أو اثنين في حين يتناقض مع نفسه وصفته فى المجالات الاخرى .

أن مثل هذا الشخص لا يستحق ان يعطى لقب (الانسان) حتى في حدود تلك الصفة التي جمعت اسس السلوك الحي ، اذ ستحبط اعماله الاخرى ما تنتجه تلك الصفة ، وذلك السلوك ، وبالتالي قد تلاقي الانسانية منه الوبال الكثير .

النتيجة :

وهكذا عزيزي القارىء ـ حاولنا ان نصور لك الجو المناسب للعمل الانساني الناجح ، وعلى ضوء ما تقدم يمكن ان نجد علة التفرد ـ الى جنب غيرها من العلل الذاتية ـ لأهل البيت (ع) بالانسانية الفذة والعطاء الخالد .

وسنقوم ان شاء الله في العدد القادم باعطاء توضيح في هذا المقام مقام التطبيق على سلوكهم (ع) فنجد أن الاخلاص العظيم يتمثل فيهم نابعاً من عقائدية حولتهم الى اسلام متجسد يمشي على الارض ـ بشهادة التاريخ كما سيأتي .

أما الواقعية فهي نابعة من كون الاسلام دين الفطرة وقوانينه هي الوحيدة التي تلائم القوانين الطبيعية ، وتنمى الانسان في اطار من هذه الملاءمة .

كما سيتضح ذلك الترابط لا بين سلوك كل امام عظيم منهم فحسب ، بل بين كل انواع السلوك التي قاموا بها، وربوا اتباعهم عليها ، كما ورد في دعاء شريف علمه الامام اميرالمؤمنين (ع) لاحد خواصه ، وهو كميل بن زياد ـ على ما روي ـ يقول فيه :

«أسألك بحقك وقدسك، وأعظم صفاتك، وأسمائك أن تجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة ، وبخدمتك موصولة ، واعمالي عندك مقبولة ، حتى تكون اعمالي واورادي (وارادني) كلها ورداً واحداً ، وحالي في خدمتك سرمداً » .

والى اللقاء . . .

جامعة جندي شابور

الدكتور محمد محمدي

رئيس كلية الالهيات والمعارف الاسلامية جامعة طهران

ترجمة: نزار الحسيني لبنان

جندي شابور مدينة كانت تقع في الشمال الغربي من خوزستان ، وبالتحديد ما بين (شوشتر) ، وخرابات (شوش) ، وهو المكان الذي اصبح يعرف في عصرنا الحاضر بـ (شاه آباد) (١) .

ومع أن هذه المدينة كانت عاصمة لبعض الملوك الساسانيين ، ومع ان اسمها قد ورد في عدة حوادث تأريخية ، الا انها اكتسبت شهرتها من المدرسة والمستشفى اللذين كانا فيها . وهما المؤسستان اللتان كانتا ــ ولعدة قرون ــ من أكبر المراكز العلمية والطبية، بل لقد كانتا في بعض الفترات اكبر مؤسستين من نوعهما في ذلك العصر.

ولقد اطلق عليهما (سارتن) في كتابه النفيس (مقدمة لتاريخ العلم) اسم الجامعة كما اطلقها بعض المحققين الاخرين على هذا المركز العلمي، والطبي (العلاجي) (٢).

واذا جاز لنا ان نفعل كما فعل (سارتن) فنطلق هذا الاسم ــ الحديث ــ على

---

(١) Rawlinson, journal of the royal Geography society, IX, 42.

(٢) Sarton, introduction to the history of seicnce, 432 .

مؤسسات القرون الوسطى فلا شك أن مؤسستي جندي شابور (مدرستها ومستشفاها) هما أحق تلك المؤسسات بهذا الاسم، وهذا هو السبب الذي دعانا الى اطلاقه عليهما كما يلاحظ ذلك من عنوان المقال .

ان أقدم من حكم هذه المدينة ـ كما هو معروف ـ هو شابور الاول وهو الملك الساساني الذي جاء بأسرى الروم الى مدينة جندي شابور وأسكنهم فيها ، فكان ذلك سبباً في عمرانها وازدهارها .

ولم يكن الايرانيون ـ كما ذكر المؤرخون ـ يفعلون بأسرى الحرب ما كان متعارفاً آنذاك من استعبادهم وجعلهم في معرض البيع والشراء بل كانوا يجعلونهم في أماكن خاصة يعملون فيها ـ اجباراً ـ مختلف الاعمال العمرانية والحياتية .

ولهذا اسكن داريوش الكبير أسرى (أزتري) في خوزستان كما أن (أرود) الملك الاشكاني قد أسكن أسرى الروم في نواحي (مرو) لهذا السبب نفسه أيضاً. ولقد عد تنسر في كتابه (نامهٔ تنسر) من جملة الأعمال الحسنة التي قام بها (أردشير) هو أنه لم يستعبد السبايا ويستعملهم في بناء المدن وتعميرها (٣) .

* * *

كانت مدينة انطاكية في عهد الساسانيين من اشهر المدن الرومية ، وأكثرها عمراناً وازدهاراً .

وعندما تغلب شابور على الروم وظفر بهم خصص للأسرى مكاناً يسكنونه وسماه (اونديوشابور) (وه ـ انديو ـ شابور) ومعنى هذه التسمية كما يقول حمزة الأصبهاني: (المدينة الاحسن من أنطاكية) .

ولفظ أنطاكية هو الاسم العربي للمدينة الرومية المشهورة، التي كانت معروفة في العالم القديم بعظمتها وجمالها . أما الاسم الاصلي لها فهو: (أنديو) أو (أنتيوس) وهي تعرف الآن في اللغة الفرنسية بـ (أنتيوش – antioche) .

وبمرور الزمن تحورت كلمة (وندیو شابور) الى (گندیو شابور) ثم عر

---

(٣) رسالة تنسر ، طبع مينوى طهران ١٣١١ صفحة ٤١ .

بعد ذلك فصارت جندي شابور (٤) .

هذا وقد بنى(كسرى انوشيروان) مدينةعظيمة اكبر من انطاكية وسماها (ونديو خسرو) ثم عرفت بعد ذلك لدى العرب بـ (جندي خسرو) وكانت هذه المدينـة كما يقول ياقوت : واحدة من مدن (تيسفون) السبعة التي كانت عاصمة الساسانيين حيث كانت تسمى بالفارسية (شهررومي مدائن) وعرفت بالعربية بـ(رومية المدائن) (٥).

ولما كانت جندي شابور عاصمة للساسانيين في الادوار الاولى من حكمهم ولبعض الوقت فقد أصبحت محطاً للانظار مما زاد في ازدهارها وعمرانها واتساع رقعتها .

ويظهر من كلام (القفطي) أن جندي شابور اصبحت منذ عهد شابور الاول مركزاً طبياً شهيراً حيث ازدادت العناية بتدريس الطب فيها (٦) .

أما (سارتن) فقد احتمل ان مدرسة الطب في جندي شابور كانت موجودة قبل القرن الخامس بل الرابع الميلادي، وكيف كان فان من المؤكد ان هذه المدرسة كانت موجودة فى عهد (شابور الثاني) ، حيث قد قيل أنه أسكن طبيبه الخاص (تيودوسيوس) في جندي شابور وأسند اليه رئاسة المدرسة فيها (٧) .

ولقد كان عصر (انوشروان ٥٣١ ـ ٥٧٩) ـ بدون شك ـ مهماً بالنسبة لما مر بجندي شابور من الادوار ، فقد كان انوشروان محباً للعلم ، عاملا على نشره حتى سمي عصره بـ (عصر النهضة الثقافية في ايران) .

وبالاضافة الى ما كان موجوداً في ذلك العصر من الكتب المؤلفة باللغة (البهلوية) فقد ترجمت اليها كتب كثيرة أخرى من عدة لغات كاليونانية والهندية وغيرهما في مختلف العلوم .

وكان أنوشروان يظهر اهتماماً كبيراً بهذا العمل ، فقد أرسل ـ على ما يبدو ـ

---

(٤) معجم البلدان : نقلا عن حمزة الاصفهاني ـ فى ذيل كلمة جندى شابور . وتاريخ الطبرى ج ٢ ص ٨٣ .

(٥) معجم البلدان : ذيل كلمة (جنديو خسرو) .

(٦) تاريخ الحكماء : ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

(٧) Brown arabian Medecine 20 .

طبيبه الخاص (برزويه) مع هيئة خاصة الى الهند لجلب الكتب الطبية من هناك .

وربما يكون ارساله له بهدف دراسة الطب الهندي ، أو لجلب بعض الأطباء الهنود الى ايران .

وكان (برزويه) الملقب بـ (ايران درستبد) (٨) ، أي (رأس أطباء فارس) مشرفاً على جميع الامور الطبية في جندي شابور ، مضافاً الى أنه كان يشرف على ادارة الجامعة والمستشفى فيها .

والذي يظهر أن تنظيم وترتيب مراتب الاطباء وتعيين وظائفهم ـ كما تدل عليه بعض الاثار الاسلامية ـ يرجع في أصله الى عصر أنوشروان .

وقد جاء في كتاب تاريخ الحكماء عند الحديث عن مجلس الأطباء، ان اطباء جنديشابور قد اجتمعوا بأمر من الملك نفسه لبحث المسائل الطبية والمناظرة فيها .

ويستفاد من قول(القفطي) ان هذه المسائل والمباحثات كانت تدون، وتحفظ في مكان خاص بها، حتى اقدبقي بعضها موجوداً الى ما بعد مجيء الأسلام (٩) .

ويواصل(القفطي)حديثه قائلا: «ان المتأمل المدقق في هذه المسائل والمذاكرات التي كانت تجري بين العلماء لا بد وان يعترف بعلمهم وفضلهم» .

والذي يظهر من كلامه أيضاً ان هذا المجلس كان ينعقد تحت رعاية (جبريل) الذي كان يحمل لقب (ايران درستبد) وهذا يعني ان الذي كان يحمل هذا اللقب حين انعقاد المجلس هو (جبرئيل) وليس (برزويه) ، مما يدل على ان انعقاد هذا المجلس كان قبل ان يصل برزويه الى مقام حمل هذا اللقب ، أوكان بعد وفاته وقبل انتقال اللقب الى غيره .

* * *

(٨) ترجم ابن المقفع هذا اللقب الى العربية بمعنى (رأس أطباء فارس) أول باب (برزوية الطبيب) كليلة ودمنة .

(٩) تاريخ الحكماء : ١٣٢ ـ ١٣٣ .

في سنة ١٧ أو ١٩ للهجرة فتح العرب المسلمون جندي شابور ، التي كانت كغيرها من مدن خوزستان ، واقعة ضمن مناطق حكم (هرمزان) القائد الساساني في ذلك الوقت والذي كان يعرف بملك الأهواز .

وقد كان هرمزان بنفسه في مواجهة المسلمين في الحرب الكبرى ، التي دارت بينهم وبين الايرانيين في القادسية. لكنه بعد انهزامه في تلك الحرب، عاد مع جيوشه الى مقر حكمه في خوزستان ، حيث كان عليه ان يواجه ـ مرة أخرى ـ المسلمين الذين كانوا قد تقدموا من جنوب العراق الى سهل (ميشان) ، فوقعت بين الطرفين عدة وقائع ، توصلوا بعدها الى عقد معاهدة جديدة للصلح ، بقيت بموجبها كل من (الأهواز) (مهرجاندق) في يد هرمزان ، وتحت سيطرته .

غير ان هذا الصلح لم يطل أمده ، لأن هرمزان كان معرضاً للهجمات بشكل مستمر ، ولهذا عادت الحرب لتنشب بين الفريقين من جديد .

ولم يكن المسلمون من القوة بحيث يستطيعون حماية أنفسهم فطلبوا من عمر ان يساعدهم ، فأرسل لمساعدتهم جيشاً عرمرماً ، مما اضطر هرمزان ان يذهب من الأهواز الى (رامهرمز) ، حيث عقد الصلح بينه وبين العرب ثانية .

ولم يدم هذا الصلح أيضاً فدارت بين الفريقين ـ وللمرة الثالثة ـ حرب طاحنة اضطرت هرمزان الى ترك (رامهرمز) والذهاب الى (شوشتر) .

غير ان المسلمين لم يتركوه هذه المرة فحاصروه في مدينة شوشتر ، ولكنهم بسبب مقاومة هرمزان الشديدة لم يستطيعوا فتحها بسهولة ، فأقاموا على حصارها بمساعدة أبي موسى الاشعري ، الذي كان عمر قد ارسله لمساعدتهم حتى استطاعوا ان يدخلوها من طريق سرية اكتشفوها ، فأخذوا هرمزان اسيراً وأرسلوه الى عمر في المدينة (١٠) .

وهكذا عندما سقطت شوشتر في أيدي المسلمين ، وأصبح هرمزان أسيراً في أيديهم ، رأى أهل جندي شابور أنفسهم عاجزين عن المقاومة ، فسلموا مدينتهم

(١٠) فتوح البلدان : ص٤٥٧-٤٥٨ و٣٨٠-٣٨١ . الاخبار الطوال : ص١٢٩-١٣٣ .

الى المسلمين بشرط ان لا يتعرضوا الى ارواحهم ، وأموالهم ، ومدينتهم، في مقابل ان يسلم أهل جندي شابور اليهم اسلحتم وأعتدتهم الحربية . وبهذا أصبحت جندي شابور بمأمن القتل ، والسلب والنهب ،كما لم يصل الى المدرسة والمستشفى فيها أي ضرر .

ولعل هذه المؤسسة العلمية هي الوحيدة من مؤسسات الساسانيين التي بقيت سالمة من الحوادث ، ووصلت الى أيدي المسلمين دون ان تمسها يد سوء (١١).

ومنذ ذلك الحين بقيت هذه المؤسسة العلمية والطبية محرومة من الحماية والمساعدة ملوك ايران . وكان عليها ـ ولـكي تؤدي رسالتها الانسانية ـ ان تواصل العمل بمفردها ، وبجهود أطبائها وأساتذتها ، وعمالها وحدهم . . . وكذلك كان . . .

ولم تحظ هذه المؤسسة بأي توجه أو اعتناء من جانب الخلفاء أيضاً ، سواء في أوقات الفتوحات الاسلامية أو فيما بعدها، أي عند استقرار الامويين في الخلافة .

ويبدو أنها كانت كذلك ـ دون رعاية ـ حتى في عهد بني العباس مع قربها من عاصمة خلافتهم ـ بغداد ـ فلم يكن احدهم ليهتم بها أو يذكرها الا عندما يحتاج اليها.

ولا نجد في المصادر الاسلامية ما يدل على ان هؤلاء الخلفاء قد ساعدوا هذه المؤسسة ، أو كان لهم أي اهتمام بتقدمها وتوسيعها .

ولكنها ـ على أي حال ـ قد استطاعت ـ حتى في الأوقات الحرجة وأوقات أهمالها ان تبقى واقفة على قدميها، محتفظة بمشعل العلم مرفوعاً، الى الوقت الذي نظمت فيه ووصلت الى دور الاستقرار والطمأنينه، حيث أضاءت مشاعل اخرى في عالم الاسلام.

وكانت المرة الاولى التي ذهب فيها أطباء جندي شابور الى مركز الخلافة في زمن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (١٢) لأنه بعد ان بنى بغداد ، واستقر فيها

(١١) ألف المدائني في فتح جندي شابور كتاباً خاصاً بعنوان (خبر جندي شابور) الفهرست ص ١٠٣ .

(١٢) من المحتمل جداً أن يكون (ماسرجويه اليهودي) طبيب عمر بن عبد العزيز ـ كما ينقل عن ابن جلجل والذي كان قد ترجم كتاب «أهرن القس بن أعين» الى اللغة العربية في عهد مروان ، والذي لم يسمح عمر بن عبد العزيز بانتشاره الا بعد أربعين يوماً من التردد . ـ

ابتلى بمرض،فطلبوا له طبيباً من جنديشابور لمعالجته، ووقع الاختيار على الطبيب (جورجيس بن بختيشوع) ـ وكان من أشهر الاطباء ـ حيث نقل الى بغداد لمعالجته.

ومنذ ذلك التاريخ كان لدى كل خليفة طبيب أو اطباء من جنديشابور خاصون به.

الا ان هذه الحاجة لم تكن كافية لأن تبعث الخلفاء على العناية بهذه المؤسسة ومساعدتها. فبقيت الصلات بينهم وبينها على ماكانت عليه من الفتور وعدم الاعتناء، وبقيت أعمال المستشفى فيها تحت ادارة الجنديشابوريين أنفسهم.

ومما يدل على مكانة جندي شابور ـ هذه ـ وحاجة الخلفاء اليها، ان هارون الرشيد عند ما اراد تأسيس مستشفى في بغداد أوكل أمر ذلك الى طبيبه الخاص (بختيشوع) الذي ذهب الى جندي شابور وأحضر (دهشتك) رئيس المستشفى فيها، وطلب منه ان يتحمل مسؤولية بناء المستشفى للخليفة. الا ان (دهشتك) هذا لم ير نفسه ملزماً بقبول هذه المهمة فرفض العرض وقال له: «انه ليس للسلطان عندي ارزاق جارية علي وانا وابن أخي نعمل في مستشفى جندي شابور فحسبنا هذا فان فيه خدمة للناس وارضاء لله». ثم عاد الى بلده جندي شابور وارسل احد تلامذته الى بغداد ليقوم بهذه المهمة (١٣).

وقد بقي المستشفى والمدرسة قائمين الى ما بعد ذلك التاريخ بحوالي قرن أو قرنين من الزمان. وكان آخر رجل ورد اسمه في التاريخ بعنوان رئيس مستشفى جندي شابور هو شابور بن سهل المتوفى سنة ٢٥٥ هـ. ولسنا نعلم بالتحديد متى تعطل هذا المركز العلمي الذي استمر قروناً عديدة عامراً بالعلم والعمل.

كما اننا لا نعلم متى؟ ولأي سبب؟ اتجهت مدينة جندي شابور نحو الزوال والخراب، بعد ان كانت طيلة قرون عديدة مدينة زاخرة بسكانها عامرة بأهلها كما انها

ـ من المحتمل ـ أن يكون قد تلقى تعليمه في جنديشابور حيث أنه كان من أهل البصرة ولم يكن في تلك المنطقة آنذاك مركز لتعليم الطب الا جنديشابور. راجع شرح أحوال (ماسرجويه) في كتاب: تاريخ الحكماء.

(١٣) تاريخ الحكماء ص ٣٨٣.

كانت في عهد الساسانيين مركزاً زراعياً مهماً اشتهرت بزراعة قصب السكر الأمر الذي اكسبها شهرة واسعة .

لكن ما نعلمه يقيناً هو أنه في سنة ٦٢٠ هـ . وهي السنة التي انهى فيها ياقوت الحموي معجم بلدانه ـ لم يكن قد بقي من آثارها المعروفة ومراكزها المهمة سوى بعض الأطلال التي تبعث في النفس ذكرى ماض مجيد (١٤).

وآخر واقعة ورد فيها اسم جندي شابور كانت بعد ان فتح يعقوب بن ليث الصفاري خراسان وسيستان وفارس وتأهب لفتح خوزستان فجهز جيشاً توجه به الى تلك النواحي وجعل مقره مدينة جندي شابور (١) .

ومن هناك اخذ يتعرض لعمال الخلفاء ويضايقهم ، وكان هـذا ما بين سنتي ٢٦٢ - ٢٦٥ هـ .

(وقد مات يعقوب هذا سنة ٢٦٥هـ في الاهواز وخلفه أخوه عمرو، الطبري ٨/٤٤).

لقد كان لدار العلم في جندي شابور أهمية كبيرة في تاريخ العلم عموماً وفي تاريخ التمدن والثقافة الايرانية بوجه خاص .

ولم تكن أهميتها ـ هذه ـ مستمدة من كونها مؤسسة علمية وطبية قدر لها البقاء في خدمة الانسانية عدة مئات من السنين وحسب . بل كان لها الى جانب ذلك ميزات اخرى ميزتها عن كل ماسواها في جميع العصور التي مرت بها سواء في عصر الساسانيين أو في عصر الاسلام. تلك الميزات التي مكنتها من أن تؤدي في دنيا العلم خدمات جلى.

وان اكبر مزية كانت لهذه المؤسسة هي انها كانت مؤسسة علمية وعالمية تفتح أبوابها لجميع العلماء من أي دين أو مذهب أو قومية أو عرق في عصر كانت روابط الامم والشعوب بعضها ببعض تقوم على اساس العصبيات الدينية والقومية والعرقية.

فكان الطبيب الزردشتي أو المسيحي يعمل جنباً الى جنب مع الطبيب اليهودي أو الهندي أو غيره . ويقومون جميعاً بتدريس مختلف كتبهم دون ان يترك اختلافهم

---

(١٤) معجم البلدان ، ذيل كلمة جندى شابور .

(١) الطبرى : ٨/٣٤ حوادث سنة ٢٦٣ .

في العقيدة أو المذهب أو الاتجاه ـ على عملهم ـ أي أثر يذكر .

وعندما أخرج المسيحيون النسطوريون في (أذيسا) جاءوا الى جندي شابور في سنة ٤٨٩ للميلاد حيث استقبلوا بحرارة بالغة .

كما أنه عندما جاء الى ايران في سنة ٥٢٩ سبعة من حكماء مدرسة اتباع الفلسفة اليونانية على اثر تعطيلها والاعتداء على فلاسفتها ـ وبعد ان اجبروا على ترك ديارهم بسبب عقائدهم الفلسفية ـ فجاء بعضهم الى جندي شابور حيث عاشوا فيها كأهلها لايشعرون بأنهم غرباء أو مشردون (١٥) .

وكان في هذه المؤسسة (التي كانت تشتمل ـ مضافاً الى المدرسة والمستشفى على مركز لتعليم التنجيم والرياضيات ومركز للرصد) علماء وطلاب من مذاهب ، وشعوب مختلفة يعملون جنباً الى جنب .

كما كان بينهم ـ وفي وقت بعثة الرسول الأكرم (ص) بالذات ـ طبيبان عربيان أحدهما الحارث بن كلدة الثقفي (١٦) والآخر النضر بن الحارث فقد كانا ـ على ما قيل ـ من خريجي جامعة جندي شابور .

وكان يدرس في جندي‌شابور ـ مضافاً الى الطب الايراني والهندي ـ الطب اليوناني مع ماأدخل عليه المسيحيون السريان من تعديلات .

وقد أسلفنا ان خسرو أنوشروان قد أرسل بروزويه الطبيب الى مختلف البلدان لأجل جلب الكتب الطبية، وربماكان ارساله الى الهند للحصول على كتب علم النجوم أيضاً . وقد ترجمت في عصر أنوشروان هذا بعض كتب الطب والتنجيم من اللغة الهندية الى اللغة البهلوية وكان العلماء الايرانيون والسريانيون واليونانيون يلتقون في

---

(١٥) وهؤلاء الاشخاص السبعة هم : داماسيوس «Damascios» من أهل سورية ، وسيمبليسيوس «Simplicios» من أهل سيليسيا ، واولاميوس «Aulamjos» من أهل مزيكى وبريسيانوس «Priscianos» من أهل ، وهرمياس «Hermias» وديوجن «Diogena» من أهل فنيقية ، وايزيدور «Ysidore» من مدن غزة .

(١٦) راجع شرح أحواله في كتاب تأريخ الحكماء .

هذه المؤسسة ويستفيدون من علوم بعضهم البعض ولهذا كانت جندي شابور أكثر تقدماً فى العلوم من جميع المراكز العلميـة فى آسيا الصغرى التي كانت تدرس العلوم الدينية الى جانب العلوم المختلفة الاخرى. فقدكانت العلوم فى تلك المدارس محدودة بنفس حدودها الجغرافية (١٧) .

والمزية الاخرى لجندي شابور هي أنها كانت فى جميع أدوارها حريصة على ان لا يقتصر فيها دارسة الطب على الجانب النظري فحسب، بل كان فيها الى جانب الدراسة النظرية دراسة تطبيقية تجرى فى المستشفى الكبير الذي كان موجوداً فيها آنذاك.

ولهذا بقيت من هذه الناحية أنموذجاً لأمثالها التي وجدت في العالم الاسلامي فيما بعد حيث أنها حذت حذوها وسلكت طريقها .

وأما أهمية هذه المؤسسة فى العصر الاسلامي فتتجلى فى أن المدرسة والمستشفى فيها كانا المركز العلمي والثقافي الايراني الوحيد الذي سلم من ويلات الحرب ومصائبها.

وقد استطاعت مؤسسة جندي شابور ان تبقى ـ بجهود اساتذتها وعلمائها ـ محتفظة بحيويتها ونشاطها ووجودها طيلة المدة التي اصيبت فيها الحركات العلمية بالوهي والتي لم يعد العلم والمراكز العلمية يحظيان فيها بأي عناية أو التفات من قبل الخلفاء وأتباعهم .. الى ان استقرت خلافة العباسيين في بغداد وأصبح الخلفاء يهتمون بالعلم والثقافة ، ويساعدون فى ايجاد المراكز العلمية ، ويهتمون أيضاً بنقل مختلف العلوم الى اللغة العربية مما زاد فى تقدم وانتشار هذه العلوم فى المجتمع الاسلامي.

وبهذه الوسيلة اتخذ التراث العلمي والثقافي العظيم ـ الذي بقي محفوظاً لعدة قرون ـ اتخذ طريقه الى المجتمع الاسلامي الحديث .

وكان طبيعياً أن نشهد فى الطب والتنجيم والعلوم العقلية الاخرى ـ فى القرون التالية ـ تقدماً مطرداً بين المسلمين واهتماماً بالغاً منهم، وظهر من بين المسلمين أطباء وعلماء معروفون استطاعوا ان يحتفظوا ـ ولعدة قرون ـ بمقام الاساتذة في الاقسام العلمية المختلفة .

---

(١٧) Oleary, Arabic thought and its place in history, P 42

والجدير بالملاحظة هنا هو الارتباط بين هذا وبين كون أهم المصادر التي انتقلت من جندي شابور الى المسلمين هي الكتب والآثار القيمة كانت نتيجة عمل وجهد أطباء وعلماء من سائر الامم ومختلف الشعوب كالايرانية والسريانية والهندية. وكل هؤلاء تخرجوا من جندي شابور ، كما كانت نتيجة ترجمة هؤلاء للكتب المختلفة.

وبهذا يكون أول من وضع أساس هذه العلوم فى المجتمع الاسلامي وألف باللغة العربية فيها أو ترجم اليها وساعد أو انشأ المراكز العلمية وايجاد المستشفيات هم علماء جندي شابور والمتصلين بها بنحو من أنحاء الصلات .

وكما أسلفنا فان المرة الاولى التي اتصل فيها اطباء جندي شابور ببلاط الخلافة العباسية كانت فى عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور عندما ابتلي بمرض اضطر الى استدعاء (جورجيس بن بختيشوع) رئيس مستشفى جندي شابور الى بغداد لمعالجته ، فعالجه جورجيس ـ هـذا ـ ولم يسمح له المنصور بالعودة . بل بقي محتفظاً به مدة أربع سنوات عاد بعدها الى جندي شابور بسبب اصابته بمرض لم يستطع معه البقاء فى بغداد، ومن هناك أرسل الى بغداد أحد تلامذته ـ ويدعى أبراهيم ـ ليقوم مقامه .

وكان جورجيس عند ذهابه الى بغداد قد استصحب معه طبيباً آخر من جندي شابور ذكره القفطي تحت اسم «ابن شهلا» لكن ابن شهلا لم يرجع مع جورجيس الى جندي شابور بل بقي مقيماً فى بغداد .

وكان جورجيس عند سفره الى بغداد بأمر المنصور قد عهد برئاسة المستشفى والمدرسة ، فى جندي شابور الى ابنه بختيشوع الذي ظل محتفظاً بهـذا المنصب الى ما بعد وفاة والده .

وفي عهد الخليفة المهدي العباسي استقدم المهدي نفسه بختيشوع الى بغداد ليعالج له ابنه الهادي . وفعلا قدمها وعالج الهادي وبقي مقيماً فى بلاط الخليفة مدة من الزمن عزم بعدها على العودة الى جندي شابور فأعاده الخليفة اليها معززاً مكرماً ليمارس عمله السابق من جديد الا أنه عاد مرة اخرى الى بغداد وبالتحديد كان ذلك

عام (١٧٧) هجرية عندما طلب اليها ثانية لمعالجة الخليفة هارون الرشيد من مرض ألم به وبقي مقيماً في بغداد بطلب من الخليفة نفسه الى ان فارق الحياة .

وعندما توفي بختيشوع حل محله ابنه جبرائيل ـ الثاني ـ الذي عظمت منزلته وجمع ثروة كبيرة ومالا وفيراً وصار أحد كبار عصره ، وقد كان وجوده في بغداد في عهد خلافة الامين والمأمون . وعندما عزم المأمون في سنة (٢١٣) هجرية ، على حرب الروم مرض جبرائيل مرضاً شديداً منعه مرافقة المأمون ، فاستصحب معه ابنه بختيشوع بن جبرائيل عوضاً عنه وقد مات جبرائيل في مرضه هذا وعندما عاد المأمون من حرب الروم عين بختيشوع خلفاً لأبيه وقد بقي بختيشوع هذا ـ والذي ينبغي ان نطلق عليه اسم بختيشوع الثالث ـ في بغداد حتى خلافة الواثق بالله . ثم أرسله الواثق الى جندي شابور بعد ان غضب عليه وصادر جميع أمواله وممتلكاته .

غير ان الواثق عاد فطلبه ثانية ليعالجه من مرض أصابه . لكنه توفي قبل ان يصل الى بغداد وحل المتوكل محل أبيه فأعاد بختيشوع الى سابق عمله (١٩) .

وقد بقي زمام الامور الطبية في بغداد ـ مركز العالم الاسلامي آنذاك ـ طيلة ٢٥٠ عاماً بأيدي آل بختيشوع اذ تعاقب ستة منهم على رئاسة المؤسسات الطبية فيها ، وكلهم كانوا من خريجي جامعة جندي شابور .

فكان أكثرهم قد تلقوا العلم في مؤسسة جندي شابور، كما وان ارتباطهم بذلك المركز العلمي والطبي لم ينقطع في أي وقت من الاوقات .

وكان آخر فرد منهم ورد اسمه في التاريخ هو جبرائيل بن عبيد الله ، وهو الحفيد الخامس لجورجيس (أول أطباء جندي شابور الـذين بدأوا بالقدوم الى بغداد في عهد المنصور كما أسلفنا) .

وكان جبرائيل هذا من حاشية عضد الدولة الديلمي، وقد ذهب الى (ميافارقين) لمعالجة أميرها (عضد الدولة) وتوفي هناك في يوم الجمعة الثامن من شهر رجب

---

(١٩) تاريخ الحكماء ص ١٠٢ ـ ١٠٤ .

سنة ٣٩٧ هجرية، ١٠٠٦ ميلادية،فكان هذا آخر رجل من أطباء آل بختيشوع (٢٠).

ولم تكن هذه العائلة الطبية هي الوحيدة فى بغداد، بل كان ثمة أشخاص آخرون من جندي شابور يشتغلون بالاعمال الطبية ، ومعالجة المرضى والتأليف ، كان من جملتهم (عيسى بن چهار بخت) والذي تتلمذ على يد جورجيس بن بختيشوع وقد حظى بشهرة واسعة في عصره . وقد ألف كتاباً يبحث فيه عن كيفية معرفة الأدوية .

ومنهم : (يوحنا بن ماسويه) تلميذ عيسى بن چهار بخت والذي توفي سنة ٢٤٣ هجرية وقد كان أحد المترجمين والمؤلفين فى علم الطب ، وكان مجيئة من جندي شابور الى بغداد بدعوة من جبرائيل بن بختيشوع .

ومنهم (ميخائيل بن ماسويه) أخو يوحنا طبيب البلاط فى عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله. وقد جاء اسمه فى التاريخ باسم (سلموية بن بنان) وهو من خريجي المركز العلمي فى جندي شابور .

وكما رأينا ان آخر شخص ورد اسمه فى التاريخ بعنوان رئيس مستشفى جندي شابور هو (شابور بن سهل) والذي كان من العلماء المعروفين ، وكانت وفاته في أواسط القرن الثالث الهجري (٢١) .

وبالاضافة الى هؤلاء الذين ذكرناهم فأكثر من اشتغل من العلماء بتأليف وترجمة الكتب العلمية باللغة العربية فى القرون الاسلامية الاولى، من خريجي جامعة جندي شابور.

واذا أعدنا النظر فى الأمور التي ذكرناها فاننا نلاحظ انه منـذ أوائل الخلافة ومنذ اليوم الاول الذي أخذ العالم الاسلامي يهتم فيه بالطب والعلوم العقلية ـ وخصوصاً الطب منها ـ لمدة مأتي سنة تحت نفوذ وقيادة جامعة جندي شابور ، وأطبائها ، وان هذه المؤسسة العلمية أصبحت من الشهرة بحيث كان مجرد الانتساب اليها دليلا على المهارة فى الطب ومدعاة للفخر والاعتزاز .

ولكي نعرف ماكان لجندى شابور من عظيم الاثر فى تلك العهود ، وعلى أثرها

---

(٢٠) تاريخ الحكماء ص ١٤٦ ـ ١٥٢ .

(٢١) الفهرست ص ٤١٣ .

في عالم الطب الاسلامي ننقل روايتين عن رجال ذلك العصر: احداهما ذكرها القفطي مؤلف كتاب تاريخ الحكماء في معرض كلامه عن حياة (حنين بن اسحاق) أحد علماء العالم الاسلامي المعروفين، والذي ترك لنا كثيراً من الآثار المهمة، والثمينة فيما ترجمه من الكتب الطبية الى اللغة العربية، تقول الرواية :

« كان حنين بن اسحاق من أهل الحيرة ، فلما نشأ أحب العلم ، فدخل بغداد ، وحضر مجلس يوحنا بن ماسويه، وجعل يخدمه ويقرأ عليه، وكان حنين صاحب سؤال، وكان يصعب على يوحنا ، فسأله حنين في بعض الايام مسألة مستفهم ، فرد يوحنا وقال : « ما لأهل الحيرة والطب ، عليك ببيع الفلوس في الطريق » .

وقد ذكر القفطي بعد ان أورد هذه الحكاية قائلا : « وهذا عمله يوحنا لأن هؤلاء الجندي شابوريين كانوا يعتقدون أنهم أهل هذا العلم، ولا يخرجونه عنهم وعن أولادهم وجنسهم (٢٢) .

والرواية الأخرى ذكرها الجاحظ في كتابه البخلاء بعبارات ساخرة مخصوصة بوضع الجندي شابوريين أنفسهم وابراز ما كان لهم من الاهمية والاعتبار كما تبرز مقدار ما كان لجندي شابور من أهمية في العالم الاسلامي .

يقول الجاحظ «كان أسد بن جاني رجلا طبيباً، وفي فترة ما توقف عمله وكسدت سوقه ، فقال له أحد الأشخاص : الاوبئة كثيرة في هذه السنة وقد أنتشرت الامراض كثيراً بين الناس، وأنت رجل عالم، ولك صبر وأناة، كما وانك خدوم للناس صاحب لسان ، وعارف بأحوال الناس ، ومع كل هذا فما هو السر في كساد سوقك ؟ .

فأجاب : أولا ، لأنني مسلم ، والناس قبل أن أكون طبيباً، بل وقبل ان أخلق يعتقدون ان المسلم لا يكون طبيباً ناجحاً .

وثانياً : ان اسمي أسد في حين يجب أن يكون اسمي صليباً ، أو مرابل ، أو يوحنا أو بيرا ، وكنيتي (أبو الحارث) في حين أنها يجب أن تكون (أبو عيسى ، أو أبو زكريا ، أو أبو أبراهيم) ، وارتدى عباءة من الكتان الابيض ، في حين أنه

---

(٢٢) تاريخ الحكماء ص ١٧٤ .

كان يجب أن ألبس عباءة من الحرير الاسود، ولساني عزبي ، وكان يجب أن أتكلم بلغة (أهل جندي شابور) (٢٣) .

وكل هذه الصفحات التي ذكرها الجاحظ ، سواء منها ما يرجع الى الاسم أو الكنية أو اللباس أو اللغة كانت ـ كلها ـ من خصوصيات أطباء جندي شابور الذين غالباً ما كانوا في تلك الادوار من المسيحيين السريان .

يتحدث الجاحظ عن لسان طبيب عربي بأنه لم يكن في بغداد طبيب ذا شأن يهتم به الناس وموضع اقبالهم الا أن يكون مسيحياً ومن خريجي مدرسة جندي شابور .

كانت بغداد في عهد هارون الرشيد وابنه المأمون مركز نهضة لترجمة الاثار العلمية الايرانية واليونانية الى اللغة العربية. وقد قيل أن أهم الاسباب التي أثرت في تهيئة عوامل هذه النهضة عاملان أحدهما: كون مؤسسة جندي شابور بالقرب من بغداد. والآخر : مجيء علماء (مرو خراسان) الى بغداد مع المأمون أو بعده ، الى جانب ترجمة الكتب التي قام بها الجندي شابوريين من اللغة العربية فقد ألفوا كتباً كثيرة في مختلف العلوم الطبية والصيدلة باللغة العربية بقيت مدة طويلة ، مرجعاً يرجع اليه الأطباء والصيادلة كلما احتاجوا اليها وكان من جملتها :

١ ـ (كتاب الكناش) تأليف جورجيس بن بختيشوع .

٢ ـ كتاب (قوى الادوية المفردة) تأليف عيسى بن چهار بخت .

٣ ـ (كتاب أقرابادين) المشهور .. تأليف شابور بن سهل رئيس مستشفى جندي شابور .

وقد بقي هذا الكتاب ولعدة قرون دائرة للمعارف الطبية والصيدلة كما تعد من أهم المراجع الطبية (٢٤) .

ومن جملة الاثار المهمة لاساتذة جندي شابور رسالتان من تأليف يوحنا بن ماسويه الذي كان من أهم أطباء هذا المعهد. والذي ذهب الى بغداد في أوائل القرن

---

(٢٣) كتاب البخلاء ص ١٢١ (طبع بيروت ١٩٦٠) .

(٢٤) الفهرست ص ٤١٣ .

الثالث الهجري وأشرف على بناء المستشفى فيها .

ثم جعله المأمون في سنة ٢١٥ هـ رئيساً لبيت الحكمة، وقد توفي يوحنا فى بغداد سنة ٢٤٣ هـ ، ورسالتا يوحنا هذا ـ مشهورتان جداً،وسمى أحدهما بـ(النوادر الطبية) وكان قد أهداها الى تلميذه حنين بن اسحاق ولاقت فيما بعد رواجاً كبيراً كما أنها قد ترجمت الى اللغة اللاتينية لكنهم أخطأوا فى نسبتها اذ توهموا أنها من جملة آثار القديس يوحنا الدمشقي (٢٥) .

والرسالة الأخرى كانت كتاباً اسمه (دغل العين) أو (اختلال العين) وهي التي أصبحت فيمابعد موضع عناية واهتمام، وقدر لها أن تكون فى عهد الخليفة القاهر بالله ٣٢٠ ـ ٣٢٢ أحد الكتب التي يمتحن بها الأطباء المتخرجون .

وقد قيل أن كتاب (دغل العين) أقدم كتاب فى طب العيون اذ لم يعرف قبله كتاب فى هذا القسم لا في اللغة اليونانية ولا في السريانية .كما نسب الى يوحنا هذا كتاب آخر باسم (ارشادات فى امتحان أطباء العيون) وهو تلخيص للكتاب السابق ويعتقد المحققون فى تاريخ العلوم أن فى مراحل انتقال العلوم اليونانية الى اللغة العربية عدة حلقات مفقودة من الصعب املاء فراغها(٢٦) .

والذي نراه يبدو لنا أن هذه الصعوبة تكمن فى أن باحثي تاريخ الطب لم يلتفتوا ـ كما يجب ـ الى تطورات هذه العلوم فى المؤسسات الاخرى غير المؤسسات المسيحية السريانية أو اليونانية ، كما لم يجروا التحقيقات العلمية والتاريخية اللازمة في تلك العلوم وتقدمها فى تلك المؤسسات .

وليس من شك فى أن علم الطب والصيدلة والنجوم وبعض المعارف الأخرى بعد ان وصلت الى أيدي العلماء المسلمين ـ واستطاع هؤلاء أن يأخذوا الكثير منها فيقرروها ويحرروها في تأليفات مستقلة ـ ليس من شك فى أنها أصبحت أكثر تقدماً من العلوم التي كانت تدرس فى المدارس المسيحية فى نصيبين وحران والاسكندرية

---

(٢٥) oleary ، انتقال العلوم اليونانية . . . ترجمة أحمد آرام ص ٢٥٤ .

(٢٦) تاريخ الحكماء ص ٣٨٠ ـ ٣٩١ .

وغيرها من مراكز العلوم اليونانية آنذاك .

واذا كان من غير الممكن الوصل بين هاتين المرحلتين الا بعد فرض الحلقات المفقودة فانما هو من هذه الجهة وهي : انه قد أغفلت واحدة من أكبر الوسائط المؤثرة التي فصلت بين هاتين المرحلتين وهي مؤسسة جنديشابور التي بقيت أكثر من ٤٠٠ سنة احدى المراكز الواقعية للعلم كما كانت محلا لالتقاء واقتراح الافكار والاراء العلمية لمختلف العلماء من شرق العالم وغربه فكان من نتيجة هذا الالتقاء والتمازج من الافكار والاراء، أن عدداً من العلوم ـ وخصوصاً الطب والنجوم ـ قد تحولت الى هناك وصادفت فيها كثيراً من التقدم الذي لم يكن له نظير في مدارس آسيا الصغرى المسيحية ، كما لم يكن له نظير في الأديرة والمراكز الدينية وغيرها من المؤسسات التي كانت تحت سيطرة علماء اللاهوت آنذاك .

وقد مدح المؤرخون الاسلاميون ، بالخصوص علمي الطب والتنجيم وذكروا أنه كانت لهذين العلمين مكانة عالية ، ولهذا نرى أن أول ما ترجم في هذين العلمين من اللغة البهولية الى العربية كان بواسطة الايرانيين ويرجع السبب في شهرة هذين العلمين الى مالقياه من التحول والتقدم في مؤسسة جندي شابور. اذ من المسلم به أيضاً أنه كان في جندي شابور ـ اضافة الى المدرسة والمستشفى ـ محل لتعليم التنجيم ومكان للرصد كما استمر اجراء بعض أعمال التنجيم العلمية فيها الى القرون الاسلامية الاولى(٢٨) .

ويعتقد هؤلاء المحققون (بأنه ما من شك في أن العلماء الاوائل من الرياضيين الاسلاميين كالخوارزمي كانوا يعرفون أشياء لم يكن اليونانيون القدماء قد اطلعوا عليها) وليس في ذلك يرجع الى أن أول العلماء في العلوم اليونانية من المسلمين لم يكونوا هم الوارثين ـ بلا فصل ـ لليونان بل كانوا الوارثين لمؤسسة جندي شابور، حيث

(٢٨) يقول ابن يونس المصرى فى مقدمة (الزيج الحاكمى) ما لفظه : « ولا أعلم بين رصد بطليموس وبين رصد أصحاب الممتحن الا رصد أحمد بن محمد الناوندى الحاسب بمدينة جندى شابور فى أيام «يحيى البرمكى» .

الثالث الهجري وأشرف على بناء المستشفى فيها .

ثم جعله المأمون في سنة ٢١٥ هـ رئيساً لبيت الحكمة ، وقد توفي يوحنا فى بغداد سنة ٢٤٣ هـ ، ورسالتا يوحنا هذا ـ مشهورتان جداً،وسمى أحدهما بـ(النوادر الطبية) وكان قد أهداها الى تلميذه حنين بن اسحاق ولاقت فيما بعد رواجاً كبيراً كما أنها قد ترجمت الى اللغة اللاتينية لكنهم أخطأوا فى نسبتها اذ توهموا أنها من جملة آثار القديس يوحنا الدمشقي (٢٥) .

والرسالة الأخرى كانت كتاباً اسمه (دغل العين) أو (اختلال العين) وهي التي أصبحت فيمابعد موضع عناية واهتمام، وقدر لها أن تكون فى عهد الخليفة القاهر بالله ٣٢٠ ـ ٣٢٢ أحد الكتب التي يمتحن بها الأطباء المتخرجون .

وقد قيل أن كتاب (دغل العين) أقدم كتاب فى طب العيون اذ لم يعرف قبله كتاب فى هذا القسم لا في اللغة اليونانية ولافي السريانية .كما نسب الى يوحنا هذا كتاب آخر باسم (ارشادات فى امتحان أطباء العيون) وهو تلخيص للكتاب السابق ويعتقد المحققون فى تاريخ العلوم أن فى مراحل انتقال العلوم اليونانية الى اللغة العربية عدة حلقات مفقودة من الصعب املاء فراغها(٢٦) .

والذي نراه يبدو لنا أن هذه الصعوبة تكمن فى أن باحثي تاريخ الطب لم يلتفتوا ـ كما يجب ـ الى تطورات هذه العلوم فى المؤسسات الأخرى غير المؤسسات المسيحية السريانية أو اليونانية ، كما لم يجروا التحقيقات العلمية والتاريخية اللازمة فى تلك العلوم وتقدمها فى تلك المؤسسات .

وليس من شك فى أن علم الطب والصيدلة والنجوم وبعض المعارف الأخرى بعد ان وصلت الى أيدي العلماء المسلمين ـ واستطاع هؤلاء أن يأخذوا الكثير منها فيقرروها ويحرروها فى تأليفات مستقلة ـ ليس من شك فى أنها أصبحت أكثر تقدماً من العلوم التي كانت تدرس فى المدارس المسيحية فى نصيبين وحران والاسكندرية

(٢٥) oleary ، انتقال العلوم اليونانية . . . ترجمة أحمد آرام ص ٢٥٤ .

(٢٦) تاريخ الحكماء ص ٣٨٠ ـ ٣٩١ .

وغيرها من مراكز العلوم اليونانية آنذاك .

واذا كان من غير الممكن الوصل بين هاتين المرحلتين الا بعد فرض الحلقات المفقودة فانما هو من هذه الجهة وهي : انه قد أغفلت واحدة من أكبر الوسائط المؤثرة التي فصلت بين هاتين المرحلتين وهي مؤسسة جنديشابور التي بقيت أكثر من ٤٠٠ سنة احدى المراكز الواقعية للعلم كما كانت محلا لالتقاء واقتراح الافكار والاراء العلمية لمختلف العلماء من شرق العالم وغربه فكان من نتيجة هذا الالتقاء والتمازج من الافكار والاراء، أن عدداً من العلوم ـ وحصوصاً الطب والنجوم ـ قد تحولت الى هناك وصادفت فيها كثيراً من التقدم الذي لم يكن له نظير في مدارس آسيا الصغرى المسيحية ، كما لم يكن له نظير في الأديرة والمراكز الدينية وغيرها من المؤسسات التي كانت تحت سيطرة علماء اللاهوت آنذاك .

وقد مدح المؤرخون الاسلاميون ، بالخصوص علمي الطب والتنجيم وذكروا أنه كانت لهذين العلمين مكانة عالية ، ولهذا نرى أن أول ما ترجم في هذين العلمين من اللغة البهولية الى العربية كان بواسطة الايرانيين ويرجع السبب في شهرة هذين العلمين الى مالقياه من التحول والتقدم في مؤسسة جندي شابور. اذ من المسلم به أيضاً أنه كان في جندي شابور ـ اضافة الى المدرسة والمستشفى ـ محل لتعليم التنجيم ومكان للرصد كما استمر اجراء بعض أعمال التنجيم العلمية فيها الى القرون الاسلامية الاولى(٢٨) .

ويعتقد هؤلاء المحققون (بأنه ما من شك في أن العلماء الاوائل من الرياضيين الاسلاميين كالخوارزمي كانوا يعرفون أشياء لم يكن اليونانيون القدماء قد اطلعوا عليها) وليس في ذلك يرجع الى أن أول العلماء في العلوم اليونانية من المسلمين لم يكونوا هم الوارثين ـ بلا فصل ـ لليونان بل كانوا الوارثين لمؤسسة جندي شابور، حيث

(٢٨) يقول ابن يونس المصري في مقدمة (الزيج الحاكمي) ما لفظه : « ولا أعلم بين رصد بطليموس وبين رصد أصحاب الممتحن الا رصد أحمد بن محمد النانوندي الحاسب بمدينة جندي شابور في أيام «يحيى البرمكي» .

كانت العلوم اليونانية تشهد هناك على أيدي العلماء الايرانيين وغيرهم مراحل من التكامل.

حتى أن بعض الكتب التي كان أطباء جندي شابور قد ألفوها لم يكن لها نظير في العلم عند اليونان ككتاب دغل العين الذي ألفه الطبيب الجندي شابوري المعروف بـ (يوحنا بن ماسويه) وهو أقدم كتاب يبحث في طب العيون كما أسلفنا .

وأيضاً فقد ترجمت من الفارسية (البهلوية) الى العربية أسماء كثير من الاعشاب الطبية كما نجد ذلك بوضوح في الكتب العربية المترجمة من الفارسية والتي يبحث في صناعة الادوية ونفس تلك الكتب كانت تدرس في جندي شابور . تلك الالفاظ الفارسية قد تركت في اللغة العربية أثراً يذكره .

ويعلم من وجود أثر لاسم برزويه ـ في تركيب الأسماء اللاتينية لبعض الأدوية القديمة ومن نسبة بعض المعاجين الطبية (الخوزي) أن الادوية التي كانت تصنع في جندي شابور بواسطة نفس أطبائها قد بقيت موضع استعمال لعدة قرون . كما أن بعض الأدوية كانت تحمل أسماء مشاهير أطباء جندي شابور .

وكلما تقدمت الابحاث عن جندي شابور ، وكلما كشفت صفحات عن هذا المركز العلمي وعلمائه فسوف يكسبنا فريداً من المعرفة التي تساعدنا على معرفة الحلقات المفقودة التي تربط بين مرحلتين هامتين من مراحل مسيرة علم الطب عبر التاريخ.وان من أهم الوسائل التي يجب الاستفادة منها في هذه الحالة هي المؤلفات والاثار العلمية ـ وخاصة الطبية والصيدلة منها ـ والتي ترجمت في القرون الاسلامية الاولى الى اللغة العربية أو التي ألفها أطباء جندي شابور في بغداد أو في جندي شابور والاثار أو الاخبار الباقية لنا منهم ومن جملة هذه الوسائل أيضاً أول المؤسسات التي أسست في بغداد من هذا النوع كمستشفى الرشيد والمستشفى المعتضدي لأنها قد أسست بواسطة أولئك الجندي شابوريين كما كان نظام جندي شابور هو نفس النظام المعمول به فيها ، ومن هنا نجد أنها كانت تعرف عند المسلمين وفي اللغة العربية باسم (بيمارستان) وهو نفس الاسم الفارسي لها .

قلنا فيما سبق أن الخليفة العباسي هارون الرشيد عندما أراد بناء مستشفى في بغداد

أوكل ذلك الى طبيبه الخاص جبرائيل بن بختيشوع الجندي شابوري فأرسل جبرائيل هذا الى رئيس مستشفى جندي شابور الذي يدعى (دهشتك) يطلب منه الحضور الى بغداد ليقوم هو بهذه المهمة لكن دهشتك ـ كما أسلفنا ـ اعتذر عن قبول هذه المهمة بنفسه وأوكل ذلك الى أحد تلامذته .

ويجب أن نضيف ـ هنا ـ أن (دهشتك) بعد عودته الى جندي شابور كان قد أرسل ماسويه وهو أحد العاملين في المستشفى هناك الى جبرائيل حيث قام ـ تحت اشراف جبرائيل ـ بتأسيس المستشفى الذي أصبح يعرف بـ (مستشفى الرشيد) وكان أول مستشفى أسس في الاسلام .

و(ماسويه) هذا هو والد (يوحنا) وهو الطبيب والعالم المعروف في القرن الثاني والثالث والذي سبق أن ذكرنا قسماً من آثاره الطبية وقد كان من خريجي جندي شابور .

وهكذا أسس مستشفى الرشيد على هذا النحو وأصبح يدار من قبل أطباء جندي شابور أنفسهم فصار نموذجاً لمستشفى جندي شابور وبقي تابعاً له من الناحية الفنية والادارية مدة من الزمن لأن مديريه وأطباءه كانوا كلهم من جندي شابور ، كما أن الكتب التي تدرس فيه والتي يراجع الأطباء والصيادلة كانت نفس الكتب التي تدرس في جندي شابور أو من التي ترجمها الجندي شابوريون الى اللغة العربية أو ألفو بها .

واذا أخذنا في اعتبارنا ـ أن مستشفى الرشيد والمستشفى المعتضدي الذي اسس بعده في بغداد على ترتيبه ـ قد أصبحا فيما بعد صورة وأنموذجاً لأمثالها من المؤسسات في العالم الاسلامي ـ عرفنا السبب في بقاء نظم مستشفى جندي شابور العلمية والادارية متبعة في المراكز الطبية والصحية في العالم الاسلامي كما عرفنا سبب رواج أساليب التعليم التي كان من جملتها تلفيق الدروس النظرية والعلمية في تلك المراكز .

ويقول المحققون أن الطب الاسلامي يبتني على أساسين رئيسين أحدها مؤسسة جندي شابور والاخر كتب جالينوس الطبية . وهنا يجب أن لا يغيب عن بالنا ان أكثر كتب جالينوس الطبية التي كانت في متناول العلماء المسلمين قد ترجمت الى العربية بواسطة أحد هؤلاء الجندي شابوريين وهو حنين بن اسحاق الذي كان تلميذاً لـ (يوحنا بن ماسويه) .

وعلى أي حال فاننا كيفما نظرنا الى تاريخ العلوم العقلية والطبية فى القرون الاسلامية الاولى فأننا سوف نجد أثر جندي شابور فيها .

ولهذا فاننا نرى أن البحث والتحقيق في الآثار والمؤلفات العلمية لهذا العصر وسيلة من الوسائل المهمة لمعرفة وضع ايران العلمي في العهد الساساني ومعرفة كيفية التعليم والمعالجة وسير العلوم الطبية في مستشفى جندي شابور آنذاك .

اعتراف !!

نظر عبد الملك بن مروان عند موته فى قصره الى قصار يضرب بالثوب المغسلة ، فقال : ياليتني كنت قصاراً ولم أتقلد الخلافة ، فبلغ كلامه أباحازم ، فقال : الحمد لله الذى جعلهم اذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه ، واذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه .

كشكول الشيخ البهائى

أعلام الإسلام

(السيد الداماد)

محمد علي الزنجاني

نقف في هذا المقام أمام شخصية فذة، غذت الافكار ردحاً من الزمن، وكونت منها مدرسة فكرية واسعة الابعاد ، كان لها أبعد الاثر في دفع عجلة الفكر الفقهي، والفلسفي ، وغيره الى الأمام .

ومن المؤسف حقاً أن هذه الشخصية الرائدة تكاد تكون مجهولة المعالم لدى الكثيرين من مفكرينا اليوم فضلا عن غيرهم .

ولكن تلك العقول الفياضة والمهج المذابة، والحروف المشعة اعطت باخلاص كل ما تملك ومضت لربها راضية مرضية لتنعم من رفدها أجيال وأجيال ، ولتنعم هي من ربها بالوفير الجزيل .. ولئن ذكرتها وأجلتها هذه الأجيال،فلنفسها، ولخيرها هي هذا التذكر والاجلال .

ونحن هنا لا يمكننا ان نعطي أو نعرض من حياة هذا الجهبذ الكبير الا لمعاً يسيرة،ولنا من القارىء الكريم خيرعون عندما يتصفح هو بنفسه، ويراجع تاريخ هذا المفكر الكبير لتكمل لديه الصورة ، ويتجسد الهدف الذي قصدناه .

من هو؟

انه العالم المتبحر محمد باقر (الداماد) بن مير محمد الحسيني الأسترابادي، وابن اخت المحقق الثاني علي بن عبد العالي الكركي،وقد عرفت له القاب عديدة أشهرها (الداماد) وهي لفظة فارسية تعني (الصهر) وذلك اللقب كان لابيه باعتبار أنه كان صهراً للمحقق الكركي الشهير ، ولكنه انتقل الى الابن ، وأصبح ينصرف اليه عندما يطلق .

ولد فى سنة ٩٦٩ هـ (١) فى بيت علم وشرف ، ونهل من نبع العلم فى مشهد الامام الرضا(ع)فنشأ محباً للعلم والعلماء، يطالع الكتب بشغف فائق حتى استوعب القدر الوافر منها ، وما أن بلغ العقد الثالث من حياته حتى كان يعد أحد الفضلاء المبرزين فهو يجالس العلماء ، ويناقشهم فى مختلف المواضيع .

ويتحدث هو عن نفسه فيقول شعراً :

بيست بود سال بود ور قمر　　　ليك بدانش ز خرد پيرتر

معبراً به عن عدم التناسب بين العمر الذي يبلغ به العشرين عاماً والفكر الذي يتجاوز هذه الحدود الى مصاف أعلى وأرقى .

ويقول تقي الدين محمد بن شرف الدين علي الحسيني فى (خلاصةالشعراء): (أن الداماد اشتغل فى صغره في مشهد الامام الرضا (ع) بكسب العلوم ، ومع سنه المبكرة فقد قرأ الكتب الفلسفية المهمة مثل الاشارات والشفاء) .

ومن ثم بدأت معطيات عبقريته تتفتح عن تآليف وتصانيف فى مختلف العلوم .

وقد انتقل الى مدينة (قزوين) حيث اشتغل بالتدريس ، وبعدها انتقل الى مكان يقال له (مخيم المعلى) ومن هناك انتقل الى (كاشان) وبقي مدة هناك ، ثم رحل الى (اصبهان) وأقام فيها أخيراً ، ورافق السلطان شاه صفي الى زيارة العتبات المقدسة فى العراق ، وتوفي هناك سنة ١٠٤١ هـ ودفن فى النجف الاشرف ، وقيل

---

(١) نخبة المقال فى أسماء الرجال ص ٩٨ .

توفى سنة ١٠٤٠ بدليل أنه أرّخ له بالفارسية بهـذا التعبير (عروس علم و دين را مرده داماد).

المميزات الثقافية لعصره وأثرها في شخصيته :

ويمكننا في هذ الصدد أن نلاحظ هذه المميزات الثقافيـة بوضوح ممثلة في ما يلي :

أ ـ الأسلوب التربوي المتشدد ، مما كان له أبعـد الأثر في صقل النفسيات المستعدة ، وتحريك عناصر النبوغ فيها بقوة .

ب ـ الموسوعية: اذ يتلقى الطالب كل العلوم بشكل مقدمات اولا،ثم يتشعب به البحث في مختلف المجالات .

ج ـ الأسلوب العلمي الاصطلاحي المعقد .

د ـ كل ذلك يتأطر بالاطار المذهبي العام .

هذه المميزات نجدلها أكبر الأثر في شخصية السيد الداماد فتراه يمتلك تلك الشخصية الفذة القوية التي جعلت الحكام الاقوياء آنـذاك يطلبون وده ، بل كانوا يحسبون حسابه تماماً ويخشون جانبه .

ونراه صاحب تلك التآليف الموسوعية ،والتصانيف المختلفة من أكثر العلوم المتعلقة بالجانب المذهبي .

وعادت كتبه مدار البحث في الحوزات العلمية مثل (السبع الشداد، والايقاظات وغيرهما) حتى في حياته،وقامت مجالس المناقشة والحوار بينه وبين أعاظم العلماء، ومنهم الشيخ البهائي عليه الرحمة .

وهكذا نجده يلقب نفسه بالمعلم،أو الرئيس وذلك أنه يقول عندما ينقل جزءاً من تأليفات الفارابي وابن سينا :

«قال شريكنا في التعليم» و «قال شريكنا في الرياسة» .

وكذلك نجد أن اسلوبه أيضاً يمثل روح تلك العصور، من حيث تعقيده، وكثرة الاصطلاحات فيه حتى أصبح مضرب المثل فى ذلك .

العبادة والاخـلاق :

يجد الباحث حول هذه الشخصية عبارات شتى تصدر من علماء أفاضل تصور له ورع هذه الشخصية ، وزهدها وأخلاقيتها العالية وهذه نماذج منها :

يقول الشيخ القمي فى الكنى والالقاب عنه أنه :

«السيد الاجل محمدباقر بن محمد الحسيني الأسترابادي المعروف بالميرداماد المحقق المدقق العالم ... وحكي أنه لم يأو بالليالي الى فراشه للاستراحة مدة أربعين سنة ، ولم يفت منه (ره) نوافله مدة تكليفه » .

وينقل عن السيد عليخان فى (سلافة العصر) أنه قال فيه :

« والله أن الزمان بمثله لعقيم، وأن مكارمه لا يتسع لبثها صدر رقيم ، وأنا بريء من المبالغة فى هذا المقال » .

ثم يقول فى السفينة، (وكان ـ كما عن حدائق المقربين للميرمحمد صالح ـ متعبداً فى الغاية مكثاراً لتلاوة كتاب الله المجيد بحيث ذكر بعض الثقاة أنه كان يقرأ كل ليلة خمس عشرة جزواً من القرآن) .

وفى معجم المطبوعات: «كان من أجلاء علماء المعقول والمشروع وأذكياء نبلاء الأصول والفروع قاطناً بدار السلطنة اصبهان مقدماً على فضلائها الأعيان مقرباً عند السلاطين الصفوية بل مؤدبهم بجميل الأداب الدينية ، وكان شاعراً بالفارسية والعربية».

اساتذته (١) :

١ ـ خاله المحقق الكركي وله اجازة منه .

---

(١) اعتمدنا فى هذا على دراسة موسعة للمترجم له ، فى مجلة (مقالات وبررسيها) للاستاذ السيد على الموسوى البهبهانى .

ويقول الفيلسوف الكبير الملا صدرا الشيرازي فى اسناد اجازته :

« سيدي وسندي المسمى بمحمد ، والملقب بباقر الداماد . . . عن استاذه ، وخاله المكرم المعظم الشيخ عبد العالي . . . » .

٢ ـ فخر الدين محمد الحسيني الاسترابادي .

٣ ـ السيد نور الدين بن علي العاملي تلميذ الشهيد الثاني .

٤ ـ صاعد بن شمس الدين الطوسي ـ وكان الداماد يجله كثيراً .

٥ ـ الشيخ عز الدين حسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائى وغيرهم .

تلاميذه :

وهم كثير الا انا سنقتصر على نخبة منهم :

١ ـ الفيلسوف الشهير الملا صدرا الشيرازي .

٢ ـ حسين بن حيدر الكركي مفتي سپاهان .

٣ ـ سلطان العلماء .

٤ ـ الملا شمسا الگيلاني .

٥ ـ قطب الدين الاشكوري العارف .

٦ ـ المولى عبد المطلب بن يحيى الطالقاني .

٧ ـ المولى خليل الغازي القزويني .

وغيرهم كثيرون .

مؤلفاته :

يقول السيد البهبهاني فى مقاله انه « لم يمكن التوصل الى كل مؤلفاته على التحقيق ، ولكن وصل الينا عدد لا بأس به منها » .

وهذا بعضها :

اثبات علم الباري ، اثبات الولاية الخاصة ، البرهان الاسد والأخصر للفارابي. تفسير القرآن ، تقويم الايمان ، الحبل المتين ، ديوان شعر ، رسائل مختلفة حول مختلف المواضيع ، الايقاظات ، الاعضالات العويصات في فنون العلوم والصناعات السبع الشداد ، شرح الاستبصار ، ضوابط الرضا (ع) ، علم الواجب ، قانون العصمة ، القبسات ، المنطق ، نبراس الضياء في تحقيق معنى البداء .

وأخيراً فاننا نشعر بالتقصير التام في عرض هذه الشخصية الفذة والذي فرضه ضيق المجال على انا نطلب من القراء الاعزة ـ كما اسلفنا ـ مراجعة المصادر التالية للوقوف على عظمة هذا الرجل العلم والاستهداء بحياته الفذة .

المصادر :

خلاصة الشعراء .
قصص العلماء .
عالم الاراء للعباسي .
هدية الالباب للقمي .
تاريخ الادب العربي .
رجال المقمقاني وغيره من كتب الرجال .
حدائق المقربين للمير محمد صالح .
مقالات و بررسيها ، العدد ٣ و ٤ سنة ١٣٤٩ شرقية .
نخبة المقال في اسماء الرجال ص ٩٨ .
روضات الجنات ج ١ : ص ١٤١ .

الفهرس التمهيدي ص ٤٦٢ .

الذريعة ٢ : ٢٣٧ ، ٢٦١ ، ٥٠٧ .

سلافة العصر ٤٨٥ - ٤٨٧ وهو فيه (الحسني) .

ريحانة الأدب ج ٤ ص ١١٧ .

خلاصة الأثر ج ٤ ص ٣٠١ .

معجم المطبوعات العربية ٨٦٠ .

تربية الوحي

عن الصادق (ع) ان فقيراً أتى النبي (ص) وعنده رجل غني فكف الغني ثيابه عنه، فقال رسول الله (ص) : ما حملك على ما صنعت ؟ أخشيت أن يلصق فقره بك ، أو يلصق غناك به ؟ فقال يا رسول الله أما اذ قلت هذا فله نصف مالي ، فقال رسول الله للفقير: أتقبل منه ؟ قال لا ، قال : ولم ؟ قال أخاف أن يدخلني ما دخله .

كشكول الشيخ البهائي

حروف مضيئة

قال لرجل سأله عن جماعة امته: جماعة امتي أهل الحق وان قلوا.

الرسول الاعظم (ص)

كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك .

الامام أميرالمؤمنين (ع)

من اتكل على حسن الأختيار من الله له لم يتمن أنه في غير الحال التي اختارها الله له .

الامام الحسن (ع)

اياك وما تعتذر منه ، فان المؤمن لا يسيىء ولا يعتذر ، والمنافق كل يوم يسيىء ويعتذر .

الامام الحسين (ع)

المؤمن من دعائه على ثلاث : اما أن يدخر له واما أن يعجل له، واما أن يدفع عنه بلاء يريد أن يصيبه .

الامام على بن الحسين (ع)

الكمال كل الكمال التفقه فى الدين ، والصبر على النائبة ، وتقدير المعيشة .

الامام الباقر (ع)

ثلاثة لا تعرف الا في ثلاث مواطن : لا يعرف الحليم الا عند الغضب . ولا الشجاع الا عند الحرب . ولا أخ الا عند الحاجة .

الامام الصادق (ع)

تعجب الجاهل من العاقل اكثر من تعجب العاقل من الجاهل .

الامام الكاظم (ع)

ليس العبادة كثرة الصيام والصلاة ، وانما العبادة كثرة التفكير في أمر الله .

الامام الرضا (ع)

تأخير التوبة اغترار ، وطول التسويف حيرة ، والاعتلال على الله هلكة ، والاصرار على الذنب أمن لمكر الله **«ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون»** .

الدنيا سوق ، ربح فيها قوم وخسر آخرون .

الامام الهادى (ع)

لا تمار فيذهب بهاؤك ، ولا تمازح فيجترأ عليك .

الامام العسكرى (ع)

اللهم لا تمتني ميتة جاهلية ، ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني . . . . اللهم فثبتني على دينك ، واستعملني بطاعتك .

الامام المهدى (ع) فى دعاء أمر به

الحقوق العالمية الموحدة في الاسلام

بقلم: محمد مجتهد شبستري ـ قم ترجمة بتصرف، الشيخ مرتضى شريعتي ـ قم

هناك نقد معروف يوجه الى الدين المسيحي مفاده : ان الدين المسيحي يفقد «التخطيط الشامل للحياة» ؛ خصوصاً مع ما نلاحظ من التطور والتحول الاجتماعي المستمر ، والذي هو غير قابل للانكار .

وقد حاول احد المسيحيين الاجابة على هذا النقد فكتب في مطلع كتابه يقول:

«ان السيد المسيح انما لم يأت بقوانين اجتماعية ثابتة ؛ لان القوانين نفسها لا يمكن أن تكون ثابتة وأبدية ؛ وذلك لما نراه من التحول والتطور الاجتماعي المستمر . . والذي لا يمكن أن ينسجم مطلقاً مع مجموعة ثابتة من القوانين العالمية، ولهذا فقد أوكل السيد المسيح للمجتمعات البشرية أمر اختيار مايصلح لها من قوانين ونظم كلما اقتضت الحاجة ذلك، متبعاً للتطورات والتحولات الاجتماعية المستمرة . ولعل هذا الكاتب . . كما يريد الاجابة على النقد الموجه الى المسيحية . . كذالك يريد الاشارة الى سؤال يواجه اكثر المسلمين اليوم بشكل جدي . . . والسؤال هو التالي :

ان التطور والتحول الاجتماعي المستمر أمر غير قابل للانكار . ، فكيف يمكن للاسلام اذن أن يقدم للبشرية مجموعة من *القوانين الثابتة التي تتجاوز حدود الزمان والمكان ،وتواجه هذه التطورات والتحولات الاجتماعية المستمرة؟* .

والذى يبدو لي ان هذ السؤال ونظائره ـ وان كان طبيعياً لدى من له أقل اطلاع على العلوم الاجتماعية ـ الا ان طرح مثل هذه الاسئلة ، وعدم الاجابة الصحيحة عليها ، هو الذى اوجد عند الشباب المسلم فكرة تقليد الطريقة الغربية في مجال الحقوق الاجتماعية . . وهو الذى حملهم على الاعتقاد بضرورة احلال القوانين الغربية محل القوانين الاسلامية . .

وانه لمن المؤسف جداً ان نرى هذه الفكرة الخطرة قد اصبحت تطبق فعلا فى كثير من الاقطار الاسلامية ، دونما وعى او ادراك لما تحمله من اخطار وتجره من متاعب .

واننافيمايلىسوف نحاولفيحدودامكانناالاجابةعلىالسؤالالأنفالذكرفنقول:

قبل كل شيء يجب أن نلاحظ أن القوانين والاحكام التى شرعها الاسلام لتطبق فى المجتمعات الاسلامية على نوعين :

الاول : الاحكام والقوانين الثابتة ـ غير القابلة فى أي حال من الاحوال للتغير والتبديل ، والتى تملك صفة العموم والشمول ، والتى اريد لها الاستمرار والبقاء فى كل عصر وكل زمان .

الثانى : الاحكام والقوانين المتغيرة والتى يعرض لها التبديل والتغيير وفق الظروف والاحوال التى يمر بها المجتمع (الاسلامي) .

والنوع الاول : يرتبط بذلك الجانب من الشؤون الاجتماعية التى يمكن فرضها فى جميع المجتمعات البشرية موحدة متماثلة ودائمة وثابتة ، حيث يمكن ان توضع لها قوانين موحدة ومتماثلة وثابتة ودائمة .

وان جميع القوانين المسماة بالمدنية ـ تبعاً للاصطلاح الغربى ـ كالزواج والارث والطلاق ونحو ذلك من كيفيات وشرائط الايقاعات والعقود وكذلك مايعبر عنه بالحقوق التجارية والحقوق الجزائية ـ ان جميع هذه القوانين ـ هى من هذا النوع الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل وهى ترتبط بتلك الشؤون والعلاقات الاجتماعية التى يمكن فرضها متماثلة في جميع المجتمعات البشرية والتى يمكن تطبيق قوانينها فى جميع

المجتمعات وفى مختلف انحاء العالم بنحو واحد دونما ادنى تفاوت أو اختلاف .

وهذا مانعنيه بتوحيد الحقوق فى المجتمعات البشرية او فقل «الحقوق العالمية الموحدة» .

وهذا التوحيد وان لم يحصل بعد، الآن الدعوة اليه وتبنى فكرته قدبدات تنتشر بين الحقوقيين وأصبح لها انصار كثيرون ويعتبرها الكثيرون ضرورة ملحة لا يمكن الاستغناء عنها ولهذا ترى الحقوقيين اليوم يعلنون بصراحة انه لابد فى مجال الحقوق الخاصة من وضع قوانين عامة وشاملة . .

بل لم يعد توحيد الحقوق العالمية مجرد فكرة وانما دخل مرحلة التطبيق الى حد كبير ، ولسوف نتحدث فيما يأتى عن هذه الناحية بشكل اوسع .

والنوع الثانى : واعنى به القوانين الاجتماعية القابلة للتغيير والتبديل وفقاً لمقتضيات الظروف والتى يعبر عنها فى المصطلح الحديث بـ «الحقوق العامة» . . فهو ما يرتبط بذلك الجانب من القضايا والشؤون الاجتماعية التى لايمكن جعل ضابطة لها ولا وضع قانون شامل وثابت فى كل زمان ومكان ، ونحن نرى ان الاسلام فى نظرته الواقعيــة للحياة لم يقرر فى مثل هــذه القضايا والشؤون نظاماً ثابتــاً غير قابل للتغيير ولا للتبديل . . بل قد اعطيت الحكومات الاسلامية «الشرعية» صلاحيـة التغيير والتبديل . . بل وسن مثل هذه القوانين كلما دعت الحاجة الى ذلك .

واعطاء الاسلام للقادة «الشرعيين» صلاحية التغيير والتبديل(يجعل المجتمعات البشرية قادرة على التحرك والانسجام مع الضرورات الحياتيـة والظروف الزمنيـة فى كل عصر وزمان فى اطار الأصول الاسلامية الثابتة التى قررها الاسلام) .

ودراسة هذا الجانب من الأصول والقواعد العامة التى يجرى التغيير والتبديل فى اطارها من الضرورات الملحة والمفيدة جداً اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار التطورات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية السريعة فى القرون الاخيرة .

ولاجل توضيح ما سبق ودفع أي اشتباه واستفادة خاطئة يمكن ان تترتب على البيان المتقدم نجد أنفسنا ملزمين باعطاء صورة أكثر وضوحاً لما نريد بيانه فنقول :

«ان‌هذا الانسان مع غض النظر عن عامل الزمان والمكان يحتوي على مجموعة من العواطف والغرائزوالمميزات الجسمية والنفسيةوالاخلاقية هي في‌الواقع حدود وجوده وهي التي‌تميزه عن سائر الحيوانات بل هي‌جزء من وجوده وحقيقته لايغيرها مر الزمن ، ولا يؤثر عليها كر الايام . . » .

فمثلا الانسان كائن اجتماعي .. وهذا يعني ان من الضروري لحياته ان يرتبط بالمجتمع الانساني العام من جهة وبمجتمع الاسرة الخاص من جهة أخرى .

وارتباط الانسان بمجتمعه‌الصغيروالكبيرهذا أو فقل الخاص‌والعام أمرضروري له في كل وقت وفي كل حين . .

وعلى هذا فان كل قانون يرتبط بالتنظيم الاجتمـاعي وحقوق الافراد والحياة الزوجية يجب ان يكون من القوانين الثابتة التي لاتنالها يد التغيير والتبديل .

كما وان‌حياة الانسان قدبنيت(على خلاف‌الحياة الاجتماعية عندالنحل والنمل) على أساس التكامل الاجتماعي فلا بد وان تحكم الحياة الاجتماعية ـ اذن ـ قوانين ونظم ترتبط بالتكامل الاجتماعي .

ومثال آخر : ان الرجل والمرأة ـ رغم‌كل الادعاءات والمزاعم غير المبتنية على أساس علمي ـ يختلفان من حيث الهيكل الجسمي والروحي معاً ، فلا بد اذن تبعاً لذلك من اختلاف وظائفهما في المجتمع الاسلامي . .

ومثال‌آخرأيضاً:ان علاقة الولد بأمه وأبيه وعلاقات الاخوة فيمابينهم ، علاقات طبيعيةوروحية وجسمانية ثابتة ليست خاضعة لعوامل الزمان والمكان ، واذن فالحقوق التي تتفرع على هذه العلاقة كالارث مثلا يجب ان تكون ثابتة أيضاً .

وخلاصة القول : ان هذه الامور والمئات من مثيلاتها انما هي‌جزء من المعالم الثابتة للانسان غير القابلة للتغير والتحول فلا بد من أجل تنظيمها من جعل قوانين ثابتة غير قابلة للتغيير والتبديل .

وقد لاحظ الاسلام هذه الحقيقةوجعل على‌أساسها الحقوق والقوانين‌الاجتماعية والفرديةوالعلاقات العامة بين‌الناس‌والعلاقات العائلية والحياةالزوجيةوقضايا التجارة

والمال وما الى ذلك . . كما أنه وضع أحكاماً ترتبط بالنواحي الاخلاقية كتحريم الخمر والميسر والخلاعة والميوعة الجنسية من أجل رعاية العفاف وغير ذلك . . وهذه كلها من الاحكام والقوانين الثابتة التي لا تنالها يد التغيير والتبديل على مر الزمن وفي جميع الظروف لان ما وضعت لاجل تنظيمه ثابت لا يتغير ولا يتبدل . .

ولكن الانسان في نفس الوقت الذي يمتلك فيه مجموعة من الاوضاع والغرائز الثابتة والعواطف الاصيلة التي لا تتغير ـ ان هذا الانسان هو في نفس الوقت ـ تحيط به ظروف زمانية ومكانية خاصة يتغير وضعه ويتبدل تبعاً لتغيرها وتبدلها .

وعليه فكل الانظمة والقوانين التي تقوم على أساس هذه الظروف الزمانية والمكانية المتغيرة ـ لا على أساس الذاتيات ـ لا بد وان تتغير وتتبدل تبعاً لتغير ما قامت على أساسه ومن أجله ولنعبر عن هذه المجموعة من القوانين بـ«الاحكام والنظم الخاصة» لا بكلمة القوانين حتى لا تشتبه بالنوع الاول الذي قدمنا بيانه .

والاسلام كما قلنا قد راعى هذا الجانب أيضاً كما راعى ذاك فلم يقرر له نظاماً ثابتاً ودائماً . وانما سمح للنظم المتعلقة به بالتغير والتبدل لا مطلقاً وانما ضمن اطار معين ووفق قواعد معينة وثابتة .

وبعبارة ثانية ان التغير والتبدل في الأحكام الاسلامية المتعلقة بهذا الجانب ما كان الا وفق قواعد واصول عامة..هي التي تحمل طابع الاستمرار والدوام والثبات والاختلاف والتغيير انما هو في مصاديق هذه القواعد ليس الا . .

فمثلا . . ان الحاكم (الشرعي) المسلم والجهاز الذي أعطى صلاحية التغيير والتبديل قد تفرض عليه الظروف اقامة علاقات دبلوماسية قائمة على أساس التفاهم والصلح مع بلد غير مسلم اذا كان ذلك في مصلحة المجتمع الاسلامي .

في حين أنه ـ في نفس الوقت ـ قد تفرض عليه طبيعة الموقف ان يتخذ موقفاً حازماً مع بلد آخر غير مسلم اذا كان في ذلك أيضاً مصلحة المجتمع الاسلامي وهكذا الحال في العلاقات التجارية وغيرها ، وما حادثة التبغ الا أحد الامثلة على

ما قلناه (١) .

فهذه القضايا وأمثالها لم يوضع لها نظام ثابت وانما لولي الأمر بعد ملاحظة الظروف ـ واستشارة من يثق باخلاصه ومعرفته وخبرته والقيام بالدراسة اللازمة ـ بعد كل ذلك ـ له ان يتخذ القرار المناسب . . شريطة الا يتجاوز حدود القواعد الثابتة والأصول العامة المقررة فى الاسلام كقاعدة « لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » ، وقاعدة «لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام وقاعدة « المؤمنون عند شروطهم» وأمثالها مع جعل مصلحة المسلمين هي العليا وفوق كل اعتبار .

وهكذا .. الحال بالنسبة لقضايا الدفاع عن الوطن الاسلامي ونوعية الاسلحة وكل ما يتصل بالمحافظة على كيان المجتمع الاسلامي واستقلاله ودفع العدو ومنعه عن التغلغل فى أوساط المسلمين وفيما بينهم كل ذلك مع ملاحظة الظروف والاوضاع الاجتماعية القائمة حينذاك .

وكذلك الأمر بالنسبة الى ما يتصل بالثقافة والعلم النافع الذي يضمن السعادة للمسلمين مادياً ومعنوياً .

وكذلك بالنسبة لما يتعلق بادارة الوضع الداخلي للاقطار الأسلامية وكيفية الحفاظ على الامن والاستقرار فيها .

فهذه القضايا وأمثالها الاتملك طابع الثبات والاستقرار بل هي تدور مدار الظروف والاوضاع المتغيرة باستمرار فتنالها يد التغيير والتبديل وفقاً لما تقتضيه المصلحة العامة للمسلمين وفى اطار القواعد المقررة والمدونة فى كتب وموسوعات الفقه الاسلامي.

وهنا أمر جدير بالملاحظة : وهو ان تمييز افراد ومصاديق النوع الاول «الاحكام الثابتة» عن مصاديق وافراد النوع الثاني « الاحكام المتغيرة » قد يكون في

---

(١) قصة تحريم التبغ فى ايران عام ١٣ بطلها آية الله السيد ميرزا حسن الشيرازى ، المرجع الدينى حينذاك ، فقد لاحظ ان معاهدة التبغ بين الحكومة الايرانية والحكومة البريطانية أدت الى استعمار الامة الاسلامية من هذا الطريق ، فأصدر أمره بتحريم التبغ ، واضطر الحكومة ان تخضع وتتراجع عن المعاهدة .

بعض الاحيان سهلا لايحتاج الى مزيد تأمل وتفكر كما أنه قد يكون صعباً مشكلا.. وحينئذ فلا بد من الرجوع ـ في ذلك ـ الى آراء المتخصصين في مجال الحقوق من فقهاء المسلمين . .

وهكذا فان الأسلام هو الذي يستطيع ان يساير جميع الظروف والاحوال وهو الذي يستطيع ـ وحده ـ ان يقدم القوانين والنظم في جميع الاحوال وفي مختلف الظروف . .

ضرورة ايجاد حقوق عالمية موحدة في العصر الحاضر :

وبعد كل ما تقدم فان الامر الذي لا ريب فيه هو ان تعدد اللقاءات وتوثق العلاقات بين شعوب العالم المختلفة وكذلك تبادل الاراء والافكار والمذاهب وانتشارها عن طريق وسائل الاعلام كالجرائد والمجلات والراديو والتلفزيون وجعل كل ذلك في متناول يد كل أحد وانتقال الطقوس والتقاليد والخصائص الاقليمية والقومية من بلد لاخر ومن شعب لاخر ـ ان كل ذلك ـ يجعل التقريب بين الافكار والانظار والتقليل من هذا التضارب والاختلاف بين الافكار والعقائد المذهبية والسياسية والأجتماعية والاقتصادية . . أمراً واقعياً لا غنى عنه من أجل اسعاد البشرية ورفاهها وأمنها .

كما أنها في نفس الوقت تهيء لنا ارضية صالحة لتوحيد القوانين والنظم في جميع أنحاء العالم . .

وبديهي ان فكرة توحيد القوانين والنظم في العالم لا تتنافى وفكرة التطور والتكامل للمجتمعات البشرية . . لان توحيد الحقوق العالمية لا يشمل من شؤون لمجتمع الا ذلك الجانب الثابت الذي لا يتغير . . ويمكننا التمثيل لهذا القسم من لقوانين بالتنظيم العائلي، ففكرة توحيد الحقوق في العالم . . تقول ان من الممكن في كل المجتمعات صياغة المجتمع على نحو ما هو قائم في التنظيم العائلي بأن نحمل الرجل مسؤولية النشاط الخارجي وتهيئة وسائل العيش. وتكون وظيفة المرأة

هي ادارة المنزل وتربية النشيء وليكن هذا القانون ـ العائلي ـ وتطبيقه في المجتمع الصغير الخطوة الأولى على طريق وضع قانون موحد يعطي صفة الثبات والشمول في المجتمع الكبير ونعني به العالم بأسره .

فكرة توحيد الحقوق في العالم :

لقد أصبحت فكرة توحيد الحقوق والقوانين الموحدة لكل المجتمعات في جميع أنحاء العالم معروفة بين الحقوقيين ، وقد تبناها الكثيرون ، بهم وهم يدافعون عنها بكل ما أوتوا من قوة وحول..وقد قطعوا في الدعوة اليها اشواطاً بعيدة، حيث قد نشرو العديد من الكتب والمقالات التي يطالبون فيها قادة العالم بتوحيد الحقوق والنظم الاجتماعية .

وقد كتب أحد الحقوقيين ويدعى «كورتاروتانكا» وهو استاذ في جامعة طوكيو كما أنه يشغل منصب رئاسة المجلس الاعلى في اليابان كتب في مقال له يقول :

«ان الكتاب الذي اصدرته في نصف القرن السابق وقد نبهت فيها أيضاً على أنه يجب توجيه الحقوق والتنظيمات العالمية بشكل تدريجي وذلك لنتمكن ـ بالنسبة للبناء الشامل والمحيط العام من الحقوق الخاصة ـ من ايجاد نظم شاملة، يقوم أساسها على المقتضيات الحيوية للانسان» .

وقد تأسست في روما عاصمة ايطاليا في سنة ١٩٢٤ منظمة لهذا الغرض باسم ـ «المنظمة العالمية لتوحيد الحقوق الشخصية الخاصة». وعرضت ايطاليا هذه الفكرة باشارة من اساتذة جامعة روما على هيئة الأمم المتحدة . وقد أقر هذا الاقتراح رسمياً بعد التصويب عليه في ٣ اكتوبر سنة ١٩٢٤ ثم افتتحت المنظمة عام ١٩٢٨ وبدأت اعمالها منذ ذلك الحين وقد انضمت الى المنظمة حتى الآن ٤١ دولة .

أما وظيفة هذه المنظمة فهي اعداد مجموعة من القوانين الموحدة للمجتمعات والبلدان المختلفة وهي تقوم بدراسة الحقوق الشخصية الخاصة للبلدان المختلفة

والتوفيق بينها لكي تحصل آخر الامر على نظام موحد وشامل وهي تستعين على ذلك بخبرات المنظمات الاخرى اذا لزم الامر .

وخلاصة القول : اننا نشهد في عالمنا اليوم سعياً حثيثاً وجاداً من أجل رفع التناقضات القائمة بين القوانين المختلفة للاقطار المختلفة وليمكن من ثم الحصول على «القانون الموحد للعالم بأسره»

وهذا هو نفس الهدف الذي سعى اليه الاسلام وحاول تحقيقه قبل أربعة عشر قرناً فانه قد سبق هذا العصر عصر الذرة والفضاء الى تبني فكرة توحيد المجتمعات وجعلها في مرحلة التطبيق لكي تحيا في ظل قوانين ثابتة تتفق مع طبيعة الانسان .

موعظة . .

قال بعضهم : خرجت يوماً الى المقابر ، فرأيت البهلول ، فقلت : ما تصنع هنا ؟ قال : اجالس قوماً لا يؤذوني ، وان غفلت عن الاخرة يذكروني ، وان غبت لم يغتابوني .

العالم الاسلامي



جغرافية و احصاء

بقلم: السيد هادي خسروشاهي : قم ترجمة: عباس الترجمان

قبل ان نعرف عدد المسلمين فى العالم من الضروري ان نشير بصورة موجزة الى جغرافية العالم الاسلامي ، وموقعه ، وأهميته من النواحي المختلفة .

ان مجموع مساحة الدول التي تشكل العالم الاسلامي يقدر بحوالي ١٢ مليون ميل مربع ، وعلى هذا الأساس فان العالم الاسلامي يشكل قارة بحد ذاته من حيث المساحة ، تزيد على مساحة قارة افريقيا وقارتي اوروبا وامريكا الجنوبية ، وأقل من قارة آسيا .

واما اذا نظرنا اليها من الناحية الفرضية، فالمساحة التي تقطنها الاقليات الاسلامية فى الدول غير الاسلامية ، والتي يبلغ عدد نفوسها ١١٠ ملايين نسمة ، وأضفناها الى مساحة الدول الاسلامية لرأينا ان المسلمين يشغلون من الكرة الارضية مايساوي مساحة قارة آسيا التي تبلغ ١٥٫٥ مليون ميل مربع .

ومن حسن الحظ ان أكثرية الدول الاسلامية الكبيرة من الناحية الجغرافية متقاربة متصلة ببعضها . وفي الواقع تشكل وحدة كاملة بحد ذاتها ، تقرب مساحتها من ١٢ مليون ميل مربع ، كحلقات السلسلة الوثيقة ، مترابطة وممتدة من المحيط الاطلسي (أي خط طول ٢٨ درجة غرباً) الى الباكستان الغربية ونواحي « سينغ

يانغ » (أي خط طول ٩٠ درجه شرقاً) . وفي الواقع ان امتدادها يشكل من الغرب الى الشرق ١٠٨ درجات طولية ، ومن (خط عرض ٥٧ درجة من الشمال الى خط الاستواء في الجنوب) أي ٥٧ درجة عرضية .

اما الوحدة الجغرافية الكبرى الثانية في العالم الاسلامي الواقعة في جنوب شرق آسيا (اندونيسيا واتحاد ماليزيا) فتبلغ مساحتها ٨٥٨/٠٠٠ ميل مربع ، وبين هاتين الوحدتين الكبراوين، تقع قاعدة اسلامية كبيرة تسمى بـ (الباكستان الشرقية) تساوي مساحتها ٥٥/٠٠٠ ميل مربع . وفي قارة اروبا قاعدة اسلامية صغيرة باسم (البانيا) تبلغ مساحتها ١١/٠٠٠ ميل مربع .

والجدول الاتي يبين بوضوح مساحة كل الاقطار التي تشكل العالم الاسلامي (١):

القطر	القارة	المساحة (ميل مربع)
تشاد	افريقيا	٤٨/٠٠٠
غينيا	»	٦٥/٠٠٠
ليبيا	»	٦٧٦/٠٠٠
مالي	»	٤٦٥/٠٠٠
موريتانيا	»	٤١٨/٠٠٠
المغرب	»	١٧٥/٠٠٠
النيجر	»	٤٥٩/٠٠٠
نيجريا	»	٣٥٠/٠٠٠
السنغال	»	٧٦/٠٠٠
الصومال	»	٢٥٠/٠٠٠
السودان	»	٩٦٥/٠٠٠

(١) جغرافية العالم الاسلامي . الدكتور محمود طه أبو العلاء . الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٠ م ، ص ١٢ .

القطر	القارة	المساحة (ميل مربع)
تونس	افريقيا	٤٨/٠٠٧
مصر	»	٢٨٦/٠٠٠
زامبيا	»	٤/٠٠٠
الصحراء الأسبانية !	»	١٠٦/٠٠٠
صومال زامبيا	»	٨/٣٠٠
الجزائر	»	٨٥١/٠٠٠

* * *

القطر	القارة	المساحة (ميل مربع)
تركيا	آسيا	٣٠١/٣٨٠
الباكستان	»	٣٦١/٠٠٠
اندونيسيا	»	٧٣٦/٠٠٠
شبه الجزيرة العربية (*)	»	٩١٣/٠٠٠
العراق	»	١١٦/٠٠٠
الأردن	»	٣٨/٠٠٠
سوريا	»	٦٦/٠٠٠
ايران	»	٦٢٨/٠٠٠
لبنان	»	٣/٦٠٠
فلسطين	»	١٠/٤٠٠
افغانستان	»	٢٥٠/٠٠٠
الملايو		٥٠/٧٠٠
سنغافورة		٢٢٥
بورنيو الشمالية		٢٠/٤٠٠

(*) وتضم كلا من السعودية وامارات الخليج واليمن .

القطر	القارة	المساحة (ميل مربع)
ساراواك	آسيا	٤٨/٢٥٠
بوروني	»	٢/٢٥٠
ناحية سينغ يانغ	»	٧٠٦/٠٠٠
ناحية كشمير	»	٥٥/٠٠٠

الجمهوريات الاسلامية فى الاتحاد السوفييتى

		المساحة (ميل مربع)
قزاقستان		١٠/٥٩٠/٠٠٠
قرقيسيا		٧٦/٠٠٠
تاجكستان		٥٦/٠٠٠
تركستان		١٧١/٠٠٠
ازبكستان		١٤٦/٠٠٠
آذربيجان		٢٣/٠٠٠
تاتارستان		٤٠/٠٠٠
باشكير		١٠٠/٠٠٠
داغستان		٥٠/٠٠٠
البانيا	اروبا	١١/٠٠٠

مجموع مساحة الدول الاسلامية في افريقيا :	٥/٨١٢/٣٠٠
مجموع مساحة الدول الاسلامية فى آسيا :	٦/٠٣٧/٠٢٧
مجموع مساحة الدول الاسلامية فى اروبا :	١١/٠٠٠
المجموع الكلي :	١١/٨٦٠/٣٢٧

موقع العالم الاسلامي واهميته

من المؤسف ان بعض علماء الجغرافيا من اروبيين وامريكيين بعد الحرب العالمية الثانية ، أرادوا أن يحطوا من الاهمية الاقتصادية والموقـع العسكري والاستراتيجي للعالم الاسلامي ، وأن يقللوا من شأنه . فعرّفوه بـ « ان العالم الاسلامي يتكون من صحاري قاحلة وجافة وحارة فى افريقيا وآسيا» (٢) ولكن الحقيقة والواقع الماثلة بما تقدم من الارقام تثبت عكس ذلك، وتكشف :ـ ان الجشع عند الشركات الرأسمالية الكبيرة فى الغرب ،دفعها للتواطؤ غير الشريف والتخطيط والمؤامرات فى المعسكر المستغل ، لأجل التغلغل ، ووضع اليد على المنابع والمعادن الغنية فى المناطق الاسلامية .

ان هاتين الناحيتين تكشفان بوضوح موقع العالم الاسلامي وأهميته .

ان العالم الاسلامي يمتد من الساحل الافريقي الغربي (ساحل المحيط الاطلسي) غرباً ، الى حدود ناحية «سينغ يانغ» أي تركستان الصين وباكستان الغربية شرقاً ، وتمتد حدوده من الحدود الشمالية القديمة لتركستان السوفيتية شمالا ، الى الصومال، أي خط الاستواء جنوباً فى افريقيا .

وحدود العالم الاسلامي فى قارة آسيا تتسع بشكل يشمل اراضي آلاف الجزر ـ اندونيسيا ـ وموقعه فى افريقيا وأهميته بلغا حداً بحيث اطلق بعض الكتاب الاجانب على قارة افريقيا اسم «القارة الاسلامية» .

لاشك ان للعالم الاسلامي بسعة مساحته ، وثروة منابعه الطبيعية الكثيرة ، أهمية كبيرة من النواحي الاقتصادية ، والسياسية ، والعسكرية ، والجغرافية ومن حسن الحظ ان موقعه الجغرافي تكون بشكل بحيث لو تشكلت وتنظمت تشكيلات «الوحدة الاسلامية» بالمفهوم الواقعي للكلمة ، لكونت أكبر وأعظم قوة فى العالم ، ومن

(٢) Bowman : The Mohammeden world. The Geographical Review, Jan. 1944—pp. 64—65.

الناحية الاقتصادية ، لو تمكن المسلمون فی الاراضي الاسلامية من استغلال منابعهم، ومعادنهم ، وثرواتهم الطبيعية ، والاستفادة منها بصورة مستقلة ، وبدون أن ينهبها الاستعمار الاجنبي ، لكان العالم الاسلامي أغنى معسكر فی عالمنا اليوم .

وبالنظر الى المساحة والموقع والاهمية لكل جوانب العالم الاسلامي ، يتضح أي مدى يمكن أن يتسع بحثنا هذا ؟ . . حتى لو صرفنا النظر عن مواضيع تجزئة وتحليل كيفية انتشار الدين الاسلامي فی هذه الاصقاع الواسعة ، من الكرة الارضية من القرن الاول الهجري حتى يومنا هذا،والتحري عن ماهية العقائد والافكار،وتعداد الفرق والمذاهب،والاوضاع الداخلية لكل منطقة من هذه المناطق ، وكذلك تجزئة وتحليل مشاكل المسلمين فی عالمنا اليوم والمخططات والنشاطات من جانب أعداء الاسلام ضد الاسلام والمسلمين ، وتقييم الحركات والنهضات الاسلامية فيهذا القرن الاخير ، لاحتجنا الى تأليف كتاب ضخم يتألف من مئات الصفحات وتشكل كتاباً مفصلا ومطولا ، ولكن من خوف الاطناب نجد انفسنا مضطرين بعد الاشارة القصيرة الى مسائل عديدة تتعلق بعدد المسلمين فی عالم اليوم، الى ان نترك بقية المطالب الى فرصة مناسبة اخرى .

لكننا سنعرض لمحات عن مسائل متفرقة تتعلق بهذا الموضوع ، تاركين التفصيللمناسبة أخرى .

وجوب التعرف على العالم الاسلامى

من المؤسف حقاً اننرى المسلمين فی المناطق الاسلامية الواسعة، الذين يبلغ عدد نفوسهم ٧٠٠ مليون نسمة، متفككين بحيث لا نجد أي تعاون أو تآزر (بالمفهوم الاسلامي) بين الدول التي تحكم البلاد الاسلامية والشعوب التي تقطنها بل نجدهم لا يعرفون أي شيء عناحوال واوضاع بعضهم الاخر: الاوضاع السياسية،الاقتصادية الاجتماعية، الامكانيات والشرائط المادية، عدد العلماء ، المراكز العلمية ، الكتب ،

المكتبات، اللغة والاداب لكل قطر من هذه الاقطار، فكل هذهغير معروفة لدى القطر الاخر . وضرر هذا النقص الكبير لا سيما في موسم أكبر مؤتمر اسلامي (الحج) واضح للعيان بصورة جلية .

ومن سوء الحظ ان لا نرى في ايران أيضاً أي اقدام ايجابي في هذا المضمار من أي جانب (٣) مع العلم بأن التعرف على العالم الاسلامي العظيم ، ومعرفة كل جوانب المسلمين القاطنين في المساحات الشاسعة من العالم ، كان واجباً ـ حسب القاعدةـعلى بلدنا الاسلامي من مدة غيرقليلة قبل هذا اليوم،وان يكون عملياً بالفعل. ولكن نفس التساهل من جانب الشعوب الاسلامية الاخرى في هذا الموضوع أي عدمالالتفات الى أهمية هذا الموضوع الحيوي،هو الذي أدى الىأن بعض المسلمين الايرانيين كغيرهم يجهلون الموقع التاريخي ، الجغرافي ، الاقتصادي، الاجتماعي والعسكري للشعوب الاسلامية الاخرى ، بل لا يملكون الاطلاع اللازم عن كيفية اوضاع الدول المجاورة في الشرق الاوسط .

ومع صرفالنظر منعدم توجهالمسلمين أنفسهم الىهذه المسألة المهمة والحيوية فان المخططين للحروب الصليبية الباردة في عصرنا هذا ، بتعاونهم مع الصهيونية العالمية، يدأبون جاهدين على ايجاد الاختلاف،التخريب والعداء فيالبلاد الاسلامية ونشر الاكاذيب ، وقلب الحقائق في أوساط مسلمي العالم ، وجعل الاخوة المسلمين بحالة بحيث يجهل كل منهم الوضع الداخلي ، الخارجي ، المشاكل والامكانيات للبعض الاخر . وأضعاف معنوياتهم ، في كتبهم ومجلاتهم ، بحيث يصورون الاسلام نفسه ، بأنه دين الجمود ، وكأنه يتلاشي بنفسه شيئاً فشيئا . . . !

ومثلا على ذلك ، فقد نشرت المجلة الامريكية « لايف » قبل سنوات ضمن تعريفها للاسلام ، بأنه دين رجعي ! ! ، وأن أتباعه يتناقصون يوماً بعد يوم ! ...

مع العلم بأن من له أقل اطلاع على وضع المسلمين وانتشار الاسلام السريع المعجب في القارة السوداء وغيرها ، يسخر من هذه التهويشات والاقوال المناهضة للحقيقة والواقع .

(٣) المجلة الشهرية «مكتب اسلام» السنة ٦ ، المقال المتعلق بـ «عدد مسلمي العالم» .

نعم أن أولئك الذين يحولون الحرب الصليبية الباردة فى عصرنا هذا لحاجتهم الى حرب ساخنة طاحنة وبهجوم وحشي من القاعدة الحربية التى أسسوها فى قلب البلاد العربية (فلسطين) ليقتلوا خمسين ألف مسلم ، ويحتلون اراضي أخرى ، ويطالبون بأن تكون مدينة القدس (المدينة الاسلامية) مدينة دولية * ، اولئك الذين عملوا ما بوسعهم لاضعاف الروح المعنوية عند المسلمين ، وسحق كل الحركات الاسلامية الجديدة فى البلاد الاسلامية ، اجتهدوا على أن لا ينتشر الاحصاء الصحيح لمسلمي العالم ، وعملوا دائبين على أن يظهروه بأقل كثيراً مما هو عليه . ومثلا على ذلك ففي كتاب (تاريخ جهان براى كودكان) أي (تاريخ العالم للاطفال) والذي ترجم أخيراً للفارسية ، من مطبوعات المعسكر الرأسمالي الغربي فى البلاد الاسلامية !فقد سجلوا فى هذا الكتاب، أن عدد المسحيين ثلاثة أضعاف المسلمين !

اختلاف الاحصائيات

يمكننا القول بصورة مجملة بأن الاحصائيات التي انتشرت أو تنتشر لعدد المسلمين فى العالم على نوعين :

١ ـ الاحصائيات التي تمت وأنتشرت على يد المستشرقين أو المسيحيين الغربيين المغرضين سعت دائماً الى ان توصل عدد المسلمين الى أقل حد ممكن ، الى حد بحيث أعلن بعضهم أن عدد المسلمين فى العالم يبلغ ١٧٥ ميليون نسمة فقط. والذي يؤسفنا حقاً أن هذا الاحصاء بالذات أنعكس فى مطبوعات بعض الدول الاسلامية أيضاً.

٢ ـ الاحصائيات التي أنتشرت بواسطة المسلمين ، وبسبب عدم الاطلاع الكامل على الاحصائيات الصحيحة، فانها اتخذت طريق المبالغة فى ذلك ، فأوصلت

(*) كان هذا الطلب بواسطة الفاتيكان والبابا نفسه ولعدة مرات بعد اعتداء اسرائيل على البلاد العربية ، واحتلال مدينة القدس اعلن رسمياً ، وتناولته الصحف بصورة مفصلة .

عدد نفوس المسلمين الى ٩٥٠ ميليون نسمة (٤) .

والان نأخذ اولا عدة نماذج من الاحصائيات التي نشرت في السنين القليلة الماضية ، وننقلها من مصادر مختلفة ، ثم نترجم وننقل آخر الاحصائيات الصحيحة والكاملة نسبياً ، مع الاستفادة من المصادر المتعددة المعتبرة :

* أعلن (الدكتور رزلر) مدير دائرة الاحصاء الالمانية في (اشتو تكارت) ضمن أحصاءمعتنقي الاديان، بأنعددالمسلمينهو فقط (١٧٥/٢٩٠/٠٠٠)نسمة (٥) .

* كتب (جيمس فيشر) في كتاب له باسم (دنيا العجائب) أن عدد المسلمين في العالم ٢٠٠ مليون نسمة (٦) .

* المجلة الامريكية (لايف) تظن أن عدد نفوس المسلمين في العالم ٣٠٠ مليون نسمة (٧) .

* (لوئي ماسينيون) المستشرق الفرنسي المعروف (الذي توفي أخيراً) يقول في (سالنامة جهان اسلام) بأنه لا يعرف مجموع نفوس المسلمين أكثر من ٣٦٥/٣٤٦/٠٠٠ نسمة(٨) .

* المجلة الامريكية (تايم) أعطت رأيها بان عدد مسلمي العالم هو ٤٣٠ ميلون نسمة (٩) .

* البروفسور ه . ا . ر . جيب . استاذ اللغة العربية في جامعة (هاروارد) الامريكية،يذكر في كتابه (محمد نيسم Mohammadanism المحمدية) بان مجموع المسلمين ٣٥٠ مليون نسمة وفي الغلاف الخلفي للكتاب نفسه يكتب بأنهم ٣١٥ ميليون نسمة (١٠) .

---

(٤) كتاب (مسلمين جهان) ، رهنما الطبعة الاولى طهران ١٣٤١ .

(٥) مجلة (بهار) السنة الاولى ، الطبعة الثانية ص ٤٧٣ .

(٦) مجلة (الاتحاد) طبع امريكا . السنة الرابعة . العدد ٢ . ص . ٢ .

(٧) Life, August 8. 1955

(٨) Annuaire du Monde Musulman, Paris

(٩) Time. Jan. 11. 1963

(١٠) Gibb. H. A. R. Mnhammedanism.

* (فردينال توتل) يكتب: ان عدد مسلمي العالم يتراوح بين ٣٣٠ الى ٤٠٠ مليون نسمة، منهم ٣٠٠ الى ٣٦٥ مليون نسمة من السنة و٢٩ الى ٣٥ مليون نسمة من الشيعة (١١) .

* مجلة (رسالة الاسلام) الناطقة باسم (دار التقريب بين المذاهب الاسلامية) أعلنت أن عدد كل المسلمين يبلغ ٤٥٠/٠٥٣/٣٦٧ نسمة (١٢) .

* السيد هـ . و . هازارد. المستشار في هيئة الامريكية لامور الشرق الاوسط، أعلن في نشرته ، بأن مجموع مسلمي العالم ٣٩٠ مليون نسمة (١٣) .

* الدكتور علي زكي في كتاب (الاسلام في العالم) ذكر أن مجموع كل المسلمين في العالم يبلغ ٤٦٠/٧٤٨/٠٠ نسمة (١٤) .

* السيد علي اصغر حكمت ، الاستاذ بجامعة طهران ، يسجل الرقم الكلي للمسلمين في العالم بـ ٣٦٥ مليون نسمة (١٥) .

* (لوتروب استووارد) الامريكي ، يسجل في كتابه المعروف ، أن عدد نفوس المسلمين في العالم (٣٠٠ مليون نسمة) (١٦) .

* كتاب (دائرة المعارف ايراني) ذكروا أن عدد أتباع الاسلام ٤٢٠ مليون نسمة (١٧) .

* جمعية اتحاد المسلمين في ايران، أخبر بأن الرقم الصحيح لمسلمي العالم

---

(١١) (المنجد في الادب والعلوم) طبع بيروت ص ٢٩ . ذيل مادة (اسلام) .

(١٢) مجلة (رسالة الاسلام) طبع القاهرة . السنة السابعة . العدد ٢ .

(١٣) (اطلس تاريخ اسلامى) تأليف : هارى . و . هازارد ، ترجمة : محمود عرفان طبع طهران .

(١٤) كتاب (اسلام دين جاودانى بشر) طبع طهران .

(١٥) (نه گفتار در تاريخ اديان) الطبعة الاولى ، الجزء الاول . ص ٤٨ .

(١٦) (حاضر العالم الاسلامى) ترجمة : عجاج نويهض . الطبعة الثانية . ص ٤٨ .

(١٧) (دائرة المعارف يا فرهنگ دانش و هنر) الطبعة الثانية . طهران ١٣٤٨ .

ص ١٣٨١ .

هو ٦٥٠ ميليون نسمة (١٨) .

* مؤسسة مطبوعات (اطلاعات) ، تذكر أن عدد المسلمين ٤٢٠ر٦٠٦ر٦٩٨ نسمة (١٩) .

* مؤسسة (كيهان) تكتب أن العدد التقريبي لهم ٤٣٣ر٧٤٠ر٠٠٠ نسمة (٢٠).

* وفي كتاب (مسلمانان جهان) تعرف أن الرقم الصحيح لنفوس المسلمين هو ٦٣٦ مليون نسمة .

* ذكرت مجلة (المسلمون) الصادرة عن المركز الاسلامي بجنيف ، بالاستناد الى مجلة (الاتحاد) ذكرت أن مجموع المسلمين في العالم ٦٣٤ر٣٠٠ر٠٠٠ نسمة(٢١).

ومع ملاحظة هذه الارقام يتضح جداً، أن من المؤسف لم تجر تدقيقات صحيحة وكاملة في هذا المضمار لحد الان ، والا لكان من غير المعقول أن نرى هذا الاختلاف الكبير في الارقام ، والبون الشاسع بين ١٧٥ مليون و ٦٣٦ مليون نسمة .

ونحن اذا لاحظنا الاحصائيات المتعلقة بسكان الدول الاسلامية ، وغير الاسلامية ومحصناها بدقة ، وبصورة خاصة بالنسبة للمسلين من مجموع سكان تلك الدول ، تمكنا أن نحصل على احصاء مقبول . ولكن ، وقبل ان ندخل في هذا البحث ، نرى من الضروري الاشارة الى التناقضات الموجودة في عدد مسلمي بعض الدول .

للبحث صلة

(١٨) نشرة (اتحادية مسلمي ايران) في ذيل التقويم الاسلامي وخارطة عالم الاسلام طبع طهران ١٣٣٥ .

(١٩) (اطلاعات سالانه) طبع طهران . سنة ١٣٣٩ .

(٢٠) كتاب (سال كيهان) السنة الثانية . طبع طهران ١٣٤٢ . ص ٨٩٦ .

(٢١) مجلة (المسلمون) السنة ٩ . العدد ٤ . طبع سويسرا . جنيف . تاريخ رمضان ١٣٨٤ هـ .

عتباتنا المقدسة

قم

(١)

ملايين المسلمين ترف قلوبهم المؤمنة خشوعاً كلما مر ذكر العتبات المقدسة، وتخفق نفوسهم رغبة لزيارتها، باعتبار أن زيارتهم هذه تبعث فيهم ذكريات للرسالة وقادتها العظام .

ومدينة قم واحدة من تلك الأماكن الطاهرة التي تضم جدثاً شريفاً من سلالة الرسول الأعظم (ص) مما رفع من مكانة هذه المدينـة ، وجعلها تفتخر بأن تكون مثوى للسيدة الجليلة فاطمة بنت الامام موسى بن جعفر سابع الأئمة الأطهار عليهم السلام.

موقع قم الجغرافي :

تقع قم على بعد حوالي « ١٥٠ » كيلومتراً الى الشمال من طهران « عاصمة ايران » . . وتبعد عن خط الأستواء بمقدار (٣٤/٥) درجة ، ويبلغ ارتفاعها عن

سطح البحر « ٩٧٥ » متراً .

عدد سكانها :

يزيد عدد سكان قم على الـ « ١٥٠ » ألف نسمة . وتعتبر ادارياً « قضاء » من الدرجة الاولى تابعاً لمحافظة طهران .

سبب تسميتها بقم :

هناك أقوال متعددة فى ذلك :

منها : أنها فى الاصل كانت « كوميدان » ثم خففت ، فصارت «كم» ثم عربت الى « قم » .

ومنها : أنها سميت باسم حصن « كم » الذي يقع على بعد حوالي « ٢٠ » كيلومتراً الىالجنوبالغربي منها، وكان يعرف بجودة زعفرانه..والزعفران«الكمي» عرب فى كتب التاريخ الى « الزعفران القمي » وقيل في وجه نسبته غير ذلك .

ومنها : أن جماعة من أهل البادية نزلوا فى هذا الموقع ، وكان كثير الحفر التي يتجمع فيها الماء، ونصبوا خيامهم ، وسرحوا مواشيهم، وبنوا بيوتاً ، وأسموا تلك البيوت بـ « كوته » ثم خففت ، فصارت « كم » ثم عربت الى « قم » .

وهناك أقوال أخرى لا مجال لاستقصائها .

تأسيسها :

تعتبر قم من أقدم مدن ايران ويدل على قدمها الآثار التي ذكر ياقوت الحموي أنه عثر عليها .وبأنه قد وردت الاشارة اليها فى عدة كتب تاريخية قديمة ويستفاد من « شاهنامة الفردوسي » أن أبا موسى الاشعري قد افتتحها سنة (٢٣) هـ ، الا أن بعض المؤرخين يرى أن تأسيسها كان فى عهد الاسلام على يد الاشعريين بعد هجرتهم من

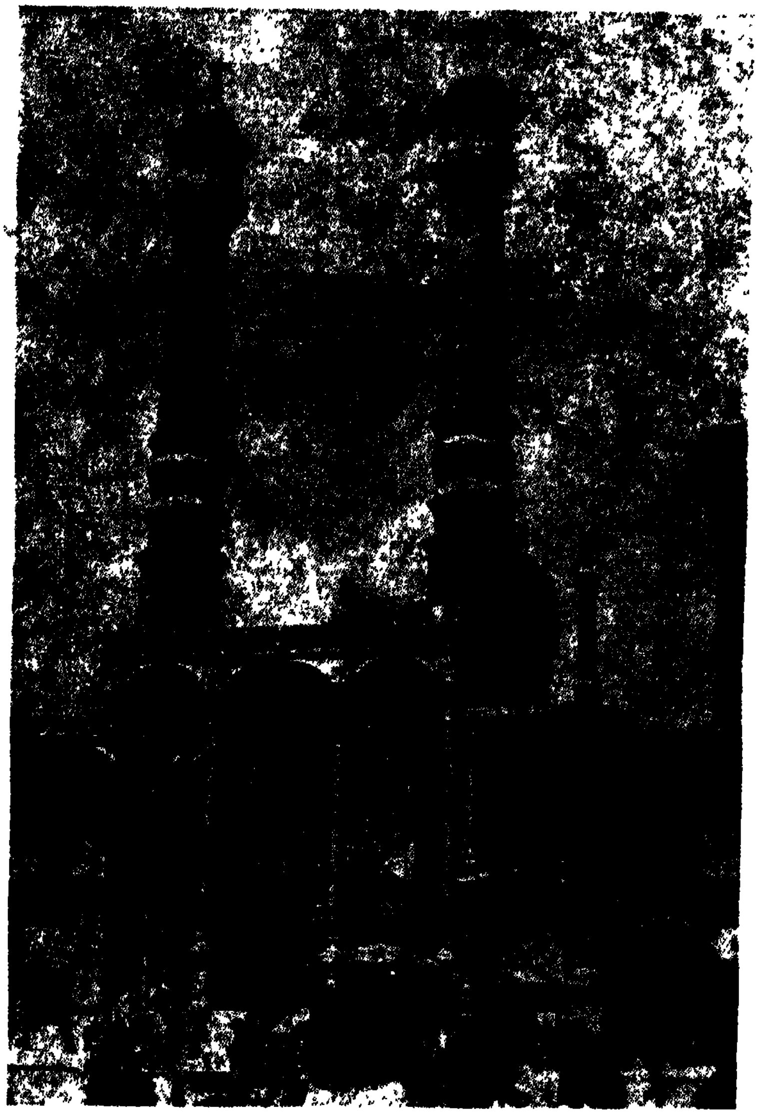
الـكوفة ، وان أختلفوا فى أن تأسيسها كان سنـة (٨٣) هـ . أو (٩٤) أو (٢٠٣) هـ الا أنه من الواضح عدم صحة القول الاخير ، حيث أن قم كانت موجودة قبل سنة (٢٠١) هـ بصورة بدائية بدليل أن التاريخ يذكر أن فصلها عن اصبهان ـ بعـد أن كانت تابعة لها ادارياً ـ حدث سنة (١٨٩) هـ . بالاضافة الى أنه يحدثنا أن السيدة فاطمة بنت الامام موسى (ع) قدقدمت قم سنة (٢٠١)هـ، وتوفيت بعدورودها بـ(١٧) يوماً ، ودفنت فى مكان يدعى (بابلان) ثم بعد ذلك كثر البناء حول مرقدها الشريف.

وقد نسب صاحب كتاب (بستان السياحة) بناءها الى الحجاج بن يوسف الثقفي فى عهد عبد الملك بن مروان . وفى ترجمة تاريخ قم قال : أن منطقة قم قد فتحت على يد الاحنف بن قيس سنة (٢٣) هـ ، الا أنه لم يصرح أن مدينة قم كانت موجودة فى ذلك التاريخ .

من هي السيدة المعصومة ؟

هي السيدة فاطمة بنت الامام موسى الكاظم(ع) وكانت معروفة بالورع والتقوى كما أنها كانت موضع احترام من الائمة وتعظيم من الامة لما كانت تتمتع به من صفات اسلامية عالية ، وأخلاق نبيلة بالاضافة الى نسبها الجليل كما أنها قد روت الحديث عن الائمة (ع) .

وكانت قد قدمت من (المدينة) قاصدة (مرو) لملاقات أخيها الامام الرضا (ع) الا أنها عندما وصلت الى «ساوه» مرضت فسألت عن المسافة بين ساوة وقم فأجيبت بأنها عشرة فراسخ فطلبت أن تنقل اليها وأقامت فيها سبعة عشر يوماً فى بيت موسى ابن خزرج الذي كان قـد خرج لاستقبالها ، وأخذ بزمام ناقتها الى بيته حتى وافاها الأجل وذلك سنة (٢٠١) هـ ، ودفنت فى مكان يملكه موسى هذا يقال له « بابلان » ولم يكن فيه آنئذ أي بناء . وبعد دفنها فى ذلك المكان بدأ الناس يبنون بيوتهم حول مرقدها وتركوا قلاعهم الاولى وهكذا..تحول الموقع الى مدينة عامرة لها أهميتها ودورها البارز فى التاريخ الاسلامي .



وأنت على مشارف مدينة قم . . تطالعك هاتان المئذنتان اللتان تهتز لرؤيتهما قلوب المسلمين فرحاً . . انهما مئذنتا الحرم المقدس، تواجهان القبة الذهبية التى تحنو على ضريح السيدة الطاهرة

وصف مرقد السيدة المعصومة :

والمرقد بناء يتجلى فيه الفن المعماري الأسلامي، وتزينه النقوش الرائعة الجميلة مما يجعله فى غاية العظمة والجلال .

ومساحة البناء بما فى ذلك الحرم والاروقة والاواوين والصحن القديم والصحن الجديد وصحن النساء المعروف الان بمسجد الطباطبائى أو «موزه» والمكان المعروف بمسجد فوق الرأس ومقابر ملوك الصفوية وغيرهما ـ مساحته ـ (١٣٥٢٧) متراً مربعاً، منها (١٩١٤) م مربعاً مساحة الارض التي تحت البناء والبقية عبارة عن صحني الحرم.

قبة الحرم هرمية الشكل قاعدتها ثمانية أضلاع بين كل ضلع وآخر (٢/٧٠) متر . طول كل ضلع منها (٣/٨٠) متراً ، وقد اثبت فى كل ضلع شباك من الذهب او الفضة او غيرهما .

ارتفاع القبة عن سطح البناء (١٦) متراً . . محيطها من الداخل «٢٨/٦٦» متراً ومن الخارج «٦٠/٣٥» متراً وهي من الخارج مكسوة بصفائح الذهب ، عليها كتابات وأشعارجميلة باللغة الفارسية، ومن الداخل زينت أيضاً بالنقوش البارزة الجميلة وبالمرايا، وتحت القبه ضريح من الفضة، مزين أعلاه بالذهب بمقدار متر من جميع الجهات ، كما أنه قد زين بكتابات ونقوش فى غاية الروعة والجمال .



رغم كل العوادى . . ما زالت هاتان المئذنتان شامختين، تتحديان الزمن فى الميدان القديم ، فى شمال المدينة .

وارتفاع هذا الضريح (٤) أمتار وطوله (٥/٢٥) م وعرضه (٤/٧٣) م وهناك الايوان الواقع فى الجهة الشمالية من الحرم والمتصل بالصحن القديم والذي يبلغ ارتفاعه (١٤/٨٠) م وعرضه (٨/٧٠) م وطوله (٩) م .

وهو مذهب من الداخل وفيه نقوش بارزة محلاة بالذهب وفوقه مئذنتان مستديرتا الشكل ارتفاع كل منها من وجه الارض (٣٢/٢٠) م وقطر كل منها (١/٥) م أعلاهما مذهب ويعرف هذا الايوان بـ (أيوان الذهب) .

وفى الجهة الشرقية أيوان آخر متصل بالحرم بواسطة رواق مزين بالمرايا كما أنه متصل بالصحن الجديد وارتفاعه (٧/٨٠) م وعرضه (٧/٨٧) م وطوله (٩) م وله أربعة أعمدة من الحجر ارتفاع كل منها (١١)م وشكله نصف هرمي مزين بالمرايا والنقوش البارزة من الداخل .

وفوق هذا الايوان مئذنتان ارتفاع كل منهما عن سطح الايوان (٢٨) م ومحيط (٣/٣٠)م وهما أعلى ما فى الحرم ولهما أهميتهما من حيث الفن المعماري ومن حيث النقوش الجميلة والكتابات التي تزينهما .

ويقع الصحن القديم فى الجهة الشمالية من الحرم المطهر وطوله (٣٥/٧٠)م في عرض (٣٤/٧٠) م تحيط به الغرف من ثلاثة جوانب ، وفي الجهة الرابعة منه يقع الحرم وأيوان الذهب .

وله بابان الشرقي منهما يتصل بالصحن الجديد والغربي يفتح على المسجد الأعظم وباب ثالث يفتح على المدرسة الفيضية وهو الان مسدود. أما الصحن الجديد ويعرف بالصحن الاتابكي ، فيقع فى الجهة الشرقية للحرم وهو أوسع من القديم وله ثمانية أضلاع فالشرقي والغربي طول كل واحد منهما(٧٨/٦)م وكل من الشمالي والجنوبي (٤٦/٨) متراً والاربعة أضلاع الاخرى طول كل واحد منها (٣/٧) أمتار .

ومن مدخل هذا الصحن من جهة شارع(ارم) يوجد خمسة أضلاع طول الشمالي والجنوبي (١٠) أمتار ، وضلعان مربعان طول كل منهما (٥/٨) متراً .

وفي هذا الصحن أربعة أواوين شرقي وغربي وجنوبي وشمالي ، أما الغربي فقد تقدم الحديث عنه،وأما الشرقي وهو المدخل المتصل بشارع(ارم) فطوله (٧/٨) وعرضه (٧/٣٠) وارتفاعه (١٣/٦) متراً وفيه نقوش جميلة بارزة فوقه بناء فيه ساعة كبيرة ومئذنتان صغيرتان ارتفاعهما عن وجه الارض (١٣/٥) متراً .

وأما الشمالي وهو المدخل المواجه لشارع (الاستانه) فارتفاعه (١٢/٨٠)وطوله (٧) وعرضه (٤/٤٠) متراً ويماثله الجنوبي فى جميع ذلك وعلى كل واحد من هذه الاواوين مآذن جميلة صغيرة الحجم .

وفي وسط هذا الصحن حوض بيضوي الشكل طوله (١٩/٥) وعرضه (١٢/٦٠) م وتحيط الصحن (٣١) غرفة لكل غرفة أيوان خاص بها طوله (٣) أمتار بعرض (٢) م الا ثمانية أواوين فان طول كل واحد منها (٦/٦٠) بعرض (٣ر٢٠) م له عامودان من الحجر وكل ما ذكرناه من الأبنية مزين بالنقوش الجميلة والقاشاني كأروع وأحسن مايكون.

وهناك صحن النساء ويقع في الجهة الجنوبية من الحرم وفي الضلع الغربي من الصحن الجديد «الاتابكي» وهو ما يعرف الان بصحن موزة (المتحف) أومسجد الطباطبائي طوله ٢٤ متراً وعرضه (١٩/٦٠) متراً .

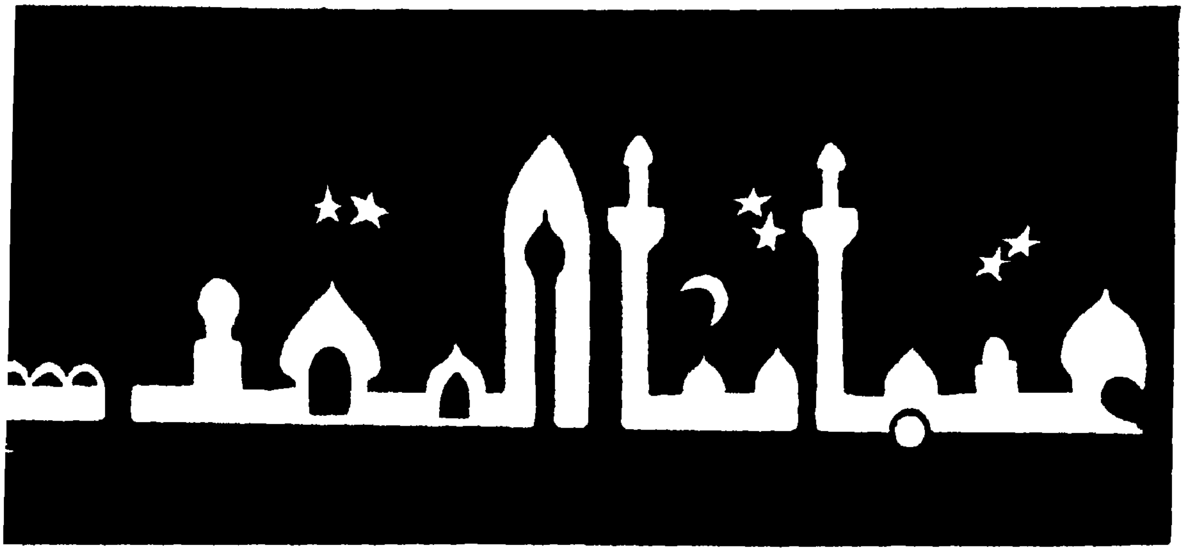
فوق هذا الصحن قبة فضائها (١٧) متراً وارتفاعها (١٧) متراً أيضاً ، وقد استمر البناء في هذه القبة من سنة ١٣٦٠هـ الى سنة ١٣٧٠هـ ، ويحمل القبة عدة أعمدة مزينة بالرخام وفي أعلاها النقوش الجميلة . وقد زينت جميع أطراف المسجد بالنقوش البارزة المطعمة بالمرايا . وهذا الصحن متصل بالحرم برواق طوله (٧/٨) أمتار وهو من أحسن مباني الحرم المطهر وأجملها .

ومسجد فوق الرأس بناء جميل كان في الاصل مقبرة طوله (٤٨) متراً بعرض (١٤) وارتفاع (١٢) متراً ليس فيه أي عمود ، وهو أيضاً مزين بالنقوش الجميلة والكتابات بالكاشي .

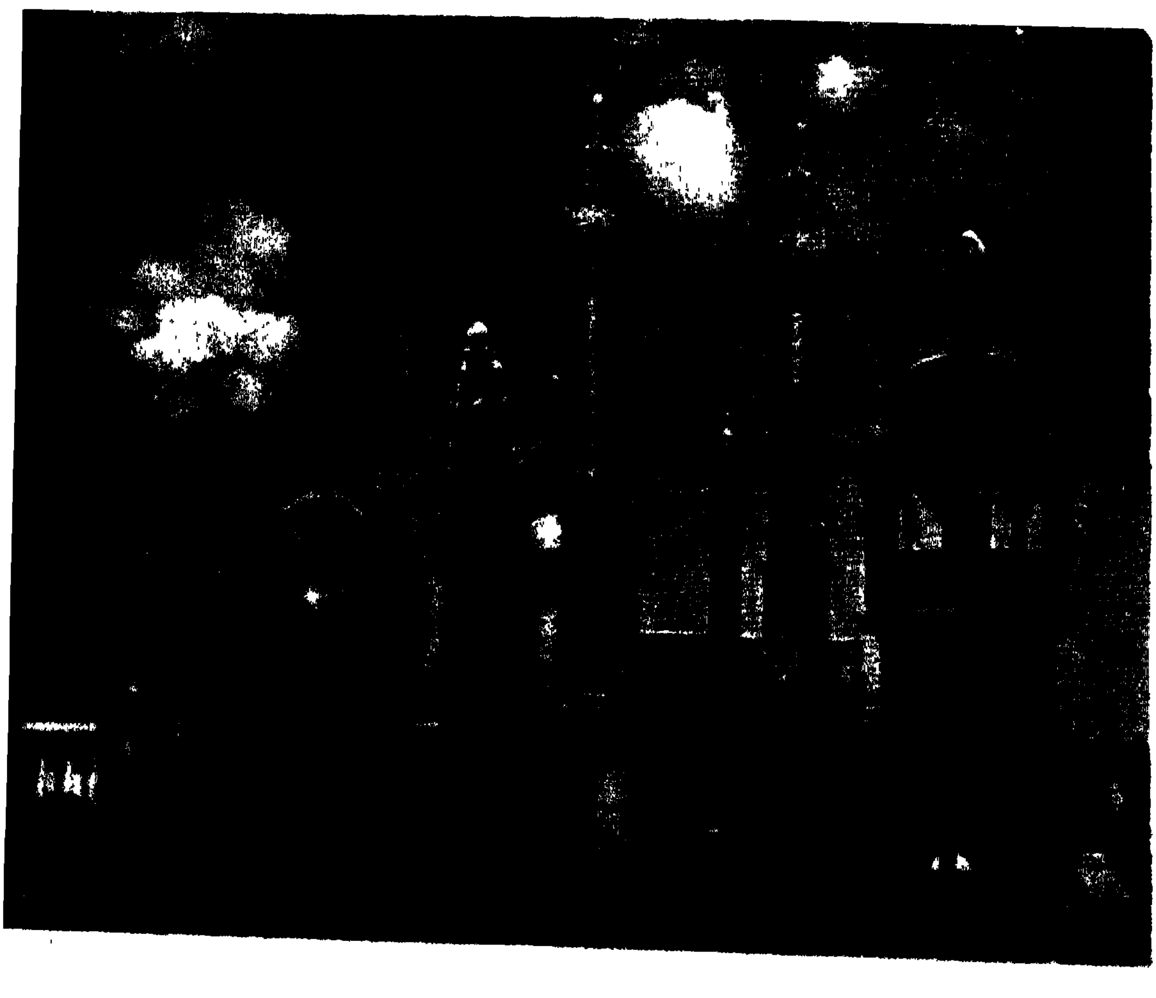
وهناك متحف الحرم ، ويدخل اليه من نفس صحن النساء ، وله طريق آخر من الخارج من شارع «موزه» ، أي المتحف ، وهو يتألف من قسمين الاول طوله (١٧/٦٠) متراً ، وعرضه (٤/٩٠) متراً ، الثاني طوله (١٥/٢٠) وبعرض (٥/٥٠) متراً ، وهو يضم الهدايا والنفائس التي أهديت للحرم المطهر على مر الزمن من قبل الملوك والاعيان وغيرهم .

تجديد عمارة الحرم والصحن :

عند ما توفيت السيدة فاطمة بنت الأمام موسى بن جعفر (ع) دفنت في ارض لموسى بن خزرج تسمى بابلان .



قم



هدية مجلة «الهادى» ـ دار التبليغ الاسلامى ـ ايران ـ قم

وأقام أبناء سعد الاشعري على قبرها خيمة من الحصر المصنوعة من القصب الى أن جاءت زينب بنت الامام الجواد (ع) وبنت على القبر قبة هي أول قبة تقام على ذلك القبر ، وكان للبناء باب صغير الى جهة النهر الذي يفصل بين شطري قم الان ، واستمر الحال على هذا الى سنة (٣٥٠)هـ حيث جاء زيد بن أحمد بن بحر الاصفهاني وبدل ذلك الباب الصغير بباب أكبر منه. وفي عهد طغرل السلجوقي (٤٢٩-٤٦٥)هـ. هدمت القبة الصغيرة ، وبني بدلاً عنها قبة أخرى أكبر منها وأعلى وأفخم ، وكان الذي قام بهذا العمل الامير أبو الفضل العراقي من أمراء طغرل واستمر الحال على هذا فكان يتجدد بناء المرافق والملاحق للمزار من دون أن يتجدد بناء القبة الى زمان الصفوية حيث بدأت التغييرات والتجديدات في عهدهم بصورة أوسع فهدمت القبة السلجوقية في سنة (٩٢٥) وبني مكانها قبة أعلى وأفخم وأحسن منها تقوم على ثمانية أضلاع وكانت مزينة من الخارج بالكاشي وأما من الداخل فقد كانت منقوشة بالذهب واللازورد وكان الذي قام بهذا العمل امرأة اسمها «شاه بيگم بنت عماديك» وكانت هي امرأة الشاه اسماعيل الصفوي أول الملوك الصفوية، وهذه القبة باقية حتى الآن على المرقد الشريف بتغييرات في داخل القبة وخارجها، ولم يكن هناك أيوان ولا صحن ولا وضع ضريح من الداخل واستمر الحال على هذا الى زمان الصفوية حيث بدأت التغييرات والتجديدات من عهدهم وبالتحديد من سنة (٩٠٦) .

وفي سنة (٩٢٥) بنى شاه اسماعيل أو امرأته الايوان الشمالي المتصل بالصحن القديم وزينه بالكاشي (المعرق) وجعله المدخل الوحيد للحرم، كما أنه أي شاه اسماعيل قد وضع الأساس للصحن القديم، وفي سنة (٩٥٠)هـ بنى الشاه طهماسب ضريحاً على المرقد المطهر وكان من الكاشي، وفي سنة (١٠٧٧)هـ بنى شاه سليمان الصفوي صحن النساء في الجهة الجنوبية من الحرم وأصبح هذا الصحن طريقاً خاصاً لمقبرة الشاه سليمان والشاه عباس والشاه سلطان حسين اذ من المعلوم ان مدخل هذه المقبرة كان من هذا الصحن فقط .

هذا وقد وضع الشاه عباس على ذلك المرقد المطهر الذي كان قد زين بالكاشي

قفصاً من الفولاذ الابيض وكان لاتقان صنعه بحيث أوجب أن يظن الرحالة المشهور (تاورينه) أنه من الفضة .

كما أن مرتضى قليخان أحد رجال الدولة الصفوية قد جدد بناء أيوان الحرم، وبعد عهد الصفوية وبالتحديد فى سنة (١٢١٨) هـ رفع الكاشي عن القبة ووضع بدلا عنه لبنات من الذهب،وفى سنة (١٢٣٦) بني مسجد فوق الرأس،وفى سنة (١٢٦٦)هـ جدد بناء أيوان الشاه اسماعيل ، وفى ذلك الوقت أيضاً وسع الصحن العتيق وبني من الجهة الشمالية منه مئذنة .

وفى سنة (١٢٢١) هـ فرشت أرض الحرم وجدرانه بالرخام كمازين الضريح بالذهب ووضع أول باب ذهبي فى الضلع الشمالي للرواق المتصل بأيوان الذهب الشمالي، وفى سنة (١٢١٥) هـ زين داخل القبة بالنقوش البارزة والمرايا والكتابات الجميلة ، وفى سنة(١٣٧٦) زين أيوان الشاه اسماعيل بلبنات الذهب ، وفى سنة (١٣٧٥) هـ لبس الضريح الفولاذي بالفضة وزين بالنقوش والكتابة .

وبنى شهاب الملك مآذن الايوان الشمالي وزينها بالكاشي ووضع (كامران ميرزا) قضبان الذهب فى أعلاهما ، وشرع أمين السلطان ببناء الصحن الجديد المعروف بالصحن الاتابكي ووضع أسسه لكن الاجل عاجله فأكمل العمل بعده ولده أمين السلطان والوزير الاعظم أتابك وجعل فى الجهة الغربية من الصحن أيواناً زينه بالمرايا من الداخل والكاشي من الخارج وبنى حول الصحن غرفاً متعددة أصبحت فيما بعد مقابر للاعيان والاشراف، كل ذلك مزين بالكتابة والنقوش الجميلة ، وقد أنتهي من ذلك كله سنة (١٣٠٣) هـ .

وفى سنة (١٣٤٦)هـ جرت بعض التعميرات فى صحن النساء وبني أيوان فيه . وفى سنة ١٢١٠ – ١٢١٤هـ وضع (نظام السلطنة) بابين من الفضة فى الضلع الغربي من الحرم ، وفى سنة (١٣٥٤) هـ . أحدث متحف للاستانه فى الطرف الغربي من صحن النساء ووضع فيه جميع الهدايا والنفائس التأريخية .

أهم الشخصيات المدفونة فى قم :

من الشخصيات المدفونة فى قم علماء وفقهاء وملوك ووزراء وغير ذلك من الطبقات نذكر من العلماء والمحدثين :

١ ـ أبو الحسن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي والد الشيخ الصدوق.

٢ ـ أبو القاسم جعفر بن محمد بن موسى بن قولويه استاذ الشيخ مفيد .

٣ ـ علي بن ابراهيم المنسوب اليه تفسير القرآن .

٤ ـ زكريا بن آدم بن عبد الله بن سعد الاشعري من كبار أصحاب الرضا (ع).

٥ ـ زكريا بن ادريس .

٦ ـ آدم بن اسحق بن آدم .

٧ ـ الميرزا أبو القاسم بن محمد حسن كيلاني المعروف بالميرزا القمي صاحب كتاب « قوانين الاصول » .

٨ ـ الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية فى قم مؤخراً .

٩ ـ السيد حسين البروجردي .

١٠ ـ السيد صدر الدين الصدر .

١١ ـ السيد محمد حجة . وغير هؤلاء كثير .

ومن ملوك القاجارية والصفوية ستة هم :

١ ـ الشاه عباس الثاني الصفوى ٢ ـ الشاه سلطان حسين الصفوى ٣ ـ الشاه صفي الصفوي ٤ ـ الشاه سليمان الصفوي ٥ ـ فتح علي شاه قاجار ٦ ـ محمد شاه قاجار .

ومن الوزراء والاعيان نذكر :

١ ـ علي أصغر اتابك ، كان صدر أعظم ايران فى زمان ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه وهو الذي بنى الصحن (الدار) المعروف بـ «الصحن الاتابكي» .

٢ ـ كامران ميرزا ابن ناصر الدين شاه كان نائب السلطنة وحاكم طهران

٣ ـ عين الملك صهر محمد شاه قاجار ويقال انه قد تقلد الوزارة مدة ٤ ـ فرخ

أمين الدولة وزير ناصر الدين شاه ٥ ـ عبد الصمد عز الدولة ابن محمد شاه الثاني ٦ ـ الملك المنصور شعاع السلطنة ابن مظفر الدين شاه قاجار حاكم شيراز .

وغير هؤلاء ممن يضيق المقام لكثرتهم عن ذكر أسمائهم .



المسجد الاعظم . . آية من آيات الفن الرائع . . مجمع روحي . . ومركز دراسي ، تعقد فيه حلقات التدريس التي يدير بعضها كبار العلماء ومراجع التقليد ، وهكذا هو المسجد علم وعبادة . .

أهم مساجدها التاريخية ومزاراتها :

في قم كثير من المساجد قد تزيد بمجموعها على مئة مسجد أهمها :

١ ـ مسجد الامام الحسن العسكري (ع) بناه أحمد بن اسحاق الاشعري بأمر الامام الحسن العسكري (ع) على ما هو معروف أضيف اليه كثير من الابنية والتعميرات ويدل على ذلك أنه قد كتب على محراب الايوان أن تاريخ بنائه سنة (١١٢٩)هـ في عهد

الشاه سلطان حسين الصفوي ولكن الابنية الفعلية ماعد السرداب هي منزمن السلطان ناصر الدين شاه ، ومن الطبيعي أن يكون هذا المسجد الذي بني بأمر الامام (ع) موضع عناية خاصة من جميع الطبقات .

٢ ـ مسجد جمعه وهو من الابنية القديمة التي لا يعرف زمان بنائها ولكن لا شك أنه بني فيالعهد السلجوقي قبلسنة (٥٢٩)كما تدل عليهكتابة ذكرأنها موجوده فوق الايوان الكبير وقد زاد فيه فتح علي شاه سنة ١٢٤٨ ﻫ و١٢٤٦ وفي الطرف الغربي منه رواق يقوم على ١٨ عاموداً .

٣ ـ مسجد (عشقعلي) وهو يشتمل على جناحين أحدهما قديم لايعرف تاريخ بنائه تقوم فوقه قبة مبنية بالاجر والاخر أضيف اليه في زمن ناصر الدين شاه .

٤ ـ مسجد فوق الرأس .

٥ ـ مسجد الطباطبائي ـ أو مسجد المتحف ، وقد مر الحديث عنهما .

٦ ـ مسجدالسيد البروجرديويسمى بالمسجد الأعظم ـ هو منأعظمالمساجد في ايران أسسه المرجعالديني الراحل آيةالله العظمى السيدحسين البروجردي سنة ١٣٧٣ ﻫ أنفق على بنائه أكثر من سبعة ملايين توماناً ، مساحته ١١ ألف متر مربع قسم منها واقع تحت البناء والقسم الاخر بشكل صحن «دار» المسجد وسائرمرافقه، تقوم فوقه قبة عظيمة مزينة بالكاشي من الداخل والخارج لعلها أعظم قبة في ايران ، وله مئذنتان عظيمتان هما أعلى مئذنتين في قم ومئذنتان صغيرتان وبناء لساعة كبيرة كلها مزينة بالكاشي ذيالنقوش الجميلة .

٧ ـ مسجد جمكران على مقربة من قم ويعرف بمسجد الامام صاحب الزمان عليه السلام وهو من الاماكن الشريفة التي يزورها الناس ويتبركون بها .



وهذه قبة هرمية الشكل كتب على واجهتها اسم اسماعيل بن محمد بن جعفر الصادق (ع) ، وان كان بعض المؤرخين يرى انها لمحمد بن عبد الله ابن الحسين بن على بن محمد بن الامام جعفر الصادقا عليه السلام .

وأياً كان فالانتساب الزاهر وان بعد عن الامام يكفى لتعلق المؤمنين الموالين بهذه المراقد وزيارتها .

وفى قم أيضاً عدة مزارات تنسب الى أهل البيت يقصدها المؤمنون للتبرك بها نذكر منها .

١ ـ مزار الحمزة بن موسى بن جعفر (ع) وقد بنى له قبة وصحن ميرزا علي أصغر خان اتابك .

٢ ـ علي بن جعفر الصادق (ع) .

٣ ـ ابراهيم بن أحمد بن موسى بن جعفر (ع) .

٤ ـ أحمد بن القاسم بن أحمد بن علي بن جعفر الصادق (ع) .

ومزارات اخرى يقصدها المؤمنون لقراءة الفاتحة .

أهم شخصيات قم :

لقد خرج من قم عظماء وافذاذ خلد التاريخ أسماءهم فمن الفقهاء والمحدثين.. نذكر :

١ ـ علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي والد الصدوق .

٢ ـ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المقلب بالصدوق ، وقد كان ركن الدولة يعظمه ويجله ، له ثلاثمأة مؤلف منها «من لا يحضره الفقيه» أحد اصول الحديث الأربعة عند الشيعة الامامية .

٣ ـ زكريا بن آدم .

٤ ـ جعفر بن محمد بن موسى بن قولويه استاذ الشيخ المفيد .

٥ ـ علي بن ابراهيم بن هاشم الذي ينسب اليه تفسير علي بن ابراهيم .

٦ ـ شاذان بن جبرائيل .

٧ ـ ابن شاذان محمد بن أحمد بن علي القمي وهو ابن اخت «ابن قولويه» .

٨ ـ محمد بن خالد البرقي .

٩ ـ محمد بن علي بن محبوب .

وكثيرون غيرهم .

ومن الفلاسفة نذكر :

١ ـ حنين بن سهل بن محارب والذي كان يحضر عنده الوزير ابن العميد .

٢ ـ الخاجة نصير الدين الطوسي .

ومن الوزراء نذكر :

١ ـ مؤيد الدين محمد بن عبد الكريم كان وزيراً لثلاثة من الخلفاء : الناصر والظاهر ، والمستنصر .

٢ ـ الأستاذ محمد بن الحسين المعروف بابن العميد كان وزيراً لركن الدولة وهو الذي صاحبه ابن عباد فلقب ابن عباد بالصاحب لذلك .

٣ ـ أبو الفتح علي بن محمد بن العميد استوزره ركن الدولة بعد وفات وكان يلقب بذو الكفايتين .

٤ ـ شرف الدين أبو طاهر بن سعد وزير السلطان سنجر السلجوقي .

٥ ـ تاج الملك أبو الغنائم وزير ملكشاه السلجوقي .

٦ ـ عبد الله بن عزيز القمي كان وزيراً للامير نوح الساماني .

٧ ـ كمال الدين ثابت بن محمد القمي كان وزيراً للسلطان مسعود السلجو

٨ ـ مؤيد الدين أبو طالب محمد بن علي العلقمي القمي المعروف بـ«ابن العلة وهو الذي ألف له ابن ابي الحديد شرح نهج البلاغة ، كان وزيراً للمستعصم .

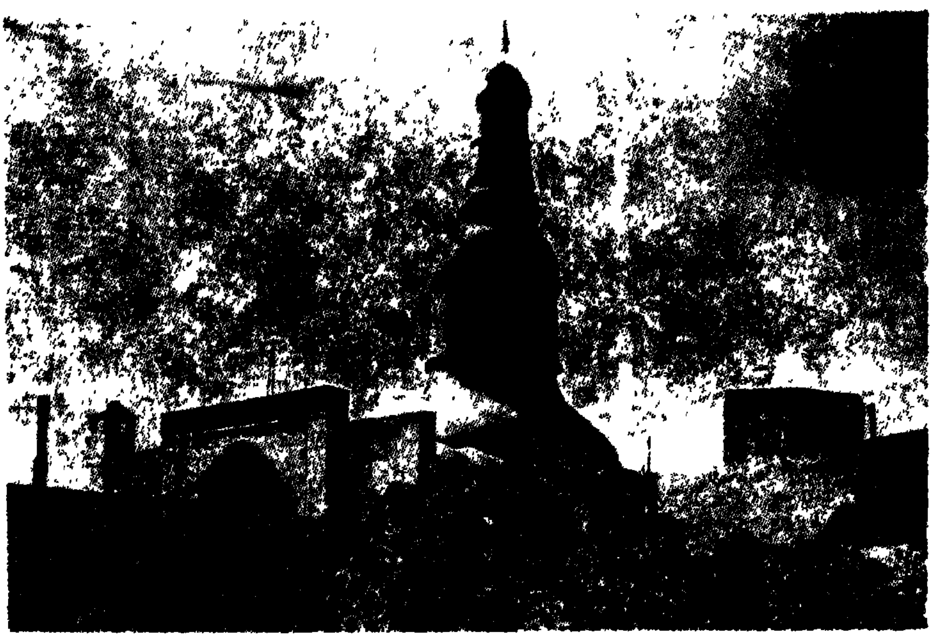
٩ ـ سعد الملك سعد بن محمد آوه آيي من وزراء محمد بن ملكشاه السلجو

١٠ـ الخاجة سعد بن محمد آوه آيي كان وزيراً لقازان بن تولي خان بن جنكيز.

وغيرهم . .

ومن الشعراء نذكر :

شهيدي ، وحيدي ، قدرت ، ذاتي ، وغيرهم .



وهذا مزار آخر ينسب الى حمزة بن الامام موسى بن جعفر عليه السلام ، واتصاله النسبي المباشر بالامام مع صلاحه وتقواه يزيد من اهتمام المؤمنين بمرقده وزيارته .

مركزها العلمي وأهميتها بالنسبة لمدن ايران :

تعتبرقم الان مركزاً رئيسياًمن مراكز الفكر الاسلامي،يدرس فيها الفقه والاصول والفلسفة والتفسير والرجال والحديث وغير ذلك على أعلى المستويات .

وقد أدت خدمات جلى فى سبيل الاسلام عامة والتشيع خاصة لا يمكن لاحد أن ينكرها وقد تخرج من مدارسها العديد من أفذاذ العلماء والمفكرين الذين أثروا عالم الفكر والعلم وحملوا مشعل الثقافة والفكر على مدى التاريخ .

وقد زادت أهميتها فى السنين الأخيرة وبالتحديد بعد تجديد الحوزة العلمية وبعث الروح فيها على يد مؤسسها الشيخ عبد الكريم الحائري(ره) حيث تضم الان أكثر



فى السوق المركزى للبلدة يوجد هذا المكان الذى يتجلى فيه فن معمارى دقيق ، مستمد معالمه من الذوق الاسلامى .

من سبعةآلاف طالب يدرسون العلوم الدينية ومختلف العلوم الاسلامية ثم وفي أشهر معينة كأشهر الصيف وشهر رمضان المبارك ينتشرون فى جميع مدن ايران من أجل أداء واجبهم وتبليغ رسالتهم التي نذروا أنفسهم من أجلها وفى سبيلها .

ومن هنا يظهر لنا مدى أهميتها بالنسبة لباقي المدن الايرانية ،مضاف الى ذلك وجود حرم السيدة بنت الامام موسى عليهما السلام والذي يؤمه الكثير من الزوار باستمرار طيلةأيام السنة ليس من ايران فحسب وانما من جميعأنحاء العالمالاسلامي وعلى الأخص الشيعي مضافاً الى ما فيها من الاثار التاريخية والتي تكسبها أهمية خاصة أيضاً .

أهم مدارسها الدينية :

فىهذه المدينة عدد من المدارس الدينية التي هي بمثابة الاقسام الداخلية للطلاب المهاجرين .

بعض هذه المدارس قديم العهد وبعضهما الأخر حديثة ، تخرج منها العديد من العلماء الافذاذ ، نذكر من تلك المدارس .

١ ـ مدرسة دار التبليغ الاسلامي التي تصدر عنها هذه المجلة ، والمؤسس لهذه المدرسة هو سماحة آية اللهالعظمى السيد الشريعتمداري ، وتعتبر هذه المدرسة مما جمع بين المنهج القديم والحديث ، وقد تحدثنا عنها فى العدد الماضي بنوع من التفصيل .

(٢) المدرسة الفيضية : كانت مدرسة صغيرة ثم وسعت سنة ١٢٢٣ هـ ويبلغ طولها الان (٦٠/٧٠) وعرضها (٥٠)م ، وفى جهة الجنوبية منها أيوان يصلالمدرسة بحرم المعصومة ، طوله (١١/٢٠) وعرضه (٤) أمتار بارتفاع (١٢/٥) بني فى سنة (٩٣٩)وقد بني هذاالايوان الشاه طهماسبوفى كل من الضلعالشمالي والشرقي والغربي أيوان ارتفاعه (١٢/٥) متراً وطوله (٩) أمتار عرضه (٦) أمتار .

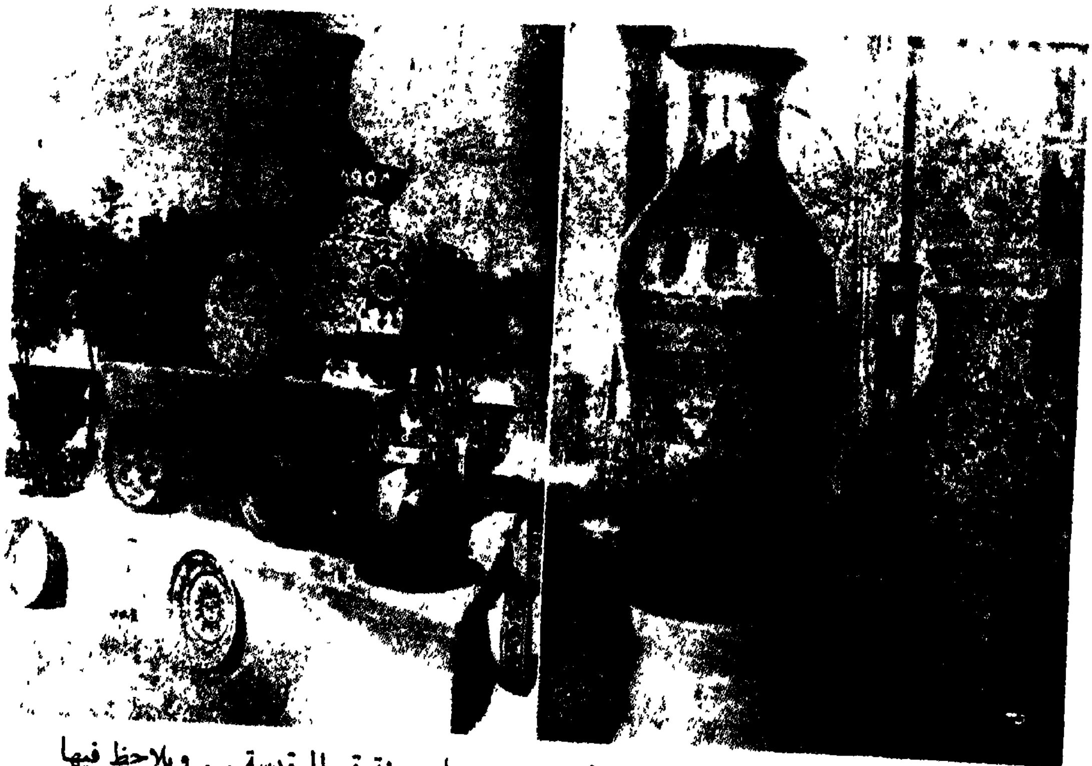
ويقع خلف الايوان الغربي مسجد طوله (٩) أمتار بعرض (٦) فوق مكتبة سيأتي الكلام عنها .

وهي مؤلفه من طابقين أحدهما قديم البناء وفيه (٤٨) غرفة ، والاخر حديث البناء فيه من الغرف ما يقارب ذلك ، وهي مبنية من زمان الصفوية ويقال أن بناءها كان من أجل طهماسب .

٣ ـ المدرسة الحجتية ، بناها آية الله السيد محمد حجة سنة ١٣٦٤ هـ تتألف من ست بنايات منفصلة كل منها تتألف من طبقتين فيها أكثر من (١٤٠) غرفة وفيها مسجد.



بيت من بيوت الله أذن أن يرفع ويذكر فيه اسمه.. تأخذك فيه الروحانية ويغمرك الخشوع ، انه مسجد الامام الحسن العسكرى عليه السلام .



نماذج رائعة من صناعة الخزف التى تشتهر بها مدينة قم المقدسة . . ويلاحظ فيها الدقة الفنية والنقوش الجميلة



«صناعة السجاد فن وجهد»
وفى الصورة عاملان يشتركان فى انجاز سجادة يتجلى فيهما الفن

مكتبات قم :

فى هذه المدينة المقدسة مكتبات عامة تتسم بالضخامة والعراقة وتعتبر منابع ثرة للبحوث الكثيرة التي زخر بها الفكر المعاصر .. وقد تأسست على أيدي كبار رجال العلم ومراجع الدين . . .

والى جنبها تتواجد المكتبات الخاصة القيمة والتي يزيد عددها على الخمسة آلاف مكتبة..اذ يحرص كل فرد من رجالات العلم هنا على الاحتفاظ فى بيته بمكتبة خاصة عامرة بالمصادر المختلفة .

كما أن المدارس العلمية الدينية تحوى كل منها مكتبات توفر لطلابها الكتب العلمية اللازمة .

هذه المؤسسات الثقافية جميعاً تحتوي خزائنهاأهم المطبوعاتوأقدمها ونوادر المخطوطات الثمينة ولعل أشهر مكتباتها العامة ما يلي :



المدخل الرئيسى لبناية مكتبة دار التبليغ الاسلامى العامة التى تعتبر مركزاً ثقافياً مهماً فى البلدة المقدسة ، ويؤمها كثير من الباحثين

مكتبة (دار التبليغ الاسلامي) التي أنشأها سماحة الامام السيد الشريعتمداري.

مكتبة آية الله السيد مرعشي .

مكبة الحرم الشريف والمعروفة بـ مكتبة (الأستانة) .

مكتبة المسجد الأعظم .

مكتبة المدرسة الفيضية .

مكتبة المدرسة الحجتية .

ونأمل بتوفيق منه تعالى أن نقدم تقريراً مفصلا عنها فيما بعد .

الولاء الصادق

واليت آل محمد وأخذت منهم كل عاده
أنا لم أجد منهم اماماً مات وهو على الوساده
حتى الذى قد جاوز الستين لم يترك جهاده
حتى الحرائر منهم قارعن من غصبوا السياده

ماذا يقول واعظ هذا العصر ؟

الشيخ محمد الكرمي ـ الاهواز

عنونا فى النشرتين السابقتين من هذا الموضوع قوله تعالى فى كتابه العزيز **«ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهوائهم بعد الذى جاءك من العلم ما لك من الله من ولى ولا نصير»** ، البقرة ١٢٠ .

وأشعرنا آنفاً أن متابعة أهواء المنحرفين فيها سلب مصونية من الله سبحانه للمتابع واذا سلب الله مصونية عبد من ناحيته هو وتبرأ منه وأعرض عنه **«ما لك من الله من ولى ولا نصير»** ، فلا شك ان ذلك العبد محكوم بالتلف ، ولهذا الحكم نتائج طبيعية وضعية لايمكن التشكيك فيها، بعد أن ابرزها العيان لاحداق اهله بصورة أجلى من الشمس كل انسان رأى عزة اخيه الانسان فى اطوار الحياة وادوار التاريخ، ورأى ذلته ، سواء كان ذلك بعين البصر ام بعين البصيرة ، ولا شك انه رأى عزته منوطة بتقنين النظام العادل ، واجرائه بين الافراد كمطابقة النسخة للاصل بلا أدنى فصل ورأى ذلته أما لفقد القانون العادل من رأس، واما لعدم اجرائه الا بخفير من الشفعاء والرشوات اما القانون العادل فهو مفقود من البشرية على طولها ، اذا كان وليد آرائها وذلك لعاملين قويين .

(العامل الأول) ان الكمل في البشر محدودون جداً بل هم من الندرة بمنزلة العدم ونعني بالكمل اولئك الذين لا تخطىء آراؤهم صفحة الواقع ، ولا تنحرف انظارهم عن اصابة صميمها، ومثل هذا الرديف حتى فى ارقى عصور الحضارة البشرية

لا وجود لـه ويعتبر الانسان أن اهم افراده هـو الفيلسوف وكم لفلاسفة الدنيـا قديماً وجديداً من شطحات لا تنفر ومن طلاسم لاتعرف ، حتى يحكم عليها بصحة او سقم مضافاً الى اننا نجدآراءهم مستعمرةلاخلاق الناس ، وعاداتهم الدارجة بينهم واخلاق الناس وعاداتهم فى الاغلب وهمية خرافية ، لا مقيل لهـا من الواقـع هذا كله اذا كان الفيلسوف مؤمناً بآرائه ، لا يحيد عنها ولا ينحرف حتى لو أخذ منه بالمخنق .

(العامل الثاني) مزاحمـة الاهواء للاراء ، ومتابعـة الاراء للاهواء ، فقد يرتئى الانسان الكامل رأياً حقاً، يؤمن به ايماناً لا يشوبه شك ، ولكنه يستره عن الظهور اذا كانت رغباته النفسية علىخلافه فهو لاجل أن يحقق رغبته ويطرد انتقاد المنتقدين عنه يبقى رأيه الصائب فى لفافته لا يطلـع عليه احد سوى روحه وذلك اذا توجهت اليه ، ويأخذ في تأييد رغباته علمياً تأييد المجاهد فيسبيل شيء لذلك الشيء وما اكثر هذا الرديف في عقلاء بني آدم ، اولئك يقدمون رغباتهم على مدركاتهم ، ويقتلون الثانية بالاولى ، ولا يتأثمون فكيف بهؤلاء لـو حصل لهم مـع ذلك راضخ اجـرة ، ومعطي رشوة ، على تأييد الباطل الذي رغبوه ومحقالحق الذي اعرضوا عنـه ؟ فهناك للحق والحقيقة كـل ويل وثبور من هؤلاء : فـاذا كان القانون الذي يجب أن يكون عـادلا نصيبه من مقننيه مـا رأيت ، فتكليف اجرائـه يكون من الجلاء بحيث لا يحتـاج الى بيان واقامة برهان اذن فالقانون العادل لايستطيـع أن يقننه غير الله لعدة عوامل رئيسية

(أولهما) أن الاكوان ومـا فى الاكوان ومن فى الاكوان كلها خلقته وصنعته ، وصانـع الشيء أعلم من كـل احد بظواهره وبواطنـه ، فالله سبحانـه اعلم بما يصلح المخلوق ويفسده

(ثانيها) انـه بهويته فاقد للرغبات والشهوات ، فليس فى وجوده مـا يظن بـه ظنّ السوء .

(ثالثها) انه فوق كل شيء من كل حيث ، فـلا يعقل فيه ان يتأثر بمؤثر يقعد به عنقول الحق واجراء الحق واجراء القانون فياطارحكومة تنفيذيةلايكون الا بمعصوم من نبي منتخب لله او وصي منتخب وقـد برهنت حكومات الانبياء التنفيذية على

قصرها في الزمان على ان مقياس الحكم العادل ما قاموا به ، وان غيرهم في حكومته بمفازة عن ظل الواقع ، فضلا عنه نفسه وكل انسان اذا لم يترسم هذه الخطى عملا وتأييداً لعمل فهو هالك كما ترى الناس في عصر الفضاء الذي يتغنى بـه المغنون هالكين رؤية عين بالادلة التالية :

(١) الانهيار العام في عامة الطبقات، فاننا لا نكذب احداقنا في عالم اليوم بما تراه من آثار الصنعة وجمال الرونق في المنازل والاسواق والشوارع والمصانع والمعامل كما لا نكذبها بالسخف وفقدان الشرف بما تراه في كل شيء وفي كل احد من الزعيم المطلق الى الطرقي الاحمق ، بل لاتجد للفضيلة اثراً ولا عن الرذيلة منقلبا فالكذب والتزوير والارشاء والارتشاء والتدليس والغش والغبن والميوعة والسقوط والتسفل والتوحش شارة كل فرد عليها يعيش ، ويبني منزله ويتخذ زوجته ويربي اولاده ذكرانهم و اناثهم و ينهي حياته الى آخر لحظة . فالقيم والمفاهيم بأسرها مداسة الارجل ، ودورانها في الرؤس يعد من الجنون بين ناس هذا اليوم .

ارم ببصرك حيث شئت ، فلا ترى الا جنوناً هائجاً ولاأبالية مطلقة العنان من كل احد ، وفي كل شيء بلا استثناء الا لمنكمش في جحر بيته ـ ان كان له في بشرية اليوم وجود ـ انكماش الحشرة في اجواف الارض .

(٢) نكران كافة المعنويات والانحصار بصرف الماديات فلقد اصفق سكان الكرة الارضية في هذا العصر على الاخص الكمونيست والشيوعيون والاشتراكيون وهم يشكلون الهيئة الكبرى والسواد الاعظم من بني الانسان اليوم على انكار حتى المفهوم للصفات الانسانية من، تعفف ونزاهة، وحلم، وحياء، وصدق، ووفاء، وصفاء، وتأخر عن فعل الباطل ، وتقدم لفعل الخير ، فلا تلمس اليوم معنى للعفة لا في النفوس ولا في الاعراض ولا تقف على نزيـه ، ولا من يحلم عند المقدرة ولا من يستحي من ارتكاب الرذيلة ، ولا من يفاوت بين الصدق والكذب ، ولا من يفي اذا وعد،ولا من يتحاشى قذارة اللسان ، وحركات الاعضاء الجافة كل ذلك لانه لا يعتبر الانسان الا حيواناًخالصاً وكلما يقال في ميز انسانيته فتزوير لا واقع له ، وليته اعتبره كحيوان

بسيط له ما للحيوان البسيط وعليه ما عليه ، او ارتآه كقرد فيغابة ولم يزد ولو كان الامر كذلك لقلت جملة من الويلات ، ولكنه يعتبره قرداً قد تقدمت بـه الحضارة الىمعرفة كل شيء تبطنته المادة،فهو قرد موسيقار ، رقاص ، زنّاء ، لوّاط ، سكير معربد ، مقامر ، متهجم ، راش ، مرتش، مريق للدم لأقل بادرة تهجس له ، هاتك للحرمة والحيثية لادنى شهوة نفسية ، بل نزوة جنونية ، وتراه يعجب من كـل من يستنكر عليه شيئاً من ذلك ولا يعتبره الا طرازاً من خرافي العصور البائدة .

وها أنا انسان أنتسب لمدرسة الروح ـ أراني ـ على أساس الحضارة الدارجة اليوم استغرب وجودي في مدينة مذهبية لها شارتها في ذلك، فأقول في نفسي كيف ياترى لـو مارست مدينة غربية في روسيـا ، او امريكا ، او غيرهما من بلاد الغرب الطافحة بعناوين هـذا التجدد الفعلي لاشك انني لا ارى نفسي في مثل مـا فرضت الا كأغرب الغرائب ، واعجب الاعاجيب سبحان الله ماذا فعل الانقلاب المادي بأهله .

(٣) ترى هل الحكم واسفافه وضياع الحقوق:في كل زمان كان قوي وضعيف، وظالم ومظلوم ، ومحتـكر ومحروم ، ولكـن هـذا الزمان على اساس نزعـه لمبادىء الانسانيـة بجميع مفاهيمها بلـغ فيــه ضياع الحقوق اعـلا قمـمه فمن المستحيل على الضعيف فيقواه البدنية والمالية وبنيته الشخصية ان يدرك القليل او الكثيرفما له من حقٍقرره القانونفي البلد الذي يعيشفيه ، فهومظلوم للباعة والشراة، مظلوم للعابرين والمستطرقين، مظلوم لحاكميه، وليس له منفذ يسلك منه الىدائرة شرطة ، او محكمة عدل، او غيرهما من مظان تنفيذ القانون، وحفظه بين من لهم حقفيه، فان انانيةالمادية المستشريه في كل ذي مقام تنبذه لمجهوليته نبذ النواة من فم آكل الثمرة ، وتستقذر وجوده ، وتهزأ منه، ولا نغالي فيما ذكرناه بل نرانا مجملين في تفصيلـه ، اذ لا طائل وراء هذه التفاصيل التي يمجها اهـل القدرة ، ويرونها مكدرة لصفو عيشهم ويـرون الانتقاد بها عليهم من الاسفاف .

ولنا أن نتسائل ونقول من أين جاءنـا هذ البلاء ؟ فان لكل شيء سبباً ، ومن المستحيل حصول مايحصل جزافاً ولاشك ان هذا الزهل والاسفاف والانحطاط الذي

نـراه فى جوامعنا الاسلامية (و انما خصصناها بالذكـر لانها ألصق بنا من أيـة جامعة أخرى) كان مسبوقاً بنزغة دينية تضفي المحيط الاسلامي من شرقهلغربه ، ومن شماله لجنوبه وكان لاخلاقهـا السيطرة على الظاهرة كلهـا ولا شك ايضاً ان استمرار هاتـه النزعات الدينية من لدن زمن صاحب الشريعة الى ما قبل ثلاثينسنة تقريباًكان لعوامل مشت به حتى اوصلته الى هذه الغاية وأهم العوامل فى نظرنا خمسة :

(العامل الاول) ان قوة الاندفاع الاسلامي بحرارته الأولى المتغلغلة فى نفوس المؤمنين اخذت تعبـر هذه القرون قرناً بعـد قرن ، يكون اللاحق منهـا نتيجة للقرن السابق ومستمداً منه وهكذا حتى انتهت القوة كمـا تنتهي قوة الرصاصة المطلقة بعد أن تنتهي آخر قوة في دفعها ، فتسقط الى الارض لاتؤثر حتى فى الحشرة الصغيرة الا بمقدار مافيها من ثقل الرصاص وزناً لا حدة .

(العامل الثاني) ان الدين والأخلاق الدينيـة والآداب الفاضلة لابـد وان يكون عليه وعليها قوام يؤيدون اندفـاعها الاول القائم بالمـدافع الاول وهو النبـي (ص) وأوصياؤه (ع) من بعـده ، ولولا هؤلاء القوام لانتهت حرارة الطلقـة وقوة الانطلاق قبل هذا الموعد المقرر الذي اشرنا اليـه ، وكلما كان القيم خيراً فى نفسـه ، شريفاً فى أخلاقه ، ناصحاً صادقاً فى قيمومته ، كان الاندفاع الى الامام أبقى وأقوى .

ونحن وانلم نر القوام السابقين بأعيننا ولمنختبرهم بأنفسنا كما رأينا اللاحقين منهم بأحداقنا واختبرناهم بخاصة انفسنـا الا ان الأثار الوضعية لكل شيء قاضية على ذلك الشيءقضاء محكماً لاشك معه ، فقدكان فى زمرة الاسبقين من لا تأخذه فى الحق لومة لائم ، ويضيف الى ذلك الورع والاحتياط كمـا يتقاضاه منه مقامه بعنوانه قيماً على الدين واهله ولم تر اعيننا فى هذه الاعصار من يملك هذا الملاك ومن كان القيم مسفاً اسف معه غيره لطبيعة الحال .

(العامل الثالث) شيوع الالحاد فى الغرب شيوعاً حاداً نتيجة لترهل المسيحية وأسفافهافى مبادئها الدينية التييضحك منها أحد بمجرد ان يتوجه اليلبه،وانحراف حماتها فى خاصة أنفسهم ، وضغطها على كافة من خالف مبادئها بالعنف الشديد .

فهذه العوامل الثلاثة لما تجمعت وتراصت أعطت من نفسها انبثاق الالحاد الحاد في فهمة الغرب، فقامت قيامتهم مرة واحدة، وأنتجت من نفسها عكس عمل عجيب، فكان القرن الثالث عشر وأوائل التاسع عشر من اخرى القرون البشرية الحاداً بما وراء الطبيعة .

(العامل الرابع) تقارب الشرق من الغرب ، تقارباً أدى بالمناطق الارضية جمعاء أن تكون بحكم مملكة واحدة، متصلة الطرق والارتباطات والمواصلات ولا شك أن هذه التقارب بل الاخلاط له أثره العميق في تحدّر الحاد الغرب الى الشرق الاسلامي ، فتاجر المسلمين ، ومحصل أولاد المسلمين، ومريضهم وسائحهم أخذوا يتسربون الى ولايات الغرب حتى لم تبق ولاية لم تدسها أرجلهم ، والكيان الغربي في العقيدة ما ذكرنا عنه وهو الالحاد الحاد، ومن لازم كل ملحد في العقيدة التفسخ والميوعة في الاخلاق الى أبعد حد يتصور حتى يحقق الحاده بأعلاء مقاييسه ولا شك أن ذلك أثره الفعال في نفوس من يخالطهم ويمازجهم أو يخالط من خالطهم ومازجهم بحكم السراية .

(العامل الخامس) استعمار الغرب لتكاثر قواه ممالك الشرق كلها ، لضعف قواها ، وانحطاطها، ومن شأن كل قوي الافتراس، وكل ضعيف الانهيار، وكل حاكم يحاول في محكومه ان يسلبه جميع صلاحياته حتى ينيمه الى الذلة، ويحكمه براحة واطمئنان نفس ومن لازم هذا المعنى بين الغرب الحاكم والشرق المحكوم ان تذوب من الشرق كل روح دينية، ويطلع بظاهرة ملساء ، قابلة لأن تطبع بأي طابع اراده من يحكم فيه وهكذا فعل حتى أصبحت المفاهيم الدينية بين المسلمين منسية لدرجة أن الشرقي الذي كان مسلماً أصبح يستغرب من طرح كلمة الدين على سمعه، وانما الحياة حيوانية خالصة غير مقيدة بقيد ، ولم يعد السامع اليوم يسمع من المسلم كلمة : الله ، أو قرآن ، أو رسول ، الا من بعض افراده ، كبقايا رسوبات بقيت لسانه من دون أن يفهم لها معنى ، فاذا كانت قضاياه مع العقيدة بهذا اللون ـ اذن ـ فألفسلام على الصلاة والصيام اللذين هما من أبرز نقاط الدين في الجوامع المسلمة

وأما ما تنزل عنها درجة فسبيلة في النكران من أوضح الواضحات .

وجامع كل هذه العوامل ورأس كل انكسار ورد على الدين والمتدنيين هو متابعة مدعي الايمان بالله أهواء من ألحدوا به ، تقديماً للراحة المتلفة على العمل المثمر ، ولشبع أيام على جوع عمر مديد ، ولجاه قشري على عزة واقعية أبدية ألا قاتل الله أهل النفوس الضعيفة ماذا يأتي عليهم شرهم ؟ وما تجر عليهم من ويلات دنائتهم ؟ ولا بدع اذا أصلحوا ، ولا ولي لهم من الله ، ولا ناصر أذل من ارنب ، وأوطأ من نعل .

التقييم الحق

عباد الله ان أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه ، وان أغشهم لنفسه أعصاهم لربه ، والمغبون من غبن نفسه ، والمغبوط من سلم له دينه ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من انخدع لهواه

الامام أمير المؤمنين عليه السلام

ولاء وطهر

محمد علي علي اكبر

من ولا الطهر . . ومن طهر ولانا ... رقصت في مسرح الذكرى منانا
كم رشفنا روحها . . في أكؤس ... حالمات . . كن غازلن رؤانا
ومشينا . . نعصر القلب طلاً ... لنروي شفة الشعر بيانا
يسكر السمع . . على أنغامه ... اذ تغنيه . . ندياً شفتانا
لثرى الامجاد . . منا حلقت ... أنفس صيرها الحب افتتانا
وطوينا البعد . . في لهفتنا ... ولقد فازت على البعد . . خطانا
وبلغنا جنة الله على ... شاطىء الحق . . وألقينا سرانا
فتحت . . صدراً وضمتنا حنانا ... فانتشت بالخير منها مقلتانا
غمرتنا من علاها نفحة ... فاح منها الطيب فى عرف شذانا
ودنت ارواحنا ظامئة ... فحوانا . . . من نداها . . ماحوانا

مهرجـان الضوء . . غنـى فقفي	يـا منى النفس وحيي المهرجانـا

* * *

ايـه غصن الشمس . . في عالمنا	ظمـأ للنـور . . أورق في دنـانـا
وأعـد . . يوم الجهاد الحـر اذ	فيـه أرواح السرايا . . تتهانى
أعين . . سمرها . . العزم على	المجد لا تبصر . . الاه . . مكانا
أحرف يعشقها الطهر و يعلقها	القـلب ويفـديهـا رجانـا
روضتهـا لغـة الصبـر علـى	أن تقول الحق . . سـراً وعيانا
حمـلت مـا شـرع الله لهـا	ومضت تنشر حبـاً وحنانـا
بينمـا الكون جمـود واجم	يعشق العتم . . ويجتر الهوانا
اذ بنـا . . والدين . . قـد أنبتنا	نزرع الارض حقولاً وجنانا
الحضارات استقت . . من نبعنـا	فيباب أرضها . . لولا روانا
يوم سرنا موكباً ـــ كانوا لـه	قادة . . يومي الى النصر سرانا
الفدى والعز امـا ظمئـا	سكر الينبوع من فيض دمانا
ولوانا خافق يطوي المدى	ليشع الفتح فى خفق لوانا
بعث الأسلام فينا ثورة	« سائل العليـاء عنها والزمانا »

* * *

دفقات النور . . فى تاريخهم	حدثينـا منك نستاف علانا
عن أنـاس أخلصوا لله في	كل شيء . . فهم أنقى جنانا
عن سفين رقص الموج لـه	وأنحنى البحر . . جلالا وتدانى
عن بناة الدين . . أهل البيت من	شدنا الله . . اليهم ودعانا
غمروا الكون عطاء وهدى	وأحالوا الارض . . ورداً اقحوانا
أظلم التاريخ . . حتى طلعوا	فجلوه . . فتجلى . . لمعانا
أعلن الهادي ولاهم سنة	رحـمة كان ولاهـم وامتنانا
(ان تمسكتم) ، بلغتم هديكم	فتمسـكنا ، فأعطـينا هدانا

(لن تضلوا) أحــرف رائعة　قدمت للكون بالحــق ضمانا
فعجنا القلب من حبهم و　ولهـم ـ يا كون ـ أسلمنا العنانا
(آية التطهير) وقف للأُولى　مدت العليا لعلياهم بنانا

* * *

امــة الحــق أعيدي أمــلا　كاد . . أن يغدو . . سراباً لرؤانا
تعشب المأساة في سكرتنـا　ويموت الفجر فينـا مستهانا
كـل مافينا معان عجـف　قد كسوناهن ألفاظاً سمانا
عاقر الهم مدانا . . فمتى　يـزأر الوعـد فيختال مدانا
كـل شعب قد بلته محنة　وتجلى . . حين . . أدى الامتحانا
فاخرجي يا أمتي ظافرة　من حضيض اليـأس يجتر نهانا
وارجعي يا أمتـي تائبـة　لرحاب الله وأستسقي الامانا
أبـداً لن نبصـر النصـر اذا　ما غفونا عـن هدى الرحمان آنا
ذاك شهر الفتـح قد مر بنا　فلنمجد بخشوع رمضـانا
ليطل الفتح من (بدر) على　شفة (القـدس) يرويها حنانا
يبعـث الصـرخة فـي عالمنا　وهو غاف عن طلاب الثأر لانا
شـرراً يبعـث فينا عـزمة　قد وعاها شمم الدهر فدانا
شرراً . . تشتاقه تلك الربى　ليحيل الـكفر ناراً ودخانا
ويعـي التاريـخ أنـا أمـة　خدشت يوماً ـ فزادت عنفوانا

موكب الاسلام

ابو ياسر - الكويت

ذات يوم . . رأيت روحي كئيبة
مفعمة بالاسى فقلت لها :

يا جذوة قدسية الشعاع . .
والشباب . .
لألأة الفؤاد والاهاب . .
من أين هذا الاكتئاب ؟ . .
هذا الاسى المكنون في الضمير . .
كلوعة اليتيم . . والاسير . .
من اين جاء . . ؟
وأنت في مرابع خضراء . .
فواحة الشذى . . سخية العطاء . .
يا روعة الاسلام . .
ما أجمل الوجود من آفاقه . .
مواكب تسير نحو الله . .
يا روعة اللقاء . .

* * *

عنك الاسى يا توأمي . .
يا نفحة الاله . .

ومن هدى الإسلام . .
تنسمي الحياة . .
فالفجر والخلود . .
والقمح والورود . .
والعشب والندى . .
والحب والثراء . .
وكل ما فى الكون من عطاء . .
فى موكب الاسلام . .

* * *

يا توأمي . . لا تحزني . .
واستشرفي الخلود . .
فكل ما فى الدرب من صعاب . .
من غمرة الالام . .
من خزة الأشواك فى الأقدام . .
وحزة السهام . . فى الفؤاد . .
أنشودة المسير . .
فى موكب الاسلام

* * *

دعي الأسى واستبشري . .
فأنت فى خميلة الاسلام . .
فى موكب آماله . . موصولة بالله . .
يا فرحة اللقاء . .
يا فرحة اللقاء . .

ليلة العيد

شعر : السيد محمد السيد علي

حملت جرحي على كفي أطوف به   عمراً من الزمن القاصي أصبره
مـرت عليه ليالي البعد فأتلقت   في جانبيه شموع الوجد تسعره
وأمتار من ألم الايام ما شهقـت   شفاهه جزعاً ، وأربد منظره
وماج في صخب الماضي وروعته   ظل على الشفق الغافي ينصره
هدت به السنوات السود فانتقضت   في ناظريه هموم الضيم تثبره
يقتات من وهج الأحزان مشرقة   ويستفيق على البلوى منوره
يا لهفة الغد لمي ضحكة شردة   يهزها من لهيب الامس مجمره
ليلاي عودي بفجر العيد طيف مني   لعل جرحي رؤى الأفراح تسكره

لوعة شوق

ضج في ناظري شوق وحب   وحنـين لمن أود وأصبـو
وتمادت في أضلعي ذكريات   فوق أحلامي الجـريحة تحبو
وتلوت في حلكة الليل اطياف   نهاري محزونة . . ثم تخبو
ووجوم الايـام يجتث أنفاسي   فيغدو الربيـع جـدبا وينبو
وأنا في العواصف الهـوج اقتات   حياتي ، ومن لظاها أعب
كيف أسلو ، وليس في الافق   المطلول فجر يثيرني فأهب
بين ذلي ، وبين زمجرة الغربة   أحيـا فينتشي بي كـرب
وتموت الـدنيا بنفسي فـلا   صبح جميل ، ولا هناء ، وحب
واذا بي أعيش في جاحم البؤس   شقياً لا يزد هي لي قلب
يا أحباي هل يطرز عيني   من رؤاكم غداً وصال وقرب

الجهة قد اراد الشر (١) .

ومن انصار هذا الاتجاه المعتزلة الذين قالوا بحرية الانسان فى الارادة والتصرف وفرقوا بين ارادة الله وارادة العبد ، فالعبد قد يريد خلاف ما يريده الله واذا كان علم الله شاملا لارادة العبد الا ان علمه لا يؤثر فيها ومن هنا قالوا ان سبب الشر في حياة الانسان هو الانسان نفسه (٢) .

ومن انصار هذا الاتجاه ايضاً الفيلسوف الالماني «كانط» فهو يرى ان الانسان حر في ارادته ولاتخضع هذه الارادة الا للقانون الذي تضعه لنفسها بنفسها ولا تخرج عنه لان شعورها بانها هي التي وضعته لنفسها هو اساس الاحساس الداخلي بالواجب الذي يدفع الارادة الانسانية الى السلوك الاخلاقي لا لهدف نفعي ، بل لانه مطابق للقانون العقلي ولهذا فهو يعتبر مبدأ حرية الارادة او الاستقلال الذاتي المبدأ الاوحد فى الاخلاق . فالحرية عنده هي الخاصة الجوهرية التي تتميز بها الارادة الانسانية في حين ان الضرورات هي التي تملي على الكائنات غير العاقلة سلوكها . فالحرية هي علة الافعال الاخلاقية .

أما الضرورة فهي العلة فى حدوث الظواهر الطبيعية غير أن هذه الحرية فى رأيه ليست متحررة تماما عن القوانين بل هناك قوانين خاصة بها ،كما أن للطبيعة قوانين خاصة بها ، وهذه القوانين مخلوقة للطبيعة ، وتلك مخلوقة للارادة الحرة .

الا ان الاولى لم تخلق قوانينها لنفسها ، والامر فى ذلك على خلاف قوانين الارادة الحرة . ومن هنا يفرق بين الارادة الحرة والارادة الخاضعة وان كانت هى هى نفسها فهى من حيث انها الزمت نفسها بالخضوع لهذه القوانين التى خلقتها بنفسها فهي من هذه الجهة ارادة خاضعة . ويرى ان دليل هذه الحرية ليس التجربة لان وجودها سابق للتجربة اي ان دليلها قبلي ، لان كل كائن لايمكن ان يفعل فعلا الا بتأثير فكرة الحرية وقد يبدو هنا فى تفكيره ان الشعور بالحرية أساس للاحساس

(١) ارسطو : علم الاخلاق : ١/٢٦٩ وما بعدها .

(٢) موقف البشر تحت سلطان القدر : ص ٥٥ .

بالخضوع لهذه القوانين وأن هذا الاحساس أساس للاحساس بالحرية وكأن هناك دوراً يجيب على ذلك كانط فيقول «ان الحرية والتشريع الذين تضعهما الأرادة لنفسها كلاهما في واقع الامر ضرب من الاستقلال الذاتي ويحل أحدهما الاخر تبعا لذلك ، وهذا هو السبب فى أننا لا نستطيع ان نستعين بأحدهما لتفسير الاخر وبيان الأساس الذي يبني عليه» ، ويقول ايضاً «أن الانسان باعتباره عضواً فى عالم الحس خاضع لقوانين الطبيعة، ويدرك هذه القوانين عن طريق الحواس . وهو باعتباره عضواً فى عالم المعقول خاضع لقوانين هذا العالم ويدرك قوانينه عن طريق العقل ، واحساسه بالحرية يؤدي الى الشعور بالاستقلال الذاتي ، وهذا الشعور بالاستقلال الذاتي يدل على وجود القانون الأخلاقي . اذن القانون الأخلاقي اساس للشعور بالحرية الا أننا حين نتصور أنفسنا ملتزمين بالواجب نعتبر أعضاء فى العالم المعقول ،كما نعد أنفسنا في الوقت نفسه أعضاء فى عالم المحسوس (١) .

ويدخل فى هذا الاتجاه ايضاً بصفة عامة اتجاه الماتريدية مع وجود فروق بينهم وبين غيرهم فى بعض النواحي فهم يقولون «ان الله خلق فى الانسان قدرة وان الانسان له حرية استخدام هذه القدرة فى الخير أو الشر ونتيجة استخدامه لهذه القوة فى احد الضربين يتحمل مسؤلية عمله أو كسبه القائم على اختياره لهذا العمل أو ذاك» غير انهم يقارنون قدرة الله مع قدرة العبد عند التنفيذ أي تنفيذ العمل المختار. على أي حال فانهم يعترفون بوجود حرية الارادة فى الانسان .

ثالثاً ـ اتجاه الوسط بين الاتجاهين السابقين :

من انصار هذا الاتجاه (ابن مسكويه) فهو يقول: « ان وجود الجوهر الانساني متعلق بقدرة فاعله وخالقه ، وأما تجويد جوهره فمفوض الى الانسان وهو متعلق

(١) تأسيس ميتافيزيقا الاخلاق ص ٧٦ ـ ١١٦ أما نويل كانط . ترجمة الدكتور عبد الغفار مكاوى . ط . الدار القومية للطباعة والنشر .

بارادته» (١) .

ومن اهم المذاهب التي تمثل هذا الاتجاه من الناحية الميتافيزيقية مذهب الاشاعرة ويمكن ان نقول ان الاشاعرة يقسمون الحرية فيعطون نصفها للانسان ويحرمونه من النصف الاخر ذلك انهم يعطون للانسان حرية الارادة ، ولا يعطون له حرية التنفيذ فالعبد له ان يختار وليس له ان ينفذ ، اي له قدرة الاختيار ، وليست له قدرة التنفيذ المختار . أما التنفيذ فان الله هو الذي يخلق الفعل الذي يختاره العبد .

ويمكننا ان ندخل فى هذا الاتجاه الوسطي رأى (الغزالي) فهو عند ما يتكلم عن الأسباب والمسببات وأثر العبد في افعاله واثر الرب فى افعال عباده يتخذ موقفا وسطاً بين الجبر والاختيار ويقسم الاسباب مبدئياً بين ما هو مقدور للعبد وغير مقدور له . فهناك اسباب ليست فى قدرة العبد العمل بها واسباب اخرى مقدورة له، فالاول: كأسباب السموات ، والارض او خلقهما وأسباب خلق الحيوانات ، والثاني : كأسباب ايجاد الصناعات والنظم والمجاهدات ومالى ذلك يقول «الأمور الموجودة تنقسم الى ما لا يرتبط حصولها بقدرة العباد أصلا كالسماء والارض والكواكب و الحيوان والنبات وغيرها والى ما لا يرتبط حصوله الا بقدرة العباد وهى التي ترجع الى أعمال العباد كالصناعات والسياسات والعبادات والمجاهدات» (٢) .

واما فيمايتعلق بأثر العبد فى افعال نفسه فى الاعمال التي يمكن ان يكون له أثر فيها وأثر الرب فى افعال عباده هذه فيرى ان للعبد أثراً فى افعاله كما ان للرب أثراً فى افعال عباده ، وعن طريق هذه الفكرة يفسر الايات التي تسند الافعال احياناً الى الله واحياناً اخرى الى العباد فهو يشرح رأيه كالاتي «فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا ، وان كان الله فاعلا ، فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين الفاعلين غير مفهوم فأقول : نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى

---

(١) تهذيب الاخلاق لابن مسكويه ص ٣٩ .

(٢) الامام الغزالى : المقصد الاسنى ص ٤٦ .

واحد وان كان له معنيان ويكون الاسم مجملا مردداً بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلاناً ويقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى والجلاد قاتل بمعنى آخر ، فكذالك العبد فاعل بمعنى والله عزوجل فاعل بمعنى آخر فمعنى كون الله فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا انه المحل الذي خلق فيه القدرة بعد ان خلق فيه الارادة بعد ان خلق فيه العلم فارتبطت فيه القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة الله ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع وكل ماله ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا له كيفما كان الأمر. كما يسمى الجلاد قاتلا والأمير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرتيهما ولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمي فعلا لهما فكذلك ارتباط المقدورات بالمقدرتين، ولاجل توافق ذلك وتطابقه ينسب الله تعالى الأفعال فى القرآن مرة الى الملائكة ومرة الى العباد ونسبها بعينها مرة اخرى الى نفسه فقال تعالى : « قل يتوفاكم ملك الموت » ثم قال عزوجل «الله يتوفى الانفس حين موتها» وقال تعالى «أفرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » (١) .

وبذلك يجمع الغزالي بين الجبر والأختيار فى أفعال العباد بل تغلب عليه النزعة الجبريه عندما يتعمق فى الخلق والايجاد ، كما يفهم هذا بوضوح من المثال الاتي الذي يضربه لبيان فكرته ، فيقول « لو أراد الانسان أن يجز رقبة نفسه لم يملكه لا لعدم القدرة فى اليد ولا لعدم السكين ولكن لفقد الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما تنفذ الارادة لانها تنبعث بحكم العقل أو الحس يكون الفعل موافقاً وقتل نفسه ليس موافقاً له فلا يمكنه مع قوة الاغضاء ان يقتل نفسه الا اذا كان فى عقوبة مؤلمة لا تطاق فان العقل هنا يتوقف فى الحكم ويتردد لانه تردد بين شر الشرين فان ترجح له بعد الروية ان ترك القتل أقل شراً لم يمكنه قتل نفسه وأن حكم بأن القتل أقل شراً وكان حكمه جزما لا ميل فيه ولا صارف عنه انبعثت الارادة والقدرة وأهلك نفسه... لان داعية الارادة مسخرة بحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة

---

(١) احياء علوم الدين : ٢٥٦/٤ .

مسخرة للقدرة والكل مقدور بالضرورة فيه من حيث لا يدري فانما هو محل ومجري لهذه الامور ، فاما ان يكون منه فكلا ولا . فاذن معنى كونه مجبوراً أن جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى كونه مختاراً أنه محل لارادة حدثت فيه جبراً بعد حكم العقل بكون الفعل خيراً محضاً موافقاً وحدث الحكم أيضاً جبراً فاذن هو مجبور على الاختيار ففعل النار فى الاحراق مثلا جبر محض وفعل الله اختيار محض وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار (١) .

اذن خلاصة رأيه ان للعبد أثراً فى أفعاله وللرب أيضاً أثراً فى أفعال عبده لانه الخالق ولانه موجد القدرة فى عبده الذي يؤثر فى أفعاله فالعبد له اختيار وتأثير محل قدرة الله فمن هنا يبدو أنه مجبور من جهة مختار من جهة أخرى وتسمى المنزلة بين المنزلتين (الجبر والاختيار) .

كما يمكن أن ندخل فى هذا الاتجاه رأى ابن رشد فهو نفسه وضع رأيه وسط الاتجاهين بعد أن استعرض رأي الاتجاهين السابقين وأدلتهما قال «فاذا كان الامر كذلك فكيف يجمع بين هذا التعارض الذي يوجد فى المسموع وفى المنقول نفسه ؟» قلنا الظاهر من قصد الشارع ليس هو هذين الاعتقادين وانما قصده الجمع بينهما على التوسط الذى هو الحق فى هذه المسألة وذلك انه يظهر ان الله تعالى قد خلق لنا قوى نقدر بها ان نكتسب اشياء هي أضدادها ، لكن لما كان الاكتساب لتلك الاشياء ليس يتم لنا الا لموافاة الاسباب التي سخرها الله لنا من خارج وزوال العائق عنها كانت الافعال المنسوبة الينا تتم بالامرين جميعاً (٢) .

وفي صدد هذه الدراسات الفلسفية فى الارادة لا اريد أن يفوتنا نوع آخر من الدراسات فى الارادة قامت بها المدارس السيكولوجية الحديثة فأود هنا أعطاء فكرة

(١) احياء علوم الدين : ٤/٢٥٤ .

(٢) مناهج الادلة فى عقائد الملة ـ ابن رشد ـ تحقيق الدكتور محمود قاسم ، ط ٢ ص : ٢٢٦ .

عن آرائهم المختلفة وطريقتهم فى دراستهم للارادة (١) .

الارادة في نظر المدارس السيكولوجية الحديثة:

ان المدارس السيكولوجية تختلف في موضوع الارادة كالمدارس الفلسفية فقوم من السيكولوجيين يرون ان موضوع الارادة ينبغي أن يعالج من الناحية الميتافيزيقية كموضوع الوجود والعدم، وقوم منهم يرى انه ينبغي ان يعالج من الناحية البيولوجية وفريق ثالث يرى انه من اختصاص علم الاجتماع اذ لا بد من وجود أنظمة وزواجر اجتماعية للحكم على أن هذا السلوك أرادي أم غير ارادي .

وأما الذين يدخلون هذا الموضوع في لدراسات السيكولوجية فيختلفون أيضاً في وجود حرية الارادة فمنهم من يقول ان الارادة لا تعدو ان تكون مجرد الاختيار والعزم دون التنفيذ ومنهم من يرى ان حرية الارادة لا تتم الا بالتنفيذ (٢) لكن التربويين يرى بعضهم وجود حرية الارادة في الانسان لانها أساس التربية والتعليم وأساس النمو والتكامل الانسانى (٣) .

والقائلون بالارادة الحرة يحددونها من حيث المظهر ومن حيث تكويناتها ثم من حيث الوظيفة .

أما من حيث المظهر فلها مظهران للسلوك الارادي فأولهما الكف أو المنع أي الامتناع عن عمل ما أو الوقوف ضد ميول ودوافع معينة ، والمظهر الثاني هو الانتباه والسير نحو اتجاه معين وهو ينطوي على عمليتين هما عملية الكف أولا ثم عملية التركيز فى اتجاه معين دون غيره من الاتجاهات .

---

(١) لم يذكر الدكتور رأى مدرسة أهل البيت المركز فى هذا السبيل ، حيث جمع بين الاعتقاد بالقدرة الالهية المطلقة ووجود التشريع والاخلاق والعقاب والثواب ، بما يستلزم حرية الانسان .

« الهادى »

(٢) مبادىء علم النفس العام ، الدكتور يوسف مراد ص . ٣٤١ .

(٣) فلسفة التربية.فليب ه.فينكس ، ترجمة الدكتور محمد لبيب النجيحى ص : ٣٤٣.

ومن ناحية المكونات يحددونها من ثلاثة نواح الأولى الناحية البيولوجية ، والثانية الناحية السيكولوجية ، والثالثة الناحية الاجتماعية لان الناحيــة البيولوجية تعتبر بواعث اولية للسلوك والناحية السيكولوجية تقوم بدور الأختيار من بين تلك البواعث وتحقيقه فيالوجود الخارجي والناحية الاجتماعية تقوم بدور تكيف عملية تنفيذ الاختيار وفقاً للقيمة الاخلاقية والعادات الاجتماعية .

وأهم وظيفة للارادة فى حياة الانسان هي اختيارعمل معين من بين الاعمال ثم تنفيذها ، وبناء على كل هذا يعرفون حربة الارادة من الناحية السيكولوجية كالاتي: الارادة هي العملية النفسيةالتي ترمى اليتكييف الاستجابة التي كان قدأدى الصراع القائم بين مجموعتين من الميول الى ارجائها وذلك بترجيح كفة الميول التي تبدو فى نظر الشخصأنها أسمى من غيرها (١) . ويمكن أدخال بعضآراء السيكولوجيين فى الاتجاه الاول وبعضها الاخر فى الثاني وبعضها فى الثالث .

( ) مبادىء علم النفس العام . د يوسف مراد ص . ٣٤٣ .

همسة مترفة

ابو علاء

تعليقاً على الهمسة التى نشرت فى العـدد السابق ومـوضوعها شكوى الحرف مما حل به من ضيم ، ومـا لحق به من اهانة . . .

«١»

قبل كل شيء أخبرك باسمي . . فأنا أمل الالتواءات كتلك التي جرت بينك وبين الحرف يوم جاءك وأردت التعريف اليه .

ـ ومن أنت ؟

ـ أنا «الفعل» . .

ـ وما خطبك ؟

ـ قال : ان شكا الحرف من محننه فحق لي أن أقضي كمداً !

ـ ولم يا صاح ؟ ! .

ـ لقد ضاعت كل الجهود الصالحة فلم تعد لها قيمة عند أبناء هذا الجيل .. ولذلك فقد ظلمت أيما ظلم . . .

ـ أتراك عدت الى الالتواءات ؟

ـ ليست هذه من شيمتي . . أريـد أن أقول : ان « الفعـل » لا وجود له فى قاموس الناس اليوم . . كما أهين الحرف وديست كرامته فكذلك أنا يا صاحبي !!

لقد تركتم الحرف البناء والفعل الصالح وأصبح همكم الوحيد الذي لا تعرفون له بديلا هو « الاسم » لا غير . .

أو ماقرأتم قوله تعالى :

«تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين» .

—« ٢ »—

فتى من فتيان المسلمين . . رأيته يافع الايمان . .

قلت : اقبل مني هذه النصيحة يا بني .

قال : سمعاً وطاعة يا عم .

قلت : عليك أن تتخذ الفكرة منطلقاً لا الاشخاص .

. . . أن تنظر دائماً الى مايجب ، لا الى ما يفعل الناس . .

والا . . فان ايمانك سيصغر كلما كبرت . . . ! ! .

—« ٣ »—

ودونما مقدمات . . . وقعت فى حبائل حبها . . ورحت أبحث عنها . . فى القصور . . وفى الاكواخ . . فى بيوت الاغنياء والفقراء . . فى كل مكان . .

ولكنني لم أجدها . . .

وكدت أيأس . . غير أني تجلدت . . ومضيت ابحث الى أن وصلت الى شيخ

كان يقرأ القرآن ، فسألته عنها . . ولشد ماكان فرحي حين أرشدني اليها .. وأسرعت نحوها . . عرفت من ذلك الشيخ أنها تسكن فى الواحة الخضراء من صحراء القرن العشرين .. تلك الواحة البعيدة البعيدة..والصغيرة الصغيرة .. نعم عرفت هذا ولكنه لايكفي للقائها . . لانها عصية الا علىالصفوة والان . . هل عرفتها ؟ ؟ . . . ببساطة : انها «الموضوعية» .

—« ٤ »—

ثلة من الأطفال فى عمر الورود . . كانوا يزغردون ويترنمون فرحين . . وهم يداعبون دمية صغيرة . .

قال لي والدي :

لايختلف حالنا مع الدنيا عن هؤلاء الاطفال مع دميتهم . . . انهم يعتبرونها كل شيء ولو أخذتها منم وأعطيتهم بدلها مجموعة من الكتب القيمة ، لما قبلوا . . . . وكذلكنحن نعتبر الدنيا كل شيء . . . وعندما نسمع بثواب الله ونعيمه . . . لانهتم به اهتمامنا بدنيانا . . وهذا القرآن يقرع مسامعنا :

«وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الاخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون» .

قلت : وهل معنى هذا أن نهمل الدنيا يا والدي ؟ ! ! .

قال : أبداً . . أبداً فالاسلام يطلب التوازن :

اقرء معي قوله تعالى :

«وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا» .

الزهد
تقييد، ام تحرير

بقلم الشيخ مرتضى المطهري طهران   ترجمة الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي قم

من فلسفة الزهد : الحرية والتحرر ، فأن بين الزهد والحرية روابط قديمة وقويمة ، فان الحاجة والافتقارميزة ظاهرة ، والاستغناء ميزة الحرية ، ان اقوى الأمال في احرار الحياة هي وضع الاثقال عن كاهلهم ، والخفة في الحركة والتنقل ، وانما يجعل هؤلاء زادهم الزهد ، والقناعة ليقللوا بذلك حوائجهم المادية فيطلقوا أنفسهم من اسر الاشياء ، والاشخاص وقيودهما .

ان حياة الانسان المادية ـ كسائر الحيوانات الأخرى ـ تحتاج الى سلسلة من الأمور الطبيعية، والضرورية التي لابد منها كالهواء للتنفس،والارض للسكن، والطعام للاكل، والماء للشرب والثوب للستر ، فالانسان لا يستطيع ان يكتفي بذاته على حد تعبير الحكماء عن هذه الامور وأمور اخرى كالنور والحرارة ولا أن يتحرر من قيودها تحرراً مطلقاً .

ولكن هناك سلسلة من الحاجات ليست طبيعية ولا ضروريه ، وانما حملت على

الانسان على مدى تاريخه الطويل من قبله هو، او من العوامل التاريخية والاجتماعية الاخرى ، وقد كانت عاملا فعالاً في الحد من حريته شيئاً فشيئاً .

والامور التي تحمل على الانسان من الخارج بصورة جبرية كالاضطرار السياسي مثلا ليست فيخطرها عليه كالامور النفسية التي تعمل على أن تجره من اطاره الداخلي الى اطارها الغريب ؛ فان اخطر القيود على الانسان انما هي هذه القيود التي تعزله عن نفسه .

والفلسفة الميكانيكية لهذه العوامل التي تؤدي الى عجز الانسان وضعفه ترى : أن الانسان يحاول من جهة ان يكسب حياته صفاء وبهاء ، وورونقاً وجلالا ، فيقبل على التجمل والتنعم بكماليات الحياة ، ولأجل الحصول على القوة والقدرة يقبل على تملك الاشياء، ومن جهة اخرى فانه يعتاد على وسائل للتنعم والتجمل والقوة والقدرة شيئاً فشيئاً ويعجب بها فيعشقها فتنشأ بينه وبينها روابط خفية دقيقة تشده اليها فيصبح ذليلا لها عاجزاً امامها ، وحينها يتحول الشيء الذي كان مادة لصفائه ورونقه فيصبح سبباً لذهاب رونقه وصفائه، والذي كان وسيلة لقدرته وقوته في عالم الطبيعة فيصبح سبباً لضعفه وعجزه في دخيلة نفسه ، تماماً كالعبد المدين لمولاه لا يقدر أمامه على شيء مما اكتسبه بنفسه .

ان تقيد اي انسان بالزهد ـ ان صح التعبير بالتقيد ـ نابع من اصول فطرية ، فان الانسان بحكم فطرته الاولية يميل الى تملك الثروة والاستفادة من متع الحياة ولكنه حينما يرى أن هذه الاشياء كلما اعطته القدرة على الحياة في الظاهر سلبته القدرة الارادية بنفس النسبة في واقع الامر ، وجعلته كما يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام : «عبداً لها ولمن في يده شيء منها» فهو يثور على هذه العبودية، فتسمى هذه الثورة على عبودية الحياة ـ في الاصطلاح ـ زهداً .

ولقد غنى الكثير من شعرائنا العرفاء بالحرية كثيراً ، حتى قال كبيرهم الخواجه حافظ الشيرازي عن نفسه: «اني أعد نفسي عبداً لمن كان متحرراً من زخارف الحياة وألوانها» وهو يغبط شجر الصنوبر في «اعتداله وتحرره من هموم الحياة» وهم

بذلك يعنون : التحرر عن التقيد بعلائق الحياة ، وعدم اغترارهم بها .

بقي علينا أن نقول : ان التحرر التام يحتاج الى شيء آخر ايضاً غير الانقطاع عن علائق الحياة ، فان القيود التي تربط الانسان فتذله وتعجزه ليست العلائق المادية فحسب بل ان الاعتياد الروحي والجسمي على الكماليات التي وجدت اما لزينة الحياة الدنيا ورونقها ، او لاعطاء القوة والقدرة على الحياة قد تصبح بالتكرار كالطبيعة الثانية . . هذه الامور وان لم تكن مورداً للعلاقة القلبية ، بل حتى وان كانت وسيلة للتعالي الروحي ، فهي تعد قيوداً أقوى لاسر الانسان ، بل انها تذله وتعجزه اكثر من غيرها .

تصوروا عارفاً صوفياً متقشفاً لم يتعلق قلبه بشيء من الدنيا ولذائذها ، ولكنه قد اعتاد الشاي والسيكاير والترياق او الافيون او الهيروئين مثلا حتى اصبحت هذه له كالطبيعة الثانية بحيث أن تخلف عنها قد يهلك ! ! هكذا رجل كيف يمكن له أن يعيش حراً متحرراً ؟ !

ان انعتاق القلب من علائق الحياة شرط أساسي في التحرر ، ولكنه ليس بالشرط الكافي ، بل ان اعتياد القدر الاقل في الاستفادة من نعم الحياة حتى الحلال منها ، والحذر من الاعتياد على القدر الاكثر شرط اساسي آخر في الحرية والتحرر .

يصف الصحابي الكبير «أبو سعيد الخدري» رسول الله صلى عليه وآله فيقول انه « كان صلى الله عليه وآله وسلم خفيف المؤنة » يعني أنه (ص) كان قليل المصارف ، يستطيع أن يعيش بأقل مؤنة ممكنة ، ولكن هل تعد هذه فضيلة في جانب مادي اقتصادي مثلا ؟ الجواب : اما لا ، او انها على اقل تقدير ليست بفضيلة هامة ، ولكنا اذا لاحظناها من الناحية المعنوية أي من ناحية التحرر عن علائق الحياة فالجواب : نعم انها فضيلة كبرى لانها هي الخصلة الوحيدة التي باحرازها يستطيع الانسان أن يعيش حراً خفيف الجناح ، يتحرك بنشاط وبحرية ويكافح بخفة ومرونة .

وليس ثقل الكاهل بقيود الحياة منحصراً بالعادات الشخصية والفردية بل ان العادة والمراسيم العرفية كمراسيم ملابس الحفلات والآداب الاجتماعية من سفر وغيره

ايضاً مما يثقل كاهل الحياة ويبطيء الحركة الحرة فيها .

ان مثل الحركة فى الحياة كمثل السباحة فى الماء ، كلما خف الكاهل سهلت السباحة ، وكلما ثقل الـكاهل صعبت السباحة واحتمل خطر الغرق ، يقول كاتب فارسي كبير : « انزع ملابسك ، ثم اسبح فى حوادث الحيـاة ، فان العرى أول شروط السباحة» ويقول الشاعر الفارسي (فرخي اليزدي) «ان الرجل المنقى لايشتكي الجوع والعرى ابداً، فان السيف الصقيل أجدر به أن لايغمد» ويقول الشاعر الفارسي الاخر (باباطاهر) مخاطبا نفسه: «انك تمشي على الأرض وانت بامكانك ان تمشي على السماء ، فان امكنك فانزع جلدك ليخف ظهرك » .

ويقص علينا الكاتب والشاعر الايراني الكبير (سعدي الشيرازي) : فى كتابه (گلستان) قصة تناسب المقام يقول : « رأيت ابن التاجر يباهي ابن الفقير بقبر والده فيقول : » ان صندوق القبر كبير عليه كتابة ملونة وأرضه مفروشة بالرخام ، وعليه قبة كالفيروزج ، فماذا على قبر والدك غير حفنة من التراب وحجر ومدر ؟ وأصغى ابن الفقير له ثم قال ولكن قبل ان يتحرك والدك من قبره الثقيل يصل والدي الى الجنة» .

هذه كلها أمثال على خفة الكاهل وأنه الشرط الاساسي فى الحركة والنشاط ، وانما انطلقت الحركات والمنشورات والمكافحات القوية والمستمرة على ايدي اناس غير متقيدين بالقيود الدنيوية الثقيلة ، اوبتعبير آخر : زاهدين بمعنى من معاني الكلمة زهد (غاندي) فى الراحة واللذة والشهوة والطعـام اقلق راحـة بريطانيا العظمى فى اوج عظمتها وأجبرها على التواضـع له ! ! ولم يترك (يعقوب بن الليث الصفاري) طعامه (الخبز والبصل) حتى اوحش الخلافة العباسية الكبرى ! ! ، والفيتكونـغ اليوم مدينة فى انتصاراتها لـ (خفة المؤنة) فيستطيع الفيتنامي أن يكتفي بحفنة من الرز ويعيش يكافح فى مكانه اسبوعاً كاملا ! !

وهل هناك من الزعماء السياسين أو المذهبيين من استطاع بالتنعم والبـذخ وطيب المأكل والمشرب ان يصبح نقطة انطلاق فى التاريخ ؟ ! ام اي مؤسس دولة استطاع باللذة والشهوة أن ينقل السلطة من سلسلة لاخرى ؟ !

وانما اصبح علي عليه السلام حراً بمعنى الكلمة لأنه كان زاهداً بمعنى الكلمة وهو عليه السلام كثيراً ما يعبر في خطبه في (نهج البلاغة) عن الزهد بالحرية والتحرر ، وعن الشره والنهم بالعبودية ، يقول في بعض قصار كلماته : (الطمع رق مؤبد) ، ويصف زهد عيسى بن مريم فيقول : (ولا طمع يذله) ، ويقول في مقام آخر (الدنيا دار ممر لا دار مقر ، والناس فيها رجلان، رجل باع فيها نفسه فأوبقه ورجل اشترى نفسه فأعتقه) واصرح من الكل كتابه الى عامله على البصرة (عثمان بن حنيف) ويقول في آخره «اليك عني يا دنيا فحبلك على غاربك، قد انسللت من مخاطبك،وأفلت من حبائلك، اعزبي عني فوالله لا اذل فتستذليني،ولا أسلس فتقوديني»

نعم ان زهد علي عليه الصلوة والسلام ثورة على الذل في اللذة ، وثورة على الضعف في الشهوة وعصيان لعبودية الدنيا ونعمتها ، فالسلام عليه يوم ولد في الكعبة ويوم قتل في محرابه ، ويوم يبعث حيا .

حقيقة الزهد

الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ، ولكن الزهادة في الدنيا ألا تكون بما في يديك أوثق منك بما في يد الله وأن تكون في ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها ابقيت لك .

الرسول الاعظم (ص)



اعداد: حسين الحاج احمد

. . . اضطرب الليل متثاقلا . . وتململ في غفوته . . . واستظهرت من وجهه الكالح زهداً فى حمله الثقيل . !

لكنه استبشر .. وعاد الى هدأته وسكونه .. حينما احس بنجمة السحر العذراء وهي تطل من وراء الحجب . . . لتسترق السمع وتستشف بنورها الحالم رجع حديث الأبن .. كأنه الجمر يجمعه من اتون نفسه الثائرة ليحرق بهاجباه المزيفين .. ويكوي بها جراح التائهين فى صحاري الميوعة والانخذال ... (فمن الكي . . قد يجيء الشفاء . . .) .

* * *

. . . كانوا ثلاثه . . . الام . . والمأساة . . . والأبن المبارك ، وأبت نجمتنا . . . الآن تنشر بسمتها الحانية فى زوايا الكوخ العتيق . . لتشارك الام فى اصغائها الى وحيدها البار وهو يناجيها المناجاة الوداعية .

. . . . لكل ما اعانيه . . . سوف ارحل مع نسيمات الفجر العليلة ، فان طالت

رحلتي . . . فاسألي عني بين قرابين العقيدة . . . عندها لا تجزعي . . . ولا تسكبي دمعك الغالي عليّ . . . فانك لن تشعري بعدي بالرعب او بالخوف لاننا نموت . . . لنجسد اللطف الالهي . . . ونسترد انسانية الانسان من سجون التشويه . . . !

. . . تجلدت على شفتيه الكلمات . . . ثم انحنى على انامل امه يلثمها . . . فتضمه بحنان ، وتقبله بشوق ... وتغيبه عني في عناق تمنت لو أنه لايصحو من سباته العميق ومع عناقها الملهوف . . . كان دمعها ينهل بغزارة على رأسه . . . ليحوطه بالفخر والاعتزاز . . !

. . . وبعد ان امتطى جواد الثبات والعزم الجريء انتظرته على الرابية . . . حتى اقبل باسماً . . . وفي عينيه بريق صمود . . لا يتراجع .

دنوت منه . . . وسألته مخلصاً وانا مشفق عليه !

ألا تتقي من لا يرحم نضرة شبابك . . . ولا يغفر زلة اقدامك . ! ؟

اجابني هادئاً . . . ولم يرمش له جفن !

عندما . . تتبلد المشاعر . . وتنهزم الروح . . ويحجب النور عن اهله . . ويمزق الاسلام بمخالب التزوير ويكاد الحق ان يندثر . . . فلا تقية . . !

انما التقية ان تحيا أنت مع العقيدة ... وبدونها ما قيمة نفسك كي تحافظ عليها أليست وجودك . . ؟

الست بعض وجودها . . ؟

انها الامانة . . . ومن الحقارة ان نخونها . . . . !

وانطلق . . .

وفي انطلاقه سمو عن حثالات التقوقع المرير . . .

اما نجمة السحر . . . فقد ودعته بسخاء الندى المدرار وتراجعت الى خدرها المصون . . . لتحكي الى لداتها . . . :

قصة الموت الذي يلد الحياة .

(*)

الاقتصاد الاسلامي

كيف اغفل المسلمون تدريسه وتطبيقه؟

بقلم : الدكتور محمد شوقي الفنجري

المستشار بمجلس الدولة ، والاستاذ المنتدب بكلية التجارة والشريعة بجامعة الازهر .

- علم قديم طويناه ، مع طي الاجتهاد فى الدين منذ قرون .
- نحتاج اليوم الى الكشف عن أصوله ، والتوسع فى دراساته ، وبحوثه قبل تدريسه .

الاقتصاد الاسلامي هو ذلك الاقتصاد الذي يوجد النشاط الاقتصادي ، وينظمه وفقاً لاصول الاسلام وتعاليمه ولاتدرس مادة الاقتصاد الاسلامي سوى فى مصر وبجامعة واحدة هي جامعة الأزهر وبكليتين منها هي كلية التجارة (قسم الليسانس السنة الرابعة) وكلية الشريعة (قسم الدراسات العليا دبلوم السياسة الشرعية) (١) ولم يتقرر هذا الا حديثاً

(*) نشر هذا البحث فى مجلة العربى الكويتية العدد ١٦٤ . ونظراً لحيوية هذا الموضوع اثرنا نشره فى مجلتنا ، عسى ان يكون منطلقاً لدراسات اعمق ، وأكثر تركيزاً للاقتصاد الاسلامى .

(١) ونود ان نشير الى ان الاقتصاد الاسلامى يدرس فى الجامعات العلمية الدينية ، كالنجف الاشرف ، وقم المقدسة ، ومحور الدراسة فى هذا الموضوع فى جامعة النجف الاشرف كتاب «اقتصادنا» الشهير ، والذى كان منطلقاً علمياً فى هذا السبيل ، لمؤلفه الفقيه المحقق السيد محمد باقر الصدر .

«الهادى»

بمقتضى القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ في شأن اعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يستملها ، وذلك رغم ان الاقتصاد ذاته قديم بظهور الاسلام منذ أربعة عشر قرناً ... ورغم انعقاد الرأي حتى من غير علماء المسلمين على ان الاقتصاد الاسلامي هو اقتصاد متميز قائم بذاته وان الأصول والمبادىء التي يدين بها ذلك الاقتصاد هي اصول سليمة تلبي احتياجات العصر وتكفل سعادة البشر في الدنيا والأخرة بل ورغم تحمس المسلمين شعوباً وقادة لاعمال تعاليم الاسلام والأخذ بالاقتصاد الاسلامي .

ويبدو ان في الأمر حلقة مفقودة ونحاول ذلك باختصار فيما يلي :

أولا : حداثة مادة الاقتصاد الاسلامي .

ثانياً : اغفال تدريس مادة الاقتصاد الاسلامي .

ثالثاً : اغفال تطبيق الاقتصاد الاسلامي .

الفرع الاول :

حداثة مادة الاقتصاد الاسلامى :

ا ـ الاسلام كما هو معروف ـ ليس مجرد دين (١) فقط ، وانما هو أيضاً وباعتباره خاتم الاديان ، تنظيم سياسي واجتماعي واقتصادي للمجتمع وهو ما يعبر عنه بأن الاسلام دين ودنياً ، وما يعبر عنه البعض الاخر بأن الاسلام عقيدة وشريعة .

فلم يأت الاسلام ـ شأن المسيحية (٢)ـ لمجرد الغاية الروحية (وان أعط مالله لله ومالقيصر لقيصر) وانما جاء ايضاً لتنظيم حياة البشر في مختلف نواحيها سياسية

---

(١) ان مفهوم الدين يعنى مجموعة العقائد التى يبنى عليها رسالة معينة موجه بذلك مختلف النواحى الحياتية للانسان الى حيث الكمال . فالمفهوم اذن يستبطن كل التنظيمات الحياتية . «الهادى»

(٢) المسيحية المحرفة طبعاً . «الهادى»

كانت أواجتماعية أواقتصادية ولم يكن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام نبياً هادياً فحسب ، ولكنه كان ايضاً حاكماً منفذاً .

٢ ـ ورغم ان الاقتصاد الاسلامي قديم بظهور الاسلام منذ أربعة عشر قرناً الا ان تدريسه كمادة مستقلة حديث للغاية . وما زالت بحوث هذه المادة ومجالات تدريسها محدودة ايضاً .

ولسنا هنا بصدد تقصي أسباب هذا القصور أو ذاك التناقض فقد نشأ هذا الاقتصاد بمجيء الاسلام منذ أربعة عشر قرناً بمبادىء جديدة وأصول متميزة فى المجال الاقتصادي . . ثم ازدهرت دراسة الاقتصاد الاسلامي حتى القرن الثالث الهجري ، فنجد كتب الفقه القديمة مليئة بالافكار الاقتصادية الاصيلة التى تضاهي أعظم الافكار والنظريات الاقتصادية الحديثة، بل ان اولى المؤلفات الاقتصادية التي تتسم بالصفة العلمية لم تظهر الا منذ القرن السابع الميلادي فى ظل الاسلام وعلى يد الكتاب العرب.

ثم حدث ان انتكست دراسة الاقتصاد الاسلامي بقفل باب الاجتهاد منذ القرن الرابع الهجري (١) فتوقفت الدراسات الشرعية منذ ذلك الحين وجمدت المبادىء الاقتصادية الاسلامية عن مواجهة حاجات المجتمع المتغيرة .

وقد انتهى الامر الى تخلف دراسة الاقتصاد الاسلامي، حتى تناساها المسلمون أنفسهم وتجاهله علماؤهم .

٣ ـ واذ تعلو الاصوات الآن بضرورة العودة الى تعاليم الاسلام وتطبيق مبادئه الاقتصادية واسهامها في حل مشاكل العالم ، فانه يتعين قبل ذلك ان نبين بوضوح هذه الاصول الاقتصادية وكيفية أعمالها وتطبيقها بما يحقق مصلحة كل مجتمع بحسب ظروف الزمان والمكان .

فانه لا جدوى من هذه المطالبات أو المزايدات ، ما لم نبذل الجهد فى ابراز تعاليم الاسلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية بروح العصر وما لم نبين كيفية

(١) . . رفضت مدرسة أهل البيت فكرة سد أبواب الاجتهاد فسار الفقه الاسلامي فى خطه الصاعد وتشعبت به طرائق البحث وكانت الحصيلة رائعة فى هذا المجال . «الهادى»

أعمالها وتطبيقها بما يحقق مصالح المجتمع المتغيرة ، وحينئذ بدلا من أن نحاول فرض تعاليم الاسلام بالكلام والتعصب ، ستعرض هذه التعاليم الالهية نفسها، لاعلى العالم الاسلامي فحسب، ولكن على العالم أجمع ، باعتبارها ـ دائماً وفي كل زمان ومكان ـ طرق النجاة وسبيل السلام والسعادة للبشرية جمعاء .

ومن هنا ندرك ضرورة أن يكون للاقتصاد الاسلامي مادة أو مواد مستقلة ، تتسع بدراسات علمية واسعة لمشاكل العصر الاقتصادية وتضع لها حلولها الاسلامية.

الفرع الثاني :

اغفال تدريس مادة الاقتصاد الاسلامي:

١ ـ والاقتصاد الاسلامي ـ على نحو ماهو معروف ـ هو اقتصاد مستقل قائم بذاته وهو اقتصاد متكامل له سياسته الاقتصادية المتميزة التي جمعت بين كافة المصالح سواء كانت خاصة أو عامة ، وسواء كانت مادية أو روحية ، وهي تعتبر تغير الزمان والمكان وتحقق بالنهاية كافة المزايا وتتجنب كافة المساوىء .

بل نسمع أصواتاً أجنبية عالمية تعلو مؤكدة أن المذهب الاقتصادي الاسلامي هو أمل الانسانية في انقاذها من التطرف الذي يلجأ اليه كل من المذهبين الرأسمالي والاشتراكي .

٢ ـ ورغم ذلك فان جامعات العالم بما فيذلك جامعات العالم الاسلامي نفسه تدرس الاقتصاد الرأسمالي والاقتصاد الاشتراكي ولا تدرس الاقتصاد الاسلامي!!

وفي مصر تنشأ كليات متخصصة للاقتصاد ككلية الاقتصاد والعلوم السياسة دون أن تتضمن أي ذكر أو اشارة لدراسة الاقتصاد الاسلامي ! !

بل وتقام معاهد متخصصة للدراسات الاسلامية كمعهد الدراسات الاسلامية العالي ولا تدرس فيه مادة مستقلة للاقتصاد الاسلامي التي هي اجدر الدراسات الاسلامية بالاهتمام والرعاية .

وتكاد تكون جامعة الازهر هي الجامعة الوحيدة الرائدة التي تقوم بتدريس

مادة الاقتصاد الاسلامي كمادة مستقلة، ولكن استمر تدريس هذه المادة منذ تقريرها سنة ـ ١٩٦٤ ـ حتى الان في حدود ضيقة وبصورة لاتساعد بأي حال فى الاحوال على تنمية هذه المادة .

٣ ـ قد تعتذر الجامعات والمعاهدالمتخصصة بأن مادة الاقتصاد الاسلامي هي مادة حديثة ولم تتضح معالمها بصورة كافية ، ومراجعها المباشرة محدودة .

ولكن أليس ذلك اولى بأن تنشأ بالجامعات والمعاهد العالية كراس متخصصة لهذه المادة وحينئذ تتعدد ابحاثها وتتسع وتنشر دراساتها وتعمق وتفرض وجودها على الفكر الانساني وتلعب دورها الفعال فى خدمةالاسلام وتوجه حياة المسلمين.

انهاذا أنشئت فىجامعات العالم الاسلامي ومعاهده المتخصصة كراس للاقتصاد الاسلامي فانه سيكون على شاغليها مهام شاقة ومتعددة أخصها :

أ ـ ابرازنصوص القرآن والسنة فى المجال الاقتصادي وبيان كيفية اعمالها بما يتلائم وظروف الزمان والمكان ، واقتراح الحلول الاسلاميـة لمختلف مشاكل العصر .

ب ـ دراسة مقارنة للمذهـب الاقتصادي فى الاسـلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة ، ومدى اختلاف الأنظمة والتطبيقات الاقتصادية باختلاف هذه المذاهب، وتقسيم كل منها .

ج ـ مراجعة كتب الفقهالقديمةواستخراج الاحكام التفصيلية المتعلقة بالاقتصاد وتدوينها فى كتب مستقلة .

د ـ دراسةالفكر الاقتصاديلدى مختلف العلماء المسلمينفى مختلف الاقطار والازمان ، وتقصي صور وأسباب الخلاف بينهم وتقييم هذه الافكار .

ﻫ ـ تبادل الرسائل والمجـلات والأبحاث العلمية ، ونـدوات مؤتمرات الاقتصاد الاسلامي .

بل اننا لا نذهب بعيداً ، اذا نتطلع الى اليوم الذي تنشأ فيه بالعالم الاسلامي معاهد عالية متخصصة للاقتصاد الاسلامي ، فالاقتصاد هو المجال الـذي تتجلى منة

قوة الاسلام المادية والروحية ، وهو الذي يتحقق من خلاله تماسك الامة الاسلامية وعظمتها ورسالتها العالمية .

وحينئذ ستكون اولى مهام هذه المعاهد دراسة الاوضاع الاقتصادية للعالم الاسلامي ، وتقصي ما يعانيه هذا العالم من تخلف واستعادة مجده السابق ، ورسم الطريق المدروس لاقامة صروح اقتصادية اسلامية فى العالم الاسلامي ، وتحقيق تعاونه وتكامله الاقتصادي .

الفرع الثالث .

اغفال تطبيق الاقتصاد الاسلامي:

١ ـ لا يشك احد فى ايمان المسلمين بالاسلام ، ولا ينازع أحد فى ايمانهم بسلامة المبادىء التي يقوم عليها هذا الدين ، لاسيما فى مجال تنظيم المجتمع فى مختلف أوجه النشاط السياسي والاجتماعي والاقتصادي .

وتعلو الاصوات على مختلف المستويات الشعبية والرسمية ، بل يبح بعضها ويتشنج الاخر مطالباً بأعمال اصول ومبادىء الاسلام الاقتصادية .

وتجدهذه الاصوات آذاناً صاغية وصدى قوياً لدىالمسؤولين،كما تجد تجاوباً صادقاً ورغبة أكيدة من جانب الحكام والقادة .

. . . ثم يقف الامر عند هذا الحد ! ! !

٢ ـ فرغم أنالرأي منعقد لدىالمسلمين قادة وشعوباً على سلامةمبادىء الاسلام الاقتصادية وضرورة اعمالها ، نراهم يتلمسون حلولهم لمختلف مشاكلهم الاقتصادية خارج الاسلام ، خالطة مجتمعاتهم بين الاقتصاد الرأسمالي والاقتصاد الاشتراكي ، مغفلة اقتصادها الاسلامي .

وليس ذلك اعراضاً عن الاسلام ، او شكاً فى تعاليمه الاقتصادية ولا هو غفلة من المسلمين ، اوردة فيالقادة المسئولين . . . و انما لانالحلول التى تقدم باسم الاسلام لحل مشاكل عصرنا الحالي ، وهي مشاكل اقتصادية معقدة ، هي حلول

ساذجة أو غير عملية ، ذلك ان الذي يتقدم بهذه الحلول هم رجال الدين ، والذين يتعصبون عادة لارائهم مستندين فيذلك اليتفسيرات واجتهادات بعض الائمة والفقهاء القدامى ، وهم بذلك يتناسون أمرين أساسيين :

أو لهما : ان الاسلام لايعرف رجال الدين ، فكل المسلمين رجال الدين،وانما يعرف رجال العلم .

وانهلايكفى ان يكون العالم ذاثقافة اسلامية فقهية عريضة، حتى يتصدى للافتاء فى المسائل الاقتصادية الحديثة المعقدة ، بل لا بد أيضاً الى جوار ذلك ان يكون ذا ثقافة اقتصادية متخصصة تلم بأصول الاقتصاد وتفاصيله .

وثانيهما : ان اجتهادات أئمة الأسلام السالفين والفقهاء القدامى ، رغم قيمتها الكبيرة لا تؤخذ على اطلاقها ، اذ هي فى ذاتها ظنية ، هذا فضلا عن ان أغلب هذه الاجتهادات قيلت فى زمان غير زماننا ، وفى ظروف غير ظروفنا ، ولمشاكل غير مشاكلنا،واننا مطالبون اليوم بالاجتهادقبلهم للكشف عن حكم الأسلام فى المعاملات المالية الجديدة والمشاكل الاقتصادية المستحدثة .

٣ ـ ورد المشكلة فى النهاية ، لا يوجد عندنا علماء متخصصون فى الاقتصاد الاسلامي ، وهنا فى رأينا يكمن الداء ، وهنا الحلقة المفقودة .

فاقتصاديونا الفنيون تعوزهم الدراسات الأسلامية العميقة ومن ثم فهم يعزفون تلقائياً عندراسة الاصول الاقتصادية فيالاسلام ،أو تلمس الحلول الأسلامية لمشاكل العصر الاقتصادية .

وعلماء الدين عندنا تعوزهم الدراسات الاقتصادية الفنية، ومنثم فهم لا يحسنون اعمال الاصول الاقتصادية الاسلامية بما يتلاءم ومقتضيات العصر ، أو لا يحكمون ربطها بما هو واقع فعلا بعالمنا الاقتصادي المعقد الحالي .

ومن هنا فان المسلمين اليوم ، شعوباً وقادة يدورون فى حلقة جهنمية مفرغة ، يتطلعون الى الاقتصاد الاسلامي ويطالبون بالحلول الاسلامية ، ثم يتوزعون بين الاقتصاد الرأسماليوالاقتصاد الاشتراكي ويطبقون الحلول الرأسمالية أوالاشتراكية

وفي النهاية يعيشون في كنف أنظمة أجنبية لا يرضونها أو يطمئنون اليها .

وليس من سبيل لعلاج هـذه الحال ، أو التخلص من هذه الحلقـة الجهنمية المفرغة ، الا باعداد العالم في الاقتصاد الاسلامي الذي يجمع بين (الثقافة الفقهية اللامحدودة) وبين (الثقافة الاقتصادية الفنية المعاصرة) .

ولن يكون ذلك عن طريق استصراخ الهمم ،أو مناشدة علماء الاقتصاد أو علماء الدين بالتخصص ، وانما عن طرين انشاء كراس لهذه المادة بالجامعات الاسلامية ومعاهد الاقتصاد وكليات الحقوق .

وبهذا الأسلوب العلمي المنظم نستطيع ان نبرز اصول الاسلام الاقتصاديـة بروح العصر ، وأن نطبقها بما يتفق وحاجات المجتمع المتغيرة ، وبهذا الأسلوب وحده نضع حداً لكافة صور التعصب مساهماً في حل مشاكل العالم واقرار السلام،

انها صرخة من الأعماق اوجهها الى كافة المسئولين ، وخاصة رجال الاقتصاد منهم ورجال الدين ، من أجل العلم والحق ، ومن اجل الاسلام والمسلمين .

. . . . اللهمهل بلغت ، اللهم فاشهد .

هذا ما كنزتم !

«يا أيها الذين آمنوا ان كثيراً من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم * يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون» .

التوبة ٣٤ ـ ٣٥

لمحة عن هيئة البحوث الاسلاميه باندونيسيا واسباب تاسيسها



محمد أسد شهاب

كلمة لا بد منها :

يتساءل المسلمون دائماً على اختلاف افهامهم وتنوع مستواهم العلمي والثقافي لماذا هذا الشقاق والخلافات بين المسلمين ، حتى تمزقت الجبهة الاسلامية فى كل مكان،ولماذا هذا النزاع فى امور ثانوية؟ألسبب مسألة فرعية جانبيةتافهة،ولماذا يندفع المسلمون بحماس زائد ، ويثيرون من أجلها حرباً عواناً شعواء وجدالا وخصاماً فيما بينهم حتى أورثت أحقاداً وأوغرت صدوراً لاتزال ظواهرها باقية الى اليوم،أضرت بهم وجرتهم الى كتل متناثرة سهل للعدو ابتلاعهم والقضاء عليهم .

اذا كان المفكرون الاولون من المسلمين قد نجحوا فى السيطرة على الفلسفة اليونانية وصبغوها بصبغة اسلامية، واستطاعوا القضاء على عدوان الحروب الصليبية، ووصلوا الى فيينا وطرقوا أبوابها،وقدروا فى فتح عيون اوروبا،فلماذا حلت المآسي بعد ذلك على المسلمين وعمت العالم الاسلامي ؟

يكشف لنا وضع المسلمين قديماًوحديثاً،ويحدثنا تاريخ تطور الشعوب الاسلامية ان المسلمين يواجهون دائماً وأبداً تحديات من الداخل والخارج ، فمن بين التحديات الخارجية تلك المحاولات الكثيرة بشتى أنواعها وبمختلف اساليبها لتخدير المسلمين بالمفاهيم والفلسفات الهادفة لاخماد نور الاسلام وتمزيق شمل المسلمين .. ويتجلى

ذلك بكل وضوح الكفاح البطولي من فئات المسلمين التي لم تتأثر بهذه الاغراءات الفلسفية ، ولم تخدر أذهانها بتلك المفاهيم المزيفـة ، بل بقيت محتفظة بمقوماتها ، متمسكة بدينها وايمانها ، متشبثة بتراثها الاسلامي العريق المتواتر الصحيح .

وهذه الفئة هي التي تقاوم كل تيار ضد الاسلام وتقف صامدة امام هذه الحملات الرعناء التي تسيرها اعداء الاسلام منذ ان نادى النبي محمد (ص) بالدعوة الى الاسلام حتى اليوم ، وما يقوم بها المستعمرون والامبريالية الالحادية حالياً .

ومن يتصفح التاريخ بامعان يجد بين طيـات صفحاته الشيء الكثير المليء بالمآسي المؤلمة التي أوجدتها هذه التحديات الداخلية والتي سببت وجودها المصالح الذاتية والأغراض والأهواء والاطمـاع باسم الدين ، ديست من أجلهـا المحرمات ، وأهينت كرامة الدين وارتكب الطغاة أرباب المصالح والاهواء الاعمال الوحشية ضد كل من يعارضهم من المواطنين الاتقياء الذين لايريدون ان يروا الدين ألعوبة يهان علناً وشعائر الاسلام تداس صراحة ،ومقدسات الدين تهدر هدراً،فتصدى فئة من المؤمنين لمقاومتهم لوضع حد لهذا التلاعب وهذا الاستهتار بالمقدسات الاسلامية والمقدسات الدينية ، فكان نصيب هذه الفئة القتل والتشريد والتنكيل والابعاد .

وهنا كثر المتملقون والمتزلفون ارضاء لاولئك الطغاة وكثر الوضاعون ،وعم التملق اما طلباً لجاه أو رجاء في مركز يحتلونه ! وطمعاً في منصب يتبوءون عليه،أو مال ينتفعون به،ولأجل الحصول على هذا ، أظهروا اخلاصهم لاولئك الحكام وتفانيهم فيهم ، وبرهنوا على ذلك بتنكيل تلك الفئة المؤمنة التي بقيت متمسكة بدينها متشبثة بايمانها وعقائدها والتي لاتريد عنها بديلا ولن تبيع دينها بدنياها .

ومن هذا كله نتج منه فقدان الروح الاسلامي لدى اولئك الطغاة والمتملقين ، حتى أصبحوا يرون الشر والفساد والحرام أمراً عادياً مألوفاً مشروعاً .

وباستمرار سير الحالة على هذه الوتيرة قروناً، يعاني فيها المسلمون التحديات الخارجية والداخلية ، نشأ من ذلك فرق وطوائف كثيرة وطبقات متعددة تبلورت منها هذه المذاهب العديدة وبحكم وضع التحديات الداخلية والخارجية أصبح بينهما

ترابط وتبادل مصالح بطبيعة الحال بصفة مباشرة أو غير مباشرة .

ومن هنا نشاهد كيف ينتهز أعداء الاسلام الكفرة والملحدون فرصة تمزق المسلمين وتفرقهم وانشقاقهم، وكيف يندسوا ويتوغلوا بين المسلمين لبث السموم لتحطيم معنوية المسلمين حتى يبلغ الوهن فيهم منتهاه، ثم لم يلبثوا ان يفرضوا ارادتهم على من يشاؤون من المسلمين تحقيق لاهدافهم بطرق يحسبها المسلم انها مما يفرضه المنطق السليم .

ان فكرة السيطرة على البلدان الاسلامية وتمزيق شمل المسلمين ليست مجرد قصد الاستئثار بخيراتها فحسب ولكنها للقضاء على الروح والثقافة الاسلامية حتى لا يبقى للمسلمين كيان ولا شخصية ولا ذاتية .

لقد اتخذ أعداء المسلمين كل السبل لانتزاع الاسلام من نفوس اهله وتشويه صوره.

وضع المسلمين فى اندونيسيا :

ان وضع المسلمين فى اندونيسيا وفى غيرها هو نفس الوضع الذي يعاني التحديات ويعاني الان تحديات جديدة من أعداء الاسلام. التحديات التي اتخذت لها شكلا جديداً وبقناع الاسلام وباسم الدين. فأعداء الاسلام يحاربون الاسلام باسم الاسلام . هذه الحالة ساعدت الكفرة والملحدين ، وأوجدت لهم طريقاً لتنفيذ مخططاتهم بشتى الاساليب المغرية وبشكل براق وجذاب .

نشاهد عياناً ان نشاط المسلمين، والمثقفين منهم بدأ يتوقف ، ذلك لان الافكار الجديدة ومفاهيم الفلسفات الجديدة استحوذت على أفكارهم، كما قلنا. وهذه المفاهيم الجديدة أخذت تسيطر عليهم وتجرفهم لتطغى على نور الاسلام . وهاهي تفسيرات الفلسفات والمفاهيم الدخيلة أخذت طريقها لتخدير الشعوب المسلمة وطفقت تستنزف ماتبقى فيهم من ايمان ومقومات دينية، وهي لاتشعر بشيء من ذلك ، بينما أخذ القادة أنفسهم يبتعدون عن الجادة حتى أصبحوا مثالا للانحلال والفساد .

وعلى أثر هذا قامت محاولات للقضاء على كل شيء يشم منه الروح الاسلامي والعقيدة الاسلامية ، البقية الباقية لان أعداء الاسلام يعتبرون هذه البقية الباقية العدو

و السلاح الماضي عليهم ، و لذلك فان أعداء الاسلام لايتحاشون عن استخدام كل شيء حتى اولئك الذين يرتدون رداء الأسلام ويتكلمون باسم الاسلام . وهم فى حقيقة أمرهم آلة صماء لمن وراء هم يديرونهم للمؤامرات على الاسلام .

الاخوة الاسلامية والقومية :

ان نظرتنا الى واقع القوميات لدى الشعوب المسلمة نظرة واقعية عملية ايجابية ان الاخوة الاسلامية للشعب الاندونيسي قد جعلت اندونيسيا ذات أهمية ، وهي التي كانت فى التاريخ قوة لتوحيد القبائل الأندونيسية ، فان اندونيسيا عبارة عن قبائل وشعوب لكل منها لغتها وثقافتها الخاصة .

انالاخوة الاسلامية هيالتي سمتبالقومية الاندونيسيةالىالأعلى معنىوشعوراً.

واذا درسناتاريخ القومية الأندونيسية نجدهاقد استمدت قوتها من روح الأسلام ولقد صدقالدكتور داوسديكر Daos Dekker الهولندي الذياعتنقالدين الاسلامي وتسمى بعداسلامه باسم «ستيابودي» حديث قال: «لولا الأسلام فى اندونيسيا لمتوجد قومية اندونيسية» .

الاخوة الاسلامية :

ان الدعوة الى الاخوة الاسلامية قديمة ، قدم الدين نفسه . بل ربما يقول قائل انها موجودة في كل مجتمع اسلامي ، غير ان المراد بالدعوة الى الاخوة الأسلامية الانهي بث روح الاخوة الاسلامية من جديد، بعذ هذا الصراع الطويل المرير على الخلافات الفرعية فى الدين ، ثم ظهور الاحزاب والمنظمات الأسلامية ، مما صدع حصن الاتحاد دينياً واجتماعياً وسياسياً وثقافياً واقتصادياً .

وليس من الأنصاف ان نقول ان الحالة دائمة مستمرة على هذه الوتيرة . فقد كانالمسلمون فياندونيسيا مثلا يعودون الىالاتحاد اذا رأوا عدواً مشتركا أو خطراً

يهددهم ، أو سوف يهددهم ويعمهم ، الا ان هذا من الامور الوقتية الزائلة .

وهكذا ما زالوا يتفرقون ثم يتحدون ثم يعودون الى التفرق ، عندما يذهب العدو أو يختفي ، أو يزول الخطر الذي يهددهم أو البلاء الذي يخشونه . ذلك لان النزاع فى المسائل الفرعية الدينيةقد تعمقت جذوره فيما بينهم ويحسبون بان نزاعهم في المسائل الفروعية هو من صميم الدين وأصوله .

ومن هنا نشأت الخلافات فيما بينهم والتي جرتهم الى خصام وفرقة ، وتبادل التهم والتقريع حتى الوصول الى حد التكفير .

هذه الامور كلها أسبابها ومنشؤها ووضعيتها ونتائجها هي من المسائل التي تهتم بها هيئة البحوث الاسلامية .

ونحن كمسلمين ومؤمنين بالله لايمكن لنا ان نيأس أبداً بل يجب ان نمضى قدماً ونعمل وندعوا الى الاخوة الاسلامية ، لاسيما وقد حنكتنا التجارب المريرة .

وعلى هذا الأساس قام جماعة من الاخوة لتحقيق متطلبات فكرة الدعوة الى الأخوة الاسلامية وابرازها الى حيز الوجود ، هذه الفكرة التي اختمرت فى اذهان مؤسسي هيئة البحوث الاسلامية منذ اكثر من ثلاثين عاماً ، خصوصاً عندما رأى هؤلاء الاخوة اشتداد نزاع المسلمين فيما بينهم،وتناحر الأحزاب الاسلامية ، وتهاتر العوامالذين جرفتهم هذه الخلافات،وهم لايعلمون حقيقتهاولا يعرفون مدى الاضرار التي تعكسها ، ولم يكن اندفاعهم الا مجرد دوافع عاطفية محضةمن جراء اختلاف الزعماء فى مسائل فرعية بسيطة جداً ، لاتستحق هذا الاهتمام الى جانب الخلافات الاخرى التي سببتها نفس الخلافات .

هيئة البحوث الاسلامية :

وهكذا فى وسطهذا الجوالقاتم المتلبد بالغيوم، واليأس الذي سيطرعلى الكثير أسسالاخوة في مدينةجاكرتا بأندونيسيا عام١٩٦١ هيئةباسم هيئة البحوثالاسلامية.

والهدف من تأسيس هذه الهيئة ، اجراء بحوث ودراسات اسلامية على أساس علمي ومنطقي مبنية على حرية التفكير السليمة ، بعيدة عن الاهواء والعواطف للوصول الى الحق والحقيقة والوقوف على كنه تعاليم الاسلام للبناء الروحي والذهني .

وقد تم التوقيع على ميثاق هيئة البحوث الاسلامية من الاخوة المؤسسين لدى مسجل العقود القاضي المدني المحامي ر .س. سوديو ، تحت رقم ١٢٥٨ بتاريخ ٢٥ ابريل ١٩٦١ ، وسجل لدى المحكمة المختصة ، وصادقت عليه وزارة العدل وهكذا أصبحت هيئة البحوث الاسلامية هيئة ذات كيان اجتماعي تعمل علنا . ثم أنظم الى المؤسسين آخرون . هؤلاء هم اسرة هيئة البحوث الأسلامية التي تدعو الى « الأخوة الاسلامية » .

نتائج هذه البحوث والدراسات تنشرها الهيئة فى كتب ونشرات وفى الصحف أيضاً للمساهمة فى تنمية أعمال العلماء والمثقفين فى الصعيد العلمي والروحي خدمة لدين الله .

وفى هذا الحقل تعمل هيئة البحوث الاسلامية على تبادل المعلومات مع الهيئات المماثلة التى تعمل فى هذا المضمار فى الداخل والخارج واستطلاع آراء العلماء والمثقفين.

دراسة الكتب والمؤلفات ، خصوصاً من مؤلفات غير المسلمين الذين يكتبون عن الاسلام .

- انشاء المكتبات العامة .
- تنظيم الندوات العلمية .
- اجراء تحقيقات تاريخية وبخاصة فى كل ما يتعلق حول الأسلام فى جنوب آسيا والشرق الاقصى .
- انشاء معاهد تربوية اسلامية وأكاديمية للغة العربية .
- أصدار مجلات وصحف لقيادة الرأي العام .

يدير هذه المؤسسة عدد من الأخوة المثقفين فى اندونيسيا الذين وقفوا أنفسهم لخدمة الدين والمجتمع لوجه الله ولا يقبضون فى مقابل أعمالهم وأتعابهم معاشاً،

بل عليهم أيضاً ان يتبرعوا بشيء مما عندهم للهيئة .

وليس لهيئة البحوث الاسلامية بجاكرتا أية علاقة بدولة من الدول الاسلامية أو غيرها أو مؤسسة أو هيئة مباشرة أو غيرمباشرة فهي هيئة حرة .

دعوة الهيئة :

تنتهج هيئة البحوث الاسلاميةشتى الطرق وأنواع السبل فى دعوتها . فتنشر المقالات ،وتطبع الكتب وتصدر النشرات الداعية الى نبذ رواسب الخلافات التي أوجدتهاالاهواءوالمصالح والسياسة،وبضرورة بعث روح الاخوة الاسلامية وتنميتها من جديد ،اسوة بما نادى النبي محمد(ص)عندماآخى بين المسلمين ، بتراً لمايمكن ان يحدث أو يحدثه المغرضون فى المستقبل لاعادة الاهواء القديمة والاحقاد الدفينة . ولكن المسلمون مافتئوا ان كروا الى مانهي النبي عنه واعادوه جزعاً .

ثم جاء الاستعمار فشتت الشمل من طرق عديدة ، سلبية وايجابية وأشعل اوار الفتن واجج الخلافات وجعلها أساسية .

ان دعوة« هيئة البحوث الاسلامية» التي كانت بعنوان «الاخوة الاسلامية» لاقت قبولا واقبالا كبيراً وتأييداً واسعاً تردد صداها فى جميع انحاء اندونيسيا .

انطلقت هذه الدعوة التي تنادي بهاهيئة البحوث الاسلامية الى تحقيق الاخوة الاسلامية اسوة واقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما آخى بين المسلمين وأحياء لهذا الحادث التاريخي العظيم وكما ينص عليه كتاب الله عزوجل وان اتحاد المسلمين واجب وأمر ضروري وان كلمة التوحيد تعني أيضاً توحيد الكلمة . وان كل تفرق فى وحدة المسلمين دخيل على الاسلام وان الذي لا يريد التآخي والاخوة الاسلامية دخيل على المسلمين .

لم تكن دعوة الاخوة الاسلامية التي تدعو اليها الهيئة فى مستوى واحد ولكن على جميع المستويات وتنهج كل المجالات وتسلك جميع الطرق بكل طاقاتها ومدى امكانياتها . فأقامت لاجلها الندوات العلمية . وفتحت المجال للابحاث والدراسات

العلمية يتناسب مع مستويات العلماء والمثقفين والطلبة فى محيطها .

نشاطات اخرى :

١ ـ قامت هيئة البحوث الاسلامية بالبحث عن المخطوطات المهمة والوثائق القديمة النادرة فيما يتعلق بالتاريخ فى جنوب آسيا وما جاورها من البلدان مثل الفليبين وتايلاند وبلاد الملايو وخاصة عن اندونيسيا وذلك فى نطاق القيام لدراسة الاسلام بدقة وتحقيق .

٢ ـ للهيئةصلات بالمؤسسات والهيئات العلمية فى خارج اندونيسيا وتمكنت بذلك الاتصال المستمر بمراكز علمية توافي هيئة البحوث بالكتب والصحف والمعلومات بشتى اللغات من عربية وانجليزية والمانيا وهولنديه وغيرها .

٣ ـ اتصلت الهيئة ببعض الجامعات فى اندونيسيا للتعاون بصورة مستمرة وامداد الجامعات بماتحتاجه من معلومات عن الاسلام .

٤ ـ انشأت الهيئة مكتبه عامة وتعد اليوم هـذه المكتبة من أنفس المكاتب . وفتحت أبوابها للجميع ، يرتاد اليها الطلبة ليستفيدوا من مراجعتهم لهذه الكتب .

٥ ـ تسلمت الهيئة هدايا ثمنية من الكتب القيمة من جميع الجهات بينها من المرحوم الأمام السيد محسن الحكيم والمرجع السيد أبو القاسم الخوئي.

٦ ـ انتدبت الهيئة من أعضائها للقيام بالتدريس فى عدد من المؤسسات فى عدة مدن والقاء محاضرات فى النوادي فى فترات دورية منتظمة .

٧ ـ اشتركت الهيئة فى انشاء أكاديمية اللغة العربية فى مدينة چي انجور على بعد مائة كيلومتر من العاصمة جاكرتا .

٨ ـ شجعت الهيئة سكان المدن النائية لتشكيل نواد علمية اسلامية لتكون على اتصال مستمر بالهيئة .

٤ ـ اشتركت الهيئة فى الندوات العلمية .

١٠ ـ انجزت الهيئة طبع عدة كتب ورسائل باللغات الاندونيسية والعـربية

أو الانجليزية ، منها كتاب العتب الجميل فى أهل الجرح والتعديل للسيد محمد ابن عقيل صاحب كتاب تقوية الايمان والنصائح الكافية .

المصادر :

نشرات هيئة البحوث الاسلامية .

مجلة قميبا .

التعريف بالهيئة فى مقدمة كتاب «العتب الجميل» .

اصبر ..

لا بد أن يمر الانسان بحالتي الدنيا : الضيق والفرج..المرض والصحة . والعاقل من اذا أصابه الضيق اطمأن الى الفرج ، فهل بعد سواد الليل الا شروق الشمس ؟ وهل شدة الليل فى آخره الا ايذان بتباشير الفجر ؟ ! .

رأي مسلم

شموع وقناديل

بإعداد : أبو هشام

يمتاز الشعر عن غيره بأنه حرف مموسق، والموسيقى شريكة اللفظ في التعبير . . فكلما كانت المشاعر حساسة تغمرها روح عقائدية كان التعبير اروع والصورة أدق وهذه مجموعة اخرى منه تجمع بين الفكرة الرسالية والتعبير الجميل نقدمها شموعاً في الطريق وقناديل في ظلام الحياة.

العيد

تقول : عيد سعيد   هذي الجموع الشقية
نشر ، وطيب ، ولكن   مامس خبث الطوية
تفنن الناس ، حتى   أعيادهم ... فنية
عنوان كل ملاق   مودة . . . ، وتحية
والأذن قد قرطتها   الفاظنا الذهبية
وليس فى القلب منها   شيء ، ولا شبه نيه
تصافحاً بيد ، أو   كتاب ، او برقية
وفى القلوب قروف   من الجفا مخفية
العيد رمز يريمنا   حياتنا الرمزية
هيهات تأتي بعيد   بهارج . . . ظاهريه

لـم ينفـع العيـد الا ... الاطفال فـي العيديـه

مـرآة نفسـي تـريني ... فی العيد عكس القضية

علی الشرقی

وصية شهيد

أخي ان ذرفت علي الدموع ... وبللت قبري بها فی خشوع

فأوقد لهم من رفاتي شموع ... وسيروا بها نحـو مجـد تليد

أخي ان نمت نلق احبابنا ... فروضات ربي أعـدت لنا

وأطيارها رفرفت حـولـنـا ... فطوبی لنا في ديار الخلود

أخي ستبيد جيـوش الظلام ... ويشرق فی الكون فجر جديد

فأطلق لـروحك أشـواقها ... تری الفجر يرمقنا من بعيـد

مجاهد

الحرية فی ظل الاسلام

بلغت نهاية كل أرض خيلنا ... وكأن أبحرها رمال البيد

فی محفل الاكوان كان هلالنا ... بالنصر أوضح من هلال العيد

فی كل موقعة رفعنا رايـة ... للمجد تعلن آية التوحيد

أمم البرايا لم تكن من قبلنا ... الا عبيداً فی أسار عبيد

بلغت بنا الأجيال حـرياتها ... من بعد أصفاد وذل قيود

مترجم عن شعر اقبال

من الاعمـاق

وثبة أمتي تنير المعالم ... وثباتاً مدججاً بالعزائم

وجهاداً للكفر شرقاً وغرباً ... واكتساحاً لكل باغ وظالم

نتأسي بالمصطفى وأخيه — وبنيه والتابعين الاعاظم
ما أكتفوا بالصلاة والصوم ديناً — بل اشاعوا الهدى وخاضوا الملاحم
فمتى كانت الصلاة ركوعاً — وسجوداً والصوم ترك المطاعم
ومتى أصبح الجهاد حراماً — في زمان ايام هتك المحارم
ان وضعاً لايظهر الدين فيه — ليس يبقى فيه مصل وصائم
أمتي جردي العقيدة سيفاً — دونه السمر والسيوف الصوارم
لنرى الموت ان نعيش عبيداً — ونرى العيش ان نموت اكارم
ما تولى اسلامنا الحكم الا — بالضحايا وبالدما والجماجم

أبو سلمان

وقفة على طلل

مالي وللنجم يرعاني وأرعاه — أمسى كلانا يعاف الغمض جفناه
لي فيك يا ليل آهات أرددها — أواه لو واجدت المحزون أواه
اني تذكرت والذكرى مؤرقة — مجداً تليداً بأيدينا أضعناه
أني اتجهت الى الاسلام في بلد — تجده كالطير مقصوصاً جناحاه
هي الحقيقة عين الله تكلؤها — فكلما حاولوا تشويهها شاهوا
هل تطلبون من المختار معجزة — يكفيه شعب من الاجداث أحياه
سنوا المساواة لاعرب ولاعجم — ما لامرىء شرف الا بتقواه
ورحب الناس بالاسلام حين رأوا — أن السلام وأن العدل مغزاه
استرشد الغرب بالماضي فأرشده — ونحن كان لنا ماض نسيناه
انا مشينا وراء الغرب نقبس من — ضيائه فأصابتنا شظاياه
بالله سل خلف بحر الروم عن ملأ — بالامس كانوا هنا ما بالهم تاهوا
فان تراءت لك الحمراء عن كتب — فسائل الصرح أين المجد والجاه
ماض نعيش على انقاضه امماً — ونستمد القوى من وحي ذكراه
لا رد رد أمرىء يطري أوائله — فخراً ويطرق ان سائلته ماهو

محمود غنيم

حقل الأدب المترجم

الى السجن رقم ٥ .. إنتبه ..

تأليف : محمود حكيمي — ترجم بتصرف ، حسين العاملي - بيروت

موجز ما نشر :

«علي» مسلم افريقي ضبطته السلطات العنصرية في جنوب افريقيا يوزع مناشير أصدرتها جمعية للمسلمين هناك . . وفي السجن التقى بريمون المسيحي ودار بينهما حديث طويل ، روى ريمون خلاله قصة حياته وجاء فيها أن اقطاعياً ظالماً اشتراه وكان يصحبه مع سائر العمال الى الكنيسة ، فيقف فيهم خطيباً ، معرباً عن مدى حبه لهم وتعبه من اجلهم ! ! !

وعندما يرجعون الى العمل يعاملهم معاملة الحيوانات وأثار ريمون ذلك التناقض كما اثاره ما سمعه في الكنيسة من فكرة التثليث. قال ريمون اثناء سرده القصة لعلي : ليكن واحداً وليكن ثلاثة . . المهم اني فعلت ما أرضيت به ، ضميري ففي أحد الايام . . .

. . ففي أحد الايام وقد كنا فى المزرعة ، صارحت ذلك الاقطاعي الظالم بتشكيكي بما يقولون فى الكنيسة من أن الله ثلاثة . . وهو فى نفس الوقت واحد .. فماكان منه الا أن صفعني صفعة ما زال أثرها فى وجهي! وأخذ يركلني برجليه حتى شج رأسي وأسال دمي .

وقطع علي حبل صمته الطويل :

ـ وماذا فعلت ؟ .

ـ قلت لقد فعلت ما أرضيت به ضميري . . فبالرغم من سيل صفعاته وركلاته تمكنت أن أمسكه بتلابيبه وأجلد به الارض . . ثم جلست على صدره وأمسكت بعنقه فضغطت بكلتا يدي ولم أتركه الا بعد أن قضيت عليه . . وبذلك انتقمت لنفسى ولاثنين كان قد قتلهما . . .

وجلس ريمون جلسة المنتصر وأردف :

بعد ذلك ألقي القبض علي فجيء بي الى هنا . . وأنا فى طريقي الى المقصله أعلم ذلك جيداً . . . وبدا على علي تأثره الشديد . ولم يلبث أن قال لصاحبه :

ـ هل سمعت شيئاً عن الاسلام ؟

ـ كلا . .ولا أريد أن أسمع شيئاً . . . وعندما تقرؤون نشيدكم أضع أصابعي فى أذني . . لاني أكره الدين . .

أكرهه . . أكرهه ! !

الدين طريق معبد للاقطاعيين يسلكونه لاستعبادنا . .

الدين يأمرنا بالاستسلام والخضوع والخنوع مهما واجهنا من ظلم ومآس . . الدين يعتبر الاقطاعيين مخلوقات من نوع آخر ، لهم الحق أن يعيشوا ويرتاحوا على حساب حياتنا وراحتنا . . .

نعم . . أنا أكره الدين . . وبصراحة . . . . المتدينين أيضاً ! !

قال علي :

أنت مخطىء يا ريمون . . فلو كان ما تقوله صحيحاً لما أصر بلال على تمسكه

بدينه بالرغم من أنهم وضعوه على الرمل فى حر الهجيرة . . وعذبوه بما لم تعذب به أنت ! ! . . قل . . لماذا ؟ . .

قال ريمون متبرماً :

ومن هو بلال هذا ؟ ! ! .

بلال الحبشي . . هو الاخر كان أسود اللون . . ولكن سواده لم يكن ليمنعه عن أن يصبح مؤذن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وسكت علي فقال ريمون بتلهف :

ـ وماذا بعد ؟ حدثنيعنه . . أريد أن أعرف أكثرعن بلال وعن نبي الأسلام أيضاً . .

وهذا ما كان يريده علي فاندفع قائلا :

فى زمان كهذا الذي نعيش . . والدنيا يعمها الظلم والأقطاعيون والنخاسون يتحكمون بمصير الفقراء . . فى زمان كهذا الذي نعيش . . والجور يملاء الخافقين والناس فى جاهليتهم يعمهون . . فى زمان كهذا .. ارسل الله نبيه محمداً (ص) لينقذ البشرية ويحرر الضعفاء . . وبأسرع مما يشعر المرء استطاع صلوات الله عليه وآله أن يقوم بعملية تغيير كبرى . .

أنت لاتعلم يا ريمون عظمة نبي الأسلام . . هو الذي تحدى كل جبابرة عصره وتحدى كل التقاليد والأعراف الأجتماعية المزيفة . .

كانوا يؤمنون بأن العبد لاحق له في الحياة ! !

تماماً كما يؤمن هؤلاء العنصريون الان . . كانوا يؤمنون بأفضلية هذه القومية على تلك . . غير أن ذلك لم يمنع النبيالعظيم (ص) عن ان يطلقها مدوية مجلجلة :

لا فضل لعربي على عجمي ولا لابيض على أسود الا بالتقوى . .

وأن يقول :

«الناس سواسية كأسنان المشط»

«كلكم لادم وآدم من تراب»

ودهش ريمون . . فلم يكن يتصور أن الدين يعطيللضعفاء حقوقهم ويحميهم

من جور الجائرين . . كان المسكين مغرراً به كما هو الكثيرين من أبناء عصرنا هذا !!

المهم أنه قطع كلام علي وسأله :

وهل هو الذي قال :

«اذا ضربك أخوك على خدك الايمن فأدر له الايسر»

قال علي : كلا ان نبينا العظيم (ص) قال : لن تقدس أمة حتى يؤخذ للضعيف حقه من القوي غير متمتع .

وقرآننا الكريم يصرح قائلا «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين» .

وسكت علي .. فخيم على الزنزانة رقم ٨ صمت معبر .. بدده صوت ريمون مدوياً

تعساً لاولئك القساوسة ولذلك الاقطاعي الظالم . . كانوا يقولون لنا ان الاسلام قمة الرجعية والظلم والانحطاط ومبادؤه في غاية التهافت . .

قال علي :

ـ أتعلم لم يقولون هذا ؟

ـ كلا

ـ لان الاسلام لايؤمن بفكرة التثليث . . الاسلام دين التوحيد وهو يحارب هذه الفكرة الخرافية . . أول شعار رفعه الاسلام هو : «لا اله الا الله» .

وما أروعها عندما كانت تخرج من فم بلال متحدية كل قوى الشرك الوثنية !!!

وكان هذه الكلمات مفتاحاً لقلب ريمون فانتفض من مكانه وقال :

أريد أن أدخل في الاسلام . . . صدقني . . وقل لي ماذا يجب أن أقول . .

رجاء خلصني . . أرح ضميري المعذب

وجثا على ركبته متوسلا ، فأوقفه علي ثم قال له :

لا تتذلل لي ولا لاي مخلوق . . لا تكن ذليلا الا أمام خالقك فان الذلة أمام الخالق عز مع المخلوق . . ان العبودية لله مفتاح الحرية التي سلبها منا هؤلاء المنحرفون . . وأسند ريمون رأسه الى يديه . . وصرخ :

أريد أن أعتنق الاسلام . . أريد أن أعتنق الاسلام .

قال علي : مهلا يا عزيزي ليس اعتناق الاسلام بالامر الصعب ، ولكن

ـ ولكن ماذا ؟ أخبرني

ـ أردت أن أقول : انك اذا أردت أن تعتنق الاسلام ثم لا تطبق تعاليمه ، فتتعدى على حريات الأخرين وكراماتهم ، وتؤذي هذا وتنال من ذاك لاشباع رغباتك وشهواتك ، فخير لك أن تبقى كما أنت ! ! لانك ان فعلت هذا فلن تعدو كونك بقعة سوداء في صفحات الاسلام الناصعة كما هو حال الكثيرين في هذا العصر .

ـ أعاهدك ياصديقي على الالتزام الكامل بتعاليم الاسلام ويشجعني على معاهدتك هذا الشوق الشديد الذي أحس به تجاه هذا الدين العظيم .

ـ اذن قل : « أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله »

وردد ريمون ما قاله علي والبشر يعلو وجهه ثم قال : شكراً لك يا صديقي فقال علي: الافضل أن تقول : الهي كيف أستطيع أن أشكرك على هذه النعمة ، وردد ذلك ريمون ثم خيم السكون على الزنزانة وكل منهما يفكر فيما يفكر به الاخر .

وفجأة قال ريمون :

ـ والان ماذا سيكون اسمي ؟

ـ اختار لك اسم «أبو ذر» وهو اسم أحد صحابة نبينا صلوات الله وسلامه عليه وآله. ولقد كان أبو ذر وفياً مخلصاً لا تأخذه في الله لومة لائم كان لسان حال الفقراء والمساكين كان يتحدى الطغيان ليثبت انحراف حكام عصره عن الاسلام جملة وتفصيلا فاجهد يا أخي لتكون أهلا لهذا الاسم المبارك وفجأة ارتفع صوت داخل الزنزانة الصغيرة ، كان ينبعث من الميكرفون الصغير المثبت في احدى الزوايا :

الى السجين رقم ٥ في الزنزانة رقم ٨ انتبه..

الى السجين رقم ٥ في الزنزانة رقم ٨ انتبه..

سحر الغد ينفذ فيك الحكم.. بعد لحظات يأتي حضرة القسيس ليسمع اعترافك

و فى حين كان علي مشدوها لما يسمع وقف أبو ذر و ضغط على زر خاص . . كان يريد أن يتكلم مع المسؤول وسمع الجواب . . تكلم :

قال : لا أريد أن أرى القسيس لا أريد أن أراه . .

ـ حسناً . . حسناً انتظر موعد تنفيذ الحكم ، وأحس ريمون أن حالة علي غير طبيعية فدنا منه وهمس فى أذنه شيئاً . . بدا على وجه علي بعده البشر والارتياح .

* * *

فجر اليوم التالي دخل العريف الجزار الى السجن . . كان المساجين المسلمون بعد أن صلوا صلاة الصبح يرددون هذا الفصل من نشيد اسلامي بلغتهم المحلية :

نحن للاسلام جند وفداء نحن نمشي فى صراط الأنبياء

نحن نمشي بالعقيدة نحو آفاق جديدة

نحو دنيا من علاء (١)

كانوا يرددون هذا النشيد ولم يقطعوه رغم تهديد ذلك العريف الظالم ووعيده وأدار الجزار مفتاحه فى قفل الزنزانة رقم ٨ وفتح الباب . . ودخل . . ولكن.. لم يجد أحداً . . .

وتملكته رجفة عنيفة . . . وبصوت متهدج وجنوني صاح :

أين أنتما . . . قبحكما الله . . .

ولم يجبه الا رجع صوته المنكر . .

ولم يكن يحتمل أن يكونا مختبئين . . حيث أنه لا مجال لذلك فى الزنزانة

ماذا اذن ؟ لقد هربا ! ! !

وفقد وعيه وبدأ يرغي ويزبد كالجمل . . انه يريد أن يعرف كيف هربا . .

ولم يتعب كثيراً فبمجرد أن حرك سريراً من مكانه ظهرت كوة فى الحائط كانت سبيل السجينين للفرار . .

---

(١) للشيخ التسخيري .

الى الشيخ الباقوري . .

بقلم : أم جهاد

بعد السلام عليك والدعاء لجميع العاملين بأمانة واخلاص لرفع مستوى الامة..
اطلعت فى مجلة العربي العدد ١٦٢ على مقالك حول المرأة ، ودعوتك المجتمع للاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في مجال اعطاء الحريات للمرأة مستنداً الى روايتين ذكرتهما فى مقالك المذكور وبعد ذلك اطلعت على مقال يرد عليك ما ذهبت اليه ، ومن ثم اطلعت على ردك على الردود . . . اطلعت على جميع ذلك وهو مدعاة للارتياح والغبطة ، بشرط أن يكون رائد الجميع الموضوعية ، والوصول الى الحقيقة لان هذا خيردليل على الاهتمام بحل مشاكل امتنا ودفعها لاحتلال مركزها فى هذا العالم المضطرب ، ولكن المصيبة حينما يخطر فى بال كاتب مارأى ويسارع للاعلان عنه قبل هضمه ، وينبري آخرون للرد ، ويجيب الكاتب رد الرد وهكذا الى ان يصل الى الرقم الى ٦ و١٠ وبذلك ينشغل كتابنا ومؤلفونا بأمور لا يمكن ان تخدم شيئاً من مصالح هذه الامة سوى ان تحدث فيها نوعاً من البلبلة والتشويش فنسأل الله تبارك وتعالى ان يوفقنا جميعاً وان تكون كل كتابتنا خالصة

لوجهه لا هدف لها سوى مرضاته ونشر رسالته .

والان هل تسمح لي ان أقف مع بعض آرائك فينا نحن النسوة لنبين مواطن الحق فنشد عليه القلوب ولنعرف بعض النقاط الأخرى فنراجع فيها الحساب .

قارنت في مقالك الثاني بين نظرة الاسلام الى المرأة ومدى اعتزازه بها والحرص على اعلاء منزلتها وبين وضعها في الشرائع الأخرى كالهندوسية واليونانية والرومانية وبينت الفرق الشاسع بين هذا وذاك ، وان هذا وأيم الله كلام لا يشوبه ادنى شك لكل من ألقى السمع وهو شهيد ، ولكل من ألقى نظرة مهما كانت عجلى على كتاب الأسلام (القرآن) وعلى احاديث النبي (ص) واهل بيته وان من الواجب على جميع اهل العلم ومفكري المسلمين ووعاظهم نشر هذه الحقيقة وتجليتها ليفرق الناس بين نظرة الاسلام وعمل المسلمين .

وفي مكان آخر ذكرت استفادة الغربيين من المرأة وانتفاعهم بطاقتها على العكس من المسلمين اذ أهدروا هذه الامكانيات وأرجعت ذلك الى بعض الاسباب وأنا معك على ان رب الأسرة ليس شديد الحرص على الأجتماع باهل بيته وتبادل المعارف والاخبار معهم ولكنني في الوقت نفسه احذر من ان تؤخذ هذه النظرة وتطبق علينا كما هي في الغرب اذ أن معنى ذلك هو القضاء على روحية المجتمع ومعناه أيضاً تفككه وميوعته وتحلله كما هو الحال في الغرب فانه في الوقت الذي استفاد من المرأة مادياً الا أنه قتلها حينما جعلها بضاعة في متناول الجميع .

نحن ندعو الى تثقيف المرأة واحتلال مركزها التربوي الرئيسي في المجتمع ولكن على ان لا يكون ذلك على حساب عفتها وكرامتها .

أما دعوتك الرامية الى التيسير وعدم التعسير بالتقيد الكامل الحر في بالنصوص والأحكام بل الأخذ بالرخص رعاية لمقتضيات العصر الذي نعيش فيه وطرحك هذا الشعار وهو «ان يتدين الناس ولو مترخصين خير لهم وللانسانية بهم من أن ينحلوا عن الدين» ألست ترى يا صاحب الفضيلة في كل هذا تراجعاً سوف يعقبه تراجعات أليس هذا مما يصطلح عليه عند الباعة بالتنزيلات الهائلة بين فترة واخرى أفهل علينا أن

نخضع الاحكام الدينية لبعض ظواهر الحضارة الحديثة ـ ان صح انها حضارة ـ أو كما يسمى (بمتطلبات العصر) .

لا بل المفروض أن نخضع قضايا العصر لاحكام الدين والا فانها خضوع للامر الواقع وانها لروح استسلامية لايرتضيها الاسلام، ان المسلم عنصر مؤثر فاعل لايتأثر بآراء وعقائد وافكار الاخرين من اعدائه ، ان منطق مجاراة عادات وتقاليد العصر منطق خطير يجرنا الى التجرد عن كل مفاهيمنا فى النهاية ويقضي على اصالتنا فى الحلقة الاخيرة من المأساة .

وأعجب ما قرأت فى مقالك رأيك في ان كشف المرأة رأسها او تقصيرها ثيابها وان كان يجافي الكمال لايبلغ ان يكون كبيرة من الكبائر وغاية ما يوصف به فى عرف اهل الشرع انه صغيرة من الصغائر وان اجتناب الكبائر يكفر الصغائر» .

لا يا فضيلة الشيخ «ما هكذا تورد يا سعد الابل» يجب ان نلاحظ فى الأمر ما يلي:

أ ـ اننا لوفرضنا ان ما قلته من ان سفور المرأة صغيرة من الصغائر ـ وهذا قول لا يمكن ان يطلق على عواهنه بل يحتاج الى مزيد تأمل وتحقيق لمعنى الكبائر والصغائر ـ فالفقهاء مطبقون على أن الاصرار على الصغيرة كبيرة قطعاً فكيف الى ارتكابها ، أو ما رأيت الحديث المروي عن النبي (ص) «اياكم ومحقرات الذنوب فانهن ما اجتمعن على شخص الا واهلكنه» .

ب ـ اترى ان مثل هذا القول يمكن ان يرتضيه منهج تربوي مخطط لتحويل أمة بأكملها بنظام يقوم على محرمات ومحللات ومباحات ثم يبيح بعد ذلك فعل اكثر المحرمات بمثل هذا المنطق المفروض أليس يعني هذا انه يقضي على نفسه بنفسه ويميع نظامه بيده .

جـ ـ الروايات الكثيرة الواردة فى هذا المجال والتي تشدد النكير على هذه المرأة ، وفضيلتك مطلع تماماً عليها .

وختاماً أقول :

اننا حينما نمسك القلم لنكتب لابد ان ندرك خطورة موقفنا وعظم مسؤوليتنا فى توحيد الامة وبنائها كما يريد الله بعيداً عن كل المؤثرات والتقاليد والعادات .



اعداد: ابو مقداد

افريقيا تنتفض

واجهت اسرائيل نكسة شديدة في القارة الافريقية بعدقطع خمسة من الدول الافريقية علاقاتها معها ، وهذه الدول هي «اوغندا ـ والتي بدأت وتحمست لهذا الامر ـ وتشاد ومالي والنايجر والكونغو برازفيل» .

وكانت هذه الضربة قد اذهلت الكيان الصهيوني الغاصب وأفقدته رشده، اذ أنه كان يسرح ويمرح فى القارة الافريقية متخذاً من حداثة استقلالها واحتياج دولها الى المعونات والخبرات الفنيه ستاراً للتظليل والسيطرة على هذه البقعة من العالم والتي يؤمل ان تلعب دوراً مهماً في بناء الحضارة الانسانية، والذي اثر فى الامر انتشار المسلمين فى أكثر دول افريقيا ، وشعور المسؤولين بالخطر الصهيوني الذي بدأ يستفحل والذي يمثل الواجهة الاستعمارية الكبرى .

لقد اعلنت الجهات الدينية مراراً سواء من كان منهم فى النجف الأشرف أو فى قم أو فى الازهر، كرروا النصح الى المسؤولين العرب فى ان يثيروا قضية فلسطين المغتصبة اسلامياً ليستفيدوا من طاقة وامكانيات السبعمائة مليون مسلم فالعاطفة الدينية لاسبيل لانكارها ولايخفى مدى فاعليتها وتأثيرها .

وخير شاهد على ذلك هي قضية افريقيا فان اذاعة الكيان الاسرائيلي الغاصب اظهرت انمن ضمن الاسباب التي ادت الى ذلك هو ضغط المسلمين الموجودين فى هذه الدول ترى هل يسمع المسؤلون ذلك وهل يعترفون بهذه الحقيقه

الصارخة ؟ نرجو أن يكون ذلك واننافي الوقت الذي نبارك ونرحب بهذه الخطوات الموفقة نطالب بأعلى اصواتنا ان ينتبه جميع القادة الأفريقيين والذين يحكمون شعوباً مسلمة بالخصوص الى واجباتهم تجاه شعوبهم ومسؤلياتهم أمامها وأن يداروا عواطفها ومصالحها سيما في هذه المرحلة الحاضرة التي تواجه فيها الامم الصغيرة من الصهيونية اقسى المحن والخطوب ، واسرائيل هذه التي زرعها أعداء الأسلام الغربيون ، والشرقيون في قلب العالم الاسلامي لابد من وقفة موحده تجاه مصالحها البغيضة.

اللهم اشهد انا قد بلغنا وبينا ونبهنا اللهم اشهد .

* * *

المسجد الضرار . . ! ! .

نشرت مجلة المجتمع الكويتية في العدد ١٢٩ بتاريخ ٧ ذي القعدة ١٣٩٢ الموافق ١٢ كانون الاول ١٩٧٢ الخبر الاتي «صودق في بغداد على قانون انشاء اول جامعة اسلامية في العراق يؤسسها ديوان الاوقاف وستفي الجامعة بتخصيص قادة متخصصين في نشر الشريعة الاسلامية وستضم الجامعة كليات الشريعة واصول الدين والدراسات العربية» .

الهادى :

انه لمن المضحك حقاً ـ وشر البلية ما يضحك ـ أن تعمد حكومة البعث في العراق الممتحن الى مثل هذه المحاولات لتغطية سياستها اللادينية الظالمة، فالموضوع انشاء جامعة اسلامية ! والغرض تربية قادة لنشر الدين الاسلامي ! اما القائم على ذلك فهو حزب البعث الاشتراكي في العراق والذي نص بكل وقاحة وعلى لسان جريدة «الثورة» في اول عدد يصدر منها في بغداد أنه يهتدي بالماركسية اللينينية ، أفهل نصدق بعد ذلك أن الغرض اسلامي بحت ودافعه نشر الاسلام الصحيح قربة الى الله تعالى فحسب ؟ ولكن ليعلم هؤلاء أن مثل هذا الخداع والتضليل لا ولن يمر على شعبنا المسلم في العراق الذي خبر هؤلاء وعرف مدى الحقد الذي ينطوون عليه للاسلام ولكل ما هو اسلامي .

الشعب المسلم في العراق لايريد جامعة اسلامية يوجهها البعث ويستخدمها للاستهلاك المحلي وللوصول الى اغراضه ولكنه يريد من البعث ان يرفع يديه عن أعرق جامعة اسلامية في العراق وهي «النجف الأشرف» الذي ما زال يتعرض للضغط والتهديد من اجل الرضوخ

والاستسلام، النجف الذي شردوا عدداً كبيراً من خيرة علمائه وطلابه، النجف الأشرف الذي يعتبره ابناء العراق جميعاً بكافة مذاهبهم وقومياتهم وفئاتهم الحارس الامين على مصالحهم والممثل الحقيقي لامالهم وآلامهم، هذا هو النجف وهذه محنته نضعها امام المسلمين الغيارى ليقوموا بواجبهم ويتحملوا مسؤولياتهم امام الله والتاريخ، كان الله مع النجف الأشرف في صراعه من أجل ان يبقى مستقلا محافظاً على كيانه القائد الموجه.

«والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وارصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، وليحلفن ان أردنا الا الحسنى، والله يشهد انهم لكاذبون».

«لا تقم فيه أبداً لمسجد اسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين».

* * *

صوت من تركيا المسلمة

ورد في تصريح للسيد فتحي اوغلو عضو مجلس الشيوخ التركي ورئيس الوفد البرلماني حين زيارة له للمملكة العربية السعودية ان الشعب التركي والحمد لله لايزال متمسكاً بتعاليم الاسلام العظيم وكدليل على ذلك ذكر ان في اربعين الف قرية يوجد حوالي مائة وخمسون الف مسجد وفي اسطنبول وحدها ٢٠٠٠ مسجد اضافة الى المدارس الاسلاميه للدراسات العليا والمعاهد والكليات وعددها اثنان وسبعون معهداً يتلقى الطلبة فيها دراستهم الأسلامية باللغه العربية، ويبلغ عدد الطلبة فيها ١٠٠/٠٠٠ طالب.

* * *

واذا اضفنا الى هذا التصريح ما نشرته مجلة الحوادث في عددها المرقم ٨٢٢ والصادر في ١١ آب ١٩٧٢ وذلك عن مقابلة اجراها مندوبها مع شخصيات تركية لالقاء الضوء على مختلف جوانب الحياة الأجتماعية والسياسية في تركيا وقد كان مما قاله سليمان ديميريل الذي شغل منصب رئاسة الوزراء عدة سنوات

«انا لا اجد في ماضينا ولا في تاريخنا ولا في ديننا مايعوقنا عن بناء الدولة العصرية»

«اننا نفخر اننا اكبر بلد اسلامي وان ٩٩٪ من شعبنا مسلمون وحيثما ذهبت ستجد الناس يصلون الصلوات الخمس».

«اننا نؤمن انه بغير الأيمان الديني

لا يمكن بناء أمة ولا دولة» ، «من الظلم ان نقمع عاطفة الجماهير الاسلامية» .

من كل هذه التصريحات ومن غيرها تظهر للعيان حقيقة ساطعة هي ان الاسلام عظيم وانه لايمكن للقوى مهما تعاظمت والمحاولات مهما كثرت ان تقضي عليه نهائياًفسيطرته على القلوب لاتزال راسخة انه وميض تحت الرماد ولابد أن يأتي اليوم الذي يرجع ليأخذمحله فينير الطريق.

كانت هناك خلافة في تركيا ومهما كانت انحرافاتها فانها كانت لواءً يجتمع تحت ظلاله كل المسلمين ويذيب كل الفوارق الجنسية والمذهبية والجغرافية.

وغزا الكافر الديار، وأول ماعمد اليه تحطيم هذه الراية وكسر هذا اللواء ليأمن العواقب ، وجرت محاولات ومحاولات استمرت عشرات السنين ليتحول الشعب التركي وغيره الى شعب اوروبي لاصلة له بدينه وتاريخه وثقافته، تغير الزي وكتب من اليسار وبدل الحروف ولكن ما هي النتيجة ؟

هي ان يعلن المسؤولون انه بغير الايمان لايمكن بناء أمة ولا دولة . ان للجماهير عاطفة اسلامية قوية ولايمكن قمعها ولابد من تلبية طلبات الجماهير ورغبتها في الرجوع الى رحاب الدين والتفيؤ بظلاله والعيش في امنه ودعته .

أعذر من أنذر . .

لم يكن من الصدفة ان تظهر بعض المذاهب المنحرفة في العالم الاسلامي وفي فترة واحدة وسنين متقاربه بل كل الأدلة تشير الى وجود مخطط للقضاء على وحدة المسلمين الفكرية والسياسية ليتسنى للمستعمر دخول البلاد واستثمار الخيرات وهكذا كانت اساليب الاستعمار المتنوعة فظهرت البهائية في ايران والقاديانية في الهند وغيرها في بلاد اخرى، وكان الخطر البهائي من اهم ماحاربه علماء الشيعة في النجف الأشرف وقم المقدسة وغيرها من الحواضر العلمية وبدأوا يطاردونها ويلاحقونها وينبهون المسلمين الى زيفها وضلالها ، وقد بدا واضحاً للعيان ارتباط هذه الفئة بالاستعمار من اتصالات القائمين عليها بالاسياد الكفرة وخاصة حينما اتخذوا اسرائيل مقرهم الذي فيه يعقدون محافلهم ومؤتمراتهم ليؤكدوا ارتباطهم بالصهيونية العالمية .

ومن المؤسف انهم حاولوا التغلغل في بعض البلاد العربية والاسلامية فأثاروا الاعتراف بهم رسمياً في لبنان ولكن جهود المخلصين الغيارى قضت على لعبتهم، ومما تجدر الاشارة اليه هنا الرسالة التي ارسلها سماحة آية الله العظمى السيد شريعتمداري الى رئيس الحكومة اللبنانية

بواسطة سفير لبنان في طهران منبهاً ومحذراً من هذا العدو الجديد .

كما وصلت انباء عن تسرب بعضهم الى امارات الخليج وكذلك الى المملكة العربية السعودية واندونيسيا واننا نرى من واجبنا ان نوجه هذه الصرخة الى من يهمهم امر هذه الامة وخاصة العلماء الاعلام ليقوموا بدورهم في كشف حقيقة هذه الفرقه الضالة وبيان زيفها وأباطيلها امام الناس جميعاً لتكون الامة في مأمن من الانزلاق في احابيلها ولئلا تقع فريسة للصهيونية الحاقدة التي لا تفتأ وبكل الوسائل من القضاء على كياننا وتمزيقنا لتمرير مخططاتها الجهنمية ، «وقد أعذر من انذر» .

* * *

يدخلون فى دين الله افواجا

جاءتنا من (جميعة بلال الاسلامية) في افريقيا الرسالة التالية :

«فى القرب من ميناء (ممباسا) فى جمهورية كينيا قرية يبلغ نفوسها ١٢/٠٠٠ نسمة من المسيحيين الافريقيين ، ويرأسها شخص مسيحي يسمى «جوزف نگالا» ومن خمس سنين خلت كان على صلة بأحد التجار المسلمين المعروفين في ممباسا وهو (قاسم علي غلام حسين) وبمرور الزمن ازداد تأثير هذه العائلة في رئيس القرية ولنترك له المجال ليحدثنا عن ذلك فيقول «رأيت كل فرد من هذه العائلة متعلقاً بدينه ملتزماً بتعاليمه ويؤدون عبادتهم في اية حالة كانوا ويقدمونها على أي عمل آخر .

لقد لاحظت اعمالهم وسلوكهم بدقة وتأثرت بذلك تأثراً عميقاً مما دفعني الى الى المقارنة بين المسيحية والاسلام كما لاحظت ان المسيحيين يذهبون الى كنائسهم يوم الاحد فقط ويستمعون الى مواعظ قسسهم ويؤدون شعائرهم اما بعد ذلك فينغمسون فى رذائلهم ويواصلون منكراتهم من شرب الخمور ولعب القمار وغيرها. ولكني رأيت جميع المنكرات محرمة في الاسلام ولم اجد احداً من عائلة قاسم علي غلام حسين شارباً للخمر أومرتكباً لبعض المحرمات وبعد التفكير والبحث توصلت الى أن الاسلام هو الدين الذي يدعو الانسان الى الاعمال الحسنة ويسيره في طريق مستقيم الى خير الاهداف، وانه دين السعادة والسلام العالمي ، وقد طرحت هذه النتيجه مع عائلتي للبحث وقررنا أن نعتنق الاسلام ولما عرضت الامر على قاسم علي غلام حسين ارشدني الى جمعية بلال الاسلامية التي ارسلت مندوبيها وبسرعة الى قريتنا وذلك فى ٢٨ شعبان ١٣٩٢ وبقوا عندنا الى ٢ شوال ١٣٩٢

وبذلك اطلعنا على معالم الشريعة الاسلامية الحقة ومنهج اهل البيت عليهم السلام» وفى مدة قليله انتشر الاسلام فى ربوع تلك القريةو بسرعة فائقة وقداعلن الاسلام لحد الان ٨٨ رجلا و١٦٠ امرأة و١٩٠ طفلا وقد خصصت قطعة من الارض لبناء مسجد واخرى لبناء مدرسة وقد ارسلت جمعية بلال الاسلاميةمدرساً افريقياًللقيام بمهمة التدريس والتعليم ويتصور ان حوالي ٦٠٠٠ شخصاً اخر قد اعلنوا او سيعلنون اسلامهم فى القرية وما جاورها»

* * *

الهادى :

اننافي الوقت الذي نبارك لجمعية بلال الاسلاميه جهودها ونشاطها لخدمة دين الله القويم ، نسأل الله تبارك وتعالى لهؤلاء المسلمين الجدد الثبات والاستقامه وأن يكونوا وجودات نافعة لامتهم ورسالتهم

ولايمكننا هنا ان نخفي هذه الحقيقة المهمة عن نظر جميع المسلمين والتى استفيدت من الرسالة المتقدمة وهي مدى تأثير السلوك والالتزام فى الدعوة الى الدين وهى حقيقةهامةعبرعنها الامام جعفر الصادق (ع) حينما قال: «كونو لنا دعاة صامتين» ولما سئل عن كيفية الدعوة اجاب (ع) بالاعمال والسلوك .

برقيتان متبادلتـان

تلقى سماحة آية الله العظمى الامام المؤسس السيد شريعتمداري من سماحة الامام الشيخ محمدمحمد الفحام شيخ الجامع الأزهر الشريف برقية تهنئة بمناسبة عيد الفطر السعيد وهذا نصها :

السيد صاحب السماحة آية الله شريعتمداري ـ ايران :

يطيب لي أن اهنىء سيادتكم بعيد الفطر المبارك أعاده الله عليكم وعلى الامة الاسلامية باليمن والنصر المبين .

شيخ الازهر
دكتور محمد محمد الفحام

وقد أجابه سماحة الامام السيد شريعتمداري بالبرقية التالية، شاكراً له عواطفه الاسلامية :

سماحة الامام الدكتور الفحام المعظم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اشكركم على تهنئتكم الكريمة بمناسبة عيد الفطر المبارك ، وأدعو الله أن يكون انطلاقة خير ونصر لأمة القرآن .

محمد كاظم شريعتمدارى

ولنا تعليق

نشرت مجلة الحوادث اللبنانية فى العدد ٨٣٣ بتاريخ ٧٢/١٠/٢٧ هـذا النبأ : « طالب اتحاد الطلبة المصريين بتدريس الدين فى الجامعة) .

الهادى :

تسير حياة الأمم والشعوب فى خط منحن ، فهي تارة تتسلق القمة وتحتل مركز القيادة والتأثير ، وتارة أخرى تبدأ بالانحطاط والتدهـور حيث تنزل الى السفح فى طريقها الى الوادي السحيق حيث تتحول الى كتلة هامدة .

نعم هكذا هي الامم قد تكون الامة حيناً من الزمان يقظة متوثبة مؤثرة ، وقد ترجع حيناً آخر خاملة متأثرة تغط فى سبات عميق، على أنا يجب ان لاننسى ان هذا لا يعني أية حتمية تاريخية فانه من الممكن ان تحافظ الامة على مقومات حضارتها وتظل واعية دائمـاً لاسباب الانحراف فتتلافاها بكل وعي ، وحينـذاك يمكن ان تحمل مشعل الحضارة الى ما شاء الله.

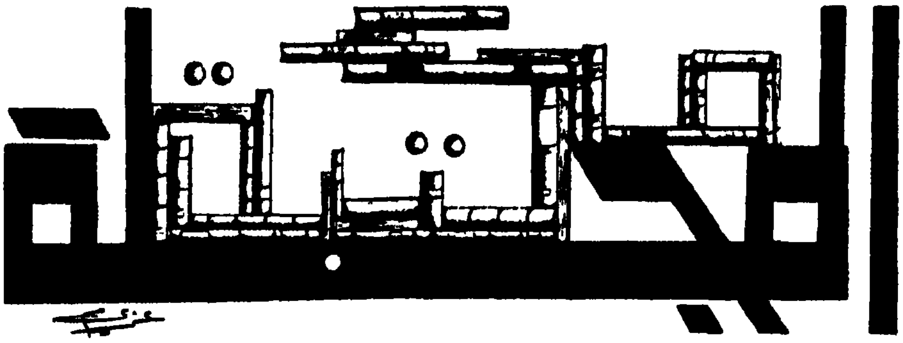
والامة المسلمة ـ كغيرها ـ استطاعت ان تقود الانسانية فى حقبة من الزمن وان ترفع مشعل الحضارة الصالحة نتيجة لطاقات الخير الذائبة فى رسالتها أولا والقيادة الرائدة للنبى ومن بعده أهل بيته الأطهار ثانياً، وللتفاعل الشديد بل الانصهار مع الرسالة من الرعيـل الاول المسلم ثالثاً ونتيجة لاسباب أخرى معاكسة بدأت الامة بالتردي والهبوط وحاولت الحضارة الغربية الغالبة القضاء على شخصية الامة المسلمة قضاء كاملا خوفاً من ان تستعيد مركزها وتهب من نومها وتقوم بدورها من جديد ، وفى خلال الفترة المظلمة من حياة أمتنا تعالت صيحات من هذا المصلح وذاك وحدثت هزات فى جسم الامة هنا وهناك، وبدت حالة التململ عند النائمين أو مايصطلح عليه بظاهرة (القلق).

والمسلمون اليوم يتعرضون لاعنف الهزات والهجمات التى نأمل ان تتمخض عن نتائج ايجابية فتنبههم الى حقيقة ما يجري حولهم ويتحركون لاعادة كرامتهم

المهدورة وحقوقهم المغتصبة ولن يكون لهم ذلك الا بوحدة صفوفهم على أساس من رسالتهم المقدسة (الاسلام) .

ومن هنا فاننا ننظر الى هذه الصيحة المؤمنة التي انطلقت من حناجر الشباب الواعي في الجامعة المصرية .

على انها بوارق أمل في استعادة المجد التليد، ومن المفروض بالمسؤولين عن شؤون الثقافة والتربية والتعليم في كافة البلاد الاسلامية أن يلبوا مثل هذه الطلبات ، ويملأوا الفراغ الذي يعيشه معظم شبابنا بالفكر الاسلامي الصحيح وان يعيدوا النظر في المناهج المقررة وخاصة في حقل التربية الدينية ، بحيث لا يكون مقتصراً على حفظ بعض الايات القرآنية والاحاديث النبوية أو القاء بعض الاضواء على مفاهيم اسلامية معينة تعالج بعض جوانب الحياة، بل لا بد أن يعطى الاسلام كأطروحة الهية كاملة تنظم حياة الانسان وتلبي كافة احتياجاته وتجيب على جميع أسئلته وتهذب غرائزه وترفع من مستوى الانسانية الى أرفع ما يمكن كما يجب أن يلاحظ أمر ضروري وهام جداً في هذه المناهج وهو تقوية الجانب الروحي والصلة بالله عند طلابنا ليتمكنوا من مواجهة صعاب الحياة وجميع الزعازع بقلب مؤمن مطمئن، وايمان راسخ كما يجب ان يقوم بتدريس هذه المناهج نخبة من المدرسين المؤمنين لكي يكونوا القدوة والأسوة والمثل الصحيح المجسد للتعاليم المقررة، كان الله في عون الجميع ومنه نستمد النصر والتوفيق .



□ تسلمت ادارة المجلة من مؤلفات سماحة آية الله السيد محمد صادق الروحاني ، الجزءين الحادي‌عشر والثاني‌عشر وهما من دورة فقهية تقع في عشرين مجلداً أربعة منها شرح لكتاب المكاسب الشهير للشيخ الاعظم والفقيه الاكبر الشيخ الانصاري (رحمه الله) وستةعشر مجلداً فى‌شرح تبصرة العلامةالحلي (عليه الرحمة).

وقد طبع منها لحد الان اثناعشر مجلداً ، وهي تمثل نماذج حية من الابحاث الفقهية الموسعة في الحوزة العلمية في قم المقدسة ، ويقع الجزء الحادي‌عشر في ٣٩٦ صفحة ، والثاني‌عشر فى ٣٧٢ صفحة من القطع الكبير وهو من طبع مطبعة مهر استوار ــ قم .

□ كما وقد وصلنا كتاب (مع الخطوط العريضة ، تأليف أبومحمد الخاقاني) باهداء من سماحة الحجة المؤلف .

والكتاب يلقي أضواء على ضجة أثارها كتاب مفرق لم يأخذ بعين الاعتبار الموضوعية أولا والمرحلة التي تمر بها الامة الاسلامية اليوم والسنان مشرعة الى صدرها والعدو يتربص بها كل الدوائر ثانياً .ان الواقع يفرض علينا تجميع القوى والجهود في‌مجال لم‌شمل الامةوتركيز وحدتها واحياءالوعي‌الاصيل‌للرسالةالاسلامية لا أن نتصيد في الماء العكر فنرمي هذا وذاك بالاتهام ، ومن هنا نبعت ضرورة القاء

هذه الاضواء وكشف شكل من اشكال التآمر على شخصية الامة الموحدة .

ويقع الكتاب فى ١٠٢ صفحة من القطع المتوسط ، وهو من منشورات دار الزهراء ـ بيروت .

□ (أهل بيت وآية المباهلة) لمؤلفه الحجة الشيخ قوام الدين القمي الوشنوي والكتاب يقع فى قسمين يعرض المؤلف فى القسم الاول منه الى تعليقات أئمة الحديث والفقه حول آية المباهلة وآرائهم فيها ، ويستخلص من مجموعها ان الاية تشير الى حادثة المباهلة التي شكلت حدثاً تاريخياً ضخماً ولحظة فاصلة في ميدان الصراع العقائدي بين الاسلام وأحبار أهل الكتاب وكان الاناس الذين باهل بهم (ص) نصارى نجران هم أهل البيت (ع) فقط غير دونهم ويقع الكتاب في ٥٦ صفحة من القطع المتوسط وطبع فى مطبعة (حكمت) في قم .

□ تعلم الصلاة . . وقفة التأمل الانساني :

الناشر : مكتبة جامع النقي العامة ـ الكويت ٤٨ صفحة طبع دار الاندلس ببيروت ويشكل أحد منشورات هذه المكتبة العامرة التي مازالت تطالعنا بين الحين والاخر بمؤلفات قيمة لها أثرها في سد بعض فراغات المكتبة الاسلامية .

وصلتنا عدة من المجلات والجرائد كما يلي :

□ مجلة (الارشاد) المغربية :

وهي مجلة شهرية تعني بالتثقيف الشعبي والتوجيه الاسلامي وتصدرهما وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية ، وتتمنى اسرة تحرير الهادي للزميلة كل النجاح والتوفيق في أداء الرسالة .

□ مجلة (دعوة الحق) المغربية :

وهي مجلة شهرية تعني بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر، وتزخر

بالمقالات الاسلاميـة الضافية ، والبحوث الشيقة في مختلف النواحي العقائدية والاجتماعية والقصائد الجميلة الحية ، والأخبار الاسلامية الكثيرة .

والهادي تتمنى للزميلة كل نجاح و توفيق

□ جريدة (المجتمع) الكويتيتة :

وهي جريدة اسلامية اسبوعية ، تعني بالشؤون الفكرية والاجتماعية ، تصدرها جمعية الاصلاح الاجتماعي في الكويت .

□ صحيفة (البلاغ) الكويتية :

وهي صحيفة اسلامية سياسية جامعة تصدرها اسبوعياً مؤسسة البلاغ للصحافة والتوزيع والاعلان في الكويت ، وهي تعنى بطرح القضايا ، وخصوصاً السياسية منها على الصعيد الاسلامي .

□ صحيفة الرائد :

وهي صحيفة اسلامية يصدرها المركزالاسلامي فيآخن ـ مسجد بلال ـ واتحاد الطلبة المسلمين في اوروبا . . وصلنا العددان الخامس والسادس ـ السنة الأولى . . والرائد ذات طابع اسلامي واع مؤنس . . نتمنى لها وللاخوة القائمين عليها مزيداً من التوفيق والتسديد . . واطراد النجاح .



الشؤون العامة :

أوفد سماحة الامام المؤسس بعثة دينية برئاسة سماحة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ مجتبى العراقي الى الديار المقدسة وذلك لاداء فريضة الحج ، والقيام بمهمة الارشاد والتبليغ أثناء موسم الحج العامر .

وقد قامت البعثة بواجبها خيرقيام، وكان الاقبال عليها من قبل الحجاج شديداً نظراً لاستعداداتها ونشاطها .

هذا بالاضافة الى ان البعثه قامت بعمل انساني مبتكر حيث تعهدت بالمبالغ اللازمة لايصال أنابيب الماء الى كثير من العوائل الفقيرة في المدينة المنورة ،كما ويدرس الان مشروع آخر للقيام بتكاليف ايصال التيار الكهربائي لهذه البيوت.

الشؤون الثقافية :

ا ـ نشاطات المكتبة :

أصدرت ادارة مكتبة دار التبليغ الاسلامي العامة بياناً بعدد المطالعين والكتب والمجلات المشتراة والمهداة في خلال ثلاثة أشهر على الوجه التالي :

التاريخ	الكتب المهداة	الكتب المشتراة	المجلات المهداة	عدد المطالعين	عدد الكتب المطالعة
شعبان ١٣٩٢	٥٦	-	٤٣	٩١٢٠٤	٢٩٣٦١
رمضان ١٣٩٢	٨٣	-	٧	١٠٨٧٧	٢٥٣٧٢
شوال ١٣٩٢	١٨٠٢	٢٤	٤١	٢٣٠١٩	٤٠١١١
المجموع	١٩٤١	٢٤	٩١	١٢٥١٠٠	٩٤٨٤٤

وقد ورد في البيان ان ١٦٠٥ من الكتب المهداة و٣٥ عدداً من المجلات قد اهديت الى المكتبة حسب وصية المرحوم حجة الاسلام والمسلمين الشيخ غلامرضا الزنجاني .

كماوقد أهدى الوجيه الحاج آقا محمد كلاهي (٩١) مجلداً من الكتب المهداة وهي تعبر عن نسخ مصورة من المخطوطات الثمينة الموجودة في مكتبات سوريا ولبنان والعراق وايران .

* وقد صدرت احصائية أخرى عن ادارة المكتبة ورد فيها ان مجموع كتب المكتبة بلغ ١٥/٠٠٠ مجلد .

* وتنوي ادارة المكتبة القيام بطبع بعض الكتب المخطوطة في القريب العاجل انشاء الله .

نشاطات دار التبليغ الاسلامي :

انطلاقاً من مهمة التبليغ الكبرى التي تشكل الهدف الكبير لهذه المؤسسة فقد تقرر اقامة مجلس اسبوعي في كل جمعة يشترك فيه اساتذة الحوزة العلمية في قم ، وفضلاؤها وطلابها بالاضافة للطبقات العامة الأخرى من طلاب وكسبة ، وتطرح في المجلس المفاهيم الأسلامية العالية ، وتجري فيه المناقشات البناءة ، والاجابة على الاسئلة المختلفة .

* قبلت المؤسسة ما يقرب من ٣٠ طالباً جديداً للانضمام الى أسرة الطلبة ، الذين توفر لهم المؤسسة وسائل النمو العلمي والتربوي .

هذا بالاضافة الى أن ما يقرب من ١٠٠ طالب حوزوي يشتركون في المحاضرات التي تلقى بعنوان (مستمع) .

* أضيفت مادتان في السنة الدراسية الحالية الى الدروس المقررة وهما: تاريخ الفلسفة ، وعلم الكلام .

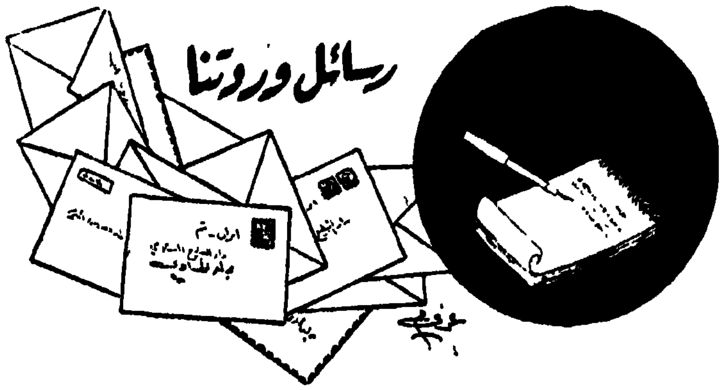
* خلال الاشهر الثلاثة الماضية وصلت للمؤسسة مايقرب من ١٥٠٠٠ رسالة يطلب فيها أصحابها بعض المنشورات الثقافية والدينية بالاضافة للاجابة على الأسئلة المختلفة الواردة فيها ، والارشاد الى المصادر العلمية المهمة .

وقد قامت اللجنة الثقافية في المؤسسة باجابة هذه الطلبات على أكمل وجه

* أصدرت لجنة النشر في مؤسسة دار التبليغ الاسلامي بقم كراساً بعنوان (بحث موجز حول الصوم) وقد طبع منه مايقرب من (٣٠/٠٠٠) نسخة هذا وهناك كراس آخر تحت الطبع بعنوان (حقوق الابناء على الاباء) باللغة الفارسية ويؤمل الانتهاء من طبعه قريباً .

* من الكتب التي أصدرتها لحد الان لجنة النشر في المؤسسة ما يلي :

ترجمة اسم الكتاب	المؤلف
عش البلابل	السيد مير ابوالفتح الدعوتي
دور السيد جمال الدين في توعية الشرق	محمد محيط الطباطبائي
الجيل الجديد	الدكتور احمد بهشتي
صرخة فلسطين وحريق المسجد الاقصى	السيد غلامرضا السعيدي
تقييم عصري لثورة الامام الحسين (ع)	العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين
الاستشراق وتآمر المستشرقين	مريم جميله
الغرب مريض	محمود حكيمي
فلسفة التوحيد والولاية (عربي)	العلامةا لشيخ محمد جواد مغنيه



ان الامة تعيش فراغاً لابد من سده . . . هذه حقيقة واضحة تؤكدها الرسائل التي تردنا تعبر عن مشاعر أصحابها تجاه المجلة..وتغمرنا بفيض من العاطفة لخطوتنا الاعلامية التي نرجوا أن يكتب لها البقاء وأطراد النجاح . .

□ وردتنا من السيد أنيس عمار من بيروت رسالة أثرنا نشرها بكاملها :

السيد رئيس تحرير مجلة الهادي الغراء . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

وبعد : ما زلت أرافق سير مجلتكم منذ العدد الثاني للسنة الاولى وبين يدي الان العدد الاول للسنة الثانية وكم كان سروري عظيماً عندماقرأته من أوله الى آخره.

كان منشأ سروري هذا التغير العظيم الذي طرأ على المجلة شكلا ومحتوى فما أحوجنا لوسائل الاعلام التي لا تميل الى يمين أو يسار وانما تختط خطاً وسطاً يبني أمة وسطاً .

السيد رئيس التحرير :

لا أخفي عليكم أن ما تقومون به عمل جليل جداً ولكن يؤتي أكله على وجه أكمل ، أرجو ان تتقبلوا ملاحظاتي التالية :

أولا ـ رغم ماتضم المجلة من مواد قيمة فانها لاتخلو من بعض المواد العادية فنرجوا ملاحظة ذلك .

ثانياً ـ العنصر العاطفي يطغى على كثير من صفحات المجلة وفى رأيي ان العاطفة لايستغنى عنها ولكن الى حد ما .

ثالثاً ـ ركن «عالم المرأة» أرجو ان ينال بعضاً من اهتمام أكثر ليكون صوت المرأة المسلمة .

رابعاً ـ حقل الشعر لابأس أن يكون أكثر رسالية وتركيزاً .

خامساً ـ من الضروري أن تكون أكثر الابحاث بأقلام كتاب مسلمين ايرانيين ليتم التفاعل المطلوب بين الفكر الاسلامي فى ايران والبلاد العربية التى تنطق المجلة بلغتها ويمكن الاعتماد على مترجمين مختصين .

سادساً ـ رغم ان المجلة تعترض لبعض مشاكل المسلمين ..وحماسها الشديد لذلك واضح فانى أرجو ان تولى هذه الناحية اهتماماً أكبر . . . خصوصاً بالنسبة للقضايا التي لا تتناولها صحفنا الاسلامية الاخرى . . ومثالاً على ذلك أذكر مشكلة جامعة النجف الاشرف فى العراق . . هذه المشكلة التي ما تزال قائمة كما كانت الا ان العالم الاسلامى يجهلها أو يتجاهلها . .

وفى الختام أرجو أن تتقبلوا مني هذا . . . فقصدي كما أشرت ان تتكامل المجلة لتقوم بدور أكثر فعالية .

حفظكم الله ـ وأخذ بيدكم لما فيه خير الاسلام والمسلمين .

انيس عمار بيروت ـ رأس النبع

« الهادى » : نرجو ان نوفق للاخذ باقتراحاتكم البناءة .

□ ووصلتنامن سماحة حجةالأسلام الشيخابراهيم سليمان ـ بيروت،ورد فيها (ان مجلتكم الراقية أعجبتنى كثيراً في مباحثها وحسن اخراجها ، فجزاكم الله وأخذ بيدكم) .

□ ومن دلهي فيالهند جاءتنا رسالة منالسيد و. ك. ناندا عضومكتبةالجامعة الشعبية الاسلامية يخبرنا فيها عنالاستقبال الحارالذي قابل به طلاب الجامعة مجلتنا (الهادي) وانها أصبحت معيناً اسلامياً ثراً لهم ويطلب مواصلة ارسالها بانتظام .

□ ومن الكويت جاءتنا رسالة منالاخ حمد محمدالرمضان الخزاعي وردفيها: (وفي الحقيقة اني قرأتها وأعجبت بها غاية الاعجاب ، لما حوته من مقالات طبية وبحوث قيمة ان دلت على شيىء فانما تدل على اصالة تلك الدار التي أخذت على عاتقها جمع كلمة المسلمين أجمع . . .) .

□ ومن السيد محمد بهجة البيطار في سوريا وردتنا رسالة تحية عاطرة .

□ ومن ما نجستر بانگلتره وصلتنا رسالة من الأستاذ جهاد الحسيني يطلب فيها مواصلة ارسال المجلة لتكون من أحد مصادر رسالة الدكتوراه التي يعدها هناك وعنوانها (السلطة السياسية والدينية في الفكر الامامي) .

□ ومن سماحة العلامة الشيخ علي كوراني في الكويت وصلتنا رسالة تحية اسلامية خالصة للجهود المبذولة في المجلة .

□ ومن مدينة الأهواز وصلتنا من الشباب المؤمن المشرف على المكتبة الجعفرية العامة رسالة تحية ودعاء بالتوفيق .

□ ومن طهران وصلتنا رسالة من الدكتور جعفر شهيدي رئيس قسم اللغة

العربية في جامعة طهران يقول منها .

(وانني اقدّر أيها الأخوان ـ جهودكم الجبارة وأهنئكم بهذه الكرامة التي نلتمُ اياها مِن قيامكم بهذا الواجب الديني . . .) .

والهادى : ترى انها ـ بتواضع قد غمرت بعواطف الأخوة من جهة ـ وانها من جهة أخرى بعد في بداية الطريق وان المهمةشاقة عسيرة خصوصاً فيهذا الخضم المتلاطم من الأفكار المتصارعة والوسائل الهدامة ، ولنا من عون الله تعالى ومؤازرة اخواننا خير دافع على العمل الصناع .

الهادي

مجلة فكرية اسلامية جامعة

العدد الثالث ـ السنة الثانية

صفر ـ ١٣٩٣ هـ

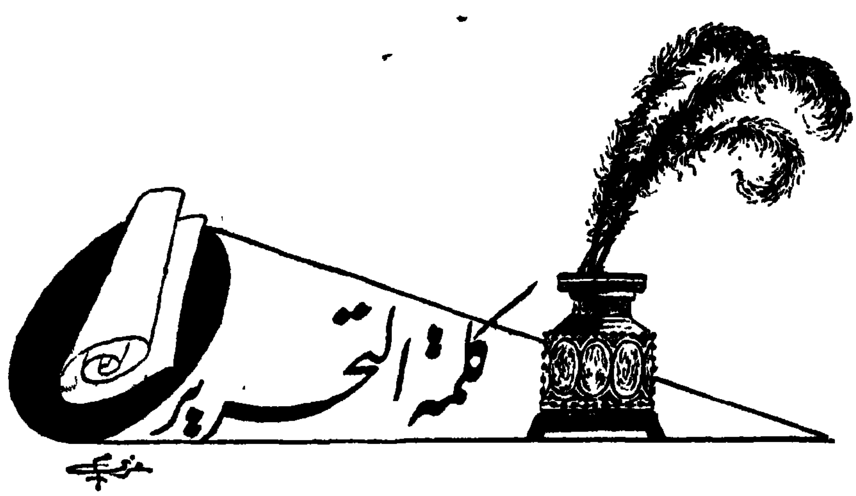
الفهرس

حكمة العدد

من أراد أن يعلم ما له عند الله . .
فلينظر ما لله عنده . .

الرسول الاعظم (ص)

بسم الله الرحمن الرحيم



التقوى بين اتجاهين

الاتجاهات العامة فى الاسلام :

لا تقل أهمية المحافظة على اتجاهات التشريع الاسلامى وأحكامه ، عن الاهتمام بالتشريع نفسه ، فان الحكم الالهى لا يمكن أن يؤدى دوره الخاص فى حياة الانسان ، الا حينما يوضع فى الاتجاه الذى وضعه الله فيه. فاذا حرف عن هذا الاتجاه ووضع فى اتجاه آخر لم يشرع له، فان الحكم نفسه قد يصادر الغاية التى شرع من أجلها .

ومن هذا المنطلق أرى اننا فى الوقت الذى نعمل فيه على المحافظة على وجود الحكم الشرعى ، والنظام الاسلامى ، وتطبيقه فى حياتنا بأمانة واخلاص . . ينبغى أن نوجه جزءاً من هذا الاهتمام الى المحافظة على الاتجاه الذى وضع الحكم فيه ليسلم الحكم عن الانحراف ، ولنوصد الباب على الذين يحرفون أحكام الله ويضعونها فى غير مواضعها التى وضعها الله فيها .

التقوى بين السلب والايجاب

ومن أوضح الامثلة على هذه الحقيقة «التقوى» فهى نحو من السلوك فى حياة الفرد والمجتمع الاسلامى ، أقره وخطط له التشريع الاسلامى لحماية الفرد والمجتمع الاسلامى من الانحراف ، وللمحافظة على سلامة السلوك الفردى والاجتماعى ، وتحقيق هذه الغاية يمكن أن يتم ضمن اتجاهين متعاكسين يؤديان الى نتيجتين مختلفتين تماماً .

الاتجاه السلبي في تحقيق التقوى

فقد تنفذ هذه القاعدة السلوكية في حياة الفرد والمجتمع عن طريق عزلة الفرد المسلم والمجتمع الاسلامي عن الوسط الاجتماعي المنحرف وعن الاوساط الاجتماعية الجاهلية وعن التأثيرات الاعلامية والنفسية الكثيرة، التي تصاحب هذه المجتمعات عادة.

ومن الطبيعي ان عملية (العزل الاجتماعي) هذه لو تم لها النجاح لاستطاعت ان تحقق الغاية المقصودة من التقوى الى حد ما في المحافظة على سلامة السلوك الفردي والاجتماعي غير ان احتمال نجاح هذه المحاولة ضعيف الى حد بعيد وحتى في الحالات التي تنجح فيها المحاولة فان احتمال استمرارها ودوامها غير مشجع على العمل فانه ان امكن عزل الفرد او المجتمع عن الوسط او الاوساط الجاهلية لفترة ما فليس من الممكن اطلاقاً الاستمرار في هذه المحاولة الى زمن بعيد ولابد من نهاية لها تتلاشى فيها كل محاولة من هذا القبيل فيندمج الفرد المحافظ في الوسط الاجتماعي المنحرف كما يندمج المجتمع المحافظ في الاوساط الاجتماعية المنحرفة ويحدث ما كان يخشى منه بالاضافة الى أن مثل هذا الاتجاه يفقد الفرد والمجتمع المؤمن تأثير الفاعل في حياة المجتمع والاوساط الاجتماعية الكبرى وتنحصر مهمة الفرد والمجتمع المؤمن في أداء دور سلبي في المحافظة على سلامة الكيان الفردي والاجتماعي للمحافظ فقط.

الاتجاه الايجابي في التقوى

والاتجاه الاخر في تنفيذ هذه القاعدة السلوكية في الفرد والمجتمع المسلم هو الممارسة الايجابية لحماية الفرد والمجتمع عن طريق مكافحة المنكرات والانحرافات الجاهلية في الوسط الاجتماعي وفي المجتمعات الاخرى في حدود الامكان وتوجيه الفرد والمجتمع المسلم الى ايفاء دور الفاعل في بناء المجتمع الاسلامي واقتحام ميادين الصراع بين الاسلام والجاهلية لمكافحة الجاهلية بكل انحرافاتها واسناد التفكير والسلوك الاسلامي وغزو هذه الاوساط بما فيها من ايحاءات وتأثيرات جاهلية.

ولئن كان حظ الاتجاه الاول من النجاح في الصمود امام المنكر والاستمرار في المقاومة قليلاً فان نصيب هذا الاتجاه من العمل، النجاح الكبير فان الصراع والانفتاح يمنح الفرد والمجتمع قوة في الصمود والمقاومة لاتتأتى لهما في العزلة الاجتماعية والانغلاق المسالم كما ان الامة تتحول في مثل هذه الحالة الى قوة فاعلة مغيرة ذات آثار بعيدة في بناء التأريخ وتوجيه الانسانية الى رسالة الله و تعبيدهم لله سبحانه وتعالى.

الاتجاه الايجابي في التشريع الاسلامي

والتقوى جزء من منهج حافل كبير في حياة الانسان تضمنته رسالة الله ولا يمكن أن يشذ عن سائر اطراف هذا المنهج في تفصيل او اجمال واستعراض سريع لاحكام هذا الدين ودوره في حياة الانسان والاسلوب الذي يقره في تشريعه الفذ يكفي ليشهد بما يحفل به هذا المنهج الالهي من ايجابية في حياة الانسان. فليس من منهج الله ورسالته اطلاقا ان يتحول موقف الانسان المسلم ازاء ما يمر عليه من احداث الى موقف المتفرج المتحفظ وانما يخطط له النهج موقفا آخر يتسم بالايجابية والفاعلية في خلق الاحداث وتحويلها والتأثير فيها، واقتحامها لهذا الغرض، والجهاد،

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر كل ذلك يحدد الابعاد الحقيقية ، لهذه الايجابيــة في رسالة الله .

ولعل الحديث التالي يوضح هذه الطبيعة الايجابية في شريعة الله ، بما لا يترك مجالا لاحد في التشكيك فيما نقول :

روى عن الامام على بن أبي طالب ـ أمير المؤمنين ـ عليه السلام انه قال : «ان من رأى عدوانا يعمل به ، ومنكراً يدعى اليه، فأنكره بقلبه فقد سلم وبرىء ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر ، وهو أفضل من صاحبه ، ومن أنـكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك أصلب سبـل الهدى وقـام على الطريق» (١) .

والتقوى كما ذكرنا جزء من هذا المنهج الكبير لايمكن أن يفارقه في اجمال او تفصيل.

مكافحة الهوى والطاغوت

فالتقوى صمود في داخل النفس لمقاومة الاهـواء التي تجرف الانسان الى الانحـراف والابتـذال ومكافحة هـذه الاهواء لتعـديلها وتنسيقها بالشكل الذي يحدده المنهج الالهي وفي حدودها المعتدلة المعقولة وهو الجهاد الاكبر الذي ليس فوقه جهـاد ويتطلب مـن الانسان الشيء الكثير من الجهد والصمود ورياضة النفس والعقل معاً .

وهو صمود ومقاومة في واقع الحياة للطواغيت الذين يعدلون بالانسانية عن منهج الله وشريعته ويستعبدون النـاس ويتحدون رسالـة الله ويحاربون حكمـه ودينه ويشيعون في حيـاة المجتمع من اللهو والفساد مايميع في نفوسهم كل قدرة وقوة على الصمود والمواجهة .

فالتقوى في هـذا المجال هو الاقتحام المباشـر لهذه الميادين التي تغلغلت فيهـا الجاهليـة لمكافحة الجاهلية فيها وتبديــد الظلمـات التي تحجب الناس عن هـدى الله ورسالته .

ولايكاد يقتصر دور التقوى ومسئوليتها في هـذا الجزء من حياة الانسان على حجـب الفرد المسلم وعزله عن التيار الجارف لفرض المحافظة عليه من الانحراف فان مكافحة التيار وصده ونسف القمم الجاهلية التي يتحدر منها التيار يأتي في المرحلة السابقة من العمل . وحيث لايمكن ذلـك ولا يتأتى للفـرد فان المسؤولية تنتقل عنـد ذلك من المواجهة المباشرة الى حماية الفـرد والمجتمع مـن التيار الجارف .

في رحاب الامام الحسين عليه السلام

أضعنا أطروحة السماء التي من أجلها ، بذل الحسين دمه الشريف . . فضعنا ولم يعد باستطاعتنا أن نصل الى أبي عبد الله ، نسترشده ونستهديه ، وننهل من معينه الذي فجره في ربى كربلاء، ليسقى الحياة قوماً أبو أن يسقوه شربة من ماء.

أضعنا أطروحة السماء ، فأصبح الوصول الى رحابه (ع) عصيباً ، لا لأن الأطروحة ترشد اليه وتؤكد عليه فحسب ، بل لأنها متجسدة فيه ، تجسدها بجده المصطفى (ص) .

لولا جهاد النبي الاعظم (ص) لما أخذت جذور الدعوة سبيلها في الارض . ولولا جهاد الحسين (ع) لاقتلعت تلك الجذور قبل ان تضرب في أعماق الوجود. جاهد النبي (ص) ليبني للامة كيانها ويربي فيها ارادتها ، وجاهد الحسين لحماية هذا الكيان والحفاظ عليه ، ولا عادة الارادة الى الأمة ، بعد ان سلبها منها التحريف والارهاب .

لم يكن آل أبي سفيان يختلفون عن أبي سفيان نفسه ، فكما جمع هو للاسلام وكاد ، وسعى للقضاء على رسالة الله وهداه للارض، كذلك جمع معاوية ويزيد وكادا، وسعيا للقضاء على دين الله . . ولكن الحسين (ع) بثورته المقدسة أحبط كل هذه المساعي ، وأزاح عن هذه النماذج ، الستار المزيف ، الذي تخفي حقيقتها خلفه ، وأزاح عن الاسلام حجباً كثيفة غطته فحرفته وحولته الى وسيلة للامرة والفتح والتحكم بالرقاب والمصائر .

وماذا كان مصير الاسلام يا ترى ، لو أن الامر استتب ليزيد ؟ ويزيد هذا قد تسلم الحكم من أبيه ، الذي خاطب المسلمين من قبل ، من فوق منبر الخلافة

الاسلامية قائلا :

« ما قاتلكم لتصوموا ، ولا لتصلوا ، ولا لتحجوا ، ولا لتزكوا . . . قد عرفت انكم تفعلون ذلك ، ولكن انما قاتلتكم لأتأمر عليكم »(١) . قال هذا ولم يجد من الامة ـ باستثناء الحسن والحسين والخلص الواعين ـ من ينكر عليه قولته ومضت سياسة معاوية على هذا المنوال . . وجاء من بعده ابنه يزيد . . . والأمة ما تزال صامتة ساكتة لا تجرؤ أن تحرك ساكناً .

فلو أن الحسين (ع) لم يشق ذلك السكوت، ولم يقطع ذلك الصمت الرهيب. فماذا كان مصير الاسلام ؟

لقد استثمر الحسين عليه السلام جهود أبيه وأخيه الحسن ـ عليهما السلام ـ وقد أصبح الانحراف ينمو ويتزايد في عصره ، وأصبح الفرق واضحاً ، بين خطين يمثل أحدهما سبط النبي (ص) ، ويمثل الأخر سبط أبي سفيان ، واتضاح الخطين المذكورين ، وتحدد معالم كل منهما ، كان هو الظرف الطبيعي لثورة لاهبة ، تقض مضاجع المنحرفين ، وتبعث في شرايين الأمة الدم ، وتنفخ في كيانها روح الاسلام ، بدلا عن روحية الخنوع والاستسلام . كان ذلك الظرف الطبيعي لمثل هذه الثورة ، لان التفسير الذي كانت تفسر به الخلافات بين خط الاسلام ، المتمثل في آل البيت ، وخط الانحراف المتمثل في أعدائهم ، قد بان زيفه . لقد أدركت الامة أن علياً والحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ لا يهدفون من مجابهتهم للسلطات الحاكمة ، الى مكاسب شخصية ، كما كان يتصور بعضهم من قبل ، وما دام الامر كذلك ، فالثورة التي تعلن الان لن تفشل ، حتى اذا لم يمكنها الوصول الى الحكم ، والدم الذي يراق لن يذهب هدراً ، بل سيظل فواراً يوقظ في الاجيال ضميرها المتحرك ، ويحرك فيها أحاسيسها ، ويلهب منها المشاعر .

سيظل مثل هذا الدم يصرخ في الاجيال ، أن أمر هذه الامة لا يصلح بقائد

---

(١) «معاوية بن أبي سفيان» للعقاد ، نقلا عن الطبري .

كيزيد ، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر . . .وستظل ذكرى هذا الدم العظيم مدرسة تقدم للدنيا نماذج التضحية والوعي والاخلاص . ولا نشك أبداً على ضوء ما تقدم في أن ما قام به الامام الحسين (ع) هو عين ما كان سيقوم به أي من الائمة الاخرين صلوات الله عليهم لو أنه وجد في هذه الفترة ، وواجه نفس الظروف .

ونحن اليوم ـ وبمناسبة هذه الذكرى ـ نرى أن من الضروري أن نعيد النظر في فهمنا لهذا الامام العظيم . . .

وان نقوم بدراسة واعية ، لكل خطوة خطاها ، وكل فعالية أسهمت في انجاح ثورته .

أكثر من ثلاثة عشر قرناً مضت ، كانت ثورة الحسين خلالها موضع بحث ودراسة ، ومع ذلك فهي بحاجة الى فهم جديد ، ودراسة جديدة ، لتنقى مما ران عليها من فهم خاطىء ، وتصورات مشوشة وتفسيرات مضطربة .

ان الفرق كبير جداً ، بين أن ننظر من الحسين (ع) الى أنه امام قتل مظلوماً عطشاناً ، وكفى . . .

وبين ان ننظر الى كل حركة صدرت منه ، وكل كلمة نطق بها ، ونطفق نحللها ونستخلص منها الدروس والعبر . . . فعندما نقرأ ـ مثلا ـ أنه قال في خضم المعركة : « هون ما نزل بي أنه بعين الله تعالى » لا نتجاوز هذا القول ، الا وقد تزودنا منه ، بكل ما يزخر به من معان ، يقف البيان أمامها حائراً متعثراً .

كما ان الفرق الكبير واضح جداً بين النظرة الى اخراج الحسين أهل بيته معه ، على أنه أمر وقع اتفاقاً وصدفة . . وبين النظرة اليه على أنه عمل مخطط مدروس ، يراد منه أن يقوم بدور اعلامي كبير واسع النطاق ، لتدرك الامة عمق المأساة . . وأبعاد الخطر الذي يهددها من هؤلاء الحكام المنحرفين الذين لم يتورعوا عن ارتكاب مثل هذه الجريمة بقتل ابن بنت رسول الله (ص) .

وكذلك الفرق كبير جداً ، بين ان نعرض الامام السجاد (ع) مثلا على انه عليل كربلاء والمقيد بالجامعة ، وان نعرض للامة موقفه الذي خشع له الدهر ، والذي

لا نعتقد ان باستطاعة أحد ان يقفه ، الا القلة من المؤمنين ، وذلك حين قام بكسر الطوق الحديدي الذي أحكمه آل أبي سفيان على أهل الشام ، حين افهموهم أنهم هم آل بيت رسول الله (ص) وهؤلاء السبايا خوارج قد خرجوا على خليفة المسلمين

كسر الامام السجاد (ع) ذلك الطوق ، حين وقف في قلب الشام - عاصمة الامويين - وقف يقول ليزيد - وهو الحاكم المطلق والمنتصر : «هذا الرسول العزيز الكريم جدك أم جدي ؟ فان قلت : جدك ، علم الحاضرون والناس كلهم انك كاذب ، وان قلت جدي فلم قتلت أبي ظلماً وعدواناً ؟ ؟ ! ! . . . » .

نعم . ان ثورة الحسين (ع) على رغم ما كتب فيها، ورغم ان بعض الكتابات جيدة ومتينة ، الا انها لم توف حقها بعد كما ينبغي (١) . واذا وفقنا لتقديمها للامة على واقعها ، فسيمكننا أن نستفيد من طاقاتها الخلاقة ، وعطائها الفريد . ومن هنا يتضح مايحتاجه المنبر الحسيني ، ليمكنه القيام بدوره في عصر ، لايمتلك الاسلام فيه ، من وسائل الاعلام ، الا القليل النادر . . والمنبر الحسيني في الواقع من اكثر وسائر الاعلام أهمية ، وأبعدها أثراً ، لو امتدت اليه يد الاصلاح والتهذيب .

ان الاتجاهات الأخرى تجهد ليل نهار ، لتهيىء لافكارها المستمعين ، وذكرى الحسين (ع) تهيىء للفكر الاسلامي المستمعين بشكل جيد وطبيعي . .ولكن الاسباب التي اشرنا الى بعضها ، تمنع من ان يستفيد الجمهور من هذه المناسبات ، الاستفادة المرجوة، فيما اذا استغلت لبيان الاسلام عقيدة ونظاماً . . ولتربية النشىء وتوجيهه بدل ان تستغل في حكايات وروايات ، أصبحت معروفة لدى الجميع .

ولا نريد بهذا أن نقلل من أهمية الدور ، الذي يلعبه المنبر الحسيني فعلا . . فانه رغم النواقص التي تعتريه يبقى له الفضل الجم ، في مجال الدعوة والتبليغ . . الا اننا اشرنا الى ماتقدم اعتقاداً منا بأن النقد البناء ، والكلمة الهادفة ضرورة حياتية

---

(١) الامل بالله كبير ، فهذا هو النتاج الاسلامي يبشر بخير ، وهذه هي حركة الكتابة والتعريف بالاسلام ومعطياته قد بدأت بعد سبات عميق طويل ، أتاح للافكار الاخرى أن تغزونا مستغلة الفراغ الذى كانت الامة تعاني منه .

لكل عمل يراد له أن يوتي أكله على الوجه الاكمل .

اننا ندعو لتأسيس مدارس خاصة لتخريج الخطباء الحسينيين ، ونعتقد أن ذلك أول خطوة عملية ، يجب القيام بها ، لتطوير المنبر الحسيني . . واننا لنرجو ان يتنبه أو لو الامر لذلك ، فينال هذا الموضوع ، من عنايتهم واهتمامهم ، مايتناسب مع مركز الثقل الذي يحتله .

وعي . . . واطمئنان

فكد كيدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحينا ، ولا يرحض عنك عارها ، وهل رأيك الا فند ، وأيامك الا عدد ، وجمعك الا بدد ، يوم ينادى المنادى : «ألا لعنة الله على الظالمين» .

زينب (ع) فى خطابها ليزيد



حديث الإمام

وجهت المجلة السؤالين التاليين لسماحة آية الله العظمى الامام السيد شريعتمداري دام ظله العالي ، فتفضل بالاجابة مشكوراً .

السؤال الاول : كيف اقصى الاسلام عن حياة الامة ؟

السؤال الثاني : كيف يمكن اعادة الاسلام الى حياة الامة ؟

الجـواب :

لا اشكال في أن الاسلام ، كان يحتل مركز الثقل في كل جوانب حياة الأمة الأسلامية ، ويشكل القاعدة التي تبتني عليها كل الحلول المرصودة للمشاكل،وقد دام هذا الحال فترة،ممتدة من الزمن ، مما يبطل دعوى القائلين بأن الاسلام لا يمكن تطبيقه ولكن وبمقتضى عوامل كثيرة ، أقصي عن مسرح الحكم، ولم يعد يحتل فيها نفس المركز السابق. بل ان البلاد الأسلامية اليوم تعج بالنظم والقوانين اللااسلامية أما ما هي هذه العوامل الكثيرة ، فهذا يحتاج الى تفصيل ، لا يسعه المقام ، بل

يحتاج الى بحث عميق فى مجلدات ضخمة .

لذا أرى أنه من الاولى أن نصرف عنان الكلام الىالسؤال الثاني ، ونحاول الاجابة عليه ، وان كان هو بدوره أيضاً يحتاج الى اسهاب وتفصيل ولكن يمكن الاشارة الاجمالية لبعض خطوطه العريضة ، فنقول :

رغم أن العهد قد طال ، والامة ترزح تحت نظم غريبة مستوردة ، اعتادت عليها اعتياد المدمن على المخدرات، مما خلق صعوبة بالغة ، في عملية التغيير التي تستهدف ابعاد الأمة عنمنحدراتها الحالية ، وتخليصها من براثن التبعية المقيتة للنظم المستوردة ، رغم كل هذا، فاننا نرى وبكل ثقة أن الاسلام يمكنه أن يعود ، فيمسك بالزمام ، ويقود كل قطاعات هذه الامة . ومما يؤكد لنا هذه الثقة بامكان العودة ، أن الامة كلما امتد بها الزمان ، برزت لها مشاكل جديدة ، وطرحت أمامها حلول كثيرة ، وقد جربت هي بدورها هذه الحلول ، ورأت وعانت من جرائها الويلات . وليس أدل على ذلك من حالتها المخجلة التي تعيشها اليوم .

فالاسلام اذن يمكن أن يعود ـ بل لا بد أن يكون ذلك ـ ونكن هـذه العودة تقوم علىأسس وشروط ينبغي توافرها كيما يمهد الطريق . وفى اعتقادي أنالشروط المذكورة تتلخص فيما يلي :

الاول : ـ تفهم الاسلام ووعي عقائده وتشريعاته ، فى مختلف جوانبها ، وعلى كلا الصعيدين : الفردي والاجتماعي أي : أن نفهمه رسالة الهية جاءت لتقديم أطروحة للبشرية ـ كل البشرية ـ آخذة فى تشريعها كل الجوانب بعين الاعتبار .

الثاني : ـ صياغة الحملة الواعين،الذين تكتمل فيهم عناصر القيام بهذه المهمة الجليلة ، التي هي امتداد لمهمة الانبياء والاوصياء .

الثالث : ـ محاولة تكوين الفئات الشعبية المتدنية ، والتي تقوم بتحسيس الامة بأدوائها ، وتجعلها تدرك بأن علاجها الوحيد ، هو الاسلام .

وحينها تنطلق الدعوة اليه من أعماق الامة. . . ويكون النصر . ولتوضيح هذه الشروط نقول :

أولا : ليس الاسلام مجرد فكرة طارئة ، انبثقت في ذهن انسان، فأعجب بها، وانطلق يبشر بها ، وتبعه أتباع يشكلون له الصدى ـ كأكثر الفكر السائدة اليوم . بل هو دين تشكل العقيدة المحددة المعالم ، ـ والتي تفرضها الفطرة والواقـع ـ أساساً فيه لنظم وتشريعات عالمية ، تعتبر أروع حل ، وأكثر واقعية من أية حلول أخرى ، باعتبـار أنها موضوعة من قبل خالق البشرية ، وهو الاعلم بأدوائهـا ، وعلاجها الناجع .

ومن هنا فنحن نحتاج الى عملية تفهم كامل للاسلام عقيدة وتشريعاً ، في اطار وظائفه العالمية .

ولقد كانت هناك قبل هذا ، بحوث جليلة ، من علماء فطاحل ، فـي مختلف مجالات الاسلام . الا ان هؤلاء الاجلة لما كانوا يواجهون من المشاكل ، ما يختلف عما نواجه ، في عصرنا الحاضرـ عصر النظريات العامة ـ فانهم اقتصرت أنظارهم رحمهم الله على اعطاء حلول الاسلام ، في القضايا الفرديـة ، وبذلوا كل ما يلزم ، دون أن يقصروا في شيىء ـ فجزاهم الله خيراً ـ أما نحن الذين نواجه الـكثير من النظريات والمبادىء ، فعلينا ونحن نعتقد بجدارة الاسلام ، أن نبحث في الحلول الاسلامية العامة ، في مختلف القضايا البشرية ، وعلى صعيد عالمي ، ثم نعرضها على العالم ، ليعرف الفرق الكبير ، بين واقعية الاسلام وخيالات الاخرين .

وكمثال على ذلك : « مسألة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » . فان هذا الباب المهم من أحكام الاسلام عولج غالباً ، على الصعيد الفـردي ، في حـين أن جانبه الاجتماعي أعمق بكثير من الجانب الاول . وهكذا الابواب الفقهية الاخرى ، كالحدود والقضاء والحكم ، وغير ذلك .

فهم ـ رحمهم الله وقدس أسرارهم ـ قد خططوا المعالم التي يجب علينا أن نستهديها فى نظرتنا العامة المقترحة .

وأما ثانياً : فان الحديث حوله طويل ، فيجب أن يربي أولئك الحملة ، وان يخطط لهم منهجهم ، والأسس التي تحدد عملهم .

وأما الثالث : فهو المرحلة الاخيرة التي نعتبرها الكفيلة بأن تدفع الامة . لتطلب الاسلام بنفسها . وحينها ستجد أن الاسلام أكفأ من يقودها الى شاطىء الحق والخير .

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لايشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون» .

الاتجاهات المستقبلة لحركة الاجتهاد .

(*)

السيد محمد باقر الصدر - النجف

ان حركة الاجتهاد تتحدد وتكسب اتجاهاتها ومعالمها على أساس عاملين وهما : عامل الهدف وعامل الفن، ومن خلال ما يطرأ على هذين العاملين من تطور او تغيير تتطور الحركة نفسها ، واقصد بالهدف: الأثر الذي تتوخاه حركة الاجتهاد ويحاول المجتهدون تحقيقه وايجاده في واقع الحياة .

وأريد بالفن : درجة التعقيد والعمق في اساليب الاستدلال التي تختلف في مراحل الاجتهاد تبعاً لتطور الفكر العلمي .

ونحن حين نريد ان ندرس الاتجاهات المستقبلة لحركة الاجتهاد أو نتنبأ عنها بشيء ، لا نملك طريقاً الى ذلك الا ان نفحص بعناية البدايات والبذور التي تحملها حركة الاجتهاد في واقعها المعاصر ونربط هذه البذور بأحد العاملين السابقين الهدف والفن،ونقدر على ضوئها ماذا يمكن ان تصبح هذه البذور في يوم ما وكيف تنمو وماذا سوف تدخل على حركه الاجتهاد من تغيير .

ويمكننا ان نقسم البحث عن الاتجاهات المستقبلة لحركة الاجتهاد الى قسمين:

أحدهما : الاتجاهات المستقبلة التي يمكن التنبؤ بها على أساس العامل الفني في الحركة .

والاخر : الاتجاهات المستقبلة التي يمكن التنبؤ بها من زاوية الهدف .

(*) محاضرة ألقيت بالنيابة في جمعية الرابطة الادبية بالنجف الاشرف قبل عدة سنوات ، وآثرنا نشرها تعميماً للفائدة .

«الهادي»

فعلى أساس العامل الفني يمكن ان ندرس فكرة معينة منذ دخولها في حركة الاجتهاد وأطوارها المتعددة من حيث العمق والتعقيد ، فيتاح لنا ان نقدر الوضع الذي سوف تنتهي اليه فى نموها الفني . وعلى أساس الهدف قد نلمح تغييراً فى هذه الزاوية ومن الطبيعي ان يكون للتغيير فى جانب الهدف آثاره وانعاكاساته على مختلف جوانب الحركة ، وفى ضوء تقدير معقول لنوعية هذه الانعكاسات يمكن ان نضع فكرتنا عن الاتجاهات المستقبلة للاجتهاد . وان تناول الموضوع من الزاوية الفنية الخالصة لا مجال له الان بالرغم من انه طريف وممتع لان ذلك يضيع على غير الاختصاصيين فرصة متابعة الحديث ولهذاسوف أقتصر على عامل الهدف وأدرس البدايات النامية في الواقع المعاصر لحركة الاجتهادوما تشكل من اتجاهات مستقبلة لهذه الحركة من زاوية الهدف ونوعية تأثيره على الحركة كلها .

ما هو الهدف من حركة الاجتهاد :

أظن اننا متفقون على خط عريض للهدف الذي تتوخاه حركة الاجتهاد وتتأثر به وهو تمكين المسلمين من تطبيق النظرية الاسلاميةللحياة ، لان التطبيق لا يمكن ان يتحقق ما لم تحدد حركة الاجتهاد معالم النظرية وتفاصيلها . . ولكى ندرك أبعاد الهدف بوضوح يجب ان نميز بين مجالين لتطبيق النظرية الاسلامية للحياة .

أحدهما : تطبيق النظرية فى المجال الفردي وبالقدر الذي يتصل بسلوك الفرد وتصرفاته .

والآخر: تطبيقالنظرية فى المجال الاجتماعي واقامة حياة البشرية علىأساسها بما يتطلبه ذلك من علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية .

وحركةالاجتهاد من حيثالمبدأ ومنالناحيةالنظرية وانكانت تستهدف كلامجالي التطبيق لانها سواء فى حساب العقيدة ، ولكنها فىخطها التاريخي الذي عاشته على الصعيد الشيعي كانت تتجه فىهدفها علىالاكثر نحوالمجال الاول فحسب، فالمجتهد

خلال عملية الاستنباط تتمثل في ذهنه صورة الفرد المسلم الذي يريد ان يطبق النظرية الاسلامية للحياة على سلوكه ولا تتمثل صورة المجتمع الذي يحاول ان ينشيء حياته وعلاقاته على أساس الاسلام ، وهذا التخصيص والانكماش في الهدف له ظروفه الموضوعية وملابساته التاريخية ، فان حركة الاجتهاد عند الامامية قاست منذ ولدت تقريباً عزلاً سياسياً عن المجالات الاجتماعية للفقه الاسلامي نتيجة لارتباط الحكم في في العصور الاسلامية المختلفة وفي أكثر البقاع بحركة الاجتهاد عند السنة .

وهذا العزل السياسي أدى تدريجياً الى تقليص الهدف الذي تعمل حركة الاجتهاد عند الامامية لحسابه ، وتعمق على الزمن شعورها بان مجالها الوحيد الذي يمكن ان تنعكس عليه في واقع الحياة وتستهدفه هو مجال التطبيق الفردي، وهكذا ارتبط الاجتهاد بصورة الفرد المسلم في ذهن الفقيه لا بصورة المجتمع المسلم .

بدايات التطور أو التوسع في الهدف :

وبعد ان سقط الحكم الاسلامي على اثر غزو الكافر المستعمر لهذه البلاد لم يعد هذا العزل مختصاً بحركة الاجتهاد عند الامامية بالخصوص ، بل لقد شملت عملية العزل السياسي التي تمخض عنها الغزو الكافر الاسلام ككل، والفقه الاسلامي بشتى مذاهبه، وأقيمت بدلاً من الاسلام قواعد فكرية أخرى لانشاء الحياة الاجتماعية على أساسها، واستبدل الفقه الاسلامي بالفقه المرتبط حضارياً بتلك القواعد الفكرية. وقد كان لهذا التحول الاساسي في وضع الامة اثره الكبير على حركه الاجتهاد عند الامامية ، لان حركة الاجتهاد هذه أحست بكل وضوح بالخطر الحقيقي على كيان الاسلام والامة من المستعمر الكافر ونفوذه السياسي والعسكري وقواعده الفكرية الجديدة وقد صدمها هذا الخطر العظيم بدرجة استطاع ان يجعلها تتمثل الكيان الاجتماعي للامة الاسلامية وتنفتح على الايمان بضرورة المقاومة ودفع الخطر بقدر الامكان وقد احست حركة الاجتهاد خلال المقاومة احساساً عميقاً بأن الجانب الفردي من

تطبيق النظرية الاسلامية للحياة مرتبط كل الارتباط بالجانب الاجتماعي منه، اذ بـدأ الجانب الفردي ينهار شيئاً بعد شيء بسبب انهيار الجانب الاجتماعي .

ومن ناحية أخرى أخذت الامة نفسها تعي وجودها وتفكر في رسالتها الحقيقية المتمثلة في الاسلام، بعد ان اكتشفت واقع القواعد الفكرية الجديدة، ونوع التجارب الاجتماعية المزيفة التي حملها اليها الاستعمار، ومن الطبيعي ان ينعكس هذا الوعي على حركة الاجتهاد نفسها ، ويؤكد احساسها الذاتي خلال التجربة المريرة التي عاشتها في عصر ما بعد الاستعمار بأن الاسلام كل لا يتجزأ ، وان التطبيق الفردي للنظرية لا يمكن ان ينفصل بحال عن التطبيق الاجتماعي لها اوان يظل ثابتاً اذا تعطل التطبيق على الصعيد الاجتماعي .

كل هذا ساعد على تحويل حركة الاجتهاد عند الشيعة الى حركة مجاهدة في سبيل حماية الاسلام وتثبيت دعائمه ، وقوة مطالبة بتطبيق الاسلام على كل مجالات الحياة، وكان من الطبيعي ان يتوسع نطاق هدفها وتبدأ بالنظر الى مجال التطبيق الفردي والاجتماعي معاً وهذا مايلحظ بداياته بوضوح في الواقع المعاصر لحركة الاجتهاد عند الشيعة وما تمخض عنه من محاولات للتعبير عن نظام الحكم في الاسلام أو عن المذهب الاقتصادي في الاسلام ونحو هذا وذاك من ألوان البحث الاجتماعي في الاسلام.

وما دامت الامة في حالة الارتفاع ـ وقد بدأت تعي الاسلام بوصفه رسالتها الحقيقة في الحياة والتقت بحركة الاجتهاد عند الامامية ضمن هذا المفهوم الرسالي الشامل للاسلام ـ فمن الطبيعي التأكيد علي ان التطور في الهدف الذي تتبناه حركة الاجتهاد واتساع هذا الهدف لمجالات التطبيق الاجتماعي للنظرية سوف يستمر ويبلغ أقصاه تبعاً لنمو الوعي في الامة ومواصلة الحركة لخطها الاجتهادي في حماية الاسلام ، ولكي نتنبأ في ضوء ذلك بالاتجاهات المستقبلة للاجتهاد والتي سوف تنجم عن التطورات في الهدف لابد ان نرجع الى ماقبل بدايات هذا التطور لندرس الاثار التي عكسها الانكماش في الهدف الذي عاشته حركة الاجتهاد وما أدى اليه هذا الانكماش من اتجاهات في حركة الاجتهاد لنستطيع ان ندرك الاتجاهات المستقبلة التي سوف تحل محلها حينما يستكمل *التطور أو التوسع في الهدف أبعاده المنظورة.*

نتائج الانكماش في الهدف :

ان الانكماش في الهدف وأخذ المجال الفردي للتطبيق بعين الاعتبار فقط نجم عنه انكماش الفقه من الناحية الموضوعية فقد أخذ الاجتهاد يركز باستمرار على الجوانب الفقهية الاكثر اتصالا بالمجال التطبيقي الفردي وأهملت المواضيع التي تمهد للمجال التطبيقي الاجتماعي نتيجة لانكماش هدفه وانكماش ذهن الفقيه عن الاستنباط غالباً الى الفرد المسلم وحاجته الى التوجيه، بدلاً عن الجماعة المسلمة وحاجتها الى تنظيم حياتها الاجتماعية .

وهذا الاتجاه الذهني لدى الفقيه لم يؤد فقط الى انكماش الفقه من الناحية الموضوعية بل أدى بالتدريج الى تسرب الفرديه الى نظرة الفقيه نحو الشريعة نفسها فان الفقيه بسبب ترسخ الجانب الفردي من تطبيق النظرية الاسلامية للحياة في ذهنه واعتياده ان ينظر الى الفرد ومشاكله عكس موقفه هذا على نظرته الى الشريعة فاتخذت طابعاً فردياً وأصبح ينظر الى الشريعة في نطاق الفرد وكأن الشريعة ذاتها كانت تعمل في حدود الهدف المنكمش الذي يعمل له الفقيه فحسب وهو الجانب الفردي من تطبيق النظرية الاسلامية للحياة .

ولأذكر مثالين من الاصول والفقه تجدون خلالهما كيف تسربت الفردية من نظرة الفقيه الى هدفه الى نظرته للشريعة نفسها .

فالمثال الاصولي نأخذه من بحوث دليل الانسداد الذي يعرض الفكرة القائلة بأننا مادمنا نعلم بأن في الشريعة تكاليف، ولا يمكننا معرفتها بصورة قطعية، فيجب ان يكون المتبع في معرفتها هو الظن. ان هذه الفكرة يناقشها الاصوليون قائلين : لماذا لايمكن ان نفترض ان الواجب على المكلف هو الاحتياط في كل واقعة بدلا عن اتخاذ الظن مقياساً واذا أدى التوسع في الاحتياط الى الحرج فيسمح لكل مكلف بأن يقلل من الاحتياط بالدرجة التي لاتؤدي الى الحرج ؟ انظروا الى الروح الكامنة في هذا الافتراض وكيف سيطرت على أصحابه النظرة الفردية الى الشريعة فان الشريعة انما

يمكن ان تأمر بهذا النوع من الاحتياط لو كانت تشريعاً للفـرد فحسب وأما حيث تكون تشريعاً للجماعة وأساساً لتنظيم حياتها فلا يمكن ذلك. لان هذا الفرد أو ذلك قد يقيم سلوكه كله على أساس الاحتياط وأما الجماعة كلها فلا يمكن ان تقيم حياتها وعلاقاتها الاجتماعية والاقتصادية والتجارية والسياسة على أساس الاحتياط.

وأما المثال الفقهي فنأخذه من الاعتراض الشهير الذي أثاره الفقهاء حول قاعدة «لاضرر ولاضرار» اذ قالوا ان هذه القاعدة تنفي وجود أي حكم ضرري في الاسلام بينما نجد في الاسلام أحكاماً ضررية كثيرة ، كتشريع الديات والقصاص والضمان والزكاة، فان في تشريع هذه الاحكام اضراراً بالقاتل الذي يكلف بالدية وبالقصاص ، و اضراراً بالشخص الذي يتلف مال غيره اذ يكلف بضمانه، واضراراً بصاحب المال الذي يكلف بدفع الزكاة .

ان هذا الاعتراض يقوم على أساس النظرة الفردية الى التشريع، فان هذه النظرة هي التي أتاحت لهم ان يعتبروا هذه الاحكام ضررية ، بينما لا يمكن ان تعتبر هـذه الاحكام ضررية في شريعة تفكر في الفرد بوصفه فرداً من جماعة ومرتبطاً بمصالحها بل ان خلو الشريعة من تشريع الضمان والضرائب يعتبر أمراً ضررياً .

وقد كان من نتائج ترسخ النظرة الفردية قيام اتجاه عـام في الذهنية الفقهيـة يحاول دائماً حل مشكلة الفرد المسلم عن طريق تبرير الدافع وتطبيق الشريعة عليه بشكل من الاشكال فنظام الصيرفة القائم على أساس الربا مثلا بوصفه جزءاً من الدافع الاجتماعي المعاش يجعل الفقيه يحس بان الفرد المسلم يعاني مشكلة تحديد موقفه من التعامل مع مصارف الربا ويتجه البحث عندئذ لحل مشكلة الفـرد المسلم عن طريق تقديم تفسير مشروع للواقع المعاش بدلا عن الاحساس بان نظام الصـيرفة الربوي يعتبر مشكلة في حياة الجماعة ككل، حتى بعد ان يقدم التفسير المشروع للواقع المعاش من زاوية الفرد وليس ذلك الا لان ذهن الفقيه في عملية الاستنباط قد استحضر صورة الفرد المسلم والمشكلة بالقدر الذي يرتبط به بما هو فرد .

وقد امتد اثر الانكماش وترسخ النظرة الفردية للشريعة الى طريقة فهم النص

الشرعي أيضاً فمن هذه الناحية أهملت فى فهم النصوص شخصية النبي والامام كحاكم ورئيس للدولة فاذا ورد نهي عن النبي(ص) مثلا كنهيه أهل المدينة عن منع نقل الماء فهو اما نهي تحريم أو نهي كراهة عندهم مع انه قد لا يكون هذا ولا ذاك ، بل قد يصدر النهي من النبي(ص) بصفته رئيساً للدولة فلا يستفاد منه الحكم الشرعي العام.

ومن ناحية أخرى لم تعالج النصوص بروح التطبيق على الواقع واتخاذ قاعدة منه ولهذا سوغ الكثير لانفسهم ان يجزئوا الموضوع الواحد ويلتزموا بأحكام مختلفة وأستعين على توضيح الفكرة بمثال من كتاب الاجارة ،فهناك مسألة هي: ان المستأجر هل يجوز له ـ بدوره ـ ان يؤجر العين بأجرة أكبر من الأجرة التي دفعها هو حين الايجار ؟ وقد جاءت نصوص فى هذه المسألة تنهى عن ذلك ، والنصوص ـ كعادتها فى أغلب الاحيان ـ جاءت لتعالج مواضيع خاصة . فبعضها نهى عن ذلك فى الدار المستأجرة وبعضها نهى عن ذلك فى الرحى والسفينة المستأجرة وبعضها نهى عن ذلك فى العمل المأجور، ونحن حين ننظر الى هذه النصوص بروح التطبيق على الواقع وتنظيم علاقة اجتماعية عامة على أساسها سوف نتوقف كثيراً قبل أن نلتزم بالتجزئة وبان النهي مختص بتلك المواد التي صرحت بها النصوص دون غيرها، وأما حين ننظر الى النصوص على مستوى النظرة الفردية لاعلى مستوى التقنين الاجتماعي فاننا نستسيغ هذه التجزئة بسهولة .

ما هى الاتجاهات المستقبلة لحركة الاجتهاد ؟

أحس ان الحديث طال أكثر مما يستحب ولهذا فسوف أترك الاتجاهات المستقبلة للقارىء يستنتجها مما سبق فان من الطبيعي ـ حين يستعيد الهدف المحرك للاجتهاد أبعاده الحقيقية ويشمل كلا مجالي التطبيق ـ ان تزول بالتدريج آثار الانكماش السابق ويتكيف محتوى الحركة وفقاً لاتساع الهدف ومتطلبات خط الجهاد الذي تسير عليه حركة الاجتهاد .

ان الانكماش الموضوعي يزول والامتداد العمودي الذي يعبر عن الدرجة

العالية من الدقة التي وصل اليها الفكر العلمي سيتحول في سيره الى الامتداد الافقي ليستوعب .كل مجالات الحياة وسوف يتحول الاتجاه نحو تبرير التعامل مع الواقع الفاسد، يتحول الى اتجاه جهادي نحو تغيير الواقع الفاسد وتقديم البديل الفكري الكامل عنه من وجهة نظر الاسلام، وسوف يمحي في مفهوم حركة الاجتهاد اي تصور ضيق للشريعة وتزول من الذهنية الفقهية كل اثاره وانعكاساته على البحث الفقهي والاصولي.

وسوف يتحول فهم النصوص ويؤخذ فيه كل جوانب شخصية النبي والامام بعين الاعتبار كما ترفض التجزئة التي اشرنا اليها لا على اساس القياس بل على اساس ارتكاز وفهم اجتماعي للنص كما هو مشروح في بعض البحوث فآن للنص بمفهومه الاجتماعي مدلولا اوسع من مدلوله اللغوي في كثير من الاحيان .

هذه هي الخطوط العريضة للاتجاهات المستقبلة على اساس التطور في طبيعة الهدف وتحول حركة الاجتهاد من حركة معزولة اجتماعيا الى حركة مجاهدة تستهدف تقديم الاسلام ككل وتعتبر ان رسالتها هي توعية الامة على ضرورة تطبيقه في كل مجالات حياتها .

اضطر لضيق المجال الى الاكتفاء بما ذكرت من الخطوط مؤمنا بان الثورة الكبرى اخذت مجراها في حركة الاجتهاد لتوسيع هدفها وتعميق رسالتها على كل مجالات حياة الامة وامالها والامها .

ان هذه الثورة في جانب الهدف سوف تؤدي حتماً حينما يستكمل الهدف كل ابعاده الحقيقية الى تغير عظيم في كثير من المناهج والتطورات والمواضيع .

اخذ الله بيد حواضرنا الاسلامية المقدسة لتقوم بالعبء العظيم الذي اخذت على نفسها ان تنهض به . . . و وفق العاملين المخلصين لخدمة رسالة الله الخالدة السائرين في موكب القادة العظام من الانبياء والائمة(ع).

في رحاب الوحي

سورة الأنفال مدنية وهي خمس وسبعون آية

تمهيد

نزلت سورة الانفال عقيب احداث معركة بدر . ولذلك فقد تعرضت السورة المباركة لحرب بدر بشيء من التفصيل، واستعرضت موقف المسلمين من الاستجابة لدعوة النبي (صلى الله عليه وآله) للحرب ، وموقفهم من العدو وما منّ الله تعالى عليهم من النصر والعزة بعد ذلك بتفصيل .

وقد كانت حرب بدر مظهراً لتحول هام في تاريخ الرسالة الاسلامية . ولذلك فان سورة الانفال تضعنا امام بدايات هذا التحول في تاريخ الاسلام ، وتصحح لنا كثيراً من الاخطاء التي يقع فيها بعض الباحثين الاسلاميين والمستشرقين ممن لا يدركون الطبيعة المرحلية لحياة هذه الرسالة ولايحبون ان يميزوا بين هذه المراحل

التي مرت عليها الدعوة الاسلامية منذ بعثة النبي (ص) الى وفاته ، فيعممون احكام مرحلة بخصوصها على حياة الدعوة ككل، مفترضين انها الطابع العام للدعوة الاسلامية كما قد وقع فعلا شيء من قبيل ذلك في تحديد موقف الاسلام من مسألة الحرب .

سياسة اللاعنف :

فقد عاش النبي (ص) فترة طويلة في مكة في حياة مسالمة ، لا يهمه الا تبليغ الناس بالدعوة الجديدة وكسب أنصار جدد في هذا الميدان ولم يكن من صالح النبي (ص) ان يعرض الدعوة الناشئة للوقوف في وجه العدو ومقابلة تحرشات العدو بالمثل .

وكان يكفي أي موقف من هذا القبيل من جانب النبي (ص) واصحابه في مكة لكي توجه قريش الضربة القاضية الى الرسالة الناشئة التي لم ترسخ بعد اقدامها في ارض المعركة .

فلم يكن اذن من صالح هذه الرسالة واتباعها في هذه المرحلة من حياة الدعوة مقابلة قريش في شيء من تحرشاتها واعتداءاتها المتصله الا بالتي هي أحسن، والا بالغض والتحاشي من الاصطدام بها ما امكن التحاشي .

ولذلك فقد ظل النبي (ص) طيلة بقائه في مكة يتلقى ما يصيبه وأصحابه من أذى قريش برحابة صدر دون ان يفكر في انه يرد عليهم بعض هذا الاذى .

وكان النبي(ص) يحاول جاهداً في هذه الفترة أن يفوت على الجاهلية فرصة الاشتباك والاصطدام المسلح بها ، لئلا تتعرض الرسالة بشكل مباشر لاحقاد الجاهليه ، في وقت لم تتهيأ بعد لها الاسباب المادية لهذا الاشتباك ، ولم تستقطب بعد العدد الكافي من الانصار والاتباع لحمايتها من عدوان الجاهلية واحقادها .

ولا يعني ذلك ان النبي القائد (ص) كان يهمل شيئاً من امر الدعوة في هذه الفترة، فقد كان (ص) حريصاً كل الحرص الا تفوته مناسبة او فرصة لاداء رسالته بالشكل الافضل وتبليغ كلمة الله ما امكنه التبليغ ، الا انه كان يحرص ايضاً على التحاشي من الاصطدام

بقريش ، بشكل مباشر ، ويسلك في هذا وذاك مايسمى اليوم بسياسة (اللاعنف) ،

وليس من شك أن هذه السياسة افضل مايمكن ان يسلكه القائد فى المراحل الاولى من حياته القيادية، حيث تمكن القائد من ممارسة رسالته فى المجتمع وتجنبه متاعب الاصطدام والاشتباك مع العدو .

وليس من شك ايضاً ان النبي (ص) كان يكافح فى هذه الفترة من عمر الرسالة فى اتباع هذه السياسة . فقدكانت قريش تبالغ فى اذى النبي (ص) واصحابه وتعمل لاثارة المسلمين فىاشعال نار الحرب لتتهيأ لها الفرصة التي تريدها فىالقضاء على هذا الدين .

التحول الكبير :

وتغير الموقف كثيراً بعد ما هاجرالنبي(ص) وأصحابه من مكة الىالمدينة، وتم تحويل قاعدة العمل من مكة الىالمدينة المنورة .

فقد كانتالهجرة بداية لتحول كبير فىحياة المسلين ، نقلت الجماعة المسلمة الاولى من مرحلة من حياتها الرسالية الى مرحلة اخرى .

وتغير بتأثير هذه النقله الكبيرة فـي حياة المسلمين كثيراً من معـالم التحـرك الرسالى الكبير الذي بدأه النبي (ص) فى مكة .

وتحولت الجماعة المسلمة التي التفت حول هذه الرسالة الى مجتمع اسلامي ، بعد مالم تكن اكثر من جماعة خرجت على اعراف المجتمع المكي وتقاليده وأسلوبه فى الحياة .

وتجمعت للمجتمع الصغير فى المدينة مقومات (المجتمع الواحد) وعناصره وأخذالنبي(ص) يعمل جاهداً لتتكامل اسباب الحياة والبقاء والتوسع لهذا المجتمع الناشيء .

كما اخذ النبي (ص) يحرص على تطهيرهذا المجتمع من العناصرالنافعة التي اندست فى المجتمع الجديد بشكل او بآخر ، وتحصين هذه القاعدة بقدر الامكان

عن طريق ترضية العشائر المحيطة بالمدينة .

وبدأ المجتمع الجديد حياته في المدينة بشكل يختلف بكثير عن حياته في مكة . والفارق بين هذه الحياة وتلك التي عاشها المسلمون من قبل في مكة هو الفارق بين حياة مجتمع تجمعت له اسباب الحياة ، وبين حياة جماعة مستضعفة ، خرجت على مألوف قومها ، تتكتم في أمرها ، وتخشى ان يتخطفها الناس من حولها . .

«واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس ، فآواكم وأيدكم بنصره» . الانفال : ٢٦

وقد بدأ المسلمون في المدينة يضعون اقدامهم على ارض صلبة ، في ثقة واطمئنان بعد ان كانوا غير مطمئنين من مواضع اقدامهم في مكه .

وبدأوا يشعرون في المجتمع الصغير بالوجود الاسلامي يملأ العين ، بعد ان كان هذا الوجود لايبين في مكة ، في خضم المجتمع الكافر هناك .

وكل هذا يعني ان الهجره في حياة المسلمين كانت ايذاناً بتحول كبير في حياة المسلمين وحياة الرسالة ، من مرحلة الى مرحلة اخرى ، ولم يكن يقتصر مدلولها على هذا التحول الظاهر الذي حدث في موطن المسلمين من بلد الى بلد .

متطلبات المرحلة الجديدة :

ومن الطبيعي ان تكون للمرحلة الجديدة متطلباتها الخاصة في حياة المسلمين التي لا بد من تحقيقها بعد الهجرة .

وقد كان النبي (ص) يعي هذه المتطلبات ، ويعمل في تحقيقها ، بكل ما اوتي من جد ، ويعي ان متطلبات المرحلة الجديدة لا تلتئم في الغالب مع متطلبات المرحلة السابقة من حياة الرسالة .

ولابد من عمل جاد لاعداد المسلمين اعداداً نفسياً كاملا لتقبل متطلبات المرحلة الجديدة والانسجام الكامل مع ما تتطلبه هذه النقلة الكبيرة في حياتهم .

وكانت اولى متطلبات المرحلة واهمها هو احداث تغيير جذري في موقف

المسلمين تجاه غيرهم .

فقد كانت المرحلة السابقة تتطلب من المسلمين موقف اللاعنف من المشركين. وكان هذا الموقف السياسي هوالموقف الرشيد فيتلك الفترة، من دونريب. الأن المرحلة الجديدة كانت قد مكنت المسلمين من موقف آخر من المشركين ، يمتاز بالصلابة والقوة .

فقد كان المسلمون فى المدينة المنورة يجدون القوة الكافية لرد اعتداءات المشركين بالمثل ، ورد العنف بالعنف ، والأذى بأذى مماثل ، ومجابهة العدووجهاً لوجه ، والاشتباك معه . ولم يكن هناك أي مبرر للتغاضي عن العدو ، والسكوت عن تحرشاته واعتداءاته ، واذا كان هذا التغاضي فى السابق حكمة وتعقلا ، ففد كان فى هذه المرحلة تخاذلا ، لا مبرر له اطلاقاً امام العدو .

وهذا شيىء من طبيعة المرحلة ، وموقف تتطلبه الهجرة .

وظهرت آثار هذه النقله ومتطلباتها فى حياة المسلمين فى موقعة بدر اكثر من اي وقتآخر ، فقد انقلبت منها الدعوة المسالمة التي تتوخى تجنب الصدام بالعدو ولا تفكر فى الرد على المسيىء الى دعوة أخرى من نمط آخر ، تتعرض للعدو ، وتواجه المعارضة المسلحة بمعارضة مسلحة مثلها ، وتبادل العدو باعلان الحرب والتمهيد لها ، وتتحرش بالعدو وتتربص به الدوائر .

ولم يكن شيء من ذلك مألوفاً لدى المسلمين الذين تدرجوا مع هذه الرسالة منذ ظهورها فى مكة الى ان استقر بها المقام فى المدينة .

وواضح ان سياسة العنف ، هذه التي بدأها النبي (ص) فى هذه المرحلة لم تكن تعني اعراضاً عنمبدء (اللاعنف) الذي كان يمارسه النبي (ص) من قبل فيمكة.

فقد كان كل من هذين الاسلوبين اللذين مارسهما النبي (ص) فى فترتين منحياة الرسالة وجهين لمبدء واحد وسياسة واحدة .

ولا يدل هذا التعدد فيالاسلوب على اختلاف وتهافت فى مبدء العمل ، من حيث المضمون ، وانما هما تطبيقان لمبدء واحد فى رحلتين من هذا العمل .

وهذا الأختلاف والتعدد فى الأسلوب من احكام المرحلة فقط . فمبدء العمل فى الاسلام ينسجم ، اذن ، فى كل مرحلة مع اسلوب من هذين الاسلوبين ، وكل منهما يعتبر جزءاً مكملا للاخر .

وليس من الصحيح اصدار احكام قطعية ، واعطاء ملامح جامدة ،غير مرنة للعمل الاسلامي .

كما ان من الخطأ تجميد العمل الاسلامي على اسلوب واحد ، رغم اختلاف مراحل العمل وظروفه .

التخلف النفسي عند المسلمين :

ولم يكن من اليسير على المسلمين، وقد ألفوا الصبر على الأذى ، والاغماض عن الأساءة طويلا فى مكة أن ينقلبوا بهذه السرعة الى طور آخر منا لسلوك ، تبعاً للنقلة الكبيرة التي تعرضت لها الدعوة الأسلامية فى المدينة .

فلم يكن المسلمون بعد مهيئين نفسياً لمثل هذه النقلة الكبيرة التي تعرضت لها الرسالة فى المدينة المنورة .

وليس من ريب ان تهيؤ الظروف الموضوعيه والمادية للتحول الكبير فى حياة المسلمين لم يكن كافياً دون ان تتهيأ الظروف البشرية والظروف النفسيه للمسلمين ايضاً ، لكي تتم للمرحلة عدتها التي لا بد منها .

وقد تهيأت من دون شك الظروف الموضوعية لهذه المرحلة فى المدينة المنورة كما تخلفت ايضاً الظروف النفسية عند فريق من المسلمين عن مواكبة متطلبات المرحلة وضروراتها .

فقد ظهر التذمر بوضوح على وجوه البعض من المسلمين حين امرهم النبي(ص) بالخروج من المدينة لملاحظة عير قريش المحملة بتجارة الشام ، ثم مواجهة قريش بعد ذلك، وضايقهم هذا الامر أيما ضيق ، حتى ان القرآن الكريم يشبه وضعهم النفسي

بمن يساق الى الموت ، وهو يشهد الموت بعينيه .

«كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقاً من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنهم يساقون الى الموت وهم ينظرون» .
الانفال ٥ ـ ٦

والجدير بالذكران هذا الفريق الذي تذكره الاية الكريمة لم يكن من العناصر المنافقة المندسة في صفوف المؤمنين ، فان الاية الكريمة تقول : **«وان فريقاً من المؤمنين»** فلم يكن اذن شك في ايمان هذا الفريق ، وانما كانت المشكلة تنحصر في التخلف النفسي عند هؤلاء عن متطلبات المرحلة الجديدة . والخوف والحذر الذي لازمهم طويلا في مكة ، وطبع نفوسهم وسلوكهم بطابعه الخاص ، حتى عاد من الصعب عليهم ان يتخلصوا عنه بعد ذلك .

وقد استغرق علاج هذا التخلف النفسي عند المسلمين جزءاً من سورة الانفال ، كما استغرق جزءاً كبيراً من جهود النبي (ص) وحديثه .

فان اعداد العنصر البشري ، وتهيئة المستوى النفسي الملائم لخوض المعركة من اهم ضرورات العمل ، فلا يمكن ان تشق هذه الرسالة طريقها الى الحياة ، والى قلوب الناس، دون ان تجد الايدي الجريئة والشجاعة التي تزيح من امام درب الرسالة العقبات التي تضعها الجاهلية في طريقها ، لتمنع هذه الرسالة عن مواصلة مهامها على وجه الارض .

فلم يكن بد اذن في مسيرة الرسالة الطويلة من اعداد المسلم القوي ،الذي لايهاب العدو ، ولايخشى الموت ، ولا ينسحب من المعركة ، ولايخون الله ورسوله فيها :

(يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً ، فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره ، الامتحرفاً لقتال ، أو متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله ، ومأواه جهنم وبئس المصير) (١) .

(ياايها الذين آمنوا لاتخونو الله والرسول ، وتخونوا أماناتكم ، وأنتم تعلمون واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة ، وان الله عنده أجر عظيم) (٢)

---

(١) الانفال : ١٥ ـ ١٦

(٢) الانفال : ٢٧ ـ ٢٨

وهناك يكشف القرآن الكريم عن موضع الداء في هذه النفوس الضعيفة ، التي تخلفت عن مواكبة المعركة ، ويكفي ان يفهم الانسان موضع الداء والضعف من نفسه ليبادر الى العلاج .

ثم بعد ذلك :

(يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا ، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا فتفشلوا ، وتذهب ريحكم ، واصبروا ان الله مع الصابرين . ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله ، والله بما يعملون محيط) (١) .

(يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مأتين ، وان يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون) (٢) .

وهكذا يعنى القرآن الكريم في هذه المرحلة من حياة المسلمين باعداد المسلمين اعداداً نفسياً من الداخل والمضمون ، لخوض المعركة ، ومواكبة متطلبات المرحلة كما يعنى بهم من ناحية موضوعية ايضاً :

(واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ،ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم) (٣) .

وهذا كله لعلاج التخلف النفسي الذي كان يظهر على فريق من المسلمين لم يقدروا على اجتياز المرحلة السابقة ، ومواكبة المرحلة الجديدة ، ولم يرتفعوا الى متطلبات هذه المرحلة .

نماذج اخرى :

واذا كان هذا التخلف النفسي قد ظهر فعلا عند فريق من المؤمنين فمن الحق انه نقول ان التذمر الذي تشير اليه الآية الكريمه ، والذي ارتسم على وجوه بعض

(١) الانفال : ٤٥ ـ ٤٧

(٢) الانفال : ٦٥

(٣) الانفال : ٦٠

المسلمين لم يخص الافريقا من المؤمنين ، واما الاخرون فقد استجابوا لنداء الرسول (ص) استجابة صادقة دون ان تشوب نفوسهم شائبة الكراهة والتذمر .

يقول الطبرسي فى مجمع البيان :

«نزل جبرائيل على رسول الله (ص) فاخبره بنفير المشركين من مكة، فاستشار اصحابه في طلب العير وحرب النفير فقام ابو بكر فقال يا رسول الله انها قريش وخيلاؤها ما آمنت منذ كفرت ولا ذلت منذ عزت ، ولم تخرج على هيئة الحرب فقال (ص): اجلس، فجلس .

ثم قام عمر بن الخطاب فقال مثل ذلك، فقال(ص) : اجلس، فجلس .

ثم قام المقداد فقال:يا رسول الله انها قريش وخيلاؤها وقد آمنا بك وصدقنا وشهدنا ان ما جئت به حق والله لو أمرتنا ان نخوض جمر الغضا وشوك الهراس (١) لخضناه معك . والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى (ع) :«اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون» . ولكنا نقول : امض لامر ربك فانا معك مقاتلون ، فجزاه رسول الله (ص) خيراً على قوله .

ثم قال : اشيروا علي أيها الناس ، وانما يريد الانصار لان اكثر الناس منهم ولانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : انا برءاء من ذمتك حتى تصل الى دارنا ثم انت في ذمتنا نمنعك مما نمنع أبناءنا ونساءنا ، فكان (ص) يتخوف ألا يكون الانصار ترى عليها نصرته الا على من دهمه بالمدينة من عدو...

فقام سعد بن معاذ فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله كأنك اردتنا فقال: نعم. قال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله : انا قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا ان ما جئت به حق من عند الله ، فمرنا بما شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، واترك منها ماشئت،والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك ، ولعل الله عز وجل

---

(١) الجمر: النار المتقدة . والغضا: خشبة من أصلب الخشب ، ولهذا يكون فى فحمه صلابة ، وهو أحسن النار . والهراس :كسحاب شجر شائك .

ان يريك منا ما تقرّ به عينك ، فسر بنا على بركة الله .

ففرح بذلك رسول الله(ص) وقال : سيروا على بركة الله ، فان الله عز وجل قد وعدني احدى الطائفتين ، ولم يخلف الله وعده . والله لكأني انظر الى مصرع أبي جهل بين هشام وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وفلان وفلان . . . ، وأمر رسول الله بالرحيل» (١) .

الابعاد الحقيقية لسياسة العنف :

واذا عرفنا انموقف اللاعنف والعنف فيالاسلام ينبثق من سياسة واحدة ومبدء واحد في العمل . . . فان من المهم ان نتعرف على الأبعاد الحقيقية لسياسةالعنف كما تعرفنا من قبل على ابعاد سياسة اللاعنف .

فلكي يستوفي البحث حقه في هذا التمهيد من المسائل التي تعرضها سورة الانفالالمباركة...لابدانتحدد موقفالاسلاممنالحرب والعنف بصورةدقيقة ونعرف طبيعة الحرب فى الأسلام،هل هي طبيعة دفاعية اوهجومية ؟ وماهي الغاية منها ، هل هيغايات توسعية او مبدئية ورسالية ؟ .

وما هي المبررات التي تبرر دخول الاسلام كمبدء مغير وهادف فى ساحات الحرب ؟.

وفيما يلي سوف نحاول أن نجيب على هذه الأسئلة في ضوء منآيات سورة الأنفال المباركة .

تعبيد الانسان لله :

جاء الأسلام برسالة ضخمة فى تعبيد الانسان لله،لا يشركه فيه شريك، وتحرير

(١) مجمع البيان ٤ : ٥٢٢

الانسان من عبودية الهوى والطاغوت ، وتطبيق منهج الله على وجه الارض ، دون غيره من المناهج مما يمليه على الانسان الهوى أو الطاغوت .

وقام النبي (ص) ومن ورائه العصبة المؤمنة التي آمنت به ووجدت في دعوته انقاذاً لحياة الانسان وكرامته . . . قام النبي (ص) ومن ورائه اصحابه بحملة توعية واسعة النطاق ، تتوخى تعبيد الانسان لله ، ونبذ الاصنام التي تحول دون عبادة الله تعالى وتوحيده والاخلاص له .

وكانت هذه الحملة لاتبتغي شيئاً غير ان تفتح عيون الناس وعقولهم وقلوبهم على هذه الرسالة ، ولم يكن مطلقاً من أهداف هذه الحملة ان يحمل الناس حملا على قبول هذه العقيدة رغماً عليهم .

فلا يمكن ارغام أحد على قبول فكرة أو رفضها ، ولا يمكن النفوذ الى قلوب الناس وضمائرهم رغماً عليهم .

فان مسألة العقيدة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بقناعة الانسان واطمئنانه ، ودون أن تتحقق لدى الانسان هذه القناعة النفسية لايمكن انيتقبل فكرة ويرفض أخرى .

والايمان بالله لايشذ عن هذه القاعدة ولا يمكن تحقيقه في حياة الانسان ، دون ان تتحققلدى الانسان هذه القناعة النفسيه والاطمئنان والوعي الذي تتوخاه هذه الدعوة في مسيرتها الكبرى في تاريخ الانسان .

وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة بشكل صريح وواضح، حيثيقول تعالى:

«لا اكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي» .

فالرسالة الاسلامية اذن رسالة مبدئية ، تتوخى تبيين الرشد من الغي وتحقيق الايمان بالله واقامة شريعة الله على وجه الارض .

والاداة المفضلة لها في ذلك كله هي التوعية والاقناع ، وان تفتح قلوب الناس وعقولهم على هذا النور الذي جاء به الله،وتبديد الظلمات التيكانت تحجب الانسان عن درك قيمته ومكانته التي وضعه الله تعالى فيها من الكون .

معارضة الجاهلية :

وليس فى هذه الرسالة بالشكل الذي عرضناه الان ما يقتضي حملة هذه الرسالة ان يقفوا من الجاهلية موقفاً يوحي بالعنف وينتهي الى الحرب .

فليس فى هذه الرسالة ما يضطر المؤمنين بهذه الرسالة الى الألتجاء الى العنف فى شيء . الا اننا عندما نضع فى الحساب موقف الجاهلية من هذه الرسالة وتحرشاتها بها . . . نجدان حملة هذه الرسالة لايمكن ان يقوموا بدورهم فى تحقيق هذه العقيدة فى قلوب الناس وعقولهم واقامة هذا النظام فى حياة الناس وسلوكهم دون ان يلتجأوا الى اتباع اسلوب العنف فى مواجهة العدو .

فقد أحس اقطاب الجاهلية بالخطر الكامن فى هذه الرسالة على حياتهم ومصالحهم المادية والمعنوية .

ورغم ان النبي (ص) حينما أعلن الدعوة الى الأسلام لم يزد على الدعوة الى التوحيد متمثلا فى شعار : (لا اله الا الله) الا ان قادة الجاهلية عرفوا يومذاك الابعاد الحقيقية لهذه الكلمة البسيطة فى حياة الانسان وحضارته، والاعماق البعيدة لها، وعرفوا ان هذا الشعار على اجماله واختصاره يستهدف الحضارة الجاهلية ككل، ويعمل للاطاحة بها ، ليقيم على انقاضها حضارة اخرى تختلف فى كل شيء عن الحضارة القائمة ، وان هذه الرسالة لو قدر لها ان تتحقق فى حياة الانسان بشكل كامل لتغير كل شيء فى حياة الانسان. فهي رسالة ذات أبعاد وجذور بعيدة فى حياة الانسان .

وليس من شك ان الاقلية المنتفعة من الحضارة الجاهليه لايروقها ان يقوم هذا الدين بدوره هذا فى حياة الانسان .

فقد كانت الحياة الجاهلية تخدم مصالح طبقة من الناس وتشكل لهم موارد مادية وأخرى معنوية .

وكان من الطبيعى جداً ان هذا الدين لو تأتى له أن يؤدي دوره الحقيقي في المجتمع لتعرضت مصالح هؤلاء للخطر وزال عنهم السلطان الزائف الذي كانوا

يتمتعون به في ظل الحياة الجاهلية والولاية الكاذبة التي كانوا يفرضونها على حياة الناس ومصيرهم فرضاً.

وهذا ما كان يدعو هذه الفئات ان تحول دون نفوذ الرسالة الجديدة في المجتمع وتقف حجر عثرة في طريق تبليغها للناس، وتضع العقبات دون توعية الناس بالرسالة الاسلامية وتصد الناس عن سبيل الله، كما يصفهم القرآن الكريم :

«ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ، ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط» (١) .

وهكذا اصطدمت الرسالة الأسلامية بهذه الفئات التي كانت تنتفع بالجاهلية ، وحال هؤلاء بين هذا الدين ودوره الكبير في حياة الانسان، ووقفوا بالقوة والسلاح دون الكلمة المشرقة التي كان يريد أصحابها اشاعتها في حياة الأنسان وشاقوا الله ورسوله .

«ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله . . . ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب» (٢) .

«ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون» (٣) .

دفاع عن الانسان وحرية المصير :

وكان من الطبيعي ان تعتبر الرسالة الجديدة هذه المعارضة المسلحة وغير المسلحة تحدياً لارادتها في تحرير الانسان وتوعيته ، ومحاولة لحجب النور عن الانسان ، و وضع العقبات أمام الدعوة .

وليس بامكان هذه الرسالة ان تشق طريقها الى اسماع الناس و قلوبهم ، وتخرق الحجب الكثيفة التي حاكتها الجاهليه حولهم ، لتحجب عنهم النور، دون ان تقوم

---

(١) الانفال : ٤٧

(٢) الانفال : ١٣

(٣) الانفال : ٣٦

بالرد على هذه المقاومة العنيفة التي كانت تقوم بها الجاهلية ، بالمثل ، ودون ان تضع حداً للتحرشات التي كان يقوم بها اقطاب الجاهلية بين حين وآخر لصد الرسالة عن أداء مهمتها ، وعرقلة سيرها من ان يتاح لها ان تأخذ طريقها الى قلوب الناس وعقولهم .

وليس هناك من علاج لهذه النقمة الجاهلية التي تعرقل سير كل رسالة تتوخى تحرير الانسان وتوعيته غير القوة والعنف .

فان المقاومة الجاهلية لاتنطلق من منطلقات فكرية حرة ، وانما تحقد وتمكر.

فهي تقدر مسبقاً أنها لو قدر لها ان تدخل في صراع عقائدي مفتوح مع رسالات الله لتمخض الصراع عن انهيار الجاهلية وسقوطها (**فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض**) (١) .

ولذلك فهي تؤثر هذا اللون من المكر والطعن من الخلف عند الضعف ، والمواجهة المسلحة العنيفة عندالقوة، أو الامرين معاً على هذه المواجهة العقائدية المفتوحة ، ليتاح لها القضاء على رسالات الله ، وهي لاتزال في مراحلها الاولى من التكون بمكر وخبث :

«واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين ، واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين) (٢) .

وفي مثل هذه الظروف المشبعة بالنقمة والحقد لايمكن ان تقف الرسالة مكتوفة اليدين ، وهي تحمل الى العالم اكبر رسالة في تحرير الانسان على وجه الارض ، وعلى مدى التاريخ ، ولا تملك بطبيعة موقفها الا ان تواجه القوة بالقوة ، والعنف بالعنف ، والعنوة بالعنوة ، لترد الى نفسها حقها الطبيعي في التبليغ والتوعية ، ولكي تضطر الجاهلية ان تخلي بين الرسالة الالهية والانسان ، وتترك للانسان حرية تقرير

---

(١) الرعد : ١٧

(٢) الانفال : ٣٠ ـ ٣١

المصير بالشكل اللائق به كانسان :

«وقاتلوهم حتي لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير» (١) . فالمسألة لا تتجاوز اذن ، ان تكون دفاعاً عن كرامة الانسان وحريته وحقه فى تقرير مصيره ومستقبله ، بالشكل الذي يليق به فلم تكن حركة المقاومة اذن تستهدف الرسالة الاسلامية كفكرة وعقيدة ، وانما كانت المقاومة الجاهلية تستهدف الكيان الانسانى وحرية الانسان وكرامته ، وتعمل جاهدة لابقاء الانسان فى اغلال العبودية وظلمات الجاهلية الرهيبة، وانطلاقاً من هذه النقطة نجد أن المقاومة الاسلامية للمعارضة الجاهلية تتخذ طابع (الدفاع) عن كرامة الانسان وقيمته وحقه فى تقرير مصيره ، بالشكل اللائق به كانسان ، وليس هجوماً مسلحاً واستعمالا للقوة فى تقرير مصير الانسان والتاريخ الانسانى .

ولو أن الطليعة المسلمة التى جاهدت فى ركب النبي (ص) ببدر وغير بدر من جبهات الصراع بين الاسلام والجاهلية كانت تتخلى عن مسؤوليتها فى جهاد المشركين من قريش وغير قريش لماكان يتاح لهذه الرسالة ان تشق طريقها الى الوجود وان تكون امة وسطاً على وجه الارض ، وان تحطم الاغلال التى كان الانسان يرسف بها فى الجاهلية .

«الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير» (٢) .

الطابع الهجومى والدفاعى للحرب :

وليس من المهم بعد ان تبدء القيادة الاسلامية اعلان الحرب على الكفار لتتخذ طابعاً (هجومياً) أم يكون موقف القيادة الاسلامية موقفاً (دفاعياً) فى الحرب ولا تقتصر مشروعية الحرب فى الاسلام على الصورة الثانية فقط كما يحاول

---

(١) الانفال : ٣٩

(٢) الانفال : ٧٢

بعض الباحثين ان يوجه بها تشريع الحرب فى الاسلام .

فان القيادة الاسلامية مسؤولة دائماً عن ازاحة العقبات التى تضعها الجاهلية على طريق هذه الرسالة سواء كانت هذه العقبات تتمثل فى اعلان الحرب المسلحة فى وجه الرسالة أم كانت تتمثل فى المؤامرات التى تحيكها الجاهلية فى خفاء .

ولم تنقطع الجاهلية فى تاريخها الطويل عن الشغب والافساد فى مسيرة الرسالة ولا يمكن ان تنقطع فى حال الا ان تلفظ انفاسها الاخيرة .

والقيادة الاسلامية مسؤولة عن ذلك ، وعليها ان تقاوم هذا الشغب والتظليل وتقطع على اولئك المشاغبين والمفسدين سبيل الافساد والتضليل بكل شكل .

وفى ضوء مما تقدم من حديث ونقاط سنحاول فيمـا يأتى ان ندرس سورة الأنفال التى نزلت عقيب معركة بدر ان شاء الله تعالى .

الانس بالقرآن

لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي .

الامام زين العابدين (ع)

الايجابية والسلبية

في الاسلام

السيد محمد حسين فضل الله - بيروت

ربما نواجه في البداية سؤالا : ماهي ضرورة هذا البحث في مرحلتنا الحاضرة التي نخوض فيها أزمة المصير بأعمق اشكالها وأوسع أبعادها وأخطر أدوارها ؟

ربما يواجهنا البعض بهذا السؤال ، فيرى في محاولتنا هذه ترفاً فكرياً يتيه معه الانسان في دروب الفلسفات العقيمة التي لا تجدي شيئاً .

وجوابنا على ذلك ان قضية الايجابية والسلبية من القضايا التي تمس واقع الانسان ، ونظرته الى الامور ، ومدى تجاوبه مع الشؤون الخاصة والعامة لوجوده كانسان .

ولعلكم تتفقون معي ان كثيراً مما نعانيه من مظاهر الهروب والانهزامية واللامبالاة التي تميز الكثيرين من أبناء أمتنا يعود الى الروح السلبية التي يعيشونها في ذواتهم تجاه كثير من القضايا العامة .

وربما يكون الواقع السياسي أحد هذه الأمور التي يجد فيها الكثيرون شيئاً لا يهمهم من قريب أو بعيد ، وبالتالي لا يتخذون منها أي موقف مؤيد أو معارض باعتبارها مسؤولية جماعة خاصة من الناس تماماً كالمهن التي تخضع لرأي أهل

الخبرة والاختصاص دون ان يتخذ الاخرون منها موقفاً الا التسليم لهؤلاء فيما يقولون أو يقررون .

وخيل للكثيرين ان هذا الاتجاه السلبي يرتبط بالمفاهيم الاسلامية العامة التي يعيشها ذهن الانسان المسلم وفكره ، بحجة ان التفكير الاسلامي يشجع العزلة والابتعاد عن الناس لأن في ذلك سلامة الدين والدنيا ويرى في الانسان الذي ينصرف عن واقع الحياة ويتخلى عن المادة ويقتصر من ذلك على ما يمسك عليه حياته ويسد به رمقه نموذجاً للانسان الأفضل .

وبذلك أصبحت الصورة الطبيعية للانسان المسلم هي صورة الانسان الانعزالي السلبي الذي يحب السلامة ولا يريد ان يشارك فيما عليه الناس من قريب أو بعيد .

وفرضت هذه الصورة نفسها على ميزان التقييم في المجتمعات الاسلامية ، فبدأ الاتجاه نحو العزلة والهروب عن الحياة والاستغراق في غيبوبة صوفية ذاتية يتخذ له تياراً جديداً في حياة الناس بفعل تقديس هذه النوعية من الافراد الذين يواجهون الحياة بسلبية غارقة في الهروب ، الأمر الذي شارك في تغيير وجهة كثير من الطاقات عن خطها الأصيل في بناء الحياة الى هذا الخط الذي يعود فيه الانسان طاقة محبوسة في القمقم بدلاً من ان يكون طاقة منطلقة في الحياة .

وامتدت هذه الصورة في حياة العلماء الذين يحملون مهمة التوجيه الديني فبدأ الكثيرون منهم يختارون اسلوب العزلة والانطواء منهجاً لحياتهم وبهذا فقد المجتمع طاقاتهم الخيرة فلم يستفد منها في قليل او كثير الا كما يستفيد الانسان من منظر جميل يتامله في خشوع وذهول .

* * *

وعلى ضوء هذا العرض للاتجاه العملي المشار اليه ، نستطيع أن ندرك الخطر الذي يواجهنا على مستوى الحاضر والمستقبل كما واجهنا على مستوى الماضي ، اذا بقي هذا الاتجاه في أسلوبنا العملي للحياة لان ذلك يشبه المخدر الذي يخدر كل طاقة حيه من طاقات العمل ويجمد كل انطلاقة للحركة في سبيل التقدم ، ككل

فكرة تريد ان تعزل الانسان عن حياته وتبعده عن الشعور الحي بوجوده .

* * *

لهذا كله نجد ان علينا اثارة مثل هذه البحوث التي تعالج موقف الاسلام من الحياة ، ونظرته الى حركة الانسان في وجوده من اجل ان نصحح كثيراً من الانحرافات الفكرية فيفهم الاسلام وبالتالي ننقذواقعنا المعاصرمن كثير منالاخطاء العلمية التي شاركت في عزل الانسان عن قضايا المصير ، وساهمت الى حد بعيد في سيطرة الحكم المنحرف على الامة بما حققته له من تمجيد لروح الثورة والنقد في نفوس الاخرين .

وليس بعيداً ذلك العهد الذي كان يؤخذ فيه على الانسان ان يعطي رأيه أو يحدد موقفه في اية قضية تتعلق بشؤون الحكم والحاكمين باعتبارها ليست من شؤونه .

ولعل المثل الشعبي المعروف (ما لنا والدخول بين السلاطين) يحدد لنا بعض ملامح هذه الصورة التي توحي للانسان بان شؤون الحكم العليا ليست مما تعني الشعب في قليل او كثير بل هي مهمة الحاكمين التي لايجوز لاحد ان يتدخل فيها والا كان داخلا فيما لايعنيه وليس له الا ان يلقى ما لا يرضيه .

وخلاصة القول : ان القاء الضوء على هذا الموضوع يعتبر من اشد القضايا الحاحاً علينا لارتباطها بواقعنا المعاصر بأوسع مجالاته واعمق حالاته التي نحتاج معها الى تجنيدكافة الطاقات فيسبيل بناء المجتمع من الداخل وحمايته من الخارج

* * *

الايجابية والسلبية

وهنا نقف في البداية لنعرف أين تقف الايجابية والسلبية فيما نملك من مفاهيم ؟ ربما يحلوا للبعض ان يرى فيالسلبية اختيارجانب النفي والسلب في القضية لتكون الايجابية في اختيار جانب الايجاب فيها :

ولعل وجهة النظر فيهذا هي ان السلبوالايجاب صفتان من صفات المضمون العمليللارادة والاختيار فربما تتعلقالارادة بالعدم وربما تتعلق بالوجود ككلنشاط

انساني يتحرك ليرفض أويقبل ، ليؤيد أو يعارض وعلى هذا المفهوم جرى كثير من الاصطلاحات التي عبرت عن بعض المواقف المعارضة التي تتخذها بعض الفئات ضد فئات اخرى بالمواقف السلبية فاعتبرت مقاطعة الحكم او مقاطعة الانتخابات او الامتناع عن دفع الضرائب في بعض الحالات مقاومة سلبية باعتبار ان المقاومة تمثلت في الموقف السلبي الذي لايتمثل الا في الرفض دون الموقف الايجابي الذي يتمثل في اتخاذ الاتجاه المعاكس الذي يحاول القضاء على موقف معين كموقف آخر مثله . وربما كان هذا الاتجاه في تفسير الايجابية والسلبية ، هو الاتجاه السائد فيما نرى من استعمالات وفيما نشاهد من اصطلاحات .

ولكل انسان الحق في ان يصطلح على اي مفهوم مايريد مادام اللفظ اللغوي قادراً على استيعاب المعنى الذي يقصد . كما هو الحال في هذين المصطلحين اللذين يختلفان باختلاف المجال الذي ينسبان اليه .

* * *

اما نحن فلنا اتجاه اخر في تفسير هذا المصطلح يتلخص في كلمتين: الموقف واللاموقف .

ففي اي مجال كان لك موقف محدد ترتأيه وتعمل له وتدافع عنه فانت ايجابي لانك اردت ذلك وانسجمت مع عنصر الاختيار في نفسك ، وان كان مضمون الارادة او الاختيار السلب لان الاختيار من افعال النفس الايجابية باعتباره حركة داخلية واعية .

اما عندما تكون في مجال لاتملك فيه موقفك ، لاتبالي فيه بالفكرة ، لارأي لك فيها لاسلباً ولا ايجاباً ، لاارادة لك معها ولا اختيار فأنت سلبي لانك لم تحرك ارادتك او تطلق اختيارك ، واذا أردنا الوضوح في التعبير فسنجد ذلك في كلمة (اللامبالاة) التي تعبر عن الحالة التي لايشعر معها الانسان بوجود قضية امامه ولا يهتم بوجودها لو شعر بها ، وتقابلها كلمة الاهتمام والمبالاة بالقضية التي تتمثل في شعور الانسان بالقضية واهتمامه بها الامر الذي يدفعه الى تحديد موقفه منها ولو كان هو السلب ولعل التعبير الصحيح الذي يوضح لنا كيف يكون اختيار جانب السلب ايجابا هو كلمة

(الرفض) فمعنى انك لا توافق على الشيء انك ترفضه او تختار عدمه وبالاخرة ان تحدد موقفك منه .

ولن نحتاج الى جهد فكرى لنعرف ان الرفض والاختيار وتحديد الموقف من الصفات الايجابية التي لااثر للسلبية فيها فى اي جانب من الجوانب .

ذلك هو معنى السلبية - فيما نرى -

انه الفرق بين ان تعيش حياتك وتنفتح عليها وعلى حركتها الدائبة وبين ان لا تعيشها ولا تحس بها بل تسير معها فى غيبوبة وخدر .

انه الفرق بين ان تحيا وان تعيش ، بين الموقف واللاموقف .

وعلى ضوء هذا يمكننا اعتبار كثير من مواقف الرفض التي المحنا اليها كمقاطعة الانتخابات ونحوها اعمالا ايجابية فلا مجال لاعتبار الفئات التى تتبناها وتحمل شعاراتها فئات سلبية فى المجتمع لانها استطاعت ان تعطي رأيها وتحدد موقفها وهذا كل شيء .

ذلك هو معنى المصطلح بشكل عام .

اما تحديده فى مظاهر الحركة لدى الانسان ، كالسلوك والفكر والانسان نفسه فقد يتضح لنا بما يلي .

فاذا اردنا تطبيق الايجابية والسلبية على سلوك الانسان ، فمعنى السلبية فى السلوك ، هي انك لن تختار طريقك او توجه مصيرك فى اية قضية من القضايا الملحة بل تستسلم للظروف وللرياح تلعب بك ذات اليمين وذات الشمال دون ان تحس ببداية الطريق ونهايته تماماً كما تستسلم الخشبة المندفعة مع التيار اما معنى الايجابية فى السلوك فهو انك تختار طريقك بوعي وقوة وتحدد غايتك وعلاقاتك بالاخرين على هداه وتعمل على التغلب على الظروف التي تحول بينك وبين تنفيذ ارادتك .

* * *

وأما كيف ينصف الفكر بالايجابية والسلبية فنستطيع ان نعرف ذلك اذا لاحظنا موقف الفكر من القضايا الفكرية والتيارات العالمية التي تصطرع فى حياتك الفكرية

العامة والحوادث الطارئة المنطلقة من موقف معين واتجاه خاص فان انطلق في عملية محاكمة وتحديد للموقف من هذه القضايا أو تلك واعطاء الرأي العملي في تفاصيلها بالرفض والقبول فهو ايجابي ، اما اذا لم يكلف نفسه عناء البحث والنظر والتدقيق بل اخلد للراحة قانعاً بما عنده مستسلماً لافكاره وارادته لايرضى ان تزعجه فكرة طارئة وحدوث حادث جديد فهو فكر سلبي .

* * *

وأما الانسان فتتمثل سلبيته بأنه ضائع مهزوم ضعيف لا يعيش حياته الا كما تعيشها الحيوانات فهي عنده رتيبة مملة جامدة لا اثر للحياة فيها اما الايجابية فتتمثل في احساسه بحياته وبحركته الدائبة وبحركته معها فهو حركة دائمة وقوة مستمرة تحاول ان تجدد الحياة من بينها وتبعث فيها اليقظة والنشاط وتدفع خطواتها الى الامام.

* * *

والان ـ وبعد هذا كله :

ما موقف الانسان المسلم بين هذين الاتجاهين ؟

او بالاخرى ما هو موقف الاسلام من هذين المفهومين ؟ ليتحدد على ذلك مدى انسجام الانسان المسلم مع الخط الاسلامي الأصيل وابتعاده عنه .

في البداية نستطيع ان نطلقها كلمة واحدة ان الاسلام عنصر ايجابي في ذاته وقوة ايجابية في تشريعه وفي حركته الدائبة نحو المجتمع لانه جاء ليحل للانسان مشكلة في الكون والحياة ولايمكن للاتجاه السلبي ان يقوم بحل اي مشكلة بل هو يساهم في تعقيدها لانه يتمثل في الهروب من المشكلة التي يتركها حيث هي دون حل وينهزم ولهذا فهو يعمل على صياغة الانسان صياغة ايجابية تتحرك معها طاقاته في اتجاه البناء وتنطلق مواهبه في مجالات العمل .

تلك هي الفكرة العامة في الخط الاسلامي لايجابية الانسان . . .

اما تفاصيل الفكرة وابعادها فعلينا ان نتعرف عليها في قضية المسؤولية والاختيار وموقف الاسلام منهما لان العنصر الايجابي يصبح لامعنى له بدونها لارتباطه

بهما وارتباط احدهما بالآخر اذ لامعنى للمسؤولية بدون عنصر الاختيار الذي يجعل الانسان قادرا على ان يفعل اويترك .

فى المدخل الى هذا المعرفة يبرز امامنا سؤال :

ما هوموقف الاسلام من المسؤولية ؟

وأين تقف المسؤولية في التخطيط الذي حاول الاسلام ان ينظم به الحياة من حوله؟

* * *

والحديث عن موقف الاسلام من المسؤولية يقف بنا فى مدخل القضية عند مشارف فلسفية نطل منها على قضية حرية الانسان في اراداته ,وعن موقف الاسلام النظري من هذه الحرية.

فهل قضى على طائفة من بني الانسان ان تسلك طريق الشر دون ان تملك القدرة على سلوك طريق الخير او اختياره على الاقل .

كما قدر لفئة اخرى ان تسير فى سبيل الخير دون ان يكون لها فى سيرها هذا اراداة او اختيار .

هل هناك من يحدد للانسان ـ في تكوينه ـ ان يكون ضالا او مهتدياً ، أو ان ارادة الانسان هي التي تحدد له طريقه وتملي عليه مصيره .

هل الخير والشر من الله فلا يملك الانسان ممارسة أي دور ايجابي فى قضية الخير أو الشر، أو أنهما من الانسان فالانسان هو الذي يحدد مصيره فى الطريق والغاية.

* * *

تلك هي القضية التي تواجهنا فى مدخل البحث عن الايجابية المتصلة بالمسؤولية فى اطار حرية الارادة لاننا نعي ارتباط المسؤولية بقضية الحرية هذا ، نظرا الى أن الانسان الذي لا يعيش الحرية فى ارادته ولا يملك طريق السلب والايجاب فى عمله لا يستطيع أن يحمل مسؤولية شيء لانه انسان عاجز أشل يفقد الحركة والقدرة بطبيعة الاغلال التي تغل ارادته وتقيد خطاه ، فهوعندما يفعل الخطأ فانما يفعله بطريقة الية مجردة تماماً كما تدوز الالة وتنتج ـ والحالة هي الحالة عند ما يفعل الصواب .

وهكذا نعي كيف ترتبط الايجابية بالمسؤوليه وكيف ترتبط المسؤولية بالحرية وكيف تصبح المسؤولية بدون الحرية الداخلية قضية غير ذات موضوع لدى العقل والوجدان كما يصورها الشاعر القديم بقوله :

القاه في اليم مكتوفاً وقال له   اياك اياك ان تبتل بالمـاء

ولهذا اطلق الاسلام قضية حرية الارادة كقضية اساسية في مبادئه وتعاليمه ، وكحقيقة واقعة في وجدان الاسلام وكيانه قبل ان يبعث فيه الشعور بالمسؤولية ويدعوه الى ممارسة دوره الايجابي في هذا السبيل .

ولم يكتف الاسلام بتقرير هذه القضية ، وهذه الحقيقة كفكرة فلسفية مجردة ، بل حاول ان يركزها في داخل الانسان ويعمقها في وجدانه فقرر في اكثر من آية وفي اكثر من حديث ان ضلال الانسان وهداه باختياره وان مصيره بيده .

فقد منحه الله سبحانه القوة وهيأ له اسباب القدرة ومقدمات العمل ولم يتركه وحده في الطريق يتخبط في ظلماتها ويتيه في مجاهلها بل فتح عينيه على مفترق الطرق وعلى الدروب التي تصل بالانسان الى الخير أو الشر ثم تركه يواجه مصيره ويمارس حريته بذاته دون جبر أو قسر أو اكراه ، وهكذا تنبع المسؤولية في الاسلام من طبيعة الحرية التي تتمثل لنا في الاية الكريمة :

«انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفورا» .

فكيف لايملك الانسان مصيره بيده وهو الذي يختار طريق الخير فيكون شاكراً ومهتدياً ، وهو الذي يختار طريق الشيطان ويشرد عن طريق الله فيكون كافراً وضالا فارادته هي التي تقرر مصيره وقدرته هي التي توجه خطاه .

بقي علينا ان نعطي صورة اجمالية عن طبيعة هذه الحرية حتى لا نلتقي بالتفويض الفلسفي الذي لانعترف به ولا نملك صورة اروع من الحديث الذي يرد عن الامام الصادق (ع) :

***«لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين»*.**

فهي من ناحية تتصل بالجبر من حيث ارتباط القدرة بالله لانه هو الذي منحها

للانسان بكل ما يرتبط بها من مقدمات واسباب ، وهو القادر على سلبها عنه .

ومن ناحية اخرى تتصل بالتفويض لان الله بعد ان وهب الانسان هذه القدرة تركها له فلم يفرض عليه فی تكوينه ان يعمل قدرته فی جانب دون اخر بل فوض اليه امر الاختيار فله ان يفعل وله ان يترك دون ان يجد فی ذاته ما يجبره على الفعل وما يقهره على الترك .

وما ذا يبقى للانسان بعد ذلك امام مسؤوليته ودوره الايجابي منها .

انه يستطيع أن يواجه مسؤوليته فی نطاق حرية الارادة والاختيار .

* * *

وهنا نستطيع ان نتحدث عن موقف الاسلام من المسؤولية لنقرر ان الاسلام قد وضعها فی مركز القاعدة من تنظيماته وتخطيطه .

وكدليل على ذلك نجد امامنا الحديث الشريف «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .

* * *

فقد انطلقت بهذه الكلمة القاعدة الاساسية للمسؤولية الايجابية كاساس للحياة الفردية والاجتماعية فی المجالين الداخلي والخارجي .

والملحوظ فی هذا الحديث ان المسؤولية هنا لم تفرض كتكليف او الزام ابتدائي مفروض ، من الخارج كما يفرض اي تشريع قانوني اوبالاحرى لم يردلها ان تنبع من خارج ذات الانسان من سلطة تفرض عليه القيود والحدود بل اريدلها ان تنبع من داخل ذاته ، من مشاعر الانسانية ، وان تنطلق من اعماقه بعفوية محببة الى النفس ونلمس ذلك فی الفقرة الاولى (وكلكم راع) فانها توقظ فی نفس الانسان الشعور بنوعية الصلة التي تربطه بالاخرين الذين تتصل ارادتهم بارادته وعواطفهم بعواطفه وفكرهم بفكره .

انها تحدد هذه الصلة بينه وبينهم فليست هي صلة العبث واللهو واللامبالاة تتمثل فی الحياة اللاهية العابثة التي يحياها الانسان فی مجال اللهو والعبث ، وليست صلة الكبرياء والانانية والطغيان لتتمثل فی الحياة الظالمة الطـاغية التي يحياهـا

الظالمون والطغاة في مجالات الظلم والطغيان .

بل هي صلة الراعي برعيته بكل ما لكلمة الراعي من معاني الرعاية والاشراف والتوجيه والحكمة وغير ذلك من المعاني التي تفرضها طبيعة هذه الصفة اذا عاشها الانسان في داخل ذاته شعورا وحسا عميقاً بمعناها الواسع العميق لا اداة للسلطة والغلبة والكبرياء .

ومتى احس الناس بهذه الصلة التي تربطه بالاخرين حية في اعماقه متصلة بمشاعره وعواطفه بفكره وعقله فمن الطبيعي ان تسير حياته في هذا السبيل وهنا ينطلق الشعور بالمسؤولية انطلاقا عفوياً داخل ذاته .

وبذلك نستطيع ان نعتبر الفقرة الثانية (**كلكم مسؤول عن رعيته**) نتيجة طبيعية للمشاعر والاحاسيس التي تثيرها الفقره الاولى داخل ذات الانسان لانها من مقومات (الراعوية) ومستلزماتها الذاتية ولذا فهي تفقد حقيقتها وذاتها عندما تفقد المسؤولية الايجابية لانها تتحول حينئذ الى صفة الاهمال واللامبالاة وغيرها من الصفات التي قد تلتقي بأي معنى من المعاني ، ولكنه ليس المعنى الذي يلتقي بالاشراف والرعاية والتوجيه على كل حال .

* * *

بقي علينا ان نتمثل في الفقره الاولى كيف يمكن لهذا الحديث ان يفرض كلاً منا راعيا ، فقد يبدو لنا ان مثل هذه الصفه التي تتصل بداخل الذات الانسانية لانها تلتقي في مسؤوليتها العملية بقيم الاسلام الروحية ومثله العليا .

قد يبدو لنا ان مثل هذه الصفة التي تعبر عن واقع شعوري عميق لن تحصل بتشريع قانوني مجرد اواعتبار شرعي خاص .

لان التشريع يمثل ـ فيما يمثل ـ القوانين والاعتبارات التي تتعلق بأفعال الانسان واقواله التي تنظم له حياته الداخلية والخارجية من الوجهة القانونية ، ولكنها لن تستطيع ان تجعل منه انسانا منظما لان التنظيم الداخلي للانسان تابع للملكات التي تسيطر على كيانه وتوجه افعاله واقواله ، وليس للتشريع الامهمة التمهيد لايجاد

الملكات بالتدريب العملي الافضل ، ولذا فهو لايستطيع ان يعطي الانسان الصفة الداخلية بل يحاول ان يوجدها و(الراعوية) ـ كما قلنا ـ صفة ترتبط باحساس داخلي ينبع من ذات الانسان ، ومن شعوره بفكرة اوقضية اومبدأ تجاه الاخرين الذين تتصل حياتهم بمسؤوليته فلا يصير الانسان راعيا بمجرد اعتبار ذلك فيه من الخارج ما لم تكن هذه الصفة حية في اعماقه ومشاعره تلك هي القضية التي قد تواجهنا ونحن نعيش الفقرة الأولى (كلكم راع) .

وكلنا نحسب ان الحديث هنا يقرر حقيقة واقعة ، وقضية موضوعية ، فهولا يريد ان يفرض الراعوية في حياة كل منا ويعتبرها اعتبارا بل يحاول ان يوقظ فينا الشعور بالاهتمام بالاخرين وبحياتهم وبعقيدتهم .

فالنداء موجه الى كل مسلم يعيش اسلامه ويحياه ويحس به في داخل كيانه ، وفي صميم ذاته ، ويتمثله في صفائه ونقائه ، في الانطلاقة الروحية التي يمنحها لمجتمعه ، في الحياة الخصبة التي يثيرها في مجاله الحياتي العام ، في الطمأنينة النفسية التي تسود كيانه وحياته .

ان المسلم الذي يعيش هذه المعاني ويتمثلها سوف يتمثل ـ في الوقت ذاته ـ مدى ما يستطيع ان يقدمه للناس من حياة رضية حرة ومدى ارتباط هذه المعاني التي يعيشها بهؤلاء الناس نتيجة اتصال اهدافها بحياتهم وبواقعهم الاجتماعي والفردي .

واذا تمثل المسلم هذا الواقع في نفسه وعاشه في حياته الفكرية العاطفية فقد تمثل (الراعوية) باعمق معانيها وهكذا تعرف كيف يتحول كل مسلم الى راع يحس بمسؤوليته في رعاية الاخرين .

* * *

ومع النتيجة التي وصلنا اليها في تقرير المسؤولية المرتبطة بحرية الارادة ، نعرف كيف يمارس الانسان في اطارها دوره الايجابي في الحياة فيجند كل طاقاته وملكاته للعمل الذي يبني الاهداف الكبرى للانسان .

فاذا احس الانسان بمسؤوليته انطلاقاً من دعوة الاسلام ليتحمل هذه المسؤولية فسنجد المسؤولية كظاهرة اجتماعية ايجابية تفرض نفسها على الفرد والمجتمع

باثارها ونتائجها وخطواتها الايجابية فى تركيز الحياة الاجتماعية وتعميقها .

كل ذلك في نطاق الاطار الذي تتحرك فيه فهناك مظاهر لها تطبع سلوك الفرد والمجتمع في الكلمة عندما تلفظ ، والخطوة عندما تبدأ فى الطريق، والطريق عندما مايخطط، والعاطفة عندما تتحرك وتنفعل ، والفكر عندما يحلل ويفتش .

فالكلمة عندما تكون مسؤولة تمثل الكلمة الخيرة الطيبة التي تشع وتنير وتهدى والمعنى الطيب الذي يؤلف ويجمع وينشر الخير والمحبة والصفاء والروح الهادئة المطمئنة التي تشيع الهدوء والطمأنية والسكينة فى النفس القلقة الحائرة المتعبة .

والخطوة عندما تتصف بـ (المسؤولية) تمثل الحذر والاتزان والتعقل فلاتنهار ولا تنحرف ولا تؤذي بل تسير فى طريقها على خط مستقيم ثابت ،منسجمة مع خطى الاخرين السائرة فى طريق الكمال ، والطريق المسؤول يمثل الوسيلة النظيفة التي تصل الى اهدافها بقوة واطمئنان دون ان تتنكر لقيمها ومثلها ـ عمليا ـ وانما تنسجم مع هذه القيم ومع هذه المثل خلافا للمبدأ المكيافيلي المعروف (الغاية تبرر الوسيلة)

اما العاطفة المسؤولة فانها تمثل الميزان الدقيق الذي يزن الاحساس الداخلي والتاثرات النفسانية بميزان الفكر والعقيدة ، ويقيس المظاهر الخارجية للعاطفة في الحب والبغض والسرور والحزن والألم واللذة والعداوة والصداقة بمقياس يرتكز على الأسس التي انطلقت منها مثله وقيمه فى عملية موازنة بين قربها من هذه المبادىء وبعدها عنها .

اما الفكر اذا عاش مسؤوليته الايجابية فانه يمثل القوة الدافعة التي تمد المجتمع بالثقافة البناءة والفكرة المبدعة والعلم النافع ، فهو يحس ـ فى تلك الحال ـ ان عليه ان يعمل ويتحرك لينتج هذه الفكرة او تلك كسبيل من سبل تمرسه بالمسؤولية الايجابية تجاه مجتمعه .

* * *

موقع الايجابية من هذه الدراسة

أما موقع الموقف الاسلامي من ايجابية الانسان وسلبيته ـ الذي هوموضوع الحديث ـ فيبرزلنا منشمول المسؤولية المفروضة للانسان من خلال دوره القيادي الذي تعبر عنه كلمة (الراعي) .

فاذا كان الانسان يعيش هذه القيادة في اطاره الخاص أو العام فلا بد له من ان يمارس دور الارادة في الحركة ولا بد له من أن يواجه كل قضية ، وكل مشكلة وكل منطلق ، بهذه الروح التي تدعوه الى ان يتخذ موقف الرفض تارة وموقف القبول أخرى .

ولا يمكنه ـ فى هذه الحالة ـ ان يعيش (اللامبالاة) او(اللاموقف) فى تصرفه تجاه ذلك كله ، والاكان خائناً لمهمته ومتمردا على مسؤوليته .

وعلى ضوء هذا نستطيع انتقول ان المسؤولية لاتنفصل عن الايجابية بمعنى تحديدالموقف ، فالدعوة الى المسؤولية دعوة الى الايجابية فى كل موقف فكل مسؤول ايجابي ، والعكس صحيح بينما تعتبر السلبية هروباً من ذلك كله .

فى خطى الايجابية :

وفى الطريق الى تعرف الدور الايجابي الذي يجب علىالانسان ممارسته فى ميدان الصراع نلتقيبالكلمة الشريفة المأثورة عن الامام موسى الكاظم (ع) : **لاتكن امعة فان النبى(ص) نهى ان يكونالانسانكذلك، تقول أنا معالناس وأناكواحد من الناس انما هما نجدان، نجد خير ونجد شرفلايكن نجد الشر احب اليكم من نجد الخير »** فلا يمكن ان يمثل دور (اللامبالاة) فى هذا الصراع بل عليه انيحدد موقعهليختار جانبالخير ،وهكذانجد الاية الكريمةالتيتقرر هذهالحقيقة باسلوباخر :

«وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فانبغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى امر الله» فالموقفالايجابيفىالبداية

وبعد : اننا نستطيع ـ من خلال بعض النماذج التشريعية التى قدمناها ـ ان نخرج بصورة حية للانسان المسلم كما يريـده الاسلام ان يكون وهي صورة الانسان الذي لا يعطل ارادته واختياره بل يبقيهما فى حركة دائمة تلاحق كل فكر وكل نشاط وكل حركة وكل موقف وكل انحراف لتواجهه بالتحليل والمحاكمة التي تنتهي الى اعطاء موقف محدد ينتهي بالرفض او القبول .

أما الانسان المتفرج الذي يقف على التل يتابع المعركة في الحياة بروح اللامبالاة فيكتفي من الموقف بمتابعة المشاهد وهي تمر امامه ولا يهتم بأي شأن من شؤون امته في جوانب العقيدة والحرية والكفاح فذلك انسان أبعد ما يكون عن الاسلام وان الصق نفسه بهذه الصفة ونستطيع ان نلمح هذا النفي الاسلامي لهـذا الشخص عن صفة الاسلام بالحديث الشريف .

(من لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم) .

ولا بدلنا ـ في نهاية الحديث ـ ان نشير الى حديث الامام (ع) في نهج البلاغة «كن في الفتنة كابن اللبون، لاظهر فيركب، ولا ضرع فيحلب» الذي يحتج به دعاة الانهزامية والسلبية في الحياة ولكنه ـ كما يقول ابن أبي الحديد ـ ناظر الى موقف الانسان بين باطلين لا بين حق وباطل وفى هـذه الحالة يتعين على الانسان ان يمارس دوره الايجابي فى الامتناع عن السماح لاي منهما فى ان يستغله لضرب الاخر بل عليه ان يقف على الحياد اذا لم يتمكن من مقاومتهما معاً ، والحياد موقف ايجابى ـ هنا ـ لانه يمثل رفض اعطاء أي منهما فرصة الاستعانة بقوى الخير لمصلحته الخاصة لان تلك القوى لا يمكن ان تمد الباطل الا اذا كان فى مقابل باطل اقوى منه فمن الممكن ان يلتقى الحق مع الباطل الاضعف فى مقاومة الباطل الاقوى ، ولكنه مجرد لقاء فى الطريق .

وختاماً : هذا حديث نسوقه الى اولئك الذين يعتبرون التدين انهزاماً وانعزالا وسلبية ليعرفوا من خلاله ان هذه الصفات المائعة لا تبعد الانسان عن اسلامه الصحيح فقط بل تخرجه منه فيغدو الاسلام مجرد جسد لا روح فيه وكيان لا حياة له .

وبذلك نستطيع حماية صورة الاسلام من التشويه عند ما يقدم في اطار بعض النماذج المنحرفة في ذاتها وتمثيلها للاسلام فنتعلم بشكل عملي واع مدلول الكلمة التالية التي قالها أحد الاوروبيين ـ ان الاسلام شيء والمسلمون شيء آخر ، فلا نحمل الاسلام جريرة غيره .

ونقف بعد ذلك لنمارس وجودنا الحركي في الحياة ـ كمسلمين ـ من خلال مفاهيم الاسلام الحية لا من حيث موروثات التخلف والانحراف في المجتمعات الاسلامية ، ونستفيد من ذلك اسلوب العمل في المواقف الحاسمة التي تواجه وجودنا وتتحدى شخصيتنا في المجال الخارجي في عملية استقطاب لجمع الطاقات الحية وتجنيد لكل الامكانيات من اجل مجابهة التحدي بارادة ايجابية واعية وبذلك نتحول من شعب يستسلم للامر الواقع الذي يفرض نفسه علينا في الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية فنتقبل المفاهيم المهترئة بكل استسلام ونعمل على استمرارها وتركيزها في حياتنا بشكل عميق ، الى شعب يرفض وصاية الاخرين ، وينتفض على طبيعة اللامبالاة التي تسود حياته وتجعلها مجرد كمية مهملة لا تملك الا ان تقف في صفوف المتفرجين .

انـا ندعو الان الى أن ندفع بقوة الاسلام التي تصنع الحياة وتنشىء الابطال وتبني المستقبل ـ الى داخل نفوسنا والى داخل حياتنا السائرة ابداً في دروب الكفاح لنخرج من مجتمع الترف الى مجتمع الحرب ، ومن طبيعة السلبية الى التحدي الايجابي وبذلك يصبح مائة مليون عربي أو خمسمائة مليون مسلم قوة في قلب المعركة الفاضلة التي تخوضها امتنا في فلسطين لا مجرد رقم يتضاعف ويتضاعف أمام محطات الاذاعة وباعة الصحف ينبغي ان نمارس ارادتنا الاسلامية في تغيير واقعنا ، وتغيير مجتمعنا على أساس الاسلوب الايجابي للعمل في الاسلام استجابة لقوله تعالى **« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »** الذي يقول لنا غيروا واقع الانحراف تنقذوا المستقبل وتغيروا التاريخ فان حركة التاريخ تابعة لحركة الامة ولن يتحرك التاريخ في امة لا تستجيب لنداء الله او تتمرد على سننه وقوانينه التي أودعها في هذه الحياة .

مضيئة

ويهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان : الحرص والأمل .

الرسول الأعظم (ص)

في التجارب علم مستأنف .

الامام على (ع)

ما تشاور قوم الا هدوا الى رشدهم .

الامام الحسن (ع)

لا أرى الموت الا سعادة ولا الحياة مع الظالمين الا برما .

الامام الحسين (ع)

العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين . . وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه .

الامام زين العابدين (ع)

المؤمن أصلب من الجبل ، الجبل يستقل منه شيء ، والمؤمن لا ينقص من دينه شيء .

الامام الباقر (ع)

ما أقر قوم بالمنكر بين أظهرهم لا يغيرونه الا أوشك أن يعمهم الله عزّوجل بعقاب من عنده .

الامام الصادق (ع)

ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فان عمل حسناً استزاد منه وان عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب اليه .

الامام الكاظم (ع)

لم يخنك الأمين ولكن ائتمنت الخائن .

الامام الرضا (ع)

. . لاينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العباد .

الامام الجواد (ع)

. . من كان على بينة من ربه هانت عليه مصائب الدنيا وان قرض ونشر .

الامام الهادى (ع)

من الذنوب التي لا تغفر : ليتني لا أؤاخذ الا بهذا .

الامام العسكرى (ع)

اما تعلمون ان الارض لاتخلو من حجة اما ظاهراً ، واما مغموراً أو لم يعلموا انتظام ائمتهم بعد نبيهم (ص) واحداً بعد واحد .

الامام المهدى المنتظر (ع)

المذاهب الإسلامية السبعة

ووجوب الاشهاد على الزواج والطلاق والرجعة

مقارناً بالقوانين الوضعية

« ٣ »

السيد محمد بحر العلوم

موازنة الاقوال :

استعرضنا ـ فيما تقدم ـ الأقوال الرئيسة فى المسألة ، وهي :

١ ـ القول : بأن الامر فى الأشهاد منصب على الطلاق فحسب .

٢ ـ القول : بصرفه الى الرجعة دون غيرها .

٣ ـ القول : باشتراك الأمر بينهما .

وأهم ما استندت عليه هذه الاراء الثلاثة هو مفاد الايتين الكريمتين ، ثم السنة النبوية الشريفة ، وبعدها بعض المقومات الاخرى من أدلة التشريع .

وفي صدد الموازنة بينها ، لابدان نقف من ذلك كله موقف المناقش لننتهي الى النتيجة والاختيار .

مفاد الكتاب الكريم :

قال الله تعالى : «يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ، واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة ، وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى

لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » .
«فاذا بلغن أجلهن ، فامسكوهن بمعروف،أو فارقوهن بمعروف ، واشهدوا ذوى عدل منكم ، وأقيموا الشهادة لله ، ذلـكم يوعظ به من كان يؤمن بالله ، واليوم الاخر ، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً » (١) .

فى الايتين الشريفتين ذكر لامور ثلاثة : الطلاق ، الرجعة ، المفارقة ، والتفريق بين هذه المصطلحات الثلاثة واضح ، فالمقصود بـ :

الطلاق ــ انقطاع حبل الزوجية بين الطرفين ، وحل عقدة النكاح .

والرجعة ــ العودة بالزوجة ضمن العدة . فهي فى حقيقتها استمرار لحـكم الزوجية الذي كان سابقاً متلبساً به .

المفارقة ــ ترك المطلقة بحالها فى عدتها ، حتى تنقضي أيام عدتها ، فتبين منه بالطلاق السابق .

وبازاء هذه المفاهيم الثلاثة نجد أمراً صريحاً بالاشهاد يرد بعدهـا ، فالى أي مورد ينصرف هذا الامر ؟

وواضح ان المفارقة لا تدخل فىموضوع البحث،فهي فىواقعها ترك الرجعة، وذلك حق ممنوح للزوج فى الرجوع لزوجته شريطة ان يكون ضمن العدة ، والاصل معها ، فلاتحتاج الى اشهاد مع الاستمرار .

لذا فلا بد ان يكون الامر منصرفاً اما الى :

١ ــ الطلاق والرجعة معاً ، سواء كان واجباً أو مندوباً .

٢ ــ أو الرجعة فقط .

٣ ــ أو الطلاق فحسب .

وهذا ما سيتجلى لنا فى البحث التالي .

أولا ــ الامر للطلاق والرجعة .

وعند رجوعنا الىاعتبار ان الامر قد انصب على الطلاق والرجعة معاً ، فلا بد ان نستفيد ذلك اما من مفاد الاية ، أو من الدلالة الاخرى ، فنرى :

---

(١) سورة الطلاق : ١ ــ ٢ .

١ ـ مفاد الآية :

ان رجوع الأمر بالاشهاد الى : الطلاق والرجعة خلاف الظاهر، ذلك لان الاية مسوقة لبيان حكم الطلاق ، وذكر الرجعة أقرب الى الاستطراد ومقتضاه ان القيود انما ترجع الى ما تهدف اليه الآية .

يقول المرحوم الحجة كاشف الغطاء :

« لا يخفى ان السورة الشريفة مسوقة لبيان خصوص الطلاق وأحكامه حتى انها قد سميت بسورة الطلاق ، وابتدأ الكلام في صدرها بقوله تعالى :

« واذا طلقتم النساء » ، ثم ذكر لزوم وقوع الطلاق في صدر العدة ، أي لا يكون في طهر المواقعة ولا في الحيض ، ولزوم احصاء العدة ، وعدم اخراجهن من البيوت ، ثم استطرد الى ذكر الرجعة في خلال بيان أحكام الطلاق ، حيث قال عز شأنه : «فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف» أي اذا أشرفن على الخروج من العدة فلكم امساكهن بالرجعة أو تركهن على المفارقة ، ثم عاد الى تتمة أحكام الطلاق ، فقال : «وأشهدوا ذوي عدل منكم» أي في الطلاق الذي سبق الكلام لبيان أحكامه ، ويستهجن عوده الى الرجعة التي لم تذكر الا تبعاً واستطراداً .

الا ترى لو قال القائل : اذا جاءك العالم وجب عليك احترامه واكرامه وان تستقبله سواء جاء وحده، أو مع خادمه أو رفيقه ، ويجب المشايعة وحسن الموادعة ، فانك لا تفهم من هذا الكلام الا وجوب المشايعة والموادعة للعالم ، لاله ، ولخادمه ورفيقه ، وان تأخرا عنه ، وهذا لعمري حسب القواعد العربية والذوق السليم جلي وواضح » (١) .

٢ ـ مع الادلة الاخرى :

وقد استدل في صدد ارجاع الأمر الى الطلاق والرجعة معاً من غير الكتاب ، بجملة أدلة هي :

---

(١) أصل الشيعة وأصولها : ١٢٥ ـ ١٢٧ ، مجلة الرسالة المصرية : ١٠٩٢-١٠٩٣ ع ١٥٧ .

ا ـ عمل الصحابي :

أما بالنسبة لعمل الصحابي فان أريد من حجيته انه سنة ، كما ذهب الى ذلك الشاطبي ـ حيث يقول : «سنة الصحابة (رض) سنة يعمل عليها ويرجع اليها»(١) . فالذي يرد عليه ان الصحابة كثيراً ما يختلفون، والسنة لا تتناقض على نفسها .

ومراد الشاطبي من سنة الصحابة ،يختلف عن مذهب الصحابي ، اذ الفرق ان السنة التي قصدها لازمة الاتباع كسنة النبي (ص) ، وفي هذا الاعتبار لابدان تتوفر فيها العصمة (٢) .

أما مذهب الصحابي فلايعتبر فيه ذلك ، بل يكفي أن يعبر عن رأي اجتهادي لا نعرف مستنده .

ولقد ناقش الغزالي القول بسنة الصحابي بقوله :

« فان من يجوز عليه الغلط والسهو ، ولم تثبت عصمته عنه فلاحجة في قوله ، فكيف يحتج بقولهم مع جواز الخطأ أو كيف تدعى عصمتهم من غير حجة متواترة؟ وكيف يتصور عصمة قوم يجوز عليهم الاختلاف ؟ وكيف يختلف المعصومان ؟ كيف وقد اتفقت الصحابة على جواز مخالفة الصحابة ، فلم ينكر أبو بكر وعمر على من خالفهما بالاجتهاد ، بل أوجبوا في مسائل الاجتهاد على كل مجتهد أن يتبع اجتهاد نفسه ، فانتفاء الدليل على العصمة ، ووقوع الاختلاف بينهم ، وتصريحهم بجواز مخالفتهم فيه ثلاثة أدلة قاطعة »(٣) على عدم اعتبار هذه السنة .

ب ـ القياس والاستحسان :

والاستدلال بالقياس والاستحسان لا موضع لهما مع وجود الظهور القرآني، والاية صريحة في ذلك .

---

(١) الموافقات : ٤/٤٠

(٢) استدل الشاطبي بعدة ادلة على صحة سنة الصحابي ، ناقشها الاستاذ الحجة السيد محمد تقي الحكيم راجع : (الاصول العامة للفقه المقارن : ١٣٥ ـ ١٤٣) .

(٣) المستصفى : ١/١٣٥ .

بالأضافة الى انفي حجيتهما حديثاً طويلا فالقياس مختلف فى الاخذ به عندكثير من اعلام المذاهب الاسلامية (١) .

أما الاستحسان ، وهو خصوص الاخذ بأقوى الدليلين فهو حسن ولا مانع من الاخذ به ، الا أن عده أصلا فى مقابل الكتاب والسنة لا معنى له . ويرى ابن القفال « ان كان ما يقع فى الوهم من استقباح الشيء واستحسانه من غير حجة دلت عليه من أصل ونظير فهو محظور ، والقول به غير سائغ (٢) .

ج ـ الاجماع :

ودعوى الاجماع عند الجميع مطعونة ،فالمذاهب الاسلامية لم تتفق على قول واحد حتى ندعى الاجماع ، وأكثر من هذا فاننا نرى فى المذهب الواحد اختلافاً فى القول فلايمكن ادعاء الاجماع .

نعم اذا تمت حجية الاجماع من باب الكشف عن رأي المعصوم،فاجماع الامامية حجة ـ فى رأيهم ـ (٣) .

هذا كله بناء على القول بالوجوب الوضعي .

أما القول بالندب ، فقد قربة ابن رشد بقوله « وسبب الخلاف معارضة القياس للظاهر ، وذلك ان ظاهر قوله تعالى :«وأشهدوا ذوى عدل منكم»يقتضي الوجوب وتشبيه هذا الحق بسائر الحقوق التي يقبضها الانسان يقتضى أن لا يجب الاشهاد ، فكأن الجمع بين القياس والاية حمل الاية على الندب » (٤) .

ويمكن الاجابة عن هذا الرأي : بان معارضة القياس للظهور لاوجه لها لما هو الحق من تأخر رتبة القياس كدليل ـ لو تمت حجيته ـ عن ظهور الكتاب والسنة ، فلا يرتفع اليه ليعارضه .

بالاضافة الى ما سبق ان أشرنااليه من ان ظهور الجزاء انما هو فى القيدية ، ولا

---

(١) راجع الاختلاف فى حجية القياس : (الاصول العامة : ٣٢٠ ـ ٣٥٨) .

(٢) ارشاد الفحول : ٢٤١ .

(٣) أصول المظفر ٩٢/٣ .

(٤) بداية المجتهد : ٩٢/٢ .

ترفع اليد عنه الا بقرينة ، وهي مفقودة هنا ، وما ذكره ابن رشد لا يعينها .

ثانياً ـ الامر للرجعة فقط :

تقدم ان ذكر الرجعة في خلال بيان أحكام الطلاق ورد استطراداً ، وانه خلاف ظاهر الاية ، ولا حاجة للتطويل .

ثالثاً ـ الامر للطلاق فقط :

بقي لدينا القول الثالث:وهو رجوع الامر الى الطلاق دون الرجعة ونستفيد هذا:

أولا ـ من الاية الشريفة :

فان نظم الاية الكريمة يكاد يصرح بأن الامر بالاشهاد ليس متعلقاً بجملتين مستقلتين ، بل بجملة مستقلة هي جملة الطلاق فى قوله تعالى: **«يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن»** ، ثم فرع على ذلك بالفاء فى قوله تعالى : **« فاذا بلغن أجلهن »** ، وعقبه بالعطف بقوله تعالى : **«وأشهدوا ذوى»** وليس هو عطفنا على جواب **«اذا بلغن أجلهن»** وهو قوله تعالى : **«فأمسكوهن»** فقط ، لان الجواب ليس هو امسكوهن فقط ، بل هو أحد الامرين : الامساك أو الفراق . فلو كان شرطاً فى الامساك فقط دون المفارقة لكان اللازم اقحامه بينهما ليكون الحاصل : **«فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف ، واشهدوا ، أو فارقوهن بمعروف»** وهذا غير معقول .

اذاً فالذي يتعين هو كونه جملة مستقلة تابعة لجملة الطلاق ،كما ان التفريع بقوله تعالى : **«فاذا بلغن»** تفريع عن جملة الطلاق ، وحينئذ يكون الامر بالاشهاد مربوطاً بالطلاق ، ولا دخل له بجملة الجواب لقوله ، **«فاذا بلغن اجلهن»** بل ان الكل من جملة الشرط والجواب ، وجملة الاشهاد فى قوله تعالى : **«واشهدوا»** مربوط بالجملة الاولى ـ اعنى قوله تعالى : **«اذا طلقتم النساء»** .

والحاصل : ان قوله تعالى : **«اذا طلقتم النساء»** فعل الشرط ، وقوله تعالى: **«فطلقوهن»** جواب الشرط، وقوله تعالى: **(وأحصوا العدة)** عطف على الجواب، وكذلك قوله : **«واتقوا الله ربكم»** وما بعده. وقوله : **«فاذا بلغن . . . الخ»** تفريع

على الجواب اعني «طلقوهن» وقوله : «واشهدوا» عطف على الجواب ، اعني قوله «فطلقوهن» على حذو قوله : «وأحصوا العدة» ، وقوله : «واتقوا الله» .

ثانياً ـ من السنة الكريمة :

مرت علينا روايات عن اهل البيت عليهم السلام (١) ، تفيد بان الأمر منصب على الطلاق فحسب .

ولما كانت اقوال الائمة الاثنى عشر عليهم السلام ـ فى عرف الامامية ـ سنة تابعة لسنة النبي (ص) فان ذلك يكشف لنا عن ان القول بالاشهاد على الطلاق معضود بالسنة ، فى حين ان المذاهب الاسلامية غير الامامية لم يتوفر لهم حديث نبوي ، أو سيرة فى ذلك .

قال المرحوم المظفر فى صدد سنة آل البيت عليهم السلام :

« اما فقهاء الامامية بالخصوص ، فلما ثبت لديهم ان المعصوم من آل البيت يجري قوله مجرى قول النبي من كونه حجة على العباد ، وواجب الاتباع ، فقد توسعوا فى اصطلاح السنة الى مايشمل قول كل واحد من المعصومين ، او فعله ، أو تقريره فكانت السنة باصطلاحهم .

وعليه فليس بيانهم للاحكام من نوع رواية السنة وحكايتها ، ولا من نوع الاجتهاد فى الرأي ، والاستنباط من مصادر التشريع ، بل هم انفسهم مصدر للتشريع فقولهم (سنة) لا حكاية السنة .

وأما ما يجيء على لسانهم احياناً من روايات واحاديث عن نفس النبي (ص) فهي اما لاجل نقل النص عنه ، كما يتفق فى نقلهم لجوامع كلمه ، وأما لاجل اقامة الحجة على الخبر ، واما لغير ذلك من الدواعي» (٢) .

ولقد استدلت الامامية على حجية هده الدعوى من الكتاب والسنة والعقل (٣) .

---

(١) راجع حجة القائلين بالامر بالاشهاد على الطلاق من هذا البحث .

(٢) اصول المظفر : ٣/٥١ ـ ٥٢ .

(٣) راجع عن حجية أهل البيت (ع) (الاصول العامة : ١/١٤٥ ـ ١٨٩) .

مع القوانين المعمول بها في الاقطار الاسلامية

يجدر بنا وقد وصلنا الى نهاية البحث ، ان نوجه نظرة الى القوانين الوضعية في البلاد الأسلامية لنرى ما ذا يكون موقفها من هذه المسألة .

ومحور حديثنا القانون الايراني والقوانين العربية ونحن نراها تعتمـد على الشريعة الاسلامية ، الا في بعض الموارد ـ التي تصطدم مع الشريعة الأسلامية ـ فهي تستند الى القانون الفرنسي ، أو الروماني .

وفي حدود بحثنا نلحظ هذه الموارد في القوانين السائدة في البلاد الأسلامية فنرى:

أولا ـ في النكاح :

وبهذا الحقل تكاد تجمع القوانين المختصة بالاحوال الشخصية في البلاد العربية على وجوب الاشهاد ، وبدونه فالعقد باطل ، مع اختلاف في شروط الشاهد وصفاته.

فالمادة السابعة من قانون الاحوال الشخصية العثماني ينص على انه «لايصح عقد النكاح الا بحضور شاهدين» (١) .

والقانون العثماني ، لقدرى باشا يأخذ بمبادىء الفقه الحنفي وكان معمولا به حينذاك في جميع الدول الاسلامية ، وبعد ذلك سنت القوانين للبلاد العربية على ضوئه ، وبقيت هكذا ردحاً من الزمن . ولكن كثيراً من البلدان الاسلامية أخيراً لم يعتبر هذا القيد الآن .

فمثلا صرحت المذكرة الأيضاحية المصرية لقانون الأحوال الشخصية الصادرة في ٩٥٣ بما يلي .

(تبين ان من الضروري العدول عن القول الراجح في المذهب (الحنفي) أحياناً ، والاخذ من المذاهب الثلاثة الاخرى) ومن مذاهب غير الائمة الاربعة أحياناً.

---

(١) مختصر شرح الاحكام الشرعية في الاحوال الشخصية : ١٢

أما بالنسبة لقانون الاحوال الشخصية المعمول به فى ايران (١) فلم يشر الى وجوب الاشهاد عند العقد، وسببه واضح، وذلك لان القانون يستمد منابعه الاساسية من الفقه الامامي الجعفري ، ولما كان الفقه الجعفري ، لا يشترط وجوب الاشهاد عند العقل لذا لم يعتبره القانون الايراني شرطاً أساسياً .

أما القانون المخصص لغير المسلمين : فتلزم كنيسة الاقباط الارثوذكس بوجوب الاشهاد تقول المادة :

« اثبات حضور شاهدين على الاقل مسيحيين راشدين ، وذكر اسم كل من الشهود وسنه وصناعته ، ومحل اقامته » (٢) .

والقانون الفرنسي يؤكد على ذلك فيقول :

« يعتبر حضور شاهدي العقد ، أحدهما من جانب الزوج ، والاخر من جانب الزوجة ذكوراً أو اناثاً . ويشترط فقط أن يكونا راشدين أياً كان » (٣) .

ثانياً ـ الطلاق :

لم تشر قوانين الاحوال الشخصية التي أشرنا اليها فى موضوع الطلاق الى ضرورة الاشهاد لا نفياً ، ولا اثباتاً ، وكأنه من المفروغ عنه عدم ضرورته الا قانون الأحوال الشخصية المغربي من البلاد العربية، وقانون الأحوال الشخصية الايراني، فهما ينصان على ذلك :

يقول القانون المغربي :

« يجب تسجيل الطلاق لدى شاهدين ، عدلين ، منتصبين للاشهاد » (٤) . وفى

---

١ ـ قانون حمايت خانواده المطبوع عام ١٣٤٦ ـ ١٩٦٧

٢ ـ قوانين الاحوال الشخصيه للمسلمين وغير المسلمين المصرى : ١٢١

٣ ـ المقارنات التشريعية : ١٣٩ عن القانون الفرنسى باب (الاجراءات التى توافق عقد الزواج م ٥)

٤ ـ قانون الاحوال الشخصية للمملكة المغربية: ٩٥٧ الفصل ٤٨ (انحلال ميثاق الزوجية وآثاره) .

موردآخر يؤكد على ذلك فيقول :

« اذا سمع الشاهدان الطلاق سجلاه ، ولا يحرر مجرداً عن مستند الزوجية فاذا لم يحضر مستند الزوجية رفع الشاهدان الامر الى القاضي »(٢) .

وينص القانون الايراني على ما يلي :

« مادة ـ ١١٣٤ ـ طلاق بايد بصيغة طلاق و در حضور لا اقل دو نفر مرد عادل كه طلاق را بشنوند واقع گردد »(٣) .

والمادة صريحة وترى انه لا يمكن اجراء صيغة الطلاق الا بحضورما لا يقل عن شاهدين رجلين عادلين ، والا فيعتبر الطلاق باطلا .

ثالثاً ـ الرجعة :

ولذلك لم تشر القوانين المذكورة الى ذكر الاشهاد في الرجعة لا وجوباً ولا استحباباً ، انما ورد في قانون الاحوال الشخصية العثماني مادة (٢٣٤) ما يلي :

«الرجعة : صحيحة بلاشهود وبلا علم المرأة ، الا انه يندب للمراجع ان يعلم المرأةبها اذا راجعهاقولا، وان يشهد شاهدين عدلين عليها ولو بعد حصولها فعلا»(١).

هذا هو موقف القانون من الاشهاد في النكاح والطلاق ، ولما كان أثر الاشهاد في الطلاق كبيراً ، فقد اقترح الاستاذ أحمد غندور من اعلام الفقه في مصر على الحكومة المصرية ضرورة تقنين هذا الشرط في حقل الأحوال الشخصية ، بقوله :

«ومن الخير حفظاً على روابط الاسرة أنيكون الاشهاد شرطاً لوقوع الطلاق، وان يكون الشاهدان عدلين ، سامعين لفظ الطلاق ، ذلك يؤدي الى تخفيف كثرة وقوع الطلاق الذي ينشأ غالباً في وقت غضب ، أو انفعال زائل .

وليت ولاة الامر فيمصر والسودان يسنون قانوناًبأن الطلاق لايقع الا بشاهدي

---

١ ـ نفس المصدر المتقدم الفصل ٨٠ (الاجراءات الادارية للاطلاق) .

٢ ـ قانون حمايت خانواده : ٧٦

٣ ـ مختصر شرح الاحكام الشرعية في الاحوال الشخصية : ٢١٩

عدل،والقرآن يؤيدهم، ومصلحة الأسرة تدعو الى ذلك،لان الطلاق مشكلة اجتماعية في هذا العصر، وما من سبيل الى الدواء الا بالرجوع الى كتاب الله ، وسنة رسوله، والوقوف عند حدود الله ، ومن يدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » (١) .

شروط الشاهد في القوانين المعمول بها في البلاد الاسلامية :

فالقانون العثماني ينص في المادة السابعة على ضرورة الصفات المتطلبه في الشاهد فيقول :

« لا يصح عقد النكاح الا بحضور شاهدين حرين ، أو حر وحرتين ، عاقلين بالغين ، مسلمين ، سامعين قول العاقدين معاً ، فاهمين انه عقد نكاح ، ولو كانا أعميين أو فاسقين ، أو ابني الزوجين ، أو ابني أحدهما » (٢) .

وعلى هذا ينص القانون المصري ، بينما يرى القانون العراقي بانه يكفي « شهادة شاهدين متمتعين بالأهلية القانونية » (٣) .

ويذهب المشرع الأردني الى التمسك بالشريعة ومتطلباتها في شروط الشاهد فيقول : يكون النكاح فاسداً « اذا كان شهود العقد غير حائزين للاوصاف المطلوبة شرعاً » (٤) .

والمشرع السوري يشترط في صحة العقد «حضور شاهدين رجلين أو رجل وامرأتين مسلمين ، عاقلين ، بالغين ، سامعين الايجاب والقبول فاهمين المقصود بهما » (٥) .

وهذه الشروط لا تختلف عن المبادىء التي فرضها القانون العثماني وهي حنفية المذهب .

في حين يرى المشرع المغربي ان يكون الشاهدان عدلين ، سامعين في مجلس واحد . . الخ » (٦) .

---

١ ـ الطلاق في الشريعة والقانون :

٢ ـ مختصرشرح الاحكام الشرعية في الاحوال الشخصية : ١٢

٣ ـ قانون الاحوال الشخصية العراقي رقم ١٨٨ لسنة ٩٥٩ /م٦ فقرة ١ د

٤ ـ قانون حقوق العائلة في الاردن لسنة ١٩٥١م/ ٢٨ /ف ٤

٥ ـ قانون الاحوال الشخصية السوري لعام ٩٥٣/م الفصل الاول من الباب الثاني .

٦ ـ قانون الاحوال الشخصية المغربي الصادر عام ٩٥٧/م ١ الفصل الخامس ب/٢

أما المشرع التونسى فيرى ان عقد الزواج لا ينعقد الا بشاهدين من أهل الثقة (١) . وكلمة (أهل الثقة) شاملة فى معناها ومفهومها .

واذا رجعنا الى القانون الايراني فنراه يكتفى بالعدالة والرجولة ، ولم يشر الى أي شرط آخر (٢) .

وكيفما كان فان الشروط المطلوبة فى الشاهد فى هذه القوانين التي تعرضنا لذكرها نراها تستمد منابعها من الدين الاسلامي،على اختلاف ما بينها اللهم الا القانون العراقي الذي ينص على (الاهلية القانونية) . .

خاتمة المطاف

بعد هذه الجولة فى اثبات آراء المذاهب الاسلامية السبعة والقانون فى موضوع الاشهاد في النكاح ، والطلاق ، والرجعة نستطيع ان ننتهي الى ان الاشهاد فى الطلاق وارد وفق الحكمة ، لان الله سبحانه انما شرع الاحكام وفقاً لمقتضيات المجتمع الانساني ، وطبقاً لحاجاته .

والمجتمع الانسانى يبتني على تماسك الكيان العائلي ، وحرصاً على هذا الكيان من الانحلال والتدهور ، وحفظاً للروابط العائلية من الانفصام ـ وخاصة فى حقل الزوجية ـ وقد صرح رسول الله (ص) عن بغض‌الله للطلاق،ولغرض الوقوف امام هذا العامل الهدام ، والحيلولة دون مشاكله الخطيرة ، وضع الشارع المقدس قيوداً وشروطاً بغية تخفيفه .

ولهذا ذهب جمع من الاعلام المتأخرين من السنة الى ضرورة هذه الشروط ومنهم العلامة المرحوم المحقق القاضي الشرعي بمصر الاستاذ احمد محمد شاكر حيث يقول :

---

١ ـ قانون الاحوال الشخصية التونسى الصادر عام ٩٥٦ الفصل الثالث .

٢ ـ قانون حمايت خانواده : ٧٦

«فانني ذهبت الى اشتراط حضور شاهدين حين الطلاق، وانه اذا حصل الطلاق في غير حضرة الشاهدين لم يكن طلاقا ، ولم يعتد به . وهذا القول وان كان مخالفاً للمذاهب الاربعة المعروفة الا انه يؤيده الدليل ، ويوافق الائمة من أهل البيت ، والشيعة الامامية .

وذهبت ـ أيضاً الى اشتراط حضور شاهدين حين المراجعة، وهو يوافق أحد قولين للامام الشافعي ويخالف مذهب أهل البيت والشيعة ، واستغربت من قولهم ان يفرقوا بينهما ، والدليل واحد فيهما» (١) .

وقد تقدمت المناقشة في هذا الصدد، وان الاية الشريفة التي تؤكد على الاشهاد مسوقة لبيان خصوص الطلاق وأحكامه لانها من ضمن سورة الطلاق وليست لها علاقة بالرجعة (٢) .

ان المطلقة الرجعية في ضمن عدتها لا تخرج عن حقوقها التي تملكها على زوجها من ارث ونفقة ، وأمثال ذلك ، حتى تنقضي عدتها ، وهذه المدة التي تقدر بمائة يوم في حقيقتها فيها المجال الكافي للعودة ، والامل كبير فيها ان يعود الطرفان الى طبيعتهما الاصلية ، ويتم بينهما التفاهم ، ويعودا لعش الزوجية ، وهي والحالة هذه استمرار لطبيعة الزوجية ، فلا حاجة الى اشهاد ، وقيود بخلاف الطلاق .

يقول المرحوم الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء :

« لما كان دين الاسلام ديناً اجتماعياً وأساسه التوحيد والوحدة ، وأهم مقاصده الاتفاق والالفة ، وأبغض الاشياء اليه التقاطع والفرقة ، لذلك ورد في كثير من الاحاديث ما يدل على كراهة الطلاق والردع عنه ، ففي بعض الاخبار (ما من حلال أبغض الى الله من الطلاق) ، فكانت الحاجة والسعة على العباد ، وجعلهم في فسحة من الامر تقضي بتشريعه ، والرحمة ، والحكمة ، وارشاد العباد الى مواضع جهلهم بالعاقبة «وعسى ان تكرهوا شيئاً ، ويجعل الله فيه خيراً كثيراً» . كل ذلك

---

١ ـ أصل الشيعة وأصولها : ١٦٥ ـ ١٦٣ .

٢ ـ راجع الفصل بحث «الامر للطلاق والرجعة» من الفصل الخامس بحثنا هذا .

يقتضي التحذير منه والردع عنه ، والأمر بالتروي والتبصر فيه ، ونظراً لهذه الغاية جعل الشارع الحكيم للطلاق قيوداً كثيرة ، وشرط فيه شروطاً عديدة حرصاً على تقليله وندرته ـ والشيء اذا كثرت قيوده عز وجوده ـ فكان من أهم شرائطه عند الامامية حضور شاهدين عادلين **«واشهدوا ذوى عدل منكم»** ، فلو وقع الطلاق بدون حضورهماكان باطلا ، وفي هذا أبدع ذريعة،وأنفع وسيلة الى تحصيل الوئام، وقطع مواد الخصام بين الزوجين ، فان للعدول ، وأهل الصلاح مكانة وتأثيراً فى النفوس ، كما ان من واجبهم الاصلاح والموعظة ، واعادة مياه الصفاء بين الزوجين المتخاصمين الى مجاريها ، فاذا لم تنجع نصائحهم ومساعيهم فى كل حادثة فلا أقل من التخفيف والتلطيف،والتأثير فى عدد كثير. وقد ضاعت هده الفلسفة الشرعية على اخواننا من علماء السنة ، فلم يشترطوا حضور العدلين فاتسعت دائرة الطلاق عندهم، وعظمت المصيبة فيه ، وقد غفل الكثير منا ومنهم عن تلك الحكم العالية والمقاصد السامية فى أحكام الشريعة الاسلامية ، والأسرار الاجتماعية ، التي لو عمل المسلمون بها لاخذوا بالسعادة منجميع أطرافها،ولما وقعوا فى هذا الشقاء التعيس ، والعيش الخسيس ، واختلال النظام العائلي فى أكثر البيوت» (١) .

ولماكان الشارع المقدس يحرص كل الحرص على عدم انحلال عقدة الزواج نراه لا يشترط فى عقد الزواج شروطاً كثيرة بغية التسهيل ، ومن ذلك انه لا يشترط الاشهاد فيه . . على العكس من شروط الطلاق .

---

١ ـ اصل الشيعة وأصولها : ١٥٨ ـ ١٦٠



اعداد: حسين الحاج احمد

(١)

. . . تلفتت الى احياء قريتي المهجورة . . . فرأيتها في هدأة الليل المذعور تنطوي على نفسها لتندب حظها العاثر . . فحسبتها تستلهم من بقايا الاطلال املا تجود به الذكريات، وخلت الريح تعصف بمقابر الاجداد . . وتحفرها . . لترد الي وجودي . . مجداً سليباً خانه اخوتي . . . وعقيدة يتيمة باعوها . . بأبخس الاثمان . . !

(٢)

لقد كانت تلك الليلة رهيبة علي . . . فالنوم اعلن نشوزه . . وتركني وحيداً . . أمسح عن معطفي البالي . . رذاذ المطر العنيد الذي يتدافع بقوة الى ثقوب نافذتي المهترئة .

حاولت ان ابكي . . . حيث لا يجدي البكاء .

اغلقت فمي . . . كما سكت الكثيرون . . . مبرراً ذلك بالعجز . . وما هو الا جبن مقيت حاولت ان اهرب . . . كما هرب الاخرون . . . فاخبرني الغيب . . انهم يرتعون في مهوى الحقارة وقال لي : دعهم . . . فقلوبهم كالصخر لا تخفق . . . وهم كالانعام . . بل اضل سبيلا . . !

(٣)

سخرت من هوى نفسي . . . ورثيت لنزعاتها الطفولية وتركت غرفتي لابحث عن فكرة حكيمة تنقذني من اضغاث الوهم والخيال . . .

تركت غرفتي . . . وسرت مثقلا بوجومي . تحتني كلمات زاهرة ترفل بالاخلاص وتنمنم حديثها في اذني فترفع عن كاهلي بعض ما اقاسيه وتسليني بعطف ابوي رحيم .

فها انا ذا . . . اتخيل والدي وقد استلقى على وسادة الوداع الاخير .

واتأمله يتمتم باشفاق . . . وفي يده كأس مرمرية تنضح بعصارة تجاربه التي امتصها من ثدي الحياة . . .

بني . . . بني . . . سوف اغادركم بعد لحظات الى ملكوت العدل والرحمة . . . ولكن لي في ذمتك رجاء اخير . . .

. . . . اريد ان تجسد خلافة الله في ارضه . . . فلا تقنط امام من ظلمك ولا تداهن من خذلك . . . واجهد لان تكون جريئاً في مقارعة الباطل لتجرؤ اهله على الحق فانك عزيز عند ربك منتصر . . . !

(٤)

. . . مشيت هائماً . . . على وجهي . . ولست ادري . ؟ اكنت اطوي الدروب . . . ام كانت الدروب تطويني . . . ولم اشعر بخطواتي وهي تترك خلفها اثار حيرتي واضطرابي وترسم في جوف الطين كيانها القلق المعذب .

. . . مشيت . . لاادري الى اين . ؟ فهل الافكار الحكيمة مثلي . . تجر اذيال غربتها تشكو مر وحدتها . . . الى المجهول . . !

وتجلدت وجناتي في مسارب الحزن والروع . . ذبلت جفوني . . حتى كادت ان تغفو على وسائد الحسرة . . وأحسست بالبرد القارص ينفذ الى «أيار» قلبي فيمتزج بجراحه المثخنة وانا لا ازال ابحث عن موقف نبيل . . !

(٥)

. . . وعندما بلغت الاعياء في تطوافي . . ودنا من الليل السحر . . اطلت نجمتنا الحبيبه من خلف غمامة حبلى تتقلب على فراش الاجهاض . . فاطمأننت اليها وأنست مني وجوداً يبحث عن كنهه ، فأشارت بأنامل من لجين الى مسجد قديم .

. . . دخلت الى بيت الله .. بعد ان رفت مشاعري نحوه وسبقتني اليه لتؤدي مراسم الطاعة والخضوع وتشكو عمق جرحها الدفين . . .

ابتسمت . . لان ابتهالاتها الحارة كانت اول الغيث في ارضي القاحلة . . وان لم تكن كل ما ابحث عنه . . .

(٦)

كان المسجد كبيراً . . يتسع لمئات المصلين . . فاعتراني الذهول . . فيما تلمست في زواياه انه مهجور . . كقريتي المهجورة . . لاتعمره الا اكوام التراب في ارجائه كانها ارادت ان تملأ المسجد بعد ان عز عليها خلوه من بني الانسان . . فجاءت الى ربها تذم الجهل والجهلاء . . جزعت من تصوراتي . . امتدت الى ذهني اطياف الرعب الاسود وهممت بالخروج وكدت افعل لولا ان طوقتني اصداء ناعمة من اللوعة والحنين . . كانها تدعو نفسي . . لتهدأ وتناجي قلبي ليخشع . . ويشدني الصوت الرخيم فتراني من حيث لا اشعر اسعى الى مأواه . . .

(٧)

. . . رأيته هناك . . في وسط المحراب شيخاً وقوراً توجه المشيب بالجلال وقد بسط راحتيه نحو السماء . . .

فقلت . . لعله يستغيث بالموت او لعله يستمطر صحة وافرة يقوى بها على عبادة ربه الغفور . وسمعته يدعو بذلة وانكسار . .

«اللهم انا . . نرغب اليك في دولة كريمة تعز بها الاسلام واهله . . وتذل بها

النفاق واهله . . وتجعلنا فيها من الدعاة الى طاعتك والقادة الى سبيلك» .

(٨)

سلمت عليه فرد تحيتي ودعاني للجلوس قربه . . فجلست ثم سألني . . من أنت يا عزيزي . . ومن أين . ؟

اني اراك كئيباً كمن فقد خلا أو حبيباً !

اجبته : انا مشرد . . من القرية المهجورة !

قال : . . وكلماته تقطر رأفة وعطفاً . . مالذي اصابك . . ان من يراك يظنك شقياً مخيب الامال . . .

قلت : انا حائر ياعم . . هل اترك قريتي أم أبقى فيها وحيداً

ابتسم الشيخ الجليل بهدوء . . وبدت على جبينه ملامح التفكير. . ثم سألني :

هل تعرف اين يقطن الراحلون من اهلك وذويك؟

قلت . . . بلى يا عم . .

قال : اذن . . عد الى بلدك . . ولا تنس ان تترد يوماً على الذين تخلوا عن ديارهم . . فامامك الان فكرة وعليك ان تجعلهم يؤمنون بها .

قلت : ما هي تلك الفكرة . . اني اظنها عملا يسيراً .

نظر الي . . دون ان تنسل تقاسيم وجهه وقال ..لاتكن مغروراً يا ولدي انها ثقيلة جداً الا على ذوي الحس المرهف . . فهل تسطيع ان تجعلهم يؤمنون بضرورة الرجوع الى بلدهم . . بعد طول النزوح .

وبعد ان اجبته بأني سوف احاول جاهداً لتحقيق تلك الامنية،استرسل في حديثه قائلا: وعندما تلتقي مع ثلة طيبة منهم . . . عليك يابني ان تفهم لماذا يلتزمون بهذه الحدود . . فان نجحت في ذلك . . . فقم معهم الى المحراث وازرع حقولهم بالخير فانك سوف تجني ويجنون . . . اشهى الثمار وانقى الطيب . . . وأسنى الجمال...

(٩)

اغرو رقت عيناي بالدموع . . . وانحنيت على يد الشيخ ألثمها . . . وهو يصدها عني وخاطبته بعزم اصيل :

ثق كل الثقة يا عماه . . . بأنني سوف ارعى ماذكرت وانني اعاهدك واعاهد الله في حمل تلك المسؤولية .

ولكن . . . ألا ترافقني . . الى قريتنا المهجورة فتكون خير موجه ... ونعم المعين . . . اسبل تجاعيد جفنيه كأنه اراد ان يخفى بريق التياعه وتأوه بعمق ثم قال على بركه الله يا بني . . . اما انا فانني مشلول .

(١٠)

. . .التفت الى آفاق الرحمة ... اشكر منحتها المعطاءة . . . فلم اجد الا نجمة السحر . . . تودعني بدمعتين . . .

دمعة حزن . . . ودمعة فرح . .

دمعة حزن سفحتها على مصاب الشيخ الحكيم . . .

ودمعة فرح سكبتها على حروفه المورقة وهي تظلني بوارف الدعة والأمن . .

وتعانقت هاتان الدمعتان .

وانسابتا الى أعماق يكمن فيها السر الموحي . . فقبلتاه وحولتاه الى دم يسري في الغروق الظمأى فيحرك الجوارح وتحنو عليه الجوانح .

وتمر لحظات . .أجدني من خلالها عدت انساناً جميلا في تصوراته . . ومطمئنا الى حياته. .ينظر للوجود بعين . . . لاتشوب نظرتها أية شائبة .. فتنكشف له الحقيقة

وحمدت الله رب العالمين . .

من حياة القادة

(٤)

أهل البيت

انسانية فذة.. وعطاء خالد

الشيخ محمد علي التسخيري - قم

* مما سبق
* خطان متميزان فى مجال دراستهم (ع)
  * المنهج التجزيئى
  * الاعتراض عليه
  * المنهج الشمولى
  * الاستهداء بالسنة
  * مستوى الصورة الفردية والواقع

مما سبق :

تساءلنا فى العدد السابق عن سر تفضيلنا لاهل البيت(ع) بل السر الذي جعلهم خيرة البشرية وأهلهم لان تمنحهم السماء تلك المنزلة العالية التي لن يؤتاها الا ذو حظ عظيم .

وفى مقام الجواب أعطينا المقومات الحقيقية للعمل الانساني الخير من الاخلاص والعقائدية والواقعية والتناسب السلوكي ، ودعونا الى استجلاء هذه الصفات الحية في سلوكهم (ع) ووددنا ان نتعرض الى المنهج الذي يجب ان ندرسهم على أساس منه .

خطان متميزان في مجال دراستهم (ع) :

بعد أن ذابت تلك العوامل المقيتة التي فرضت على المؤرخين أن يذوبوا في عملية تمجيد للسلطة الحاكمة ويسخروا لصالحها أقلا مهم وينظروا للاحـداث بعين الحاكم لا الواقع .

بعد ان انقشعت هذه السحائب ، وانفرجت الأزمة نوعـاً ما تنبه المؤرخون والعلماء الى ضرورة تأريخ نقاط الضوء الحقيقية التي خلقت كل خطوة ايجابية في الواقع الاسلامي .

وكانت أروع نقطة لفتت انتباه الكثيرين منهم هذه السلسلة الدرية التي اتحف الاسلام بها العالم معجزة أخرى تضاف الى معاجزه أعني بها أهل بيت الوحي والرسالة .

واختلفت زوايا النظر فيما كتب عنهم (ع) :

فبعض اختص بعرض ما ورد من أحاديث الرسول(ص) في مدحهم وعلو مقامهم وحث الأمة على التمسك بهم والارتباط بمنهجهم .. ولعمري انه عمل مشكور خاصة اذا قام به فكر نقاد ويراع بارع، وعني القسم الاخر بذكر مواقع الصدام الذي جرى بينهم (ع) وبين رعيل أعدائهم المتكون من زمر مختلفة متباينة وبيان انتصارهـم بعد كل موقع .

بينما راح القسم الثالث يتناول تفاصيل حياتهم وما فيها من جوانب عظمة اخلاقية الى ما هنالك من نواح ولدت تخصصاً في هذا المجال بينهم . .

والملاحظ أن هناك بحوثاً حديثة أخذت تظهر الى الوجـود وهي تتخذ طابعاً آخر يختلف عن الطابع السابق ويتخذ له مساراً أقرب الى كشف الحقيقة حيث يعتمد عنصري الربط والمقارنة كما سيأتي :

المنهج التجزيئي

أن غالب الدراسات السابقة كانت تعنى بصورة عامة بدراسة حالاتهم المختلفة بصورة مجزأة وملاحظة المعطيات في حدود تلك الحالة دون تكلف عناء الربط بينها

وبين باقي الحالات الاخرى واستنباط الجوانب التي تتخذ فيها كل الحالات وتمييزها عن موارد الافتراق .

العقلية الفردية :

ولعل ذلك تابع الى حد بعيد للعقلية الفردية التي طغت على الفكر الاسلامي منذ ان بدأ ذلك الافتراق الفضيع بين (الواقع الاسلامي) و (التاريخ الاسلامي) أو بين (الفكرة المخططة) و (الفكرة المطبقة) . . ولئن كان ذلك الافتراق قليلا في مطلع الامر – شأنه شأن أي انحراف غالباً – فانه صار بالتالي سبباً لطغيان كثير من الافكار اللااسلامية وبدون قصد احياناً على الفكر المنتسب للاسلام .

ومن هذه الافكار النظرة التجزيئية للاشياء ، والتخطيط للفرد مع أهمال العنصر الاجتماعي تماماً .

ولا نريد ـ بهذا القول ـ أن نقلل من أهمية تلك البحوث والعياذ بالله الا اننا نقول انها لم تقم بما كان مطلوباً منها خير قيام فتضع كل عنصر مؤثر في العملية في محله الطبيعي وكل لبنة في مكانها اللائق في عملية البناء .

ولعلنا نمنحها الكثير من الحق بسبب ان الاطار الاجتماعي للتفكير كاد ان يذوب حتى في المجال الاستنباطي للقوانين التي جاء بها الاسلام حيث نجد التأكيد على النظرة الفردية فيها .

ولكن هذا لايمنع من ان يستهدوا على الاقل بمسلمات اجمالية بين الجميع وهي:

« ان الائمة (ع) كانوا معصومين من كل خطأ وزلل ، فهم يصدرون عن الواقع دائماً ، والواقع لا يتغير جوهره وان تغير ـ احياناً ـ مظهره » .

ان هذا المسلم كان جديراً لان يدفع الاجلاء لاثبات تطبيقه التام على حياتهم (ع).

ولا يعني ذلك اضافة عناصر ذاتية مطلقاً بل يعني السير التاريخي الاعمق بعد وضع الامر في اطاره الحقيقي الذي هو باختصار :

(كونهم « ع » امتداداً طبيعاً للقيادة التي حملت الاسلام وعملت على تطبيقه

باعتباره عملية تربوية كبرى للبشرية كل البشرية تتطلب جهوداً كبيرة ومدة طويلة).

وهذا يعني الى حد تام كونهم (ع) حلقات درية من سلسلة متكاملة قدمت للبشرية اطروحة واحدة الجوهر مرنة المظهر تبعاً للواقعية الكاملة التي شكلت الاطار العام للرسالة الاسلامية الخالدة .

ومن هنا نبعت الحاجة الملحة الى الخط الآخر الذي يدرس أهل البيت (ع) بناء متكاملا لن نستطيع الوقوف على جماله وتخطيطه الاذا وقفنا على التناسق والترابط القائم بين تشكيلاته المختلفة .

وبتعبير آخر انه بدأ يعنى بعرض كل العناصر التي لها دخل فى صياغة السلوك المعين لمعرفة الوجه الحقيقي له .

ولن يتأتى ذلك الا بملاحظة ظروف الموقف وموقعه من الخط العام للمسيرة التربوية الكبرى وآثارة على المدى القريب أوالمدى البعيد .

وعندما نقول هذا فلن نتحدث عن فكرة طوبائية مغرقة ـ والعياذ بالله ـ وانما نعني تماماً ما نقول .

فالمسألة مسألة اطروحة تتجاوز كل الحدود الزمانية أوالمكانية وتستمد من مسيرة الانبياء الاولين نقطة انطلاقها وتركز نظراتها على (اليوم الموعود) الذي يكون الدين كله لله فيه حيث تتجسد الحقيقة وتمتلىء الارض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً.

ومع هذه النظرة الضاربة بجذورها الى أعمق أعماق التاريخ والممتدة بفروعها الى أعلى قمة يمكن ان تصلها البشرية من حيث الكمال والسعادة ، مع هذه النظرة يدق الامر كثيراً ويخرج عن اطار حادثة تاريخية معينة يمر بها التاريخ على عجل ثم يهملها ، أو يصفق لها الى حين ثم يلقيها فوق الرفوف العالية .

ومن هنا يمكن أن نعتبر أن كل بحث قام به اليوم من لاتتوفر فيه امكانية الارتفاع الى المستوى الرفيع المطلوب، نعتبره تقصيراً بحقهم (ع) وتضييعاً لبعض أهدافهم وتكريساً لما سيأتي من اعتراضات نوجهها الى الخط الاول .

الاعتراض على العرض التجزيئي:

ويواجه مثل هذا العرض اعتراضات :

منها : تضييع الهدف الذي كانت ترمي اليه مجموعة متكاملة من التوجيهات يقوم كل فرد منها بالتقدم خطوة الى جنب باقي الافراد نحو الهدف المنشود .

فاذا جزئت تلك المجموعة فقدت خاصيتها الاصيلة ، وأصبحت حادثة عادية ـ على بعض الاحتمالات ـ أو نشازاً في البناء ـ على البعض الاخر ـ وضاع النظارة بين الموقفين اللذين يبدوان غير متلائمين بالنظرة البدوية الاولى ويدين النمط الاكثر من الناس الاكتفاء بمثل هذه النظرة في مجال الحكم على الاشياء وتقييمها ، أو فقل قد يستحكم التناقض حتى في مجال النظرة المركزة .

وهنا تبدو عملية الغمط الفضيعة لتقييم حياتهم حينما يقوم في ذهن الأفراد تعارض حاد بين صور مختلفة عنهم (ع) فهذا الامام أمير المؤمنين (ع) يتخذ الموقف الحدي الصارم تجاه أعداء الله ولا تأخذه لومة لائم فما ان يمتلك زمام الامور حتى يصدر أوامره بعزل الرؤوس المدبرة والمتنفذة في النظام السابق ولا يستمع الى أية (نصيحة ! !) بالابقاء الى مدة معينة حتى تتركز دعائم الحكم وتسري هيبته وحينذاك تتم عملية العزل هذه ، كما ويقوم بتنفيذ خطة واسعة لها الاثر البالغ في اثارة بعض الذي ضربت مصالحهم فيها وهي خطة استرجاع كل القطائع التي أخذت بغير حق في النظام السابق حتى ولو تزوجت بها النساء وتملكت بها الاماء .

هذه الصورة اذا عرضت مجزأة فانها تبدو في ذهن البعض ـ حتماً ـ معارضة للصورة التي نأخذها عن امام آخر هو الامام الصادق(ع) اذ اتخذ له شعاراً يقضي بالهدنة مع الحكم المنحرف والتفرغ لمجالات التنمية الثقافية والعقائدية وتربية الجيل الذي يحمل على عاتقه مهمة العمل للمستقبل ، وعدم التورط في ثورات جانبية على الحكم .

أو يبدو التعارض الاولي مثلا بين سلوك الامام الرائد الحسين بن علي (ع) اذ

يقوم في نفر قليل جداً وفي اوضاع وخيمة جداً كلها تنذره بالقتـل والمحق ولكنه يجابه كل العقبات ويعلن ثورته بصورة لاتبقي أي مجال للتشكيك في انه كان يقوم بعملية معروفة النتائج ليهز بهاكيان الدولة الاموية، ويبقى صامداً لا يتنازل عن مطلبه الى آخر لحظات حياته حتى ولو ذبح ابنه الرضيع على يديه . . واخيراً يقدم آخر قطرة من دمائه فداء لعقيدته و مطلبه و يموت عزيزاً . .

في حين نجد الامام الحسن (ع) يملك ـ في الظاهر ـ جيشا لجباً وسلاحاً ضارباً يصل به الامر الى ان يصالح عدواً لا يقل عن ذلك العدو الاول انحرافاً وطغياناً بل يزيد عليه انه سبب كل الانحرافات ثم ليقول (ع) بأن الذي فعل هو خير لشيعته مما طلعت عليه الشمس .

أو ان نجد الامام الكاظم (ع) يؤنب احد اصحابه على انه اكرى جماله للخليفة العباسي هارون الرشيد في سفر الحج لان ذلك يستتبع ان يأمل صاحب الجمال بقاء الطاغية الى المدة التي يستلم فيها اجرته ، في حين نجد اماماً آخر هو الامام الرضا (ع) تعلنه الدولة العباسية ولياً للعهد والشخص الثاني في توجيه ازمة المملكة أو أن نجد الامام الجواد (ع) يصاهر الخليفة .

وحتى يمكن تصور التعارض الظاهري بين امام ظاهر منزو وامام غائب عن الناس ينتظر الامر الالهي بالظهور ، وهذا هو الذي حدث بالفعل في بعض الأذهان غير المنفتحه انفتاحاً واقعياً على حياتهم (ع) .

وقد يبدو التعارض في حياة امام واحد كالامام الحسين (ع) نفسه فنجد انه(ع) قضى مرحلة من مراحل حياته صابراً محتسباً لا تبدو منه حركة ظاهرة قوية ضد النظام القائم ، في حين نجده في الشطر الاخر من حياته يستعمل أقوى أساليب التحرك .

كل هذه النتائج الخطيرة وآثارها السيئة لا على نظرتنا عن الائمة (ع) فحسب بل على الصورة الاسلاميـة التي لم ولن نجد صورة أنقى وأروع مما عرضوه في هذا المجال، كل هذه النتائج نابعة من تلك الدراسة التجزيئية الناقصة وعدم ملاحظة كل العناصر الدخيلة في صياغة الموقف .

على ان ذلك سيكون مثاراً للطعن في كثير من السلوكات الاسلامية التي قد نتأكد من اصالتها وصدقها اليوم أو تكون مستمسكا لكل من يريد سلوك طريق معين بل قد يكون أحد للسلوكين مبرراً لعمل والسلوك الاخر مبرراً لعمل آخر يناقضه تماماً في ظرف واحد أخذاً بتلك النظرة البسيطة للامور وغفلة عن العناصر الدخيلة فيها . هذا على أساس الخط الاول .

المنهج الشمولي :

في حين ان الخط الثاني يكاد أن يكون على النقيض من ذلك باعتبار انه لايتخلص من هذه النتائج فحسب بل يعمل على تربية نظرة أخرى تعرض الواقع الذي قدمه أهل البيت(ع) بأمانة ودقة ومن ثم تعرض الاسلام الذي يتجلى من خلال تلك المواقف باعتبارها المصدر الذي يشكل الى جنب القرآن العظيم ـ وبمقتضى حديث الثقلين، كتاب الله والعترة ـ المسرح الوحيد الذي يمكننا ان نلحظ فيه حركة منهج الله في الارض مجسدة في تعاليم خالدة وعلى ضوء هذا المنهج يمكننا حينذاك أن نتأكد بالتفصيل بعد ان تأكدنا بالاجمال من أن :

كل امام منهم (ع) قام بأروع ما يمكن ان يسلك بملاحظة كل العناصر الدخيلة وبحيث اننا نجزم بأن الحسين (ع) لو كان في مقام الحسن (ع) لصالح ولو كان الحسن في مقام الحسين (ع) لثار .

وهكذا كل موقف سابق بدا لنا بصورة متعارضة اذ يتحول بالتحليل من معارض الى متمم وهكذا تتلاحم كل المواقف القيادية في حلقات طولية متممة ما أن يتدرج الفكر معها بدقة ووعي حتى يصل الى أورع تشكيل تربوي قامت به فئة من خيرة البشرية بأمر من الله تعالى خالق الكون وبتسديد منه ومدد متواصل واستهدفت السير بها سجحاً الى حيث الغاية التي ارادها الله لها وعندها يحل اليوم الموعود .

الاستهداء بالسنة :

ويمكننا فى هذه النقطة ان نستهدي بكثير من الاحاديث المباركة ومنها الحديث النبوي الشريف الذي يقول فى الحسنين (ع) بأنهما (امامان قاما أو قعدا) ومعنى (امامان) انهما يعبران عن أفضل سلوك واقعاً يتطلبه الموقف ، ويفرض على باقي المسلمين الاقتداء والاستهداء .

وكذلك الاستهداء بحديث الثقلين نفسه الذي قرن العترة الى الكتاب الكريم، فمن هذا القرن نستفيد اموراً جليله منها ما قررناه فى هذة النقطة وذلك ان القرآن الكريم «كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير» (١) فهو (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) فهم (ع) يصدرون عن فعل واحد وقول واحد جوهراً وان اختلفوا مظهراً وجسماً والا فمن البديهي (أن صدور أية مخالفة للشريعة سواء كانت عن عمد أم سهو أم غفلة تعتبر افتراقاً عن القرآن فى هذا الحال، وان لم يتحقق انطباق عنوان المعصية عليها احياناً كما فى الغافل والساهي ، والمدار فى صدق عنوان الأفتراق عنه عدم مصاحبته لعدم التقيد باحكامه وان كان معذوراً فى ذلك فيقال فلان ـ مثلا ـ افترق عن الكتاب وكان معذوراً فى ذلك ، والحديث (يعني حديث الثقلين) صريح فى عدم افتراقهما (الكتاب والعترة) حتى يردا الحوض) (٢) .

ولنا هنا ان نشير الى ان الحديث بلفظه هذا هو المتواتر بكل طبقاته فى حين وردت بعض اخبار الأحاد التي لاتزيد على كونها مرفوعة او مرسلة وفيها بدل كلمة (وعترتي) كلمة (وسنتي) ولكنها مع الضعف فى السند والمناقشات المذكورة فى محلها فى الدلالة لاتستطيع ان تقف بوجه حديث الثقلين مع وفرة رواته فى كتب السنة وتصحيح الكثير من رواياته) (١) .

---

(١) الاية الاولى من سورة هود .

(٢) أصول الفقه المقارن ص ١٦٦ .

(١) نفس المصدر ص ١٧٢ .

وحول الحديث كلام قيم لا مجال له هنا فليراجع في مظانه .

كما ويمكننا في صدد هذه النقطة ان نستجلي الكثير من الاحاديث التي تصفهم (ع) بأنهم سفن النجاة (١) وانهم امان للامة (٢) وانهم باب حطة (٣) وانهم قدوة هذه الامة (٤)

فاذا استطعنا ان نجسد هذا المنهج اكتشفنا السر الكامن في التلاحم الجوهري بين مختلف انحاء السلوك والترابط الخلقي بين كل المواقف تماماً كما نلاحظ ذلك ايضاً في حياته (ص) فنحن نرى النبي (ص) يعيش تارة مرحلة البناء العقائدي الفردي وبصورة سرية ثم . ينتقل الى المرحلة التي يعلن فيها دعوته الخالدة مستمراً في بنائه الفردي متخذا مختلف المواقف الايجابية الى تتمثل في خط التعاون مع المجتمع في نواحيه الخيرة وتنميتها والوقوف ـ ولو بشكل الرفض ـ امام الانحرافات القائمة فيه كما نراه (ص) عندما ينتقل الى مرحلة بناء المجتمع المسلم يتخذ مختلف المواقف فينتقل من الدفاع الى الهجوم ومن الصلح الى الحرب الى غير ذلك معبراً في ذلك عن (ايجابية مرنة وحركية واعية) تفرضها الحكمة في العمل وهذا بالضبط ما سلكه اهل البيت (ع) .

على اننا يجب ان لا ننسى ما اشرنا اليه سابقاً من ان الدور المفروض لاهل البيت ، والموقع المخطط لهم (ع) من عملية التربية الكبرى للبشرية اختلف كثيراً عن الدور الذي فرضته عليهم الظروف بعد ذلك .

وتوضيحاً لهذه النقطة نقول ـ بايجاز ـ :

ان دورهم انتقل من عملية الاستمرار بالتجربة الرائدة وايصالها الى الهدف المنشود واليوم الموعود الى عمليتي تفاد من جهة، ومواصلة من جهة اخرى: عملية تفادي صدمة الانحراف وتحول الحكم الاسلامي الى كسروية ضاربة وقيصرية جشعة ـ كما هو في عهد الامويين ـ بما يستتبعه ذلك من عواقب وخيمة الاثر واسعة المساقط السيئة في حياة ومسيرة المجتمع المسلم ، وعملية مواصلة المهمة الكبرى التي بدأها (ص) .

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) راجع كتاب المراجعات للامام شرف الدين .

ان كل هذه الامور الهامة لو اخذت بعين الاعتبار لما بقي ادنى شك فى وحدة السلوك . وسيأتي ـ انشاء الله ـ توضيح اكثر لهذه النقطة فى الحلقات القادمة .

مستوى الصورة الفردية والواقع :

والحقيقة ان الخط الاول هوى بهم (ع) الى مستوى هم ارفع بكثير منه . انه نظر للامام (ع) مجرد انسان يكرم الناس كثيراً ، ويسلم على الناس ويتحمل عذاب السجن، وينفرج له الناس من هيبته وجماله وغير ذلك من الصفات الحسنه والاخلاق العالية وهذا كله صحيح اذا استثنينا منه عبارة (مجرد . . .) والا فانا نستطيع ان نجعل الى جنبهم اناساً اعطوا كل وجودهم للكرم ، واناساً امتلكوا من الجمال ما تحسده الحور وتتمناه .

ان كل تلك الصفات امر طبيعي الوجود فى الامام القائد القدوة ، ولكن الاهم من كل تلك الصفات تلك الوحدة السلوكية بينها .. جميعاً والاهم من الجميع ذلك الجانب التربوي المخطط والاطار القيادي الذي صدر ضمنه اي سلوك مفروض ، ومع عدم ملاحظته سيفقد العمل عظمته الحقيقية وصورته المناسبة لمستواه .

وهل هناك اروع من عنصر القيادة البشرية المتجاوزه كل الحدود الزمانيه والمكانيه والتي ترمي الى تنفيذ تخطيط شامل للبنيات الفردية والاجتماعية لمختلف الاجيال ؟ !

ان تلك النظرة البعيدة الشاملة يعبر عنها امير المؤمنين (ع) فى ما ينقل عنه عليه السلام من انه لما اظفره الله بأصحاب الجمل وقال له بعض اصحابه «وددت ان اخي فلاناً كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك . فقال له عليه السلام : **أهوى أخيك معنا؟** فقال نعم قال (فقد شهدنا . ولقد شهدنا فى عسكرنا هذا أقوام فى اصلاب الرجال وارحام النساء . سيرعف بهم الزمان ، ويقوى بهم الايمان) (١) .

---

(١) *نهج البلاغة* شرح عبده ج ١ ص ٤٤ .

فاذا سلب هذا الاطار وسمر النظر على الواقعة مجردة ضاع ذلك الجمال وذابت الصورة الحقيقية .

ألست ترى ـ مثلا ـ ان هندسة حوض ما بنفسها قد لا تحوي عناصر جمالية فاتنة ولكن اذا وضعته ضمن بناء مترف جميل واطلعت على خصائصه العالية رأيته عقداً على صدر عذراء أو وردة في بستان أغن .

وختاماً : نود ان نقول :

اننا لا ندعي لانفسنا القدرة على القيام باعباء المنهج الافضل وقد يكون كل ما نحاوله بدائياً في هذا السبيل ولكنه على الاقل سيشجع في دراسات نحن ـ والامة كلها ـ احوج ما نكون اليها لاجل تموين مسيرتنا المتعثرة اليوم ورسم خطوطها العريضة وبعث روح اهل البيت وضاءة ناصعة في وجودنا الذي يقرب اليوم من حافة الخواء ، ولئن بعثت هذه الروح ـ وهي روح الاسلام من معينه الاصيل ـ فاننا حينذاك مع الخير كل الخير على موعد لا نخلفه ان شاء الله تعالى .

وهكذا نوجهه نداء الى كل اخواننا المحققين ونلتمس من كل اساتذتنا الاجلاء ان لا يهملوا هذا الجانب ، فانه يكاد ان يتعين علينا احياء ما أغفله مؤرخونا من نماذج عالية وهبتها السماء للارض كي تمتد خلال اطارها ، وتستوحي روحها الخالدة . .

العقيدة والنظام

السيد جعفر مرتضى - قم

من الواضح أن تصرفات الانسان وأعماله تنتظم في مجالين : خاص : وهو ما يخص حياته الفردية ، ويتعلق بشؤونه الخاصة به التي لا ترتبط بالاخرين لا من قريب ولا من بعيد . . وعام : وهوما يرتبط بحياته الاجتماعية وعلاقاته مع الاخرين من أي نوع كانت تلك العلاقات ، وعلى أي مستوى كانت .

وتصرفات الانسان في كل من المجالين ، الخاص والعام قد يكون فيها خير الانسان وسعادته ، بل وخير الاخرين وسعادتهم . وقد تجلب له ، وللاخرين احياناً - من حيث يعلم أو من حيث لا يعلم - الضرر والبلاء والشقاء .

اذن . . فلا بد لكل هذه التصرفات والاعمال من قوانين ، ونظم ، وضوابط تضمن أن تكون جميعها موجهة لما فيه خير الانسان ومصلحته ، مبعدة له عن كل تصرف أو عمل يجر عليه الضرر والبلاء ، ويعكر عليه صفو حياته .

وانما قلنا : « في كل من المجالين الخاص والعام » باعتبار أن كل تشريع يهمل أحد هذين المجالين ، أو يؤثر أحدهما ، أو يأخذ من أحدهما ليعطي الآخر - كل تشريع من هذا القبيل - يعتبر ناقصاً بل ظالماً للانسان ، لا يصلح أبداً نظاماً لحياته ولا قانوناً لتصرفاته ، لأن اهمال أي من الناحيتين يعتبر جناية على الانسان وجريمة في حقه ؛ حيث يبقى الباب مفتوحاً ، والمجال مفسوحاً أمام المفاسد والاضرار لتتسرب الى حياة الانسان ، وتعكر عليه - من ثم - صفوها ، وتذهب ببهجتها وبهائها .

* * *

وجميع الانظمة الوضعية التي تحكم المجتمعات البشرية اليوم ، أو تهيمن عليها قد وقعت في هذا الخطأ الفاضح ، الذي لم يكن الوحيد في سلسلة اخطائها المتعددة، والذي جر على الانسان ـ ولا يزال ـ الكثير من الويلات والمصائب ودفع بالبشرية سواء على مستوى الفرد أو على مستوى الجماعة الى متاهات ومنحدرات، أو بالاحرى كوارث ونكبات أثرت أثراً بالغاً وعميقاً في شخصية الانسان ، وفي حياته الحاضرة ، ولسوف تؤثر بطبيعة الحال على حياته في المستقبل .

ولعل السر في نقص تلك القوانين . . **هو أن واضعها كلا أو بعضاً ومشرعها هو هذا الانسان المحدود** بحدود الوجود والزمان والمكان ، والذي لم يقدر أن يطلع ، بل هو لا يستطيع أن يطلع على سرائر البشر وأسرارهم ولا على عواقب الامور، ولا على حقيقة التطورات والتحولات التي طرأت أو سوف تطرأ ـ و باستمرار ـ على هذا الانسان، بل هو لا يستطيع أن يفهم حتى الظروف التي يعيشها الانسان فعلا وتكتنف حياته .

واذا كان الانسان لا يستطيع ذلك ، فبالاحرى ان لا تكون له القدرة على أن يضع قانوناً أو نظاماً كاملا وشاملا فضلا على ان يكون «أبدياً» ، يحكم تصرفات البشر، وينظم أعمالهم ويأخذ بنظر الاعتبار جميع الظروف والاحوال التي تحيط بالانسان وتكتنف وجوده .

* * *

وعليه فان علينا أن نستمد التشريع من غير هذا الانسان المحدود ، يكون واضعه المطلع على الحقائق والخفيات ، والعالم بما كان من التحولات والتطورات، يكون واضعه من « **يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها** » (١) .

وكان التشريع الوحيد الذي ينسجم مع واقع الانسان ، ويلائم فطرته في كل

(١) سورة سبأ الاية ٢ .

حال وكل زمان ومكان ، هوالتشريع الاسلامي ، الذي هو «دين الفطرة» . قال تعالى « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » . فكل تشريع يتنافي مع فطرة الانسان ولا ينسجم معها هو بلا شك ليس من الاسلام ، لا من قريب ولا من بعيد .

ولقد لاحظ الاسلام فى تشريعاته وقوانينه هذا الانسان ، فى جميع شؤونه الاجتماعية ، والشخصية ، ووازن بين روحه وجسده ، لم يظلم احدهما بأن بخسه حقه ، ولم يظلم الاخر بأن اتخمه بالعطاء الى الحد الذي يجعل ذلك ضرراً وبلاء ووبالا عليه .. وهو ايضاً قد اهتم فى أن يفرق بين آمال الانسان الواسعة وبين الواقع ونفس الامر، كما انه فى نفس الوقت الذي منعه فيه من الاعتداء على الاخرين منعه ايضاً من الاعتداء على نفسه ، بأي نحو من انحاء الاعتداء ، وأية صورة من صوره ، لان اعتداء الانسان على الاخرين بنظر الاسلام ليس بأسوأ من اعتدائه على نفسه .

كما ان تشريعات الاسلام تتخذ صفة العموم والشمول لكل حال وزمان ومكان فما من حركة من حركاته وتصرف من تصرفاته الا وقد جعله الاسلام خاضعاً لقانون، ووضعه ضمن ضابطة ، لا يشذ عنها ولا يخرج منها .

وهذا مفقود فى جميع الأديان والتشريعات الاخرى (قديمها وحديثها) حتى تلك التي يدعى انها سماوية فى حين تختفى وراءهامطامع البشر وافكارهم.

ومن كل ذلك تتجلى لنا عظمة الاسلام وسمو مبادئه لانه من خالق العظمة ، وواهب السمو المطلع على حقائق جميع الموجودات ، والعالم بجميع السرائر والخفيات .

* * *

واذ قد عرفنا هذا . . فان من نافلة القول أن نقول : ان مجرد وضع قانون حتى ولوكان فى أعلى درجة من الكمال لايكفي في تحقيق الغرض المنشود، والمقصود من وضعه . . بل لابد لأجل تحقيق ذلك الغرض من تطبيق ذلك القانون والالتزام

بمقتضى النظام ، والعمل على وفقه . .

ومن أجل أن يتحقق الغرض المنشود والمقصود لابد أن يتوفر في عملية التطبيق هذه عنصران :

الاول : أن يتخذ التطبيق صفة الشمول والسعة لجميع الـوقائع ولمختلف الاحوال والظروف بحسب سعة وشمول نفس ذلك التشريع .

الثاني : أن يتوفر الدوام والاستمرار في التطبيق مادام هناك انسان يتصرف ويعمل،ومادام هناك قانون يمكن أن تسير التصرفات على وفقه وتطبع الوقائع بطابعه.

* * *

والتطبيق على هذا النحو لايمكن أن يكون عفوياً ، أو وليد الصدف . . كما أن الانسان بملاحظة ما فيه من النزعات والميول لا يمكن أن ينساق اليه طواعية وبالاختيار ، فكان لابد من أقامة مراتب ومحاسب واع ودقيق ، يشرف على الانسان في تطبيقه لاحكام القانون ، والتزامه بمقتضيات النظام ، يحاسبه على كل مخالفـة ، ويلفته الى كل خلل أو خطأ يصدر منه، بل ويدفعه ويحثه . . . بل ولو اقتضى الامر يقهره ويجبره على الالتزام به ، وتطبيق أحكامه .

وقد رأينا النظم الحديثة والتي لم تلاحظ الانسان الا من خارج أي من خصوص المجال العام بل هي قاصرة محدودة حتى في هذا المجال (١) ـ رأيناها ـ قد فشلت وعجز بوليسها ، وقوى شرطتها ، وأمنها عن ضبط أعمال وحـركات الانسان التي تخص المجال العام، بل ان القرائن والدلائل تشير الى أنها سوف تعجز حتى ولو وكلنا بكل فرد فرد من الناس مراقباً ومحاسباً يختص به .

واذا عجزت الشرطة والبوليس ، وأجهزة الامن عن ضبط أعمال الانسان

---

(١) فمثلا لا نرى النظم الحديثة قد أخضعت الغيبة ، والكذب والنمية ، ومعاملة الرجل أطفاله الصغار ، وكثير غيرها لاحكام القانون . ولضابطة معينة تكفل عدم صدورها من الانسان مع انها من جملة الجرائم التي من شأنها أن تجلب الضرر والبلاء عليه بخلاف الاسلام فانه لم يهمل شيئاً يتصل أو يمكن أن يتصل بحياة الانسان من قريب أو من بعيـد ، كبيراً كان أو صغيراً .

وتصرفاته ، وعن فرض النظام والقانون عليه في جانب من المجال العام . . فكيف يمكن أن تتصور أنها تتمكن بالاضافة الى ذلك من الاشراف عليه ، وضبط أعماله وتصرفاته فى المجال الخاص الذي هو أكثرسرية وخفاء ؟! وكيف يمكن أن تضمن لنا تطبيق النظام والقانون فى المجال الخاص تطبيقاً كاملا ودقيقاً؟ !!ان ذلك بطبيعة الحال أمر غير ممكن ولا متصور . .

* * *

هذا . .واذا كان الاسلام هو الدين الوحيد الذي اتخذت تشريعاته صفة تميزها عن سائر القوانين والتشريعات الاخرى من حيث العموم لكل الظروف والاحوال والازمنة والامكنة ، بل ولجميع مراحل حياة الانسان ، والشمول لجميع الوقائع وفى كل المجالات . .فانه لا محالة يتحمل في مجال التطبيق مسؤولية كبرى تفوق مسؤولية أي تشريع آخر .،اذ أن العموم والشمول من تشريعاته يحتم عليه أن يقيم على كل فرد فردحارساً ومراقباً يشرف على تطبيق أحكام النظام بدقة ووعي،بل ويحثه ويدفعه على مواصلة التزامه العملي ، وان أقتضى الامر يجبره ويقهره على العمل وفق النظام ، وضمن حدود أحكام الاسلام .

فهل استطاع الاسلام أن يهتدي الى ذلك المراقب ؟ وما، أو من هو ؟ وعلى أي نحو يا ترى يقوم بعملية الرقابة ؟ .

* * *

نعم لقد استطاع الاسلام ذلك،وكان اختياره للمراقب، ولنحو وكيفية الرقابة كاحسن ما يكون الاختيار .

لقد كان فى اختياره فريداً من نوعه،مخالفاً من ذلك لجميع التشريعات والنظم الاخرى وما ذلك الا لانه صادر عن خالق الكون والحياة علام الغيوب أحكم الحاكمين.

لقد استطاع الاسلام أن يقيم مراقباً ومحاسباً على كل فرد فرد ، باستطاعته أن يسجل عليه كل مخالفة، وأن يحاسبه عليها فوراً،وباستطاعته أيضاً أن يجبره ويقهره دائماً على موافقة القانون ، والالتزام بأحكام النظام .

ويبقي سؤال ما ، أو من هو ذلك المراقب الذي استطاع أن يتحمل هذه

المسؤولية الخطيرة والشاقة في نفس الوقت ؟

انئامن أجل أن تتضح لنا الاجابة القاطعة علىهذا السؤال نرى لزاماً علينا أن نسهب فى القول ، ونتوسع فى البيان ، فى حدود ما يسمح لنا به المجال .

* * *

ان الاسلام قبل أن يكلف الانسان بالالتزام بالنظام ، ويطلب منه تطبيق الاحكام اهتم بأن يبنيه ويحافظ عليه من الداخل ليترتب على ذلك ـ تلقائياً ـ بناؤه والحفاظ عليه فى الخارج . . اهتم بأن يتصل بعقله أولا ، وعن طريقه يتصل بروحه وليكون العقل منثمقائداً للروح ومدبراًلامورها وسيداً عليها لاتنساق و‌ ء عاطفة ولا يسيرها سلطان هوى .

ومن هنا نعرف لماذا اهتم القرآن الكريم بالعقل فانه لم يدع فرصة تمر دون ان يخاطب عقل الانسان ويمجده بل لقد جعل العقل هو الفصل في مختلف الامور كبرت او صغرت وجعل كلمته هي العليا في جميع المجالات ووبخ من يهمل عقله ولا ينقاد له في اكثر من مورد ومقام .

وهذا مما تفرد به دين الاسلام الذيارتضاه الله تعالىلنا . . ومن هنا ومن أجل ان الاسلام قبل أن يطلب من الانسان الالتزام بالنظام وتطبيق الاحكام يريد أن يبنيه من الداخل ويتصل بروحه ويجعل العقل هو القائد لها والمدير لامورها.

نراه قد اعطى الامور الاعتقادية المقام الاول وجعلها الاســاس للنظام اذ ان النظام ما لم يكن مرتبطاً وصادراً عن الاعتقاديات فانه لن يحقق الغرض المنشود والمقصود منه هذابالاضافة الى انها تلبيحاجة طبيعية فيالانسان وتقوم ببناء شخصيته بناء صالحاً وسليماً الى غير ذلك من المنافع التي لسنا الان بصدد بيانها .

ومن هنا ايضاً نراه قد قرر ان الاعتقاد بالاعتقاديات والحصول على القناعة النفسية فيها يجب ان يكون مستنداً الى حكمعقله ـوعقله وحدهـ فلم يقبل الا ما كان الاعتقاد به عن طريق البرهان الجلي والدليل القاطع ، ولم يرض من الانسان أن يقف من الاعتقاديات موقف اللامبالاة ، أو أن يأخذها عن طريق الوراثة أو التقليد

مع أنه قد اكتفى فى النظام بأن يستند فيهالعبد الى التقليد ،وان كان قد شرط لذلك شروطاً ، ووضع قيوداً .

نعم . . لقد طلب من الانسان فىالاعتقاديات أن يهتدي بهدى العقل ، ويتخذه مرشداً وهادياً،ليأخذ ـ عقله ـ بيده عن طريق الدليل والبرهان القطعي ، ويوصله الى الايمان بالله ، وقدرته وعدله وحكمته،وسائر صفاته الجمالية . والى نبوة نبيه وامامة أوليائه والنشر والحشر ، وغير ذلك مما يتفرع منه أو يضاف اليه . . وكذلك الى أن يؤمن ويثق بدينه وقرآنه وبأن دينه يستطيع ـ لو التزم بجميع أحكامه ـ أن يحل له جميع مشاكله ، ويذلل له كل الصعوبات والعقبات التي تواجهه وتعترض مسيره فى حياته، وأنه نظامكامل وشامل لانه صادر عن ساحة القدس والكمال،وعن المحيط بجميع الموجودات ، والعالم بجميع الخفيات .

* * *

وبعد أن يصلالانسان الىهذه المرحلة وتتركز وتترسخ هذه العقيدة وما يلازمها و ما يتفرع عنها من نفس هذا الانسان ، من حيث أنها مستندة الى الدليل والبرهان وبعد أن يصبح فى مأمن من نوازعالشك والريب فى الله ، وفي قدرته وفي دينه..

نرىالاسلام أيضاً لم يوجب عليه الالتزام بأحكام النظام الا بعدأن أفهمه صريحاً تارة وتلويحاً أخرى،أنه ـ أي الانسان ـ هو المسؤول عن جميــع تصرفاته ، وهو المحاسب عليها لا يتحمل عنه مسؤولية أي تصرف يصدر منه ، قال تعالى : « يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها» و «كل نفس بما كسبت رهينة» وعرفه انه سوف يحاسب على كل حركة من حركاته، وكل سكنة من سكناته خيراًكانت أم شراً صغيرة كانت أم كبيرة «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» . «ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولاكبيرة الا أحصاها» .

وعرفه ان المحاسب له هو أسرع الحاسبين «ونضع الموازين القسط ليـوم القيامةفلاتظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل آتيناهاوكفى بناحاسبين» كما أنه عرفه أيضاً أنه اذا نجي من العقاب فى الدنيا وتمكن من أخفاء نفسه من وجه

العدالة فيما شرح له من العقاب الدنيوي ، فليس معنى ذلك أنه أصبح فى مأمن ، وأنه سوف لا يناله عقاب بعد .

ومعنى هذا انه سوف يبقى ينتظر عقابه ، وانه فى طريقه الى ذلك العقاب ، أنفاسه خطاه اليه تقربه منه على الدوام . . ولسوف يدرك أنه لا ولن يقر له قرار الا بالابتعاد عن المعصية ، ولا ولن يسعد الا بالطاعة ، كل ذلك كان نتيجة جعل العقاب فى مستقبل الانسان ، فى الدار الاخرة .

* * *

ومن جميع ما تقدم نعرف أن الاسلام قد اختار المراقب والمحاسب من داخل نفس الانسان ، ليشرفه ويحاسبه ويراقبه لانه بعد أن أقنعه بما يجب أن يقتنع به ، وحمله مسؤولية أية مخالفة تصدر منه ، وجعل العقاب أمامه وفي مستقبله ، فمن الطبيعي بعد هذا أن يحكم عليه عقله بمراقبة نفسه ، ومحاسبتها ، على كل خلل أو خطأ ، أو مخالفة تصدر منها وقد اشير الى هذا المعنى في كثير من المواضع حيث قد أرشد الانسان ودعي الى مراقبة نفسه ، ومحاسبتها ، قال تعالى :

«يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون» .

«وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى» .

«واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه» . «يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم» .

«يا أيها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم» .

وقال عليه الصلاة والسلام : **«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»** ، الى غير ذلك من الايات والروايات التي يضيق المقام باستقصائها ومن الطبيعي أن الرقابة التي تنبع من الداخل تكون أكثر فعالية ودقة من تلك التي تأتي من الخارج ، فان **«الانسان على نفسه بصيرة»** ، وهو أكثر اشفاقاً على نفسه ، وحباً لها ، وتفانياً فى سبيلها من الاخرين ، مما يدفعه لأن يبالغ فى الحفاظ عليها ، وأبعادها عن كل ما يجلب لها ضرراً وبلاء . .

الا أن من الواضح ان مجرد أن يحمل الانسان المسؤولية ، وان يؤمر بمراقبة نفسه لا يكفي بحال من الاحوال لان يكون دافعاً وباعثاً له على الالتزام بالنظام وتطبيق أحكام القانون تطبيقاً كاملا وشاملا ومستمراً ، لأن الانسان قد ينسى ، وقد يغفل ، بل هو كثير الغفلة والنسيان . . بل انه كثيراً ما ينساق وراء ميوله ونزعاته ، ولا تنفك نفسه تؤامره وتهون عليه الانحراف عن الخط القويم، وتنكب النهج المستقيم ... قال تعالى على لسان امرأة العزيز :

« ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي » .

وعلى هذا فان من الضروري وضع ضمانات ومؤمنات ، تضمن وتؤمن استمرار اتصال الانسان بالله تعالى ، ليستمر شعوره بالمسؤولية أمامه جل شأنه .

وكان لابد أيضاً من تربية نفسية الانسان من الداخل تربية صالحة تمكنه من السمو بنفسه على هذا العالم الذي يعج بالموبقات ويزخر بالمغريات والشهوات الى عالم أصفى وأروع وأطهر .. وليكتسب منه ـ من ثم ـ طيبة ، وصفاء ، وطهراً ، وليستفيد من ذلك سمواً في تفكيره، وفي أعماله، وفي تصرفاته، وفي نظرته للحياة من مختلف جوانبها نظرة الواعي المتزن ، الذي لا تبهره الاشكال ، ولا يغتر بالظاهر .

* * *

ولم يهمل الاسلام هذا الجانب أيضاً . . فكان هذا الغرض والهدف هو أحد الاغراض والاهداف التي تؤديها العبادات في الاسلام ، وان لم يكن هو كل الهدف منها .

فالعبادات وخصوصاً «الصلاة» منها، تضمن استمرار شعور الانسان بالمسؤولية أمام ربه وخالقه ، لانها مضافاً الى ما فيها من الاداب والحقائق ، التي يجب ان يعيها الانسان ، ويلتفت اليها باعتبار ان ذلك ضروري جداً لحياته . . ومضافاً الى أنها قد اشتملت على الاسس الرئيسية للجانب العقيدي الذي هو الجانب الاهم في الاسلام .. فالتوحيد من قوله « أشهد أن لا اله الا الله » في التشهد وسورة الاخلاص وغيرها .

والنبوة كما في قوله « وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » والعدل كما في قوله

«سبحان الله وسبحان ربي العظيم وبحمده» وغيرهما حيث ينزه الله تعالى عن كل مشين وقبيح بما في ذلك الظلم، والمعاد كما في قوله «مالك يوم الدين»، والتذكير بآل البيت أيضاً، الذين هم أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، والذين هم أحد الثقلين، في قوله في التشهد «اللهم صل على محمد وآل محمد».

ان الصلاة بالأضافة الى كل ذلك تقوم بربط الانسان بربه، ووضعه أمامه وبين يديه خمس مرات يومياً، وباستمرار وتذكره دائماً بأن لا ينساق وراء نزعاته، وميوله وشهواته، وان لا يوافق نفسه على ما تؤامره عليه، كما انه لا يبقى مجال للغفلة، او النسيان وادعائهما.

وينعكس اثر ذلك بالضرورة على اعماله التي يقوم بها، وتصرفاته التي تصدر عنه.

ويكون ذلك حافزاً، ودافعاً بل وواضعاً للانسان من حيث يشعر، أو من حيث لايشعر على الخط القويم الذي يجب ان يكون عليه، ملتزماً بالنظام ومطبقاً للاحكام سواء في ذلك ما يرتبط منها بالمجال العام او ما يرتبط منها بالمجال الخاص.

فالعبادات وخصوصاً الصلاة لو لا انها تضع الأنسان باستمرار امام ضميره وامام الواقع وامام الله الذي يعترف به وبقدرته وعدله وسائر صفاته عن الدليل والبرهان القطعي... لبقي الانسان في منأى عن كل ذلك ولا يحسب له اي حساب ولا يرى له اية قيمة حيث تتضاءل مكانته في نفسه رويداً رويدا نتيجة لابتعاده عنه وتموت في نفسه الأبعاد الحقيقية للعقيدة... ولم يمكن تبعاً لذلك تطبيق احكام القانون تطبيقاً كاملا وشاملا ومستمراً.

* * *

ومن هنا يتضح لنا جلياً كيف انه اختار ذلك الرقيب من داخل نفس الأنسان الذي هو اشفق على نفسه واعرف بها من اي رقيب آخر ولعل هذا هو السبب ايضاً في كون الصلاة «تنهى عن الفحشاء والمنكر» وفي كونها عمود الدين.

يتضح لنا كذلك مدى الترابط بين كل من العقيدة والنظام في الدين الاسلامي

وان النظام لايمكن ان يكون ذا قيمة عملية الا اذا اعتمد على العقيدة واستند اليها.. حيث ان الجانب العقيدي يكون الاساس الذي يقوم عليه النظام ويلعب الدور الرئيسي في اقامة وتجسيد ذلك النظام في الخارج ، وبعث الحياة منه واستمرارها .

ونعرف ايضاً ما هو الدور الذي تؤديه العبادات وخصوصاً الصلاة منها في الربط والوصل بين العقيدة والنظام ، ومدى اهمية ذلك الدور وخطورته هذا بالاضافة الى انها تشريع يربي الانسان ويبني شخصيته الى جانب كثير من المنافع الاخرى التي لسنا بصدد بيانها .

وليكن هذا بمجموعه واحداً من تلك الادلة التي توافرت على عظمة الاسلام وكماله وتفوقه على كل تشريع او نظام سواه حيث انه صادر عن الله الذي **« وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم »** .

وليعيش الانسان ــ الفرد منه والجماعة ــ في ظل الاسلام ، ملتزماً بأحكامه وتشريعاته لتكون حياته ــ من ثم ــ حياة هناء وسعادة ، تفيض باليمن والبركة والخير والرفاه .

..الا الذين آمنوا وعملوا ...

بسم الله الرحمن الرحيم

« والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

خمائل الشعر

في عيد الغدير

الاستاذ حمود السيد باقر

هات لي يا ليلة العيد عبير
من شذى العيد بذكراه اسير
من نجوم الليل والصرح الكبير
انذر اليوم لها قلبي الكسير
يرتوي منه فيشدو للغدير

* * *

بت قبل اليوم عيدي يتنظر
في ضحى النور وقلبي يتضور
يسكب الراح وما في الراح عنبر
ينشر الليل أكاليلا تعطر
عل يا عيد له عيد فيسهر
عله ينسى به ما كان يسمر
عن لياليه فكم القى واسكر
هدّه الوجد وبالذكرى تفجر
بعبير منك ياعيد واكثر
وانطلاق لليالي الشوق ينذر
زفه اليوم الينا في المسير
يرتوي منه فيشدو للغدير

* * *

كم به الاضواء شعت كم سماء
اوقدت منها الليالي كم سناء
قد ترامى من بعيد في المساء
ينثر الذكرى وطيفا من لقاء
لابتهالات الدنى طراً نداء
لابتسامات على الكون تضاء
واضطرام فى الاعالي ولواء
يخفق اليوم يغنى البؤساء
ليلة العيد غدا نلقى الفداء
(ايها المبعوث بلغ . . .) ذا النداء
ايه يا قلب ابتهج هذا المسير
يرتوي منه فيشدو للغدير

* * *

يرتوي السمار والليل زهور
يرفعون اليوم للكون حبور
جاءهم من قومهم ليث غيور
من اياديه يقيمون العصور
كم يشيدون وكم يسطع نور
كم يصوغون له بين الصدور
من صروح عسجديات السطور
انه في ساعة اللقيا صبور
قائم الليل ولله شكور
ليلة العيد وقلبي في المسير
يرتوي منه فيشدو للغدير

عبر ...

احمد حسن الامين ـ لبنان

مما بدا في وجهك القدر — وربيع عمرك مخضل نضر
والأرض ميدان وانت اخو — عزم وفيك السمع والبصر
والناس اكفاء اذا انتسبوا — بيض وسود كلهم بشر
ويفوز من يسعى بحاجته — يوماً ويعدو القاعد الظفر
ان كان مايشجيك فقدك من — احببت فاذكر شأن من غبروا
او كنت فى قوم قد اتبعوا — اهواءهم وبربهم كفروا
فاثبت مع الحق الذي هجروا — واصبر فان الحق منتصر
والفقر لا يزري بذى شرف — اغناه عن امواله الخطر
الفقر فقد النفس عزتها — مهما احاطت ربها الدرر
كم فى حياة المرء من عبر — تترى لو ان المرء يعتبر

محمد علي علي اكبر

نوّر الفجر .. فيا دنيا ابسمي فاض بالروح غدير النعم
ويموج الأفق في عيني التي بهرتها عبقات العظم
ايه .. يا شاعر .. سربي للعلى للدوالي الخضر .. مهد الشمم
سربنا . ننعم في ارض الصفا لنرى السر بقلب الحرم
وتخطيت الحدود ارتفعت لتواري تلعات العدم
وهنا . يا للكمالات اسجدي فتق الوحي ضمير البرعم
وهنا .. مولده . يا خاطري روعة الاحلام أنست حلمي
والرسول المصطفى يحمله وينمي فيه غرس الشيم
تنحنى الشمس جلالاً عندها والنجوم الغر فيها ترتمي
ولمى السحر هناك استعرت واستجارت من هوى منكتم
والجمال اشتق من لألائه روعة الفجر ونعمى النسم
صبها في قالب من ورع وصفاء وجهاد ودم
فاذا الكل امام قائم بالهدى يمحق دنيا الظلم

* * *

يا بساط الحب . صفق بالهنا واحمل القلب وطر للقمم
تاركاً دنياي . كالانثى التي زوّقت خداً . ولا من رحم
أترعت بالبؤس يجتر الاسى بلهاث خانق بالندم
بينى الانسان عادت حالهم تشتكي نفس شحوب القدم

يا بساط الحب طر بي للعلى　　لحياة الخير . . روض العصم
حيث دنياً بالتقى عامرة　　تمنح الكون حقول الكرم
هل ترى للنور من بارقة　　آه . . حدق . . يا بساط الحلم
وجم الحب فتلك انبجست　　اصبع فاض لمرآها فمي
مدت الوعي الى عاطفتي　　وأشارت بالولاء . . استلمي
تلك سيناء ففي خاشعة　　ذاك نور الله . . هيا اغتنمي

* * *

عشت في دنياه عمري كله　　وصفا للحق لحمي ودمي
عشتها دنيا البطولات التي　　غمرتني بعطايا زمزم
وعرفت الحق كيف ارتفعت　　راية منه بجهد مفعم
رمت وصف النور كي تحيا به　　انفس تاقت لنعمى الديم
فحشت الحرف وهو المرتجى　　حينها . . لكن جفاني قلمي
قلت للتأريخ . . صف لي مجده　　قال لي يا صاح دنيا العظم
فاذا المنبر جلى وجهه　　نثر الدر ربيع الحكم
واذا النار تهادى ضيفها　　بسوى يمناه لم تضطرم
قلت ياصاح .. افدني .. ان لي　　لهفة شبت فاشبع نهمي
وارسم النور على باصرتي　　قال لي .. اوجز .. فاسمع كلمي
طفت في دنيا الكمالات فلم　　أر حسناً فيه لم يبتسم

* * *

حرّقي يا دفقة النزف التي　　بثت الالام ناراً في فمي
تعب الهمس وحمت حرق　　فأبيحي ثورة السر الضمي
انا . . أني رحت استجلي المنى　　ضجت الروح وماتت قدمي
جوهر كنا امتلكنا عزه　　وفقدناه كفقد الحلم

أين سر كان في أعماقنا ... أين ركب كان لله نمي

أين اشراقة طـه بعثت ... طهرها في مهملات الرمم

فاستحال الكون اعجاباً بنا ... وانحنت كل عروش الشمم

اين تلك الروح غذت ركبنا ... بالمعالي بالفدى بالبلسم

الرسول المصطفى قدوتنا ... فهو نبع للهدى والعصم

والوصي المرتضى قائدنا ... ليصوغ الفتح خفق العلم

والزكي المجتبى رائدنا ... نسلك الدرب لنيل الانجم

والشهيد السبط صوت هادر ... هـز اركان عروش النقم

* * *

آه . . عدنا . . امة خاوية ... كخواء الطبل او كالورم

صحف في وهدة الجنس انطوت ... دنست بالخزي طهر القلم

والاغاني في رؤانا ثورة ... تطلب النصر بسيف النغم

ودنا المال بدت تصهرنا ... وبها الفكر صريع الدرهم

وفجور الكفر لما ان بدا ... ذاب معنى معطيات القيم

والشباب الروح كم نما عن ... الهدى حتى ضاع في المزدحم

رعينا اذ نام عنه أهلـه ... ندب الذئب لرعي الغنم

* * *

يا رعيل الحق هيا التحموا ... صنع الفجر علـو الهمم

وانزلوا نحو الفدى واحتدموا ... ما احيلى النصر بعـد الالم

هذه الايمان في ذمتكم ... فلتراعوا حقهـا في الذمم

ارضكم تلك احتواها غاصب ... فهي منه في وقيـد الضرم

امس ما الامس سوى جرح على ... خلجـات القلب لـم يلتئم

كم نحرنا شيئاً غالية ... يختق المجد لتلك الشيم

امس غالوا ارضنا فى لحظة   خلتها دهـراً بعيد القدم
وفم القوم وجوم جامد   آه . . خوفاً من عبيد الصنم
أمتي . . نوماً . . فلليبت اذاً   ربـه يحميه بطش النقم
امس فى القدس ولقياهم غداً   ان غفونا فى الصفا والحرم

* * *

يا رعيل الحق هيا هـذه   صرخة دكت حصون الصمم
فانطلق حراً وسر فى عزمة   تهب الحق لكـل الامم
واحمل الأسلام فى يمنى لها   بارك الله وقال اقتحمى
رسل الرحمن قد واعدهم   ربهم نصراً بنص محـكم
هل يخاف الخسف من كان له   ناصراً رب العلى والسدم ؟
قسمـاً بالحـق فـى عـالمنا   قسماً والحق أجلى قسم
امـل الـدنيـا بنا لو أننا   قـد رفعـنا ديـننا بالهمم
وأريـنـاهـا سنـاه سـاطعاً   يبعـث النـور لكل الاكـم
عندها تذوي الغشاوات التي   أحكمـتها يـد وغـد نـهم
ويعـود الحـق يعلو صـوته   بنـشيـد رائـع مـنسجـم
لن ينال المجد فى عليائه   غيـر كون بالتقى معتصـم

اخترنا لك

محمد مهدي شمس الدين
جامعة النجف الأشرف

نظام الحكم والإدارة في الإسلام

منشورات
دار حمد للطباعة والنشر

تقديم: الشيخ محمد سعيد النعماني قم

الكتاب والكاتب :

مسألة نظام الحكم وطبيعة العلاقات التي تربط الحاكم بالمحكومين والراعي بالرعية وكلما يتعلق بهذا الموضوع من تفصيلات وتفريعات ، هذه المسألة من اهم ما شغل الفكر الانساني في جميع ادواره فهي مسألة حياتية ودعامة رئيسية تستند اليها سعادة الانسان وشقاؤه فكم من مجتمع انهار وضاع نتيجة لعدم وعي ساسته وحكامه، وكم من دول تمزقت بسبب نزوة سلطان او تهور حاكم .

والاراء في هذا الموضوع متشعبة والنظرات متضاربة والكل يدعي الوصول الى اسرار العدالة الاجتماعية وسيادة الرفاه والاطمئنان والسلام في ربوع المعمورة .

والاسلام كرسالة الهية جاءت لتنظيم حياة (الانسان الفرد والانسان الامة) لتنقذه من الفوضى والاضطراب لا شك وانه قد عالج هذه المسألة الخطيرة ووضع اسسها بشكل محكم ومتقن ادراكاً لما يترتب عليها من نتائج ومضاعفات .

وايماناً منا بعرض هذه الاسس ، وبيان النظرية الاسلامية للمشكلة في عالم تصطرع فيه الأهواء وتتقاذفه نظم لم يجن منها الانسان حتى الان سوى القلق على وجوده ومصيره ، نظم سلبته حريته وارادته ، افقدته اطمئنانه وامانه ، اهدرت كرامته وقيمته، كل هذا وغيره يفرض علينا ان نرفع لكل الباحثين عن الحقيقة وكل الساعين لخير البشرية وانقاذ الانسانية المعذبة من آلامها .. ان نرفع لهم مشعل الهدى والنور، علم الهدى والصلاح الا وهو رأي الاسلام العظيم وفكره الخلاق ونظرته الصائبة .

وهذا الكتاب يعالج هذا الموضوع بعمق وروية ويعرض بروح موضوعية وبوعي تام لطبيعة المسألة وللمسؤولية الملقاة على عاتق من يريد الخوض في مثل هذه المسألة الخطيرة .

والكتاب من الحجم المتوسط في ٢٣٤ صفحة وقد طبع في النجف الأشرف ويحتوي على تسعة فصول ، كلها تتناول القسم الاول من عنوان الكتاب وهو نظام الحكم فقط ، وكأن شيخنا المؤلف قد ارجأ القسم الثاني من عنوان الكتاب وهو

نظام الادارة في الاسلام الى فرصة اخرى نرجو من الله تعالى ان يهيئها لسماحته لكي يفيض على المتعطشين للعلم والمعرفة من نمير فكره السامي ، ولكي يبرز الوجه الاصيل المشرق لافكار الاسلام العظيم .

والمؤلف هو سماحة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ محمد مهدي شمس الدين حفظه الله وأيده والذي يعتبر من ألمع الكتاب والمفكرين المعاصرين،وتأليفاته القيمة اضافة الى طبيعة عمله الاجتماعي ، تلقي بعض الضوء على شخصيته في مجال العلم والعمل .

واذا اوضحنا ان هذا الكتاب الذي نقوم بتلخيصه وتقديمه للقراء الكرام يعتبر باكورة مؤلفات شيخنا المؤلف ، وانه قد طبع عام ١٩٥٥ م أي قبل ثمانية عشر عاماً يدرك القارىء المحترم عمق التفكير وضخامة الثروة العلمية عند سماحته .

الفصل الاول : الاسلام وواقع الحياة

أ ـ الاسلام ونظام الحكم :

هل للاسلام صلة بواقع الحياة الانسانية وهل ليس للدين الا حقل واحد وهو الروح فحسب ! أليس الدين شيئاً ومسألة الحكم شيئاً آخر ؟ تساؤلات يجيب عنها المصنف في هذا الفصل الاول من الكتاب مشيراً الى ان الكثير من شبابنا الذي ربي ونمي على موائد الفكر الغربي المسموم ينحو الى هذا الرأي بل ومن بعض الشيوخ الذين يحتلون مراكز مهمة في حياة الشباب الفكري كالشيخ علي عبدالرازق في كتاب (الاسلام واصول الحكم) الذي راح يهاجم اولئك الذين يجعلون مسألة الحكم من المسائل التي تعرض لها الاسلام .

ب ـ اختلاف الاديان :

وأول ما يشير اليه المؤلف ـ وهو في صدد الاجابة عما سبق ـ « الا تؤخذ الاديان كلها في سياق واحد في نظمها وبرامجها» نظراً لاختلافها في مواطن نشأتها والاطوار التي مرت بها ، اضف الى ذلك نوعية دعاتها وحملتها فالدعوات تتأثر الى

حد كبير بالقيمين عليها،فبعضها تبتلي بدعاة وحملة لا تهمهم سوى مصالحهم الذاتية العاجلة فينحرفون بها حسب اهوائهم ، وبعضها تيسر لها دعـاة مخلصون مؤمنون بأهدافها لا يهمهم سوى ادائها بكل نقاء .

واذا علمنا ان المسيحية اليوم ـ وهي الدين الاكثر شيوعاً في العالم وخاصة في الغرب الذي يستقي منه الشرق البائس افكاره ـ اذا علمنا انهـا هي التي اوحت بفكرة فصل الدين عن الحياة ، كان من الضروري لنا ان نلقي الضوء على طبيعة المسيحية ، وظروفها لنتبين المعالم الفارقة بينها وبين الاسلام .

ج ـ المسيحية والمجتمع الروماني :

يستعرض المؤلف هنا نشأة المسيحية وكيف انها ولدت في فلسطين ولكنها لم تشم الحياة الا في الامبراطورية الرومانية اذن فمن الاحسن تسليط الضوء على المجتمع الروماني وطبيعته .

فالرومان وثنيوا العقيدة يعبدون آلهة متعددة وقد تربوا على حضارة مادية ليس في قاموسها معنى للرحمة والسماحة والطهر والعفاف والسمو بالروح الانساني ، بل الحياة في نظرهم صراع وتكالب ولابد من اشباع نهم الانسان بأي صورة كانت وبأية وسيلة ، وما ظنك بمجتمع كهذا حين يواجه المسيحية بسمتها الروحية الصرفة التي تهيب بالانسان ان يعزف عن الحياة الدنيا .

لم يتقبل المجتمع الروماني المسيحية عن طواعية وانما فرضت عليه من قبل الامبراطور قسطنطين اذ أعلن عن مساواة المسيحية للوثنية وتم الامر على يد (ثيودوسيوس) حين اعترف بها ديناً رسمياً للدولة .

ولكن هل استطاعت المسيحية ان تغير من طبيعة الرومان ؟ .

للاجابة على هذا السؤال يشير المؤلف الى نقطة هامة جداً وهي معنى التدين واطلاق اسم التدين على مجتمع ما فيقول : «حينما نحكم على امة بأنها متدينة يجب أن نتعدى المظاهر والطقوس الى بواطن النفوس وما يمخر فيها من اهواء» « ومن

هنا فلنا الحق أن نقول ان المجتمع الروماني بقي على وثنيته، لأن المسيحية لم تؤثر في حياتهم العملية ، ولم يصبح الايمان بالله جزءاً من كيانهم الروحي» انهم وجدوا البون الشاسع بين واقعهم وبين ما تدعوهم اليه المسيحية وكانت النتيجة ان حرفوها عن وجهتها وحصروها في الكنائس والمعابد .

وبعد هذا العرض التاريخي ينطلق المؤلف الى المدنية الغربية الحديثة منبع فكرة فصل الدين عن الدولة والحياة فهذه المدنية هي وليدة المدنية الرومانية ووريثتها فالنظرة الى الحياة والمادة والمقياس النفعي هي كما كانت عند الرومان وطبيعي لمثل هذه المدنية ان تنادي بفصل الدين عن الدولة ولابد أن لاننسى بأنه قد ساعدتهم على ذلك النصرانية التي لم تول أي اهتمام لحياة الانسان الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بل انصرفت الى الجانب الاخلاقي وتهذيب روح الانسان .

بعد هذا الاستعراض السريع لنشوء هذه الفكرة مع الدين المسيحي ، يسير بنا المؤلف نحو الاسلام لمعرفة اوضاعه وظروفه ولنجد بعد ذلك ان لا مبرر للتبشير والهتاف لهذه الافكار في مجتمعاتنا الاسلامية .

وفي البحث عن الاسلام يستهدف المؤلف أمرين ـ الاول: اثبات عناية الاسلام بالحياة الدنيا والحياة الأخرى ، والثاني: التعرف على الصيغة العامة التي تربط بين جميع احكام الاسلام .

د ـ عالم منحل :

وهنا يشير المؤلف بصورة موجزة الى الحالة التي كان الانسان يحياها في كل المجتمعات وفي أي بقعة من العالم وذلك حين بزوغ شمس الاسلام ، وكيف ضاعت القيم واستشرى الخلاف وشاعت الفواحش وسادت الفوضى، سواء في ذلك المجتمع الروماني أو المجوسي أو الهندي أو المجتمع العربي .

هـ ـ روح الاسلام العامة :

وكان لابد للاسلام ان يرجع بالبشرية الضالة الى فطرتها لانه دين الفطرة في

مبناه ومعناه كما نصت على ذلك مبادؤه ، فواجه ذلك الواقع المرير الذي كان في امس الحاجة الى اصلاح جذري يتناول الأصول التي تعارف الناس عليها فيمحقها ليقيم مكانها اصولا أخرى تعطي الناس لوناً من الحياة اسمى من جميع ما عرفوه من الوانها ، وهكذا عالج الاسلام المشكلة في الصميم ولم يبق أي مبرر للقول بعزل الدين عن الحياة الاجتماعية ، فهو يذهب الى ان الانسان مؤلف من مادة وروح وصلاح الحياة الانسانية يتوقف على تمازجهما في الكيان الانساني فأما أن تحيا المادة فقط فذلك أمر يحاربه الاسلام لانه يرى انحرافاً يلحق الانسان بالحيوان **«والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام»** (سورة محمد ـ ١٢) . وأما ان يأخذ الانسان نفسه بالتجرد والحرمان فذلك أيضاً انكار للواقع الذي لا يجوز انكاره **« قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا »** (الأعراف ـ ٣٠) وبذلك نهج الاسلام سبيل الكمال في كل ما عالجه من حقول ، وكان الهدف الذي يكافح في سبيل الوصول اليه «تكوين المجتمع المثالي» ووسيلته الى ذلك توفير العنصر الاخلاقي في نفس الانسان .

و ـ الرواسب النفسية :

هناك حقيقة يذهب اليها علماء النفس وهي ان أعمال الانسان وتصرفاته تترسب في المنطقة التي يسمونها (اللاشعور) وهي تعمل دون أن يعي الانسان منها شيئاً، ومن هنا ينطلق المؤلف ـ حفظه الله ليبين ان الاسلام كي يبلغ هدفه السامي لابد له وان يجتث الرواسب النفسية التي خلفتها العقائد الوثنية الفاسدة في نفوس الافراد لكي تتحول مبادؤه في نفوسهم الى خلق ثابت مستقر لا تضعضعه نزوة طارئة ولا ينسفه متاع قريب أو بعيد سيما وان الكثير قد أسلم رغباً أو رهباً وخير شاهد على ذلك طلقاء مكة ومنافقو المدينة ومرتدو الاعراب ، اذن فقد كان من الضروري لهذه الرسالة التي يراد لها البقاء ان يجعل النبي (ص) لها قيماً من بعده يحفظها ويضع الخطط لنشرها واعلاء شأنها شريطة ان يكون حكمه استمراراً وامتداداً لحكم النبي(ص)، وبعبارة جامعة يجب ان يكون الحاكم بعد النبي هو الرمز الحي للرسالة ليكون وجوده عاملا

في تركيز المبدأ في النفوس،وإلى هنا استطعنا ان نصل الى حقيقتين هامتين ، الاولى: ان البحث في نظام الحكم والادارة ليس لغواً فالاسلام عقيدة ونظام ، والثانية : ضرورة قيام حكومة اسلامية بعد النبي (ص) .

الفصل الثاني : الحكومة الاسلامية

أ ـ حتمية الدولة :

الدولة هي الجهاز الذي يشرف على تنظيم العلاقات في مجتمع ما وفقاً لمبادىء معينة واذا عرفنا أن غريزة التجمع لايمكن للفرد ان يستغني عنها، عرفنا انه لابد من تكون مجتمع، وبوجوده توجد العلاقات المتشعبة المعقدة، والنتيجة هي انه لابد من الدولة المشرفة لتحول بين المجتمع وبين الفوضى والتفكك .

فالدولة ضرورة اجتماعية وليست وليدة ظروف خاصة تزول بزوال تلك الظروف كما ذهب الى ذلك الفوضويون وأشباههم من أصحاب المذاهب الطوبائية البعيدة عن واقع الانسان واحتياجاته .

وقد يذهب البعض الى الغاء الدولة نظراً الى انها ليست سوى اداة تمكن الحاكمين من استغلال المحكومين ، والجواب: اننا لا نرى في الدولة شيئاً ملازماً للشر بل هي تعتمد على طريقة استعمالها وعلى طبيعة الاسس التي تقوم عليها ، لذا فهي قد تكون خيراً وقد تكون شراً .

ب ـ حتمية الحكومة الاسلامية :

وهنا يلخص لنا المؤلف فكرة الحكومة الاسلامية وهي انه «ليست فى الأسلام سلطتان ، سلطة زمنية وسلطة دينية ، انما هي سلطة واحدة دينية ـ زمنية، تجتمع فى يد انسان واحد يكون هو المرجع في كافة ما يتصل بها » .

ويشير الى بعض الايات التي يستنتج منها ما سبق مثل آية **«انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله»** (النساء ـ ١٠٥) ، اضافة

الى الاحاديث الواردة عن النبي (ص) مثل قوله (ص) « من مات بغيـر امام مات ميتة الجاهلية » كما في مسند أحمد ، فالنصوص الشرعية من آيات وأحاديث كلها تؤكد حتمية الحكومة الاسلامية وضرورتها .

ج ـ نظام الحكم فى الاسلام :

وبعد ان اثبت المؤلف بصورة قاطعة ضرورة وجود حكومة اسلامية تهيمن على المسلمين،وترعى مصالح الاسلام يشير الى انه يترتب على ذلك بصورة طبيعية وجود نظام للحكم يبين صفات الحاكم وتعيينه وصلاحياته وعلاقته بالمحكومين وعلاقتهم به ، وبملاحظة ما سبق وأن ذكره من وجود روح عامة فى كل التشريعات الاسلامية نرى أن نظام الحكم فى الاسلام يجب أن يكون خاضعاً للمبادىء الاسلامية ولا بد له من توفر العنصر الاخلاقي فيه لان الاسلام ومكارم الاخلاق لا يفترقان .

د ـ منهج البحث :

بعد أن فرغ الكاتب من كل مقدمات بحثه يجد الان نفسه امام طريقتين للبحث عن نظام الحكم فى الاسلام وماهيته :

الاولى : ان يفرض شكلا خاصاً ويستدل عليه .

الثانية : ان يستعرض وجوه الخلاف بين مختلف الفرق الاسلامية فى نظام الحكم ثم ينظر اليها على ضوء المبادىء الاسلامية والوقائع التاريخية الثابتة .

ولاجل ان يكون البحث موضوعياً ، بعيداً عن الذاتية التي تشوه النتائج ، يعرض المؤلف عن الطريقة الاولى،لانه يجد فيها تحكماً لايرتضيه الضمير الحر اذ لامانع ان يكون هناك نظام اخر للحكم اكثر موافقة للمبادىء الاسلامية من الشكل الذي استدل عليه وفي هذه الحالة يكون المختار هو الشكل الاكثر موافقة لانه أغنى بالعنصر الاخلاقي .

وعلى هذا فهو يختار الطريقة الثانية لانها تكفل له العناصر التي يجب أن تتوفر فى كل بحث علمي .

والبحث هنا على مرحلتين - الاولى : طريقة تعيين الحاكم والصفات اللازمة له ، والثانية ، يكون الحديث فيها عن صلاحيات هذا الحاكم وعلاقته بالرعية وعلاقتها به ، كل ذلك وفق المنهج الذي اختاره لبحثه في المقارنة بين آراء الفرق الاسلامية التي هي في نظره ليست من الكثرة كما يتوهمه البعض ، بل انها خمس فرق لا غير وهي: الشيعة، اهل السنة، المعتزلة، الخوارج ، والمرجئة ، فهذه هي الفرق الاساسية وأما الفرق الاخرى فهي تتشعب منها وفروع لها .

وقبل ملاحظة آراء هذه الفرق يرى من الضروري الالمام بصورة مجملة بتكون هذه الفرق وتاريخ ظهورها وبذلك يوجز المراحل التاريخية التي مرت على المسلمين منذ وفاة النبي (ص) الى المرحلة التي ترعرعت فيها اولى هذه الفرق الخمس .

وفي الفصل الثالث :

يعرض المؤلف للملابسات التي رافقت الحياة الاجتماعية بعد وفاته (ص) والنتائج التي تمخضت عنها ، وظهور التحزبات التي كانت الاب الطبيعي للفرق الاسلامية المختلفة ، ويحاول ان يخرج بالصورة الاقرب للواقع الاسلامي بعد ان يحدد مميزات كل اتجاه ، وما يفرضه منطق النصوص والاحداث .

وفي الفصل الرابع :

ينتهي المؤلف في بحثه السابق الى ان الفرق الاسلامية لم توجد في زمان النبي في نفس الوقت الذي كانت فيه ما نسميه بـ(احزاب اسلامية) لانه يقصد بالفرقة: المدرسة الفكرية ذات المناهج المحددة والمبادىء الواضحة، وهنا يتعرض لتعريف الفرق الاسلامية التي سبق وان ذكرنا انها خمسة وهي: الشيعة وأهل السنة والمرجئة والمعتزلة والخوارج.

وفي الفصل الخامس :

يحدثنا شيخنا المؤلف عن آراء الفرق الاسلامية الخمس في نظام الحكم ويفرغ من عرض كافة وجوه الخلاف بين هذه الفرق في مسألة الامام والحاكم ، فهل الامامة واجبة اوجائزة ؟ وماهي اهمية الامامة ؟ وهل هي من اصول الدين أو من

فروعه ؟ وكيف يعين الامام ومن له حق تعيينه؟ ماهي الشروط اللازم توفرها في من يتقلد هذا المنصب الخطير ؟ هل يتعدد الامام فيكون للامة المسلمة اكثر من امام واحد؟ وهل ينعزل الامام ، وبم يعزل ؟ والجواب عن هذه المسألة هو الذي يحدد سمات كل فرقة ويميزها عن باقي المذاهب ، وسوف لن نتعرض لاراء الفرق الاسلامية جميعاً في مسألة نظام الحكم لموت بعضها وعدم جدوى ذلك، وانما نبحث عن هذه المسألة في رأي فرقتي اهل السنة، والشيعة الامامية الاثنى عشرية، لانهما الفرقتان اللتان لايزال لكل منهما بناء فكري محدد ، واضح المعالم بين السمات .

الفصل السادس : المميزات العامة لنظام الحكم

أ ـ عند اهل السنة : تتلخص فكرة اهل السنة واجاباتهم عن الاسئلة المتقدمة المتعلقة بهذا البحث بما يلي :

١ ـ ان الامامة امر يجب قيامه ولايجوز اهماله ولكنها ليست من اصول الدين وانما هي من فروعه .

٢ ـ ويتفرع على كونها من الفروع ان النبي (ص) لم يترك نصاً يعين فيه القائم بعده على امور المسلمين كما انه لم يترك نصاً يبين لهم كيفية تعيين الحاكم الاسلامي بل انه عهد بهذا الامر الى المسلمين لكيلا يقيدهم بشكل خاص، مراعياً في ذلك تطور الزمن .

٣ ـ الامام يتعين بانتخابه من اهل الحل والعقد في الامة كلها او من كان في عاصمة الحكم، ويكفي في ذلك خمسة منهم كما يتعين بعهد من الامام السابق .

٤ ـ ان الامام يستمد السلطة من الله ورسولـه وان كان يتعين باختيار الناس وانتخابهم وبيعتهم له كاشفه عن حكم الله ورسوله بامامة صاحب البيعة .

٥ ـ يشترط في الامام ان يكون قرشياً مهما امكن،ذكراً ، حراً ، عاقلا ،كفؤاً بأعضائه وحواسه ، شجاعاً ، خبيراً بأمور الحرب والسلم ، اما العدالة فليست شرطاً في الامام وان كان البعض يشترطها في الابتداء ومعنى ذلك انه لاينعزل من منصب الامامـة بالفسق والفجور ، ولننقل النص التالي على ذمة ابن حزم : «أما الذين لم

يشترطوا هذا الشرط فهم طائفة الصحابة وجميع فقهاء التابعين وجمهور اصحاب الحديث واحمد والشافعي وأبو حنيفة» .

ب ـ عند الشيعة : والخطوط العامة لنظام الحكم عندهم كما يلي :

أ ـ بعد التسليم بأن الامامة واجبة في العقل والشرع يرون انها من اصول الدين لا من فروعه .

٢ـ يتفرع على كونها من أصول الدين ان مرجع الامر فيه لله ورسوله، ولابد أن يكون النبي قد اداها وبينها للمسلمين ،كما ادى غيرها ، وانه قد ترك نصوصاً يرجع اليها المسلمون في شأن الامامة .

٣ ـ الامام عند الشيعة يتعين بالنص من النبي او من الامام الذي نص عليه النبي.

٤ ـ الامامة رئاسة دينية ، وسلطة الامام مستمدة من الله ورسوله .

٥ ـ من شروط الامام ان يكون ذكراً ، حراً ، عاقلا ، معصوماً عن الذنوب والخطايا صغائرها وكبائرها ، ولا يجوز ان يكون في الامة من هو أفضل او اعلم منه فهو المثل الاعلى والقدوة لتابعيه، ولاينعزل من منصبه الا بالموت،ومن ثم فهي تنحصر بالائمة الاثني عشر . ولا بد ان ننبه هنا على ان هذه الخطوط العامة هي التي تشكل نظرة الشيعة الى الحكم مع وجود الامام ، أما في عصر غيبة الامام وهو الذي يبدأ عند الشيعة بغيبة الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري، نظراً لبعض المصالح والحكم والظروف التي اقتضت ذلك ، والتي حدثت في عام ٢٦٠ هجرية ، فان لهم نظرات معينة حول من يخلف الامام في غيبته وينوب عنه في اداء مهمته،وما هي شروطه ومميزاته ، واننا لنعد القارىء الكريم ببيان ذلك في لقاء آخر على صفحات هذه المجلة ان شاء الله تعالى .

وبعد أن عرض سماحة المؤلف الخطوط العامة لكلا الفرقتين التي تشكل نظرتين للحكم ، يصطلح على تسميتهما بـ(الدولة الالهيه البشرية) كما يتبناها اهل السنة ، و (الدولة الالهية) كما يتبناها الشيعة الاثنا عشرية أراد أن يسلط الضوء على بعض آراء المذهبين التي مر ذكرها،لذا فهو يعقد الفصل السابع لمناقشة بعض

الخطوط العامة التي رسمها اهل السنة لنظام الحكم،وهو حينما يطرح هذه المسائل على صعيد البحث والتمحيص نجده لايحيد عن الموضوعية والهدوء وتوخي الوصول الى الحقيقة،وهنا نجد من الضروري الالتفات الى أننا في الوقت الذي نرفع فيه راية الوحدة بين ابناء الامة الواحدة، وندعو الى رص الصف ووحدة الكلمة ضدما يحاك في الخفاء والعلن لمحو هذه الرسالة المقدسة من الوجود، في نفس هذا الوقت لانجد مانعاً من طرح افكارنا ومفاهيمنا والاراء المختلفة على بساط التحقيق لتتجلى الحقائق ولتتفهم الانظار والاراء ، ويجب ان يكون كل ذلك دون تدخل من الهوى والعصبية التي تعصف بحرية الرأي واتزان العقل،ومن هذه النظرة ينطلق شيخنا المؤلف ليناقش بعض الاراء في مسألة نظام الحكم ، فيجيب مثلا على دعوى عدم امكان تحديد منهج خاص للحكم من قبل النبي (ص) مراعاة للظروف وتطور اساليب الحياة وليتصرف المسلمون بما يرونه صالحاً لهم في كل زمان ، يجيب بـ «ان لامانع من أن يسن (ص) للمسلمين تشريعاً في نظام الحكم ثم يضع له من الضوابط ما يكفل له الا يكون متصلباً جامداً بل يجعله مرناً صالحاً للتطبيق في كل وقت». وفي مسألة تعيين الامام يرى انه «من البداهة بمكان ان نعلم خطأ تسليم امور الحكم الى الجماهير التي لا يمكنها التخلص من عادات وتقاليد تنزل في نفوسها منزل العقيدة والدين» وقد يروق للبعض ان ينسب الديمقراطية في الحكم الى الاسلام وانه قد حقق بذلك سبقاً عظيماً على المدنية الحديثة فينبري المؤلف لتحليل الديمقراطية وأسسها ومبانيها ليصل الى «ان هذا اللون من الحكم لايقره الاسلام ولا يشجعه» ، وهو حينما يرد الديمقراطية انما يعتمد على نظريات علمية مقررة في علمي النفس والاجتماع التي تبين سيطرة العقل الجمعي على الافراد وفقدان الاتزان وتلاعب الشعارات بمقدرات الجماهير ، واخيراً يتعرض الى اصحاب الرأي القائل بعدم اشتراط العدالة في الحاكم فينقل عن سعد الدين التفتازاني والنسفي هذا النص «ولا ينعزل الامام بالفسق اي الخروج عن طاعة الله تعالى والجور اي الظلم على عباده تعالى» وعن صحيح مسلم «يحرم الخروج على الامام الجائر اجماعاً» فيرد على هؤلاء جميعاً بقوله ان الاسلام يوجب على كل

مسلم ان يقوم ما استطاع كل عوج يصيب تعاليم الاسلام وان يثور على كل تحريف لهذه التعاليم وان هذا الدين الحنيف لايمكن ان يقر حكماً كهذا الحكم لانه يدفع بأتباعه الى الثورة على كل ظلم وعدوان ويدعوهم الى الانتقام من كل ظالم ومعتد»

وفي الفصل الثامن :

يعرض المصنف الاساس الفلسفي لمذهب الشيعة الامامية الاثنى عشرية في نظرتهم الى نظام الحكم في الاسلام كما يستعرض بعض الأدلة والمدارك التي تبين وجهة النظر الشيعية في وجوب الامامة على الله ـ بمقتضى لطفه ـ وفي اشتراطهم العصمة في الامام اضافة الى بعض النصوص التي يرون انها صحيحة في النص على الامام .

اما بالنسبة للأساس الفلسفي الذي يبنون عليه نظرتهم الى الامامة فهو مايسمى بـ (اللطف) ويعنون به «ايجاد المحيط الصالح وتوفير الفرص المناسبة لكل انسان وذلك كي يتسنى له القيام بواجباته وتبعاته حيال ربه ومجتمعه ، وبعبارة مختصرة «اللطف هو مايكون المكلف معه اقرب الى فعل الطاعة وأبعد عن فعل المعصية» ، ويرى الشيعة ان هذا اللطف واجب على الله ، ومنه ينطلقون الى ان مرجع الامر في الامامة هو الله تعالى لانه لاشك في ان نصب الامام لطف، واللطف واجب على الله تعالى والنتيجة هي ان نصب الامام واجب على الله تعالى ـ بمقتضى لطفه ـ شأن الامامة في ذلك شأن النبوة التي لا خيار للناس في تعيين من يتولى هذا المنصب أو التحكم فيه .

والشيعة يرون في دعواهم بوجوب الامامة على الله انهم يسايرون بذلك مبادىء الاسلام ومفاهيمه وتصوراته في ان مرجع الانسان في كل شؤونه الدنيوية والاخروية هو الله تعالى ، وبذلك تصرح الايات الكريمة حينما تقول في أكثر من موضع :

«والى الله ترجع الامور» «وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة»

وان ليس في الاسلام سلطتان، سلطة الله وسلطة قيصر، ولا مملكتان مملكة الله ومملكة غيره، وانما هناك سلطة واحدة ومملكة واحدة هي سلطة الله التي لايشاركه فيها غيره

« ولله ملك السموات والارض والى الله المصير »

والانسان الذي كان في كل ادواره يتطلع الى الكمال مثلا اعلى والذي قام بمحاولاته المدنية من أجل اصلاح مجتمعه حتى جائت الديانات السماوية لتصل

بالانسان الى الغاية السامية التي يجهد نفسه للوصول اليها ، والاسلام خاتمة هـذه الاديان ، عليه لكي يضمن لنفسه النجاح ، ايجاد نظام ثابت للحكم الذي كان أعقد مشكلة واجهتها البشرية في كل بقعة وكل زمان .

ولكن النظام اداة صماء لاتعي وانما تمدها بالوعي الارادة المشرفة عليها والمنفذة لها، فالهيئة الحاكمة ـ وليس النظام ـ هي كل شيء في الدولة لانها هي المهيمنة على النظام، وقد كافحت الانسانية طويلا في سبيل الحيلولة بين الحاكم والطغيان، ففصلت بين السلطات، وأوجدت الهيئات المراقبة، وحشدت الضمانات، ونحن الان في عصر بلغ من التقدم ما بلغ فهل تحقق الحلم الانساني في العيش سلام واطمئنان ؟ قـد تغري الانسان بعض الصور الرائعة عما يقال من وثيقة حقوق الانسان والتعايش السلمي وغيرها، لكننا حينما نولي وجوهنا شطر المذابح البشرية في افريقيا وآسيا وغيرهما لا يسعنا الا الاسف الشديد ونحن نشاهد مآسي حضارة القرن العشرين، وبعد أن رأينا ان الانسانية لم تفلح في مسعاها فلنتوجه الى الاسلام.. وهل وفق للوصول الى هذه الغاية النبيلة ؟ وهنا يجيب الشيعة بأن الاسـلام الخالد قد وضـع دستوراً فريـداً ، يضمن الصلاح التام والعدل الكامل ولا يدع مجالاً للزيغ والانحراف ، بل يغلق كافة المنافذ التي تفسح المجال لوصول الفاسق والظالم الى الحكم ، لذا كان المـرجع عند الشيعة في تعيين الحاكم ليس سلطة بشرية لان لها حدوداً من المعرفة والادراك ولا تستطيع معرفة بواطن الامور فقد تخطيء عن حسن نية ثم هي قد تحيد وتتمرد فلا يكون الاسلام بذلك قد حقق للانسانية ما تصبو اليه من الكمال . لهذا كان من الضروري ان يكون المرجع هو الله وانه هو الذي يعين الامام بواسطة النبي .

وأما قضية العصمة التي يراها الشيعة للامام فليست أمراً يخرج بالامام عن كونه انساناً كعامة الناس يحس بما يحسون من لذات وآلام، وليس مخلوقاً آخر لايلتقي معهم في خصائصهم ، فالعصمة بهذا المعنى لا ترتفع بالانسان عن مصاف البشر وذلك على غرار كون النبي (ص) معصوماً مع انه يصرح بانه بشر يفترق عن غيره بأنه يوحى اليه.

وأخيراً : فالكتاب قيم جدير بالمطالعة ، لتؤخذ الصورة الكاملة، منه مباشرة .

قضية الوعي عند المرأة المسلمة المعاصرة

أم إبتهال

ما أكثر مايثار السؤال فى الأوساط النسائية المؤمنة عن مسألة تأخر الوعي الاسلامي لدى النساء المؤمنات حتى النساء المنتميات الى أسر واعية .

وليس من أحد يستطيع ان ينكر حقيقة أن مستوى الوعي الاسلامي لدى النساء أقل من مستوى الوعي لدى الرجال . وليس من أحد يستطيع أن ينسب ذلك الى طبيعة أحكام هذا الدين والدور الذي يخططه للمرأة فى الحياة .

فان آيات التفكير والتدبر فى خلق الله ، وفى كتاب الله وشريعته تعم الرجال والنساء على نحو سواء ، كما أن مسؤولية التفهم العميق لهذه الرسالة ، والدرك الواعي لشريعة الله وكلمته تعم الناس جميعاً ، فان النساء مسؤولات عن تطبيق شريعة الله تطبيقاً واعياً وكاملا ،كما ان الرجال مسؤولون عن تطبيق شريعة الله تطبيقاً واعياً وكاملا ، وكما ان الرجال مسؤولون عن امتثال هذه الشريعة بكل أبعادها .

فليس اذن في مسألة تأخر المرأة جذور عقائدية ، وليس الاسلام مسؤولا عن ذلك فلا بد من بحث اسباب هـذه الظاهرة الاجتماعية المؤلمة ، ليتأتى لاخواننا

المؤمنين ، ولاخواتنا المؤمنات معالجة هذه المشكلة في حياتنا الاجتماعية .

وأنا في الوقت الذي اثيرهذه المسألة على صفحات مجلة (الهادي) الغراء ارجو أن تثار المسألة في نفوس اخواتي المؤمنات بصورة جدية ويسهمن جميعاً في معالجة هذه المشكلة، ويجعلن حقل (عالم المرأة) في مجلة الهادي الموقرة ميداناً لهذه المحاولة.

* * *

وبوسعي أن أعدد المهم من هذه العوامل التي ادت الى اقصاء المرأة المسلمة عن نطاق الوعي الاسلامي ، وهذه العوامل هي ثلاثة :

١ـ اهمال الاباء والازواج لمسألة توعية بناتهم وزوجاتهم:

وليس من شك ان لهذا العامل نصيباً وافراً في حرمان المرأة والفتاة المسلمة من حقها في الوعي ، فان المرأة والفتاة المسلمة ، بطبيعة التزاماتها الاسلامية لايتأتى لها ان تتصل بالثقافة الاسلامية في الغالب الا عن طريق أبويها أو زوجها أو اخوتها.

وقليل من الاباء والأزواج يحرصون على تثقيف فتياتهم وزوجاتهم، ويحددون لهن وقتاً معلوماً في اليوم أو في الأسبوع لتتفتح عقولهن وقلوبهن على رسالة الله .

فاذن يتحمل الاباء والازواج المثقفون بالثقافة الاسلامية بعض هذه المسؤولية وعليهم ان يحددوا وقتاً لتثقيف بناتهم وزوجاتهم مهما يتطلب الامر ، ومهما تكن المشاغل التي تشغلهم عن ذلك .

فقد جاء في القرآن الكريم خطاب الى المؤمنين **(قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة)** وقد عطفت الاية مسؤولية انقاذ الانسان أهله على مسؤولية انقاذ نفسه مباشرة ، كما ينبغي ان يوفر الاباء والأزواج لبناتهم وزوجاتهم فرصة الأطلاع على الكتب والصحف الاسلامية بتوفير ذلك في البيت، وأن يحرصوا على ان تتكون للمرأة مكتبة خاصة بها ، بدل الاكتفاء بالمكتبة التي يختص بها الرجل في البيت ، فان وجود مكتبة خاصة بالمرأة والحرص على توفير الكتب التي تهمها ، والتي تخصها في المكتبة ، مهما كانت المكتبة صغيرة ، عامل كبير

في تشجيع المرأة على القراءة والمطالعة والتثقيف الذاتي .

٢ ـ عدم تنظيم الوقت :

ومن العوامل المهمة أيضاً في هبوط مستوى الوعي لدى المرأة المسلمة ، ان المرأة المسلمة بطبيعة التزاماتها داخل البيت بنتاً أو زوجة لا تتهيأ لها بسهولة فرصة المطالعة والقراءة والسؤال ، فهي مسؤولة عن تـربية الأطفال ، وعن ادارة شؤون البيت الداخلية .

انني اعتقد أن المسألة ليست عقبة في سبيل تحقيق وعي نسائي كما يتراءى للمرأة لاول وهله ، فان المرأة اذا حرصت على تنظيم اوقاتها تنظيماً دقيقاً ، وحرصت على ألا تفرط في وقتها وتهدره فيما لا يعنيها فسوف تجد هذه الفرصة بالشكل الافضل، فان في الوقت دائماً سعة ، والذين يشكون من ضيق الوقت ، وعدم استيعاب الوقت لاعمالهم لا يحسنون تنظيم اوقاتهم واستثمارها بالشكل الافضل .

٣ ـ عدم وجود أوساط نسائيه واعية :

وهذه مسألة ثالثة جديرة بالاهتمام . فلا شك وان المرأة تعطي بعض وقتها للاجتماعات الكثيرة التي تنعقد هنا وهناك ، ولا شك ان هذه الاجتماعات وما يدور فيها من أحاديث يؤثر تأثيراً بليغاً على عقلية المرأة المسلمة وذهنها وعواطفها وسلوكها أحياناً .

وبالاضافة الى ان هذه الاجتماعات تكون سبباً في ضياع جزء من وقت المرأة تستطيع استثماره في خلق وعي اسلامي ، فانها تقف أيضاً عقبة في هذا الطريق بما تعكس من انطباعات في ذهن المرأة ، ولذلك فان وجود أوساط نسائية هادفـة من قبيل الندوات الاسلامية ، والجمعيات والمكتبات والاجتماعات النائية ، لالقـاء المحاضرات الاسلامية . . . ضرورة كبيرة ، وخطوة هامة في سبيل تحقيق وعي اسلامي عند المرأة المسلمة .

فان مثل هذه الأوساط النسائية الاسلامية بالاضافة الى انها عامـل مهم لتثقيف

المرأة المسلمة وتوعيتها ، تعد المرأة أيضاً لان تلاحق في داخل البيت أيضاً هـذه القضية وتعمل المستحيل لتفهم هذا الدين بأبعاده الحقيقية الكاملة، ولتحقق في نفسها دركا ووعياً لهذا الدين .

* * *

هذه هي أهـم العوامل التي أعتقد انها سببت هبوط مستوى الوعي الاسلامي عند المرأة المسلمة المعاصرة ، والتي أرى أن بمعالجتها تستطيع المرأة ان تحقق شخصيتها الاسلامية الحقيقية، وتؤدي دورها في مجالي تربية أولادها وخدمة الاسلام العامة.

ولئن كانت المرأة المسلمة المعاصرة مسؤولة عن تحقيق كلٍ من هذه الخطوات الثلاث فاني معتقدة بأن الخطوة الاولى في ذلك كله للرجل (الاب . الزوج . الاخ).

وأنا اذ اعرض وجهة نظري هذه ارجو من اخواتي المـؤمنات ان يسهمن بدورهن في استعراض اطراف هذه المشكلة واعطاء الحلول الكافية لها والله المعين.

نُدب الذئب ..

وفجور الكفر لما أن بدا ذاب معنى معطيات القيم
والشباب الروح كم نمنا عن الهدي حتى ضاع في المزدحم
رعينا اذ نام عنـه أهله نُدب الذئب لرعي الغنم

(خمائل شعرية ص ١٠٦)

تربية وطاعة

وبشيء من الاعجاب والفخر تلقينا هاتين الرسالتين اللتين بعثتهما لنا فتاة مؤمنة واعية.

انهما رسالة من أبيها لها، وهي تدخل عش الزوجية الرحيم.. وجوابها هي على هذه الرسالة وقد آثرنا نشرهما بحذافيرهما شاكرين مقدرين (١) .

ابنتي العزيزة : كم كنت ادعو الله أن تكوني في عصمة زوج مؤمن لائق ، وكم أشكره تعالى أن استجاب لي وحقق هذه الامنية .

والان وأنت تضعين قدمك في بيت شاب واع فاضل، اقدم لك قلباً مليئاً بالعواطف كأغلى هدية . . وأودعك الله العظيم .

ابنتي العزيزة :

في حياتك الجديدة هذه تتضاعف مسؤولياتك.. انها مسؤوليات العلم والايمان والخبرة والتضحية، وأنا بانتظارك وأنت تثبتين كمال اللياقة والتفهم لهذه المسؤوليات لترفعي رأسي ورأس والدتك عند الله والناس .

عزيزتي : استطيع ان ألخص برنامج حياتك الآتية في النقاط التالية :

الأولى: ليكن ذكر الله ملازماً لك واتبعي في كل سلوك تقومين به تعاليم القرآن النيرة وأحكام الاسلام الخالدة فانها سر كل سعادة.. ولا تشغلنك حياتك الزوجية عن مواصلة الدراسة الدينية وممارسة تعاليم التربية الاخلاقية لتستطيعي بفكر منفتح ونظرة واعية ان تقومي بالوظائف الطبيعية التي تحملين مسؤولياتها، فتفرع شجرة الحياة عن ابناء طاهرين تربيهنم كأروع ذكرى عمل خير وتربية واعية يمكن ان تقدم للمجتمع قدوة طيبة ونموذجاً عالياً .

واعلمي بأن المرأة العالمة يمكنها اليوم أن تسهم بنصيب وافر في مجال الدعوة الى الله وهداية الأخريات من نساء المجتمع ... والدعوة الى الله مسؤولية عامة يقع عبؤها على الجميع .

الثانية: اسعي لتحصيل رضا زوجك دائماً وأن يكون في عش هانيء مريح، وليتعلق

---

(١) نلفت هنا انظار اخواتنا المؤمنات : الى ان هذا الحقل يشجع اقلامهن ، ويرحب بانتاجهن الذي ينسجم وسياسة المجلة . «الهادي»

قلبه بحبك نتيجة سلوكك الحسن وأخلاقك الطيبة، واحترمي آراءه في شتى نواحي الحياة ـ دائماً ـ لانه رجل نير الفكر عالم بالاصلح في أمور الدين ومصلحة البيت .

لا تبدي له أي نوع من العناد وصعوبة الانقياد لانك تعلمين انه على اثر ذلك يتحول المحيط الدافىء الى جسد بارد لاحياة فيه وقد تعصف به الرياح الهوج في النهاية .

٣ اتركي الترف ولا يتعلق قلبك بالخيال والتقاليد العقيمة المغلوطة التي تقيد ايدي الناس وتسفه دينهم ودنياهم ، وأصري على ان تكون حياتك سهلة ميسرة خلواً من التعقيد، وعليه فلا تطلبي مطلقاً أي شيء لايستطيع زوجك القيام به أو لايرى المصلحة فيه .

وأختم رسالتي بذكر احاديث شريفة تناسب المقام مذكراً اياك بجعل القران الكريم ونصوص الاحاديث خير مرشد في كل لحظة : (جهاد المرأة حسن التبعل) (لاتؤدي المرأة حق الله عز وجل حتى تؤدي حق زوجها) (ألا اخبرك بخير ما يكنز المرء ؟ المرأة الصالحة اذا نظر اليها سرته ، واذا أمرها أطاعته ، واذا غاب عنها حفظته) .

والدك

الجواب :

أبي الرحيم :

لم تغفل لحد الان ولا للحظة واحدة عن تعليمي وتربيتي فكانت هذه الرسالة المقدسة في هذه اللحظات الحساسة مواصلة لحنوك الأبوي وتعهدك الدقيق بذلك .

من صميم قلبي أقول : ان حروفك ستنطبع على قلبي وستتجسد في سلوكي . فقر عيناً بابنتك المطيعة السامعة .

والدي الكريم :

لا أملك ما اقدمه اليك فكل قيمة تذوب امامك ، وكل شكر لايقوم في قبال ما اسديت لي فليس لي الا ان اقول :

هاك طاعتي الدائمة . . وهذه حياتي ستكون ان شاء الله دليلا على ذلك .

ابنتك المطيعة

التعريف بالتراث

(٣)

عوالم العلوم والمعارف والاحوال

من الآيات والأخبار والأقوال

للشيخ عبد الله بن نور الله البحراني

بقلم : السيد احمد الحسيني

المحدث الجليل والمؤلف المكثر الشيخ أبو الحسن عبد الله بن نور الله البحراني، وهو مع عظمته فى عالم التأليف وجمع الاحاديث ومكانته العلمية الكبيرة لم يترجم فى المعاجم بصورة مفصلة الا بعض النتف التي استفيدت من مقدمته الطويلة التي كتبها لكتابه القيم «عوالم العلوم» الذي نحن الان بصدد الحديث عنه.

كان من اعلام القرن الثاني عشر الهجري، وهو تلميذ المولى محمد باقر بن محمد تقي المجلسي المتوفى سنة ١١١١ هـ، وله منه اجازة حديثية، عبر المجلسي فيها عنه بـ «الولد العزيز»، وقد سافر كثيراً الى الاقطار الاسلامية، فحج الى مكة المكرمة وزار المدينة المنورة والنجف الاشرف وكربلاء والكاظمية وسامراء ومشهد الرضا (ع) وكانت زيارته للمشاهد المشرفة اكثر من مرة واحدة.

ويظهر من المقدمة أيضاً انه كان يعيش فى ضيق مادي عظيم، فانه قد أظهر تبرمه الشديد من الدنيا والالام التي يجدها فى حياته.

ويبدو مما كتب عنه بعض الاعلام أنه كان قاضياً باصبهان ، وقد روى عنه جماعة من الاعلام منهم : المولى محمد رفيع الجيلاني ، والمولى محمد أكمل والد الوحيد البهبهاني .

ولم يكن كتاب « العوالم » هو الجهد الوحيد للبحراني ، بل له قبله كتاب «جوامع العلوم» الذي يجمع كل العلوم المتداولة في عصره وكتاب «جوامع الآداب» الذي يظهر من المقدمة أنه كتاب كبير ومهم جداً .

* * *

أما كتاب «العوالم» فهو موسوعة كبيرة في مائة وثمانية وعشرين جزءاً ،يجمع الايات الكريمة والأحاديث المروية عنهم عليهم السلام في كل موضوع اعتقادي وفقهي . فيذكر في كل باب الايات المناسبة له أولا ، ثم يجمع ماورد فيه من الاحاديث ويشرح مايحتاج الى الشرح بصورة مختصرة بعنوان «بيان» .

وفي أول الكتاب مقدمة ضافية تتضمن أربعة مطالب : المطلب الاول في المصادر التي ينقل عنها ، المطلب الثاني في نقل نص مقدمة بعض المصادر ، المطلب الثالث في الاصطلاحات التي يستعملها المؤلف في الكتاب ، المطلب الرابع في رموز الكتب المنقول عنها .

ألف هذا الكتاب بعد وفاة العلامة المجلسي ، ولكن ينقل عنه المؤلف كثيراً بعنوان «أستادي العلامة» . ويقال أنه قد صرح باسم المجلسي في النسخ التي هي بخطه الا أنه عدل عن التصريح باسم أستاذه فشطب على الاسم في تلك النسخ .

قال العلامة الجليل الميرزا حسين النوري في كتابه «الفيض القدسي» عندذكر كتاب «العوالم» بأنه هو البحار نفسه ، ولكن غير البحراني منهجه في الترتيب وبدل اسمه .

ونعتقد أن هذا القول تسرع في الحكم ، فان البحراني توسع كثيراً في الجمع وله مصادر لم يعثر عليها المجلسي ، ومن توسعه ما نجده في الكتاب المختص بأحوال النبي صلى الله عليه وآله الذي يبلغ عشرة أجزاء وهكذا الكتب التي اختصت

بما بعد النبي وموضوع الامامة وما جمعه عن الامام امير المؤمنين عليه السلام.ومن توسعه أيضاً التبويب الدقيق لكل الموضوعات الاعتقادية والفقهية وغيرها واستيعاب الاحاديث في كل باب من الابواب .

لم يطبع من «العوالم» الا الكتاب السابع عشر منه الذي يختص بحياة الامام الحسين عليه السلام ومقتله ، فانه طبع على الحجر بايران سنة ١٣١٨ ﻫ(١) .

وقد ترجم كثير من مجلداته الى الفارسية ، وربما ترجم بعضها الى الفارسية أكثر من مرة واحدة ، وقد رأيت بعض الترجمات مخصوصاً في مكتبات ايران والعراق . وأهم تلك الترجمات ماترجمه السيد احمد بن محمد الحسيني الاردكاني اليزدي من علماء القرن الثالث عشر الهجري،فانه ترجم مايختص بحياة المعصومين عليهم السلام في كتاب كبير له عدة أجزاء باسم«سرور المؤمنين»،وكانت الترجمة بطلب من محمد ولي ميرزا حاكم يزد وابن فتحعليشاه القاجاري .

وضع المؤلف قبل بعض الاحاديث أو الاسانيد دائرة حمراء للتدليل على ان الحديث أو السند قد تفرد به ذلك المصدر أو لم ينقل عن أحد من الائمة الا الامام المذكور في ذلك السند ، وهذه ميزة مهمة توجد في النسخ التي هي بخط المؤلف ولعدم مراعاة الناسخين هذه النقطة الهامة ضاعت من النسخ المنسوخة من الأصل .

* * *

وقد قسم المؤلف موسوعته الى مائة كتاب خمسين منها في الأصول الاعتقادية وخمسين منها في الفروع العبادية ، ومجموع أجزائها مائة وثمانية وعشرون جزءاً واليك ثبت الكتب وموضوع كل واحد منها حسب تقسيمه :

الاول : في المقدمات والمصطلحات وذكر المصادر . الثاني : كتاب العقل والجهل وما جاء فيهما . الثالث : كتاب العلم . الرابع : المعرفة واثبات الصانع

---

(١) كذا في الذريعة ٣٥٦/٥ ، وفي فهرس مكتبة الامام الرضا بمشهد انه طبع في تبريز ١٢٩٥ ﻫ بمطبعة الحاج ابراهيم التبريزى وهو بخط محمد هاشم التبريزى. ولعله طبع مرتين أو أكثر .

تعالى . الخامس : التوحيد . السادس : العدل . السابع : النبوة ، وفيه جوامع أحوال الانبياء . الثامن : قصص الانبياء ، في أربعة أجزاء . التاسع : أحوال نبينا صلى الله عليه وآله ، في عشرة أجزاء . العاشر : الفتن الواقعة بعد النبي (ص) ، في جزئين . الحادي‌عشر : أحوال الزهراء عليها السلام . الثاني‌عشر : الامامة ،في أربعة أجزاء . الثالث‌عشر : أحوال الخلفاء الثلاثة ، في ثلاثة أجزاء. الرابع‌عشر: أحوال طلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص ،في ثلاثة أجزاء . الخامس عشر: أحوال الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، في ثمانية أجزاء . السادس‌عشر : أحوال الامام الحسن عليه السلام . السابع‌عشر : أحوال الامام الحسين عليه السلام . الثامن‌عشر : أحوال علي بن الحسين السجاد عليه السلام . التاسع‌عشر : أحوال محمد بن علي الباقر عليه السلام . العشرون : أحوال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام . الحادي والعشرون : أحوال موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام . الثاني والعشرون : أحوال علي بن موسى الرضا عليه السلام . الثالث والعشرون : أحوال محمد بن علي الجواد عليه السلام ، الرابع والعشرون : أحوال علي بن محمد الهادي عليه السلام . الخامس والعشرون : أحوال الحسن بن علي العسكري عليه‌السلام. السادس والعشرون: أحوال الامام المنتظر عليه‌السلام. السابع والعشرون: أحوال العالم المطلق. الثامن والعشرون: أحوال العالم العلوي. التاسع والعشرون: علم النجوم وحليته وحرمته . الثلاثون : أحوال الملائكة . الحادي والثلاثون : أحوال العالم السفلي . الثاني والثلاثون : الجمادات والجبال والمعادن . الثالث والثلاثون : النباتات وأحوالها . الرابع والثلاثون : أحوال الحيوان . الخامس والثلاثون : الجن والشياطين . السادس والثلاثون : الانسان والنفس والروح وبقية القوى. السابع والثلاثون: الطب المنقول عن النبي والائمة عليهم عليهم السلام الثامن والثلاثون : أحوال الدنيا وما ورد فيها . التاسع والثلاثون : الموت وعالم البرزخ . الاربعون : علامات الساعة. الحادي والاربعون: أحوال الاخرة والمعاد. الثاني والاربعون : الايمان والكفر . الثالث والاربعون : مكارم الاخلاق ومساوئها.

الرابع والاربعون : الاوامر والنواهي . الخامس والأربعون : الذنوب والمعاصي. السادس والأربعون : الاداب والسنن . السابع والاربعون : الاحتجاجات ، فـي جزءين. الثامن والاربعون : المواعظ والخطب . التاسع والاربعون : جمل الحكم وجوامع الكلم. الخمسون : آداب العشرة . الحادي والخمسون: أحكام الطهارة. الثاني والخمسون : أحكام الصلاة . الثالث والخمسون : أعمال اليـوم والليلة . الرابع والخمسون : أعمال الاسبوع . الخامس والخمسون : القـرآن . السادس والخمسون : الانكار . السابع والخمسون : الادعية . الثامن والخمسون : الزكاة والخمس . التاسع والخمسون : أحكام الصوم . الستون : أعمال الشهر المطلق . الحادي والستون: أعمال السنة . الثاني والستون: الحج والعمرة. الثالث والستون: المزار . الرابع والستون : أحكام الجهاد . الخامس والستون : الامـر بالمعروف والنهي عـن المنكر . السادس والستون : المكاسب . السابع والستـون : البيع والتجارة. الثامن والستون: الديون . التاسع والستون : الرهن. السبعون: الحجر. الحادي والسبعون : الاجارة والقبالة . الثاني والسبعون : المزارعة والمساقاة . الثالث والسبعون: الوديعة والامانة والعارية. الرابع والسبعون: الكفالة والضمان والوكالة . الخامس والسبعون : الصلح . السادس والسبعون : المضاربة والبضاعة. السابع والسبعون : الجعالة . الثامن والسبعـون : الوقوف والحبس والسـكنى والعمرى والترقيب والهيئات والعلافات . التاسع والسبعون : المصارعة والسبـق والرماية وأنواع الرهان. الثمانون : الوصايا. الحادي والثمانون : النكاح . الثاني والثمانون: الفراق. الثالث والثمانون: العتق والتدبير والمكاتبة. الرابع والثمانون: الايمان والنذور والعهود. الخامس والثمانون: الصيد والذباحة. السادس والثمانون: الاطعمة وحلالها وحرامها . الثامن والثمانون: اللقطة والضالة . التاسع والثمانون: المتركات وأحكام الحريم وأحياء الموات . التسعون : الشفعة وأحكامها . الـواحد والتسعون : الغصب وما بوجب الضمان . الثاني والتسعون : القضاء وأحـكامها . الثالث والتسعون : الشهادات . الرابع والتسعون : القرعة . الخامس والتسعون : المواريث . السادس والتسعون: الحدود. السابع والتسعون: الجنايات والقصاص.

الثامن والتسعون : الديات . التاسع والتسعون : بعض أحوال الرجال . المائة : اجازات بعض العلماء لبعض.

كانت دورة كاملة من كتاب «العوالم» فى مكتبات يزد الخاصة ، وقد تبعثرت أجزاؤه قبل أعوام فبيعت متفرقه ، وكان من نصيب مكتبة مجلس الامة بطهران كثير من الاجزاء .

وحدثت أن دورة كاملة منه توجد فيمكتبة الحاج كريم خان الكرمانى بكرمان ولكن حدثني سماحة العلامة الحجة الشيخ محمد الصدوقي اليزدي أن الدورة التي كانت في يزد بيع بعض أجزائها الى مكتبة مجلس الامة بطهران وبعضها الى مكتبة الكرماني بكرمان .

وفيما يلى أقدم ثبتاً بالمجلدات التي علمت بوجودها فى المكتبات العامة ، ونظراً الى أن وصف هذه المجلدات والأجزاء يحتاج الى مجال واسع جداً أحيل القارىء الكريم الىأرقامها فى المكتبة أو مكانها من الفهارس المطبوعة لكي يرجع بنفسه اليها للاطلاع على التفاصيل :

١ ـ مكتبة السيدالوزيري في يزد ، برقم : ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ١٠٤٧ ، ١٧٥٨ ، ١٩٠٨ ، ٢٦٤٨ ، ٣٠٥٨ .

٢ ـ مكتبة آية الله النجفي المرعشي فى قم ، برقم : ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٤٠٠ .

٣ ـ مكتبة مجلس الأمة فى طهران ، انظر فهرسها : ج ٤ ص ٤٤ ـ٤٧ وج ٧ ص ١٩٣ ـ ١٩٥ و٤٣٣ وج ١٠ ق ٢ ص ٧٦٤ ـ ٧٦٥ وج ١٢ ص ٣١ وج ١٧ص ٢٢٤ .

٤ ـ المكتبة المركزية بجامعة طهران ، أنظر فهرسها : ج ٧ ص ٢٧٦٢ وج ٨ ص ٥٥١ وج ١١ ص ٢٢٧٦ .

٥ ـ مكتبة جامع گوهر شاد فى مشهد الرضا (ع) ، أنظر فهرسها ص ٣٥٢ .

٦ ـ مكتبة كلية الاداب فى طهران ، أنظر فهرسها ج ٣ ص ٩٨ .

تحية الى الهادي

الشيخ قاسم عباس الحائري

احرف الهادي أيا صوت الجهاد ... أنت أصبحت مناراً للرشاد
أنت نبع فاض من قلب الهدى ... حيث فيه الفكر يمضى في اتقاد
أو كشمس أشرقت زاهية ... فأضاءت بسناها كل واد
أنت ورد عاطر من روضة ... هي غذت جيلنا من خير زاد
عطرت أجواءنا من فيحها ... وشذاها قد روى غل الفؤاد
عبقت من دار تبليغ لها ... نفحة مسكية فى كل ناد
قد رعاها آية الله الذى ... هو للشرع مدار فى سداد
كاظم من آل بيت المصطفى ... مرجع فذ وذخر للعباد
هيئة التحرير للهادي لكم ... فى الحشا حب الى يوم المعاد
أنقذوا بالدين جيلا ضائعاً ... ايقظوا الامة من طول الرقاد
جاهدوا بالعلم والوعي معاً ... وانشروا الأسلام فى كل البلاد
فالجهاد اليوم فرض واجب ... بالدما طوراً وطوراً بالمداد

الى القراء الكرام ..

تمشياً مع الاهداف التي انشأت من أجلها دار التبليـغ الاسلامي ، وتوخاها مؤسسها آية الله العظمى السيد شريعتمداري ـ دام ظله ـ كواجب يقع أثقل ما يقع على كاهل المرجعية الواعية .

وسيراً في طريق مضاعفة الجهود المختلفة في ايصال الفكر الاسلامي الخالص، الى كل الشعوب بحيث يستطيع كل قارىء أن يطلع على كنوزه القيمة بأسهل الطرق فانا نعلن الى قرائنا الاعزاء بأنا سنقوم بطبع كراسات دورية باللغة العربية تعرض الفكر الاسلامي بشكل مبسط وتوزع مجاناً على أوسع صعيد وجنباً الى جنب مع النشريات الدورية التي تصدرها هذه الدار ، باللغاة المختلفة ، كالفارسية والانجليزية والاردو.

وسيقوم وكلاء مجلتنا المتواجدون في مختلف الاقطار الاسلامية ، وغيرها ، بتوزيع هذه النشرات ، كما أننا على استعداد لارسال هذه النشرات لكل من يطلبها من ادارة المجلة .

ونسأله جل وعلا أن يوفق الجميع للقيام بالواجب تجاه الاسلام العظيم بل وتجاه الانسانية ، باعتبار أن الاسلام امل العالم في كل عصر ، والبديل الوحيد لكل النظم البشرية الناقصة .

وختاماً نتوجه الى السادة المفكرين ، طالبين منهم أن يمدونا بأفكارهم الوقادة، في كلماتهم ومقالاتهم الواعية ، راجين أن تكون كتاباتهـم بلغة سهلة ، يمكن أن يستفيد منها أكبر عدد من ابناء الامة الاسلامية ، وسائر الامم .

والله من وراء القصد .

العالم الاسلامي

(٢)

جغرافية و احصاء

بقلم : السيد هادي خسروشاهي ـ قم

التناقض فى الاحصائيات

المسلمون فى الهند :

بناء على الاحصاء الرسمي لسنة ١٩٦١ م أعلن ان عدد مسلمي الهند ٤٧/٥ مليون نسمة ، ولكن هذا الاحصاء قوبل باعتراض شديد ، من قبل قادة المسلمين فى الهند والباكستان ، لانه ذكر الاحصاء بصورة مزيفة ، وان بعض المناطق التي يسكنها المسلمون فى الهند ، ذكر بانها مناطق (هندوس) ،أضف الى ذلك أن وزير الدفاع الهندي اعلن قبل سنوات ان عدد مسلمي الهند يبلغ ٧٠ مليون نسمة (٢٢).

ومع الالتفات الى هذه النقطة وتكاثر السكان فى الهند نعلم بأن عدد المسلمين فى الهند يزيد على ٧٠ مليون نسمة ، مع العلم بأننا حتى فى الاحصائيات التي اوردناها فى هذا البحث ذكرنا عدد مسلمي الهند بأقل من هذا الرقم .

المسلمون فى الصين :

ذكر كتاب (دائرة المعارف يا فرهنگ علم وهنر) ان «للاسلام فى الصين ٥٠ مليوناً من الاتباع » ، ويقول الجنرال (حسين علي رزم آرا) ضمن خطابه فى

(٢٢): مجلة (الاتحاد) طبع امريكا . السنة ٤ العدد ٢ مارس ١٩٦٧م ص٢٠ .

المجمع الأيراني للفلسفة والعلوم الانسانية : أن « عـدد كل المسلمين فى الصين الشيوعية يقـرب مـن ٧٠ مـليون نسمة ، وأن الاكثريـة تقطن فى الولايات الشمالية الغربية ، والشمالية الشرقية ، ومدن : هونان هوبي ، شانتوك ، سه جوان وولايات : آنهوي ، كيانغو ، جكيانـغ ، فوكين ، كوانك‌تك و . . . الخ . وقدشيد المسلمون فى مدينة نانكينك فقط ٣٦ مسجداً ، ويقولون ان فى مجموع الأراضي الصينية قد شيد حوالي اربعين الف مسجداً ، يستفيد منها المسلمون فـى العبادة وخطبهم التي يدعون فيها الى الاتحاد» (٢٣) .

وفى كتاب (المسدوسي) بحث مفيـد وممتاز عن مسلمي الصين ، اذ يذكر أن عدد مسلمي الصين ٦٥ مليون نسمة (٢٤) . ولكن هذا الرقم ليس صحيحاً ايضاً ، وذلك اعتماداً على قول احد قادة المسلمين فى الصين ، بأن هذا الاحصاء يرجع الى عام ١٩٢٥ م ، وحسب اعتقاد البعض الاخر ، ان هذا الرقم (٧٠ مليون نسمة) يرجع الى عام ١٩٢١ م (٢٥) .

وذكر فى كتاب (Chjna HandbooK) ان عدد المسلمين فى عام ١٩٤٨ م كان يزيد على ٤٨ مليون نسمه (٢٦) . واذا أردنا ان نفترض صحة هذا الرقم ونعتبر ان سكان الصين يتكاثرون ٢٪ سنوياً ، مع هـذا فان عدد المسلمين من ذلك التاريخ فما بعد، يبلغ اكثر من ٦٥ مليون نسمة .

المسلمون فى الاتحاد السوفيتي :

الاحصائيات المتعلقة بالمسلمين فى الاتحاد السوفيتي مختلفة ايضاً ، فقـد ذكر ان الأحصاء الرسمي لعدد المسلمين فى روسيا السوفيتية فى عام ١٩٢٧ م يبلغ ٢٤

(٢٣): (مجموعة سخنرانيها و خطابهها) فى المجمع الايرانى للفلسفة والعلوم الانسانية جزء ٣ . طبع طهران ١٣٤٥ ش . ص ١٣٥ - ١٣٧ .

(٢٤): كتاب (أحمد عبد الله المسدوسى) طبع كراتشي . باسم :
Living Religions of the world SociePolitical study. P. 36.

(٢٥):مجلة «الاتحاد» طبع امريكا ، السنة ٤ ، العدد ٢ ، ص ٢٠ .

(٢٦): Islam in China.Newyork.

مليون نسمة،ولكن بموجب الاحصائية الصادره فى مجلة (رسالة الأسلام) انالمسلمين السوفيت ٢٨مليون نسمة،وبموجب تقرير (لوئي ماسينيون) يبلغون ٢١/٤٢٠/٠٠٠ نسمة وفى عقيدة (هازارد) الامريكي ١٨/٥ مليون نسمة ، وأما مؤلف كتاب (مسلمانان جهان) فانه يذكر فى صفحة ٩٧ أن عدد المسلمين السوفيت ٤٥ مليون نسمة .

والمصادر السوفيتية الرسمية لم تنشر الاحصائية الصحيحة للمسلمين السوفيت وفى كتاب انتشر فيموسكو باللغة الانكليزية (٢٧) وفى طهران باللغة الفارسية(٢٨) من قبل المصادر السوفيتية ، الرسمية جاء أن عدد المسلمين يأتي بعد المسيحيين فى الدرجة الثانية ، ويضيف «. . . ان دين الاسلام من حيث عدد اتباعه فى الاتحاد السوفيتي يأتي فى الدرجة الثانية ، وأكثر المسلمين السوفيت من السنة ، ويسكن اكثر الشيعة فى جمهورية اذربيجان السوفيتية . . .» .

ولكن عالماً تركياً يعتقد ان المسلمين السوفيت والذين هم من عنصر تركي ، يبلغون ٥٠ مليون نسمة (٢٩) و(المسدوسي) يعتقد بعد التدقيق اللازم بأن حوالى ٣٦/٥ مليون نسمة من المسلمين السوفيت يسكنون فيالقسم الاسيوي و ١٠ ملايين نسمة فى القسم الأوربي من الاتحاد السوفيتي (٣٠) .

المسلمون فى أمريكا :

ذكر فى نشرة «كتاب جهاني كليساها» طبع ١٩٦٣ م ، ان عدد المسلمين فى امريكا ٣٥ الف نسمة (٣١) . ونحن اذا لم نشك فى اسباب هذا التحديد يجب ان ان نقول ان الاحصاء مبني على تعداد الافراد الذين يؤدون فريضة الصلاة فيمساجد امريكا ، مع العلم بأن المساجد فى امريكا قليلة، واكثر الناس المسلمين يؤدون الصلاة

---

(٢٧) U. S. S. R. questions and answers.

(٢٨): (آشنائى بيشتر با اتحاد شورى) طبع غوتنبرغ طهران .

(٢٩): مقال (مورگان Morgan) فى المصدر رقم ٢٦ .

(٣٠): مصدر رقم ٢٢ . ومصدر رقم ٢٤ .

(٣١) *world book of churches، 1963* .

في بيوتهم، فلا يمكن‌ان يكون هذا الاحصاء المعرف الواقعي لعدد نفوس‌المسلمين في امريكا (٣٢) .

وحسب الاحصائية الاخيرة المنتشره من‌قبل «جيمس خليل» المسلم الامريكي والرئيس السابق لمنظمة الجمعيات الاسلامية في امريكا وكندا، فان ٤٠٠ ألف مسلم يسكن في امريكا الشمالية .

وهذا الاحصاء يتعلق بعشر سنوات قبل هذا التاريخ ومبتن على التخمين، ولم يشمل عدد المسلمين الجدد الكثيرين (٣٣) .

بالاضافة الى هذاالعدد، لواضفنا عدد المسلمن الزنوج الامريكيين فانه يجب القول بانه يعيش حوالي مليون نسمة من المسلمين في امريكا . واستنادا الى المطبوعات الامريكيه ، فان عدد المسلمين الزنوج ـ واكثرهم من اتباع «عليجاه محمد» مع مالهم من الاخطاء في بعض العقائد يبلغ الان نحو ٥٠٠ الف نسمة ، وهم في زيادة مستمرة وسريعة .

والمسلمون‌الزنوج يصدرون صحيفة باسم«Mohammad Speaks» اي (محمديتكلم) بالاضافة الى‌عشرات المساجد والمعابد التي‌شيدوها في المدن الامريكية الكبيرة والصغيرة ، وأسسوا محطات اذاعية لنشر البرامج الأسلامية للزنوج . فالنهضة الاسلامية بين الزنوج الامريكان ، والجهود التـي يبذلونها في سبيل اشاعة الـدين الاسلامي دفعت علماء الاجتماع والكتاب الامريكان الى القيام بدراسات وتحقيقات واسعة بين الزنوج المسلمين ونشر كتب ومقالات في هذا المضمار (٣٤) .

---

(٣٢): للاستفادة اكثر ينصح بالرجوع الى كتاب (الاسلام والمسلمون في‌القارة الامريكية) تأليف : الدكتور محمود الشورابي‌طبع القاهرة . ١٩٦٣ م وكذلك الى كتاب : (المسلمون في العالم اليوم) تأليف الدكتور عبد الرحمن زكي ، طبع مصر ١٩٥٨ . ج ٥ . وفي مقالات اعداد سنه ١٣٨٧ هـ.ق من المجلة الشهرية (الوعي الاسلامي) طبع الكويت .

(٣٣): (الاتحاد) طبع امريكا ، السنة ٤ ، العدد ٢ ، ص ٢٠ .

(٣٤): يراجع كتاب : Book Nationalism تأليف : E. U. Essjen udom
طبع امريكا . نيويورك ١٩٦٣ م و : The Black Muslims in Amrica

المسلمون في انجلتره :

الاحصائيات التي نشرت سابقا (كما جاءت فى هذا البحث ايضاً) توضح أن في بريطانيا يعيش حوالى ٢٥٠ الف نسمة من المسلمين ، فى حين ان المجلة الاسبوعية (عالم المسلم) «The Muslim World» وهي نشرة (المؤتمر الاسلامي فى كراتشي) فى احد اعدادها الاخيرة اعلنت بأن عدد المسلمين فى انجلترة ٥٠٠ الف نسمة (٣٥) . كما قال مولانا عبد المحبد ، مدير المجلة الشهرية (اسلاميك ريويو) (The Islamic Review) طبع لندن (ان عدداً يتجاوز الـ ٥٠٠ ألف نسمة من المسلمين يعيشون متفرقين فى مناطق مختلفة من انجلتره) (٣٦) .

الاسلام والمسلمون فى القارة السوداء

تملك افريقيا موقعاً ممتازاً ومنقطع النظير فى عالم الاسلام وقد تغلغل الاسلام فى اغلب المناطق الأفريقية، وأما من الناحية التاريخية فقد كانت افريقيا من المراكز الاسلامية المهمة ، وفيها مدن كالقاهرة ، تنمبكتوا (Tinbuktu) ، طرابلس ، كانوا (Kano) كانت مصادر اشعاع التعاليم الاسلامية فى قرون عديدة .

والمجلة الشهرية (اسلاميك ريويو) توضح جيداً تحت عنوان : (افريقيا قارة اسلامية) أن مجموع نفوس افريقيا يبلغ ٢٧٣ مليون نسمة ، منهم ١٧٠ مليون نسمة من المسلمين (٣٧) .

ـ بقلم : C. Eric Lincoln طبع امريكا بوستن ١٩٦١ م و(المسلمون الزنوج فى امريكا) ترجمة : عمر الديروادى طبع بيروت ١٩٦٢ . و : (مذكرات مالكلوم ايكس) طبع بيروت ١٩٦٨ . ومجلة (لواء الاسلام) طبع القاهرة . العدد ٦ . السنة ٢٠ . ومجلة (مكتب اسلام) السنة ٥ . طبع قم .

(٣٥): مجلة (مكتب اسلام) السنة ٩ . العدد ١١ قسم اخبار العالم الاسلامى .

(٣٦): (سالنامهٔ دنيا) ١٣٤٧ . ص ٥٩ . مقال (مسلمانان ومساجد اسلامى در انگلستان)

(٣٧) The Islimic Review، London، 1966 .

وبعد تحرير الاراضي الأفريقية من براثن الاستعمار كسب الاسلام تقدماً جديداً ، فالاسلام كمذهب ودين،وطريقة للحياة وقانون لها ، اصبح متقبلا من جانب الشعوب الافريقية المحرومة المظلومة ، لانه النظام الوحيدالذي يمكنه ان يلبي حاجاتهم .

مع أن عملاء الاستعمار (والمبشرون المسيحيون من جملتهم) بالتعاون مع الامبريالية والصهيونية العالمية ، تواطأت بوقاحة ضد المسلمين فيافريقيا ، وخططت ابشع مؤامراتها ونفذتها ومارست عليهممختلف ألوان الضغط حتى القتل الجماعي، الا ان الذي يلفت النظر هو أن الاسلام لا زال مستمراً فى تقدمه ، حتى ان احدى كبريات الجمعيات الأسلامية الفعالة انبثقت فى افريقيا الجنوبية التي تكون نسبة المسلمين فيها ٢٪ فقط .

واخيراً اشتدت النشاطات الاسلامية فيافريقيا،بحيث انجماعات غيراسلامية اعم من الوثنيين والمسيحيين وأصحاب العقائد المحلية،اتجهت نحو الأسلام بسرعة وبناء علىتصريح المرحوم«حاج احمد وبللو» رئيس وزراء مسلميالولاياتالشمالية النيجيرية ، والذي قتل قبل سنوات على يد العسكريين الصليبيين ، فقد أسلم فى مدة سنتين فقط،حوالى ٢٠٠ ألف نسمة منالوثنيين والمسيحين النيجرين بواسطة (جمعية نصر الاسلام) (٣٨) .

علم معرفة السكان

والنتيجة التي يمكن الحصول عليها من هذا التدقيق هيأن عدد مسلمي العالم يربو بلا شك على ٦٥٠ مليون نسمة ، وربما يصل الى ٧٠٠ مليـون نسمة ، لأن الاحصائيات التي استفدنا منها والتي جاءت فى هذه الرسالة ، اكثرها يتعلق بتعداد النفوس لعام ١٩٥١ م (اي قبل ٢١ عاما) .

وحسباحصائيات عام ١٩٦٥ م التيانتشرت رسمياً منجانب الدول المختلفة

---

(٣٨) كتاب (الشهيدالحاجاحمد وبللو) طبع مكة. العربية السعودية . رمضان ١٣٨٥هـ تصريحات حاج احمد وبللو فى مؤتمر رابطة العالم الاسلامى فى سنة ١٣٨٤ هـ .

او الاحصائيات التي نشرتها التقاويم السنوية الديمقرافية (*) لهيئة الامم المتحدة ان سكان كثير من الدول يتكاثرون بصورة هائلة لاسيما في الدول الافريقية والاسيوية. ومثالا على ذلك : فان سكان الدول التالية في عام ١٩٦٥ م كانوا كما يلي :

الباكستان	١٠٥/٠٤٤/٠٠٠ نسمة
تركيا	٣١/٠٨٦/٠٠٠ نسمة
اندونيسيا	١٠٥/٥٠٠/٠٠٠ نسمة
افغانستان	١٥/٢٢٧/٠٠٠ نسمة
مصر	٢٩/٦٠٠/٠٠٠ نسمة
نيجيريا	٥٥/٠٠٠/٠٠٠ نسمة
ايران	٢٦/٠٠٠/٠٠٠ نسمة
سوريا	٥/٦٣٤/٠٠٠ نسمة
البانيا	١/٨٦٥/٠٠٠ نسمة

في حين ان الاحصائيات السابقة كانت تصور نفوس بعض الدول الاسلامية الانفة الذكر ومن جملتها باكستان وأندونيسيا بأقل من ١٠٠ مليون نسمة .

وهنا يجب ان نعرف الامكنة التي ترتفع فيها نسبة التكاثر عادة .

فقد اضيف في السنوات العشر من ١٩٥٠ - ١٩٦٠ م ٥٠٠ مليون نسمة الى سكان العالم ، وفي السنوات الخمس من ١٩٦١ - ١٩٦٥ م كان معدل الزيادة السنوية يتجاوز ٦٠ مليون نسمة ، تطرح منها ٨ ملايين تتعلق بامريكا الشمالية واوروبا (عدا السوفيت) و ٤ ملايين نسمة تتعلق بالاتحاد السوفيتي ، وعلى هذا الاساس فان معدل الزيادة السنوية للدول الافريقية والاسيوية المتكاثرة يكون ٥٠ مليون نسمة (٣٩) .

(*) الديمقرافي : علم معرفة السكان .

(٣٩): كتاب زنظرى بجغرافياى جمعيت) ترجمة وتأليف الدكتور مهدى اماني طبع طهران ١٣٤٧ ش .

ونشرت احصائية تقول ان سكان الكرة الارضية كان يبلغ قديماً ٢٥٠مليون نسمة وفي أواسط القرن السابع عشر للميلاد نصف بليون نسمة، وفي عام ١٨٥٠م بليوناً واحداً وفي عام ١٩٤٠ م كان يعيش على سطح الكرة الارضية بليونان ، وهذا الرقم الذي تجاوز الان ٣ بليونات ، سوف يصل قبل عام ١٩٨٠ م الى ٤ بلايين نسمة ، وقبل نهاية القرن العشرين يصل وبدون اي شك الى اكثر من ٨ بلايين نسمة .

وبالاضافة الى هذه الارقام والاحصائيات الناتجة من التحقيقات الواسعة لعلم (معرفة السكان) «الديمقرافي» فان هناك تدقيقاً تقريبياً يعكس أن في دور الامبراطور (تيبر) في الروم (١٤ عاماً قبل ولادة السيد المسيح) كان ما يقرب من ٥٤ مليوناً يقطنون في منطقة يعد سكانها اليوم ٣٠٠ مليون نسمة . والمفهوم من هذه الاحصائية التقريبية، ان زيادة عدد السكان خلال ١٩ قرناً بلغت ستة أضعاف فقط .

أما الاحصائيات الحديثة الاخيرة، فتفيد بأن زيادة السكان في القرون الماضية كانت بطيئة، فمثلا في عام ١٦٥٠ م كان عدد سكان العالم ٥٤٥ مليون نسمة (بصورة تقريبية) وازداد بصورة غير ملحوظة ، الا أنه في أواخر القرن الثامن عشر ـ وبعد قرون من الركود ـ ازداد عدد السكان بسرعة، بحيث كان من اللازم لحد الان ٢٠٠/٠٠٠ سنة كيما يصل عدد نفوس الكرة الارضية الى ثلاثة بلايين ونصف بليون نسمة ، ويكفي الان ٣٠ عاماً لتضاف ٣ بلايين أخرى الى هذا الرقم، لان زيادة السكان في كثير من الدول أخذت بالنمو ٠٢/. سنوياً ، وسكان البعض الاخر ٠٣/. سنوياً ، وبالنتيجة فان سكان هذه الدول يصلون الى الضعفين خلال ٣٠ عاماً والى اثني عشر ضعفاً خلال ١٠٠ عام (٤٠) .

وفي الواقع وكما أظهرت الاحصائيات والتدقيقات السابقة، فان النفوس والسكان في الدول الاسلامية الافريقية والاسيوية الاخذة بالنمو ، كما يقول الاروبيون! تنمو بنسبة أكبر من بقية الدول ، فتضاف عشرة ملايين نسمة الى المسلمين أكثر من

---

(٤٠): كتاب (جمعيت شناسى عمومى) تأليف الدكتور جمشيد بهنام الجزء الاول طبع طهران ١٣٤٥ ش. ص ١٠٨ - ١٠٩ .

المسيحيين سنوياً ، وبصورة طبيعية ، وهذا موضوع اثبته علم معرفة السكان .

والآن وقد فرغنا من هذه المقدمة ، علينا ان نتوجـه الى آخر الاحصائيات المتعلقة بعدد نفوس المسلمين في العالم :

احصائيات المسلمين فى العالم

الاحصائيات التي نترجمها وننقلها هنا على نوعين :

١ ـ الاحصائيةالتي تمت من قبل (مؤتمر العالم الاسلامي) في باكستان ـ كراتشي ـ سنة ١٩٦٤ م ، وطبعت ونشرت في كتاب مفصل و مستند تحت عنوان :

Gazetteer World Muslim

ذكرت هذه الاحصائية في صفحة ٥٦٠ ـ ٥٦٨ من الكتاب المذكور ، أسماء الدول الاسلامية المستقلة ، العاصمة،المساحة ، مجموع السكان وعدد المسلمين .

٢ ـ احصائيةنشرة (الاتحاد) الناطقةباسم منظمة الجمعيات الطلابية الاسلامية في امريكا وكندا :

(The Muslim Students Association of the U.S.A. and Ganada)

والتي تصدر كل ثلاثة اشهر ، في عددها الثاني السنة الرابعة بتاريخ مارس ١٩٦٨ م والتي استفيد في تهيئتها واعدادها من المصادر المعتبرة وتمتاز بذكر تاريخ التعداد أيضاً . وصاحب الاحصائية الثانية يذكر في مقدمتها انه راجع كتاب (المسدوسي) أكثر من غيره ، واستفاد في الموارد الأخرى من المجلة الاسبوعية (عالم المسلم) (The Muslim World) ، وفـي الاحصاء المتعلق بالقارة الافريقية استفاد من كتاب (ملاوي) (٤١).

والفرق بين مجموعي هاتين الاحصائيتين يبلغ ١٢/٢٥٠/٠٠٠ نسمة ، ومـع أخذ التعداد الاخير بنظر الاعتبار، فان هذا الاختلاف يكون طبيعياً ، ولكن كما أشرنا اذا توجهنا الى الاحصائية الاخيرة وتعداد الـدول المختلفة ، فان عدد كل المسلمين *في العالم يبلـغ الان ٧٠٠ مليون نسمة، بل اكثر . .*

---

(٤١) : Thomas Patrick Melady Foces of Africa New York 1964

الاحصائية الاولى (*)

أ ـ الدول الاسلامية المستقلة :

اسم الدولة	العاصمة	المساحة (ميل مربع)	مجموع السكان	عدد المسلمين	النسبة المئوية
افغانستان	كابل	٢۶۴ر٠٠٠	١۴ر۶٨۴ر٠٠٠	١۴ر٥٣٧ر١۶٠	٩٩
البانيا	تيرانا	١٠ر۶٢٩	١ر٧١١ر٠٠٠	١ر٢۴٩ر٠٣٠	٧٣
الجزاير	الجزائر	٩۶١ر۶٢٠	١٠ر٧٨۴ر٠٠٠	٩ر٩٢١ر٢٨٠	٩٢
الكامرون	ياؤنده (دوالا)	١۶۶ر٨٠٠	۴ر٩٠٧ر٠٠٠	٢ر۶٩٨ر٨٥٠	٥٥
جمهورية افريقا المركزية	بانغيو	٢۴١ر٧٠٠	١ر٢٥٠ر٠٠٠	٧٥٠ر٠٠٠	۶٠
تشاد	فورت لامي	۴٥٩ر٣۶٨	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	٢ر٥٥٠ر٠٠٠	٨٥
داهومي	پورتونوو	۴۴ر٢٩٠	٢ر٠٥٠ر٠٠٠	١ر٢٣٠ر٠٠٠	۶٠
غينيا	كوناكرى	٩٥ر٠٠٠	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	٢ر٨٥٠ر٠٠٠	٩٥
اندونيسيا	جاكارتا	٧٣٥ر٣٨١	١٠٢ر٠٠٠ر٢٩۴	٩٥ر٨٨٠ر٢٧۶	٩۴
ايران	طهران	۶٢٨ر٠۶٠	٢٢ر٥٠٢ر٠٠٠	٢٢ر٠٥١ر٩۶٠	٩٨
العراق	بغداد	١۶٨ر٠۴٠	۶ر۶٨٧ر٠٠٠	۶ر٢٨٥ر٧٨٠	٩۴
ساحل العاج	ابى جان	١٢٧ر٥٠٠	٣ر٣٧٥ر٠٠٠	١ر٨٥۶ر٢٥٠	٥٣

(*): الرقمان ۴ و ۶ يشيران الي الرقمين ٤ ، ٦ وقد اضطررنا لهذا لعدم توفر الرقمين العربيين في المطبعة .

اسم الدولة	العاصمة	المساحة (ميل مربع)	مجموع السكان	عدد المسلمين	النسبة المئوية
الاردن	عمان	٣٧ر٥٠٠	١ر٧٢٧ر٠٠٠	١ر٥٧١ر٥٧٠	٩١
الكويت	كويت	٩ر٣٧٥	٥٠٠ر٠٠٠	٤٩٥ر٠٠٠	٩٩
ليبيا	طرابلس	٦٨٥ر٠٠٠	١ر٢٥٠ر٠٠٠	١ر٢٥٠ر٠٠٠	١٠٠
لبنان	بيروت	٤ر٠١٥	١ر٦٤٦ر٠٠٠	٩٣٨ر٢٢٠	٥٧
ماليزيا	كوالا لامبور	١٣٠ر٠٠٠	١٠ر١٨٧ر٠٠٠	٥ر١٩٥ر٣٧٠	٥١
مالي	باماكو	٤٦٤ر٧٥٢	٤ر٣٠٥ر٠٠٠	٣ر٨٧٤ر٥٠٠	٩٠
موريتانيا	نواكاشوت	٤١٩ر٠٠٠	٧٢٥ر٠٠٠	٧٢٥ر٠٠٠	١٠٠
المغرب	الرباط	١٧٢ر١٠٤	١١ر٩٢٥ر٠٠٠	١١ر٦٨٦ر٥٠٠	٩٨
النيجر	نيامي	٤٥٨ر٨٧٥	٢ر٨٧٣ر٠٠٠	٢ر٥٥٦ر٩٧٠	٨٩
نيجيريا	لاغوس	٣٥٦ر٦٦٩	٥٥ر٠٠٠ر٠٠٠	٤١ر٢٥٠ر٠٠٠	٧٥
الباكستان	اسلام آباد	٣٦٤ر٧٣٧	٩٦ر٥٥٨ر٠٠٠	٨٤ر٩٧١ر٠٤٠	٨٨
السعودية *	الرياض	١ر٤٩٦ر٨٩٠	١١ر٠٠٠ر٠٠٠	١١ر٠٠٠ر٠٠٠	١٠٠
السنغال	داكار	٧٨ر٠٠٠	٢ر٩٨٠ر٠٠٠	٢ر٨٣١ر٠٠٠	٩٥

* هذا الرقم غير صحيح وعدد نفوس المملكة العربية السعودية حسب الاحصائيات يبلغ ٧/٠٠٠/٠٠٠ نسمة .

اسم الدولة	العاصمة	المساحة (ميل مربع)	مجموع السكان	عدد المسلمين	النسبة المئوية
سيراليون	فرى تاون	٢٧ر٩٢٥	٢ر٤٥٠ر٠٠٠	١ر٥٩٢ر٥٠٠	٦٥
الصومال	مقديشو	٢٧٠ر٠٠٠	٤ر٥٠٠ر٠٠٠	٤ر٥٠٠ر٠٠٠	١٠٠
السودان	الخرطوم	٩٦٧ر٥٠٠	١٢ر١٠٩ر٠٠٠	٩ر٩٢٩ر٣٨٠	٨٢
سوريا	دمشق	٧٢ر٢٣٤	٥ر٠٦٧ر٠٠٠	٤ر٤٠٨ر٢٩٠	٨٧
تانزانيا وزنجبار (تانگانيكا)	دارالسلام	٣٦٣ر٧٠٨	٩ر٨٧٥ر٠٠٠	٦ر٠٢٣ر٧٥٠	٦١
توغو	لوحى	٢١ر٨٥٠	١ر٥٢٠ر٠٠٠	٨٣٦ر٠٠٠	٥٥
تونس	تونس	٥٨ر٢٥٠	٤ر٢٩٥ر٠٠٠	٣ر٩٩٤ر٣٥٠	٩٣
تركيا	انقره	٢٩٦ر٥٠٣	٢٩ر٠٥٩ر٠٠٠	٢٨ر٧٦٨ر٤١٠	٩٩
مصر	القاهرة	٣٨٦ر٢٠٠	٢٦ر٥٩٣ر٠٠٠	٢٤ر٤٦٥ر٥٦٠	٩٢
فولتا العليا	اواغادوغو	١٠٥ر٨١١	٤ر٤٠٠ر٠٠٠	٢ر٤٢٠ر٠٠٠	٥٥
اليمن	صنعاء	٧٥ر٠٠٠	٥ر٠٠٠ر٠٠٠	٤ر٩٥٠ر٠٠٠	٩٩
		المحموع الكلى :	٤٢٢ر٠٩٣ر٩٩٦		

ب : المناطق الاسلامية شبه المستقلة والمناطق الواقعة تحت سيطرة غير المسلمين:

المنطقة	العاصمة	المساحة (ميل مربع)	مجموع السكان	عدد المسلمين	النسبة المئوية	الدولة المسيطرة
ابوظبى	ابوظبى	٣٢٫٠٠٠	١٦٫٠٠٠	١٦٫٠٠٠	١٠٠	بريطانيا
عدن	عدن	١٣٠	١٥٨٫٠٠٠	١٢٦٫٤٠٠	٨٠	بريطانيا
اليمن الجنوبية	–	١١٦٫٩٧٦	٨٠٠٫٠٠٠	٧٩٢٫٠٠٠	٩٩	»
آذربيجان	باكو	٣٣٫٤٣٦	٤٫٢٣٢٫٠٠٠	٣٫٣٠٠٫٩٦٠	٧٨	روسيا
البحرين	المنامة	٢٣١	١٥١٫٠٠٠	١٤٩٫٤٩٠	٩٩	بريطانيا
بوروني	برونى	٢٫٢٢٦	٨٤٫٠٠٠	٦٣٫٨٤٠	٧٦	»
اريتريا	آسمره	٤٨٫٣٣٠	٢٫٥٠٠٫٠٠٠	١٫٨٧٥٫٠٠٠	٧٥	اثيوبى
اثيوبا (الحبشه)	آديس آبابا	٣٩٨٫٣٥٠	٢١٫٨٠٠٫٠٠٠	١٣٫٠٨٠٫٠٠٠	٦٠	حكومة الاقلية المسيحية
زامبيا	لوزاكا (باتورست)	٤٫٠٠٣	٣٥٠٫٠٠٠	٢٩٤٫٠٠٠	٨٤	بريطانيا
افنى (Ifni)	سدى افنى	٧٤١	٥٠٫٠٠٠	٤٥٫٠٠٠	٩٠	اسبانيا
كشمير	سريتاغار	٨٤٫٠٠٠	٥٫٠٠٠٫٠٠٠	٣٫٩٠٠٫٠٠٠	٧٨	هند
قزاقستان	آلما آتا	١٫٠٦٤٫٠٩٢	١١٫٢٦٧٫٠٠٠	٧٫٦٦١٫٥٦٠	٦٨	روسيا
كرجستان	فرونزه (Frunze)	٧٦٫٦٤٢	٢٫٣٧٩٫٠٠٠	٢٫١٨٨٫٦٨٠	٩٢	»

المنطقة	العاصمة	المساحة (ميل مربع)	مجموع السكان	عدد المسلمين	النسبة المئوية	الدولة المسيطرة
جزائر ملاوي	مالي (Male)	١١٥	١٠٠ر٠٠٠	١٠٠ر٠٠٠	١٠٠	بريطانيا
عمان ومسقط	مسقط	٨٢ر٠٠٠	٥٥٠ر٠٠٠	٥٥٠ر٠٠٠	١٠٠	«
فلسطين	القدس	١٠ر١٦٢	١ر٥٥٠ر٠٠٠	١ر٣٥٠ر٠٠٠	٨٧	الصهيونية
غينا البرتغالية	بيو	١٣ر٩٤٠	٦٠٠ر٠٠٠	٣٣٠ر٠٠٠	٥٥	البرتغال
سينغ يانغ	ارومجي	٧٠٥ر٧٦٩	٥ر٦٤٠ر٠٠٠	٤ر٦٢٤ر٨٠٠	٨٢	الصين الشيوعية
قطر	الدوحة	٤ر٠٠٠	٥٥ر٠٠٠	٥٥ر٠٠٠	١٠٠	بريطانيا
الصحراء الاسبانية	اسيون	١٠٥ر٤٠٩	٣٦ر٠٠٠	٣٤ر٢٠٠	٩٥	اسبانيا
تاجكستان	ستالين آباد	٥٤ر٠١٩	٢ر٢٦٧ر٠٠٠	٢ر٢٢١ر٦٦٠	٩٨	روسيا
تركمنستان	عشق آباد	٨٨ر٤١٧	١ر٧٤٣ر٠٠٠	١ر٥٦٨ر٧٠٠	٩٠	«
ازبكستان	طاشقند	١ر١٥٨ر٠٦٩	٩ر٤٩٥ر٠٠٠	٨ر٣٥٥ر٦٠٠	٨٨	«
			المجموع الكلي	٥٢ر٧٥٢ر٨٩٠		

ج : عد المسلمين فى الدول غير الاسلامية :

اسم الدولة	المساحة (ميل مربع)	مجموع السكان	عددالمسلمين	النسبةالمئوية
انغولا	٤٨١ر٣٥١	٤ر٨٧٠ر٠٠٠	١ر٢١٧ر٥٠٠	٢٥
الارجنتين	١ر٠٧٩ر٩٦٥	٢١ر٠٧٩ر٠٠٠	٢٩٥ر١٠٦	١ر٤

اسم الدولة	المساحة (ميل مربع)	مجموع السكان	عدد المسلمين	النسبة المئوية
غينيا	٢٢٤ر٩٦٠	٨ر٦٧٦ر٠٠٠	١ر٦٤٨ر٤٤٠	١٩
ليبريا	٤٣ر٠٠٠	٢ر٥٠٠ر٠٠٠	٧٥٠ر٠٠٠	٣٠
مالاغاسي	٢٢٨ر٠٠٠	٥ر٧٣٠ر٠٠٠	١ر١٤٦ر٠٠٠	٢٠
مالطه	١٢٢	٣٢٩ر٠٠٠	٣٦ر١٩٠	١١
موريس	٧٢٠	٦٨٢ر٠٠٠	١١٥ر٩٤٠	١٧
مولداوي السوفيتية	١٣ر٠١٢	٣ر١٧٢ر٠٠٠	٩٥ر١٦٠	٣
موزمبيق	٢٩٧ر٧٣١	٦ر٦٥٠ر٠٠٠	١ر٦٦٢ر٥٠٠	٢٥
النيبال	٥٤ر٣٦٢	٩ر٣٨٨ر٠٠٠	٣٥٦ر٧٤٤	٤
ايسلنده الجديدة	١٠٣ر٧٣٦	٢ر٥٢٠ر٦٨٤	٥٠٠	٠ر٠١٩
نيوزيلنده	٤٩ر٠٠٠	٢ر٩٥٠ر٠٠٠	٥٩٠ر٠٠٠	٢٠
روديسيا الشمالية	٢٨٧ر٦٤٠	٢ر٥٥٠ر٠٠٠	٣٨٢ر٥٠٠	١٥
الفليبين	١١٥ر٧٥٨	٢٩ر٦٩٨ر٠٠٠	٢ر٩٦٩ر٨٠٠	١٠
بولونيا	١٢٠ر٣٥٥	٣٠ر٢٨٣ر٦٠٠	٦٠٩ر٦٧٢	٢
جزائر تيمور البرتغالية Portuguese Timor	٧ر٣٣٠	٥١٧ر٠٧٩	١٠٣ر٤١٦	٢٠

اسم الدولة	المساحة (ميل مربع)	مجموع السكان	عدد المسلمين	النسبة المئوية
ريرنيون	٩٦٩	٣٤٦ر٠٠٠	٦٩ر٢٠٠	٢٠
رومانيا	٩١ر٥٨٤	١٨ر٦٨١ر٠٠٠	٧٤ر٧٢٤	٠ر٤
روسيا السوفيتية	٦ر٥٩٣ر٣٩١	١٢٣ر٤٤١ر٠٠٠	٧ر٤٠٦ر٤٦٠	٦
روديسيا الجنوبية	١٥٠ر٣٣٣	٣ر٨٨٠ر٠٠٠	٥٨٢ر٠٠٠	١٥
افريقيا الجنوبية	٤٧٢ر٣٥٩	١٦ر٢٣٦ر٠٠٠	١٧٠ر٠٠٠	٠ر١
سويسرا	٦ر٧٠٤	٢٧٥ر٠٠٠	٢٧ر٥٠٠	١٠
جنوب غرب افريقيا	٣١٨ر٠٩٩	٥٣٤ر٠٠٠	١٠ر٦٨٠	٢
تايوان (فرموزه)	١٣ر٨٨٦	١١ر٦١٢ر٠٠٠	٤٠ر٠٠٠	٠ر٣
تايلند	٢٠٠ر١٤٨	٢٨ر٠٠٠ر٠٠٠	٣ر٠٨٠ر٠٠٠	١١
ترينداد وجزر الهند الغربية	١ر٨٦٤	٨٧١ر٠٠٠	٥٢ر٢٦٠	٦
اوغندا	٩٣ر٩٨١	٦ر٨٤٥ر٠٠٠	١ر٣٦٩ر٠٠٠	٢٠
اوكرانيا السوفيتيه	٢٣٢ر٠٤٦	٤٤ر٠٥٤ر٠٠٠	٥ر٢٨٦ر٤٨٠	١٢
فيتنام	١٢٧ر٠٠٠	٣٠ر٩٢٩ر٠٠٠	٩٢٧ر٨٧٠	٣

اسم الدولة	المساحة (ميل مربع)	مجموع السكان	عدد المسلمين	النسبة المئوية
يوغسلافيا	٩٨ر٧٦٦	١٨ر٨٤١ر٠٠٠	٢ر٤٤٦ر٣٣٠	١٣

المجموع : ١٧٢/١٦٤/٢٠٢ نسمة

مجموع المسلمين فى الدول الأسلامية المستقلة : ٤٢٢/٠٩٣/٩٩٦ نسمة

مجموع المسلمين فى المناطق شبه المستقلة والمستعمرة : ٥٢/٧٥٢/٨٩٠ نسمة

مجموع المسلمين فى الدول غير الأسلامية : ١٧٢/١٦٤/٢٠٢ نسمة

مجموع كل المسلمين في العالم : ٦٤٧/٠١١/٠٨٨ نسمة



الاحصائية الثانية

المنتشرة فى عام ١٩٦٨م مع تاريخ التعداد الذى يظهر عدد المسلمين فقط فى كل دولة .

١ـ افريقيا :

الرقم	الدولة	عدد المسلمين	تاريخ التعداد	
١	اندورا	١ر٠٠٠	١٩٥١	ميلادى
٢	الجزاير	١٠ر٧٧٦ر٠٠٠	١٩٦٤	«
٣	انغولا	١ر٦٩٠ر٠٠٠	١٩٥١	«
٤	باستولند	١٨٠ر٠٠٠	«	«
٥	بچوانالند	٨٠ر٠٠٠	«	«
٦	الكامرون	٢ر٦٤٠ر٠٠٠	١٩٦٢	«
٧	كيب وردى	٦٠ر٠٠٠	١٩٥١	«
٨	جمهورية افريقيا المركزية	٧٥٠ر٠٠٠	١٩٦٤	«
٩	تشاد	١ر٤٧٠ر٠٠٠	١٩٦٢	«
١٠	الكنغو	٥٠٠ر٠٠٠	١٩٥١	«
١١	داهومى	١ر٢٣٠ر٠٠٠	١٩٦٤	«
١٢	اريتريا (٤٢) *	٧٥٠ر٠٠٠	١٩٦٤	«
١٣	اثيوبيا (الحبشة) [٤٣] **	١١ر١٠٠ر٠٠٠	١٩٦٦	«
١٤	المناطق الاستوائية الافريقية	٢ر٤٥٠ر٠٠	١٩٦٢	«
١٥	الصومال الفرنسي	٦٧ر٠٠٠	«	«
١٦	غابون	٢٤٦ر٠٠٠	«	«
١٧	غامبيا (Gambia)	٢٤٠ر٠٠٠	«	«
١٨	غانا	٢ر٤٥٠ر٠٠٠	«	«

* :
** : يراجع فى آخر البحث . . .

الرقم	الدولة	عدد المسلمين	تاريخ التعداد	
١٩	غينه	٢٫٨٥٠٫٠٠٠	١٩٦٤	ميلادى
٢٠	ساحل العاج	١٫٨٥٥٫٢٥٠	«	«
٢١	كينيا	٢٫٢٧٦٫٠٠٠	١٩٦٦	«
٢٢	ليبريا	٥٦٠٫٠٠٠	١٩٦٢	«
٢٣	ليبيا	١٫٥٥٩٫٣٩٩	١٩٦٤	«
٢٤	مدغشقر	١٫٣٩٥٫٠٠٠	١٩٦٢	«
٢٥	مالى	٣٫٨٧٤٫٥٠٠	١٩٦٤	«
٢٦	موريتانيا	٧٩١٫٠٠٠	١٩٦٢	«
٢٧	موريس	١١٠٫٤٢٢	١٩٦٤	«
٢٨	المغرب	١١٫٦٨٦٫٥٠٠	١٩٦٥	«
٢٩	موزمبيق	٣٫١٦٠٫٠٠٠	١٩٥١	«
٣٠	مالاوى (نياسلاند)	١٫٥٧٠٫٠٠٠	«	«
٣١	النيجر	٢٫٥٥٦٫٩٧٠	١٩٥٥	«
٣٢	نيجيريا	٤١٫٢٥٠٫٠٠٠	١٩٦٥	«
٣٣	غينه البرتغالية	٢٩٩٫٠٠٠	١٩٥١	«
٣٤	رواندى و بروندى	٢٫٥١٠٫٠٠٠	١٩٦٢	«
٣٥	جزيره ريونيون	١٣٦٫٠٠٠	١٩٥١	«
٣٦	السنغال وداكار	٢٫٨٣١٫٠٠٠	١٩٦٥	«
٣٧	جزايرسيسل	٥٫٠٠٠	١٩٥١	«
٣٨	غينة الاسبانية	١٦٢٫٠٠٠	١٩٦٢	«
٣٩	سيراليون	١٫٥٩٢٫٥٠٠	١٩٦٥	«
٤٠	الصحراء الاسبانية	٢٣٫٠٠٠	١٩٦٢	«
٤١	جمهورية الصومال	٤٫٥٠٠٫٠٠٠	١٩٦٥	«

الرقم	الدولة	عدد المسلمين	تاريخ التعداد
٤٢	روديسيا الجنوبية	٦٤٠ر٠٠٠	١٩٥١ ميلادى
٤٣	السودان	١٠ر٢٢٥ر٤٠٠	١٩٦٥ «
٤٤	تانزانيا	٥ر٩٢٥ر٠٠٠	١٩٦٥ «
٤٥	توغو	٨٣٦ر٠٠٠	« «
٤٦	تونس	٣ر٩٩٤ر٣٥٠	« «
٤٧	اوغندا	١ر١٢٠ر٠٠٠	١٩٥١ «
٤٨	مصر	٢٤ر٤٦٥ر٥٦٠	١٩٦٥ «
٤٩	اتحاد جنوب افريقيا	٢٠٠ر٠٠٠	١٩٥١ «
٥٠	ولتا العليا	٢ر٤٢٠ر٠٠٠	١٩٦٥ «
٥١	زامبيا	٥٠٢ر٠٠٠	١٩٥١ «

عدد المسلمين فى افريقيا: ١٧٤/٤١٢/٨٥١ نسمة

٢ـ آسيا :

الرقم	الدولة	عدد المسلمين	تاريخ التعداد
١	ابوظبى	٢٥ر٠٠٠	١٩٦٦ ميلادى
٢	عدن	١ر٢٠٠ر٠٠٠	١٩٦٢ «
٣	افغانستان	١٣ر٩٠٠ر٠٠٠	١٩٦٤ «
٤	البحرين	١٤٤ر٠٠٠	١٩٦٢ «
٥	بهوتان	١٥ر٠٠٠	١٩٥١ «
٦	برونى Brunei	٧٦ر٠٠٠	١٩٦٤ «
٧	البريمي	٥٤ر٠٠٠	١٩٦١ «
٨	برما	٢ر٠٠٠ر٠٠٠	١٩٦٢ «
٩	كامبوديا	٣٧٠ر٠٠٠	١٩٥١ «

الرقم	الدولة	عدد المسلمين	تاريخ التعداد
١٠	سيلان	٦٠٠ر٠٠٠	١٩٥١ ميلادى
١١	الصين	٦٥ر٠٠٠ر٠٠٠	١٩٤٦ »
١٢	جاجيا Gajia	٢٣٧ر٠٠٠	١٩٥١ »
١٣	هونغ كونغ	٢١٠ر٠٠٠	» »
١٤	الهند	٥٧ر٥٠٠ر٠٠٠	١٩٦٣ »
١٥	اندونيسيا	٩٥ر٨٨٠ر٢٧٦	١٩٦٤ »
١٦	ايران *	٢٢ر٠٥١ر٩٦٠	» »
١٧	العراق	٧ر٥٢٠ر٢٤٦	١٩٦٦ »
١٨	جامو و كشمير	٤ر٢٠٠ر٠٠٠	١٩٦٠ »
١٩	اليابان	١٠ر٠٠٠	١٩٦٦ »
٢٠	الأردن	١ر٥٧١ر٥٧٠	١٩٦٤ »
٢١	كوريا	١ر٠٠٠	١٩٦٥ »
٢٢	الكويت	٤٩٥ر٠٠٠	١٩٦٦ »
٢٣	لائوس	١٢٠ر ٠٠	١٩٥١ »
٢٤	لبنان	٩٣٨ر٢٢٠	١٩٦٤ »
٢٥	ماليزيا	٥ر١٩٥ر٣٧٠	» »
٢٦	جزائرمالديف	٩٢ر٣٥٠	١٩٦٦ »
٢٧	مسقط و عمان	٥٥٠ر٠٠٠	١٩٦٢ »
٢٨	النيبال	١٣٠ر٠٠٠	١٩٥١ »
٢٩	غينة الجديدة	٥٠٠ر٠٠٠	» »
٣٠	الباكستان	٩١ر٥٢٠ر٠٠٠	١٩٦٥ »

* حسب التقرير المندرج فى صحيفة (اطلاعات) ١٣٤٧ ان سكان ايران تبلغ ٢٧ ميليون نسمة والاكثرية من المسلمين .

الرقم	الدولة	عدد المسلمين	تاريخ التعداد
٣١	الفلبين	٣ر٤٣٩ر٧٠٠	١٩٦٣ ميلادى
٣٢	قطر	٤٥ر٠٠٠	١٩٥١ «
٣٣	العربية السعودية *	١١ر٠٠٠ر٠٠٠	١٩٦٥ «
٣٤	سوريا	٤ر٤٠٨ر٢٩٠	« «
٣٥	تايوان (فرموزه)	٤٠ر٠٠٠	١٩٦٤ «
٣٦	تايلند	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	« «
٣٧	جزيرة تايمور Timor	١٤٩ر٠٠٠	١٩٥١ «
٣٨	ولايات توروك (Trucial States)	٦٠ر٠٠٠	١٩٦٢ «
٣٩	تركيا	٢٨ر٧٦٨ر٤١٠	١٩٦٥ «
٤٠	الجمهوريات السوفيتية الاسيوية	٣٦ر٤٨٩ر٠٠٠	١٩٥١ «
٤١	فيتنام	٢ر٥٠٠ر٠٠٠	١٩٦٤ «
٤٢	اليمن	٥ر٩٥٠ر٠٠٠	١٩٦٥ «

عدد المسلمين فى آسيا : ٤٤٦/٩٥٦/٣٩٢ نسمة

٣ ـ اوروبا :

الرقم	الدولة	عدد المسلمين	تاريخ التعداد
١	البانيا	١ر٢٨٦ر٢٠٠	١٩٦٤ ميلادى
٢	بلغاريا	٩٠٠ر٠٠٠	١٩٥١ «
٣	قبرص **	١٢٠ر٠٠٠	– «
٤	تشيكوسلفاكيا	١٤٠ر٥٨٠	١٩٦٦ «
٥	فنلنده	١ر٥٠٠	١٩٦٣ «

* هذا الرقم غير صحيح وعدد نفوس المملكة العربية السعودية حسب الاحصائيات ٧/٠٠٠/٠٠٠ نسمة .

** عدد مسلمى قبرص يبلغ ٢٠٠/٠٠ نسمة .

الرقم	الدولة	عدد المسلمين	تاريخ التعداد
٦	فرنسا	٢٩٣ر٠٠٠	١٩٥١ ميلادى
٧	اليونان	٢٠٠ر٠٠٠	« «
٨	المجر	٥٧ر٠٠٠	« «
٩	ايطاليا	٥٠٩ر٥٥٠	١٩٦٦ «
١٠	ليتوانيا	١١ر٥٠٠	١٩٥١ «
١١	مالطه Malta	٣٥ر٧٨٠	١٩٦٦ «
١٢	بولندا	١٠٠ر٠٠٠	١٩٥١ «
١٣	رودس Rhodes	١٦ر٠٠٠	١٩٥١ «
١٤	رومانيا	٣٧٨ر٥٤٠	١٩٦٦ «
١٥	انجلتره *	٢٤٠ر٠٠٠	١٩٦٢ «
١٦	الجمهوريات السوفيتيه الاوربية	١٠ر٠٠٠ر٠٠٠	١٩٥١ «
١٧	المانيا الغربية	١٠٠ر٠٠٠	١٩٦٣ «
١٨	يوغسلافيا	٢ر١٢٠ر٦٩٠	١٩٦٤ «

عدد المسلمين فى اوروبا : ١٦/٦٠٢/٣٤٠ نسمة

٣ـ امريكا الشمالية والجنوبية واستراليا .

الرقم	الدولة	عدد المسلمين	تاريخ التعداد
١	الأرجنتين	٢٥٠ر٠٠٠	ـ ميلادى
٢	استراليا	١٠ر٣٠٠	١٩٦٥ «
٣	زيلنده الجديده	٢٠٠	ـ «
٤	غويان الهولندية	٨٠ر٠٠٠	١٩٦٥ «

* عدد مسلمى انجلترة يبلغ ٥٠٠ الف نسمة كما ذكر فى المقدمة

الرقم	الدولة	عدد المسلمين	تاريخ التعداد
٥	جزائر فيجي	١٠٩/٠٠٠	١٩٥١ م
٦	امريكا الشمالية	٤٠٠/٠٠٠	١٩٦٠ م
٧	امريكا الجنوبية (عدا الارجنتين)	٣٤٩/٠٠٠	١٩٦٠ م
٨	ترينداد وجزائر الهند الغربية	٧٥/٠٠٠	١٩٦٠ م

عدد نفوس المسلمين فی الامريكتين واستراليا : ١/٢٧٣/٥٠٠ نسمة

مجموع عدد المسلمين فی العالم : ٦٣٩/٢٤٥/٠٨٣ نسمة

* * *

عدد الشيعة في العـالم

ان اتباع الدين الاسلامي كما عرفنا يسلكون مذهبين كبيرين (السنة) و (الشيعة) ولمذهب السنة فرق اصلية اربع فی الفقه وهي عبارة عن : الحنبليه ، الشافعية ، المالكية والحنفية .

ولمذهب الشيعة عدة فرق من بينها الفرقة الامامية (الاثناعشرية) التي لها اصالة واكثرية من حيث الاتباع .

ان عدد نفوس الشيعة فی الدول الاسلاميـة المختلفة ، وغير الاسلامية في افريقيا وآسيا متفرقة ، وحسب ماجاء في (دائرة معارف الشيعة) يربو على ربع عدد كل المسلمين في العالم ، واكثر الشيعة يسكنون في : ايران ، العراق ، الباكستان الهند ، امارات الخليج ، سوريا ، لبنان ، العربية السعودية ، اليمن ، افريقيا الشرقية تركيا ، افغانستان وآذربيجان السوفيتية (٤٤).

بقية مصادر البحث :

(*)

(٤٢) :الرقم المذكور فيعدد نفوس اريتريا مشتبه فيه لاريب ، وعدد المسلمين فياريتريا الان يتجاوز ١/٨٧٥/٠٠٠ نسمة . كما ورد في الاحصائية الاولى . يراجع كتب : (اريتريا والحبشه) تأليف محمود شاكر ، طبع الاردن (عمان) و (كفاح اريتريا) و (اريتريا : تاريخها جغرافيتها ، اقتصادها) نشرة جبهة تحرير اريتريا .

(٤٣) :عدد مسلمي الحبشة (اثيوبيا) حسب تقرير (جان جنتر) في كتاب (داخل افريقيا) والمؤرخ المعروف (اسبنسر ترسنغهام) فيكتاب (الاسلام في الحبشة) يربو على ١٢ مليون نسمة لكن الاحصائيات الجديدة تظهر بأن العدد يتجاوز ١٣ مليون نسمة . راجعوا كتب : (الاسلام في الحبشه) تأليف يوسف احمد و (الاسلام الجريح في الحبشه) تأليف : ابو احمد الاثيوبي طبع العربية السعودية ١٩٦٤ م . و (اريتريا والحبشه) تأليف : محمود شاكر . طبع عمان .

(٤٤) :دائرة معارف الشيعة باللغة الانجليرية طبع بيروت ١٩٦٧ الجزء الاول ص ٤٢ . باشراف الاستاذ حسن الامين: Islam SHI'ITE Encyclopaedia

* * *

رجع في تهيئة هذا المقال بالاضافة الى المصادر السابقة ، الى الكتب والنشرات والمجلات التالية :

(الدعوة الى الاسلام) تأليف :السير توماس . وارنولد ، الترجمة بالعربية ، الطبعة الثانية ١٩٥٧ م . و (الاسلام في المشارق والمغارب) تأليف : الدكتور جمال الدين رمادى . الطبعة الاولى ١٩٦٠ م . و (تاريخ الشعوب الاسلامية) تأليف : كارل بروكلمان ، الترجمة بالعربية من نبيه فارس ومنير البعلبكي . الطبعة الرابعة بيروت ١٩٦٥ ،و (الشعوبالحديثة في افريقيا) بقلم عدة كتاب طبع نيويورك (The new nations of Africa) ١٩٦٣ م. و(الاسلام فيالاتحاد السوفييتي) بقلم عدة كتاب،طبع بريستول انجلترة ١٩٦٧ (Islam in The Sovietunien) و (الاتحاد AL ittihad) طبع امريكا السنة ٢ . العدد ١ . والسنة ٤ . العدد ٢ . مقالات (عباس عليخان) تحت عنوان :

An Estimate of the Population of Muslims in The World Today.

واعداد مختلفة من مجلة (مكتب اسلام) طبع قم. المقالاتالواردة تحت عنوان: (العالم الاسلامي) والمجلة الاسبوعية(الباكستان الشابة) (Young Pakistan) طبع دكا ، الباكستان .والمجلة الاسبوعية (العالم السلامي) (The Muslim World) طبع كراتشي ، والكتاب القيم المفيد (جغرافية العالم الاسلامي) World Muslim Qazetteer طبع كراتشي ١٩٦٤ م .

همسات مترفة

ابو علاء

(١)

«كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون»
قرآن كريم

انه الحسين . . فلنلق عصا الترحال . . هنا ينتشي الأمل . . وهنا يعيش الرجاء . . فلنتنفس الصعداء يا اخوتي . . فها نحن قد وصلنا . . وأنت يا أكبادنا الحرى . . ستنعمين . . وترتوين . هذا هو المعين . . وماؤه الفرات.. وتلك أكؤس الحياة. ألا ترون ؟ ! !

* * *

يا للعجب . . يحملقون . . ولا جواب . . وكظني الظمأ والقوم كل القوم واقفون . . ينظرون ! .

يا اخوتي ـ ألستم عطاشى ؟ .

قالوا : بلى : صرخت هيا فاشربوا . .

أجابني أمثلهم . . وللمعين قيمون . . فأين هم ؟؟ عليهم أن يحضروا الشراب .

فقلت : قيمون ! ! ! يا سادتي الكرام . .

تقدموا..فكلكم يمكنه الورود.. وجربوا لتعرفوا وتجزموا بأنكم ستقدرون..

* * *

لكنهم لم يفعلوا . . وأظهروا الانكار . . وهدني الأسى . . سيهلكون . . وكظني الظمأ . .

يا اخوتي . . أنصحكم أن تشربوا . .

لكنهم لم يفعلوا.. وتمتموا يحملقون . . وكظني الظمأ ... فجلجل النداء .. يقول لي مؤنباً : وأنت لم لا ترد المعين ؟ ! !

عساهم . . اذا رأوك . . . يشربون .

(٢)

امتدت يدي الى زهرة في الروض . . ووضعتها في كأس كنت أحمله . . فاذا بي أراها تهتز معجبة بنفسها مفتخرة على زهرة كانت بالقرب منها . . وسمعتها تقول لها :

ابقي أنت ههنا. . أما أنا . . فسأحتل مكاناً لائقاً بي . . . سأكون بعد قليل على منضدة بلورية في قصر مرمري ! ! .

وأجابتها الاخرى :

لقد فاتك يا عزيزتي.. أنك الان ميتة.. لقد فصلت عن جذورك.. وسر نضارتك وبهائك . . وهذه الحياة التي ترين . . والتي بها تحلمين . . ليست هدفاً . . ولا حلماً جميلا . . ما المنضدة البلورية . .وما القصر المرمري . . اذا كان الفناء يمخر عباب كيانك . . واذا كان الذبول قد أفرغ محتواك الذي به كنت زهـرة . . وبه تنسمت الحياة .

* * *

ان من يتنكر لعقيدته وتاريخه وحضارته . . فهو انما يتنكر لجذوره التي تمده بالحياة . . .

اننا بلا دين ...كشجرة .. بلا جذور. . كشجرة. . اجتثت من تحت الأرض.. مظهرها أخضر يسر الناظرين . . لكنها لا تلبث أن يقضي عليها اليبس . .

(٣)

ويل لقوم لا يدينون الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

حديث شريف

ـ لو وجد الحسين (ع) الآن فهل يثور ؟

ـ . . . . ! ! .

ـ ولكن هل سيجد نيفاً وسبعين . . رجلا ؟ !

ـ أراك تسيء الظن بالناس .

ـ أراك لا تدرك عظمة أصحاب الحسين .

ـ حسناً . . ولكن فاتك شيء مهم .

ـ ماذا ؟

ـ هل سيتمكن عليه السلام من اجتياز المسافة التي اجتازها وصحبه آنذاك.. دون جوازات سفر . . وتأشيرات مرور ! !

ـ مبتسماً : اذن نحـن متفقان . . مد يدك أعاهدك على أن نسير على درب الحسين . . فلا ينفع اليوم الكلام .

الزهــد

اعراض أم ايثار

بقلم الشيخ مرتضى المطهّري ـ طهران ترجمة الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي ـ قم

من فلسفة الزهد : الايثار ، وهو ضد الأثرة ، وهي كما في اللغة : الاستبداد بالانفراد بالتفضل على الاخرين ، وتقديم النفس ومصالحها ومنافعها على غيرها ، وبعبارة أخرى : تخصيص كل شيء بالنفس ومنع الاخرين منها . أما الايثار : فهو على العكس تماماً ، أي : تقديم الغير على النفس والتعب والعناء في سبيل راحة الاخرين .

فالزاهد ـ اذن ـ انما يختار العيش بكل بساطة وقناعة ويضيق على نفسه في الحياة ، من أجل راحة الاخرين وانما يهب ماله للفقراء ، لانه انما يلتذ بنعم الحياة حينمالايرى معه فقيراً ينام بلاعشاء فهويلتذ باعطاء الأخرين واطعامهم واكسائهم أكثر من راحة نفسه وطعامها وكسائها، فهو ـ اذن ـ انما يتحمل الجوع والحرمان والعناء من أجل أن يعيش الاخرون في راحة وهناء ، وهذا هو الايثار .

والايثار : من أعظم مظاهر الجلال والجمال والكمال الانساني المأمول ، وانما يستطيع الصعود الى هذه القمة الشامخة من العمل الصالح ، أناس عظماء ، من أمثال علي والزهراء وابنيهما السبطين الحسنين أصحاب الكساء ، والذين نزلت في حقهم (سورة هل أتى) مرآة صافية باقية تعكس للاجيال المتعاقبة ذلك الكمال المتمثل في هؤلاء العظماء الذين «يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا» وهم يقولون «انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا» وقد نالوا بهذا الايثار أكمل الكرم والسخاء والجود اذ بذلوا ذلك الميسور من أقراص الشعير ، مع عسرهم

الشديد ولم يراعوا في ذلك القريب والبعيد فأعطوا الاسير كما أعطوا اليتيم والمسكين ولذلك دوى صدى هذا العمل الصالح من هؤلاء العظماء في السماء ، حتى نزل في حقهم قرآن يتلى كل صباح ومساء .

ودخل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم على ابنته فاطمة الزهراء سلام الله عليها فرأى على باب بيتها ستاراً وعلى يديها معاضد من فضة ، فانكر ذلك بوجهه حتى عرفته منه ، فلما رجع خلعت الستار وشدت فيه المعاضد وبعثت بها الى أبيها رسول الله ليفعل بها ما يشاء ، وفرح رسول الله بذلك وقال : فعلت . فداها أبوها !

وكانت تقوم في محرابها لربها ، حتى تورم قدماها . وهي تدعوا لجيرانها ، فسألها ابنها الحسن يوماً : أماه مالي أراك تدعين لجيراننا ولا تدعين لنا ؟ فقالت : الجار ثم الدار .

ويصف القرآن الكرم : أنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مدينته الطيبة فيقول : (ويؤثرون على أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) .

والامام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام يصف المتقين في خطبته لهمام فيقول (نفسه منه في عناء ، والناس منه في راحة) .

وبما أن فلسفة الزهد ـ كما بينا ـ مبنية على الايثار ، والايثار يختلف باختلاف الازمنة والامكنة ، فكذلك الزهد يختلف هذا الاختلاف على اختلاف الزمان والمكان ، فان الايثار في مجتمع فقير كالمدينه على عهد الرسول (ص) يشتد أكثر منه في نفسها على عهد حفيده الامام الصادق عليه السلام ، ولعل هذا هو سر اختلاف السيرتين : علي ورسوله الله في جانب ، وأبناؤهما الائمة الاطهار في جانب آخر .

ان زهد هؤلاء العظماء ، كان قائماً على فلسفة الايثار ، وان الزهد الذي يبتني على فلسفة الايثار ، ليس من الرهبنة في شيء ، بل هو عظمة انسانية فذة ، نابعة من أسمى العواطف الانسانية ، وتنتج أقوى الروابط الاجتماعية على الاطلاق .

الزهد والمواساة :

ومن فلسفة الزهد : مواساة المحرومين ومشاركتهم في حياتهم ، فان هؤلاء حينما يقيسون أنفسهم بأمثالهم من بني الانسان ، وهم أغنياء ، يحسون في قرارة نفوسهم بالفقر والحرمان من ناحية،وتأخرهم عن أمثالهم من الناس من ناحية أخرى، ولا يستطيع الانسان بطبيعته الاولى أن يتحمل هذا الشعور بالاحتقار ، وهذا الاحساس البغيض،وحينئذ يحس الزاهد بمسؤلية ملقاة على عاتقه، تثقل كاهله أمام هذا الواقع السيىء ، فهو يشعر في قرارة نفسه الصافية بنداء الوجدان والضمير الانساني الحي الذي عبر الامام أمير المؤمنين عليه السلام عنه فقال : (أما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كظمة ظالم ، ولاسغب مظلوم) ، فيشعر بمسؤليته تجاه هذا الواقع السيىء وفاء بما أخذ الله عليه، وما عاهد هو عليه الله يوم اذآمن بالله وكتبه ورسله. واذ لم يستطع ذلك بيد أو لسان،فلا أقل من الايثار ومقاسمة ما عنده لهؤلاء الفقراء المعوزين ، سعياً وراء سعادتهم ، وترميم واقعهم السيىء ـ كما فعل ذلك ثلاثة من أئمتنا : الحسن والحسين وعلي بن الحسين عليهم السلام ـ . واذ لم يستطع ذلك أيضاً لكثرة الضحايا في هذا الميدان ، فلا أقل من أن يضمد جراح هؤلاء الضحايا ، ضحايا قسوة المجتمع الظالم ـ ببلسم المواساة ، ومشاركتهم في آلامهم، وهمومهم وغمومهم ، والتساوي معهم في حياتهم الفقيرة .

ولايخفى ما لهذه المواساة، والمساواة من الاهمية ، خصوصاً في حياة أئمة الامة ، أولئك الذين تنظر اليهم الامة ، لتقتدي بأفعالهم وأقوالهم ، ولذلك نرى علياً عليه الصلاة والسلام قد زهد في حياته في الخلافة أكثر من أي وقت مضى ، وكان يقول في ذلك في جواب عاصم بن زياد ، حينما أنكر عليه بعض أحواله فقال : (يا أمير المؤمنين . .هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك)،فقال عليه السلام (ويحك اني لست كانت ، ان الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة

الناس ، كيلا يتبيغ بالفقير فقره) أي يهيج به ألم الفقر فيهلكه (١) .

ويقول في كتابه الى عامله على البصرة (عثمان بن حنيف) : (أأقنع من نفسي بأن يقال لي : أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر ، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش . . . ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ، ولباب هذا القمح ، ونسائج هذا القز،ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي الى تخير الاطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة : من لا طمع له في القرص ، ولاعهد له بالشبع أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى ، وأكباد حرى أو اكون كما قال القائل :

وحسبك داء أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحن الى القد (٢)

نعم ، كان علي عليه السلام هكذا ، ولكنه كان اذا سمع برجل يضيق على نفسه هكذاكان ينكرعليه ذلك فقد شكى العلاء ابن‌زياد اليه‌آخاه عاصم بن‌زياد فقال(ع) : وماله ؟ قال : لبس العباءة وتخلى عن الدنيا، قال: علي به . فلما جاء قال له: (ياعدي نفسه لقد استهام بك الخبيث أما رحمت أهلك وولدك ؟ أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها ؟ أنت أهون على الله من ذلك فلما سأله عن حاله عليه السلام أجابه بما سلف آنفاً .

وفي أصول الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال : (ان الله جعلني اماماً لخلقه ، ففرض علي التقدير في نفسي ومطعمي ومشربي وملبسي، كضعفاء الناس ، كي يقتدي الفقير بفقري، ولا يُطغى الغني غناه) (٣) .

وقال رجل لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : (أصلحك الله ذكرت أن علي بن أبي‌طالب عليه‌السلام كان يلبس الخشن، والقميص بأربعة دراهم وما أشبه ذلك ونرى عليك‌اللباس الجديد؟ فقال له: ان علي بن أبي‌طالب عليه‌السلام كان يلبس ذلك في زمان لا ينكر عليه ، ولو لبس مثل ذلك اليوم شهر به) .

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ١٨٨ محمد عبدة .

(٢) نهج البلاغة ج ٣ ص ٧٢ محمد عبدة .

(٣) ج ١ ط آخوندى .

ونقرأ في حياة المرحوم السيد الوحيد استاذ الفقهاء محمد باقر البهبهاني «ره».

أنه رأى ذات يوم زوجة أحد أبنائه، وعليها ألوان من ملابس الاشراف يومئذ فأنكر ذلك على زوجها السيد (محمد اسماعيل)، ـ ولده ـ فتلى عليه هذه الاية:

«قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة».

فقال المرحوم: اني لا أقول انها محرمة، فلا رهبانية في الاسلام، ولكني أقول بما أنا من علماء هذه الامة وقادتهم، فعلينا مسؤولية خاصة تجاههم وان الفقراء يتألمون حينما يرون نعمة الاغنياء، ومواساتنا الوحيدة لهم أن نكون على مستواهم فيقولون ان السيد معنا، فان نحن انعزلنا عنهم الى صفوف الاغنياء، فقدوا من يواسيهم آلامهم، فأقول: نحن اذ لا نستطيع أن نغير حالتهم، فلا أقل من أن نسعهم بالمواساة)

اذن: فهذا الزهد الناتج عن فلسفة المواساة ـ كما ترى بوضوح ـ لا يتصل بالرهبنة بشيء، وليس ـ كما يقولون ـ فراراً عن المسؤولية واعراضاً عن الدين، بل هي المواساة لآلام المجتمع.

نسيبة بنت كعب الخزرجية

السيد محمد علي هادي

ومرت الايام طويلة ثقيلة ، وأوار المشركين لم يهدأ ، (بدر) وهزيمتها وذلها تعصب عيون قريش وتختطف صحوهم وتأخذ عليهم مسارب افكارهم .

وأبو سفيان يغلي الثأر في اعماقه، يحرق نفسه من الالم ، ينتظر اللحظة التي تواتيه لاخذ الثأر ، يخطب في قومه : فيقول يا معشر قريش لاتبكو على قتلاكم ولا تنح عليهم نائحة ولا يندبهم شاعر اظهروا الجلد والعزم ، فانكم اذا نحتم عليهم ، وبكيتموهم بالشعر ذهب غيظكم واقعدكم عن أخذ الثار وان بلغ محمداً وأصحابه ذلك شمتوا بكم فتكون اعظم المصيبتين عليكم ولعلكم تدركون ثأركم في القريب .

ولم يكن ابوسفيان يهدر كالثور الهائج وحده ، انما زوجته هند بنت عتبة لا تقل عنه لوعة وحقداً فهي تجول في بيوت نساء قريش تحرضهن على الثأر وتذكرهن بقتلاهن في بدر . وهي تقول يا نساء قريش : واللات والعزى لو أعلم ان الحزن يذهب عن قلبي بالبكاء لبكيت ولكن لايذهبن الا ان ارى ثأري بعيني . . فراش ابي سفيان علي حرام ، والطيب والدهن حتى ادرك الثأر . .

بهذه الروح الحانقة كانت قريش تعيش ذل الهزيمة طيلة عامين وحتى كان يوم تجمعت فيه قريش في مجلس أبي سفيان وعلى عيونهم يطفوا اكثر من شرر ، وعلى وجوههم ينتشر شبح الحقد ، ثم صاح احدهم :

يا ابا سفيان : وحتى متى نبقى وعار بدر يذيب كرامتنا ، لا ليلنا ليل ولا نهارنا

نهار . . الثأر . . الثأر . . الحرب . . الحرب . . ان ارواح قتلانا تستصرخنا وتستثير ضمائرنا . . قم وادعوا الناس للخروج . .

واعتدل ابو سفيان في مجلسه ، وقد سره هذا الشعور ، فقدكان اشد كرهاً من غيره على السكوت ولكن ماذا يصنع والحرب كلفته ولا يستطيع ان ينهض بها وحده.

ورد بخبث : يا قوم كفانا ما اصابنا ببدر ، والحرب مجهدة وبذل الأرواح اكثر جهداً .

وتعالت الاصوات من هنا وهناك .

لا تقل هكذا يا ابا سفيان كلنا على استعداد للقتال . . الثأر . . الثأر . . الثأر

وهنا قال ابو سفيان : ــ وقد ملئت نفسه غبطة ونشوة ــ أو طابت نفوسكم للثأر؟

قالو : نعم يا ابا سفيان . . تصرف بما تشاء .

وعقدت الاجتماعات في (دار الندوة) وقرروا ان يستنصروا القبائل المجاورة والمؤيدة ، واختاروا ان يكون وفدهم للقبائل مؤلفاً من عمرو بن العاص وهبيرة بن وهب وعبد الله بن الزبعري ، وابي عزة الجمحي . . هؤلاء الاربعة تتوفر فيهم القابلية لتحريض الناس وتجميعهم ضد دعوة محمد (ص) لأنهم اشر الناس عداوة للنبي .

وتهيأت الجموع للزحف ومن ورائهم حشود النساء تشجعهم على الحرب ويعيرون من يحاول الفرار .

وكتب العباس بن عبد المطلب بكل ما دار في مجالس قريش واستعدادهم وعزمهم وامكاناتهم الى الرسول ليكون على بينة من الامر .

وجمع النبي (ص) اصحابه يتشاور معهم في الأمر وطال النقاش وتوسع الحديث وتشعب القول، بعض ينافق ويحاول منع النبي من مقابلتهم ومهادنتهم، وآخر يحثه على الحرب وثالث يؤكد أن ما يراه النبي هو الصحيح ان حرباً وان سلماً .

وقرر الرسول (ص) ان يعلن رأيه ولا يدع للمتخاذلين مجالا يسرحون فيه فيدخل بيته ، ويلبس لامته ويخرج معلناً امره مخاطباً قومه :

«لاينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين اعدائه . . انظروا

ما أمرتكم به فاتبعوه أمضوا على اسم الله ، فلكم النصر ما صبرتم» .

وينتشر الخبر في دور المهاجرين والانصار ، وتدب في البيوت حركة واسعة رجال يستعدون للخروج ونساء يهيئن امور الحرب وصبيان يتراكضون من المسجد الى البيوت يخبرون آباءهم واخوانهم بما دار في شأن الحرب .

وقبل ان يعلن الرسول الاعظم الاذن بالخروج ، يقف على باب المسجد تحيط به الصفوة الطيبة من اهل بيته وصحابته ، فيعرض عليه المسلمون كوكبة كوكبة بين مشاة وركوب،فيبارك لهم نبيهم هذا الايمان المتدفق بالعزيمة والاخلاص

وتتطلع العيون الى كوكبة مقبلة لتعرض نفسها ، وبعد هنيئة وصلت الكوكبة انها امرأة يحف بها عدد من الرجال والشباب ، ويتهامس لقوم ، انها «ام عمارة الخزرجية ، نسيبة بنت كعب» يحيط بها ولداها : حبيب ، وعبد الله ، واخوانها : عبد الله ، وعبد الرحمن ، وزوجها زيد بن عاصم ، وعدد آخر من اهل بيتها وتقف أمام الرسول (ص) وبكل ايمان وثقة وتقول :

يا رسول الله أدع لنا بالترفيق ، والاخلاص لعقيدتنا ومرافقتك في الجنة .

يرفع الرسول يديه الى السماء ، ويدعو الله :

« اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة » .

ثم تمر الكوكبة ، وهي متوجة بأعظم شرف يناله انسان مسلم في حياته . ومئات العيون تلقى عليها نظرة الاكبار والاحترام .

وينتهي المسلمون من استعدادهم ، ويوزع النبي الويتهم ، وليكون لواء المهاجرين بين علي بن ابي طالب ، ومصعب بن عمير ، ولواء الاوس يتناوب عليه كل من الحباب بن المنذر بن الجموح ، وسعد بن معاذ ، ولواء الخزرج الى أسيد بن خضير .

ثم يسير على اسم الله ، ويزحف جيش المسلمين من خلفه ، وجل مايعتمدعليه في زحفه المقدس عدة لو حاولنا مقارنتها بعدة المشركين كانت لاشيىء لكن الايمان الذي يتحلى به العديد من جيش المسلمين ، والصبر والثبات كان يدعوا الى التفاؤل بالنصر «وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله» .

ـ

«قرب جبل «أحد» تقابل الجيشان ،كل منهم يهيىء امره ويستعد للقتال، وأبو سفيان يجول في وسط جيش المشركين يذكرهم بقتلاهم في بدر ، وانهم ينتظرون الثار . .

وترتفع شمس ذلك اليـوم ، ويتقابل الطرفان . ويتقدم بنو عبد الـدار الى المسلمين واحداً تلو الاخر ، وسيوف علي ، وحمزة ومصعب بن عمير تحصد بهم حتى جندلت الأبطال السبعة من هذا البيت ، فدب الذعر فيصفوف المشركين، وبان الانكسار وبدت الهزيمة عليهـم ، وعلى مقربة يقف ابو سفيان ، وهو ينظر بعينـين يقدحان شرراً الى هذا الدمار الذي يلم بهم، ويكاد وجهه يتفصد من الغيظ والكمد.

وفي جانب آخر من ساحة الميدان يقف عمرو بن العاص مذهولا مشدوداً الى هذا الهلع الذي انتشر في جيشهم ، واخذ عليهم مسارب الطريق ، حتى الىالفرار.

وعندما لاحظ المسلمون هذه الانكفاءة المريعة من المشركين ، انكبوا على مخلفاتهم سلباً ونهباً ، وتركوا الميدان خالياً .

وكانت كتيبة المحافظة على مؤخرة المسلمين تأخذ موقعها علىالشعب ، وعندما رأت ان المسلمين اندفعوا الى الغنائم وقد تركوا موقعهم الأستراتيجي هرعت هي ايضاً كبقية الجيش طمعاً فيالحصول على الغنيمة ناسية وصية الرسول الاعظم لرجال الكتيبة ان لايتركوا موقعهم مهما كانت الظروف . . لكن طغت عليهم اطماعهم ولم يلتفتوا لوصية نبيهم ، وما يترتب على عملهم هذا من نتائج وخيمة ادت الى انكسار الجيش الاسلامي .

وقد كان خالد بن الوليد يقف مع رجاله على مقربة من موقع هذه الكتيبة ، وما ان لمح هذه الفجوة التي حصلت في مؤخرة المسلمين، وانشغالهم بكسب الغنائم وان شعب الجبل قد خلا من كل حارس وكان يتربص اللحظة التي ينقض فيها على المسلمين ـ حتى هجم عليهم ، من هذه الثغرة يتبعه عكرمة بن ابي جهل ـ أحـد قادة المشركين ـ وغيره ، وأطبقوا من الخلف عليهم يحصدون فيهم دون رحمة وشفقة مما أربك المسلمين ، وصاروا يقتلون بعضهم البعض ، ولا يشعرون بما يعملون.

وفي وسط هذا الميدان الملتحم بالدم والسيف ارتفع صوت يبشر المشركين بأن محمداً قتل . . وكان هذا النداء له أثره العميق في اضعاف معنوية المسلمين ، وانهيار مقوماتهم ، واثارة الرعب في صفوفهم .

يا لفرحة ابي سفيان ، ويا لسعادة هند في هذا الحدث . .

ذاك يجول في وسط الميدان ، ويصبح ـ كالثور الهائج ـ من يأتني برأس محمد أملأ ركابه ذهباً وفضة .

وتلك ترقص فرحاً وغبطة ، وتركض وراء غلامها وحشي تحثه على قطع رأس احد الفارسين : علي أو حمزة ، واذا حقق لها هذا الطلب ، فسوف تلبي له أي رغبة يتمناها عليها .

وضاق المسلمون ذرعاً ، وتولى الأبطال من اصحاب النبي القتال بكل بسالة يحاولون ان يكشفوا المشركين عن الميدان ، ليتمكن المسلمون من جمع فلولهم والاستعداد للدفاع . لكن المشركين لم يتركوا الفرصة تفوت عليهم ، ان الطريق الذي ضربوه على المسلمين كان محكماً للغاية .

ويضطر الرسول لان يصعد الى جبل يحيط به عدد من أصحابه يذبون عنه وكان الموقف عنيفاً ، لم يبق معه الا رجال لا يتجاوز عددهم العشرين ، ومعهم امرأة وقد شدت ثوبها على وسطها ، وهي تحشد ذويها حول النبي (ص) لتدفع عنه الخطر .

تلك هي «أم عمارة الانصارية» وقد اتسمت بالبطولة ، والشجاعة ، وكانت تقاتل أشد القتال ، لاتبالي بالموت ، أوقع عليها ، أم وقعت عليه .

وكانت أم عمارة مهمتها الاولى ان تسقي المحاربين ،وتضمد الجراح ، ولكن عندما حمي الوطيس جمعت اولادها واخواتها وزوجها حول رسول الله ، لتحمي بهم كيان العقيدة ، وقائد المسلمين .

ويقع احد اولادها جريحاً بين يدي الرسول ، فيصيح : يا ام عمارة ، عصبي جرح ولدك وعودي للقتال .

وتقبل الام ، وعلى قسماتها اكثر من فرحة ، لم تصدق ان ولدها جريح بين

يدي رسول الله وهي كرامة كبيرة فتضمد جراحه ، ثم تقول له :

انهض يابني وضارب القوم ، ودافع عن الرسول ، فهذا يومك وله ادخرتك ويطفو على قسمات الرسول (ص) الرضا والبشر ، ويخاطبها :

«جزاك الله يا ام عمارة خيرا ومن يطيق ما تطيقين به اليوم» .

ولم تنته من ضماد جرح ولدها حتى تشد على ضارب عبد الله فتقطع ساقه ويقع على الأرض وتلتف عليه وولدها فيقتلاه والرسول ينظر اليهما ويبتسم ويقول «الحمد لله الذي اقر عينك من عدوك واراك ثارك بعينك» .

وكان كلما حمي الوطيس حول النبي فر المقاتلون من بين يديه ولم يثبت عنده الا نفر من اولئك الخلص الذين نفذت كلمة الله في اعماقهم فأحالتهم الى كتل ايمان وعقيدة .

ومن اولئك الاشخاص أم عمارة فقد كانت المرأة التي وعت الدعوة وفهمت ابعادها وتفانت في سبيلها بكل ايمان .

ولاحظ رسول الله ان ام عمارة تحارب بين يديه بدون ترس ، وصادف ان مر عليه رجل وهو يحاول الفرار من الميدان ، فصاح به : ألق بترسك يا رجل لمن يقاتل . وفعلا القى الرجل توسه ، فأخذه النبي ، واعطاه لام عمارة لتدافع به .

وفي الجانب الاخر كان أبو سفيان يبحث بين القتلي عن محمد ، وعجز من البحث والتقى بخالد بن الوليد ، وهو يدفع بر جاله الى الجبل ، يضيق الخناق على الرسول . وما ان وقعت عينه على خالد ، حتى صاح هل تأكد لديك قتل محمد ؟ ، فقال له خالد : لا . . رأيته يصعد الجبل ومعه نفر من أصحابه وامرأة .

وارتسم الحقد على ملامح أبي سفيان ، وثار كالعاصفة وأخذ يرعد وهو يقول : أين ابن قمئة ، لقد أدعى انه قتل محمداً كذب واللات والعزى لقد كذب .

هيا يا فرسان قريش وأبطالها اصعدوا الجبل ، وأدركوا ثاركم من محمد وأقطعوا هذه الفتنة . . هذا واترکم على مقربة منكم فاقتلوه .

ويتصايح القوم من هنا وهناك . .هيا الى الجبل دلونا على محمد، فلا

ان نجي في هذه المرة .

ويشتد الهجوم على رسول الله ويتضيق النطاق ويزداد المخلصون المحدقون بالرسول تفانياً، ويتزاحمون فيما بينهم في الذب عن القائد الرائد ودرء الخطر عنه.

وكانت أم عمارة تحاول ان تطوق النبي بأهل بيتها ليكونوا سياجاً له من النبال التي تنهال عليه كالمطر .

واقبل ابن قميئة ، وهو يشهر سيفه ويحاول ان ينقض على رسول الله ، وهو يصرخ : دلوني على محمد . . أين محمد . . يالثارات بدر . . ويعترض طريقه مصعب بن عمير وأم عمارة فيهوى بسيفه على هذه المقاتلة ، فتميل عنه ، ويصيب عاتقها ويحدث بها جرحاً عميقاً ، تبقى طيلة عام واحد تعالجه حتى البرء .

ولم تهتم ام عمارة لما اصابها ، ولا للدم الفوار الذي اخذ ينزف منها بغزارة انما يهمها ان يفشل ابن قميئة في حملته المسعورة ويسلم النبي ، وفعلا كان ذلك .

ويرقب الرسول موقف هذه المرأة البطلة فيدعو احد اولادها ليضمد جراحها ويقول :

«بارك الله عليكم من أهل بيت ـ ويلتفت الى احد اولادها ـ والله لمقام امك خير من مقام فلان وفلان» .

واشتد القتال حول النبي ، فقد جمع ابو سفيان من جانب ، وخالد بن الوليد من جانب اخر كل طاقاتهم لاحتلال المركز الذي يضم محمداً وصحبه.. الامر الذي اضطر الرسول الى ان يباشر القتال بنفسه .

الكتائب تترى واحدة تلو الاخرى، والجموع تتحشد، والافق يضيق بالحرب والجبل يكتظ بالقوم .

وتمتحن العزائم في معمعات المعركة الضارية . . انها الساعة التي يتجلى فيها الايمان للمؤمن ، فيملؤه شوقاً الى الجنة ، وتتجلى الدنيا للبعض الاخر فاذا به يحبب لنفسه الفرار .

وينادي الرسول علياً قائلا : «ياعلي : اكفني هـذه الكتائب المقبلة بسيفك» ويغوص علي في اعماقهم ـ وهو راجل ـ يضرب هذا ويجندل ذاك ، حتى يبعدها عن الرسول قليلا،وتعود مجموعة اخرى لموقعها باشد مما كانت عليه سابقتهاويقف الامامعلي منها نفس الموقف وهكذاكراً وفراً .

ولم تغرب شمس ذلك اليوم على النبي (ص) الا وهو على الجبل تحف به هالة الخلص من أصحابه من بينهم أم عمارة ، يدفعون عنه حدة الهجوم العنيف من خالد ، وعمر بن العاص ، وأبي سفيان .

وييئس المشركون من الظفر بمحمد ، وان محاولا تِهم باءت بالفشل ، وادرك أبو سفيان ان جيشه قد كل من الحرب ، وخير له ان يلملم جراحه ، ويجمع قتلاه، ويغادر ارض المعركة ، فما اصاب المسلمين قد هدأ بعض غلوائه .

فاشرف على الجبل ، وصرخ بأعلى صوته : يا قـريش : أنعمت فعال ، ان الحرب سجال يوم بيوم بدر ، اعل هبل . .

وهدأت فورة الحرب ، وعاد كل الى اهله ان خاسرا،وان رابحاً والايامطوال . والأحقاد لم تخمد جذوتها في النفوس الظالمة .

ويتفقد النبي في المدينة اخبار اصحابه الجرحى، ويكثر السؤال والاستفسار عن أم عمارة ان جراحاتها بالغة ، فلقد كانت هي واهل بيتها حمى صلداً للنبي ساعة المحنة .

ويقرر الرسول عيادتها ، ويصل الخبر اليها ، فتهرع لاستقباله مشرقة الوجه . وبايمان عظيم ، وقلب مفعم باخلاص ، تقول :

يارسول الله انه لشرف عظيم لنا ان ننال العطفمنك والاستفسار وانهاالكرامة والمجد أن نكون من جنودك ، وما اصابنا في هذه الحرب من مكروه فلا شيء ما دمت سالماً وراضياً عنا ، ادع لنا يا رسول الله فاننا بحاجة الى رضا الله .

ويرفع الرسول يديه ، ويرمق السماء بطرفه ، ويقول :

«اللهم اجز ام عمارة واهل بيتها خيراً ، وثبت قلوبهم على الايمان واجعلهم رفقائي

في الجنة» .

وتخر المرأة المؤمنة ساجدة لله على هذا التوفيق ، وشاكرة رحمته .

ولو كان الكثير في يوم (احد) يحملون في أعماقهم عقيدة وايمان هذه المرأة لما اصاب المسلمين خسران وتدمير . .

ان البطولة . . والصلابة . . والايمان . . والتضحية مفاهيم عاشتها بنت كعب وكانت مستعدة للتحلي بها .

وتنطوي السنون ، وتغرب الايام . . وأم عمارة عبق فواح لمثل بطولي رائع لا يخمد . . ولا يبلى مهما امتد الزمن ، وكر الجديدان .

«وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين» .
«وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين» .
١٤٥ - ١٤٦ آل عمران



الفاشية .. موضة اسرائيل

نشرت الزميلة «درسهائي از مكتب اسلام» المجلة الشهرية التي تصدر باللغة الفارسية في قم المقدسة في العدد الخامس من السنة الرابعة عشرة مقالاً بقلم الاخ السيد هادي خسروشاهي حول الاعتداء الاسرائيلي الاخير على بيروت .

ونحن بدورنا اذ نستنكر هذه الجرائم التي تكتسب قالباً رسمياً وتجد لها من يبررها في هذا العالم ندرج ترجمة كاملة لهذا المقال علنا نسهم بذلك في اعطاء صورة عن بعض ما يجيش في صدور أبناء الشعب الايراني المسلم تجاه القضية الفلسطينية التي يعتبرها قضية المسلمين جميعاً .

* * *

الاعتداءات المتكررة التي تقوم بها اسرائيل على الاقطار العربية وخصوصاً لبنان وجنوبه ، تبين بوضوح الروح العدوانية لاتباع الصهيونية العالمية الذين لا يتورعون عن ارتكاب أي عمل في سبيل تحقيق أهدافهم اللا انسانيه. فلا الاستنكار العالمي ولا قرارات هيئة الامم المتحدة ومجلس الامن، ولا المشاريع السلمية (!) ليارينغ وغيره .. كل هذه لم تستطع ـ لحد الان ـ ان توقف تطبيق المخطط العام للاعتداء والتوسع الاسرائيلي . ان الهجوم الغادر للكماندس الاسرائيلي على مدينتي بيروت وصيدا في الشهر الماضي ، والمجزرة العامة لمجموعة من الفلسطينيين والناس الابرياء الاخرين توضح ـ مرة أخرى ـ ان الروح الفاشية تحكم النظام العسكري القائم في اسرائيل ، وان لا فائدة من أي مشروع وأطروحة للسلام ! ونحن من خلال استنكارنا لهذه الحوادث نوجه انظار القراء الكرام الى أقوال الصحف المختلفة على أساس أن الاحسن ان نستمع الى الواقع على لسان الاخرين .

المؤسس الاصيل لعمليات الاغتيال والارهاب في الشرق الاوسط

ان نظرة قصيرة الى حوادث السنين التي تلت حرب الشرق الاوسط توضح ان النسيج السياسي لهذه المنطقة لم يكن بعيداً عن عمليات الاغتيال الفردية أو الواسعة .

فلا ننسى ذكريات تلك الحوادث البشعة التي قامت بها العصابات الاسرائيلية المفرطة من أمثال (الهاگانا) و (الاشترن) وكلنا نتذكر كيف ان هذه العصابات الارهابية ومن خلال صراعها ضد انكلتره ـ كانت تقتل الجنود والموظفين، وتارة تقوم بالقتل الجماعي لسكان القرى العربية كما حدث في مذبحة ديرياسين ، وعلى هذا الاساس يمكن القول بأن المؤسس الاصيل والمبتدع الاول لهذه الحوادث العنيفة التي حدثت بعد الحرب العالمية الثانية في الشرق العربي الاوسط ليس الا المتعصبين الصهاينة والعصابات التي ترتبط بـ (النهضة الصهيونية العالمية) .

* * *

بينما يعيش الملايين من الناس آمنين مطمئنين في بيوتهم ولا يتصورون معنى للتشريد واللجوء والاستعمار .

تمر ٢٥ سنة على الملايين من الفلسطينيين الذين طردوا من بيوتهم وأراضي آبائهم وأجدادهم .

وكل مجموعة من هذا الشعب اما انها تعيش في حياتها على (صدقات) هيئة الامم المتحدة ، واما انها متفرقة في الدول العربية و ما أن يسمعوا باسم فلسطين أو يشموا رائحتها حتى تنتفض عروق الشوق ويحلو لهم الموت .

انهم جيلا بعد جيل يعيشون تحت الخيام وغير مستعدين لان يعيشوا في بيوت مشيدة على حساب هيئة الامم المتحدة او اسرائيل او غيرها ، لانهم يعتقدون بأن هذا الامر يؤكد تشريدهم ويركز الاحتلال والعدوان . ولحد الان نجد ان المرجع العالمي الوحيد والذي هو الحكم في الاختلافات بين الدول الكبرى والصغرى ـ قد اصدر

قرارات مختلفة ومؤكدة وطلب من اسرائيل ان تحل قضيتهم وتوضح مصيرهم ولكن خمسة وعشرين عاماً من تشرد الفلسطينيين ولجوئهم، لم توضح مصيرهم بعد، بل مع احتلال الاراضي العربية الاخرى فى حزيران ١٩٦٧ تحولت مشكلة فلسطين الى مشكلة الشرق الاوسط بكامله .

وفى هذه الايام يدخل احتلال الاراضي العربية سنته السابعة بلا ان يتصور اي أمل لانهاء مثل هذه الحالة على الصعيد الدولي .

انالعمليات الفدائية الفلسطينية وليدة اليأس وعدم المأمن لامة طردت من بيوتها فى حين انعمليات الاغتيال والارهاب الاسرائيلية تعطى عنوان(ردالفعل) و(تلافي) الهجمات الفدائيةوتصدر من دولةاحتلت اراضي واسعة والىالآن وبالرغم من صدور قرار السلام في نوفمبر ١٩٦٧ من قبل مجلس الامن وجهود السلام ليارينغ وغيره من الاطروحات الاخرى فهي غيرمستعدةلتخلية تلك الاراضي.والشيء الذي لايمكن انكاره ان حديث ساسة اسرائيل وبصورة مكررة يؤكد ان اسرائيل بالاضافة الى رفضها كل الحلول العربية المقترحة ووساطة الشخص الثالث،فانها فىنفس الوقت تمضي قدماً فىتهويد الاراضي المحتلة : كانشاء الموانيء والقواعد ، والمخازن والقرى اليهودية حول شرم الشيخ ومرتفعات الجولان وغزة وليس هذا مما تنكره اسرائيل بل تعترف به . هذه الاعمال وردودها زادت من حدة اليأس والخوف فى دنيا العرب وخصوصا الفلسطينين الذين هم اول القرابين للغز الشرق الاوسط . .

ان اغتيال ثلاثة من القادة المبرزين للمقاومة الفلسطينية يؤكد ويقوي التلاحم بين النهضة الفلسطينية والاقطار العربية (١) .

الاعتداء الاسرائيلى :

في الهجوم الذي قام به الكماندس الاسرائيلي على بيروت وبعض النقاط الاخرى من التراب اللبناني ، قتل بعض قادة المنظمات الفدائية ، وبعض الفدائيين

---

(١) عن صحيفة «كيهان» اليومية ، طبع طهران العدد ٨٩٢٤ .

واللاجئين الفلسطينين ، وانهدمت عدة من القرى وعدد من المحلات والبيوت التي كانت تعد مركزاً لتجمــع الفسلطينيين ، ولم يكن لهجوم الكماندس الاسرائيلي على لبنان هدف غير ذلك.وبهذا الامر فقد أدت الحملة اغراضها ، ولكن اسرائيل تتصور غلطاً بأنها تستطيع ان تحصل من خلال هذه الاعتداءات والمجازر على نتيجة ايجابية .

ان اسرائيل حسب تصورها تريد بهذه الاعمال الوحشية ان توقف تحركات الفدائيين الفلسطينيين وتحدد من عملياتهم بالتخويف والتهديد ، ولكن هذا العمــل بمثابة ان نعمل على اطفاء النار بصب النفط عليها ، ان تواجد المنظمات الفدائيــة الفلسطينية فيالاساس معلول للعنف والاعتداء،والذي يخلقه العنف ويستمد طاقته منه لايمكن ان يمحوه العنف،والشعب الفلسطيني لايتصور امام القدرة القاهرة والدبابة والمدفع والمصفحات وسياسة العنف ، لا يتصور أية وسيلة دفاعيــة سوى التوسل بالعمليات الفدائية ، ولهذا فهو يضطر لهذه العمليات تماماً .

وعليه وكلمـا زادت اسرائيل من عنفها فان رد الفعل لا محالة سيكون فى العمليات الفدائية المكثفة ، وهذا الامر توضحه تماماً التجربة الطويلة للعلاقات بين الفلسطينيين والصهاينة ، وعجيب ان اسرائيل تتورط فى مثلهذا الاشتباه وتظن انها بتوسلها بالعنف تستطيع ان تنفيالاوضاع التيائمرها وولدها العنف نفسه. والنكتة الثانية هي ان اسرائيل تنتقل من مجمع الى آخر لتــوجه أنظار العالم الى خطــر الارهاب الدولي لتصدر القرارات التي تدين هذا الخطر ! ! ولكنها مرة أخرى ترسل عملاءها الىالاقطارالمجاورة لتتوجه رشاشاتهمالىالاشخاص وهم فىمحلاتهم وبيوتهم آمنين،ان اسرائيلمن طرف نراهامازالتتجمعالوثائقبعدلتدين النظامالفاشي الهيتلري واعوانه ، وتعرض انواع الضغوط والضرب والقتل والغارات التي كانت تقوم بها النازيــة فى الحروب العالمية الثانية تعرضها امــام انظار العالم وتحييها بمختلف الوسائل ، ولكنها من طرف آخر ترتكب نفس الجرائم ، وهل يجتمع او

يتلائم هذان الامران ؟ وهـل يجوز أن تشجب الفاشية والارهاب وفى موضع آخر تجعل الموضـة المفضلة ؟ لو سئل الفـدائي الفلسطيني ما الدافع الـذي حركك للعنف والقتل ؟

فانه يملك لان يقول شيئاً واحـداً وأن يقيم دليلا واحداً ومبرراً على ذلك أنه يقول:لان العدو سلب مني بيتي ووطني وشردني ولا استطيع الوقوف بوجهه اذاً فاني اختار هذا الطريق ، ولكن لماذا تتوسل اسرائيل بمثل هذه الاساليب ...؟؟؟ ! (١) .

(الهادى)

قد أجابت عن هذا السؤال صحيفة « كيهان » فى القسم الأول من هذا المقال حيث كتبت : بأن العصابات الصهيونيةهي المؤسسة لعمليات القتل والارهاب ، ومن احتل ارضاً بالعنف لا يتركها الا بالعنف . . . (٢) .

فقـاتلوا . . .

«الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ، ان كيد الشيطان كان ضعيفاً» .

قرآن كريم

(١) صحيفة اطلاعات الايرانية العدد ١٤٠٧٠ .

(٢) تأخرت المجلة عن الصدور فى موعدها المحدد ، فآثرنا نشر هذا المقال لاهميته .

بشؤون المسلمين في العالم



اعداد : ابو مقداد

الدستور السوري

تلقينا بدهشة وأسف بالغين الدستور السوري الجديد الذي لم يعلن الاسلام ديناً للدولة .

وقد اثار الدستور بشكله الجديد سخط الأوساط الشعبية المسلمة فى سوريا وطالبوا السلطة بالاعتراف بالاسلام ديناً رسمياً للدولة .

وقد بادرت السلطة الى بعض التعديل فى الدستور فأضافت مادة فى الدستور تقضي باسلام رئيس الجمهورية ، وقد آلمنا الامر كثيراً ، كما آلم الكثير من المسلمين والشعب السوري المسلم ايضاً . ونحن نأمل وندعو السلطة الى ان تستجيب لمطالب الأمة وتبني الدستور علي اساس من التشريع الاسلامي . الدين الذي لا يأتيه باطل من بين يديه ، ولا من خلفه . والشريعة التي تتناول قضايا الانسان فى سعة وشمول وعمق .

الطائرة الليبية ونيران الاجرام

وهكذا هب أهل الضمائر الحية بذعر شديد على نبأ جريمة بشعة فى سلسلة جرائم اسرائيل المتوحشة . . ذلك هو حادث اسقاط الطائرة الليبية المدنية التي راح ضحيتها ما يزيد على مائة شخص وعمت جميع الأوساط موجة من الاسى العميق . وقد هزت الحادثة كيان الجميع ، وألهبت فيهم مشاعر الثأر والانتقام . فانطلقت موجات من الاستنكار الشديد ، متمثلة فى البيانات والمظاهرات والاصوات التي

انطلقت مطالبة باستئصال هذا المكروب العدواني من جسم هذه البقعة من العالم وايقاف هذا العدو الغاشم عن تحدي هذه الامة .

ونحن بهذه المناسبة نرى أن من الضروري أن تترجم جميع الأقوال الى عمل موحد لازالة هذا الماحق، ولذا فعلينا
١ـ ان ندرك أبعاد هذا العدو الذي لا يكف عن محاولاته لفرض الاستسلام والهزيمة علينا . ٢ ـ ان هذا العدو انما هو جزء من مخطط عالمي للحيلولة دون نهضة الامة التي اثبتت فى فترة من الزمن جدارتها على تحقيق حضارة العلم والهدى والايمان. ٣ ـ اننا أمة متميزة لها اصالتها الفكرية ورسالتها، وقد منحها الله من وسائل المنعة والقوة ومن الخيرات المنبثة فى ربوعها ما تستغني به عن استجداء الاخرين بشرط استخدامها لما تملك

من هذه وغيرها نرى انه لا جدوى من التسكع فى اروقة الامم المتحدة التي نعلم ان الحق فيها للقوي وان كان ظالماً كما نعلم عدم فائدة قراراتها وتوصياتها الا فى تمييع الحق واضاعة الوقت، فليس علينا الا ان نعلنها قضية اسلامية تخص هذه الامة ونحشد جميع الامكانيات الفكرية والاقتصادية فى هذا السبيل. ويتحمل كل قطاع من هذه الامة مسؤوليته كاملة، ومن الله النصر والتأييد ، «ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم» .

* * *

صرح مصدر مسؤول فى اللجنة الخاصة التي تشكلت فى البحرين لوضع دستور البلاد بأن اللجنة قد انتهت من اقرار عدد من الفقرات فى ابواب الدستور المختلفة ومن تلك الفقرات فقرة تنص على ان دين الدولة الرسمي هو الاسلام وان الشريعة الاسلامية هو مصدر اساسي للتشريع وفقرة اخرى تنص على ان الدولة تعمل على صيانة التراث العربي والاسلامي

* * *

جنيف ـ اعلن ناطق بلسان اللجنة الاصة بالهجرة اليهودية هنا ان اكثر من ٣١ الف يهودي سوفياتي هاجروا الى فلسطين المحتلة فى العام الماضي وانه يبدو ان عملية الهجرة مستمرة دون انتقاص ، وقال الناطق ان ما مجموعه ٣/٠٢٩ يهودياً غادروا روسيا فى الشهر الماضي فقط الى فلسطين .

* * *

اجتمع مجلس مدينة أسوان وأصدر قراراً باخراج الشباب من المدرسة التجريبية الثانوية المختلطة وقصر التعليم في المدرسة على البنات .

الهادى : خطوة موفقة نرجو أن تخطوها جميع البلاد الاسلامية التي ابتليت بهذا الداء القاتل ، والكل يعلم مساوئه وعواقبه الوخيمة .

* * *

تقدم الوفد المصري الى مؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الاسلامية العرب الذي انعقد في الكويت بمذكرة لانشاء مراكز اسلامية في آسيا وافريقيا كما حذرت الوفود من أن هناك مؤامرة دولية ضد الاسلام

الهادى :

نأمل ان تقوم هذه المراكز لتكون مصدر اشعاع فكري يغذي العالم، ونأمل ان ينتبه المسلمون لاخطار هذه المؤآمرة .

* * *

وافق مجلس النواب البلجيكي على مشروع قانون يقضي باعتبار الدين الاسلامي أحد الأديان الرسمية في بلجيكا ، وسيعرض المشروع الذي تؤيده الحكومة على مجلس الشيوخ لاقراره .

ونحن بانتظار اليوم الذي يكون الدين فيه كله لله .

* * *

تقدم وفد السودان الى مجلس وزراء الاعلام العرب في القاهرة بمشروع قرار بشأن هجرة اليهود السوفييت الى فلسطين المحتلة، وينص على تنظيم حملات اعلامية منسقة لتوضيح ضخامة هذه الهجرة والخطر الذي تشكله، لان عدداً كبيراً من هؤلاء المهاجرين قد أدوا الخدمة العسكرية ويعرفون بالتفصيل العسكرية السوفيتية كما ان منهم خبراء وفنيين .

الهادى :

ونحن اذ نبارك كل خطوة في سبيل النصر نتمثل بقول الشاعر :

ما حك جلدك مثل ظفرك
فتول أنت جميع أمرك

* * *

أصدر علماء الدين من العلويين في سوريا بياناً اكدوا فيه انتماءهم الاسلامي الاصيل وتمسكهم بشريعة ومنهاجاً ويعد هذا البيان استمراراً لما أصدروه في السنين السابقة لمحو الشبهات التي تثار وتشكك في صحة اسلامهم

مع «البلاغ» الكويتية

طالعتنا مجلة البلاغ الكويتية أخيراً بمقال في زاوية المنبر الحر للمدعو حكيم محمد كامل بحر العلومي . . هاجم فيه بكل وقاحة الطائفة الاسلامية الشيعية ، بستار تسميتها بـ (السبئية) التي لا تتعدى أن تكون اسطورة من أكبر الاساطير .

وقبل كل شيىء يهمنا أن نركز على هذه الحقيقة: اننا لن نستدرج الى الكمين الذي يراد لنا أن نقع فيه . . لن نستدرج لاننا حريصون على توحيد صفوفنا ليمكننا النهوض بأمتنا الاسلامية المجيدة . . . الى مستوى مسؤولياتها . . وليمكننا كمسلمين متدينين نقصد جميع المسلمين (الشيعة والسنة) أن نؤدي دورنا تجاه قضايانا المصيرية التي تتخبط سياساتنا في الأوحال دون ان تعثر لها على حل . اننا ندرك بعمق أن وحدة ثمانمائة مليون مسلم تقض مضاجع الاستعمار الغربي والشرقي على حد سواء. ولذلك فان قوى الشر لا تدخر وسعاً في تفكيك عرى هذه الأمة المجيدة وقد أفلحت مع الأسف الى حد كبير وليس عدم اهتمام كل مسلم بما يعانيه الأخر . . مهما كانت المعاناة الا وليد التمزيق الذي لحق بنا .. والتصدع الذي أحاق بكياننا..

نعم لن يستدرجنا بحر العلومي بأباطيله الملفقة . . ونحــن نعلم علم اليقين ان المسلم والمؤمن الواعي أياً كان مذهبه يتألم لما آلمنا . . ولذلك فنحن عندما نتناول القضية لا نتناولها كقضية تخص الشيعة ، فهناك من الشيعة من لا تهمهم هذه المأساة وهناك أيضاً من السنة من لا يبالي بها . ونقصد بهؤلاء وأولئك الركام اللا متدين . .

أما الواعون من المسلمين سنة أو شيعة . . فان القضية قضيتهم . فهل سيثبتون انهم على مستوى قضية تهدد وجودهم الموحد ؟ ؟ وهل سيعرفون كيف يقضى على على هذه الفتن قبل أن تستحكم وتستفحل . ونرى من الضروري أن نشير الى نقطتين تطبعان المقال المذكور :

الاول : الجهل . . فالكاتب كما يبدو بكل جلاء جاهل تماماً بالموضوع الذي تناوله . . ولقد طلع على القراء بأوهام وخيالات غرسها في ذهنه التعصب الاعمى والحقد الدفين فصاغها بعبارات مفككة واهية محاولا ان يلبسها لباس البحث والتحقيق.

ولقد عاني الاسلام كثيراً من الجهل والجهلاء . . ونظن ان الأوان قد آن لوضع الحد لهؤلاء المتطفلين كما أن الجو مناسب جداً لقطع اليد التي تمتد للنيل من مقدسات الامة ومقدراتها . .

اننا نمر بمرحلة من أدق المراحل المصيرية في تاريخنا وأعظمها خطورة ، ولن يمكننا اجتيار هذه المرحلة مادام للجهل في أوساطنا نفوذ . . ومادام للتعصب في نفوسنا كيان قوي . . .

الثانية : التحريف .. والتحريف وان كان وليد انحطاط مستوى ، وقلة بضاعة الا أنه في حد ذاته أمر يستدعي الوقوف عنده على انفراد . . فما ابتليت الحقيقة بآفة أكبر من آفة التحريف . .

ولئن كان وقوع التحريف مؤلماً . . فان السكوت عنه أكثر ايلاماً . .

ولهذا ترانا نتساءل :

هل نسكت عما أثاره بحر العلومي حفاظاً على وحدة هذه الامة . . أم أن علينا أن نجيب حفاظاً على الحقيقة من التشويه ؟ ؟

والواقع اننا نخشى ان يزيد السكوت من هذه الحملات المشبوهة..ويجرىء هؤلاء المشبوهين على التحامل على القضية الأولى في حياة المسلمين وهي قضية الوحدة الاسلامية . .

ثم اننا بعد لا نملك اختيار الرد أو السكوت .. بل علينا ان نذب عن حياض الاسلام مهما أمكننا ذلك . .ومن أجل هذا فاننا نعد القراء الكرام بالرد الوافي على شبهات الكاتب وجهالاته في العدد القادم ان شاء الله...ولنا في نهاية المطاف وقفة مع مجلة البلاغ . . نذكرها فيها بمسؤوليتها أمام الله . . فان على الاعلام الاسلامي ان يكون على مستوى قضايا الاسلام ، وليس نشر ذلك المقال في زاوية المنبر الحر

دليلا على أن المجلة لا تتحمل المسؤولية فليست الحرية في الاسلام طريقاً لتشويه الحقيقة . . وتمزيق الصفوف . .

أو لم يكن من الافضل أن تملأ تلك الصفحات المشؤومة بالرد على الافكار المستوردة والمبادىء الهدامة التي تخطط ليـل نهار للقضاء على الوجود الاسلامي في ذهن الامة ؟؟!

أو لم يكن من الافضل ان تملأ تلك الصفحات ببيان مفهوم اسلامي ينير لابناء الأمة السبيل . . ويهديهم طريق الصواب ؟ ؟!

كل ما نرجو ونأمل أن تقدر (البلاغ) الخطأ الذي وقعت فيه أو جرت اليه .. وحمداً لله ان كان موقف حكومة الكويت منسجماً مع الواجب فأبعدت ذلك الكاتب الغريب عن الاسلام وعن الكويت المسلمة .

وفق الله الجميع لما فيه خير الاسلام وصلاح هذه الامة .

«واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمـة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كـذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»

مكتبة دار التبليغ الاسلامي العامة

جاء فى الاحصائية التي أصدرتها مكتبة دار التبليغ الاسلامي العامة ما يلي :

١ ـ بتوفيق من الله جل وعلا،وفى ظل الامام الحجة المهدي عجل الله فرجه، وبأمر من سماحة آية العظمى السيد شريعتمداري، افتتحت شعبة جديدة فى مكتبة دار التبليغ الاسلامي العامة باسم (المكتبة السيارة)حيث تقوم بايفاء طلبات الاستعارة المقدمة الى المكتبة ، وبذلك تكون قد حققت أملا كان يراود اذهان طلاب المعرفة وكان الافتتاح فى محرم الحرام سنة ١٣٩٣ هـ .

٢ ـ احصائية الكتب كما يلي :

الشهر	الكتب المهداة	الكتب المشتراة	المجلات المهداة	المطالعون	الكتب المطالعة
ذوالقعدة	٥٠	٢٢٩	٥	٢٥٧٥٢	٥٧٠٣١
ذوالحجة	١٨	٦٢	١٤	١٧٠٧٧	٤١١٣٢
محرم	٢٩	٢٦٣	٣٩	٢٧٣٥١	٦٧٠٩٩
المجموع	٩٧	٥٥٤	٥٧	٧١١٨٠	١٦٥٢٦٢

وقد ازدحمت القاعة بالمطالعين بحيث ان عدداً كثيراً من المطالعين لم يجدوا مجالا فيها .

٣ ـ اهدى الشاب الخير الاستاذ محمد مهدي المشايخي مكتبته الشخصية الى مكتبتنا العامة وتحتوي مكتبته هذه ما يقرب من ٩٠٠ كتاباً و ٤٤٥ عدداً من المجلات المختلفة ، وبهذا فانه يكون قد قدم لنفسه أثراً خالداً .

٤ ـ تحوي المكتبة الان ما يقرب من ١٥٦٠٠ كتاباً.

مكتبة المجلة

تسلمت ادارة المجلة الكتب التالية :

١ ـ بحوث فى شرح العروة الوثقى : الجزء الاول . لمؤلفه سماحة آية الله الفقيه المحقق السيد محمد باقر الصدر . وقد تناول فى هذا الكتاب أعمق الاراء الفقهية وأحدثها ، بالبحث والتمحيص . وقد ورد فى مقدمة الكتاب بأنه لا يعكس منهجة المؤلف الخاص به ، بل جاء على غرار الأسلوب التدريسي المتعارف مع زيادة فى التوضيح ، تجاوباً مع الظروف التدريسية العامة . وهذا الجزء فاتحة لموسوعة فقهية نرجو ان تطبع بكاملها، ويقع الكتاب في خمسمائة صفحة من القطع الكبير . طبع مطبعة الآداب فى النجف الأشرف .

٢ ـ البنك اللاربوي فى الاسلام : لنفس المؤلف . طرح فيه المؤلف البديل المؤقت للنظم المصرفية الربوية ، ويخطط للبنك اللاربوي الاسلامي . وقد وضع الكتاب جواباً على سؤال وجهته لجنة التحضير لبيت التمويل الكويتي ، التي شكلت فى وزارة الاوقاف ، لوضع نظام لبنك اسلامي لاربوي . والكتاب فتح كبير فى مجاله لتناوله موضوعاً من اكثر مواضيع العصر الحاحاً ، وحساسية، وهو بعد دليل آخر على مرونة التشريع الاسلامي وقابليته لمواجهة سائر الظروف والامتحانات . وهو يحتوي على مئتين وثمان وأربعين صفحة من القطع الوزيري ، ومن طبع المطبعة العصرية فى الكويت .

٣ ـ آية الكرسي: (رسالة التوجيه السماوية) باللغة الفارسية. والكتاب جزء من سلسلة حديث خطيب ايران الكبير حجة الاسلام والمسلمين الشيخ الفلسفي. وتضم مواده عشر محاضرات ألقاها فى المحافل الدينية ، وتدور حول المسائل التالية :

١ ـ لتوحيد . أو شعارالحرية. ٢ـ الحياة. ٣ـالقيومية٤ـ النوم. ٥ـ الملكية الواقعية للكون . ٦ـ الشفاعة. ٧ـالعلمالالهي. ٨ـ العلم البشري والمشيئة الالهية . ٩ـ معاني الكرسي. ١٠ـ حفظالعالم .

وهو يحتوي على أربعمائة وأربعة عشر صفحةمنالقطع الكبير ،طبع بمطبعة الجامعة فى طهران .

٤ ـ فتاوى الصحابي الكبير سلمان الفارسي .

ألفه العلامة الحجه الحاج ميررا خليل الكمرهاي . ويدور البحث فى هذا الكتاب المتعدد الأبحاث حول شخصية الصحابي الكبير (سلمان المحمدي) وورد فيه : سلمان منا أهل البيت .

ويحوي الكتاب الكثير من المعلومات والتحقيقات الدقيقة ، التي يمكن أن تكشف الكثير من جوانب هذه الشخصية الرائدة . ويقع فى ثمانمائة وست وستين صفحة ، من القطع الكبير طبع بالمطبعة الاسلامية فى طهران .

٥ ـ كتاب فلسفة الصلاة فى الاسلام .

ألفه سماحة العلامة حجة الاسـلام والمسلمين الشيخ علي الكوراني مد ظله وهو أول دراسة تكشف عن ضرورة الصلاة وتأثيرها البالغ فىبناء الشخصية الفردية والاجتماعية .

ويتكفل بالبرهنة على أن دور الصلاة الكبير فى تكوين شخصية أمتنا التي فتحت العالم وأضاءته بالاسلام، ما زال ضرورة فىتكوين شخصيتنا الجديدة التي تقععليها مسؤلية انقاذ العالم واضاءته بالاسلام .

فهو يطرح نفسه أمام دعوى ان الصلاة بشكل خاص والعبادات بشكل عام قد استنفذت اغراضها وفقدت فاعليتها في بناء الانسان . فالكتاب يسد فراغاً فكرياً ملحاً ويقع في أربعمائة وخمس وأربعين صفحة من القطع الكبير ، وهو من اصدار دار الزهراء في بيروت .

٦ ـ سيري در صحيحين : وهو مائتان واربع وستين صفحة من القطع الكبير

طبع بمطبعة مهر استوار فى قم المقدسة ، باللغة الفارسية .

والكتاب بحث روائي علمي فى صحيحي البخاري ومسلم ، يتعرض المؤلف فى مقدمته الى بحوث حول الحديث ومصطلحاتة ، وتأريخه وأهمية ثم يذكر هدفه من التأليف والبحث ، ويستعرض حياة البخاري ومسلم ومركزهما الروائي ، ليبدأ بحثه فى أحاديثهما ومضامينهما .

٧ ـ روضات الجنات (الجزء الرابع) :

ومؤلفه هو المرحوم العلامة المتتبع ، الميرزا باقر الموسوي الاصبهاني قدس سره ، وهو كتاب فى موضوع التراجم يتناول الجزء الرابع منه الاسماء المبدوءة بحروف السين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والعين » وقد عنيت بنشره ، مكتبة اسماعيليان فى قم المقدسة .

٨ ـ الجيل الجديد ومتطلباته :

والمؤلف هو الدكتور الشيخ أحمد بهشتي . ويتعرض الكتاب لهذه المواضيع الاطفال والأسس الدينية ، التربية الأخلاقية ، فى ظل الدين ، الحاجة فى القرن العشرين ، ومواضيع غيرها . فيسبرها سبراً دقيقاً منفتحاً ، على جوانب الفكر، قديمة وحديثة ، ليخرج بالتالي بالصورة المثلى ، من الجيل الجديد ومتطلباته الواسعة الأبعاد .

ويقع الكتاب فى ٢٠٨ صفحات من القطع المتوسط ، وهو من اصدار قسم الطباعة والنشر فى دار التبليغ الاسلامي .

٩ ـ الأدمان على المخدرات ، وتوسعه فى ارجاء العالم . ومؤلفه هو الدكتور أحمد صبور اردوبادي ، استاذ قسم السموم فى جامعة تبريز .

ويستعرض المؤلف فيه ، هذا الخطر الذي يحيق بالعالم ، وخصوصاً الجيل الجديد الذي ينشىء فيه بصورة مرعبة ، معبراً به عن القلق المتحكم فى وجوده الموزع . ويقع في ٣٥٢ صفحة من القطع الصغير . اصدار قسم الطباعة والنشر في دار التبليغ الاسلامي .

كما تسلمت ادارة المجلة هاتين المجلتين ، اللتين تصدرهما باللغة الفارسية دار التبليغ الاسلامي :

١ ـ الجيل الجديد (نسل نو) وهي مجلة تتناول في جملة مواضيعها المتعددة المتنوعة ما يخص النشيء الجديد ، وتتصدى لمشاكلهم ، وتطرح حلولها المناسبة لها . نرجو للزميلة « الجيل الجديد » تقدماً زاهراً ونجاحاً مطرداً .

٢ ـ رسالة الفرح (پيام شادي) ما تزال هذه المجلة الخاصة بالاطفال ، تشق طريقها بنجاح يثلج الصدر ، وقد اثبتت هذه المجلة ، خلال فترة قصيرة ، مضت على صدور العدد الأول منها ان التربية الاسلامية الصحيحة المنسجمة مع الفطرة تلقى تمام التجاوب والتفاعل ، والمجلة اليوم تعتبر من المجلات الواسعة الانتشار في ايران نتمنى لهيأة تحريرها كل الموفقية والسداد ، في اداء وظيفتها القيمة .

العلم .. والمال

« .. العلم خير من المال ، والعلم يحرسك وأنت تحرس المال ، المال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الانفاق ، وصنع المال يزول بزواله » .

الامام علي عليه السلام

مسابقة الهادى

فاستبقوا الخيرات

لا شك أن الكثير من الناس، يستقبلون الحقائق ويتقبلونها حين تعرض عليهم صافية نقية، وهذه الروح الموضوعية خير رصيد وأمل ، وأحسن مشجع لنشر أفكار اسلامنا ومبادئه ، خصوصاً أن الأسلام هو دين الفطرة ، والذي ينسجم مع واقع الانسان ومتطلباته ، والذي لايحتاج الى أكثر من عرضه بكل اخلاص وامانة ، ليشق طريقه الى قلوب الناس وأذهانهم وها هو الأمام علي بن موسى الرضا (ع) يقول :

« والله لو أن الناس علموا محاسن ما عندنا لاتبعونا » .

وبالرغم من الجهود الموفقة والمشكورة التي بذلها الكثير من كتابنا المسلمين لازاحة الستار عن بعض جوانب الأسلام المتعددة ، واستجلاء حقائقه . والتي اتسم بعضها بروح العمق والاستدلال ، بالرغم من ذلك كله ، نجد الحاجة شديدة الى تأليف كتاب يعطي صورة صادقة عن الاسلام، ومفاهيمه وأفكاره، وحلوله لمشاكل الحياة ، لنضعه أمام أعين الملايين من الناس ، المتعطشين للفكرة المنقذة ، بعد أن قاسوا الأمرين ، من الأديان المنحرفة ، والأفكار الوضعية الضالة ، من ماركسية ورأسمالية وغيرها .

وانطلاقاً من هذه الفكرة ، فقد تبنت مجلة الهادي فكرة اجراء مسابقة بين كتابنا المسلمين ، وقام أحد المحسنين ـ وفقه الله ـ بتخصيص جائزة نقدية مقدارها عشرة آلاف تومان ايراني لاحسن كتاب يفي بهذا الغرض ، على أن يقوم هو بعد ذلك

بطبعه ليباع بسعر الكلفة ، كما سيترجم ، الى اللغات الحية لينشر في شتى أقطار العالم ، بسعر زهيد ، يمكن جميع الأفراد من اقتنائه وكل ذلك خدمة منه للاسلام وشعوراً منه بالمسؤولية والواجب .

شروط الكتاب :

١ـ لايزيد الكتاب عن ثلاثمائة صفحة من القطع الوزيري .

٢ـ يستعرض الكتاب كافة ما طرقه الاسلام ، من مباحث ، وما أعطاه من حلول لمشاكل الحياة والانسان ، بحيث يبدو الاسلام للمطالع كنظام متكامل شامل لمختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وغيرها ، وملب لحاجات الانسان المادية والروحية ، في مجال الفرد والمجتمع .

٣ـ يستشهد في كل مبحث بالايات الكريمة ، والروايات الصحيحة ، المسندة عن النبي (ص) وأهل بيته عليهم السلام بأسلوب سهل وميسر ، لايستعصي على فهم القاريء العادي .

٤ ـ يقارن في بعض الموارد الهامة ، بين نظرية الاسلام في ذلك الموضوع ، وبين النظريات الأخرى ، التي تتبناها المبادىء الاخرى بشكل مختصر ومركز ، ليبين تفوق الاسلام ، في كل ما عالجه على سائر ما استعرضه غيره من المبادىء .

٥ـ يتحاشى الخلافات الهامشية ، والدخول في منازعات لاجدوى فيها .

٦ـ يعقد الفصل الاخير من الكتاب لبيان كيفية الدخول في الأسلام ، وبعض الاحكام الشرعية الضرورية ، من تبيين النجاسات والمطهرات والصلاة والصيام والحج وأمثال ذلك .

٧ـ المراسلات والكتب المؤلفة ، يراجع فيها على عنوان ـ مجلة الهادي ـ دار التبليغ الاسلامي ـ قم المقدسة .

٨ـ آخر موعد لتلقي الكتب ، نهاية شهر رمضان المبارك ١٣٩٣ هـ.

٩ـ هذا وسوف تشكل لجنة مؤلفة من عدد من العلماء والكتاب لاختيار الفائز . وفيما اذا تم انتخاب الكتاب من عدة كتب مشتركة فسوف يكون الكتاب باسم المؤلفين المشتركين ، وتوزع الجائزة عليهم بالنسبة .

١٠ـ تسقط حقوق الكاتب في الطبع والترجمة مهما تعددا .

وكلنا أمل أن يشارك الاخوة الذين يجدون في أنفسهم القابليه لانجاز هذه الخدمة الاسلامية الكبيرة ، التي ستثمر ـ بعون الله وتوفيقه ـ أحسن الثمار وأينعها ، ما دام رائد الجميع ، رضى الله والعمل في سبيل اعلاء كلمته ، والله ولي المؤمنين .

لأنفسكم ...

« ... فاقرؤا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله ان الله غفور رحيم»

المزمل ـ ٢٠

الهادي

مجلة فكرية اسلامية جامعة

العدد الرابع ـ السنة الثانية

رجب ـ ١٣٩٣ هـ

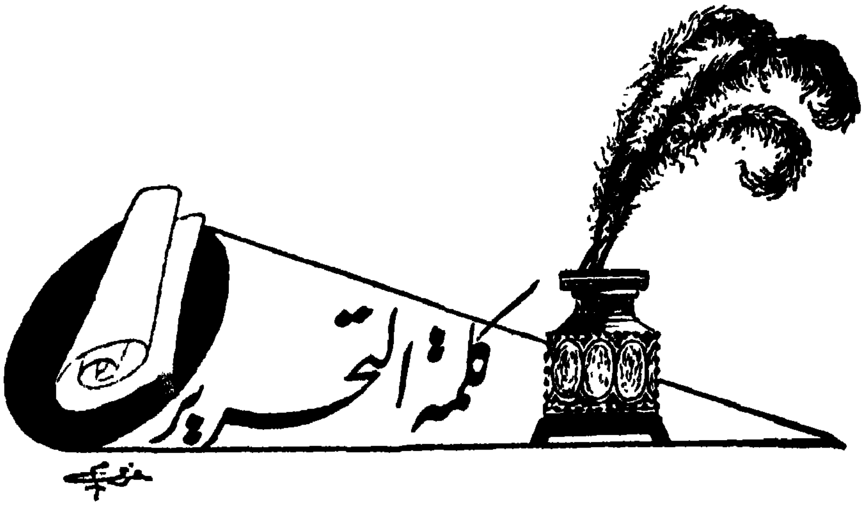
الفهرس

حكمة العدد

لا تظنن بكلمة خرجت من أحد سوءاً
وأنت تجد لها في الخير محتملا .

الامام أمير المؤمنين (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم



ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين

في الوقت الذي احتفل فيه أعداء الامة بذكرى انشائهم كيانهم الدنيء على ارضنا المسلمة نرى الدول العربية الاسلامية المعنية بالامر أكثر من غيرهـا ، تموج في وسط من المتاعب ، لاحد له ، فهي لا تخرج من مأزق الا لتدخل في آخر ، وها هي الان تشاهد بعينين ، مفتوحتين ، تقاتل الاخوة في اكثر من بقعة وعلى لاشيء وتمر خمس وعشرون سنة ومائة مليون عربي ومن ورائهم ستمائة مليون مسلم ، يصرخون ساخطين ناقمين ، ويحملون السلاح في وجه ثلاثة ملايين فقط ـ أو أقل ـ من دون جـدوى . واسرائيل تمرح وتلعب وتزهو ، وتستعرض عضلاتها في زهو وخيلاء وتعطي اذناً صماء لكل استنكار انساني".

وما الذي يقلقها ويكدر صفو حياتها ، بعـد أن اضافت الى رقعتها ، أرض القـدس وسيناء ومرتفعات الجولان في معركة خاطفة؟ وهل تأمل أكثر من ذلك فيما بعد ؟ ؟

ولقد بذلت الدول المعنية ، كل ما في وسعها من جهـد ، دون جدوى ، فقد حملت السلاح ، والتجأت الى هيئة الامم ، تستصرخ الضمير الاعمى الميت ثم دخلت الى الاذقان في الاوحال ، مع المعسكر الشرقي ، وقطعت كل علاقة لها مع الغرب ، ثم عادت فاستعطفت الغرب واستقبلت المشاريع المفروضة واستسلمت للمشاريع السلمية حيناً في غيبوبة من وعي

لهـا ، ثم عادت تشير ساخطة الى السلاح ، وهي في ذلك كله . . . في وسط من المتاعب لايوصف . .

* * *

ان في هذا الامر لسراً ومن حق التاريخ والاجيال القابلة علينا أن تكشف عن هذا السر مهما كان مراً . لقـد أعرضنا عن الله (ومن يعرض عن ذكرى فان لـه معيشة ضنكا) ونسينا الله فنسينا (نسوا الله فنسيهم) ، وتخلينـا عن الله ، فتخلى عنـا ، وتركنا لانفسنا ، نحـارب الصهيونيـة العالمية بكـل مـا نملك ، ومـا يملكون ، بما نملك من شقاق ونفاق وضعف وعجز في العدة والعدد، وفي القوة العسكرية وما يملكون من وحدة وقوة عسكرية وسند مـادي وسياسي كبير . . فانتصرت اسـرائيل علينا ، وليس في الامر أية غرابة .

ولقد كان من الواضح لكل ذي عينين أن كثيراً من الجهات التي كانت مسؤولة عن هذه البلاد أخذت تتنكر منذ العقدين الاخيرين من هذا القرن ، لدين الله ورسالته، بشكل سافر واضح ، في مجال القانون والتشريع ، وفي مجال التربية والتثقيف ، وفي مجال السلوك بل وفي كل مجال ، عدا بعض الطقوس الاسلامية التي لم يكن من الممكن ازالتها .

لقد فتحت ابواب البلاد على مصاريعها للقوانين الوضية المسـتوردة من الشرق او الغرب في كل حقل من حقول الحياة وأوصدت الابواب على شريعة الله ، وليس في دين الله قصور أو عجـز عن تناول مسـائل الحياة و حلها فقشلت تجربة الرأسمالية وحرمت الامة من ممارسة رسالتها ودينهـا ، فيما يعنيها من شئون حياتها .

نعم . . فتح هـؤلاء أبواب البلاد على مصاريعها للافكار الشرقية ، كما فتحها آخرون على الرأسمالية الغربية ، ففشلت هذه وتلك وأقصيت رسالة الله وشريعته ، عن حياة الا العقلية، وتسللت موجة التحلل والتفسخ الغر الى بلاد المسلمين، واقصيت الاخلاق والادا الاسلامية بحجة الحرية حيناً ، والانفتاح حي آخر .

* * *

لقـد كان واضحاً لكل أحـد ، ان هنا تنكراً لهذا الدين ، وتحدياً لله أيضاً .

وحتى على صعيد المعركة أقصيت الام الاسلامية بملايينها العديدة عن المعركة، لتبقى المعركة في اطار قـومي ، ولئلا يدخل (اسم الاسلام) في تقرير مصير المعركة . ولدينا في كل ذلك أرقام وشواهد حية . وحتى في حمى المعركة لم يجأر هناك صوت بالدعاء الى الله.

* * *

فهل يشك أحد بعد ، أننا نسينا الله ، وتخلينا عن دينـه وتنكرنا لرسالته وشريعته وأعرضنا عن كلمته ؟ ؟ وهل يشك أحد أننـا نستحق بذلك أن يتخلى عنا الله وينسانا ويجعل معيشتنا ضنكا ، ويتركنا لانفسنا لنحارب عدونا بما نملك نحن ، وبما يملك هو فقط ؟ ؟ ! !

لقد حمل المسلون في يوم ما ، كلمة الله ورسـالته الى الانسانية فكانت تنقشع أمامهم صـفوف المقاتلين وتنفتـح أمامهم القلاع والحصون ، وتهتز أمامهم العروش وتتلاشى الامبراطوريات، وكانت ألوية النصر تهتز على رؤس الجيوش الاسلامية في شرق الارض وغربها. فلما أن تنكرت لشريعة الله ورسالته ونسيت الله عادت لتستذلها أمة لقيطة أذلها الله .

* * *

فهل تكفينا هنا العبرة المرة لنعود الى الله ؟ وأسـارع فاقول للذين أصـاب العمى قلوبهم وبصيرتهم فلايطيقون رؤية النور لست

أعني بذلك أن نترك الاعداد المادى والعسكرى والاقتصادى للمعركة ونحتضن الايمان وانما نريد أن نقول أن نعد أنفسنا للمعركة على كل صعيد ، عن ايمان بالله ورسالته . فهلا نستيقظ من الغيبوبة الطويلة التى خدرت عقولنا وقلوبنا طويلا لنعود الى الله ، ولنعيد رسالته ودينه فى حياتنا من جديد، ونبنى حياتنا ومعركتنا ومجتمعنا فى ضوء من شريعة الله وهديه وعلى أساس من كلمة الله فانه لايمكن ان يتصور طريق للخلاص من مأزقنا هذا الا طريق الرجوع الى الله والاستهداء بهدى السماء وحينذاك فقط تكون اهلا لنصر الله تعالى وبدونه فان امتنا ستخبط خبط عشواء فى دروب التيه والضلال وهى تحسب انها ستصل الى النصر ولكنها تستفيق على سراب خادع لانها فقدت مقوماته الاصيلة واهمها النهوض بدقة وتخطيط مستندين الى منهج فكرى اصيل امام هذه المناهج والسبل المصطنعة والاساليب المفروضة على الامة من اى جهة كانت فليست هذه بقادرة على ان تفجر فى هذه الامة الطاقات الخيرة البناءة ولنا ان نركز على ابناء القضية انفسهم كى لا تغرهم الشعارات البراقة والدعوات المذهبية الملحدة بحجة انها الكفيلة بالتحرير واستعادة الارض كما رأينا بعضهم قد انزلق الى مثل هذه المواقف ولهم فى القادة الاول والمجاهدين خير قدوة ومنار وفى دروس السنين التى مضت والتى كانت حافلة بالفرقة والتمزق والشعارات التبعية البراقه وفشلها التام خير حافز لهم على العودة الى منهج الله والوقوف بموضوعية امام قضايانا المصيرية ، والله نعم الموفق

في رحاب النبي الاعظم (ص)

ونحن في أمجاد الذكرى وذكرى الامجاد علينا أن نحرز امرين اثنين لانستطيع بدونها أن نبصر شيئاً من هذه الامجاد .

أول هذين الامرين أن نحرز في فكرنا العمق والارتفاع والشمول .

لابد لنا من العمق الفكري لندرك شيئاً من أمجاد هذا الانسان (ص) لان أمر هذا الانسان ابعد غوراً في الحياة من فعالية السلب والايجاب في كيان كل ذرة من وجودها المادي .

ولابد لنا أن نحرز الارتفاع الفكري لان أمر هذا الانسان (ص) أرفع من كل أمر درج على مسرح هذا الكوكب .

لابد لنا ان نحرز في فكرنا الشمول لان أبعاد هذا الانسان لم تبدأ في مكة ولم تنته في المدينة . . فقد بدأت أبعاد هذا الانسان منذ كان آدم يتمثله قدوة في سلوكه وتحركت أبعاد هذه النفس في موكب التاريخ ترف لها وتتجلاها وتبشر لها أنفس الانبياء ، حتى تجلت للحياة في وضح الهجير ودفعة الضياء ونعمة الحياة من مكة بندى ربيعها الاول . .

ثم لم تنته أبعاد هذه النفس في يثرب فهي أبعاد فعالة لاتزال يتجلى وجودها الاكبر فيغمر الحياة الكبرى المستأنفة بعد حين في رحاب الله سبحانه .

وثاني هذين الامرين سمو في الروح لابد لنا أن نحرزه لكي ندرك شيئاً من أبعاد هذا الانسان (ص) ، لان النفس البشرية لايمكنها أن تدرك في أختها سمواً الا اذا عرفته أو عرفت منه شيئاً . ولان الارواح الميتة لايمكنها أن تدرك في اختها دفقة الحياة، ولان الارواح الراسبة في الطين، من الطين تستقي مشاعرها وفي آفاقه تصوغ أحاسيها . .

كذلك الاعين المغشاة لاترى النور . . ولا يعرف الفضل الاذووه . لكي ندرك

محمداً لا بد لفكرنا من السموق ، ولا بد لروحنا من السمو .

نقول ذلك عن يقين . . لاأفقا من الادب نتمناه . . وانما حقيقة موضوعية نتلمسها ونبصرها . .

كثيرون هم الذين تأملوا محمداً فلم يجدوا فيه الاقصارى ما تعي أفكارهم . . مؤسس دولة أوصاحب ثورة ، أو داعية اصلاح . .

وكثيرونتحسسواروح محمد فلم يجد وافيها الاجهادى ماتتحسس أرواحهم.. وماذا تتحسس أرواحهممن معاني الحياة ، من كنهها فى المنبثق ورسالتهافى المسير وعزتها فى المصير ؟ .

ان أمثال هؤلاء ليس باستطاعتهم أن يدركوا نفس محمد ولا أنيعوا رسالته..

أما اذا توفر لانسان اكتمال فى عقل ، وكمال فى روح ، فسوف يستطيع أن يدرك ، وسوف يستطيع أن يعي . . وسوف يدرك حينذاك أن حياة هذا الانسان انما هي الحياة فى انسان . . وان روح هذا الانسان انما هي الروح الكلية التي خامرت الوجود وتفاعلت مع أمانيه فعاشت بحرارة فى خطه المستقيم حدواً الى الغاية وخطواً الى المضمار . .

اما اذا توفر لانسان اكتمال في عقل وكمال فى روح فسوف يدرك أن وجود محمد هو وحده الوجود ، وأن رسالتههي وحدها الطريق وأن الالوان الاخرى من الوجود ضياعوأن الالوان الاخرى من الرسالات ضياع .

وحينئذ فسوف يعي هذا الانسان وجودهمن خلال ذلك الوجود الاعظم ثم يعي طريقه من وضح ذلك الطريق اللاحب . .

ولن تجد انساناً كذلك الافى موكبالداعينالىاللهالمؤمنين برسولهو الواهبين وجودهم لرسالته . . وما يقال فى الفرد نفس مايقال فى الامةفهمافي هذا الامرسواء.

انه مالم يتوفر للامة اكتمال فى العقيدة وسمو روح فى وعي أهداف الحياة فسوف لن تستطيع ان تدرك أبعاد الرسول ولا أن تتحسس روحه العظيمة .

وهانحن نرى أمتناحين افتقدت فىنفسها ذلك افتقدت معه ثماره وعطاءه .. ومن

أجل ذلك نرى أن ألف احتفال تقيمها أمتنا فى ذكرى هذا الانسان تمر بها جدبى دونما عطاء ، فلا يغير منها وضع مؤلم ، ولا تلين لها مشكلة كؤود . ربما نعجب من هذا العقم فى ذكريات أمتنا الخالدة فنعود باللوم على الظروف وربما نقول : ان ذكرى ماقبل قرون لاتفيد عطاء فى مثل هذا القرن . .

اننا بذلك نظلم الذكرى حينما نريد منها ان تفيد العطاء لارواح لاتعيش معها وان تهذب الحلول لسالكين تنكبوا طريقها . .

نحن على يقين بأن ادراك أمتنا لنبيها العظيم (ص) وتحسسها لروحه العظيمه لايمكن أن يتجلى طاقة فى مسيرتها وفعالية فى حلول مشاكلها الا اذا عادت الى خطها الطبيعي فى الحياة وعاشت من جديد قضية هذا الدين عقيدة فى الأعماق ومنهجا فى جوانب الحياة ورسالة تحملها الى العالم لتبصره خيره وسلامه وسعادته، وهذا مايجب أن نعمل لنعيه فى انفسنا وفي أمتنا .

ونحن اذ نحتفل بذكرى الرسول (ص) فانما نحتفل بذكرى رسالته الخالـدة فلقد كان محمد (ص) انساناً وعى رسالته . وتملا ها وعاشها و تفاعل معها ، وأحبها وأحب بها فوهبها وجوده حتى لا وجود له بدونها ، وارخص لها حياته حتى لاحياة له الابها ، حتى استوعبت منه قلبه وأحاسيسه ومشاعره ، فخرج بها للوجود نموذجا فريداً للانسان الامثل ، لم ينسها فى لحظة من حياته، ولم يعش من هذه الحياة الكريمة لحظه من التمييع الفكري والروحي الذي قلما يرتفع الناس منه لحظات فى حياتهم .

هكذا كان محمد (ص) رسالة متجسدة فى انسان .

ولقد كانت الرسالة العظيمة أرواحنا لها الفداء تفسيراً من الله للكون يحتاج الى عقل وصياغة لمشاعر الانسان الامثل ، وطريقاً للحياة المثلى يحتاج الى موضح ثم مشروعاً لبعث الانسان وتربيته وبناء حياته يحتاج الى قائد . .

ولقد وجدت هذه الـرسالة فى شخص ذلك المكي جميع ذلك فحطت على أعتابه وحنت عليه ، وتفاعلت مع روحه وامتزجت بها حتى كانت انساناً فى رسالة

نعم ان ذكرى محمد (ص) هي بعينها ذكرى الرسالة سواء بسواء لايفصلهما

الاكل ساذج غبي .

ورسالته ليستهي هذه العقيدة الخافتة فى سبعمائة مليون من القلوب ، وهذه الشريعة المجمدة فى صدور الكتب والعلماء . .

ونحن حينما نحتفل بذكرى أمجاد رسول هذه الامة وأمجاد رسالتها فى مثل هذه المرحلة من حياة أمتنا فانما نعيش الالم قاسياً والاسى مريراً . .

لقد حملت أمتنا هذه المرحلة أعباء ثقيلة ، وفرضت عليها قيوداً مقيتة . . فقد استطاع اعداء هذه الامة من الكافرين المستعمرين فى مطلع هذا القرن أن يقوضوا كيانها ثم استطاعوا أن يقوضوا العقيدة في داخلها حتى عادت يهول عددها ويهون خطرها ، وحتى عادت أمة تجهل رسولها ورسالتها .

ثقيل ماحملت أمتنا من أعدائها حتى يومنا هذا ، ففى كل بقعة شعب مظلوم ، وفى كل أرض دم مطلول . .

ومقيت مااستطاع أعداء أمتنا أن ينجزوه فى داخل هذه الامة حتى لقد نسيت وجودها وأهدافها وحتى ألقت رسالتها وراء ظهرها وتلفتت عشواء تبحث عن ضحل الرسالات النابتة فى قاحل من أرض الاعداء .

وغريب ماأدخل الاعداء أمتنا اليه فحتى وهي فى المحنة تكال لها منهم الضربة تلو الضربة،وهي لاتزال تتلمس منهم الحلول ثم لاترى فى رسالتها حلا يرضى ، ولا فى رسولها قدوة تحتذى ! .

ومن أبلغ الاسى ـ وكلنا مأساة ـ أننا لانزال سكارى من خطط الاعداء ونحن نطلب سكراً على سكر وبلهاً على بله .

يارسول الله لقد جمعت أمتنا بين نقيضين،فحينما كانت تعيش الرسالة معك سمت الى حيث لامزيد وحينما نفضت يدها من الرسالة وابتعدت عنك سفت الى حيث لامزيد

وازاء الاسى والالم .. تتجلى لنا اشراقة بدأت تتموج فى أفق أمتنا . . هي اشراقة الواعين للاسلام العاملين فى سبيل قضيته ..

ثقيل ما يهدفه هؤلاء العاملون ولكن الانفس التي تحتمل الرسالة تنهض بكل

ثقيل. قديكون تفاؤل الكثيرين لمستقبل أمتنا بغير العودة للاسلام، ولكننا لانملك تفاؤلا الا به . . ولا نؤمن بتفاؤل الا فيه . . ليس لانا ألفنا هذا المبدأ واحببناه وارخصنا له الدماء . وأنما لانا لانملك حلا سواه ولا يملك العالم حلا لمشاكله سواه . . ولكن مضى على أمتنا زمن وهي تتفاءل بسواه ، فاذا كل امل سراب ، واذا كل ادعاء كاذب .

مهما يكن فانا غير واجدين طريقاً سوى هذه الرسالة ولا قائداً سوى هذا الرسول (ص). ولا هدفاً نعمل بكل جد ونشاط على ان نوصل ركب البشرية اليه ، الا الاسلام ، والاسلام وحده.

اننا نستمد هذا الحصر من التاريخ والمنطق معاً فلن يستطيع أحد وحتى أعدى أعداء الاسلام أن ينكر ان الاسلام استطاع وفى فترة زمنية قصيرة ان ينقل انسان الجزيرة العربية من واقعه الأليم . . اليائس الى مرتبة القيادة الحضارية لباقي الاجيال المتتابعة بعده . . كل ذلك بفضل انطلاقه من تقييم الهي شامل لكل العناصر الدخيلة فى تحقيق سعادة الانسان ، والمواءمة الواقعية بين تأثيراتها لاجل خلق الانسان الانسان ، وبفضل شخصية الرسول القائد صلى الله عليه وآله وسلم .

كل هذا فى حين تخبطت كل النظم التي تبجحت بأنها تصنع الانسان فى أوحال بشريتها وقصورها مما ولد الكثير من المشاكل والالام والدموع والتى ضجت بها صفحات تاريخ هذا الانسان .

هذا هو التاريخ وتلك هي مقتضيات المنطق . . فهل بعد هذا لمتبجح ان ينكر علينا اختيارنا طريق الاسلام . .

ايهاً يا رسول الحياة

اننا ونحن نحتفل بذكراك الخالدة نجد انفسنا نسير بخشوع واجلال امامك جنداً فى سبيل رسالتك وسعاة لتحقيق آمالك فى هذا الانسان وألسنة يعمرها الشكر لله على ان بعثك بالحق وقلوباً تملؤها شخصيتك الباهرة . . .

يارسول الله (ص) . .

بوركت يامولاي في سمائك العظيمة تحوطك امجادك الهائلة أمجاد جهادك الثقيل . . وآلامك الكثيرة وآمالك الكبيرة . .

بوركت يا مولاي موضحاً للطريق . . وداعياً الى الله . .

يارسول الله . .

فيضاً من روحك الطاهرة على قلوب مؤمنة بك مؤمنة بزعامتك مؤمنة برسالتك عاملة فى سبيلك سبيل الله سبحانه . .

اللهم اجعل قلوبنا من هذه القلوب واقبل نفوسنا مع من قبلت،وادفعنا للاقتداء برسولك الكريم وبآله الاطهار صلواتك وسلامك عليهم اجمعين ولاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب . .

بالهدى . . . ودين الحق

هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً .

محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا .

من سورة الفتح

وأن يلهمهم أن يصبروا ويصابروا ويرابطوا ويحموا جيلهم الاتي كي لايكون فريسة للقوى العالمية المتجمعة عليه كي تلتقفه من أيدينا . . . ان رسالتنا امانـة في أعناقنا يجب ان نوصلها الى أجيالنا الآتية ونبذل في سبيل ذلك النفـس والنفيـس ونتحد صفاً واحـداً كالبنيان المرصوص ونغلق كل الابواب أمام العدو الغادر الكافر ومن الله تعالى نستمد العون . .

فـاثبتوا . . واذكروا

يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون* واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين» .

الشّفاعة

بين السّلب والأيجاب

الشّيخ محمّد هادي معرفة - قم

الشفاعة : اسم من الشفع ، وهو ضم احد الشيئين الى الاخر، واكثر استعمالها فيما اذا انضم كامل الى ناقص لغرض استكماله وجبران مافيه من ضعف ، قال الراغب: والشفاعة الانضمام الى آخر ناصراً له وسائلا عنه ، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة الىمن هو أدنى، وهي في أعراف الناس : استعانة العاجز بصاحب الكلمة النافذة فيقضاء حاجته لدى من يترقبه فيه لدفع شر او جلب خير، وتكون جميلا انسانياً طالما يتذرع اليه بنو الانسان في نجاح مآربهم . كما تكون ركناً أساسياً من اركان التعاون البشري العام .

ولا شك انها اداة نافذة ، ومعقولة الى حدما ، في داخل المحيط البشري ، أما بالنسبة الى خارج هذا المحيط فقد وقع الجدل حول امكانها ومعقوليتها ومدى تأثيرها في الحياة الدينية ، وقد انكرها البعض وقالوا بعدم امكان توسيط شيء او شخص في غفران ذنوب او ترفيع درجات او قضاء حاجات . غير ان الاكثرية الساحقة من المسلمين ولاسيما السلف الصالح منهم على جانب الايجاب .

قال القاضي عياض : « مذهب اهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعاً

بصريح الايات وبخبر الصادق (١) (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة فى الأخرة لمذنبي المؤمنين. واجمع السلف الصالح ومن بعدهم من اهل السنة عليها . ومنعت الخوارج (٢) و بعض المعتزلة منها ، وتعلقوا بمذاهبهم فى تخليد المذنبين فى النار ، واحتجوا بقوله تعالى:« فما تنفعهم شفاعة الشافعين » وامثاله ، وهي فيالكفار . وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها فى زيادة الدرجات ، فباطل ، و الفاظ الاحاديث فى الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذهبهم» (٣) .

وقال الفخر الرازي : «أجمعت الامة على ان لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) شفاعة في الأخرة . قالت المعتزلة : انها للمستحقين للثواب زيادة فى ثوابهم. وقال اصحابنا ـ يعني الاشاعرة ـ : تأثيرها فى اسقاط العذاب عن المستحقين للعقاب اما بأن يشفع لهم فى عرصة القيامة حتى لايدخلوا النار ، وان دخلوا النار فيشفع لهم حتى يخرجوا منها ويدخلوا الجنة ، واتفقوا انها ليست للكفار» (٤) .

وقال المحقق الطوسي : « الاجماع منعقد على الشفاعة فى كلا جانبي زيادة المنافع واسقاط المضار» (٥) .

وقال العلامة الحلي : « اتفقت العلماء ـ من أمة محمد صلى الله عليه وآله ـ على ثبوت الشفاعة للنبي (ص) وعليه قوله تعالى: عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً» (٦).

* * *

(١) يقصد به النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) قال رجل لابى عبد الله الصادق ـ عليه السلام ـ : ان لنا جاراً من الخوارج، يقول: ان محمداً يوم القيمة همه نفسه فكيف يشفع ؟ فقال ابو عبد الله ـ عليه السلام ـ : ما من أحد من الاولين والاخرين الا وهو يحتاج الى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله يوم القيامة ، بحار الانوار ج ٨ ص ٤٢ .

(٣) بنقل النورى عنه فى شرح مسلم ج ٢ ص ٥٨ ، بحار الانوار ج ٨ ص ٦٢ .

(٤) التفسير الكبير ج ٣ ص ٦٣ .

(٥) تجريد الاعتقاد .

(٦) شرح التجريد ص ٢٣٤ ط بمبى .

هذا . . . وقد انكرت المعتزلة شمولها للمذنبين وخصوها بالمؤمنين في ترفيع درجاتهم فحسب (*) . وجاء ابن تيمية ـ أخيراً ـ لينكرها رأساً ، آخذاً في تأويل نصوص الكتاب والسنة الصريحة بمشروعيتها ، وحذا حذوه أناس .

قال ابن تيمية : « الشفاعة بمعناها المعروف شرك بالله ومعتقده كافر ، ويجب على المسلمين أن يستتيبوه والا فيجب قتله» (٣) .

قال الشيخ محمد عبده : « وما ورد في اثبات الشفاعة يكون من المتشابهات ، وقد قضى السلف فيه بالتفويض والتسليم ، وانها مزية يختص الله بها من يشاء من عباده . لكنا لا نحيط بحقيقتها ، مع تنزيه الله جل جلاله عن المعروف من معنى الشفاعة في لسان التخاطب العرفي . أما مذهب الخلف فهو الاخذ في التأويل، فلنا ان نحمل الشفاعة فيه على أنها دعاء يستجيبه الله تعالى ، والاحاديث الواردة في الشفاعة تدل على هذا ، ففي رواية الصحيحين وغيرهما : ان النبي (ص) يسجد يوم القيامة ويثني على الله تعالى بثناء يلهمه يومئذ فيقال له: ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع . وليس في الشفاعة بهذا المعنى ان الله سبحانه يرجع عن ارادة كان أرادها لاجل الشافع . وانما هي اظهار كرامة للشافع بتنفيذ الارادة الازلية عقيب دعائه » .

وقال السيد رشيد رضا ـ تعليقاً على هذا الكلام ـ :«بمثل هذا قال شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره ولم يعدوه تأويلا» (٤) .

وقال محمد فريد وجدي : « الشفاعة في الاصطلاح الديني : سؤال بعض الصالحين من الله التجاوز عن معاقبة بعض المذنبين ، وقد اضرت هذه العقيدة بأكثر الاديان ، وما هي الا تحريف تقصده الكهان ، ليكون لهم شأن عند الناس ، وقد جاء الاسلام فقوم عقائد الامم من هذه الجهة ، فذكر الشفاعة ثم قال :

---

* سيأتي التعرض لاسباب انكار المعتزلة الشفاعة في غفران الذنوب عند الجواب عن الاعتراض الثالث .

(٣) كشف الارتياب ص ١٦٣ و ٢٣٨ ، نقلا عن القواعد الاربع . حقايق تحريف شده ص ٥٩ .

(٤) تفسير المنار ج ١ ص ٣٠٧ .

«من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه» . وقال :«وكأين من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى». فمتى عرف المسلم ان الشافع والمشفع هو الله وان لاأحد يمكنه ان يغني فتيلا رفع وجهه من الاستشفاع بمثله الى الاستشفاع بربه ، وناهيك بهذا بعداً عن الوثنية وقرباً من الديانة الالهية» (١) .

وقال الطنطاوي : «قد اجمعت الأمة الاسلامية انه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يشفع في أمته ، وهذا ، امر مجمع عليه لافرق بين السنية والمعتزلة والفلاسفة منهم، ولكنهم اختلفوا في المقصود منها ، وها انا اذكر لك الحقيقة ثم اطبق عليها سائر الاقوال والايات والاحاديث . .

قال « ومعنى ذلك ان النبي (ص) كان الواسطة في هداية الناس الى سعادة الحياة العليا ومن ثم يفوزون بالدرجات العلى في الآخرة بواسطة اعمال صالحة قاموا بها في هذه الدنيا، والتي كان السبب فيها هو النبي (ص) حيث أرشدهم اليها.. فكان شفيعاً لامته اي شفعاً بهم في الاهتداء الى اعمال تكون نتيجتها الفوز والنجاح في الآخرة .

«فشفاعة الانبياء ليست من قبيل الهبات المالية وانما هي نفحات علمية وأخلاق حكيمة وآداب كريمة ، فمن فقه ما قالوه واتبع مارسموه واستثمر من بذور الشفاعة ما بذروه تمت له الشفاعة . .

قال «وليس هذا القول بمخالف اهل السنة ولا المعتزلة ، فان خروج العاصي من النار بالشفاعة او ابعاده عنها قبل الدخول ، وكذلك زيادة الحسنات ، كل ذلك جاء من شفاعته واتباعه ، بل كل ثواب فانما هو بسبب ذلك وهكذا كل نجاة ، فانه صلى الله عليه وآله وسلم ـ لو لم يأت لنا بالشريعة لكنا اقرب الى الحيوان ...» (٢)

---

(١) دائرة المعارف ج ٥ ص ٤٠٢ (شفع)

(٢) تفسير الجواهر ج ١ ص ٦٤ ـ ٧٠

تلك وامثالها تأويلات لنصوص الشفاعة قام بها المتأثرون بأفكار ابن تيمية ، من كتاب العصر الحديث . وسوف ننظر في قيمة هذه التأويلات .

منهج البحث :

ونحن اذ نبحث عن الموضوع ينبغي ان نستوفي الكلام في ثلاث مراحل :
الاولى ـ في معقولية الشفاعة وامكانها العقلي .
الثانية ـ في نصوص شرعية من الكتاب والسنة معتمدة عند المسلمين .
الثالثة ـ في دفع الاعتراض الموجه من قبل المنكرين .

* * *

وقبل ان نرد البحث يجب ان نحدد الموضوع تحديداً فاصلاً بين موقفي الايجاب والسلب في القضية ، وتوضيح اتجاه البحث والمناقشة :

التعريف بالشفاعة :

« الشفاعة : ابتهال الشافع الى حضرة الباري تعالى ان يقبل دعاء المستشفع في مغفرة ذنب أو قضاء حاجة ، حيث وسيلة هذا الاخير ناقصة وعاجزة عن البلوغ به الى المقصود ، فيقرنها بمقام الشافع الكريم عند الله ، لغرض الاستكمال » .
وينحل هذا التحديد الى البنود التالية :

١ ـ صلاحية الشفيع الشرعية ،لتكون هذه الصلاحية منحة الهية خوله اياها، تكريماً لمقامه العبودي لديه .

ومن ثم تكون معرفة الشفيع توقيفية ، ليس يعرف الا بتعريف الله لو اذنه اياه «مامن شفيع الا من بعد اذنه» (١) . «ولا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمان عهداً» (٢) .

---

(١) يونس : ٣ .
(٢) طـه : ٩٠ .

فقد سقطت قولة المشركين : «هؤلاء شفعاؤنا عند الله». «قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون» (١) . «ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان» (٢) .

وهذا هـو الفارق بين عقيدة المسلم وعقيدة المشرك فى الشفاعـة : ان الأول يتكلم عن مستند شرعي فى الشفاعة وفي معرفة الشفيع . اما الثاني فـانـه يتخرص بالغيب ، ويفتري على الله الكذب فيدعي شفعاء لا يعلمهم الله .

٢ ـ صلاحية المستشفع ـ شخصياً ـ واستعداده الايماني الخالص ، الأمر الذي يؤهله للاستفاضة من منهل الفيض العميم ، فلا تشمل الشفاعة كافراً بالله او مشركا في ربوبيته او مبتدعاً فى الدين خارجاً عن حوزة الأسلام الحنيف . «فما تنفعهم شفاعة الشافعين» (٣) . «لا يشفعون الا لمن ارتضى» (٤) .

٣ ـ ان يملك وسيلة الى الله صالحة عملا صالحاً ولكن عاجزة عن البلوغ به الى درجة القرب والقبول ، لقصـور او تقصير هـو نادم عليه فهو يـروم استكمالها باقتران الشفيع الكريم . كتب ابو عبد الله الصادق ـ عليه السلام ـ الى أصحابـه « اعلموا انه ليس يغني عنكم من الله احد مـن خلقه شيئاً ، لاملك مقـرب ، ولا نبي مرسل ، ولا من دون ذلك . فمن سره ان تنفعه شفاعة الشافعين عند الله فليطلب الى الله ان يرضى عنه (٥) » اي بالعمل الصالح .

«يا ايا الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الـوسيلة وجاهـدوا فى سبيله لعلكم تفلحون» (٦) والوسيلة هو العمل الصالح الذي يؤهله للانتفاع بشفاعة الشافعين وقال تعالى : «يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمان ورضى له قولا» (٧) «وكم

---

(١) يونس : ١٨ .
(٢) النجم : ٢٣ .
(٣) المدثر : ٤٨ .
(٤) الانبياء : ٢٧ .
(٥) روضة الكافى ص ١١ بحار الانوار ج ٨ ص ٥٣ .
(٦) المائدة : ٣٥ .
(٨) طه : ١٠٩ .

من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى» (١) اى يرضى عمله .

فيتلخص موضوع الشفاعة في : صلاحية الشافع الشرعية اولا . ثم صلاحية المستشفع الايمانية ثانياً، وتقديمه عملا صالحاً مرضياً عند الله، وهذا هو وسيلته الى الله في الانتفاع بشفاعة الشافعين .

* * *

معقولية الشفاعة :

كان الانسان ولا يزال يرى من أعماله الصالحة التي تمها الى حضرة الباري جل شأنه ضحالة وضآلة لا تخـوله صلاحية البلـوغ الى درجة الصالحين الكاملة والاستعداد لنيل الفيوض الخاصة المباشرة ، والتي ينعم بها عباد الله المخلصون .

وهذا الشعور بالعجز نوع من الكمال الانساني النبيل، حيث الاحساس بواقعيته البشرية الضعيفة ، العاجزة عن مقاومة الهوى والشهوات الأرضية الدنية .

روى الشيخ المفيد بسنده الصحيح عن الأمام الباقر ـ عليه السلام ـ قال: «قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

قال الله ـ عز وجل ـ : لا يتكل العاملون على اعمالهم التي يعملون بها لثوابي فانهم لو اجتهدوا وأتعبوا انفسهم وأفنوا أعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون من كرامتي والنعيم في جناتي ورفيع الدرجات العلى في جواري ، ولكن برحمتي فليثقوا ، وفضلي فليرجوا ، والى حسن الظن بي فليطمأنوا ، فان رحمتي عند ذلك تدركهم ، وبمنّي ابلغهم رضواني وألبسهم عفوي ، فاني انا الله الرحمن الرحيم بذلك تسميت» (٢) .

وقلما ينفلت انسان من حبائل ابليس وشباكه الخبيثة «بل الانسان على نفسه

---

(١) النجم : ٢٦ .

(٢) امالي الطوسي ج ١ ص ٢١٥ بحار الانوار ج ٧٠ ص ٣٨٥ .

بصيرة ولو ألقى معاذيره»(١) . سئل الامام الصادق -عليه السلام- : « هل يحتاج المؤمن الى شفاعة محمد -صلى الله عليه وآله- يومئذ ؟ قال : نعم ، ان للمؤمنين خطايا وذنوباً ، وما من احد الا يحتاج الى شفاعة محمد (ص) يومئذ»(٢) .

وهذا الشعور الكريم يجعل الانسان - دائماً - يتحرى الوسائل الى تحقق مطلوبه بنجاح ومن ثم يختار لدعواته ومناجاته مع ربه بقاعاً كريمة واوقاتاً شريفة ، ومناسبات طيبة ، ويستهدف من وراء ذلك استكمال جانب نقصه البشري الذاتي ليفوز في مهمته الدعائية، وخير بقاع الارض هي المساجد واشرفها المسجد الحرام ، فتقع شفعاً لما يقوم به العبد من عبادة ودعاء ومناجاة مع ربه الكريم ، وتكون بذلك بالغة درجة الكمال اللائقة لتقديمها لحضرة الباري جل شأنه .

كما ان الجمعة خير اوقات الايام وكذلك الاعياد الكريمة وبالاسحار هم يستغفرون فان الدعاء فيها أقرب الى الاستجابة من غيرها ، ومعنى ذلك ان الوقت يقع شفعاً للدعاء فيكمله ويخوله من صلاحية اصابة الهدف اكثر .

وهكذا اصحاب النفوس القدسية انبياء الله العظام هم ذوو جاه عريض عند الله . ويكرمهم الله بلطفه ويكرم أممهم برحمته الواسعة ، «لاجل عين ألف عين تكرم» وهؤلاء اكرم على الله من ان يرد دعاءهم في غفران ذنب او قضاء حاجة «ولو أنهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما» (٣) . « فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم » (٤) .

وبعد فاذا كانت قداسة المكان وشرافة الزمان مؤثرتين في استجابة الدعاء وقبول التوبة وقضاء الحاجة ، وغفران الذنوب عند الاستغفار ، فما المانع ان يقرن الداعي دعاءه بذكر نبي الرحمة وأهل بيته الاطهار، ويقدمهم بين يدي حوائجه فأذا لم نكن

---

(١) سورة .
(٢) تفسير الميزان ج ١ ص ١٧٨ .
(٣) سورة النساء : ٦٤ .
(٤) سورة الممتحنة : ١٢ .

نستغرب وقوع المكان والزمان شفعاً مؤثراً في استجابة الدعاء ، فماذا نستغربه من شفاعة نبي كريم . !

وهكذا العقل الفطري لايستبعد تأثير واسطة الفيض فى بلوغ القاصر مهمته المطلوبة ، نظراً لكمال الواسطة وصلاحيته لانعكاس الفيوض منه الى القاصرين ، فان للكاملين اشعاعات مفاضة تشمل القاصرين عن بلوغ الاهداف حيث مرادفة الكامل كمال ومصاحبة الجميل جمال ، ولاجل عين ألف عين تكرم .

وقد صور الحكماء الشفاعة بوجه لطيف ، اورده الفخر الرازي في تفسيره . قال : «قالت الفلاسفة فى تأويل الشفاعة : ان واجب الوجود تعالى عام الفيض تام الجود ، وحيث لايحصل فانما هو لمانع فى القابل وعدم استعداده للقبول ، ومن الجائز ان لايكون الشيء مستعداً لنيل الفيوض بنفسه لكنه صالح لان ينالها بوسيط .

«قالوا: ومثال ذلك فيالمحسوس، أن الشمس الوهاجة تشع بضيائها بسخاء واسع ، ولكن لمن واجهها وجهاً لوجه ، وهو شرط لقبول الضوء المباشر اما الواقف تحت ظلال تحجبه عن الضياء بسبب كثافة السقف الحاجز ، فانه مع ذلك صالح للاستضائة بضوء الشمس لكن غير المباشروذلك بوسيط ـ مثل المرآة المجلوة ـ تعكس عليه أشعتها، وكلما كان الوسيط أجلى كان الانعكاس أشد وأبين «قالوا : وارواحالانبياء ـ لشدة صفائها ـ وسائط تعكس اشعةالفيوض الربانية الى الخلائق فى عموم البركات وشمول الخيرات كما كانوا وسائط فى ابلاغ الشرائع والاحكام . . . (١) .

* * *

اذن . . فالشفاعة ليست سوى دعاء يدعو به المخلصون ويبتهلون الى الله في غفران ذنوب المؤمنين . . وليست سوى استغفار يقوم به اولياء الله الصالحون ويسترحمون ربهم فى حط اثقال المذنبين . . وليست سوى ضراعة وخشوع من ذوي الجاه الرفيع عند الله ، ليستعطفوه بشأن عباده التائبين . .

---

(١) التفسير الكبير ج ٣ ص ٧٥ بتصرف وتوضيح .

هذه هي الشفاعة التي يعتقدها المسلمــون ، ويعتمدونها كسبب أساسي لطرد اليأس والقنوط عن حياتهم ، اما الذي استعظمه الشيخ محمد عبده من معنى الشفاعة (١) فشيء لم ينطق به احد من العلماء ولم يعتقده مسلم على الاطلاق ، فقد تكلف في التفسير بما لاوجه لهوسيبدو لك ـ عندما نعرض الروايات ـ انالشفاعة ليست سوى دعاء يقوم به الشفيع بشأن المستشفع فتقع الأجابة عند توفر شروطها .

* * *

نصوص شرعية :

النصوص الشرعية بشأن الشفاعة كثيرة في الكتاب والسنة المتواترة « منها » الايات الواردة في استغفار الأنبياء لذويهم وأممهم ، واستغفار الملائكة للمؤمنين ، ولا شك ان الاستغفار في حق الاخرين شفاعة بشأنهم . «ومنها» الايات الواردة فــي خصوص الشفاعة لغرض تعديل العقيدة بها ،حيث كان المشركون واليهود يعتقدونها بصورةمنحرفة فجاءتالايات المذكورة لتصحيحهاوتحريرها عنالخرافات والاوهام. ومن ثم فهي تثبتها لكن عرضاً واستلزاماً للكلام . «ومنها» الاحاديث الشريفة ذوات الدلالة الصريحة غيـر القابلة للتأويل وهي كثيرة جداً نقتصرمنها على نماذج . واليك التفصيل : ـ

---

(١) قال : الشفاعة المعروفة عند الناس هى ان يحمل الشافع المشفوع عنده على فعل او ترك كان أراد غيره ـحكم به ام لاـ فلا تتحقق الشفاعة الا بتـرك الارادة وفسخها لاجـل الشفيع . فأما الحاكم العادل فانه لا يقبل الشفاعة الا اذا تغير علمه بما كان اراده أو حكم به ، كأن كان اخطأ ، ثم عرف الصواب ورأى المصلحة أو العدل فى خلاف ما كان يريده أو حكم به وأما الحاكم المستبد الظالم فانه يقبل شفاعة المقربين عنده فى الشيء ، وهو عالم بأنه ظلم وان العدل فى خلافه ، ولكنه يفضل مصلحة ارتباطه بالشافع المقرب منه على العـدالة . وكل من النوعين محال على الله تعالى ، لان ارادته تعالى على حسب علمه ، وعلمه أزلى لا يتغير ، فما ورد فى اثبات الشفاعة يكون على هذا من المتشابهات ، وفيه يقضى مذهب السلف بالتفويض والتسليم من غيرأن يحيطوا بحقيقتها . مع تنزيه الله جل جلاله عن المعروف من معنىالشفاعة فى لسان التخاطب العرفى . . » ، *المنار ج ١ ص ٣٠٧* .

آيات كريمة :

قال تعالى : « وإستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات »(١) . « فاعف عنهم وأستغفر لهم »(٢) . « فأذن لمن شئت منهم وأستغفر لهـم الله »(٣) . « فبايعهن واستغفرلهن الله »(٤) .

« ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جـاؤوك فاستغفروا الله وأستغفر لهم الـرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً (٥) .

فهل استغفار النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ للمؤمنين والمؤمنات غـير شفاعته بحقهم في غفران ذنوبهم . ؟ !

وقال اخوة يوسف : « يا أبانا أستغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ، قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم »(٦) فهل طلب اخوة يوسف من أبيهم أمراً غير مشروع ، وهل وعدهم ابوهم بأمر غير مشروع . ؟ !

وقال نوح : « رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً ، وللمؤمنـين والمؤمنات »(٧) .

وقال ابراهيم : «رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب»(٨) .

وقال موسى : « رب اغفر لي ولاخي وأدخلنا فـي رحمتك وأنت أرحـم الراحمين » (٩) .

---

(١) سورة محمد : ١٩ .

(٢) سورة آل عمران : ١٥٩ .

(٣) سورة النور : ٦٢ .

(٤) سورة الممتحنه : ١٢ .

(٥) سورة النساء : ٦٤ .

(٦) سورة يوسف : ٩٨ .

(٧) سورة نوح : ٢٨ .

(٨) سورة ابراهيم : ٤١ .

(٩) سورة الاعراف : ١٥١ .

هؤلاء اولوا العزم من الرسل . . هل طلبوا منه تعالى أمراً غيرمشروع . ؟ !
وهل كان استغفارهم لذويهم وللمؤمنين والمؤمنات تدخلاً في شؤون الباريء تعالى الخاصة ـ كما زعم اتباع المدرسة الوهابية . ! ؟

«الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً . فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم أنك أنت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم »(١) .

« والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض »(٢) .

ولنا ان نقول انطلاقاً من نظرية ابن تيمية وابن عبد الوهاب والشيخ محمد عبده: ما للملائكة والتدخل في شؤون الله الخاصة . ! !

نعم « ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين »(٣) لان الايمان هو الشرط الأول لقبول الشفاعة . وقال تعالى بشأن المنافقين : « سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين »(٤) .

* * *

قال الشيخ محمد عبده : « ليس في القرآن نص قطعي في وقوع الشفاعة ولكن ورد الحديث باثباتها فما معناها . ؟ »(٥) .

أقول : اذا كانت الشفاعة هي الوساطة في غفران ذنوب المؤمنين ، فهل يختلف المعنى اذا كان التعبير بلفظ الاستغفار ؟ وهل هناك فرق بين « تشفع في مغفرة ذنب »

---

(١) سورة غافر : ٩ .
(٢) سورة الشورى : ٥ .
(٣) سورة التوبة : ١١٣ .
(٤) سورة المنافقون : ٦ .
(٥) تفسير المنار ج ١ ص ٣٠٧ .

أو « استغفر له » ؟ وكلاهما بمعنى «طلب المغفرة له» !

ولعل « الشيخ » حسب البحث لغوياً فكان الفارق لديه بين اللفظين كبيراً ، نظراً الى مادة الاشتقاق في علم التصريف ! .

ومع ذلك فقد جاءت الشفاعة في القرآن بلفظها مما يدل على الوقوع دلالة قطعية لكنها دلالة في عرض الكلام بعد ان كان المقصود هو تعديل مفهوم الشفاعة التي كان اليهود والمشركون مغترين بها .

قال تعالى : « من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه » (١) « ولا يشفعون الا لمن ارتضى » (٢) «لا يملكون الشفاعة الا من أتخذ عند الرحمن عهداً » (٣) «ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون » (٤) . « وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » (٥). « يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا » (٦) .

هذه الايات صريحة في وقوع الشفاعة مع توفر شروطها . انها نفي واستثناء فنفي لمن زعم الاعتباط فى الشفاعة، واثبات لها تحت شروط، فهل هناك نص أصرح من هذه التعابير ذات الحصر بالنفي والاثبات القطعيين . ؟

* * *

وقال تعالى : « عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً» (٧) اجمع المفسرون على ان هذا وعد جميل واكرام بمقام شفاعة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في أمته .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٤ .
(٢) سورة الانبياء : ٢٨ .
(٣) سورة مريم : ٨٧ .
(٤) سورة الزخرف : ٨٦ .
(٥) سورة النجم : ٢٦ .
(٦) طـه : ١٠٩ .
(٧) الاسراء : ٧٩ .

قال الطبرسي : وقد اجمع المفسرون على ان المقام المحمود ـ الذي يحمده فيه الاولون والاخرون ـ هو مقام الشفاعة ، وهو المقام الذي يشفع فيه للناس ، وهو المقام الذي يعطي فيه لواء الحمد فيوضع في كفه ويجتمع تحته الانبياء والملائكة فيكون ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أول شافع وأول مشفع (١) .

وأخرج السيوطي بعدة أسناد متواترة عن جل الصحابة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ سألوه عن المقام المحمود ؟ فقال: هو الشفاعة . وطرق الاسناد صحيحة فضلا عن تواترها (٢) وضع يدك على أي تفسير شئت قديماً وحديثاً يدلك على هذا الاتفاق . وستاتي الاشارة الى بعض تلكم الاحاديث .

* * *

وقال تعالى : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » (٣) .

قال الطبرسي : روى الحارث بن شريح عن محمد بن الحنفية ، قال : أرجى آية في كتاب الله «ولسوف يعطيك ربك فترضى» وهي ـ والله ـ الشفاعة، ليعطينها في أهل لا اله الا الله حتى يقول : رضيت (٤) وذكر روايات اخر بهذا الصدد عن الائمة عليهم السلام فراجع .

وروى السيوطي عن ابن شريح قال : قلت لابي جعفر محمد بن علي بن الحسين : أرأيت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العراق أحق هي ؟ قال : أي الله ، حدثني عمي محمد بن الحنفية عن علي ان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ قال : اشفع لامتي حتى يناديني ربي أرضيت يا محمد فأقول: نعم يا رب رضيت. وأخرج

---

(١) مجمع البيان ج ٦ ص ٤٣٥ .

(٢) الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٧ ـ ١٩٨ .

(٣) سورة الضحى : ٥ .

(٤) مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٠٥ والرضا هنا بمعنى انشراح الصدر بعد ما كان صدره ـ صلى الله عليه وآله ـ يضيق بعذاب أمته .

ابن أبي حاتم عن الحسن أنه سئل عن هذه الاية فقال : هي الشفاعة . وغيرها كثير (١) .

* * *

تلك نصوص الكتاب العزيز صريحة في وقوع الشفاعة في الآخرة ، واليك الان نبذة مختصرة من نصوص السنة المتواترة بهذا الصدد .

للبحث صلة

ولايتنا

والله ما نتقرب الى الله تبارك وتعالى الا بالطاعة ، وما معنا براءة من النار . من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو ، وما تنال ولايتنا الا بالعمل والورع .

الامام الباقر عليه السلام

---

(١) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٦١ .

أساس الحرية الاخلاقية بين التفكير الفلسفي والتفكير الاسلامي

مقداد يالچن

رأي الاسلام في الحرية الاخلاقية (*)

واذا بحثنا عن رأي الاسلام في هذا الموضوع وجدنا فيه نصوصا مختلفة المفاهيم يمكن ان نؤيد بها كل اتجاه وكل مذهب من المذاهب السابقه لو اردنا ان نكون مذهبيين :

فنجد هناك مثلا نصوصاً تؤيد (بظاهرها المدعى) الاتجاه الاول القائل بالجبر مثل النصوص الاتية : « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » (١) «ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء» (٢) «وما تشاؤون الا ان يشاء الله » (٣) «واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له» (٤) « واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا

(*) هذا هو القسم الثاني من بحث « الحرية الاخلاقية بين التفكير الفلسفي ، والتفكير الاسلامي » .

(١) آل عمران ٢٦ .

(٢) الاعراف ١٥٥ .

(٣) الانسان ٣٠ .

(٤) الرعد ١١ .

مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » (١) « ولو شاء الله مااقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد » (٢) « فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً » (٣) « واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون » (٤) .

ونجد كذلك نصوصا تؤيد(بظاهرها ايضاً) الاتجاه الثاني القائل بحرية الارادة مثل النصوص الاتيه : « قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » (٥) «سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون » (٦) « ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الاخره نؤته منها وسنجزي الشاكرين » (٧) .

وأخيراً نجد نصوصاً تؤيد الاتجاه الثالث وهو التوسط بين الاتجاهين السابقين. منها هذه النصوص «نحن خلقناهم وشددنا أسرهم واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ، وما تشاؤن الا ان يشاء الله ان الله كان عليماً حكيماً . يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عـذاباً اليماً » (٨) ، «قال عذابي اصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كـل شيء فسأكتبها للذين يتقـون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » (٩) .

---

(١) الاسراء ١٦ .
(٢) البقرة ٢٥٣ .
(٣) الانعام ١٢٥ .
(٤) الانفال ٢٤ .
(٥) الكهف ٢٧ .
(٦) الانعام ١٤٨ .
(٧) آل عمران ١٤٥ .
(٨) الانسان ٢٨ ـ ٣١ .
(٩) الاعراف ١٥٦ .

وهناك نصوص أخرى كثيرة من هذا القبيل وسنذكر مزيدا منها عندما نعالج هذه الموضوعات المعالجة التفصيلية .

والآن اذا تأملنا في هذه النصوص المتعلقة بالاتجاهات الثلاثة السابقة يبدو لنا لاول وهلة كأن بينها تعارضا وقد يصبح هذا التعارض والغموض حقيقة اذا نظرنا الى كل طائفة من هذه النصوص القرآنية باستقلال وانفراد ، أما حينما ننظر الى هذه الطوائف الثلاثة من الآيات بنظرة كليه شامله فسيزول هذا التعارض وينجلي هذا الغموض،وينفسح مجال كل فكرة وتتحد حدودها ومن ثم نستطيع ان نفسر كل آية دون ان يتعارض معناها مع معاني النصوص الاخرى .

ويمكن تحديد الموقف الفلسفي للاسلام في هذا القضية عن طريق تحديد النقاط الاتية :

أولا : نحن نعلم ان الله خلق السماء وخلق الارض وخلق الانسان وخلق قوانين السماء وقوانين الارض وقوانين الطبيعة الانسانية ووضع نظام الاخلاق وفقا لهذه القوانين الطبيعية ووفقا لهدف هذا الخلق بوجه عام وخلق الانسان بوجه خاص .

اذن لهذا الخلق غاية لابد من ان تتحقق بتمام الغاية والانتهاء الى ذلك المصير «أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون » (١) «وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير » (٢) .

فبناء على غاية في الخلق خلق الخلق وقدره تقديرا ينتهي الى غايته «انا كل شيء خلقناه بقدر » (٣) « وخلق كل شيء فقدره تقديرا » (٤) « الذي خلق فسوى،والذي قدر فهدى » (٥) .

---

(١) سورة المؤمنون ١١٥ .

(٢) الانعام ٧٣ .

(٣) القمر ٤٩ .

(٤) الفرقان ٢ .

(٥) الاعلى ٢-٣ .

اذن بناء على غايته في الخلق خلق الخلق وعلم ان ماخلق ينتهي الى ماقدر وبناء على علمه لهذا وذاك قدرما سيكون عليه الخلق وقضى،ثم كتب ماقدر وقضى.

من هنا نفهم وجود جبرية في العالم تتمثل اولا في مصير الانسان فانه لابد من أن يموت مثلا ولابد من ان يحيا مرة اخرى،وتتمثل ايضا في انه مقيد باطار معين من اطر جبرية الكون من حيث انه مقيد بالقوانين الطبيعية عموما وبقوانين الطبيعة البشرية خصوصا .

ومن ثم جاءت النصوص التي تثبت المشيئة المطلقة لله سبحانه وتعالى «وما تشاؤن الا ان يشاء الله» لان مشيئته الكلية قد سبقت الوجود اولا،ولابد من ان تتحق ثانيا . واذا عبر عما سيكون عليه الامر مستقبلا عبر عن علمه تعالى بما سيكون عليه لانه يعلم حاضر الشيء ومستقبله . ولا يمكن ان يتغير علمه ولا يمكن ان يغير ايضا ما كتب بناء على هذا العلم ولهذا قال الرسول «جف القلم على علم الله تعالى» (١)

لان العلم هو معرفة الاسباب وما تؤدي اليه واذا كان الله خلق الاسباب فيعلم مقدما نتائج الاسباب ،ويعتبر ابن رشد تلك الاسباب وما تؤدي اليه هي القضاءوالقدر لان الاسباب لاتتخلف عن نتائجها ويسمي العلم بتلك الاسباب العلم بالغيب ،فيقول: «ولما كانت الاسباب تجري على نظام محدود وترتيب منضود لاتخل في ذلك بحسب ماقدرها بارئها عليه ، وكانت ارادتنا وافعالنا لاتتم ولا توجد بالجملة الا بموافقة الاسباب التي من خارج،فواجب ان تكون افعالنا تجري على نظام محدود أعني انها توجد في اوقات محدودة ومقدار محدود .

وانما كان ذلك واجباً لان افعالنا تكون مسببة عن تلك الاسباب التي من الخارج وكل مسبب يكون عن اسباب محدودة مقدرة ،فهو ضرورة ،محدودة مقدرة .وليس يلفى هذا الارتباط بين افعالنا والاسباب التي من الخارج فقط بل وبينها وبين الاسباب التي خلقها الله تعالى في داخل ابداننا. والنظام المحدود في الاسباب الداخلة والخارجة

(١) التاج جـ ٥ ـ كتاب الزهد والرقائق ص ١٩٣ .

أعني التي لاتخل هو القضاء والقدر الذي كتبه الله تعالى على عباده وهـو اللـو المحفوظ، وعلم الله تعالى بهذه الاسباب وبما يلـزم عنها هو العلة في وجـود هـذ الاسباب، ولذلك كانت هذه الاسباب لايحيط بمعرفتها الا الله وحده ولذلك كان هـ العالم بالغيب وحده على الحقيقة كما قال تعالى : «قل لايعلم مـن في السمـوا والأرض الغيب الا الله» وانما كانت معرفة الاسباب هي العلم بالغيب لان الغيب هو معرفة وجود الموجود في المستقبل او لا وجوده » (١) .

الا ان هذه الكتابة بناء على العلم لاتدل على حتمية السلوك المعين للفرد لان التقدير بناء على العلم لابناء على الجبر . فان الانسان البصير قد يرى اعمى يسير نحو هاوية فيستطيع ان يعرف مصير هذا الأعمى فلو انه كتب عليه هذا المصير وقضى بانه سيقع، ووقع ما كتب فلا يكون بذلك قد اجبره على الوقـوع . اذن سلوك الانسان بالنسبة اليه سلوك حر مبني على اختياره وهو بالنسبة الى الله حتمي وقضاء وقدر لانه علم وقدر وقضى .

ثانيا : تتحدد حرية الانسان بموقفه من قوانين الطبيعة وقـوانين الأخلاق فهـو مأمور بتطبيق قوانين الاخلاق ادبيا وخاضع لتطبيق قوانين الطبيعة واقعيا . ولكنه يملك القدره والاستعداد للخروج على القوانين وذلك بناء على احساسه بحرية الاختيار في داخل نفسه وشعور بالقدرة على تنفيذ مااختاره وهذا الاحساس بالحرية والقدرة ليس مجرد وهم بل حقيقة يصدقها الواقع وهو خروجه على هذا وذاك في بعض الأحيان فلو كان مجبورا بالطبيعة كالحيوان لما خـرج عليهما ولو كان مجبورا بقانـون الله الاخلاقي كالملائكة لما خرج عليه ايضا .

وبناء على هذه الحرية أصبح مسئولا أمام الله ومطالبا بالسير على مناهج الله وطريقه الذي رسمه له فلو كان مجبورا على السير في طريق معين وليست له القدرة على الخروج عليه لكان عبثاً من الله أن ينزل الوحي ويطالبه بالسير على هداه، وتعالى الله عن ذلك العبث علوا كبيرا . ولهذا فان كل الآيات التي ذكرناها والتي كانت تثبت الحرية

---

(١) مناهج الادلة في عقائد الملة لابن رشد : تحقيق الدكتور محمود قاسم ص: ٢٢٧ ط٢.

او ارادة الأختيار للانسان تعبر عن حرية الانسان في ارادته وتصرفه في اطار معين، وقد اعطيت للانسان ارادة الأختيار والقدرة على تنفيذ مااختاره، لاختباره وامتحانه : هل يسير على طريقه ومنهاجه الذي رسمه له او يخرج عليه فيه ؟ ولهذا قال تعالى : «الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا »(١) وقال ايضا « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم »(٢) .

ثالثا : ان هناك اعمالاً تدخل فيها ارادة الأنسان وقدرته مع ارادة الله وقدرته فتدخل ارادة الانسان يبدأ من نيته لعمل ما ايجابياً او سلبياً ، وتدخل ارادة الله يبدأ بتوجيهه وتوفيقه الى حيث تتجه نيته « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا »(٣) . « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم »(٤) « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا »(٥) . «ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين، لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا ولا أوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليهم بالظالمين »(٦). «ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» (٧) . «أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم» (٨).

كما يتدخل الله فى عمل الانسان بناء على اخلاقه من صلاح وفساد «سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق» (٩) .«ان الله لايهدي من هومسرف كذاب» (١٠) . « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى، وأما من

---

(١) سورة الملك : ١

(٢) محمد : ٣١ .

(٣) العنكبوت : ٦٩ .

(٤) الصف : ٥ .

(٥) البقرة : ١٠

(٦) التوبة : ٤٦ .

(٧) الرعد : ١١ .

(٨) محمد : ٢٩ .

(٩) سورة الاعراف : ١٤٦

(١٠) غافر : ٢٨ .

بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى» (١) واخيرا يتدخل الله في عمـ
العبد بناء على علمه به ومايكون عليه مستقبله «ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ول
أسمعهم لتولوا وهم معرضون » (٢) ، «فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينه عليهم» (٣

والان على ضوء هذه الفكرة نستطيع ان ندرك حقيقة مغزى الايات التي تجمـ
بين الجبرية والحرية او بين المشيئة الالهية وحرية الاختيار للانسان .

رابعاً : هناك ارادة الهية جبرية أو قهرية وارادة الهية أخرى اختيارية ، فهـو يستعمل أحيانا الاولى،وأحيانا أخرى الثانية بحسب مايقتضي عدله وحكمته،فبالاولى يجبر الناس على عمل معين قهرا كما قهر قوما على أخذ ماأتى به رسولهم «واذنتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون» (٤) ، «واذا اراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له» (٥) .

ولقد سبق أن بينا أن الله لايريد سوءاً بقوم الا اذا ساءت نياتهم سواء أظهروها أو أخفوها ومنه قوله تعالى «ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد» (٦) حقاً ان الله لو أراد ألا تقع فتنة مـن البداية لما وقعت ولما خلق في الانسان دوافع أو أستعدادا للفتنة ولخلقهم كالملائكة يؤمنون بالله ويفعلون مايؤمرون «ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» (٧) ، ولو شاء أن يقهر كل الناس على الايمان لفعل «ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين» (٨) .

---

(١) الليل : ٥ ـ ١٠ .
(٢) الانفال : ٢٣ .
(٣) الفتح : ١٨ .
(٤) الاعراف : ١٧١ .
(٥) الرعد : ١١ .
(٦) البقرة : ٢٥٣
(٧) يونس : ٩٩ .
(٨) سورة الشعراء : ٤

ولكن الله لم يرد أن يقهر الناس على كل مايريد أن يفعلوه وان أراد منهم أن يفعلوه،لكن هذه ارادة الاختيار لاارادة القهر والجبر،ولهذا قال تعالى «ولوأن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا» (١) .

وهكذا فان الله لم يرد أن تكون ارادة الجبر قاعدة عامة في تنفيذ كل شيء وتوجيه الناس الى أعمالهم . سواء كان الجبر الداخلي او الجبر الخارجي بل أراد أن تكون ارادة الاختيار هي الاساس في شئون حياة الانسان اذ أنه نصب له دلائل الخير والشر،وبين له طريق الهدى والضلال وعاقبتهما فى الدنيا والآخرة، وخلق فيه قوة البصيرة والادراك والتمييز،ليستطيع بها التفرقة بين مايضره وما ينفعه ان عاجلااو آجلا ، ولهذا اقتضت ارادته ألا يقهر الناس بعد ذلك على أحد الطريقين بل اقتضت حكمتهأن يبين للناس انه سيحاسبهم ثواباً أو عقابا على اختيارهم لأحد الطريقين وهذا الثواب اوالعقاب قد يكون فى الدنيا وقد يكون في الاخرة ولكن الحساب العادل والجزاء الوافي سيكون فيالاخرة «يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون » (٢) .

ولا يلزم من ارادة الاختيار عند الانسان عجزه سبحانه وتعالى عن تنفيذ مراده بل ان هذا يعتبر تنفيذاً لمراده لانه أراد هذا فكان ما أراده .

ولا يلزم أيضا أنه بذلك أراد الشر لانه ترك حرية للانسان أن يفعل الخيروالشر مع خلق القدرة فيه لهذا وذاك، واذا كان هذا يعتبر ارادة الشر من جهةفأن ارادةالشر هنا ليست من الله لنفسه ولا للانسان بل من الانسان للانسان «ان الله لايظلمالناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون» (٣). فان الله قد خلق العالم بما يناسب الانسان وخلق فيه كل ما يحتاج اليه بحكم خلقه وطبيعته وهنا يقول ابن عربي :

---

(١) الرعد : ٣١ .
(٢) يونس : ٢٣ .
(٣) يونس : ٤٤ .

«واعلم أن الانسان فيه مناسب من كل شيء في العالم فيضاف كل مناسب الى مناسبه بأظهر وجوهه» (١) . وعلى الانسان اذن أن يتصرف بما يناسبه ويوافقه ولا يخالف نظام الطبيعة الذي خلق مناسبا له حتى لايصيبه الشر،ولكن نتيجة جهله حيناً وتصرفاته الخاطئة واصطدامه بالقوانين الطبيعية والأخلاقية يصيبه الشر ، فالشراذن منه واليه .

وأخيراً لايلزم من علمه تعالى ان الانسان سيرتكب الشر،أنه بذلك أرادالشر بل ان علمه هذا لايعتبر ارادة ؛ فانني عندما أضع أسئلة للامتحان مثلا أعلم أن هناك من الممتحنين من يرسب في الامتحان،ولكنني بذلك لم أرد رسوب أي انسان ولا يرجع سبب سقوطه الي بل يرجع الى نفسه .

وكذلك الامر بالنسبة الى الله فانه عندما أعطى للانسان حرية الاختيار لم يرد من أي انسان أن يفعل الشربل أراد أن يتبع الخير «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» (٢)، «تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وماالله يريد ظلماً للعالمين» (٣)، «وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا» (٤)، «ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم» (٥) .

ثم ان الله بارادة الاختيار هذه قد اراد للانسان حرية وبهذه الحرية اراد له الكرامة ، لكن هل نستطيع ان نقرر من هذا أن الانسان مطلق الحرية ؟

الحقيقة عندما نلفت نظرنا الى تقريراتنا السابقة نجد هناك حرية وهناك جبرية ولكل من الجبرية والحرية درجات ولكل منهما بناء على ذلك مجالات ولنذكر اولا درجاتهما ومجالاتهما لان كلا منهما مرتبط بالاخر ثم نقرر التقرير النهائي .

أما درجات الجبرية فهي ثلاثة :

الدرجة الاولى:جبرية مطلقة وهي ميتافيزيقية وطبيعية في نفس الوقت وهي آخر

---

(١) ذخائر الاخلاق : ابن عربي ص : ٩٥ .

(٢) سورة البقرة : ١٨٥ .

(٣) آل عمران : ١٠٨ .

(٤) الفرقان : ٦٢ .

(٥) المائدة : ٦ .

الحد من القهرية لايمكن للانسان أن يفلت منها أو أن يخرق حدها مثل حتمية الموت المقضي على كل انسان فكل انسان لابد من أن يموت ولا يستطيع انقاذ نفسه منه وكذلك البعث فكل انسان مجبور أن يبعث بعد الموت لان هذا قضاء سابق لابد من أن ينتهي اليه بحكم القضاء السابق وبحكم طبيعة الخلقة .

وهذه الجبرية تعتبر ميتافيزيقية من حيث انها قضاء سابق على وجود الانسان وتعتبر كذلك حتمية طبيعية من حيث انها تتم بواسطة القوانين الطبيعية التي لاتتخلف.

الدرجة الثانية : جبرية طبيعية وهي أقل صرامة من الاولى اذ من الممكن تعدى حدودها وقوانينها الى حين بشكل من الاشكال مثل حاجة الانسان الطبيعية الى التغذية فكل انسان لابد من أن يتغذى بالاكل والشرب ليحيا ، فاذا امتنع عن التغذية كلية فسيموت بعد حين، لكن للانسان قدرة على أن يمتنع حتى الموت ويقضي على نفسه. هنا نجد للانسان مجالا لحرية الارادة اذ أن الانسان يستطيع ان يختار أحد الامرين وينفذ اختياره بين ادامة الحياة بالتغذية والقضاء عليها بالكف عنها .

وليست له هذه الحرية والقدرة فى الجبرية الأولى ، وهنا يقول الخيام فى رباعياته تعبيرا عن الجبرية الأولى (جئت الى هذه الحياة من غير ارادة وسأنتقل عنها ايضا من غير ارادة ولا أدري كيف جئت وكيف أنتقل) (١) .

وليست قوانين الطبيعة من الناحية الحتمية فى درجة واحدة اذ أن بعضها أقل صرامة أو حتمية مماذكرنا مثل غريزة الامومة والابوة وغريزة الجنس اذ من الممكن مخالفة هذه القوانين باستمرار في الحياة مع تحمل الاضرار الناتجة عنها .

الدرجة الثالثة : أو القسم الثالث من الجبرية هي جبرية القوانين الاخلاقية (٢)

---

(١) رباعيات الخيام : ترجمة أحمد رامى ص ٧٢ ، ٩٥ ط ٢ .

(٢) التعبير عن الضرورات الاخلاقية والعوامل الطبيعيــة بالحتمية والجبرية لا يخلو عن تسامح ، فان الحتمية لا يمكن أن تجتمع مع الاختيار فى أى درجة من درجاتها ، ولا يمكن التخلف عنها ، والا لم يكن حتماً . وليس شيء من القضايا الثلاثة المتقدمة حتماً عدا الاول ، وهو من القضاء الحتم ، ولكنه غير مرتبط بقضايا السلوك والحرية الاخلاقية . —

وهذه القوانين تستمد سلطتها وجبريتها من ثلاث جهات : الاولى من جهة اتصالها بالقوانين الطبيعية ، والثانية من جهة اتصالها بالامر الالهي، والثالثة من جهة اتصالها بالعرف والعادات الاجتماعية أي السلطة الاجتماعية .

وأما درجات الحرية فهي تتحدد بالدرجات الجبرية السابقة اذ لاحرية أمام الدرجة الاولى من الجبرية كما قلنا ، والحرية موجودة أمام الدرجة الثانية ولكنها صعبة وضيقة للغاية ، وخاصة أن الامر متوقف ـازاء بعض القوانين الطبيعيةـ على حرية الاختيار بين الحياة أو عدم الحياة ، ولكنها على أية حال ممكنة ومتعلقة بارادة الانسان أما نطاق الحرية أمام النوع الثاني من قوانين الطبيعة مثل الاتصال الجنسي كقانون طبيعي فمجال الحرية هنا أوسع ، اذ من الممكن أن يحيا الانسان بدون تطبيقه لهذا القانون وغيره من القوانين التيمن هذا القبيل . لكن درجة سعادة الحياة أو شقاوتها تقاس بمدى تكييف الانسان حياته مع تلك القوانين بصورة عامة فان مخالفة تلك القوانين فى الحياة نتيجتها الشقاء ونهايتها الموت المحتم .

أما الحرية أمام الدرجة الثالثة من الجبرية وهي جبرية القوانين الاخلاقيةفهي متفاوتة ، وكما أن درجات القوانين الطبيعية متفاوتة فكذلك درجات القوانينالاخلاقية متفاوتة من حيث الجبرية ومن حيث الحرية أيضا يقاس ذلك بمدى الزامية كلقانون ثم بمدى الاحساس الادبي أو الضمير الادبي الذي يتمتع به كل فرد .

وسوف نعالج ذلك فى مقام آخر بعنوان الالزام الاخلاقي .على اي حال فانه كلما تصاعدت أو قويت درجات الجبر فى الناحية الاولى كلما قلت درجاتالحرية فى الناحية الثانية .

والآن بالنظرة العامة الى كل ماسبق نستطيع أن نلخص أسس الحرية الاخلاقية في النقاط الاتية :

ـ ولا يخلو هذا البحث ـ على اصالته ـ من موارد اخرى منالتسامح فى التعبير من الناحية الفلسفية والاعتقادية .. ولا تعتبر المجلة مسؤولة عنه ، ولاهمية هذا البحث وضرورته سوفتتابع الحديث عنه بأقلام مختلفة انشاء الله تعالى .

الاساس الاول : وجود حرية الارادة فى الانسان وقد تختلف درجة هذه الحرية من ميدان الى آخر ومن مجال الى مجال آخر فى الحياة العامة .

الاساس الثاني : وجود القدرة والاستعداد لتطبيق حرية الارادة .

الاساس الثالث : وجود الحرية ازاء تطبيق القوانين الاخلاقية ولكن بدرجات متفاوتة .

الاساس الرابع : ان حرية الانسان العملية ليست حرية مطلقة ، اذ أن هذه الحرية تحدها القوانين الطبيعية والميتافيزيقية والسيكولوجية والاجتماعية .

لا جبر ولا تفويض بل ...

الناس فى القدر على ثلاثة أوجه : رجل يزعم أن الامر مفوض اليه فقد وهن الله فى سلطانه ، فهو هالك . ورجل يزعم ان الله جل وعز أجبر العباد على المعاصي وكلفهم ما لا يطيقون فقد ظلم الله فى حكمه ، فهو هالك . ورجل يزعم ان الله كلف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون فاذا أحسن حمد الله واذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ .

الامام الصادق (ع)

حروف مضيئة

كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له كاذب .

الرسول الاعظم (ص)

وانما الدنيا منتهى بصير الاعمى ، لايبصر مما وراءها شيئاً ، والبصير ينفذها بصره ويعلم أن الدار وراءها ، فالبصير منها شاخص ، والاعمى اليها شاخص ، والبصير منها متزود والاعمى لها متزود .

الامام أمير المؤمنين (ع)

علم الناس علمك وتعلم علم غيرك فتكون قد اتقنت علمك وعلمت مالم تعلم

الامام الحسن (ع)

من دلائل العالم : انتقاده لحديثه ، وعلمه بحقائق فنون النظر .

الامام الحسين (ع)

لا يقل عمل مع تقوى ، وكيف يقل ما يتقبل .

الامام السجاد (ع)

وكفى بالمرء عيباً أن يبصر الناس ما يعمى عنه من نفسه : أن يأمرهم بما لا يستطيع التحول عنه .

الامام الباقر (ع)

من أوثق عرى الايمان : ان تحب في الله وتبغض في الله وتعطي في الله وتمنع في الله .

الامام الصادق (ع)

المعروف غل لا يفكه الا مكافأة او شكر .

الامام الكاظم (ع)

أن للقلوب اقبالا وادباراً ونشاطاً وفتوراً ، فاذا أقبلت بصرت وفهمت ، واذا أدبرت كلت وملت ، فخذوها عند اقبالها ونشاطها ، واتركوها عند ادبارها وفتورها.

الامام الرضا (ع)

المؤمن يحتاج الى ثلاث خصال : توفيق من الله ، وواعظ من نفسه ، وقبول ممن ينصحه .

الامام الجواد (ع)

من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه .

الامام الهادى (ع)

قلب الاحمق في فمه وفم الحكيم في قلبه .

الامام العسكرى (ع)

فليعمل كل امرء منكم بما يقرب من محبتنا ويتجنب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا .

الامام المهدى (ع)

في رحاب الوحي

سورة الأنفال مدنية وهي خمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم «يسألونك عن الانفال ، قل الأنفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم،وأطيعوا الله ورسوله، ان كنتم مؤمنين.انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً ، وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقاً ، لهم درجات عند ربهم ، ومغفرة ورزق كريم »(١) .

كيف ساءت أحلام المسلمين في الانفال ؟ : ـ

لم يكن يفرغ المسلمون من أمر القتال في بدر ، حتى حدث بينهم خلاف

(١) سورة الانفال .

شديد في تقسيم الغنائم التي وقعت في أيديهـم ، من أموال المشركين ، حتى كاد أن ينشق الجيش الاسـلامي على نفسه في أمر الغنائم . وقد كان عبادة بن الصامت يقول في الانفال : (فينا أصحاب بدر ، نزلت حين اختلفنا ، فساءت فيه أحلامنا ، فانتزعه الله من أيدينا ، وجـعله الى رسول الله ، فقسمه رسول الله بين المسلمين) .

ولكي ندرك سر الخلاف الـذي نشب بين المسلمين في أمـر الغنائم ، عقيب معركة بدر ، ينبغي أن نستعرض مواقف المسلمين ، من قتال المشركين في بـدر ، ومن غنيمة أموال المشركين :

يقول علي بن ابراهيم فيتفسير سورة الانفال : (لما انهزم الناس،كان أصحاب رسول الله على ثلاث فرق ، فصنف كانوا عند خيمة النبي (ص) وصنف أغاروا على النهب ، وفرقة طلبت العدو ، وأسروا وغنموا . فلما جمعوا الغنائم والاسارى، تكلمت الانصار في الاسارى ، فأنزل الله تبارك وتعالى : (ما كان لنبي أن يكون له أسرى ، حتى يثخن في الارض) فلما أباح الله لهم الاسارى والغنائم ، تـكلم سعد بن معاذ ، وكان ممن قـام عند خيمة النبي (ص) فقال يا رسـول الله : مـا منعنا أن نطلب العدو زهادة في الجهاد ، ولا جبناً من العدو ، ولكن خفنا أن يعرى موضعك ، فتميل عليك خيل المشركين ، وقد أقام عند الخيمة وجوه المهاجرين والانصار ، ولم يشك أحد منهم ، والناس كثيـر ، يا رسول الله ، والغنائـم قليلة ، ومتـى تعط هؤلاء لم يبق لاصحابك شيء ، وخاف أن يقسم رسول الله الغنائـم وأسلاب القتلى بين من قاتل ، ولا يعطي من تخلف على خيمـة رسول الله (ص) شيئاً فاختلفوا فيمـا بينهم حتى سألوا رسول الله (ص) فقالوا : لمن هذه الغنائم ؟ فأنزل الله : (يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول) فرجـع الناس وليس لهم فيالغنيمة شيء)(١) .

وهذه الرواية تكشف عن سرالخلاف الذي نشب بين المسلمين في أمر الغنيمة. فقد انقسم المسلمون بعد انهزام المشركين الى ثلاث طوائفـ كما تقدم فيالرواية ـ

(١) نور الثقلين . ج ٢ ص ١١٩ .

طائفة تلاحق المنهزمين من المشركين بالقتل والاسر ، وأخرى تجمع الانفال والغنائم مما تركه العدو في الميدان وثالثة تحافظ على رسول الله (ص) من أن يفاجئه العدو غيلة ، فيصيبه بأذى .

وكانت نتيجة هذا الانقسام في الميدان ، أن اختلف المسلمون في أمر الغنائم ، فطالبت الفئة التي استولت على الغنائم بها جميعاً ، وكانت ترى أنها لها خاصة فهي التي استولت على هذه الأموال وجمعتها دون غيرها ، وطالبت الأخرى التي لاحقت العدو بحقها فيها فلولا أنها تلاحق العدو وتطارده لماقدر لاولئك أن يجمعوا شيئاً مما جمعوا من مال، كما ادعت الطائفة الثالثة بحقها في هذا المال أيضاً فهي لم تقعد عن الحرب جبناً اوزهداً في الجهاد، وانما آثرت هذا الموقف حرصاً على حياة رسول الله (ص) .

وهكذا ينشب الخلاف بين المسلمين في أمر الغنائم ، وتسوء فيه أحلامهم ، كما يقول عبادة بن الصامت ، ويفزع المسلمون الى رسول الله ليسألوه عن حكم هذه الغنائم بعد أن اختلفوا فيها أشد الاختلاف، وخشي رسول الله (ص) على المسلمين من أمر هذا الخلاف ، فتنزل آية الانفال لتنزع ملكية هذه الغنائم من أيدي المسلمين وتجعلها لله ولرسوله . ويضعها رسول الله (ص) حيث يأمره الله ، وذلك قوله تعالى : (يسألونك عن الانفال ، قل الانفال لله والرسول) .

معنى الانفال :

والانفال جمع «نفل» وهو الزيادة على الشيء ويطلق النفل على التطوع في الصلاة لزيادته على الفريضة . وتطلق الانفال على الغنائم لانها زائدة على ما يقصده المقاتلون في الحرب من هزيمة العدو ودحره . والانفال في الاسلام ما كان ملكاً لله ورسوله دون المسلمين . يضعه رسول الله (ص) فيما تتطلبه نفقات الحكم والادارة والجهاد ، ويليه في ذلك الامام فيصرفها فيما كان ينفقه النبي (ص) من شئون الحكم والجهاد والادارة .

وبذلك فان الانفال هي الاموال المخصصة للحاكم الاسلامي ينفقها فيما يرى

من وجوه الانفاق التي ترتبط بمسئولياته كحاكم على بلاد المسلمين فان لمنصب الحكم جملة من النفقات التي لابد أن يقوم بها الامام أو من يليه في منصب الحكم.

وقد خصص لذلك رصيد كبير في الاسلام باسم الانفال ، وهي كثيرة : أهمها المعادن ، والاراضي الموات ، والاراضي العامرة طبيعياً كالاجمات والاحراش ، وضفاف الانهار ، وسواحل البحار . وهي لرسول الله (ص) في حياته ، ولمن يليه من الائمة من بعده في الولاية على المسلمين .

ففي أصول الكافي عن أبي عبد الله الامام الصادق (ع) : «الانفال ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، أو قوم صالحوا ، أو قوم أعطوا بايديهم وكل أرض خربة ، وبطون الاودية، فهو لرسول الله (ص) وهو للامام من بعده يضعه حيث يشاء» (١) .

وفي تفسير العياشي عن أبي بصير قال سمعت أبا جعفر (ع) يقول : لنا الانفال قلت : ما الانفال ؟ قال : المعادن والآجام وكل أرض لا رب لها وكل أرض باد أهلها ؛ فهو لنا» (٢) .

غنائم الحرب من الانفال :

ومن الانفال غنائم الحرب، فقد رد القرآن ملكية هذه الغنائم الى الله ورسوله بعد تفاقم الخلاف بين المسلمين في حيازة هذه الاموال، كما تقدم في صدر الحديث (يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول) . والاية الكريمة صريحة واضحة ، في انتزاع ملكية غنائم الحرب ، من المسلمين، وردها الى الله ورسوله ، ليتولى رسول الله (ص) أمر هذه الغنائم وتوزيعها .

وليس من ريب أن المقصود بالانفال هنا ، والذي تحاكم المسلمون فيه الى رسول الله (ص) بعد معركة بدر ، هو خصوص الغنائم الحربية . كما ليس من

---

(١) نور الثقلين ج ٢ ص ١٢٠ .

(٢) نفس المصدر . وملكية الانفال لهم (ع) باعتبارهم أئمة المسلمين ، وولاة الامور كما تقدم .

ريب أيضاً ، أن المسلمين بعد نزول هـذه الاية ، عـرفوا أن الله تعالى قـد انتزع ملكية هذه الاموال من المسلمين، وردها الى الله ورسوله، ورضخوا لذلك وأطاعوا .

يقول عبادة بن الصامت : فينا أصحاب بدر ، نزلت (آية الانفال) حين اختلفنا في النفل ، فساءت فيه أحلامنا وانتزعه الله من أيدينا ، وجعله الى رسول الله ، بين المسلمين عن سواء . . وقد قسمها رسول الله (ص) بين المقاتلين على السواء، حتى نزلت آية الخمس (واعلموا أنما غنمتم من شيء ، فان لله خمسه وللرسول . . . الخ) .

فاسترجع النبي (ص) منهم خمس هذه الاموال، بعد أن كان قـد قسم بينهم جميع هذا المال .

* * *

ومن ذلك تتبين أمور ثلاثة :

الاول : ان آية الانفال المباركة ، ترد ملكية الانفال لله ولرسوله ، ليصرفها النبي (ص) فيما يريه الله ، وهو صريح الاية الكريمة .

الثاني : ان المقصود من ملكية الله ورسوله للانفال ، ليس المعنى المتعارف من الملكية ، أي الملكية الفردية ، فان هذا النوع من الملكية ، لا معنى له في حقه تعالى ، فهو المالك الحقيقي لكل شيء ؛ ولا معنى لاضافة هذه الملكية الاعتبارية اليه تعالى . وقد عطفت الاية الكريمة ، ملكية النبي (ص) ، على ملكيته تعالى ، وذلك يوحي بأن هاتين الملكيتين من سنخ واحد وليس بالمعنى المتعارف من الملكية وانما هي من سنخ ملكية منصب الحكم والولاية الشرعية، والامامة على المسلمين .

وقد كان النبي (ص) في حياته ، يتولى أمر هذه الاموال باعتباره حاكماً واماماً على المسلمين . وبعد وفاته كان يتولى أمرها الائمة الذين كانوا يخلفونه (ص) في الامامة والولاية على المسلمين . فان منصب الامامة والولاية لا ينقطع بوفاته (ص)

وانما يستمر بمن يليه ، في الولاية والامامة على المسلمين ، وتستمر معه ملكية الانفال ، لائمة المسلمين ، وولاة الامر الذين كانوا يخلفون النبي (ص) في هذا المنصب الالهي الكبير ، وقد وردت في ذلك روايات كثيرة ، نذكر بعضها للدلالة على ما نقول :

منها ما عن الحفص بن البختري ، عن أبي عبد الله الامام الصادق عليه السلام:

« الانفال ما لم يوجف عليه ، بخيل ولا ركاب ، أو قوم صالحوا ، أو قوم أعطوا بأيديهم ، وكل أرض خربة ، وبطون الاودية ، فهو لرسول الله ، وهو للامام من بعده ، يضعه حيث يشاء »(١) .

وما رواه الشيخ ، من الصحيح ، أو الحسن ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله (ع) :

« ان الانفال ما كان من أرض ، لم يكن فيها هراقة دم ، أو قوم صولحوا ، وأعطوا بأيديهم، أو بطون أودية ، فهذا كله من الفيء، والانفال لله وللرسول (ص) ، فما كان لله ، فهو للرسول ، يضعه حيث يحب)(٢) .

وعن سماعة بن مهران قال : سألته عن الانفال ، فقال : (كل أرض خربة ، أو شيء يكون للملوك ، فهو خالص للامام ، ليس للناس فيها سهم)(٣) .

وتثبت ملكية الانفال لائمة المسلمين (ع) بعد عصر الرسول (ص) بنفس الصفة التي تقدم ذكرها ، في ملكية النبي (ص) .

فقد ورد عن أبي الحسن (ع) (ما كان لابي بسبب الامامة فهو لي ، وما كان غير ذلك فهو ميراث ، على كتاب الله وسنة نبيه) . ولا يضر بعد ذلك عدم ذكر غنائم الحرب، في روايات الانفال ، في عداد الانفال التي تعود ملكيتها لله ورسوله ، فان الاية الكريمة صريحة في ذلك ، وهي تتضمن نفس الحكم المذكور ، لسائر

---

(١) وسائل الشيعة الباب الاول من الانفال وما يختص بالامام .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

الانفال في الروايات . على أنه قد وردت روايات أخرى بنفس المعنى المتقدم ، في تفسير آية الانفال (١) .

الثالث : أن تملك المقاتلين للغنائم ليس ملكا بالاصل،فقد تقدم أن هذه الغنائم من الانفال وهي لله ولرسوله، ولا يملك المقاتلون منها شيئاً من دون أن يأذن لهم النبي(ص) في ذلك ، ويملكهم حصة من الغنيمة .

فليست آية الانفال اذن منسوخة بآية الغنيمة من هذه السورة بالذات : (فكلو مما غنمتم حلالا طيباً ، واتقوا الله ، ان الله غفور رحيم) (٢) . ولا منسوخة بآية الخمس ، من هذه السورة أيضاً : (وأعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ... الخ) (٣) ؛ وانما تملك المقاتلون حصصاً من هذه الاموال ، وأوجب الله تعالى عليهم فيه الخمس ، بتمليك النبي (ص) لهم .

فقد ورد في الروايات أن النبي (ص) كان يمتنع عن التصرف ، في غنائم الحرب ،في حرب بدر ، والاذن لاحد فيها ، حتى نزلت آية الانفال ، وأناطت ملكية هذه الاموال ، وأمرها به(ص). فبدأ النبي(ص) في تقسيم هذه الاموال على المقاتلين على نحو سواء .

فقد ورد عن سعد بن أبي وقاص ، أنه قال : (قتل أخي عمير يوم بدر ، فقتلت به سعيد بن العاص ، وأخذت سيفه ، فأعجبني فجئت به رسول الله (ص) . فقلت : ان الله قد شفى صدري من المشركين ، فهب لي هذا السيف . فقال عليه الصلاة والسلام : ليس هذا لي ولا لك . اطرحه في القبض ، فطرحته وبي مالا يعلمه الا الله من قتل أخي ، وأخذ سلبي ، فما جاوزت الا قليلا ، حتى نزلت سورة الانفال ، فقال لي رسول الله (ص) :

---

(١) راجع تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ١١٨ .
(٢) الانفال : ٦٩ .
(٣) الانفال : ٤١ .

« يا سعد انك سألتني السيف وليس لي ، وقد صار لي فخذه »(١) .

كما ليس في آية الخمس ، ما يتنافى مع مدلول آية الأنفال ، فهي قد فرضت على المسلمين ، تخميس ما أعطاهم النبي (ص) من الغنائم ، ورد الخمس منه الى الله ورسوله .

فملكية الغنائم اذن . كسائر الأنفال ، لله ورسوله ، ومصرفها هو التوزيع على المقاتلين ، بعد استرجاع خمسها لله ورسوله .

* * *

حقيقة الملكية

- □ وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه .
- □ وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم .
- □ وآتوهم من مال الله الذى آتاكم .

قرآن كريم

---

(١) روح المعانى ج ٩ ص ١٤٣ .

من حياة القادة

أهل البيت

انسانية فذة.. وعطاء خالد

(٥)

الشيخ محمد علي التسخيري - قم

* مما سبق
* الدور الاجتماعي بين الصعيدين : الرسمي والشعبي
* عنصران ضروريان للمنهج الشمولي :
  * عنصر الكلمة
  * عنصر الاستنباط

نستنتج مما سبق

ان المنهج الشمولي هو المنهج الذي يستطيع ان يلبي مطالبنا ويسد الفراغ الذي يمكن ان يحدث ـ بل هو حادث ـ في فهمنا لأهل البيت (ع) وان المؤثر في المنهج امور منها :

أ ـ دراسة الحوادث وانماط السلوك التي رويت عنهم (ع) بنظرة موضوعية واعطائها موقعها المنهجي المنطقي من سلسلة الحوادث الأخرى التي تشترك واياها في صياغة الشخصية .

ب ـ ملاحظة موقع الحادثة من عملية البناء الطولية التي بدأت منذ انطلاق اول دعوة الى الله تعالى . . مــع التأكيد على التمييز بين الدورين (المفروض ، والواقع) الذين أشرنا اليهما .

ج ـ الاستعانة بالمسبقات الثابتة التي أخبرنا بها الوحي الصادق .

وتعلية على ذلك نقول :

ان الباحث يختلف حــاله في البحث عند ما يحــاول استكشاف الصــورة السلوكية والفكرية للامام أمير المؤمنين(ع) والامام الحسن والامام الحسين(ع) مثلا، عنه وهو يريد استكشاف نفس الصورة عن حياة الائمة: الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام ، فهو يستطيع ان يستقرىء معالم الطريق بوضوح في الأولين فيعرف الكثير من الجهات من تعامل اجتماعي الى اساليب تربوية الى منهج فكري في حياتهم فرغم روايات التشويه والتحريف لم يستطع الاخرون طمس معالم اطروحة الامام أمير المؤمنين (ع) في الحياة والتي تستقي روحها وشكلها من الاسلام الاصيل ، وكذلك الأمر بالنسبة للامام الحسن (ع) وان حدثت بعض التشكيكات ولكن سرعان ما ينكشف جهل أصحابها .

ولكنه يجد طريقه خافت الأضواء بالنسبة للاخرين باعتبار قلة الروايات التي تتحدث عن الجوانب الاجتماعية والسلوكية لهم (ع) بحيث لا تتناسب مع الدور الكبير الذي أدوه في حياة الأمة والذي تكشف النصوص التاريخية عنه اجمالا ، ولا مع المركز العلمي الواسع الصيت الذي تكشف عنه تلك النصوص أيضاً .

فهذا التاريخ يحدثنا عن أن المأمون لما عزم على تزويج الامام الجواد (ع) من ابنته أم الفضل اعترض أقرباؤه الادنون وذوو الاطمــاع على ذلك وقالوا له بانه يخاطر بهذا العمل فالامام بعد طفل في التاسعــة وان أصر على ذلك فليصبر حتى يكبر الغلام ويتفقه في الدين ، ويعرف شيئاً من العلم والادب وحينهـا ينطلق المأمون بقولته الشهيرة (انه لافقه منكم وأعلم بالله ورسوله وسننه وأحكامه ،

واقرأ لكتاب الله منكم وأعلمكم بمحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وظاهره وباطنه وخاصه وعامه وتنزيله وتأويله فاسألوه فان كان الامر كما وصفتم قبلت منكم وان كان الامر على ما وصفت علمت ان الرجل خلف منكم) .

وهنا تختلف الروايات فيما فعلوه ، فمن رواية تؤكد انهم جمعوا علماء الحاضرة الاسلامية وفقهاءها المتضلعين في مجلس واحضروا الامام على حين غرة بعد ان أعدوا له مسائل كثيرة يصل بها البعض الى الالاف ، ولكنه يخرج من هذا الموقف والكل يشهد بعلمه الغزير وتفوقه الباهر ، وتؤكد رواية أخرى أن ذلك كان مفتتحاً لمجالس عديدة تكثرت فيها الاسئلة المعدة مسبقاً . وكان يقود الحملة في توجيه الاسئلة يحيى بن أكثم قاضي قضاة الدولة العباسية ، ولكنا نجده في النهاية مذعناً معترفاً بأفضليته وهو ابن تسع سنين (١) .

الدور الاجتماعي: بين الصعيدين الرسمي، والشعبي

ولا شك في أن الائمة (ع) كانوا يواصلون دور اجتماعياً بناء بمقتضى وظائفهم القيادية وكان هذا الدور كما سبق يتصف بوحدة الروح عند كل منهم (ع) ويمكننا ان نستنتج ممارستهم لهذا الدور من القرائن التاريخية المتفرقة .

فقد قلنا سابقاً ـ عند تحليلنا لظاهرة القتل والسم في حياتهم (ع) ـ ان ذلك يكشف عن احساس السلطة الغاصبة بدورهم الريادي في أعماق الامة .

ومن القرائن الكبرى على هذا الدور قضية استخلاف المامون للامام الرضا على ولاية العهد فاصراره على ذلك كان يكشف عن احتياج الدولة للسند الاجتماعي الضخم الذي يملكه الامام (ع) بشكل قواعد ولاء واسعة في مختلف القطاعات من

(١) راجع المناقب ٢/٤٣٠ ، الهداة ٦/١٧٥ ، البحار ١٢/١٢٠ الدمعة الساكبة ٣/١١٣ جلاء العيون ٣/١٠٦ صحيفة الابرار ٢/٣٠٠ الانوار البهية ١٣٠ المجالس السنية ٥/٤٢٣ وفاة الامام الجواد ٥٨ .

جهة ، وخوف الدولة من جهة أخرى من ذلك العمل الدائب والاتصال المباشر للامام بالأمة .

ومن القرائن ما نلاحظ من اصرار الخلافة الأموية والعباسية معاً على جلب الامام بين الحين والآخر او لفترة طويلة الى مركز الخلافة وهذا الأمر جرى مع اكثرهم (ع) ولنا هنا ان ننقل رواية تحدثنا عن أن بريحة امام الحرمين في عهد المتوكل كتب اليه رسالة يذكر فيها انه لو كانت له في الحرمين حاجة فليخرج منها - علي بن محمد (يعني الهادي) معللا ذلك بانه قد انقاد له اكثر من فيها (١) .

ولابد بعد ذلك من ان نفرض ان الكثير من رسائلهم قد فقد ولم يصلنا كما ولا بد ان نعرف بأن الكثير من اساليبهم القيادية لم ينقل 'بينا .

والذي نريد التنبيه عليه بعد ذلك ان المؤرخين كانوا آنذاك يفرقون بين الدور الاجتماعي على الصعيد الرسمي أي الصادر من مقام رسمي عال في الدولة وبينه على الصعيد الشعبي اي الصادر من انسان آخر فهم يهتمون بالاول ونقله ويهملون الثاني وان كان ذا أثر بالغ في تكوين شخصية الامة .

وقد يكون ذلك قصوراً منهم باعتبار فهمهم الذي لم يتطور آنذاك فيبلغ ما نفهمه من وظيفة المؤرخ اليوم .

على ان نمو المذهبية التاريخية او التعصب المذهبي لدى المؤرخين بعد ان لم يكن واضحاً من قبل ، له اثره الكبير في هذا التضييع وقد يثار السؤال : لماذا اذن لم يقم المؤرخون الموالون لاهل البيت بمهمة النقل الدقيق عن حياتهم (ع) .

والجواب واضح في ضوء ما قدمناه من الفهم العام للوظيفة التاريخية اولا، وان وظيفة المؤرخ نفسها لم يكن ليفضلها احد منهم على وظيفة الراوي وواضح الفرق بينهما، لان نظرة في الاصل المؤرخ تعرض الوقائع وجزئياتها وقرائنها وتسلسلها ولو بصورة اولية ، هذا بالاضافة الى تأكيد من اعتنى بالجانب التاريخي منهم على

---

(١) البحار ج ٥١ .

نقل الكرامات الكثيرة التي كانت تصدر منهم(ع) .

ولا ننكر مطلقاً ان تصدرهذه الكرامات من اناس بلغوا هذه المرتبة العالية من السمو والقرب لكن نقول بانها لاتملك خاصية الكشف بشكل واف عن الشخصية بكل جوانبها المتصلة بالمجتمع . ولا ننسى ان نشير الى الضغط العام الذي كان له تأثيره الشديد في فصلهم (ع) عن الاضواء . . ومحاولة عزل الامة عنهم ، والتهوين من قدرهم ، وتفضيل الأخرين عليهم ، وبث الشبهات . . الى غير ذلك .

ولن نتعرض اليه هنا لانا تحدثنا عنه من قبل ، وهنا نقول:انه يوجد عنصران ضروريان للمنهج ـ وهذان العنصران هما :

أ ـ عنصر الكلمة :

فاننا نجد أمامنا وبأيدينا تراثاً فكرياً ضخماً قد وصلنا عنهم (ع) ، جميعاً وهذا التراث الثر ـ بالاضافة الى انه يعطينا افضل صورة للاسلام مستقاة من القرآن الكريم والرسول العظيم (ص) باعتبار انهم (ع) كانوا يصرحون في كثير من الاحيان بأن احاديثهم تنتهي اليه وان علومهم كلها مستقاة منه ـ بالاضافة الى ذلك فانه يشكل الجزء السلوكي الاكبر لهم (ع) بل يشكل المنهج الذي التزموه في سلوكهم ، باعتبار أن الكلام يعبر عن شخصية الانسان واهدافه ومناهجه .

ويتأكد هذا المعنى في الموارد التي يتحمل فيها المتكلم مسؤولية كل حرف من كلامه، بل يعتبر كلامه دستوراً عاماً وخطاباً بعيد النظر يستوعب بنظره الاجيال الاتية جميعها معبراً عن الواقع التشريعي الذي يمثله .

وكلنا يعلم بان القيادة البعيدة النظر والتي تقوم على اساس التربية الطويلة ، تعطي تعليماتها وتنفذ مخططاتها الواسعة على اساس عملي تارة وفكري تارة اخرى . والأساس العملي يشكل قدوة للاتباع واسوة حسنة لهم بينما يشكل الثاني المنهج والدستور الذي يتمسك بنصوصه لرسم طريق، او حل معضلة ، او اقامة بناء ، او رد هجوم فكري مضاد .

كما ويتأكد هذا المعنى عندما نعلم بأنهم يعبرون جميعاً عن مضمون واحد دائماً.
ان الكلمة قد شكلت الأساس الاعجازي الاول، وبها خلد العطاء الاسلامي، وبها سيبقى حياً . . وهي كذلك في حياة الائمة من اهل البيت (ع) .
والحق انه لامعنى على الاطلاق لان نفصل سلوك الانسان عن كلامه ثم نحكم عليه .

ولاحاديثهم (ع) حديث طويل ممتع له مجاله الخاص به، ولكنا وددنا ان نعرض بعض الاقوال التي توضح وتؤكد ما سبق من انهم (ع) قد كونوا مدرسة فكرية متميزة بالاضافة الى كونهم نميراً ثراً حتى لغيرهم من أئمة المذاهب الاخرى .

يقول ابن ابي الحديد : في مقدمة شرحه على نهج البلاغة : (وما اقول في رجل تعزى اليه كل فضيلة وتنتهي اليه كل فرقة وتتجاذبه كل طائفة ، فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عذرها وسابق مضمارها ومجلي حلبتها كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ وله اقتفى ، وعلى مثاله احتذى) . وهكذا بدأ ينسب مختلف العلوم الاسلامية فينهيها اليه .

ويقول محمد بن طلحة الشافعي في الحسن (ع) : (كان الله عزوجل قد رزقه الفطرة الثاقبة في ايضاح مراشد ما يعانيه ، ومنحه النظرة الصائبة لاصلاح قواعد الدين ومبانيه، وخصه بالجبلة التي درت لها اخلاف مودتها بصور العلم ومعانيه) (١)

وقال الزهري : ما رايت افقه من زين العابدين وكان اذ ذكر علي بن الحسين يبكي ويقول : زين العابدين (٢) .

وقال عبد الله بن عطاء المكي : ما رايت العلماء عند احد قط اصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة ـ مع جلالته في القوم ـ بين يديه كأنه صبي بين يدي معلمه (٣) .

---

(١) مطالب السؤل ص ٦٥ .
(٢) تذكرة الخواص ص ١٨٦ .
(٣) البحار ١١/٨٢ .

وقال الاستاذ محمد صادق نشأت ـ الاستاذ بكلية الاداب بجامعة القاهرة (وخلاصة القول : ان دار الصادق (ع) كانت كجامعة كبيرة تموج بالحكماء واهل العلم ـ يجيب أسئلتهم ويحل مشاكلهم دون التفات الى نحلهم ومذاهبهم او فروقهم ومقاصدهم ، وقد جمع اصحابه المتقربون اليه دروسهم في اربعمائة كتاب وسموها الاصول الاربعمائة) (١) .

وقال ابن حجر الهيثمي في الصادق (ع) ايضاً (جعفر الصادق : نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان ، وروى عنه الائمة الكبار: كيحيى بن سعيد وابن جريح ومالك والسفيانيين وأبي حنيفة وشعبة وأيوب السختياني) (٢) .

وعن الامام الرضا (ع) قال عبد القادر احمد يوسف (وتاريخ الامام حافل بجلائل الاعمال : فمن علم لا يدرك مداه وعصمة متوارثة ، وقدسية لا تضارعها قدسية في عصره . . .) (٣) .

وعن الامام الجواد (ع) يقول محمود بن وهيب البغدادي الحنفي (وهو الوارث لابيه علماً وفضلا واجل اخوته قدراً وكمالا) (٤) .

ويقول بختيشوع الطبيب في الامام العسكري :

(هو اعلم في يومنا هذا من هو تحت السماء) (٥) .

وبالتالي فانا نقول : اننا نحتاج لدراسة احاديثهم لامور كثيرة منها :

أ ـ رسم الصورة الاسلامية للحياة ، باعتبارها الصورة التي تبناها الاسلام متمثلا في اهل البيت (ع) . . وهذه الصورة كما هو واضح من الاجزاء المنقولة

---

(١) اشعة من حياة الامام الصادق ج ٢ ص ٥٨ .
(٢) الصواعق المحرقة ص ١٩٩ .
(٣) الامام الرضا ص ١ .
(٤) جوهرة الكلام ص ١٤٧ .
(٥) البحار ج ١٢ ص ١٧ .

منها ـ تملك كل خصائص الاسلام من عقائدية رصينة محركة الى أمل واع مترجم ومن تخطيط مركز دقيق الى مرونة تتجاوز الابعاد الزمانيه والمكانية الى غيرذلك . .

ب ـ رسم الحقيقة لشخصيتهم (ع) باعتبارهم نموذج القائد السماوي الأمثل .

جـ ـ سد النقص الذي مر بنا في المصادر التي توضح عملية التعامل الأجتماعي الواسع ، والذي علمنا به على الأجمال ، وضاعت بعض خطوطه التفصيلية . هـذا هو العنصر الاول .

ب ـ الاسـتنباط :

وأقصد منه ببساطة ما هو متعارف من قيام المستنبط من طوي مراحل ، واستفراغ وسع لأجل استنباط النتيجة ، من صياغة وافتراض قواعد عامة وملاحظة تطبيقاتها المختلفة واقامة البرهان على كلا الجانبين الى حل التعارض الذي يبدو بين الروايات والترجيح بمرجحات معينة الى غير ذلك غاية الأمر نحن نريد تعميم هذا الشكل ليشمل الجوانب التاريخية وبالخصوص حياة النبي العظيم (ص) والائمة من اهل البيت (ع) مع ادراك واع لوجوه الأختلاف الموردي بين الموضوعات .

وهذا البحث ان لم يكن اهم من البحوث الجارية فهو قطعاً يسلك نفس المبررات التي تملكها هي .

ومن هنا فاننا ندعو الى هذه التسرية الأستنباطية للجانب التاريخي وللاعتماد على التقدم الرائع الذي حققه العلماء ـ قدس الله اسرار الماضين منهم وحفظ الباقين ـ في علوم اخرى ، مع اعطاء البحث الصفة التاريخية الخاصة به .

ولا نلتفت هنا الى من يشكل بان هذا يعني ادخال العنصر الذاتي من نظر المستنبط الى الصورة الماخوذة بعد ان كان هذا هو الطريق الوحيد الذي بنى الافراد عموماً عليه تصوراتهم والذي هو اقرب من غيره الى الواقع الذي نطلب وهو على

اي حال افضل من النظرة الفردية الناقصة .

ونفس الاسباب التي بررت بل حتمت دخوله الى عالم الاحكام الشرعية ، بل النظريات الاسلامية العامة ، نفسها تحتم علينا اعماله في هذا الجانب .

وكما نجد امامنا خبرين متعارضين في حكم شرعي فاننا نجد امامنا الاخبار المتعارضة في قضايا تأريخية مصيرية فهل يعني هذا السكوت امامهذا التعارض ؟

وهذا الاقتراح شيء تستلزم ترجمته الى وجود حي أن تفرض قواعد مسبقة مبرهن عليها ويسودالحذر الدقيق فيالتطبيق وبعبارة أخرى هي اقرب اليالمقصود فاننا نحتاج الى(فلسفة تاريخ) لا الى(عمليةتاريخ فحسب) وواضحالفرقبينالامرين

فالمؤرخ يعنى غالباً بسرد الوقائع التييشاهدها امامهعلى المسرح ، ولربما حاول ان يربط بينها نوعاً ما ربطاً يعتمد كثيراً على الظواهر .

في حين يقوم (المستنبط) او (مفلسف التاريخ) بافتراض عامل او عوامل وراء الحركات الظاهرة ، فيبحث عنه حتى يصل الى الخيوط المرشدة، او يتغير رأيه الى افتراض آخر وقد ينتهي في النهاية الى نتيجة تقرر عدم الترابط مطلقاً بين الاحداث، وكل هذه المواقف تعبر عن موقف فلسفي معين لا يهم المؤرخ ان يتعرف اليه .

وهكذا نعلم بأن الامر دقيق المسارب ولايقوم به الا المختصون الواعون، وفق الله الجميع للخير والصواب .

الامام علي وخطبة البيان

بقلم : الشيخ محمد جواد مغنيه

بتاريخ ١٤ / ١٢ / ٧٢ قرأت في الصفحة التاسعة من جريدة النهار كلمة بعنوان «قصيدة للامام علي رؤياها نبوية عاصفة» موقعة باسم الأستاذ صبحي حبشي ، وفيها يقول : «ان عبد الرحمن بدوي ذكر في كتاب «الانسان الكامل في الاسلام» خطبة للامام علي بن ابي طالب . . نقتطف منها ما يتصل بالشعر مباشرة» .

وجاء في مقتطفه على لسان الامام : «انا سابق الرعد ، انا محرك العواصف انا سبب الأسباب ، انا جوهر القدم، انا الاول والآخر، والباطن والظاهر، انا مبعوث بني اسرائيل ، انا سر الأسرار ، انا وجه الله . . الى اخر ما يهتز له العرش ، ولا يستقيم معه كون ولا سماء ولا ارض .

ومنذ القديم تعرض علماء الشيعة الامامية لخطبة البيان هذه ، ومنهم العلامة المجلسي في البحار والشيخ القمي في السفينة ، ونفوا هذه الخطبة المغالية عن الامام نفياً قاطعاً ، واثبتوا بالارقام انها من وضع الغلاة ، وقالوا كلمة واحدة : كل من نسب صفة من صفات الخالق للمخلوق فهو مغال ، (وان الغلو مرفوض كتاباً وسنة واجماعاً) . قال تعالى : « قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ـ ١٧١ النساء » « وقال الرسول الاعظم : لا نصيب للغلاة في الاسلام . وقال الامام جعفر الصادق ؛ حذروا شبابكم من الغلاة، انهم شر خلق الله ، يصغرون عظمة الله ، ويدعون الربوبية لعباد الله .

أما الأدلة القاطعة على براءة الامام من خطبة البيان وانها كذب وافتراء فهي :

١ ـ ان هذه الخطبة تحمل الفاظها السبب الكافي للدلالة على كذبها ، ولا تحتاج الى أية وسيلة من الخارج لاثبات زورها وبهتانها تماماً كمن يدعي على غيره ويقول : أخذ مني مبلغاً من المال ، أو سرق متاعي في يوم ٣٠ شباط ! . وقد

نفى الامام عن نفسه علم الغيب المختص بالله سبحانه في الخطبـة ١٢٦ من خطب النهج ، وأيضاً نزه الباري في العديد من خطبه عن الرؤية وعن كل ما يتصل بالمادة من قريب أو بعيد ، وأيضاً اشتهر في كتب التاريخ والسير ان الامام أحرق الذين نسبوه الى الربوبية بعد ان استتابهم وأصروا على الشرك .

٢ ـ قال الامام في خطبة ١٢٥ من خطب النهج ما نصه بالحرف الواحد : « سيهلك في صنفان : محب مفرط يذهب به الحب الى غير الحق ، ومبغض مفرط يذهب به البغض الى غير الحق ، وخير الناس في حالا النمط الاوسط فالزموه » وقال في الحكمة رقم ١١٧ من النهج : هلك في رجلان : محب غال ، ومبغض قال .

٣ ـ تواتر عن الائمة من أولاد علي وأحفاده ان الغلو شـرك ، وان كل من نسب الربوبية أو النبوة بعد محمد الى علي أو الى واحد من ذريته أو غير ذريته فهو كافر ضال .

وبعد ، فان خطبة البيان عليها مسحة صهيونية ، أو كما قال الشاعر القديم : «عليها منها شواهد» وهي ما جاء فيها : « انا مبعوث بني اسرائيل (! . .) انا سر الاسرار ، انا وجه الله » ويشبه هذا الى مدى بعيد ما نقلوا عن كتاب التلمود «ان اليهود من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه وان من يصفع يهودياً كمن يصفع الله ، وانه تعالى قد سخر لليهود نوعين من الحيوانات : نـوع أعجم كالدواب ونـوع كسائر الامم من أهل الشرق والغرب » .

وهكذا يأتي الكلام في كتاب التلمود منسجماً كل الانسجام مع خطبة البيان.. وايضاً تنسجم خطبة البيان مع التوراة سفر التثنية الاصحاح ٧ الاية ٦ التي خاطبت شعب اسرائيل ، وقالت له : « قد اختارك الرب لتكون لـه شعباً أخص مـن جميع الشعوب الذين على وجه الارض » .. وآية اخرى من السفر المذكور الاصحاح ١٠ تقول لليهود : « أنتم فوق جميع الشعوب » . ولا أعرف اسم الشخص الذي وضع خطبة البيان . . ولكنها بالاسرائيليات اشبه .

فلسفة الثواب في الاسلام

السيد محمد حسين فضل الله - بيروت

من بين القضايا التي تلفت نظرنا في دراستنا للواقع الحياتي الذي يعيشه الانسان المسلم ، وطريقة ممارسته للواجبات الشرعية واجتنابه عن المحرمات..وهي الروحية التي تدفعه الى العمل أو تحفزه على الاجتناب .

فهو لا يندفع الى العمل بدافع ذاتي ينطلق من شعوره بحاجته كانسان الى أن ينطلق في اتجاه الخير المتمثل فيما عليه من واجبات، اويبتعد عن اتجاه الشر المتمثل فيما لديه من محرمات .

بل القضية عنده ثواب ينتظره فيما اذا اطاع ، أو عقاب يخافه فيما اذا عصى ، فالعقاب والثواب هما اللذان يوجهان حركات الانسان ويطبعان سلوكه دون أن يكون لنوعية العمل وطبيعته ، من زاوية ذاتية ، أي أثر في هذا المجال الامر الذي يجمد التشريع في نطاقه العملي ، ويجعل منه مجرد شيء ميت لا يوحي بشيء ولا يحقق أي هدف ، ويحوله الى عملية تجارية تخضع لحساب الربح والخسارة في كل دوافعها وأوضاعها وتتوالى النماذج الحية أمامنا لترسم لنا بعض ملامح هذه الصورة.

فهناك من الناس . من يتصدق لمجرد أنه يجد في الصدقة ثواباً لالما تحمله في داخلها من معان انسانية وروحية تجعل الانسان ينفعل بآلام الاخرين ، ويتحسس مشاكلهم. ولذا فقد تجد الصدقة تصل عند البعض الى الحد الذي لايستفيد منه الفقير لقلتها لان مثل هذا كاف لتحصيل ثواب الصدقة لانه يحقق عنوانها في الخارج .

وهناك من الناس من يصلي ويقضي ليله ونهاره بالصلاة ؛ لان هذه الصلاة

تساوي مقـدار معيناً من الحسنات ، وصلاة أخرى تساوي مقـداراً معيناً من الحسنات ، وصلاة أخرى تساوي مقداراً آخر أكثر أو أقل، لا لان الصلوة تربطه بالله وتنقذه من الضعف الانساني الذي ينحدر به الى الهاوية ولذا فان أفعال الصلاة وأقوالها لا تمثل عنده الا مجرد حروف ميته يقرأها كما يقرأ أي شيء استظهاراً وحكاية ، أو مجرد أفعال جامدة يؤديها بطريقة آلية دون احساس وشعور .

وقد تجد بعض الاجتهادات الفقهية التي توحي بهذا المفهوم في بعض أفعال الصلاة فيمنع بعض الفقهاء من استخدام ألفاظ الدعاء الموجودة في سورة ا لفاتحة مثل « اياك نعبد وايـاك نستعين اهدنا الصراط المستقيم » في دعاء ذاتي ينفعـل به الانسان كما ينفعل بأي دعاء ينبع من اعماقه ؛ لان المطلوب في القراءة فيما يرى : هو التلاوة التي تعني ان يتلفظ الانسان بهذه الكلمات كما يقرأ رسالة انسان لانسان ليسمعها لذلك الانسان أو لغيره .

ولسنا في معرض مناقشة هذا الرأي . . ولكننا نحاول أن نشير الـى بعض قواعد هذا الاتجاه في حياة الانسان المسلم ،وانطلاقه من أسلوب معـين في فهـم الاثار الدينية ، لا من خطأ شخصي عابر لا يرتكز على أساس .

وعلى ضوء هذه الطريقة التي ألمحنا اليها يتحول الاهتمام الـى الكم لا الى الكيف فليس من المهم نـوعية المعاني الداخلية الروحية التي يحصل عليها مـن الصلاة ، بل المهم لديه كمية الركعات التي يؤديها في ليله ونهاره .

وهناك من الناس من يفهم الدعاء عند ممارسته له كما يفهم الصلاة ، فليس الدعاء عنده تعبيراً عـن احساس الانسان بحاجته الى الاعتـراف ، أو الشكـوى أو المناجاة الذاتية التي تفصح عن علاقة الانسان بخالقه ؛ ومن هـنا تنوعت اشـكاله وألوانه ومضامينه وأساليبه فيما لدينا من أدعية الانبياء والاوصياء، فلا يعود الدعاء بناء على هذا الفهم كفـلاح نفسي أو روحي أو تربوي ، ولكنه يتحول الى مجرد صفحات تتلاحق امام ناظر القارىء ، أو كلمات تتوارد في خاطره دون أن يفهم لها أي معنى .

ولذا فقد يلفت نظرك بعض الكلمات المبهمة الغامضة التي لا تعرف معناها وانما تتلوها انطلاقاً مع الاسلوب العام الذي يجعلك تدعو لتثاب وتؤجر . فما دام الثواب معلقاً على القراءة ، فلتكن القراءة كيفما تكون .

وهكذا نحول الدعاء الى (روتين) يومي لا يمثل أي شيء في حياة الانسان الداخلية ككل عمل روتيني جامد .

وهناك من الناس من يمتنع عن الغيبة ـ في جانب المحرمات ـ خوفاً من العقاب المترتب عليها ؛ ولذا تراه يبادر الى تلمس الرخص الموجودة فيها فيما يستثنى منها بلهفة وشوق .

ولن نعدم البعض الذي يصرح أن الله لو خيره فيما يختاره من المحرمات لاختار الغيبة لانطلاق النفس منها في لذة ولهفة، الامر الذي يدلنا على أن هذا التشريع لم ينفذ الى أعماق الانسان ليهذب له دوافعه ومقاصده وأحاسيسه بحرمة الاخرين بل كل ما استطاعه هو أن يلجم له لسانه .

* * *

ونحسب أن مثل هذا وغيره قد انطلق من سوء فهم لدور الثواب والعقاب في التشريعات الاسلامية واعتبارهما غاية للعمل لا وسيلة لانفتاح الانسان على ما في العمل من خير أو شر أو منفعة أو مضرة وعلى ما يترتب عليه من مصالح ومفاسد .

ولتوضيح الفكرة التي نحن بصددها لا بد لنا من التعرف على دور التشريع في حياة الناس لنتعرف من خلال ذلك على خطر هذا الانحراف في فهم الثواب والعقاب .

اننا نرى أن للتشريع دورين في حياة الانسان :

الاول: في المجال الاجتماعي: وهو حماية المجتمع من انحرافات الافراد وذاتياتهم الامر الذي يتمثل في منع ممارسة الانحراف بأية وسيلة كانت وعلى أي نحو وجد . سواء اندفع الفرد نحوه بشكل ذاتي أو بشكل قهري، لان القضية هنا قضية ايجاد الاجواء النظيفة للمجتمع الذي يستطيع الكيان كله أن يتنفس فيه ويعيش

حياته في هواء نقي خالمن الادران والشوائب التي تدنس طهر الضمير في الانسان.

ومن الطبيعي ـ كما قلنا ـ أن حاجتنا في هذا المجال الى تمثل التشريع في انضباط الانسان في الاتجاه التنفيذي للقانون والمحافظة على أن لا تـوجـد المعصية حية امام الناس ؛ لئلا ينهار الانسان امام عوامل الاغراء ودوافعه تماماً كما تعمل السلطة على منع انتشار الميكروبات حفظاً للصحة العامة ، وحماية للأمة من نتائجها وعواقبها .

ولا مانع فيهذا الاطار من انطلاق الثواب والعقاب كحافزين يمنعان الانسان من المعصية ويدفعانه الى الطاعة ، ويحفظان له التوازن العملي فـى حياته العـامة والخاصة لان القضية هنا تتصل بالشكل لا بالمضمون .

الثاني : في المجال الفردي : وهو بناء الشخصية الاسلامية في داخـل ذات الانسان ليعيش المعاني الحية التي يريد الاسلام اثارتها في وجدان الفرد وتفكيـره من أجل تركيز الخط الاسلامي للحياة وتوجيه المسيرة الانسانية فـى اتجاه الخير النابع من أعماق الانسان وضميره .

ومن الطبيعي أن هـذا الدور يحتاج الى طريقة معينة في التربية وفي السلوك تنفذ الى أعماق الانسان ، فتبعث الحياه في الكلمات التي يقرأها الانسان في صلاته ودعائهلتؤدي دورالتعبيرالصادقعنخلجاتالانسان ومشاعره ولتتحولسبحاتالروح الى معان تتراكض في دعاء الانسان وأعصابه ، فتهز له وجدانه وأعصابه فـي عملية اثارة روحية واعية .

وكما هو الحال فيالكلمات لا بدمن أن تخلص حركات الانسان ايضاً عن بلاهة الالة ، وسذاجتها .

ان بنـاء الشخصية الاسلامية بواسطة التشريع ، يحـتاج الى الايحاء الـدائم المتواصل بمعاني الخير في الكلمة ، والحركة والايماءة والاشارة تماماً كقطرات الندى التيتتساقط تباعاً علىالارض قطرة اثر قطرة فتبعثفيه الطراوة وتهيئها لموسم خصبجديد دون ضجة أوضوضاء بل بهدوء الصباح الوادع في بساطته وسماحته.

. . ان روعة هذا المجال ، هو أن يخرج الانسان عن دور الممثـل الى دور البطل ، من أجل أن لا تكـون الكلمة مجرد صوت ، والعمل محض حـركة ، بـل لتتحول الكلمة الى معنى والعمل الى حياة .

وعلى ضوء هذا نفهم ان اثارة الثواب والعقاب امام الانسان لم تستهدف اعتبارهما غاية للعمل . بل استهدفت افساح المجال للانسان ، لتوجيه خطاه نحو العمل ليتعود عليه في ممارسة يومية ، ليكون الخير ـ بالتكرار ـ عادة عفوية يصدر عنها الانسان طواعية واختياراً دون تكلف، وليطلع تدريجياً على ايحاءات الخير في العمل، ومنابع الاريحية فيه، فينسجم معه انسجام الارض مع البذرة عندما تنفذ اليها رويداً رويداً بهدوء، والبذرة مع الينابيع الخيرة في الارض عندما تبدأ في اثارة الحياة في داخلها بالري والايناع .

لقد أدركت الشرائع ـ ومنها الشريعة الاسلامية ـ طبيعة التمـرد التـي تطبع النفس الانسانية عندما تدعى الى خير ، أو تدفع عن شر ، فحاولت أن تثير طبيعة الرغبة والرهبة في داخلها . لتخفف من غلوائها ، وتطامن من حدتها . . وتحطم التمرد في أعماقها .

فكان الثواب والعقاب بمثابة الاشارة الحية التي تدل الانسان على الطريق ليفتح عينيه على ما فيه من جمال . حتى اذا وضع الانسان قدميه فـي بدايته وانطلقت أول الخطى ـ بعد ذلك ـ يزحم بعضها البعض دون التفات الى أي شيء آخر غير حب الجمال ، والانطلاق في مجالاته .

ان التشريع يحاول أن يجعل الخير طبيعة في الانسان بـواسطة العمل ، ولن يستطيع العمل أن يصل بالانسان الى هذا الهدف الا اذا عاش في داخل الانسان بما هو فكرة ومعنى وحياة لا بما هو حركة ولهو وعبث .

ولهذا نرى أن من الخير للعاملين أن يعطوا الثواب والعقاب دورهما الاساسي في الاثارة ووضع الاقدام في الطريق .

ثم تبدأ المحاولـة ـ بعد ذلك ـ في اثارة المشاعر نحوها بما في الطريق من

خير وجمال لئلا يسير الانسان في الطريق كالاعمى ، الذي لا يمسك دربه ، ولا يهتدي طريقه لتتحول ممارسة الانسان للعمل الى حب ، ويتحول الحب الى قيمة تفرض وجودها في الاعماق وتكشف عن طبيعتها في النتائج .

ان القضية هي قضية أسلوب الداعية في فهم التشريع ، وفهم العمل .

ومن واجبنا أن نبدل هذا الأسلوب الذي يعتبر القضية تجارية تضمن الربح وتحمي من الخسارة لنخرج الانسان من جموده ، ونثير فيه حركة الحياة المتطلعة أبداً نحو النور ، النابضة دائماً بالحب والخير والجمال ليكون المسلم انسان الحياة ورائدها الامين .

* * *

وبكلمة واحدة : ان الوعد بالثواب يمثل في نظرنا الحافز الذي يحفزنا على العمل اذا افتقدت نفوسنا الحافز الذاتي من أجل أن نضع أقدامنا على أول الطريق حتى نبصر الهدف بوضوح ، فتلتصق أفكارنا به ولكنه تحول الى مجرد شيء يبعث على العمل فى أطار رتيب لا يلامس الروح ولا يستثير الاحساس .

الجوار بين الجاهلية والإسلام

السيد محمد على الباقرى

كان الجوار ظاهرة اجتماعية متفشية فى المجتمع الجاهلي ، له حدودو أحكام معترف بها ، نافذة المفعول .

والجوار في الاسلام له كذلك آثار وأحكام مما دفع بعض الكتاب الغربيين لان يرى فى ذلك احدى النقاط التي يتوجه بها ايرادهم على الاسلام بأنه « تشريع بشري وضعه محمد(ص) من عند نفسه كانسان متأثر ببيئته وأفكارها وعاداتها وتقاليدها» اذ تخيلوا أن الجوار فى الاسلام انما هو نفس الجوار الجاهلي ، وليس مفهوماً جديداً جاء به الاسلام .

ونحن نرى فى هذا البحث المقتضب ما اذا كانت هذه الدعوى صحيحة ، وان الجوار فى الاسلام ليس الا ذلك الجوار الجاهلي ، بشيء من التحوير الذي أملته المناسبات والظروف الاجتماعية المستجدة ، أم أن الجوار فى الاسلام مفهوم جديد أصيل لايشترك مع الجوار الجاهلي ، في اي شيء سوى الاسم ؟؟

وللاجابة الصحيحة الموضوعية على هذا السؤال ، يجب ان نقارن بين الجوارين ، ولاجل المقارنة ينبغي أن نفعل أكثر مما فعله هؤلاء ، ولنبحث أولا الجوار الجاهلي ، ولنتصفح أبعاده ومشخصاته، ثم لنبحث ثانياً الجوار فيالاسلام ولنتصفح معالمه ومميزاته ، ومن ثم لنر : هل ان المعالم واحدة ، أم أنها تختلف؟ وما هي حدود الاختلاف ؟؟

١ ـ الجوار الجاهلي

ليس هناك نص يوضح لنابصورة مباشرةالجوار في الجاهلية ويشخصأبعاده، ولكنا نجد نصوصاً كثيرة تعكس لنا ذلك عن قريب أو بعيد ، فلنلاحظ قبل كل شيء بعض تلك النصوص :

١ـ«لما مر الاعشى ومعه مال ببلاد بني عامر خافهم على مامعه،فأتى علقمة بن علاثة فقال له : اجرني ، فقال له : قد اجرتك . قال : من الجن والانس ؟ ، قال نعم ، قال : ومن الموت ؟ قال : لا .

فأتى عامر بن الطفيل ، فقال : أجرني ، قال : قد أجرتك ، قال : من الجن والانس ؟ ، قال : نعم ، قال ومن الموت ؟ ، قال : نعم . قال :كيف تجيرنيعلى الموت ؟ ! قال : ان مت وأنت في جواري بعثت الى أهلك الدية . فقال : الان علمت أنك اجرتني من الموت» .

الاغاني ٩/١٢٠/١٢١

٢ـ«جهزالنعمان ملكالحيرة عيراللطيمة (المسك) ليبعثها«الى» سوقعكاظ ثمقال من يجيرها ؟ فقال البراض بن قيس النمري : أنا أجيرها على بني كنانة . فقال النعمان : ماأريد الا رجلا يجيرها على أهل نجد وتهامة ، فقال عروة الرحال وهو رجل منهوازن : أكلب خليع يجيرها لك أبيت اللعن ؟ ! أنا أجيرها لك علىأهل الشيح والقيصوم (يعني العرب جميعاً) من أهل نجد وتهامة . فقال البراض : أعلى بني كنانة تجيرها ياعروة ؟ ! قال وعلى الناس كلهم . . . »

العقد الفريد ٥/٢٥٣ ـ ٢٥٤

نعرف من هذين النصين ونصوص أخرى لم نذكرها أن الجوار لم يكن يعني القرب في السكنى ، بل كان يعني : طلب الاغاثة والحماية والعهد والأمان كما في اللغة ، وبتعبير آخر : كان الجوار عقداً من العقود قوامه طلب المستجير للحماية ، وموافقة المجير عليها .

ونعرف أن طلب الجوار لم يكن دائماً يستتبع الموافقة والقبول ، بل أن قبول المجير أو رفضه كان يتبع مقدارا امكانيات المجير ، وشجاعته ، وهمته ، ومدى حساسيته تجاه المعايير الاجتماعية .

ونعرف كذلك أن الحماية في نوعيتها ومدى شمولها كانت هي الأخرى خاضعة لرضا الطرفين وتوافقهما وارادة المجير بصورة خاصة فكان له أن يعين نوع الحماية التي يقوم بها وأن يعين حدودها ، الا انها في أغلب الموارد كانت تعني الدفاع عن المحتمي (الجار) في مقابل عدو أو اعداء معينين كانوا يهددونه في نفسه أو عرضه أو ماله الى أمد معين .

ونعرف من النص الثاني الذي ذكرناه أن الجار في بعض الاوقات كان مالا ، ومعنى ذلك أن دائرة الجوار كانت أوسع من الانسان .

نص آخر :

وهناك نص آخر يبين لنا بعض الخصوصيات الاخرى لمسألة الجوار في الجاهلية ، منها : أنه كان عقداً جائزاً أي قابلا للفسخ من الطرفين ، الا أن المجير قلما كان يعمل حقه في الفسخ غيرة منه وأنفة ، فالمستجير هو الذي كان يتمتع عملياً بحق فسخ الجوار .

ومنها: ان فسخ الجوار كان يجب أن يعلن من قبل الفاسخ كما أن عقد الجوار كان يعلن من قبل المجير . واليك النص بعينه كما في السيرة لابن هشام ٢/٩ :

«لما رأى عثمان بن مظعون ـ وكان داخلا في جوار الوليد بن المغيرة ـ ما فيه أصحاب رسول الله (ص) من البلاء ، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة قال : والله ان غدوي ورواحي آمنا بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني، لنقص كبير في نفسي . فمشى الى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس! وفت ذمتك قد رددت اليك جوارك فقال له : لم يا ابن أخي ؟ لعله آذاك أحد من قومي ؟ قال : لا ،ولكني أرضى بجوار

الله ، ولا أريد أن استجير بغيره . قال : فانطلق الى المسجد فاردد علـي جواري علانية. كما أجرتك علانية . فانطلقا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد : هـذا عثمـان قد جاء ليرد على جواري . . . »

ولم يكن بامكان كل انسان أن يجير ، بل هناك شروط كان يجب تـوفرها في المجير حتى يكون لاجابته سمة رسمية يحترمها المجتمع ، وتذكر بعض تلك الشروط القصة التالية :

« لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أهـل الطائف ، ولم يجيبوه الى ما دعاهم اليه من تصديقه ونصرته،صار الى حراء ؛ ثم بعث الى الاخنس ابن شريق ليجيره ، فقال : أنا حليف والحليف لا يجير ، فبعث الى سهل بن عمرو، فقال : ان بني عامر لا تجير على بني كعب . . . » .

هذه القصة وان كنا نشك في صحتها تنزيهاً لرسول الله صلى الله عليه وآله من الاستجارة بالمشركين ، ولكنها مع ذلك تعطينا صورة عن بعض الشروط التي كانت يجب أن تتوفر في المجير ، وهناك شيء آخر يجب الانتباه اليه وهو أن الاستجارة كانت تتضمن فيما تتضمن اعترافاً من المستجير بمهانة نفسه وعظمة المجير ، وكان هذا هو بعض السبب في مسارعة الناس الى قبول طلب الجوار ولو كلفهم غالياً . ونرى هذا الأمر واضحاً ضمن بعض القصص التي نعرض عن نقلها مخافة التطويل.

وخلاصة القول : ان الجوار في الجاهلية لم يكن يتم الا بعقد صريح (١) يبرم بين المستجير والمجير تذكر فيه شروط وحدود بشكل واضح محدد وكان هذا العقد قابلا للفسخ من جانب كل من المجير والمستجير ، وان كان المجير قلما يستعمل حقه في الفسخ غيرة منه وأنفة .

---

(١) وهناك بعض الموارد الاستثنائية كان يكتفى فيها بالاستـجارة العملية بـدل الطلب اللفظى ،وذلك كما اذا كان أحد ينزل قرب شخص وكانت حالته قرينة على أنه استجار به . بل كان بعض الغيارى المفرطين يعتبر نزول حيوان قربه طلباً منه لجواره كما فى قصة مدلج بن سويد الطائى الذى حمى الجراد الواقع فى فنائه، فضرب بهالمثل:(أحمى من مجير الجراد).

ولم يكن يحق لكل انسان أن يجيرمن شاء بل كانت هناك شروط كانت يجب أن تتوفر في المجير ليتمكن من اجارة أحد .

وأخيراً كان الجوار يتضمن فيما يتضمن مهانة المستجير وعظمة المجير .

هكذا كان الجوار في الجاهلية،ولم يكن الجار يعني لديهم المساكن أي المعنى الذي نحن نفهمه منه، نعم انه كان يطلق على القريب في السكنى لكن لا بما انه قريب في السكنى فحسب، بل بما أنه استجار بمن سكن قريباً منه ، وذلك لان القرب في السكن بين اشخاص من عشائر مختلفة كان سببه في الأغلب هو الاحتماء من طرف والاجارة من طرف آخر ، اذ أن أحداً لم يكن يساكن غير عشيرته الا بعقد الجوار، وكان ذلك طبيعياً في مجتمع قبلي كان يعيش الحروب والغارات والأخذ بالثار .

هذا .. واما في المدن ـ وكانت قليلة من جهة وغير مزدحمة من جهة أخرى لحد كانت الى القرى أشبه منها بالمـدن ـ فكان يوجد جوار في السكنى بشكل أو آخر بين قبائل مختلفة وكان الجار يتمتع ببعض الحقوق حسب ما نلمحه في بعض مايذكره المؤرخون ، الا أن تلك الحقوق لم تكن واضحة مبتنية على أساس واضح ، ويظن قوياً أنها كانت مع ذلك تخص المجاورين على أسـاس الاحتماء ، لا ان كل انسان يجاور شخصاً كيف ما اتفق .

هذه هي معالم الجوار الجاهلي فلنر الان الجوار في الاسلام .

٢ ـ الجوار في الاسلام :

ان الجوار في الاسلام قوامه المجاورة في السكن ، ولم يشترط بسبق عقد أو شبه عقد كما رأينا في الجوار الجاهلي .

وليس هناك مجير أو مجيرون من جانب ، ومجار أومجارون من جانب آخر بل كل المجاورين مجيرون ومجارون في نفس الوقت ،أي لكل منهم حقوق الجوار، وعلى كل منهم واجباته ، فلا عظيم ولا مهان .

وليست حقوق الجوار تعني الحماية فحسب ـ كما في الجوار الجاهلي ـ ، بل تعني اكثر من ذلك كما سوف نرى في بعض الروايات الآتية .

ومن الجدير بالذكر هنا ان كلمة الجوار بمشتقاتها استعملت في النصوص الأسلامية لا كتركيز على المفهوم الجاهلي للكلمة ، بل بمعناها اللغوي الذي هو الحماية والانقاذ ، وأما «الجوار» كمصطلح اسلامي فانما هو القرب في السكنى فحسب .

بعض النصوص التشريعية

١ ـ حد الجوار

عن الامام الصادق عليه السلام ، في جواب معاوية بن عمار اذ سأله : ما حد الجار ؟ : «أربعين داراً من كل جانب» (١) » .

وعنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :«كل اربعين داراً جيران ، من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله» (٢) .

٢ ـ لا يجوز أذى الجار

عن الامام الصادق عليه السلام : أمر رسول الله (ص) أن ينادي جماعة في المسجد بأعلى أصواتهم بأنه : لا ايمان لمن لم يأمن جاره بوائقه (٣) .

وعنه عليه السلام : جاءت فاطمة عليها السلام تشكو الى رسول الله بعض أمرها فأعطاها كربة ، وقال : تعلمي مافيها ، فاذا فيها : من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فلا يؤذ جاره » (٤) .

---

(١) معانى الاخبار للشيخ الصدوق ١٦٥ .
(٢) الكافى ، كتاب العشرة ٤٩١ .
(٣) الوسائل ، أحكام العشرة ٤٨٧ .
(٤) الوسائل . . . ٤٨٨ .

٣ ـ الصبر على اذى الجار

العبد الصالح عليه السلام قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وآله : «ليس حسن الجوار كف الاذى ولكن حسن الجوار صبرك على الأذى» (١) .

٤ ـ اطعام الجار

عن ابي جعفر الباقر عليه السلام قال : قال رسول الله (ص) : «ماآمن بي من بات شبعان وجاره جائع» (٢) .

هذه بعض النصوص التي حضرتني الان ، وفيها الكفاية لما كنت أرمي اليـه من أن الجوار في الاسلام يختلف عن الجوار الجاهلي في المعالم والحدود والاحكام، وهي في نفس الوقت تهدينا الى أن الاسلام يحاول استغلال ظاهرة المجاورة بين الناس فيجعل منها رابطة قوية تربط أكبر قسم من سكان المدن والقرى بعضهم ببعض، لسوقهم الى الهدف الذي خلقهم الله سبحانه لاجله .

والحمد لله رب العالمين .

---

(١) الوسائل ٤٨٤ .

(٢) الكافي ، كتاب العشرة ٤٩٠ .

الوأواء الدمشقي

ابو الفرج محمد بن احمد الغساني

الشاعر الذى عاش فى الشام واشتهر فى نيسابور.

السيد حسن الأمين - بيروت

ولادته ووفاته :

لم يشر أحد من المؤرخين الى سنة ولادته ، أما وفاته فان الثعالبي لم يشر اليها ايضاً فظل من أخذوا عنه يهملون ذكرها ، حتى جاء ابن خلكان في (وفيات الأعيان) ففعل فعلهم ، ولما استدرك عليه ابن شاكر في (فوات الوفيات) جعل سنة ٣٩٠ تاريخاً تقريبياً لوفاته على ان الدهان يرجح انها سنة ٣٧٠ .

بروي الثعالبي في اليتيمة نقلا عن أبي بكر الخوارزمي ان لقب (الوأواء) لحقه لانه كانمنادياً في دار البطيخ بدمشق ينادي علىالفواكه (١) ، وتلقيبه بالدمشقي أما لانه ولد في دمشق أو نشأ فيها أو سكنها فترة طويلة . وقد ترجم له ابن عساكر في جملة الدمشقين ، وقال الذهبي عنه : هو من حسنات الشامليس للشامين في وقته مثله .

(١) يوجد شاعر آخر غير المترجم بلقب الوأواء ، ويكنى كذلك بأبى الفرج ، عاش فى القرن السادس ، واسمه عبد القاهر بن عبد الله بن الحسين الحلبى النحوى . ذكرالصفدى انه شرح ديوان المتنبى ، ومات بحلب سنة ٥٥١ ، ونقل عنه السيوطى فى (بغية الوعاة) وذكره كذلك حاجى خليفة ، وحدد وفاته سنة ٦١٣ «الديوان» .

والوأواة : صياح ابن آوى ، أو صياح الكلب ، « تاج العروس » - ٣ « المحمدون من الشعراء» .

« والغساني» نسبة الى الغساسنة ولعله يرتبط بهم بالنسب ، وقد كانوا امـراء العرب في الشام قبل الاسلام .

نشأتـه :

يقول القفطي (٣) نقلا عن ابن عبد الرحيـم (طبقات الشعراء) ان الـوأواء كان في أول امره أحد العامه،وكان جابياً في فندق يتولى بيع الفاكهة ويجتني اثمانها ولم يكن من أهل الادب ولا ممن يعرف قول الشعر .

وقال الباخرزي في دمية القصر: وأما أبو الفرج فقدكان يسعى بالفواكه رائحاً وغادياً ويتغنى عليها منادياً .

أول ما عرف بالشعر :

أول ما نعرف له من الشعر قصيدته الميمية التي يمدح بها الشريف العقيقي والتي يقول في مطلعها :

تظلم الـورد من خديه اذ ظلما وعـلم السقم من أجفانه السقما

وقد اجازه العقيقي عليهابعشرين ديناراً. ويقول القفطي : ان هذه القصيدةكانت أول شيء عمله،وان الناس تسامعوا بها فاشتهر بينهم ذكره .وقد جعلته هذه العشرون ديناراً يتوفر على الشعر ويفارق ماكان فيه .

ويبدو ان هذه البداية الحسنة قد وطدت صلته بالشريف العقيقي فنظم فيمدحه قصيدة ثانية بدا فيهـا تأثير الفقر واضحاً فيه اذ هو يطلب منـه ثياباً . ثـم اردفها بثالثة يستنجد فيها به من عوادي الزمان .

من هو العقيقي :

(العقيقي) : نسبة الى وادي العقيق في المدينة . ويقول الدهان : « الشريف ممدوح الوأواء ـ كما يبدو من هذه القصائد ـ شجاع كريم . وهو علوي من أهل بيت تعالوا على الاقدار .

والتاريخ يذكر العقيقي هذا كسيد من أسياد دمشقووجوه الاشراف بها وأولي

المراتب العالية والممدوحين فيها وانه عالم من علمائها ، وقد شارك العلماء في علمهم والشعراء في شعرهم .

وقد عرفت له دمشق هذا الفضل فلما توفي أغلقت المدينة وسار في جنازته نائب البلد . والعقيقي كان بمرتبة الأمراء يسكن قصراً واسعاً بباب البريد كان يسمى دار العقيقي وكان له حمام الى جانبه . وقد ظلت الدار زماناً أحسن ما في دمشق من دور عظيمة فقد سكنها نجم الدين أيوب،والد صلاح الدين الايوبي ، ثم اشتراها الملك السعيد وهدمها وبنى مكانها مدرسة وضريحاً لوالده الملك الظاهر.وهي ماتزال حتى اليوم من الابنية القديمة الجميلة وقد تحول البناء الى مكتبة حافلة .

اتصال العقيقي بسيف الدولة الحمداني :

يقول ابن العديم ان الشريف العقيقي كان على اتصال بسيف الدولة وانه زاره في حلب فكان سيف الدولة حفياً به مجلا له . وقد زار سيف الدولة دمشق سنة ٣٣٤ ، وربماكان قد حل ضيفاً علي صديقه العقيقي ، ولا يمكن ان تفوت الوأواء هذه المناسبة فمدح سيف الدولة .

وزيارات سيف الدولة لدمشق تكررت وان تكن قد وقعت جفوة باعدت بينه وبين صديقه العقيقي . ثم غدا الوأواء بعد ذلك من شعراء سيف الدولة .

ولا شك ان معظم حياة الوأواء مضت في دمشق ، ولا ندري كم أمضى فيهافي حلب ومتردداً بينها وبين دمشق.ولدينا من مدائحه في العقيقي أربع قصائد لا تتجاوز الخمسين والمئة بيت ، ومن مدائحه في سيف الدولة ثلاث قصائد تبلغ ابياتها المئة بيت.وبذلك عدوه منشعراءحلب كما عدوا المتنبي والنامي والسري الرفاءوكشاجم.

تشيعه :

عصر الوأواء كان عصر التشيع فهذا سيفالدولة الحمداني ودولته الشيعية في حلب . وهذا الشريف العقيعي ، السيد الشيعي الجليل في دمشق ، وغيرهما في حلب

وغير دمشق . وتشيع الوأواء صريح في شعره فهو يقول مثلا :

انـي سألتك بالنبي محمـد ووصيه الهادي الامين المهتدي

ويقول :

ولهـي عليه أشـد مـن ولـه البتـول علـى الحسـين

ويقول :

كأن خفيات الكواكب في الدجى بياض ولاء لاح في قلب ناصبي

ويقول في مدح الشريف العقيقي :

علوي من أهل بيت تـعالوا دون اقدارهم على الاقـدار

ويقول في مدح سيف الدولة :

قل لسمي الوصـي يا ثاني القطر ويـا ثالث الربيعـين

اغراض شعره :

أكثر شعر الوأواء هو الغزل ، وهو لا يطيل في قصائده الغزلية فأكبر قصيـدة له فيه لا تزيد عن العشرين بيتاً والباقي مقطعات بين الثلاثة والستة أبيات ، والبقية بين الخمسة عشر والعشرين . وله شعر في باب الخمريات، وعدا المديح فقد اكثر في وصف الطبيعة : وصف الليل والبدر والثريا والنجوم والسماء كلهـا ، كمـا وصف الورد والزهر والنرجس والشقائق . وكذلك وصف الابل والشمعة .

أما المديح فلم يتعد فيه مدح سيف الدولة والشريف العقيقي . وأمـا الهجاء فلم نجد له فيه الا قصيدة واحدة .

ديوانه :

قال الثعالبي في اليتيمة : (انشدني ـ أي أبـو الحسن المصيصي ـ) لمعـاً يسيرة من شعره وذكر انه سمعها من انشاده . وأول من حمل ديـوانه الى نيسابـور

أبو نصر سهل بن المرزبان فانه استصحبه من بغداد في جملة ما حصله من اللطائف والبدائع التي عني به وأنفق الرغائب عليها، وأتحفني في دفتر صغير الجرم خفيف الحجم ثم الحق به ما استملاه من القوال المعروف بعين الزمان ، وهو غير ثقة في الرواية والحكاية .

ويبدو ان الديوان نقل من الشام الى بغداد أولا ، ثم منها الى نيسابور بلد الثعالبي ووقع ابن عساكر منذ القرن السادس على شعر الوأواء ورآه منسوباً اليه بالأسناد الطويلة ، فلما نظر في نسخة ديوانه لم يجد الشعر .

وفي العام ١٣٦٩ (١٩٥٠) طبع المجمع العلمي الدمشقي ديوان الوأواء بتحقيق الدكتور سامي الدهان .

رأى النقاد فيه

قال الثعالبي : انه من حسنات الشام وصاغة الكلام وما زال يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه ووقع فيه ما يروق ويشوق ويفوق حتى يعلو العيوق .

وقال ابن عساكر : له شعر حسن مطبوع.وقال الكتبي : شاعر مطبوع منسجم الالفاظ عذب العبارة حسن الاستعارة جيد التشبيه . وقال القفطي : وتسامع الناس به فاشتهر بينهم ذكره فاستطابوا طريقة شعره .

وفي المعاصرين يقول الدكتور الدهان: هو رقيق عذب تأخذه الحضارة ولينها فيسهل حتى لا غرابة في مفرداته ولا تعقيد في لفظه . وطوراً يسرف في اللين حتى يسقط اعياء فيستمد مفرداته من وسطه الذي يعيش فيه ويختار الفاظه من حيه الذي يصبح عليه ويمسي. ويقول عنه أيضاً ان الرجل عاش في الشام واشتهر في نيسابور أكثر ما اشتهر ، وكل من نقل عنه وحفظ منه كان من نيسابور أو من بغداد .

ويقول ايضاً : لم يشتهر شعر الوأواء في عصور الأدب العربي كما اشتهر غيره من فحولة العصر الحمداني كالمتنبي وأبي فراس ، ولكنه عرف المستحسنين

والمحبين منذ القرن الرابع الهجري فعني به أبو بكر الخوارزمي وكان يحفظ كثيراً من الشعر العربي فحمله في صدره أو كتبه في صدره أو كتبه في دفتر وراح يرويه في نيسابور ، وعنه نقل الثعالبي الى كتابه اليتيمة وغيره من كتبه . وأعجب به في العصر نفسه أبو الحسن المصيصي وأما أبو سهل بن المرزبان وهو من معاصريه فقد سافر الى بغداد واشترى ديوانه ونقله الى نيسابور .

وقال ايضاً : ربما استخلص من ديوانه تشيع الناس في زمنه وسير الـوأواء في جملتهم .

جائزة الشعر

عن الكميت الاسدى قال:

دخلت على أبي جعفر (ع) فقال : والله ياكميت لو كان عندنا مال لاعطيناك منه ، ولكن لك ما قال رسول الله (ص) لحسان بن ثابت : لن يزال معك روح القدس ما ذببت عنا .

روضة الكافي ص ١٠٢

علويو طبرستان

تحقيق في أحوال وآثار وعقائد فرقة الزيدية

ترجمة: نزار الحسيني - لبنان

الدكتور ابو الفتح حكيميان - طهران

دراسة موجزة عن الزيدية : ظهورها ، وعقائدها ، وخلفائها ، وسلطانها في طبرستان

سوابق تاريخية وجغرافية :

في القرون الثلاثة الهجرية الاولى ، وفي الوقت الذي كان فيه نفوذ المسلمين السياسي والديني يمتد من سواحل أسبانيا الى حدود الصين كان القسم الشمالي من ايران ، والذي كان يعرف آنذاك بطبرستان ، وأصبح اليوم يعرف بمازندران ، ما يزال تحت سيطرة ملوك ايرانيي الاصل ، لم يستطع أحد الوصول اليهم وقهرهم بسبب حصانة أماكنهم وصعوبة الوصول اليها . وكان هؤلاء الملوك بشكل عام ، بين مزدكي وزرادشتي وعابد نار . ولذلك نجد المؤرخين يسمونهم بالمرتدين تارة ، وبالمشركين تارة أخرى .

وكانت طبرستان من الناحية الجغرافية بلاداً جبلية وعرة المسالك يصعب الوصول اليها ، ويلجأ اليها الهاربون من السلطة لاطمئنانهم بأنهم في أمان ما داموا فيها .

والمناطق الجبلية ليست هي كل ما في طبرستان ، بل فيها بالاضافه الى ذلك مناطق صحراوية ومناطق ساحلية لانها تقع على ساحل بحر مازندران . وقد تعددت الآراء واختلفت في معنى كلمة طبرستان فقيل : هي محرفة من كلمة تابورستان ، وهو الاسم الذي يشاهد منقوشاً على النقود الساسانية. وقال السيد ظهير الدين المرعشي : (طبر) في اللغة المحلية تعني الجبل و(ستان) كلمة بمعنى مكان . فيصير المعنى : مكان الجبل أو المنطقة الجبلية .

الاسلام في طبرستان :

في أوائل القرن الثاني للهجرة حل الدين الاسلامي محل المزدكية وعبادة النار في طبرستان ، غير أن سيطرة الخلفاء المسلمين على هذه المنطقة ونفوذهم فيها لم يتحقق الا بعد صعوبات كثيرة وحوادث دامية استمرت حوالي مائتي سنة .

وقد ذكر الطبري في تأريخه ، والبلاذري في فتوح البلدان ، وابن واضح اليعقوبي ما يمكن أن يستفاد منه ، أن طبرستان كانت تحت سيطرة الخلفاء المسلمين، عند السنة الثانية والعشرين للهجرة ، أو ما يقرب منها ، لكن المحقق أن ما ذكره من الحوادث لا يعدو في الواقع أن يكون عبارة عن غارات وحروب شنت على تلك المناطق ، وليس هناك ما يدل على استقرار المسلمين فيها واستيلائهم عليها .

وكانت الحملة الثانية على طبرستان وجرجان، في عهد سليمان بن عبد الملك تحت قيادة يزيد بن المهلب . ومع أن يزيد هذا ، قد أكثر من الظلم ، وعاث في الارض فساداً ، الا أن ما واجهه من مقاومة الملوك الزرادشتيين ومخادعة الناس له ، لم يمكناه من فتحها حتى سنة ٩٨ هـ حينما عاهد الله أنه ، ما لم يطحن القمح على سائل دمائهم ويأكله ، فلن يرجع من أرض طبرستان . وقد نفذ يزيد عهده هـذا ، فأكل من الخبز المعجون بسائل دمائهم، وقتل خلقاً كثيراً جداً ، وأسر ستة آلاف منهم وباعهم كالعبيد ، الا أنه مع كل هذا فقد كان عدد كثير منهم ، لا يزالون

أولياء للدين الزرادشتي ، يدينون به ويحامون عنه . والملاحظ أن كتب التأريخ ، قد سكتت عما اذا كان قد أعيد النظر ، في فتح طبرستان ، منذ ذلك التأريخ وحتى ظهور العباسيين . . أي : ما يقرب من ستين سنة ، أم لا ؟

وعندما حلت سنة ١٣٢ هـ التي انقرض فيها الأمويون واستولى السفاح فيها على الخلافة ، بعث السفاح أحد عماله الى طبرستان ، بعد أن أمره باتيان الناس من طريق الصلح والمداراة .

ولكن..ما أن تولى المنصور حتى نشبت الحرب الثانية،وعادت الخصومات الى سابق عهدها ، واستطاع رسوله « أبو الخصيب » بعد حروب استمرت عدة سنوات ، أن يفك حصار الملوك الايرانيين ، ويبدأ في حكم « طبرستان » كأول وال يحكمها .

وقد استمر ارسال الولاة الى طبرستان ، حتى سنة ٢٢٧ هـ وكان آخر ممثل فيها هو محمدبن أوس . ونظراً لماكانت تتمتع به هذه المنطقة ، من حصانة طبيعية، فقد كان يلجأ اليها العلويون الهاربون من سلطان العباسيين والأمويين من قبل . ولذلك فقد أقام في جبال طبرستان خلال هذه المدة ، عدد من هؤلاء العلويين ، وكان لهم أثر كبير في تأريخ المنطقة ، وكان بدء ذلك ان استجار بهم عدد كبير من سكان المنطقة الاصليين،يطلبون منهم الثورة على الولاة المبعوثين من بغداد، والقيام بأمر الحكم والخلافة في طبرستان بأنفسهم، وذلك لانهاء النفوذ والسلطان العباسي في المنطقة نظراً لما عانته من اضطهاد الولاة وظلمهم.

قيام العلويين وظهور الفرقة الزيدية :

وابتدأت ثورة العلويين ، على العباسيين والامويين ، منذ اللحظة الاولى التي خرج فيها زيد بن علي بن الحسين ، مع أربعين ألفاً من أهل الكوفة ، على حكم الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ، وأستشهد ثم صلب .

وقد أجمع المؤرخون ، والنسابون ، على أن زيداً كان من كبار

العلمـاء ، كما كان من كبار خطبـاء بني هاشم ، وشعرائهـم . ومـا أن استشهد زيد ، حتى قام ابنه يحيى في خراسان يطالب بدمه . ومع أنه كان لا يزال حدث السن ، فقـد أخذ البيعة من الناس ، في أول الامـر سراً ، وبقي حتـى سنة ١٢٥ ﻫ حينما أستشهد على أثر اصابته بسهم في جبهته ، ثم صلب وقطع رأسه ، وحمل الى الوليد بن يزيد في الشام . وقيل أن جثته بقيت معلقة ، حتى ظهـر أبو مسلم الخراساني وأنزلها .

ظهور العلويين في طبرستان ونشر المذهب الزيدي في ايران

بعد استشهاد زيد في الكوفة ، وابنه يحيى في خراسان ، تـوجه جماعة من العلويين الى بلاد الديلم و جيلان ، كما ذهب آخرون الى مناطق أخرى ، كالحجاز واليمن ، وآذربايجان ، واصفهان وغيرها . وكان أكثر حفدة الأمام الحسن (ع) قد سكنوا في المناطق الشمالية من ايران ، وكانوا يعيشون متخفين منزوين . وعلى أثر تفرق السادة العلويين ، قامت لهم دولة اكتسحت بعض نقاط العـالم . . والمعتقد ان تلك الدولة كانت دولة الزيدية في اليمن ، ودولة العلويين في طبرستان .

يقول ستانلي پول ، صاحب كتاب «طبقات سلاطين الأسلام » « استطاعت فرق الأئمة العلويين ، أو (الزيديين) المذكورين ، أن تشكل دولة في سنة ٢٥٠ هجرية ، من ولايات ساحل بحر خزر ـ يعني الديلم وجيلان وطبرستان ـ كما ضربت نقوداً باسمها » .

ويقول اشبولر : « أسس الزيديون في السواحل الجنوبية لبحر الخزر ، فـي سنة ٨٦٤ للميلاد دولة تركت في التاريخ أثراً بارزاً » .

والواقع ان هذه المنطقة صارت بفتح المسلمين لها ، مكانا خصباً لنشر التشيع والدعوة اليه ، وكان أول من حـكم طبرستان من العلويين ـ كما أسلفنا ـ هو الحسن بن زيد ، الملقب بالداعية الكبير .وقد بقيت حكومة العلويين هناك ، حوالي

مائتي سنة ، تعاقب فيها على الحكم أربعة عشر سلطاناً ثمانية منهم كانـوا من حفدة الامام الحسن (ع) ، والستة الباقون كانوا من حفدة الامـام الحسين (ع) . وهؤلاء الاربعة عشر هم :

خلفاء الزيديين :

١ ـ الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) ، الملقب بالداعية الكبير أو الداعية الاول . ظهر في خلافة المستعين بالله سنة ٢٥٠ ، بسبب ظلم عامـل الخليفة على طبرستان محمد بن أوس البلخي ، واستولى على مدن في طبرستان ، وأمر أن ينـادى في الاذان بحي على خير العمل ، وأن يجهر في الصلاة ببسم الله .

وكان قوياً شديد المراس ، لا يلين له جانب ، كما كان شاعراً عالماً ، ترك عدة مؤلفات منها : كتاب الحجة ، وكتاب الجامع وكتاب البيان ؛ وقدمات ولم يخلف من الاولاد سوى ابنته كريمة .

٢ـ أحمدبن محمد بن ابراهيم بن علي بن عبد الرحمن الشجري بن القاسم البطحاني بن الحسن بن زيد بن الحسن (ع) ، صهر الداعية الاول ، أخذ الخلافة من أخيه محمد ، ولم يدم ملكه أكثر من عشرة أشهر . قيل أنه قتل على طريق « ساري » قتله أصحاب محمد بن زيد .

٣ ـ محمد بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) : المشهور بـ(القائم بالحق) والملقب بالداعية الكبير . حكم طبرستان ستةعشر سنة ، وكان معروفاً بالعلم والفضل والبلاغة . قتل في بعض الحروب ودفن رأسه في جرجان .

٤ـ أبومحمد الحسن بن علي العسكري بن الحسين بن علي السجاد زين العابدين بن الحسين بن علي (ع): أحد أحفادالامام الحسين (ع) وهو المسمى بـ (أطروش) الملقب بالناصر الكبير ، كان معاصراً لمحمد بن زيد ، وكان من فضلاء عصره . خرج في سنة ٢٨٧ يطلب بدم محمد ، وبايعه كثير من أهل جيلان والديلم، وانتقل بسببه كثيرون من الزرادشتية الى الاسلام . وكان شاعراً وعالماً واماماً في الفقه ،

كما كان عادلا في رعيته حكم طبرستان ثلاث سنوات وثلاثة أشهر ، ثم توفي . ويعتقد كثير من الزيدية أنه قد ألف وصنف ما يقرب من مائة مجلد ، لم يبق منها سوى خمسة عشر مجلداً .

٥ ـ أبومحمد الحسن بن القاسم بن الحسن بن علي بن عبد الرحمن الشجري ابن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي (ع) . الملقب بالداعية الجليل ، أو الداعية الصغير ، والمكنى بأبي محمد ، وهو أحد أحفاد الامام الحسن (ع) ، وكان عادلا عالماً ، كما كان حسن السيرة ، ويقول أهل طبرستان : أنهم لم يروا في أي عهد من العهود ، ما لقوه في عهده من الامن والرفاه والعدالة .

٦ ـ أبو الحسين أحمد بن الحسن بن علي العسكري بن الحسين بن عمر الاشراف بن علي السجاد زين العابدين بن الحسين بن علي (ع) : الملقب بالناصر الاول ، وهو ابن الناصر الكبير ، وكان يعرف بصاحب الجيش . وقد انتقل الى الرفيق الاعلى في سنة ٣١١ هـ بعد ان حكم مدة من الزمن .

٧ ـ أبو القاسم جعفر بن الحسن بن علي العسكري بن الحسين بن عمر الاشراف بن علي السجاد زين العابدين بن الحسين بن علي (ع) : الابن الثاني للناصر الكبير ، تسلط على طبرستان بعد موت أخيه ، حكمها أكثر من سنة بقليل .

٨ ـ أبو علي محمد بن احمد بن علي بن الحسين بن عمر الاشراف بن علي السجاد زين العابدين بن الحسين بن علي (ع) حفيد الناصر الكبير اطروش الملقب بالناصر الثالث وقد استلم الحكم في طبرستان بعد أبي القاسم ، وأشتهر باسم الناصر الصغير ، وكان معروفاً بالقوة والجلادة .

٩ ـ أبوجعفر محمد بن أحمد بن الحسن بن علي بن الحسين بن عمر الاشراف بن علي السجاد زين العابدين بن الحسين بن علي (ع) . . . المعروف بصاحب القلنسوة ، جلس في الحكم مكان أخيه أبي علي وكان رجلا ظالماً ، سفاكا للدماء . مات سنة ٣١٦ هـ في الحرب التي خاضها مع «مرداويج بن زيار» في آمل عندما وقع عن فرسه ، بعد اصابته بحربة ذات رأسين .

١٠ـ أبو الفضل جعفر بن أبي عبد الله بن الحسين بن أبي الحسن علي العسكري ابن أبي محمد الحسن بن عمر الأشراف بن علي السجاد بن الحسين بن علي(ع).. حفيد الناصر الكبير والملقب بالثائر ، خرج في طبرستان واستولى عليها، وبنى فيها كثيراً من المساجد والمدارس والخانات ، كما ضرب نقوداً باسمه ، وكان آخر من حكم طبرستان من حفدة الامام الحسين (ع) .

١١ ـ أبوعبدالله محمد بن الحسين بن القاسم بن الحسن بن علي بن عبدالرحمن الشجري بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الامـام الحسن بن علي (ع) : . . . . الملقب بـ (المهدي لدين الله القائم بحق الله) . بايعته جماعات الديلم ، في الوقت الذي كان فيه معز الدين مقيماً في الاهواز ، فاغتاظ المعز لهذا الامر واعتقله، ونكل بمن بايعه . وبعد خروجه من السجن ذهب الى بغداد ، واشتغل بالتعليم والتفقيه . وكان خروجه على معز الدولة في سنة ٣٥٣ ، وكان عابداً زاهداً ، مات مسموماً في سنة ٣٥٩ هجرية .

١٢ ـ أبو الحسن أحمد بن الحسين بن محمد بن هارون بن محمد البطحاني بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الامام الحسن بن علي (ع) السيد المـؤيد بالله ، من أئمة الزيدية ، ظهـر في الديلم وكان ـ كما يرى الزيديون ـ هـو وأخـوه (أبو طالب) أكثر الائمة الذين جمعوا شرائط الامامة . وكان عالمـاً في النحو واللغة ، وكان فقيهاً جامعاً لاحاديث أهل البيت (ع) . ترك عدة مؤلفات ، ككتاب التجريد ، وكتاب الشرح ، وكتاب البلاغـة ، وكتاب النصرة ، وكتاب الافادة . وكانت ولادته في آمل سنة ٣٣٣ هـ، وقد وصل الى الخلافة سنة ٣٨٠ ، وتوفي في سنة ٤١١ هـ في السابعة والسبعين من عمره .

١٣ ـ أبو طالب يحيى بن الحسين بن محمد ، بن هارون بن محمد البطحاني ابن القاسـم بن الحسن بن زيـد بن الامام الحسن (ع) . . . الملقب بالسيد الناطق بالحق . وصل الى الخلافة بعد موت أخيه ، وكان قد حضر على الشيخ المفيد وبلغ درجة كبيرة من العلم حتى قال الزيدية فيه أنه لم يكن ثمة أحد أعلم منه . وقد توفي

في سنة ٤٢٢ هجرية .

١٤ـ ابو القاسم زيد بن ابي طالب الحسن بن صالح بن محمد بن الاعلم بن عبيد الله بن عبدالرحمن بن الحسن ، بن زيد بن الحسن السبط الكبير بن علي(ع). آخر أئمة علويي طبرستان ، وهو الملقب بالمسدد بالله .

آراء وعقائد الفرقة الزيدية (١) :

انقسمت الفرقة الزيدية منذ أول ظهورها الى ثلاثة أقسام: الجارودية والسليمانية والبترية» وكان لكل فرقة من هذه الفرق امام خاص بها ، كما كان لها عقائد خاصة بها . ويأتي الزيديون الذين يتبعون الامام زيد في المرتبة التي تلي الشيعة الامامية في العالم الاسلامي .

ويعتقد الزيديون أن الامام الذي تجب طاعته ، لابد وأن يكون من أولاد النبي (ص) وأن يكون عند احرازه لشرائط الامامة ، ثائراً على الظلم والجور وعلى هذا فيكون الامام الاول عندهم هو علي (ع) والامام الثاني هو الحسين (ع) والامام الثالث هو الامام زيد . أما الرابع فهو يحيى بن زيد ، والخليفة الخامس عيسى بن يحيى ، ثم يأتي بعده محمد بن عبد الله بن الحسن . فان هؤلاء كانوا أئمة بحق ـ عندهم ـ لانهم ثاروا على الظالمين ، واستشهدوا وهم يحملون السيف .

والموارد التي اختلفت فيها فرق الزيدية كثيرة جداً ، لايتسع المجال لشرحها كما لايتسع لذكر كل مايأخذه الشيعة الامامية على الزيدية، ولا بأس بالاشارة هنا الى بعض العقائد الخاصة بالزيديين :ـ

---

(١) يختلف المؤرخون في الامام زيد بن علي . فهناك من يرى أنه أسس فرقة جديدة وترأسها ، وهي الفرقة المعروفة بالزيدية . ولم يعترف بامامة الباقر والصادق عليهما السلام . ولكن لدينا من الادلة مايكفي لتفنيد هذا الرأي . واثبات ان الانشقاق حصل متأخراً عن حياة زيد رحمه الله . (مجلة الهادي) .

الامامة والخلافة :

في الوقت الذي يعترف الزيديون فيه ، بأمامة علي بن أبي طالب (ع) فانهم لايعترفون بها على انها حق لـه ، وانما يزعمون أنهـا ناشئة عن نـوع من المصلحة السياسية .

عصمة الامام :

للزيدية في عصمة الائمة رأي خاص بهم ففي الوقت الذي لا يقبلون فيه عصمة الامام ، يرون أن القول بخطأ الائمة مخالف للعقل والرأي الصواب .

الافضلية والاصلحية :

بما أن الخلافة عند الزيديين ، تكون ناشئة عن المصلحة ، لهذا فانه يلزم أن يكـون ثمة فرق ـعندهمـ بين اصلح الافراد للامامة ، وبين أصلحهم للخلافـة . لان شروط الخلافة عندهم ، غير شروط الأمامة. وقد علمنا فيما سبق أن الامام عندهم هو الشخص الذي يخرج بقصد الأمامة ويدعو اليها .

الامامان في مكان واحد :

يقول الشهرستاني في شرحه لعقائد الزيدية : اذا خرج امامان في قطبين مختلفين من العالم في وقت واحد ، فان الزيديين يقولون بامامتهما معاً، وقد توهم ابن خلدون أن ذلك عندهم غير جائز» . . .

ويقول محمد أبو زهرة : «لم يتضح لنا نظر الامام زيد في هذه المسألة ،كما لم نستطع أن نتفهم اساس تلك العقيدة بوضوح ، من المصادر التي بين أيدينا» . .

المهدوية والامامة المكتومة :

اذا لاحظنا رأي الزيدية في الامام المفضول، اتضح لنا رأيهم في الامام المكتوم، هم يقولون : «ان الامامة المكتومة لاوجود لها ، والمستحق للامامة هـو الشخص

الذي يجهر بدعوته وليس ذلك المستور الذي ينتظر» . . . .

في العبادات والمعاملات :

تدل الاخبار والروايات المتواترة ، على ان زيد بن علي كان عالماً فقيهاً ، على أن أئمة الزيديين ، لم يقتصروا على أحاديث أهل البيت (ع) بل أخذوا من غيرهم من التابعين أيضاً .

أصول الاجتهاد في المذهب الزيدى

يرى الزيديون صحة فقه الامام زيد كله ـ لانه ـ كمايرون ـ قد ابتنى على اصول القرآن والسنة ، والشروط الطبيعية التي يجب أن تتوفر فى المجتهدين عندهم هي ـ تقريباً ـ نفس الشروط المعتبرة فيسائر المذاهب الاسلامية الاخرى .

المحيط الثقافي في طبرستان أثناء حكم العلويين لها

لم يستطع سلطان الخلافة في طبرستان ، الذي استمر حوالي ثلاثة قرون ، وكان سبباً فى استقرار الدعوة الاسلامية فى ايران ، واضمحلال المذاهب والاديان السابقة عليها ، ـ لم يستطع مع هذا كله ـ أن يمحو القوة او القومية ، أوالوطنية ، والعادات والرسوم الايرانية . الا ان الذي يبدومن دراسة آثار المؤرخين والكتاب أن العلويين كانت لهم اليد الطولى ، فى اللغة العربية والاداب ، وكان بلاطهم على الدوام الملجأ والمأوى ، للمحققين فى العلوم الدينية ، وغيرهم من الفضلاء . ولا تزال الالسن والشفاه ، حتى يومنا هذا ، تتداول قصيدة أبي مقاتل الرازي الشاعر الاعمى التي خاطب بها الحسن بن زيد ، والتي ابتدأها بالحرف ـ لا ـ وبهذا المطلع :

لاتقل بشرى ولكن بشريان ... غرة الداعي ويوم المهرجان

فقال له الداعي : «ان الشعراء لا يبدأون شعرهم بحرف النفي ـ لا ـ لئلا يتشاءم المستمع . ألم يكن الاحسن أن تقرأ هذا البيت بتقديم عجزه على صدره فتقول :

غرة الداعي ويوم المهرجان ... لا تقل بشرى ولكن بشريان

فقال ابو مقاتل : كلا يا مولاي ، فان احسن مايذكر به الله يبتدىء بـ(لا) وهي كلمة : (لااله الا الله) » .

فقال الحسن : أحسنت ، فأنت فى هذا الامر أكثر معرفة منى» . . .

علماء الزيدية وأدباؤهم:

وقد حفل تاريخ الزيدبين في طبرستان ، وغيرها من البلاد بعدد كبير من أعلام الفقة واللغة والاداب ، لا يسعنا استعراض أسمائهم وتراجمهم ، الا أنا سوف نـأتي على ذكر بعضهم فى هذا المقال ، بقدر ما يتسع له صدر هذا الحديث :

١ـ زيد بن محمد بن زيد :كان شاعراً حساساً ، دقيق الملاحظة وقـع أسيراً فى يد اسماعيل بن احمد فنفاه الى بخارا .

٢ـ السيد الامام الحسن بن علي بن الناصر الكبير: أحد كبار علماء الزيدية وكان له اليد الطولى فى الشعر والادب الفارسي ايضاً . وكان له أربعة أولاد ذكور أحدهم (ابو الحسن علي) المشهور بالشاعر ، والـذي كان يـدعى فى الاصـل بأبى الحسن الشاعر .

٣ ـ ابوالحسين وأبوطالب أخوا هارون كانا عالمين فى الفقه والادب،وكانا من فضلاء عصرهما .

ويقول رابينو فى كتابه «دودمان علوي» السيد أبو الحسن المؤيد بالله،كتب رسالة فى أفضلية علي بن أبي طالب ، بلغت من الفصاحة والاتقان حد الاعجاز .

٤ ـ حمزة العلوي: السيدالامام الفقيه العالم المتكلم الزاهر المكنى بأبي القاسم كان فى الشعر وحيد عصره ، كما كان من كبار الأدباء فى طبرستان . وقد روي أن الناصر الكبير مـع كثرة فضله وكمال فصاحته ، كان يقول : « ان كان ثمة شعر يليق أن يقرأ فى وقت الصلاة ، فقد كان شعر أبي القاسم» .

الاستاذ الكبير ابن هندو، المكنى بأبي الفرج ، والمعاصر لاخوي هارون كان بارزا فى الفلسفة والادب ، وقد نشأ فى نيسابور ، وترعرع فيها ، وتوفى في سنـة

٤٢٠ ﻫ في جرجان .

ويقول باخرزي في حقه : « لا يتصور أن يكون الفضل قد خلق الا لـه » .

٦ ـ أبو العباس بن سعد بن أحمد الطبري : قال الثعالبي في يتيمة الدهر : هو شاعر قدير ، وفنان مبدع ، دقيق التفكير .

٧ ـ أبو هشام العلوي الطبري : كان له مع الصاحب بن عباد مطارحـات في الشعر ، وكان من فضلاء عصر العلويين في طبرستان .

وثمة آخرون كثيرون ، لا يتسع المجال لذكرهم .

شهادة في سبيل الله

فان زيداً كان عالماً وكان صدوقاً ولم يدعكم الى نفسـه انما دعاكم الى الرضا من آل محمد (ع) ولو ظهر لوفى بما دعاكم اليه انما خرج الى سلطان مجتمع لينقضه .

الامام الصادق (ع)

اخترنا لك

الانسان والقدر

للشيخ مرتضى المطهري طهران

عرض وتلخيص محمد علي الريحاني

لا شيء يؤذي روح الانسان ويعصرها الماً اكثر من احساسه بأنه يعيش في ظل قدرة قاهرة قوية مسلطة مطلقاً على كل شيء في وجوده تتحكم فيه بما تشاء .

ذلك انالحرية ـ كما يقال ـ اغلى النعم ، والاحساس بالعبودية امر الالام اذ يرى الانسان نفسه مسحوق الشخصية ، ممزق الارادة تجاه تلك القوة المستعبدة وهذا يولد في اعماقه جمراً يتلظى ولكنه الم المستسلم الذي لا يجد امامه سبيلا للخلاص من القبضة الجبارة التي تمسك بزمام اموره .

الى هنا ونحن نفترض القوة المسيطرة تتمثل في انسان جبار او حيوان مفترس اما لو افترضناها قوة غيبية هائلة تحكم الانسان وتتحكم في مصيره منوراء الغيب المبهم فان الامر سيتفاقم قطعاً اذ تموت هنالك كل أحلام الخلاص .

هكذا اذن ولد هذا السؤال المحير في ذهن كل انسان امتلك الحد الادنى من الادراك الانساني :

ترى هل ان هذه الحوادث الكونية تسير وفق مخطط صارم رسم لها من قبل بلا ان يتطرق اليه أي تخلف أو استثناء .

وهل هناك قوة خفية مطلقة تدعى (القضاء والقدر) تتحكم في كل الحوادث ومنها الانسان وخصائصه وأعماله أو ان الامر على العكس من ذلك تماماً ، فلايوجد أي معنى من معاني السيطرة للماضي على الحاضر والمستقبل ، فللانسان حريته

التامة في صياغة انحاء سلوكه وتقرير مصيره ، أو ان هناك احتمالا ثالثاً في البين يجمع بين الاعتقاد بالقضاء كقوة مطلقة مسلطة على جميع الكائنات وبلااستثناء وبين الاعتقاد بحرية الانسان فيما يعمل ؟

ولقد طرحت مسألة (القضاء والقدر) ،كواحدة من أعقد المسائل الفلسفية ، بين المفكرين الاسلاميين ومنذ القرن الهجري الاول ـ لعوامل متعددة لا مجال لها الان ـ

وكان للاجوبة المختلفة والتوجيهات المتضاربة دورها البالغ الاهمية في خلق النزاع والتناحر المهول .

الاطار العملي العام للمشكلة :

ومع انها مسألة ترتبط بعالم ماوراء الطبيعة والفلسفة الالهية لكنها تندرج ضمن اهم المسائل العملية والاجتماعية لأمرين هما :

أ ـ الانعكاس البديهي لنوعية التفكير الشخصي للباحث في هذه المشكلة على حياته العملية ونوعية تعامله مع الاحداث ، فبديهي ان الذي يعتقد انه وجود مكبل لايملك من أمره شيئاً يختلف روحية وسلوكاً عن الاخر الذي يعتقد انه المتحكم الاصيل في مستقبله ومصيره .

فللمشكلة انعكاساتها العملية والاجتماعية في حين لانرى لكثير من المسائل الفلسفية مثل هذا التأثير ، وهذه من قبيل :

(حدوث العالم وقدمه) (تناهي العالم وعدمه) (عينية الذات والصفات في المبدأ الاول سبحانه وتعالى) وغيرها .

ب ـ المسقط الواسع للمسألة في الاذهان بمعنى انها وان كانت من المسائل المعقدة والمتطلبة حلولا دقيقة لكنها تعد من المسائل العامة التي تطرح نفسها في اذهان كل اولئك الذين امتلكوا أقل قدر من التفكير في المسائل الكلية، اذ كل انسان يتوق طبعاً لان يشعر بدوره في صياغة مستقبله .

والذين بحثوا في هذه المسألة قديماً لم يكن يهمهم منها الا الجانب الفلسفي والكلامي فقط فاقتصروا عليه معرضين أو غافلين عن الجوانب العملية فيها والتي اهتم بها الكثير من المفكرين اليوم .

على انا نلمح بعض المنتقدين للاسلام يعتبرون مسألة القضاء والقدر ورأي الاسلام فيها ـ كما فهموه ـ من اكبر عوامل انحطاط المسلمين ! !

وهنا يمكن ان يثور سؤال على هذا الاساس قائلا :

ان كان الاعتقاد بالقضاء والقدر سبباً للركود والانحطاط الفردي والاجتماعي فلماذا لم يكن واقع المسلمين الاوائل كذلك ؟ وهل أن هذه المسألة من المستحدثات التي لم تكن موجودة من قبل في اصل العقيدة ومن تعاليمها الاولى ـ كما يقول بعض الاوربيين ـ ، أو أن شكل اعتقادهم بالقضاء كان بحيث لا يتنافى مع حرية الانسان ومسؤليته تجاه مايعمله ؟

ونحن قبل ان نحاول التعرف ـ وبصورة منطقية ـ على نوعية الرأي والمختار يجب ان نتعرف اولا على منطق القرآن الكريم ثم نستعرض ماوصلنا من اهل البيت(ع) معرضين عن نوعية الاجتهاد الذي أعمل في فهم المشكلة قديماً .

الايات القرآنية

بعض الآيات الشريفة تصرح بالقضاء والقدر ونفوذه المطلق ، وأن اية حادثة كونية لابد وان تكون مسبوقة بمشية الهية وانها قد رسمت من قبل في كتاب مبين وهي من قبيل :

«ماأصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير» الحديد ٢٢ .

«وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو ويعلم مافي البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين » ، الانعام ٥٩ .

«يقولون هل لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله يخفون فى انفسهم ما لايبدون لك يقولون لوكان لنا من الامر شيء ماقتلنا ههنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم» ال عمران /١٥٤

«وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم» الحجر /٢١

«قد جعل الله لكل شيء قدرا» الطلاق ٣

«انا كل شيء خلقناه بقدر» القمر / ٤٩

«فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء» ابراهيم / ٤

«قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزمن تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير» آل عمران ـ ٢٦ .

اما الآيات الدالة على كون الانسان مختاراً في عمله، ومؤثراً في مستقبله ومصيره ، وله أن يغيره فهي من قبيل :

«ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» الرعد/١١

« وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف» النحل / ١١٤

«وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون» العنكبوت / ٤٠

« وما ربك بظلام للعبيد » فصلت ٤٦

«انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفورا» الدهر / ٣

«فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» الكهف / ٢٩

«ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس» الروم / ٤١ .

«من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها» ، الشورى /٢٠ .

«من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموماً مدحوراً ، ومن أراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم

مشكوراً* كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً» الأسراء ١٨ - ٢٠ .

وهناك آيات أخرى يمكن ان تنضم الى الطائفة الاولى أو الثانية .

وقد اعتبرت هاتان الطائفتان متعارضتين في نظر غالب علماء التفسير والكلام فنحن لا نملك الا أن نؤول أحداهما لنقبل مفاد الأخرى .

ومنذ منتصف القرن الاول حيث وجد المسلكان الفكريان نهضت جماعة تؤيد حرية الانسان واختياره فأولت آيات الطائفة الاولى وعرفت بـ (القدرية) في حين أيدت جماعة أخرى جانب التقديـر الغيبي الصارم المتحكم فأولت آيات الطائفة الثانية وعرفت بـ (الجبرية) .

ولكن هاتين الجماعتين اندكتا في فرقتين كلاميتين كبريين هي (الاشاعرة والمعتزلة) وقد تبنت كل فرقه ـ ضمن ما تبنت من آراء كثيرة ـ أحد المسلكين فأيد الاشاعرة الجبرية في حين احتضن المعتزلة (القدرية) .

التعارض المدعى بين الايات :

التعارض على قسمين :

أ ـ الصريح : بأن تنفي كل جملة مضمون الاخرى .

ومثال ذلك : توفي النبي (ص) في شهر صفر .

لم يتوف النبي (ص) في شهر صفر .

ب ـ التنافي بالملازمة : بمعنى ان لازم صحة احدى الجملتين بطلان مفاد الاخرى

ومثال ذلك : توفي (ص) في شهر صفر .

توفي (ص) في شهر ربيع الاول .

والآن نحاول ان نعرف ان التعارض المدعى هل هو من القسم الأول أو الثاني؟

من المسلم ان الايات لا تتنافى فيما بينها صراحة ، فلم تقل مثلا :

(كل شيء مقدر) (لاشيء مقدر)

(كل شيء سبق في علم الله) (لاشيء سبق في علم الله)
(الانسان مختار في عمله) (الانسان غير مختار)

لكن المتكلمين حسبوا ان لازم كون كل شيء مقدراً بتقدير الهي أن الانسان مجبور في سلوكه فيستحيل الجمع بين الحرية والتقدير المسبق ، فما قدر يجب ان يتحقق بلا اختيار والا فان علم الله يتحول الى جهل . وهكذا العكس فان لازم كون الانسان مؤثراً في سعادته وشقائه ان لايكون هناك تقدير قبلي .

وهكذا وجد ركام من التأويلات في كتب المتكلمين والمفسرين وللاطلاع يمكن مراجعة تفسير الرازي والكشاف .

وبموجب ما سبق فلو وجدت نظرية ثالثة ترفع هذا التعارض المدعى بين العلم الالهي المسبق والمشيئة المطلقة وبين حرية الانسان واختياره فلا نحتاج الى أي تأويل أو تفسير وسيأتي ان الواقع يؤكد على هذا الخط الثالث ويكشف عن ان هذا التعارض نشأ عن الفهم الخاطىء لاغير .

وفي الحقيقة لنا ان نقول: انه لامعنى لوجود التعارض في الكتاب المبين لنضطر الى حمل بعض الايات على خلاف ظاهرها وتأويلها بل لنا أن نقول اننا لانجد في القرآن الكريم آية واحدة تحتاج الى التأويل وحتى اشد الايات تشابهاً فانها لاتحتاج اليه وهذا الامر يحتاج الى تفصيل في القول لامجال له هنا ـ مما يثبت لنا بأن هذا الجانب هو اروع وجه اعجازي في القرآن الكريم .

الآثار السيئة لفكرة (الجبر) :

لاشك بأن الجبرية على الشكل الذي قال به الاشاعرة ـ حيث يفقد الانسان معه أي اختيار ـ لها آثارها السيئة الكثيرة : اذ تشل روح الانسان وارادته عن أي تأثير وهي الفكرة التي شدت من عضد الاقوياء الظالمين في نفس الوقت الذي قيدت فيه أيدي الضعفاء المظلومين .

فذلك الانسان الذي سيطر على منصب او ثروة عامة بطرق غير مشروعة يتحدث

عن المواهب الالهيــة التي اختصه الله بها وغمره بنعمته بعــد ان حرم الضعفاء منها وغمرهم فى بحر من الالام والعذاب .

وذلك الذي حرم من مثل هذه المواهب لايسمح لنفسه ان يعترض والا كان ذلك اعتراضاً على (النصيب والقسمة) و(التقدير الالهي) وهو أمر يتطلبَ الصبر والرضا والشكر لا الاعتراض .

فالظالم يرفع عنه مسؤوليته جراء أعماله بحجة القضاء والقدر ، وباعتبار أنه يد الله تعالى ويد الله لا تقبل أي طعن فيما تعمل .

وبنفس هذا الدليل يتحمل المظلوم كل انحاء الظلم لأنه يرى ان كل ما يــرد عليه انما هو ـ وبصورة مباشرة ـ من الله . فهو آيس من نتيجة أية مقاومة وهل يمكن مقاومة القضاء والقدر؟ أم هل يمكن فك قبضة الغيب المستحكمة ؟ هذا مع ان ذلك يتنافى والمستوى الأخلاقي للمسلم اذ هوخلاف صفة الرضا والتسليم .

ثم ان الذي يعتقد بالجبر لايرى أي ترابط تسببي بين الاشياء وبالاخص بين الانسان وأعماله وشخصيته الروحية والخلقية من جهة ومستقبله السعيد أوالشقي من جهة أخرى ولذا فهو لا يفكر مطلقاً بتقوية شخصيته واصلاح سلوكه الخلقي وتقييم أعمــاله بل نراه يحول كل شيء الى القدر وينتظر المصير المرسوم بمرارة استسلامية .

القضاء والقدر :

القضاء : يعني الحكم والقطع والفصل : وسمي القاضي بذلك لانه يفصل بين المتحاكمين. وقد استعمل القرآن الكريم هذه اللفظة واصفاً بها الله تعالى تارة والانسان أخرى ، ومستعملا اياها فى مجال الفصل اللفظي حيناً وفي المجال التكويني العملي حيناً آخر .

والقدر يعني المقدار والتعين : وهذه الكلمة استعملت ـ ايضاً ـ في القرآن الكريم كثيراً بهذا المعنى .

والحوادث الكونية من زاوية كونها واقعة تحت علم الله ومشيته الحتمية تندرج

تحت القضاء الالهي ، ومن زاوية كونها محددة بمقدار معين من حيث الموقع الزماني والمكاني تندرج في التقدير الالهي .

ونحن لن نستعرض أقوال الحكماء لانها ترتبط بمجالات لا محل لها هنا ، ولكن نقول :

ان الحوادث الكونية لا بد وأن تنطوي تحت أحد ثلاثة فروض :

أ ـ انها لا ترتبط بالماضي المتقدم عليها تقدماً زمانياً أو غير زماني فلا يرتبط وجودها بسوابقه ولا ترتبط خصوصياتها به أيضاً .

ومع هذا الفرض فلا معنى للقضاء والقدر بعد انكار الترابط .

وانكار الترابط هذا يعني انكار مبدأ العلية وقبول مبدأ الصدفة مع ان ذلك أمر واضح البطلان .

ب ـ ان كلامنها يرتبط بعلةمتقدمة عليهولكن مع انكارنظام الاسباب والمسببات القائم بينالحوادث والقول بانهاكلها معلولة ـمباشرة ـ لعلة واحدة هي الله (تعالى) فارادته تتعلق بكل حادثة بصورة مستقلة عن اراداته الاخرى ،كأن نفرض ان القضاء يعني العلم ، وعلمه تعالى بحادثة ما مستقل عن علمه بالاخرى ، فالحوادث التي تعلق العلم بها في الازل لابد ان تقع بلاتردد .

وأفعال الانسان بعض هذه الحوادث التي يجب ان تقع بلا أي ارتباط لطاقة الانسان وارادته بها،غايةالأمر ارادته وطاقاته تشكلان مجرد مظهرلذلك التحقق الحتمي . وهذا يعني الجبر تماماً وهو فكرة لو تواجدت في فرد أوأمة فانها تمزق حياتهما تماماً .

ولو تجاوزنا عن آثارها العملية فهي مردودة منطقياً وبأدلة فلسفية ـ تذكر في محلها ـ .

فلا شك في بطلانها وان نظام الاسباب والمسببات وعلاقة العلية والمعلولية بين الحوادث شيء لا يقبل الانكار ، وهذا هو مقتضى الايمان بالعلوم الطبيعية والمشاهدات الحسية.

والقرآن الكريم اقر مبدأ العلية ونظام السببية بما لا يقبل الشك .

ج ـ *بأنها ترتبط فيمابينها بنظام علي ومعلولي وسببي ومسببي،وان كل حادثة تكتسب حتميتها وخصوصياتها الزمانية والمكانية من عللها المتقدمة* ، فالترابط قائم بلا انفصام بين الماضي والحاضر والمستقبل وهذا من لوازم الايمان بقانون العلية العام ، ولا يفرق بعد ذلك أن نكون الهيين أو ماديين .

الجبر

من مجموع ماتقدم توفرنا على ان الاعتقاد بالقدر لايعني الجبرية ، بل انما يستلزم ذلك لو لم نعط الانسان اي دور في صنع السلوك ،مسلمين اياه للقدر فقط ، والحال انه من اشد الممتنعات ان نقول ان الله تعالى يعمل كل شيء بلا واسطة بل هو يوجب وجود كل الأشياء عن طريق عللها واسبابها الخاصة .

ان القضاء والقدر لايعنيان الا ابتناء نظام السببية العامة على أساس العلم والارادة الالهية : ومن لوازم قبول مبدأ العلية وضرورة حصول المعلول عند حصول علته والسنخية بينهما ان نقول ان مصير اي موجود مرتبط بالعلل السابقة والمرتبطة به سواء وجد مبدأ الهي ام لم يوجد ، اي سواء أكان نظام السببية مستقلا وقائماً بذاته ام كان قائماً بغيره ومستنداً للمشية الالهية .

فلا معنى لادعاء استلزام الاعتقاد بالقدر للجبرية ، اذ أنالو قصدنا من هذا الاعتقاد انكار التلاحم بين الاسباب والمسببات ومنها الطاقات الانسانية والارادة والاختيار ، فمثل هذا القضاء والقدر خرافة يستحيل وجودها بالادلة التي تقيمها الفلسفة الالهية فتنفيها من أصولها ، وان قصدنا منها الارتباط الحتمي للعلل بالمعاليل فهي حقيقة مسلمة ولكنها لا تختص بالالهيين بل يقول بها كل مذهب يؤمن بمبدأ العلية العامة والتفاوت كامن في ان الالهيين ينهون سلسلة العلل الى علة العلل حيث لا ابعاد زمانية او مكانية ـ وهو واجب الوجود والحقيقة القائمة بذاتها والتي تنتهي اليها كل انواع القضاء (الضرورة) والقدر (التعيين) .

الحرية والاختيار :

بعد هذا يثورسؤال مفاده : لو اننا ربطنا القدرالالهي مباشرة بالحوادث فلامعنى للحرية ، ولكن كيف نوفق بين الايمان بنظام العلية العامة وحرية الانسان في آن واحد ؟ وهل نحن ملزمون لو اردنا التسليم بالحرية ، أن نفصل تماماً بين الافعال الانسانية واية علة خارجية ؟ ان ذلك يعني قبول الفرض الاول فقط وعند الجواب نقول:ان ذلك دفع الكثيرين من قدامى المفكرين ومحدثيهم للجوءللقول بـ(الارادة الحرة) ـ حسب تعبيرهم ـ والتي لاتتصل باية علة ومعنى ـلك انهم قبلوا مبدأ الصدفة ولو في اطار الارادة الانسانية ولكنا اثبتنا في هوامش الجزء الثالث من كتاب (اصول الفلسفة) ان مبدأ العلية امر لا يمكن انكاره أو تخصيصه .

ولو قطعنا الروابط بين العمل الانساني والعلل المتقدمة عليه فيجب علينا ان نقبل أنه لا اختيار له بمعنى اننا سلبناه حريته ونحن في حرارة الدفاع عنها، فالانسان خلق حـراً واعطي عقلا وارادة وهو في افعاله الارادية ليس كالحجر ، تـدحرجه فيتدحرج على اساس الجاذبية الأرضية ، ولا كالنبات لايملك الا يسلك اسلوباً خاصاً بمجرد توافر شروط معينة فينمو بالشكل المعتاد ولا كالحيوان الذي يؤدي اعماله بتاثير غريزي . . . كلا ان الانسان يجد نفسه دائماً على مفترق أربعة طرق ، ليختار منها ايها شاء بملء حريته ووفق مشيته ونوعية تفكيره .

وهنا تبرز مقومات الشخصية والصفات الاخلاقية والروحية والمسبقات التربوية والوراثيـة والمقاييس العقلية والنظرات البعيدة للانسان فيعلم الى أي حـد يرتبط المستقبل السعيد او الشقي بتلك العوامل وبالاخرة بالطريق الذي اختاره بنفسه ان الفرق بين الانسان والنار المحرقة والماء المغرق،والنبات النامي بل وحتى الحيوان الماشي هو عنصر الاختيار ، اذ كلها لاتنتخب طريقها في حين ينتخب الانسان .

والموجودات على قسمين :

الف ـ مافيه امكان نوع خاص من الوجود . . كالمجردات العلوية .

ب ـ مايمكن فيه اكثر من نوع من الوجود وهي الماديات أي الموجودات التي توجد من مادة معينة وتشكل ارضية لموجودات اخرى ، وهذا مثل جميع مسا نحس ونلمس .

فالمادة الطبيعية تقبل التأثيرات المختلفة وفيهااستعداد التكامل فتؤثر فيها بعض العوامـل طاقة وقوة ، بينمـا تؤثر فيها العوامل الأخرى نقصاناً وزوالاً ، فهي مستعدة لمواجهة مختلف العوامل ، كما ويكون تأثرها بأحد العوامل غيره بالاخر فالبذرة لوصادفت المحيط الملائم ولم تصبها آفة من آفات النبات لنمت ووصلت الى كمالها ، ولكنها مع فقدانها احد العوامل الملائمة أو مع اصابتها فلن تستطيع النمو ، وهكذا فللمادة الطبيعية آلاف الشروط وهي تتشكل باشكال مختلفة وفقـاً لاختلاف الشروط هذه .

وهكذا نعرف ان الامر في المجردات مختلف تماماً عنه فى الماديات ، ففي الاولى يكون القضاء والقدر حتميين بمعنى ان مصيرها بيد علتها الوحيدة التي لايمكن انتتبدل اما فيالماديات التي تقبل التغييرات والالوان وتنطوي تحتقانون الحركة فالقضاء والقدر غيرحتميين بمعنى ان نوع القضاء لايعين مصيرها بل مصير أي معلول تابع لنوعية العلة فلانها تتعامل مع علل مختلفة،كانلها انواع مختلفة من المصير ، فيمكن لاية علة ان تحلمحل الاخرى . وهكذا فلا يمكن ان نصف القدر فى الماديات بالحتمية بهذا المعنىبل كلماكانت الاحتمالات اكثركانت انواعالمصير متكثرة .

فلعلة خاصة تمرض شخص فوجد الألم ، ولعلية الدواء تنتفي تلك العلة فيتغير المصير ولو اعطى الطبيب نسختين : احداهما مضرة والأخرى نافعة ، ففي انتظار المريض حالتان مختلفتان وبيده اختيار احداهما والذي هو يرتبط ايضاً بسلسلة من العلل بشكل لا يسلبه اختياره .

فهناك انواع متعددة من القضاء لكل منها ان يحل محل الاخر لـو تغيـرت العوامل وجاءت موافقة له ، فعندما يشرب هذا المريض الدواء الناجح فنجاته بقضاء

وقدر ولو لم يشرب فمات ، فموته بقضاء وقدر ، وهكذا كل سلوك يصدر منه هـو في اطار القضاء والقدر .

وسر الامر :

ان القضاء ليس عاملا مؤثراً الى جنب العوامل الاخرى ، بـل هـو المبدأ والمنشأ لكل العـوامل الكونيـة ، فكلها مظاهر له ، ومنـدرجة تحت مبـدأ العلية العامة ، واذا استحال ان يكون الى جنب العوامل المؤثرة استحال ان يمنع مـن تأثير اي منها، وكيف يتصور ذلك مع انه هو منبع نفس العامل الذي يريد هو ان يمنع من تأثيره .

فالجبر محال بالمعنى الذي ينتهي الى اجبار الانسان بالقضاء والقدر نعم يمكن ان ننسب الجبر الى العوامل النابعة من الجبر نفسه كأن يقتل انسان انساناً ، وهـذا غير الجبر الاصطلاحي المبحوث عنه وهو التأثير المباشر للقضاء والقدر على الارادة الانسانية سلباً او ايجاباً .

وبتعبير آخر : ان السر يكمن في ان القضاء يوجب ان يرتبط وجود أي موجود بعلله الخاصة به فقط ويكون وجوده من غيرها ممتنع، هذا من جهة ومن جهةأ خرى يعني ان الحـوادث الطبيعية لديها الاستعداد للتأثر بمختلف العلل امـا مع تصورنا للقضاء والقدر كما صوره الاشاعرة ، فمعنى ذلك ان مبدأ العلية والسببية مجموعة من الظواهر التي لا حقيقة لها .

وكذلك لامعنى لما قاله (أنصاف الاشاعرة) بأن هناك موارد خاصة يتدخل فيها القضاء مباشرة فان الامر وان اتخذ شكلا جديداً لكنه غيرموجود ولايمكن ان يوجد.

ميزة الانسان :

والافعال الانسانية من تلك الحوادث التي لاتمتلك مصيراً حتمياً ، لانها ترتبط بآلاف العلل التي منها هذه الانواع المختلفة من الارادة الصادرة من الشخص الواحد

اذ تمام المحتملات والامكانات المتواجدة لنمو النبات والسلوك الغريزي للحيوان تتواجد في الانسان بالاضافة لوجود العقل والارادة الخلقية وقوة الترجيح عنده، فهو يستطيع ان يدع عملا بارادته ووفق مصلحة ما وان كان العمل موافقاً تماماً لغرائزه الطبيعية والحيوانية ولم يكن امامه أي رادع خارجي ، وهكذا العكس فهو كالحيوان يقع تحت تأثيرات العوامل النفسية والرغبات الداخلية ولكنه ليس مغلول اليدين امامها انه يملك امامها حريته فلو تمت لديه العوامل التي يكفي حصولها لدفع الحيوان نحو عمل ما فان ذلك لن يدفع الانسان بمفرده وبصورة آلية نحو العمل اذ انه يملك تعقله وارادته، فالامر يحتاج لموافقة العقل باعتباره مصدراً تشريعياً والارادة باعتبارها قوة تنفيذية لتؤثر بعد ذلك .

فليس معنى الحرية التحرر من قانون العلية وهو محال وجبر ، فلافرق بين ان لا يملك الانسان أية حرية امام تأثيرات العوامل الخارجية وبين ان لا تتحكم ارادته في أعماله فتصدر هذه بلا أي رابط وتأثير للعوامل ومنها الارادة،وانما نقصد بحريته ان رضاه الكامل بمقتضى التشخيص العقلي منبع لعمله الشعوري وليس هناك عامل آخر يمنعه من أعمال اختياره فيها لا القضاء ولا غيره .

نظرة الى عصر صدر الاسلام

سئل (ص) عن الاحراز التي تتداول لاجل الاستشفاء (وأضاف الغزالي بأن السؤال كان عن الحرز والدواء) وهل تستطيع ان توقف مسير القدر ؟ فأجاب (ص) (انها من قدر الله) .

ومما ينقل عن الامام أمير المؤمنين (ع) انه كان مرة تحت حائط آيل للسقوط فقام وانتقل الى ظل حائط آخر فقيل له: يا أمير المؤمنين تفر من قضاء الله؟ فقال (ع) (أفر من قضاء الله الى قدر الله) .

فهو اذن يفر من نوع من القضاء الى نوع آخر منه .

فسقوط الجدار الايل قضاء الهي باعتبار انه من الطبيعي ان ينهدم الحائط الايل

على رأس الانسان عند تحقق شروطه ، ولكنه أن جر نفسه عنه فسوف يبقى مصوناً عن الأذى وهذا أيضاً قضاء الهي ، على أنه يمكن ان تصيبه وهو في حالتـه الثانية حالة ناتجة من عوامل أخرى وهي بدورها من القضاء والقدر .

والدارس لحياة المسلمين الاول يلاحظ بوضوح انهم فهموا القضاء والقدر بشكل لا يتنافى مع تحكم الانسان بمصيره وان نفس التغييرات الحاصلة فيه انما هي في اطار القضاء والقدر ، فلم يكونوا جبريين مطلقاً بل كانوا يطلبون العلى بجهادهم وجهودهم يدعون الله ان يرزقهم أفضل (قضاء) باعتبار ان المحتملات كثيرة في أي مورد متصور ،فهم يطلبون أفضلها ، والملاحظ انهم يطلبون أفضل قضاء لاأفضل مقضي ومقدر فيكتب سعد بن أبي وقاص الى الخليفة قائلا (و أمـر الله بعد ماض ، وقضاؤه مسلم الى ماقدر لنا وعلينا فنسأل الله خير القضاء وخيرالقدر في عافية) (١).

فالمستفاد من أخبار الفريقين أنه (ص) أوضح لاصحابه مسألة القضاء والقدر ، وان الامام أمير المؤمنين (ع) كذلك أوضحه تماماً .

والاعجب من ذلك ان هذا المفهوم قد أعطي للصحابة بشكل يبعد كثيراً عن الجبر ، وهذا عملهم دليل على نوع فهمهم ، وأقوالهم شاهدة على ذلك .

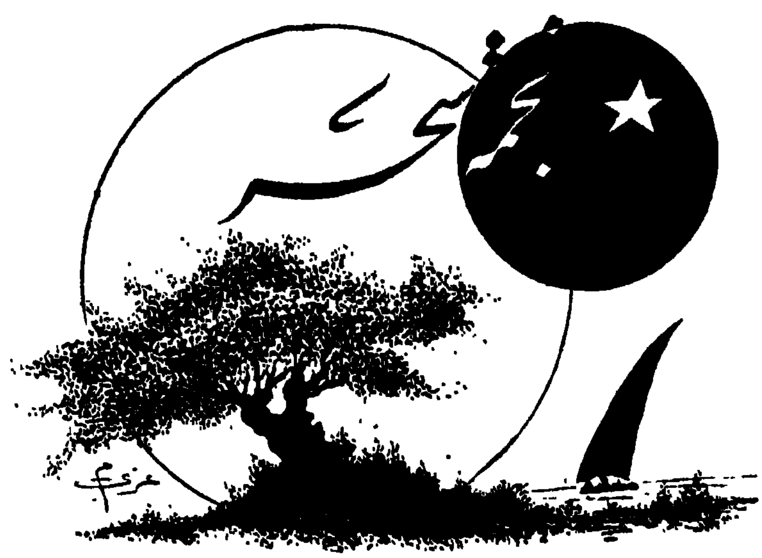
وانما وجد الربط بينهذه العقيدة والجبر في اذهان لم تع المسألة بحدها بل ان هناك الى اليوم من لم يستطع ان يتصور الانفكاك بينهما .

والمنبع الاصيل للرأي الحق هو القرآن الكريم حيث يعبر عن القـدر بالاية المباركة (هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا ، وأجل مسمى عنده) .

وهو في نفس الوقت الذي يتحدث فيه عن اللوح المحفوظ والكتاب الأزلي ويقول (ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) أو يقول (ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها) في نفس الوقت يقول : (كل يوم هو فيشأن) وعندما يسأل النبي(ص) : أنحن فيأمر مفروغ منه أم في أمر مستأنف ؟ يقول (ص) : (في أمر فرغ منه وفي أمر مستأنف) .

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٣١٣ .



مناجـاة . . .

حسين الحاج أحمد

اللهم ارزقني الشهادة . .

اللهم اجعل دمائي رحمة تسري في قلوب المظلومين .

اللهم قد صارت الحياة عزيزة لدى أمتي، دينها .. سر وجودها وشرفها رخيص يارب . . . رخيص . . يباع ويشترى . . ويخان . . ونحن سامدون . !

اللهم فوفقني لان أكون أميناً على تنزيلك حيث أحيا . . وحيث أموت .

رب . . لاتخيبني حين أرجوك .

رب . . قد أمرتني بالدعاء . . فاستجب يا خير من يجيب . . يارب . !

. . . وتهطل الدموع الغزيرة بحرارة والتياع يغمر البدن المرتعش بالعرق ، وينحني في لحظة صمت . . ويغيب عني في تأمل عميق . .

ولاول مرة في حياتي . . اشعـر كيف يخرج الانسان من عمق المأساة مبتلى صدق المعاناة الواعية . . وبابعاد الرؤية وهي ترتد وتغور الى القلب فتمزقه . . تثير جراحه ليبقى لحناً حزيناً ومناجاة بحسرة تتلهف على الاجابة، وأملا رائداً ينفجر حارج الذات فينكرها ويظل مع التضحية الرسالية في عناق محموم حميم . .

غاب عني في ارتعاشة . . وبقيت انا ذاهلا . . اتساءل !
لماذا يعشق الموت ويهواه ؟
حسبته مريضاً ومعقداً في شعوره وتصوراته . . ولكن . !

* * *

نشأ عمار . . وترعرع بين احضان عائلة تصنع رغيف الخبز بيدها وتعلم أطفالها مقابل ما تدفعه من سمن وبيض لمدير المدرسة . . .

وشب في قرية يسمونها في لغة العصر متخلفة . . متخلفة جداً لاينظر فيها من وجوه الحضارة والتمدين شيء الا في ايام العيد ولياليه .

وتفتح عمار . . كما الوردة تتفتح بجمالها وشذاها . . من بين الاشواك .

وانشقت اصداف عمره . . في غمرة الصراع عن ذكاء وثقة وطموح . . . كما اللؤلؤ النادر ينشق عن صدفة مطبقة في لجج النسيان . .

هكذا برق عمار في خواطر الجيل وهكذا النبوغ الفتي دائماً ينطلق من زوايا من نسميهم حثالة الناس .

واذا الذين يعرفونه . . يقف الوقت عندهم حين يتحلقون حوله في جلسات يظللها الفكر والهدى والايمان . .

واذا هؤلاء جميعاً يكبرون في عمار محاضراته . . ويكبرون في عمار دروسه في الجامعة .

لانها قبل أن تكون حروف مبدأ وايقاعات قضية كانت في كيانه خلجة نفس ورنة روح . . .

اما طلابه فمنهم من كان يعيش معه في علاقة روحية حالمة . . وكفى .

بيد أن الجميع كانوا ذاهلين كما ذهلت أنا من قبل..وانهم ليعجبون حين يرونه يمشي على أناة صامتاً كصمت اللهب و كصمت الاحساس البعيد البعيد عن كل وجدان خصيب بالتصور والخيال . .

يرونه في مشيته هذه . . . فيعجبون .

ويرونه في ليل الجمعة . . . فيعجبون .

ثم يستمعون الى صدى نجواه المشتعلة فيرتجفون . . ويتساءلون كما تساءلت أنا من قبل :

لماذا يعشق الموت ويهواه . ؟ مع ما عليه من شباب حيوي وجمال نضير . .

يتساءلون . . ولا يجدون من بقايا حيرتهم الا دمعاً يهطل بغزارة والا انيناً صادقاً مشبعاً بروح المسؤولية والشعور النبيل . . .

. . . ويعود عمار الى بيته . . وفي كل قلب . . بصمة من أصابع لوعته ورجائه وهي تنتظر جواباً أو بشرى جواب . . !

* * *

. . . دخلت الى منزله وأنا ساهم افكر كيف ابدأ الحديث معه وهل أستطيع ان أنفذ الى عالمه الخاص بخفة وسهولة دون ان احدث أي جلبة أو اضطراب فيه .

لكنه ما ان تقدم الي بخطوة الثابت حتى تركت تساؤلي الحائر لحفاوة استقباله تغمرني برقة وعذوبة وانشراح . . .

وهكذا نفذ الى قلبي وتسرب الى عالمي قبل ان تصل عيوني الى هدوء عينيه . . نفذ الي وتسرب الى عالمي دون أن أشعر الا وقـد أصبح بينهما صورة زاهية تمتد في مشاعري مخلفة وراءها الرضا والاعجاب . . . ومرت لحظات قليلة صار عمار فيها كخفقة القلب ارتاح اليها واطمئن وأنا لاأدرك كيف يخفق القلب وكيف يحلق وكيف يطير .

قلت : فأنت تريد أن تموت شهيداً . .

قال : أجل .. وهذا لايتم لي الا اذاصرت مسلماً كما ينبغي للمسلم أن يكون. ألا ترى معي أن المسلمين اليوم . . يصلون . . ويصومون . . ويسعون الى الحج و و و . . !

ولكن نادراً ما ترى منهم رغبة في الاستشهاد ، أو فهماً للموت في سبيل الله مع أن الجهادحكم حي .. ولد ليحيا مادام في الارض عدويشكل خطراً على الاسلام والمسلمين ولقدورد في الحديث عن رسول الله ما معناه .. أن الجهاد ماض مذ بعثني

الله الى أن يقاتل آخر أمتي رمز الضلال والفساد . . .

قلت : ولكن لابد للجهاد . من عدة ولا بد له من عتاد .. ولا بد له من مخططات ونفوس تبذل بلا حساب . . !

قال : أحسنت . . كل ذلك حق . . وهذه مشكلة المشاكل الا أن الجهاد حكم خالد ! لم يفقد موضوعه وظروف تشريعة ولا ينبغي له أن يفقدها . . فان كان لابد منه كان علينا أن نسعى اليه بايجاد طرقه ووسائله لان هذه الطرق وهذه الوسائل هي وحدها التي تقودنا للالتزام بحكم الله وتطبيقه بعيداً عن الخوف والذل والهوان . . .

قلت حمداً لله أرحت ضميري بكلماتك . وتقشعت من ذهني سحب من الظلام الكثيف ولا أستطيع أمام وعي حديثك الا أن ازداد لك حباً واعجاباً وتقديراً . . . ولعلك توافقني في النهاية . . أن صراعنا مع العدو صراع فكري . فليست المعركة بيننا وبينهم جيوش تتصدى لجيوش . . انما هي الأفكار يبثون سمومها في العقول . . وهي الافكار يبثون سحرها في النفوس ولا يسعنا نحن ازاء هذا الموقف الا أن نطلق سراح الافكار المسجونة ونرد على تزييف الفكر والتوائه.. قال اوافقك وربما توافقني أن اطلاق الفكرة الحية عملية خطيرة .. خطيرة جداً واذن فحملها والدعوة اليها جهاد في سبيل الله والموت دونها استشهاد في سبيله فادع الله معي يرزقني واياك الشهادة ... عن أي طريق .

قلت .. اللهم آمين .

ولكن . . أنا وأنت وحدنا . . اني أخشى أن لا نصل . . .

قال . . الله أكبر . . لا تخف ان الله معنا ... وحين يكون الله معنا .. تقصر المسافة.. ونكبر نحن .. وننمو كلما تأصل في قلبنا الايمان ...

* * *

وصمت . . واسترخيت . . وأحنيت رأسي اكباراً . . وأحسست بالنور يغمرني ويلفني من كل جانب . . وكأن هذه الكلمة كانت كافية لتولد في روحي طاقة حية من العزم والاقدام . . .والتفت الى الافق البعيد بنشوة الارتياح فلم أجد الا

نجمة السحر : حبة من نور يردد ضميرها بعشق ووله . . . الله . . . الله . . .

ننمو كلما تأصل في قلبنا الايمان ... ونكبر .

ان تنصروا الله ينصركم . . ويثبت أقدامكم . . . الله .. الله أكبر . . .

جلست..ودنى عمار مني بابتسامته وكدت لا أصدق ان هذا الوجه الفرح يمكن ان تمسه رعدة الدموع أو تناله اجهاشة البكاء . . .

ثم سألني :

خيراً يا يوسف هل حصل كل شيء . . يبدو أنك متعب أسأل الله تعالى أن يظللك بعنايته .

قلت : لا .. لا شيء . . لا أشعر بتعب ولكنني خجل من قدومي اليك في ساعة.. اظنك تخلو فيها الى نفسك ووحدتك .

قال : منذ احتضنتني السماء .. لم يعد في حياتي ساعة لي وساعة للاخرين ... غير اني أرجو يا ... يوسف أن نمزج الوقت بأهداف القضية كي لا ننفصل عنها ولو الى حين . . .

قلت : انني آمل هذا من كل قلبي . . . فأشد ما أضيق به أن أرى الزمن مجزأ بما لا طائل تحته .

قال : حسناً . . فما رأيك لو تصفحنا القرآن الكريم لنجول في رحابه جولة قصيرة عسانا نعثر فيه على شي جديد كنا غفلنا عنه . . فانه ان كان لابد للمسلمين من صحيفة هادفة . . تحلل الاحداث المعاصرة لترسم لهم وجهة المسير المفروض فليس مثل القرآن صحيفة خالدة لا كالصحف . . تعالج القضايا دون ان تبتعد خطوة واحدة عن دروب الانسان . . فلنتصفحه يا يوسف ولنجل في رياضه . . . حتى ينبلج الفجر . ! ونكون على استعداد تام للتوزيع فكل مسلم . . هو وكالة مسؤولة حكيمة . . للتوزيع . . .

قلت . . . من دواعي سروري وغبطتي ان أنفذ الى معالم القرآن لاعيش معه ومع نوره الفتي الزاهر بيد أني أتمنى قبل ذلك ان ترفع عن كاهلي ما مسني من

حيرة في الامس . . !

قال : خيراً . . أبعد الله عنك كل سوء . . وأبعدك عن كل مكروه . . . أسأله أن يوفقني لذلك .

قلت : سمعتك . . وبقيت أستمع اليك بـل الى نجواك الحارة ودعائك الملهوف .

قال : عفواً وما الذي سمعته من دعائي ؟

قلت : سمعتك تقول : اللهم ارزقني الشهادة !

قال : وهل في هذا غرابة أو عجب . !

قلت : لا لم أقصد . . قصدي . . لماذا تتمنى الموت .

قال : ومن الذي أخبرك اني اريد ان أموت .

قلت : ألم تبتهل ان يرزقك الله الشهادة . . .

قال : صحيح . . ولا زلت أبتهل وأتهجد . . لانه يكفيني من الدعاء راحة وهناء ، وطاقة تبثني السلام والصمود . . غير أني أردت من الشهادة شهادتين شهادة أن لا اله الا الله محمد رسول الله..وولاء أهل البيت(ع) فأنا دوماً ومذ تفتحت عيناي على اشراقة العقيدة أدعـو الله بحرارة يرزقني أن أصبح مسلماً كما ينبغي للمسلم أن يكون .

واستشهاداً .. من ثم احن اليه داعياً في سبيل حق حي لا يموت . . .

الاعجاز في القرآن الكريم (١)

السيد محمد حسين الطباطبائي - قم
في تفسير الميزان
عرض وتلخيص : حسين الكوراني

لاريب في أن آيات كثيرة ، من القرآن الكريم ، مكية ومدنية تدل على أن القرآن الكريم آية معجزة ، خارقة لنواميس الطبيعة . . ومما لابد من بيانه أن هذه الايات لاتتعرض لاثبات رسالة النبي محمد (ص) مباشرة ، بل واضح منها أنها تتعرض لاثبات اعجاز القرآن ، الامر الذي ينتج عنه صدق النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم ان هذه الايات المشتملة على التحدي ، مختلفة في العموم والخصوص ومن أعمها تحدياً ، قوله تعالى : «قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لايأتون به ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» .

وعموم التحدي المستقى من هذه الاية بكل وضوح ، يكشف لنا عن حقيقة هامة ، وهي أن اعجاز القرآن ، ليس في جنبة واحدة من جنباته المتعددة . . ولا في ناحية واحدة من نواحيه المختلفة . . بل كل جنبة منه وناحية ، هي في حد ذاتها معجزة . . اذ لو كان التحدي ببلاغة بيان القرآن فقط ، أو جزالة اسلوبه وحسب ،

---

(١) الاسراء ٨٨ .

لكان التحدي مخصوصاً بعرب العصر الجاهلي . . وبالعرب المخضرمين . . وكذا لو كان التحدي بناحية أخرى غير البلاغة وجزالة الاسلوب كالاخلاق والاخبار بالغيب والتشريع ، وسائر العلوم والمعارف . .

فعموم التحدي اذن يكشف لنا عن عموم في المتحدى به..ومن هنا كان القرآن الكريم معجزة للبليغ في بلاغته . . وللحكيم في حكمته ، وللمفتي والسياسي . . وللعالمين كافة ومعنى هذا أن القرآن الكريم يدعي عموم اعجازه من جميع الجهات وكل فرد من الانس والجن ، يمكنه ان يعمل عقله ويستهديه في أنه هل يتأتى لقوة بشرية أن تختلق معارف الهية مبرهنة ، تقابل ما أتى به القرآن وتماثله ؟ ؟

وهل يمكنها أن تأتي بتعاليم أخلاقية مبنية على أسس متينة ، تضارع ما أتى به القرآن الكريم ، في الصفاء والفضيلة . . ؟ ؟ هل يمكن للقدرةالبشرية المحدودة أن تصنع نظاماً كاملا لجميع نواحي الحياة ، صغيرها وكبيرها ، ما يخص الفرد منها وما يخص المجتمع ، دون انحراف ولو في تشريع جزئي عن روح التوحيد الذي هو القاعدة الكلية والأساس الاول ، الذي يلتزم به هذا النظام . . ؟ ؟

هذا الاتقان في التشريع الاسلامي والانسجام التام ، بين كل حكم ، والقاعدة التي تنبثق عنها الاحكام .. والانسجام التام بين الاحكام نفسها .. هذا الاتقان هل يمكن أن يصدر من رجل أمي ، نشأ في بيئة لم تشم رائحة الحضارة ، ولم تتذوق طعم العلم بيئة جاهلة تماماً لو لا هذا النظام الفريد لما كان التاريخ يذكرها في شيء ؟ ثم هل يكون شيئاً عادياً أن يأتي فرد بكتاب يدعي أنه هدى للعالمين ، ويودعه من أخبار الغيب حشداً تعجز البشرية عن أن تشكك في شيء منه ؟ ؟

وهل يتمكن انسان وهو الناقص المحدود . . والبشرية تسير في خطها التصاعدي نحو التكامل أن يتدخل في كل شأن من شئون الانسان ، ويقدم للبشرية ثروة ضخمة من العلوم والتشريعات والمواعظ ، والحكم والامثال والقصص ، ثم تكون هذه كلها في غاية المتانة والترابط والانسجام رغم أنها صدرت عنه ، في فترات زمنية مختلفة ومتباعدة ؟ ؟

ان الانسان العاقل يستطيع ان يرى بوضوح أن هذه القضايا ليست في مقدور البشر . . والذي لايمكنه الجزم بذلك بنفسه .. فالوجدان يرشده لان يرجع الى غيره كل في مجال خبرته واختصاصه . . يرجع اليهم ليستهديهم بعد أن عجز عن استهداء عقله ، الذي هو حجة الله عليه .

القرآن يتحدى بالعلم :

لقد تحدى القرآن ـ في جملة ما تحدى به ـ بالعلم والمعرفة : (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء) (١) الى غير ذلك من الآيات الشريفة الواردة في هذا الموضوع . ولم يكن هذا التحدي مجردا عن الدليل . . فهذه هي الشريعة الاسلامية الغراء ، لم تترك واقعة من الوقائع ، الا وبينت حكم الله فيها . فكانت بالنتيجة شريعة متكاملة ، لايشذ عنها شيء في شتى مجالات الحياة . . شريعة متكاملة لاتضاهيها كل النظم والقوانين التي جاء بها الانسان على مر الزمان .

وها نحن نرى في القرن العشرين أرقى نظامين بشريين ، يعجزان عن تلبية حاجات الانسان ولا يملكان تجاهها الا التحوير والتبديل لواقعهما يوماً بعد آخر . . بينما ماتزال الشريعة الأسلامية الخالدة ، رغم القرون المتتالية ، جديرة بحل مشاكل هذا الانسان ، وارجاع انسانيته وسعادته اليه ، وهنا قد يتبادر الى الأذهان هذا السؤال : كيف يمكن أن تبقى الشريعة الاسلامية مرجعاً ، في هذا العصر وما بعده مع ما ذهب اليه علماء الأجتماع والقانون ، من ضرورة تعديل القوانين ، بين الحين والآخر ، لتبقى متناسبة مع الواقع الحضاري المستجد . ولتبقى قادرة على مواجهة المشاكل الطارئة والقضايا المستحدثة ؟

ولا موضع هنا للاجابة التفصيلية على هذا السؤال ، والأجابة المجملة هي أن التشريع الاسلامي يبني أصوله وأسسه على الفطرة وعلى التوحيد والاخلاق

---

(١) النحل ـ ٨٩ .

الفاضلة الكامنة في النفس بالغريزة ، وهي أمور ثابتة في كل الاحوال ، لايعرضها التبدل والتغير مطلقاً ، فانها نابعة من كينونة الانسان ووجوده ، وتشرع مثل هذا التشريع الذي يبني أصوله وجذوره على الجانب الثابت الاصيل من حياة الانسان لا يتعرض لمثل هذه التحولات التي تتعرض لها القوانين الوضعية ، واما القوانين الوضعية فهي لما كانت تواكب الجانب المتغير من شخصية الانسان فهي بالطبع معرضة دائماً للتحولات الكثيرة.وذلك هوالسر في ثبات التشريع وتحول القانون الوضعي .

ويتحدى بالنبي الامي :

كما يتحدى القرآن بالعلم ، كذلك يتحدي بالنبي الامي (ص) الذي جاء بالقرآن المعجز في لفظه ومعناه..رغم أنه لم يتلق العلم من أحد ورغم أنه لم يكن من قبل معروفاً بغزارة علم أو سعة اطلاع، وقد جاء التحدي بقوله تعالى (قل لو شاءالله ما تلوته عليكم، ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمراً من قبله ، أفلا تعقلون)(١) .

لقد قضى النبي (ص) فيهم ثلثي عمره ، بشكل طبيعي تماماً . . لم يعرف عنه أنه مجل في فن أو محلق في اختصاص . واذا به بعد ذلك يواجههم بما عجز عن مقابلته أماثلهم . . وكلت دونه ألسنة بلغائهم . . واجههم بذلك ثم نشره في أقطار الارض ، فلم يجرؤ على معارضته أحد ، وغاية ما أخذوه عليه (ص) أنه أثناء سفره الى الشام ، تعلم هذه القصص من بعض الرهبان ، أو أنه تعلمها من رومي كان يعمل السيوف بمكة ، أو أنه تعلمها من سلمان الفارسي ، الذي هو من علماء الفرس ، وهو عالم بالأديان والمذاهب .

نعم لم تواجه هذه المعجزة الخالدة الا بمثل هذه الاباطيل الواهية . . فالسفر الى الشام كان مرتين فقط ، وفي المرتين كان مع النبي (ص) من يلازمه ملازمة

---

(١) يونس – ١٦ .

الظل . . واما الرومي المذكور فقد قال الله سبحانه وتعالى في رد شبهته : (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون اليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين) (١) .

وسلمان الفارسي قد آمن بالنبي (ص) بالمدينة ، وقد نزل أكثر القرآن بمكة ثم لو فرضنا محالاً أن النبي (ص) تعلم من هؤلاء ، أو من أحدهم شيئاً ، فمن أين له هذه المعارف والعلوم ، وهذه الحكم والحقائق ؟ ومن أين له هذه البلاغة في البيان والدقة في المعنى ؟ مما خضعت له الرقاب وكلت دونه الألسن الفصاح .

الى جانب هذا ينبغي أن يكون واضحاً ، أن من يراجع القصص القرآني ، ويقارنه بقصص العهدين يجد الفارق الكبير بينهما. فبينما يجد في العهدين عثرات وزلات منسوبة لانبياء الله الصالحين ، تنبو الفطرة عن أن تنسبها الى فرد عادي من الصلحاء . . نجد القرآن الكريم يبرؤهم منها . . . ويبوؤهم المكانة السامية التي تتناسب مع كونهم أنبياء الله ورسله الى البشرية ، لانقاذها من الظلمات الى النور .

فهل يوجد بعد ذلك كله ، مجال للتشكيك في القرآن الكريم ـ بأنه أخذ من العهدين ـ مع هذا الاختلاف البين والتفاوت الواضح ؟ ؟ ! !

القرآن يتحدى بالغيب :

تحدى القرآن بالأخبار عن الغيب ، بآيات كثيرة ، منها ما يختص بالماضي ومنها مايختص بالمستقبل وهذا القسم الثاني تحقق بعضه والبعض الأخر يتحقق في المستقبل ومما يختص بالماضي قوله تعالى : (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) (٢) و (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ، ما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) (٣) .

---

(١) النحل ـ ١٠٣ .

(٢) هود ـ ٤٩ .

(٣) يوسف ـ١٠٢ .

و(ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون) (١) و(ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) (٢)

ومما يختص بالمستقبل قوله تعالى : (غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) (٣) وقوله تعالى في رجوع النبي (ص) من المدينة الى مكة : (ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) (٤) وقوله تعالى : (لتدخلن المسجد الحرام انشاءالله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون) (٥) وقوله تعالى : (سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ، ذرونا نتبعكم) (٦) وقوله تعالى : (والله يعصمك من الناس) (٧) وآيات كثيرة في وعد المؤمنين ، ووعيد المشركين ، يطول الكلام اذا أردنا استعراضها جميعاً .

ومن هذا الباب آيات أخر في الملاحم ، نظير قوله تعالى : (وحرام على قرية أهلكناها ، أنهم لايرجعون ، حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، واقترب الوعد الحق ، فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ، يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا، بل كنا ظالمين) (٨) ، وقوله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) (٩) .

ويدخل فى هذا الباب أيضاً الايات الكريمة التي تتضمن حقائق علمية ، لم تكن معروفة فيما مضى، وبقيت مجهولة ، الى أن أميط عن وجهها اللثام فى هذا

---

(١) آل عمران ـ ٤٤ .
(٢) مريم ـ ٣٤ .
(٣) الروم ـ ٢ .
(٤) القصص ـ ٨٥ .
(٥) الفتح ـ ٢٧ .
(٦) الفتح ـ ١٥ .
(٧) المائدة ـ ٦٧ .
(٨) الانبياء ـ ٩٧ .
(٩) النور ـ ٥٥ .

العصر ، ؟ (وذلك كقوله تعالى : (وارسلنا الرياح لواقح) (١) ، وقوله تعالى : (وانبتنا فيها من كل شيء موزون) (٢) وقوله تعالى : (والجبال أوتادا) (٣) .

وخلاصة القول : ان القرآن الكريم قد تحدى ، بالاخبار عن الغيب ، تحدياً لايقبل المناقشة . والآيات الدالة على ذلك ، والصريحة فيه كثيرة وليس ماذكرناه الا طرفاً منها .

القرآن يتحدى بعدم الاختلاف فيه :

نزل القرآن الكريم نجوماً متفرقة ، مابين سورة ومقطوعة وآية ، طيلة ثلاثة وعشرين عاماً ، ونزل ايضاً فى حالات مختلفة متباينة ، فى آلحرب والسلم ، يوم العسر ويوم اليسر ، يوم الأمن ويوم الخوف ، فى الليل والنهار والسفر والحضر ، فى مكة وفي المدينة . . وتغرض لما دق وجل . . تناول القانون فجاء بأبدعه . . وتكلم فى الاخلاق فكان لهالقدح المعلى . . وتعرض للعقائد فلم يعتر لهجتهضعف ولم يخالط حجته وهن .

نعم : نزل القرآن فى أوقات متفرقة ، وحالات مختلفة. ولبيان علوم متنوعة ومع ذلك ، لم يقع فيه تناقض ولم يوجد فيه ادنى اختلاف .

فالاية تفسر الاية ، والبعض يبين الاخر . . والجملة تصدق الجملة . . كما قال أمير المؤمنين (ع) : (ينطق بعضه ببعض ، ويشهد بعضه على بعض) (٤) .

ولو كان من عند غير الله ، لكان مسرحاً للتناقض والاختلاف . . فالطبيعة البشرية ، لابد وأن تتأثر ، بما تمر به من مشاكل وصعوبات . واسلوب الشخص الواحد يتغير تبعاً للحالة التي يمر بها ، وكذلك قوة استدلاله ، ولهجته التيتطبع كلامه . .

---

(١) الحجر ـ ٢٢ .

(٢) الحجر ـ ١٩ .

(٣) النبأ ـ ٧ .

(٤) نهج البلاغة .

وكل ذلك لانجد منه في القرآن الكريم شيئاً ، رغم أن النبي (ص) قد مر في فترة نزول القرآن ، بمشاكل لا تحصى ، ولا تتحمل ، وتنقل في حالات شتى مختلفة . . وصدق الله سبحانه وتعالى حيث يقول : (أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) (١) .

هكذا وبكل وضوح ، يتحدى القرآن أن يكون فيه أي اختلاف .. والسؤال الان : هل قوبل التحدي بالسكوت ، أم كانت محاولات لابطاله ؟ ، والواقع أن المحاولات التي أرادت ان تثبت التناقض في القرآن الكريم، لم يكتب لها النجاح بل كانت هي متناقضة متهافتة .

وبما أن المجال هنا ، لايتسع لسرد تلك الدعاوى وانرد عليها ، فانا نحيل القارىء الكريم ، على مواضعها في كتب التفسير . ولكنا نود أن نشير هنا الى مسألة النسخ الواقع في القرآن الكريم ، والذي نص عليه في قوله تعالى : (ما ننسخ من آية أو ننسها ، نأت بخير منها) (٢) .

وقوله : (واذا بدلنا آية مكان آية ، والله أعلم بما ينزل) (٣) . فان البعض قد يتساءل معتبراً النسخ نوعاً من التناقض . . حيث ان القرآن ينفي اليوم ماأثبته بالامس وبالعكس .

ورداً على هذا نقرر ان النسخ ليس من أنواع التناقض أبداً . .كما انه ليس من قبيل اختلاف الرأي وتبدله . بل النسخ ناشيء عن تبدل المصلحة ، التي اقتضت بالامس ذلك الحكم . . وعندما تغيرت اليوم أصبحت تقتضي حكماً آخر وأوضح شاهد على مانقول أن الايات المنسوخة ، قد اقترنت بقرائن لفظية ، تشير الى أن هذه الاحكام ، التي تتضمن ذلك ، كقوله تعالى : (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم ، فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فان شهدوا فأمسكوهن في البيوت ،

---

(١) النساء ـ ٨٢ .
(٢) البقرة ـ ١٠٦ .
(٣) النحل ـ ١٠١ .

حتى يتوفاهن الموت ، او يجعل الله لهن سبيلا) (١) .

وقوله تعالى : (ودكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً) الى أن قال : فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بأمـره) (٢) . فهاتين الايتين ـ وقد جئنا بهما للتمثيل فقط ـ ورد في آخرهما مايشعر بنسخهما . وهل يعتبر من التناقض أن يتكلم انسان بكلام اليوم ،مشيراً الى أنه سيقول غيره فيما بعد لبعض المصالح والحكم وان يأتي بحكم ذي أمد زمني محدود ؟ !

التحدى بالبلاغة :

وتحدى القرآن أيضاً بالبلاغة ، كقوله تعالى : ١ ـ (أم يقولون افتراه ، قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله ، ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم ، فاعلموا أنما انزل بعـلم الله ، وأن لا اله الا هو فهـل أنتم مسلمون) (٣)

٢ ـ (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) (٤) والذي يدل على أن التحدي هو بالبلاغة أن ذلك هو الظاهر من شأن العرب آنذاك ، فلا يشك شاك في أنهم بلغوا من البلاغة مبلغاً لم يكن لاحد قبلهم ولا بعدهم .

وهذا التحدي الصريح الجريء للمشركين الذين هزهم هذا الدين الجديد.. وهدد مصالحهم غير المشروعة ، كان كافياً لتحريكهم الى مواجهته لو أنهم يستطيعون بل أقل من هذا التحدى كان كافياً لتحريكهم وهم في الحمية والعصبية من هم . . فقد كان دينهم التفاخر والتناحر ، . وعدم الاقرار على تحد مهما كانت العاقبة . . كان هذا ديدن الفرد والقبيلة وعادتهما ، فكيف بالعرب أجمع وهم يواجهون هـذا التحدي السافر ؟ ؟ «فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم ان كنتم صادقين) ، (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) .

(١) النساء ـ ١٥ .

(٢) البقرة ـ ١٠٩ .

(٣) هود ١٣-١٤ (٤) يونس ٣٨

وهل يتصور المرء أن سكوت القوم بعد هذا كله ، كان بدافع عدم الاكتراث لهذا التحدي ؟ كلا بل كان بدافع الخوف وخشيةالافتضاح من مواجهة هذا التحدى الجريء ؟ ! ! . . وقد تكرر هذا التحدي وطالت مدته، فلم يكن منهم الا الاستخفاء والفرار ، كما قال سبحانه وتعالى : (ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم ، يعلم ما يسرون وما يعلنون) (١) .

وها قد مضى على هذا التحدي ما يقرب من أربعة عشر قرنا ، وهو ما يزال قائماً ، ولكن لم يأت آت بشيء يبطله ، بل كل من حاول معارضة القرآن الكريم ، لم يرجع الا بفضيحة نفسه ، والكشف عن ضحالته وجهله .

الاعجاز بالكلام

ولقائل أن يقول : ما معنى الاعجاز فى الكلام ، وكيف يكون تأليفه بالغا حد الاعجاز،أليس الكلام من وضعهذا الانسان ؟! ألسنا نحن البشر الذين وضعنا الالفاظ لمعانيها ؟ أليست خاصية كشف اللفظ عن المعنى خاصية وضعية اعتبارية ؟ . ونجيب على هذه الاسئلة كلها بالايجاب . . فيقول السائل مرة أخرى اذن كيف يمكن أن يتحقق في اللفظ ، دلالة لايحيط بها الانسان ، واضع هـذه الدلالة ؟ «مع أن الفاعل أقوى من فعله ومنشأ الاثر محيط بأثره» وهناك شيء آخر وهو : لو فرضنا أن بين التراكيب العربية يوجدتركيب بالغ حد الاعجاز..كان معناه أن لكل معنى تراكيب مختلفة في النقص والكمال . . وبين تلك التراكيب تركيب واحد أرقاها جميعاً ، لايمكن للقدرة البشرية أن تناله وهوالتركيب المعجز ولازم هذا ان يكون لكل معنى تركيب اعجازي واحد لا أكثر . . وهذا اللازم مما لايمكن قبوله بحال ، فانالقرآن الكريم كثيراً ما أورد المعنى الواحد بصورمختلفة وتراكيب متغايرة فاما أن لايكون بعضها معجزاً ، أو يكون اللازم المذكور باطلا . .

---

(١) هود ـ ٥ .

الاعجاز بالصرف :

وهاتان الشبهتان قد ألجأتا جمعاً من الباحثين الى القول بأن اعجاز القرآن ، انما هو بالصرف ، أي أن الاتيان بمثل هذا القرآن ليس في حد ذاته معجزاً ، ولكن الله صرف الناس عن ذلك ، حفظاً لمقام النبوة ، وحفاظاً على الرسالة فالقرآن عند هؤلاء أيضاً معجزة ، ولكن اعجازه وعدم استطاعة الناس معارضته انما كان بصرف الله لهم عن المعارضة ، لابلوغ الكلام حداً ، يفوق القدرة البشرية ، ويستعصي عليها أن تأتي بمثله .

شبهات ثلاث

اذن نحن الآن امام شبهات ثلاث :

الاولى : ان دلالة اللفظ على معناه دلالة وضعها البشر واعتبرها البشر فيستحيل أن تبلغ حداً لايستطيعه واضعها ومعتبرها .

الثانية : مسألة التركيب المعجز ، بين التراكيب العديدة ، التي يلزم منها كون بعض التراكيب القرآنية ، غير بالغة حد الاعجاز .

الثالثة : شبهة الاعجاز بالصرف : وهذه الشبهة وان كانت نتيجة لسابقتيها الا أنها باعتبار آخر يصح جعلها قسماً ثالثاً ونحن نجيب عنها اولا ، ثم نتناول الشبهتين الاوليتين .

بطلان الاعجاز بالصرف :

لاشك في بطلان دعوى الاعجاز بالصرف ، لما يظهر من القرآن الكريم نفسه قال تعالى « قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما انزل بعلم الله »(١) .

---

(١) هود الاية ١٣

ألا ترى أن الجملة الاخيرة ظاهرة ، في أن القرآن نازل من الله سبحانه ، كما تجد اشارة الى ذلك في قوله تعالى : (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم ، وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون) (١)، وكذا قوله تعالى (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) (٢) .

وخلاصة القول : أن ظاهر القرآن الكريم أنه كلام نازل من الله سبحانه وأن الذي يعجز الناس عن الاتيان بمثله ، هو كونه بنفسه معجزاً .

مع الشبهة الاولى :

تتلخص هذه الشبهة فيأن البلاغة من صفات الكلام الموضوع ووضع الكلام كان من الانسان . . ويستحيل أن تصل البلاغة حداً يستعصي على الانسان ، لانها من نتاجه وآثاره .

ونقرر فى الجواب أن البلاغة ليست عبارة عن كشف اللفظ عنمعناه بل هناك جهتانأخريان تعتمدانعلىرجاحةالعقل وقوةالادراك ولابد منتحققهما لتتحققالبلاغة

أ ـ القدرة على البيان والايضاح ، والافصاح عما يختلج في الضمير .

ب ـ الاحاطة بالواقع الذي يراد التعبير عنه ، ونقله الى المخاطب .

والذي هو من الانسان ، ووضعه هو كشف اللفظ عن معناه اما الجهتان التاليتان فليستا كذلك ونفهم من هذا أن كشف اللفظ عن معناه . ليس علة تامة للبلاغة ، بل هذه الامور الثلاثة المجتمعة هي التي تتحقق البلاغة بتحققها فلا يمكن أن يكون الكلام بليغاً ، بمجرد أن يكون المتكلم يعرف حشداً من الالفاظ كما أن البلاغة ستظل ناقصة ، ما دام لا يعتمد الحقيقة ولا يعبر عن الواقع .

فالكلام الجامع بين عذوبة اللفظ وجزالة الاسلوب ، وبلاغة المعنى ، وحقيقة

---

(١) الشعراء ـ ٢١٢ . (٢) النساء ـ ٨٣ .

الواقع هو أرقى الكلام . ولئن كانت ناحية كشف اللفظ عن معناه ، غير قابلة للتفاوت ، فان الناحيتين التاليتين قابلتان لذلك تماماً .

ومن هنا يبدو بكل وضوح أن استناد وضع اللغة الى الانسان لايقتضي أن لا يوجد تأليف كلامي فوق قدرته ، وأعلى مما يستطيع هو أن يأتي به . . وهل هذا القول الا كقولنا بأن صانع السيوف يجب أن يكون أشجع ممن يستعملها ؟ ! !

مع الشبهة الثانية :

تتلخص هذه الشبهة ، في أنه بناء على أن يكون هناك تركيب بالغ حد الاعجاز يجب أن يكون لكل معنى تراكيب مختلفة، أحدها هو ذلك المعجز .. فكيف يجتمع هذا مع تعبير القرآن ، عن معنى واحد بتراكيب عدة ، يفترض فيها أن تكون جميعاً معجزة ؟ ؟ ! !

وقد اتضح جواب هذه الشبهة ، مما سبق ، فهي ناشئة عن التخيل الخاطىء ، وهو أن البلاغه المعجزة تدور مدار اللفظ ولذا ينبغي ان يكون التركيب المعجز واحداً أما وقد عرفت أن البلاغة المعجزة تدور مدار المعنى الحافظ لجميع جهات الصورة الذهنيه والواقع الخارجي ..مدار التعبير عن المعنى المطلوب بألفاظ عذبة . . واسلوب جزل ، دون خطأ فى الصورة المأخوذة والمتكونة فى الذهن ، ودون خطأ فى الواقع الذى أخذت عنه الصورة ، أما وقد عرفت ذلك ، فقد انتفت هذه الشبهة ولم يبق لها مجال .

للبحث صلة

عتبات المقدسة (٢)

النجف الأشرف

(١)

تعتبر النجف منذ عهدطويل يناهزالالف عاماً معهداً للدراسات الاسلامية العالية في حقول الفقه والاصول والتفسير والفلسفة الاسلامية وما يتصل بذلك من شؤون العقيدة والفكر الاسلامي . وقد هاجر اليها شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي عام ٤٤٨ هجرية على اثر محنة معروفة امتحن الله بها هذا الشيخ العظيم .

ونحمل الشيخ هذه المحنة وأمثالها برحابة صدر وسعة صبر ، ايماناً منه بان القيام بمثل هذه الرسالة لايتم من غير هذه التضحيات الجسام .

فلم تفت هذه المحنة في عضد شيخنا الطوسي ولم ينسحب من ميدان العمل بعد ان تطاول عليه السن وظهرت الشيخوخة على قسمات وجهه الكريم .

واستقر رأيه على أنينتقل من بغداد الى النجف الاشرف مرقد أمير المؤمنين (ع) ليجدد من نشاطه الاسلامي والتثقيفي ولم ينتقل الشيخ الطوسي الى مدينة الامام علي

(ع) حتى التفت حوله هالة مباركة من طلبة العلم والعلماء المخلصين ، فوضع بيديه الكريمتين الحجر الأساس لهذا البناء الشامخ في هذه المدينة المقدسة .

واخذ يؤم النجف من حينه عدد كبير من رواد العلم والفضيلة يقطعون اليها المسافات الشاقة الطويلة لينهلوا من نميره العذب ، وليتزودوا بزاد العلم والمعرفة ، ثم يعودوا فينتشروا في اطراف البلاد الاسلامية لينشروا الافكار والمعارف التي تزودوا بها ووعوها .

ولذلك انتشرت حلقات الدرس والبحث منذ ذلك الحين في هذه المدينة الكريمة وتفرغ العلماء والباحثون للبحث والتحقيق في شؤون الفكر الاسلامي ، وتظافرت جهود مباركة في هذا المجال وتشعبت الدراسة الى مختلف حقول المعرفة مما صح معه ان تطلق على هذه المدرسة اسم «الجامعة النجفية» فأصبحت من كبريات الجامعات الاسلامية المعاصرة في دراسة الفكر والتراث الاسلامي .

مراحل الدراسة في مدرسة النجف :

وتتم الدراسة في النجف على ثلاث مراحل :

١ ـ دراسة المقدمات وتقوم مقام الدور الابتدائي .

٢ ـ دراسة السطوح وتقوم مقام الدور المتوسط (الاعدادي) .

٣ ـ دراسة الخارج وتقوم مقام الدراسات العالية .

ويقتصر الطالب في الدور الاول على دراسة الادب والمنطق فيدرس من الادب النحو والصرف والعلوم البلاغية والعروض وبعض النصوص الادبية .

ومن المنطق يتعاطى (الشمسية) وبعض شروح التهذيب و (المنطق) . ويمتاز الطالب النجفي باهتمامه البالغ بآداب اللغة العربية في هذا الدور من حياته الدراسية.

ففي النحو يدرس مثلا (مغني اللبيب) لابن هشام وشرح الشيخ الرضي على الكافية وهو من اهم الموسوعات النحوية، وفي البلاغة يدرس (المطول) للتفتازاني وهو من اوسع الكتب في البلاغة والنقد الادبي .

واذا علمنا ان اللغة العربية لم تلق من الاعراض والاهمال فى تاريخها الطويل مالاقته فى القرون المتأخرة ، قبل عصر النهضة،عرفنا بعض ماأسدته مدرسة النجف الاشرف الى لغة القرآن الكريم .

وفي الدور الثاني يتفرغ الطالب لدراسة الكتب الفقهية والاصولية والفلسفية واسلوب الدراسة المتعارف فى هذا الدور هو ان يتفق الشيخ الأستاذ والطالب على كتاب خاص ، مما يتعاطاه الطلاب عادة فى هذا الدور من حياتهم الدراسية . فيقرأ الشيخ مقطعاً من الكتاب ثم يشرح الموضوع بما يزيل عنه الغموض والاجمال ثم يستعرض بعض النقود التي ترد عليه ، والتي تضج بها حواشي الكتاب فى الغالب ، ويحدد موقفه من جميع ذلك ، ويستمع بعد ذلك لما يثيره الطالب من تعليقات ، فيصحح آراءهم ، اذاكانت بحاجة الى التصحيح، او يتنازل عند رأيهم اذاكانت جديرة بذلك. وفى هذا الدور يقرأ الطالب من الفقة الاستدلالي عادة شرح اللمعة الدمشقية للشهيد الثاني والمكاسب للشيخ الانصاري . ويقرا من الاصول كتاب (معالم الدين) . والقوانين المحكمة،وشاعت اخيرا دراسة (اصول الفقه)للشيخ المظفر . وبعد ذلك يأخذ الطالب بدراسة (فرائد الاصول) للشيخ الانصاري ، وهو يشتمل على مباحث القطع والظن والاصول العملية والتعادل والتراجيح .

ويعتبر كتاب الفرائد مثالا رائعاً لما توصل اليه الفكر النجفي في دراساته لاصول الفقه ، وتجربة ناجحة في تجديد مناهج البحث الاصولي وفتحاً علمياً في هذا المجال من الفكر الاسلامي

وقد لايجد الباحث الفقيه مثل هذا التطور في المنهج، والتجديد في الصياغة في مجال الدراسات الاصولية في غير مدرسة النجف .

ونحن نود أن تلاحظ هذه التجربة الفكرية الضخمة التي تمخضت عنها مدرسة النجف الاصولية من قبل فقهاء المسلمين من المدراس الاخرى ، وفقهاء القانون على اختلاف مدارسهم القانونية بعين الاعتبار، ليتاح لنا ان نسهم جميعاً في تجديد مناهج البحث الاصولي .

ونحيل الباحث الفقيه الى استعراض هذا الكتاب استعراضاً عاماً ليلمس فيه الخطوط البارزة لنطوير البحث الاصولي ، وتجديد مبانيه في المدرسة النجفية ، كما المحنا اليه .

ومما ينبغي ان نشير اليه هنا ان المدرسة النجفية لم تقف بعد ذلك عن التطور في هذا الحقل من حقول الفكر الاسلامي ولم يقف الباحثـونبعد الشيخ الانصاري عن محاولات تجديدية في هذا الباب .

ويقرأ الطالب بعد ذلك (كفاية الاصول) للمحقق الخراساني وهو كتاب يجمع بين سعة البحث وعمق النظر وايجاز التعبير ، ويعتبر اليوم مدار البحث والتعليق والنظر في المدرسة النجفية المعاصرة .

وينتقل الطالب بعد ذلك الى الدور الأخير من حياته الدراسية بعد أن وقف علىهذه الآفاق الرحبة من الفكر الاسلامي، وفي هذا الدور ينتقل الىدراسة الخارج وفيه تقع مهمة التحضير والاعداد على الطالب نفسه ، من غير ان يتقيد بمصدر علمي خاص ، فيقوم الطالب بنفسه قبل ان يحضـر المحاضرة باعداد مادة المحاضـرة من فقه أو أصـول أو تفسير ، ثم مراجعة اقوال العلماء في هذه المادة ومـا يمكن ان يصلح دليلا لها وما يمكن ان يناقش به هذا الدليل ، ثم يحاول الطالب ان يستخلص لنفسه رأياً خاصاً في هذه المسألة .

فاذا فرع من هذا الاعداد حضر بحث (الخارج)ليستمع الى توجيهات الاستاذ في دراسة المادة المتفق عليها ، والبحث عن اطرافها وعما يتصل بها ، وما يمكن ان يصلح دليلا لها وما يناقش به ، ورأي الاستاذ في نهاية المطاف .

ويختلف الاستاذ كثيراً عن طلابه في صياغـة الدليل واعداد البحث ومناقشة الاراء ، والـرأي الذي يتبناه في المسألة ، فيتعرض الطالب لمناقشة الاستاذ فيمـا يختلفان فيه من وجوه الرأي والبحث ، بعد ان كون لنفسه رأيا في المسألة ، وقد يتفق انيشتدالخلاف بين الاستاذ وطلابهفي حلقةالبحث فيتبلورلدىالاستاذالشيخ الوجه الاخر من الرأي فينزل عند آراء الطلاب ولايفقد هذا اللون من المناقشة الاستاذ

وقاره الخاص ، وقد اعتاد الاساتذة في المدرسة النجفية على ان يجمعوا بين وقار الشيخوخة وانصاف الحق ، حيثما كان .

ومن ذلك يظهر ان الدراسة الخارجية في النجف الاشرف نحو من الاشراف في البحث يقوم به اساتذة متضلعون في البحث ، مارسوا التدريس والبحث والنظر كثيراً ، وعرفوا باصالة الفكر وعمق النظر ودقة الالتفات وسعة الاحاطة .

وتتسع حلقات درس الخارج تبعاً لشهرة الاستاذ العلمية ومدى نجاحه في البيان وطريقة العرض، ويتفق ان يحضر حلقة من هذه الحلقات اكثر من الف طالب .

وقد كان يحضر درس المحقق الخراساني مؤلف (كفاية الاصول)ـ كما ينقلـ اكثر من ثلاثمائة مجتهد . ويستمر الطالب على هذا النمط الخاص من الدراسة في الفقة والاصول والتفسير حتى يبلغ مرحلة الاجتهاد في الوقت الذي يقوم به ايضاً بادارة حلقات دراسية خاصة من(الدور الاعدادي)،وعندما يبلغ الطالب مرحلة الاجتهاد، ويطمئن الاستاذ اليه في البحث والاستنباط وصوغ الدليل والجمع بين الاحاديث ووجوه الرأي ومناقشة الاقوال . . . يشهد له (بالاجتهاد) فيستقل الطالب ، بعد أن قطع هذه المرحلة الطويلة التي تستغرق اكثر من ربع قرن . . بالاجتهاد وابداء الرأي والتوجيه .

وخلال هذه الادوار الثلاثة يتعاطى الطالب اطرافاً من الثقافات الاخرى ، كالحساب والهندسة والجبر والفلك والنجوم والعروض ولغة اجنبية والملاحظ ان الدراسة في هذه الحقول وان كانت خارجية عن صميم الدراسات النجفية ورسالة الطالب النجفي، ودون المستوى النهائي ، الا انها لاتفقد العمق والدقة المتعارفة في الدراسات النجفية.

التعميق والتدقيق

واهم ما يميز الدراسات الفقهية والاصولية والقرآنية والفلسفية في النجف الاشرف على كثير من الجامعات العلمية الاخرى هو التعمق والتدقيق العلمي .

فهو ميزة من ميزات النجف الكثيرة .

والطالب النجفي ينشأ على هذا الشكل ويتعود على هذا النحو من التعميق والتحقيق فى كل المراحل العلمية واسباب ذلك كثيرة نجملها فيما يأتي :

١ ـ انفتاح باب الاجتهاد

من العوامل البارزة فى تكوين العقلية العلمية المعمقة فى جامعة النجف الاشرف وكذلك الجامعة العلمية فى قم المقدسة انفتاح باب الاجتهاد واستمرار الفقيه فى محاولة اكتشاف الحكم الشرعي واستنباطه من الأدلة الفقهية دون توقف .

ومن الطبيعي أن الاستمرار في محاولات الاستنباط وتعاقبها يؤدي الى تطوير عملية الاجتهاد والدراسات التي تعد لها .

فلا يكاد يقنع الفقية الامامي المؤمن بالانفتاح بطبيعة موقفه الايجابي من الاجتهاد بآراء الفقهاء المتقدمين دون ان يحاول أن يجدد النظر فى محتواه الداخلي من حيث الفكر وفى اطاره الخارجي من حيث الصياغة ، ودون ان يحاول اعادة التجربة التى عاناها السابقون عليه من الفقهاء ، لعله يتوفق الى وجه جديد من الرأي ونظرة جديدة فيكون قد أدى ما عليه وفرغ من عهدة التكليف ببذل كل ما فى طاقته من وسع .

ولا يتأتى للفقه الاسلامي أن يواكب حاجات الانسان فى مختلف ظروفه الفردية والاجتماعية اذا اغفلنا عنصر التطور فى هذا التشريع (١) فان الجمود فى الاجتهاد على وضعية اجتماعية خاصة يفقد الفقه الاسلامي اكبر ميزاته التشريعية . والاجتهاد فى المذهب لايختلف عن الاقتصار على النصوص الفقهية فى شيء ، ومالم يطلق الفقه من قيد حصر الاجتهاد فى مذهب خاص لا يتأتى للفقه الاسلامي ان يساهم ككائن حي فى تسيير الحياة الاجتماعية ، وتطوير الاوضاع الاجتماعية ، ومواكبة الحاجات البشرية المتطورة .

والفقيه الامامي اينما كان فى النجف الاشرف ، وفى جامعة قم المقدسة ،

---

(١) راجع المدخل الى دراسة التشريع الاسلامى : محمد مهدى الاصفى .

او في اي جامعة دينية اخرى . . . يضطر بحكم موقفه الايجابي من الاجتهاد أن يتخذ موقفا ايجابياً من الاحداث الاجتماعية ، ويواكب الحاجات البشرية ، ويعالج قضايا الساعة ، على ضوء من نصوص الكتاب والسنة والقواعد التشريعية العامة .

واذا علمنا ان كثيراً من البلدان الاسلامية تتوجه الى هؤلاء الفقهاء لتعرض عليها ما تتجدد لها من حاجات وما تعانيه من مشاكل ، وتطلب منها العلاج على ضوء من تعاليم الاسلام . . . علمنا حساسية موقع الفقه الامامي من الاحداث الاجتماعية وقضايا الساعة، وكل يتطلب من الفقيه ان يقف موقف المقيم من الاحداث ويبلور عناصر التطوير والتجديد في التشريع الاسلامي ، ليعرض النظرية الاسلامية بوضوح في كل مايحدث من جديد في الحضارة وفي المدنية .

وكل ذلك يعود الفقيه على ممارسة النظر والتفكير المستمر، والتعميق والدقة المتناهية في الاجتهاد والتفكير . وبهذه المناسبة نقترح ، على اخواننا من السنة ، باخلاص ، ان ينظرو الى مسألة الاجتهاد نظرة جدية ، ويدفعوا التشريع الاسلامي الى مستوى الاحداث وقضايا اليوم . ونعرض عليهم بهذه المناسبة التجربة الشيعية الضخمة في مجالي الفقه والأصول ، لنتفق معاً على منهج واحد في الاجتهاد في حدود مصادر التشريع الاسلامي الاصيلة .

٢ـ طبيعة دراسة الحلقات

وطبيعة الدراسة في النجف بهذا الشكل يستدعي تعميقاً اكثر في البحث ، ويتطلب حرية اكثر في الرأي ، ولا سيما في حقل دراسة البحث الخارج، والطابع العام لهذه الحلقات هو الحرية الكاملة في الرأى والتعبير ، ومن حق الطالب ان يقطع على الاستاذ المحاضر درسه ويناقشه في آرائه ، ولا يجد الاستاذ مهما بلغت شهرته العلمية حرجاً في نفسه أن ينزل عند رأي الطالب اذا كان يجد الحق في جانبه .

وقد يتفاقم الخلاف بين الاستاذ والطلاب وبين الطلاب أنفسهم ، ويخرج امر

الدرس عن سيطرة الأستاذ ، وتتعالى الاصوات ،ويشتد الخلاف بين الطلاب ،وينفض المجلس من غير ان يستطيع الاستاذ ان يسترد زمام المجلس . واذا علمنا أن من الطلاب الذين يحضرون حلقات درس الخارج فى كثير من الأحيان مجتهدين كباراً يشار اليهم بالفضيلة ، فى كثير من الأحيان . . . عرفنا مدى تأثير دراسة الحلقات بهذا الشكل من حرية التفكير فى بلورة الفكر الاسلامي وتعميق الدراسات الاسلامية فى مدرسة النجف الأشرف وقد كان يحضر بحث المحقق الخراساني ما يزيد على ثلاثمائة مجتهد ،كما اسلفنا وما ظنك بدرس يجمع هذا العدد الضخم من المجتهدين والباحثين ، وبما يثار فى هذا المجلس من نقاش ، وبما يرتفع من كلام ، حتى كان الطالب يضطر أن يقوم فى بعض الأحيان على قدميه،حينما يلاقى اعراضاً من الأستاذ الشيخ فى الأصغاء اليه ، الاستاذ على الالتفات اليه ، كما ينقل عن بعضهم .

وفى مثل هذا الجو العامر بالبحث والتحقيق والتعميق ينشأ الطالب النجفى ، وتتبلور لديه مسائل الفكر الاسلامي .

وقلما يجد الانسان جواً دراسياً عامرا بالحرية الفكرية كالأجواء الدراسية التي يعيشها الطالب النجفى ، وقلما يجد قاعدة للدراسة مثلها يلتقى فيها مثل هذا العدد الضخم من الباحثين والشيوخ ليبحثوا فيما بينهم شؤون الفكر باشراف من الرئيس المعترف بفضله .

٣ ـ الاجواء النجفية :

وللاجواء الفكرية والاجتماعية التي يعيشها الطالب الديني فى النجف تأثير كبير فى تكوينه العلمي والفكري ، وتبين للباحث من خلال هذه الأجواء السمات البارزة لشخصية الطالب النجفى .

وللاجواء النجفية طبيعة خاصة ، قد لا تتوفر فى غير النجف ، الانادراً وهي تركيب ، تدخل فى تكوينه طبيعة البيئة النجفية وقدسية المرقد العلوي وتاريخ المدرسة الطويل والحياة الفكرية والمرجعية الاسلامية . وقد كان لهذه الأجواء

كماسنلمس خلال هذا الحديث تاثير كبير في تعميق البحث وابعاد الضحالة والسطحية عن الدراسات العلمية .

ففي هذه الأجواء العامرة بالتفكير والتعبير والنقاش الحر والاحتكاك الذهني وتضارب الاراء يتبلور الوجه الحق من الرأي ، وتتعادل الاراء ، وتتقارب وجهات النظر ، ويصحح بعضها بعضاً في حلبة الصراع ، ويصفو الجو .

وفي النجف الأشرف في داخل الحوزة العلمية، توجد في كل مكان ندوة عامرة بالعلم والفكر ويكاد يزيد تأثير هذه الندوات العلمية في تكوين الشخصية العلمية للباحث النجفي على تأثير الدراسة نفسها .

فان الطالب مهما اوتي من الحرية الفكرية ، والاستاذ مهما كان مرناً في تلقي النقود من قبل الطلاب لايكاد يتجاوز في كثير من الاحوال حدود الادب واللياقة ورعاية اداب الدرس .

اما في هذه الندوات فترتفع هذه التحفضات ويزول هذا الالتزام . والباحث حينما يلقي وجهاً من الرأي على الحضور لا يلقي الكلام على عواهنه من غير ان يفكر في نتيجة هذا الكلام ، وفيما يثار حوله من نقد ، ويتجاوز حدود الرفق احياناً وهذا النحو من الاحتكاك العقلي القائم في الأجواء العلمية من ندوات ومجالس واجتماعات منتشرة هنا وهناك يبعث على النشاط الذهني المثمر والتعميق في البحث.

ولنذكر على هذا النحو من الاحتكاك الذهني مثلا ، ليلمس القارىء من قريب طبيعة الأجواء النجفية .

يحكى ان المرحوم السيد الصدر لما قدم الى النجف أثار في مجالس النجف وانديتها شبهة علمية اثارت ضجة علمية في وقتها واختلفت الاجوبة والمحاولات في علاجها .

والشبهة اشكال على استصحاب الكلي في بعض صوره .

فمن المعروف ان الاستصحاب يجري في الكلي كما يجري في الشخصي وأن

المستصحب كما يكون شخصياً يكون كلياً ايضاً وادلة حجية الاستصحاب لا تخص المستصحب الشخصي ، ولذلك فقد بنى الفقهاء على حجية الاستصحاب في الكلي ايضاً على نحو الاجمال .

وقد اورد المرحوم السيد الصدر في زيارته للنجف شبهةعلىجريان الاستصحاب في بعض اقسام المستصحب الكلى .

وتتلخص الشبهة في أنه لو علم بنجاسة احد جانبي رداء ولم يعلم موضع النجاسةبالذات وترددالامر بين طرفي الرداءفطهر المكلف طرفاً واحداً من طرفي العلم الاجمالي كالطرف الايمن مثلا ، فمن الواضح ان نجاسة الرداء في هذه الحالة تصير مشكوكة فمن المحتمل ان تكون النجاسة في الطرف الذي طهره المكلف وبناءاً على صحة جريان استصحاب الكلى يجري استصحاب نجاسة الرداء ، ولازم ذلك نجاسة ملاقي الطرفين : الجانب الذي طهره المكلف والجانب الذي بقي مشكوك النجاسة ، اما لو لاقى شيء الطرف المشكوك فقط دون الطرف المطهر فلا يتنجس بناء على ما هو المعروف والصحيح من عدم تنجس ملاقي بعض اطراف المعلوم بالاجمال وهو شيء غريب حقاً ، فان الملاقي لايتنجس بملاقاة الطرف المشكوك فقط ، اما حينما ينضم اليه ـ في الملاقاة ـ الطرف الطاهر فانه يتنجس .

والعقدة في هذه المشكلة هو الاستصحاب الذي يؤدي الى نجاسة ملاقي الطرفين معاً .

وقد أثارت هذه الشبهة كثيراً من البحث والنقاش في الندوات العلمية في النجف الاشرف وعولجت من قبل اعلامها بمناقشات مختلفة لسنا بصدد الحديث عنها الان .

٤ ـ مداولة النظريات على القمة :

ولا تقتصر المداولة والنقاش في الحوزة على هذا الصعيد العام ، وفيما بين الطلاب انفسهم اوفيما بين المتفرغين ، او بين الطلاب وشيوخهم فقديعرض المرجع

الدراسي الكبير لطلابه رأياً خاصاً له في مسألة من مسائل الفقه والاصول ، ويتلقاه الطلاب عنه بعد نقاش وخلاف يطول او يقصر ويعرض مرجع آخر من مراجع التدريس رأياً آخر لطلابه ، يختلف مع النظرية الاولى ويتلقاه عنه طلابه بعد نقاش وكلام ، وتتبلور النظرية في كل من الجانبين على هذا المستوى الرفيع ، فيقوم الطلاب بدور حلقة الوصل في هذه المواقع لنقل احتجاج كل من الجانبين الى الآخر ويثار النقاش في الحوزة حينئذ على هذا المستوى الرفيع .

فقد يهون على الاستاذ ان يقنع طلابه باتجاهه الفكري الخاص ويدحض حججهم ولكن الخلاف عندما يثار على هذا المستوى ، بين المراجع انفسهم ، بصورة غير مباشرة ، يتخذ شكلا آخر ، ويتطلب كثيراً من الاناة والتفكير والتعمق في البحث وقد كان الخلاف في العقد السابق من هذا القرن قائماً على قدم وساق في الابحاث الاصولية بين المراجع الثلاثة للتدريس في الحوزة ، وهم : الشيخ ضياء الدين العراقي والميرزامحمد حسين النائيني والشيخ محمد حسين الاصفهاني .

وكان هذا الخلاف يتمخض في غالب الاحوال عن نظريات جديدة في الفقه والاصول واتجاهات حديثة في الاجتهاد . ويجد . الباحث ظلالاً من هذه الخلافات فيما خلفوه لنا من تراث فكري ضخم في الفقه والاصول ، ولا سيما في الاثر الذي خلفه هؤلاء الثلاثة في الاصول من كتاباتهم الخاصة او تقرير تلامذتهم .

وتحمل النجف الاشرف رسالة ضخمة تناسب مكانتها الاجتماعية من الوطن الاسلامي الكبير ومسؤولياتها الكبيرة عما يجرى من الاحداث وما يتجدد من الاحوال في العالم الاسلامي .

فهي تحتل منذ الف سنة هذه الموقعية الحساسة من العالم الاسلامي والتي تحملها من المسؤوليات الكبيرة ، بقدر ماتعطيها من القيمة والمركزية الاجتماعية في العالم الاسلامي بشكل عام ، وفي الاوساط الشيعية بصورة خاصة .

وهي في الوقت الحاضر تعتبر في عداد قلة مرموقة من الحواضر ومراكز الاشعاع الفكري في العالم الاسلامي .

ولا يسعنا في هذا المجال ان نستعرض بتفصيل المسؤوليات الاسلامية الكبيرة التي تقوم النجف الأشرف باعبائها ، وانما نحاول ان نلمح في هذا البحث الى جوانب من رسالة النجف الاسلامية فقط لكي يلمس القارىء من خلاله ضخامة الدور الذي قامت به النجف الأشرف خلال الف سنة من تاريخها .

١ ـ المرجعية في الفتيا والتوجيه

ولكي نفهم ما يراد من هذه الكلمات يجب ان نلحظ :

اولا : ان طبيعة المرجعية الاسلامية تختلف عن المرّجعية في أي شيء آخر ، فعندما توضع (المرجعية) في اطار (التشريع الاسلامي) تتسع لكل مايعني الانسان من شأن في حياته ، فيما يتصل بشؤونه الفكرية والمادية .

وتحديد المرجعية الدينية في الأسلام في اطار مسائل العبادات لا مبرر له بالنظر الى سعة مفهوم الدين في الاسلام . ولا يملك المسلم ان كان يؤمن بالاسلام عقيدة ونظاماً للحياة ان ينحرف عن التوجيه الاسلامي في شأن من شؤون حياته ، مهما كان لونه ، ولا يقف الاسلام موقفاً سلبياً من أية ظاهرة اجتماعية ، والمسلم لايملك بحكم ذلك الا ان يحدد موقفه من الظواهر الاجتماعية التي تحف به ، بالشكل الذي يقرره التشريع الاسلامي ، ولذلك فالمرجعية الدينية في غيبة الامام عليه السلام تقوم مقام (الحكومة ـ والسلطة الاسلامية) بما في هذه الكلمة من شمول وعمق .

وفي احاديث اهل البيت دلالة واضحة على ذلك :

يقول الامام العسكري عليه السلام في تعريف شخصية المرجع وموقف جمهور المسلمين من مراجع التقليد (. . . من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظا لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لامر مولاه فللعوام ان يقلدوه) .

ويقول الامام الصادق عليه السلام (انظروا الى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا ، وعرف احكامنا ، فارضوا به حكماً ، فاني قد جعلته

عليكم حاكما . فاذا حكم ، حكم بحكمنا ، ومن لم يقبل منه فانما بحكم الله استخف وعلينا رد ، والراد علينا راد على الله ، وهو على حد الشرك بالله) .

وثانيا : ان الفقه الاسلامي يملك في محتواه الداخلي من عناصر التطوير مايجعله صالحاً لمسايرة الاوضاع الاجتماعية في كل عهد . وتحديد الاجتهاد بظروف اجتماعية خاصة ، كانت تقتضيه ، لامبرر له ، عندما تزول تلك الظروف وتحل محلها ظروف اجتماعية اخرى .

ولا يمكن ان يحتفظ الفقه الاسلامي ، بما فيه من عناصر الحياة والتطور ، مالم يتفاعل مع الاحداث بصورة مستمرة ، يتفتح لما يحدث في المجتمع من حاجة جديدة أو وضع ، ويحدد لنفسه من كل ذلك موقفاً تشريعياً واضحاً،مستمداً من صلب التشريع ومن مصادره الاصلية .

وقدكانت النجف الاشرف منذ عصر بعيد،اي منذ حل فيها شيخ الطائفة الشيخ الطوس تعتبر مقراً للمرجعية العليا في الفتوى والتوجيه .

وخلال هذه العصور لم يخل العالم الشيعي من مراكز اخرى للمرجعية والقيادة الاسلامية . فقد كانت كربلاء المقدسة والحلة الفيحاء وسامراء وقم المقدسة مراكز اخرى للمرجعية خلال هذه العصور . وفي العصر الحاضر ايضاً تعتبر الجامعة العلمية في قم المقدسة مركزاً هاماً للمرجعية وفي طليعة مراكز الاشعاع الفكري الاسلامي الا ان جامعة النجف العلمية لاتزال تحافظ على موقعينها الحساسة والهامة في التوجيه المعنوي والقيادة الاسلامية .

٢ ـ الدعوة الاسلامية :

وهو وجه آخر من هذه الرسالة الضخمة التي تقوم بها النجف .

وللتبليغ والتبشير مظاهر مختلفة في هذه الجامعة الاسلامية ، فالخطابة الدينية مظهر من هذه المظاهر . ومن النجف ينطلق التوجيه الخطابي ، بصورة واسعة ،

وينتشر الخطباء من النجف الى ايران وافغانستان وباكستان والهند وسوريا ولبنان والكويت والبحرين وسواحل الخليج ، وبعض الانحاء من القارة الافريقية ويقومون هناك بأداء رسالتهم الاسلامية على اوسع نطاق فيخطبون في المسلمين ويجيبون على اسئلة المراجعين منهم ويقومون بتوجيههم وبمعالجة بعض ما يعانون من مشاكل وصعوبات .

والبعثات الدينية جزء آخر من رسالة النجف ، ففي كل سنة ينحدر من النجف عدد من البعثات الدينية والارساليات الاسلامية لينتشروا في أرجاء العالم الاسلامي وليقوموا هناك بالدعوة والتوجيه والتثقيف الديني .

والكتابة والنشر ايضاً جانب من جوانب رسالة هذه الجامعة المقدسة والنجف الاشرف من هذه الناحية مركز هام في العالم الاسلامي للاشعاع الفكري بما ينشر من كتب ورسائل ومجلات حافلة بقضايا الفكر الاسلامي وشؤون العقيدة والتشريع وهي تقف دائماً بالمرصاد لكل المحاولات التي يقوم بها اعداء الاسلام في الشرق والغرب للنيل من الاسلام وللتشكيك في عقيدة المسلمين بدينهم ورسالتهم .

وكانت للنجف مواقف جريئة وقوية ضد موجات الالحاد التي اجتاحت العالم الاسلامي في الاونة الاخيرة وكمثل على ذلك نذكر موقف النجف الجريء والشجاع ضد المد الاحمر الشيوعي الذي اجتاح العالم الاسلامي بشكل عام والعراق بصورة خاصة ، فقد وقفت النجف ضد هذه الحركة موقفاً مشرفاً وقوياً ، وقاومت كل اساليب التضليل التي قامت بها هذه الحركة على الصعيد الفكري ، وعلى صعيد الفتوى . فعلى الصعيد الفكري واجهت النجف الشيوعية بنقد فكري عنيف قلما تلقته الشيوعية من واجهة فكرية اخرى وعلى صعيد الفتوى لصدرت المرجعية في النجف الاشرف فتوى تكفير الشيوعية وتحريم الانتماء اليها مما ادى الى ضعضعة الكيان الشيوعي في العراق ، وفي البلاد الواسعة التي تتصل بالنجف في شؤون الفكر والعقيدة ، كما وقفت النجف موقفاً من هذا القبيل من حزب البعث الحاكم في العراق ، وقاومت محاولاته في القضاء على الوجود الاسلامي ، وكشفت عن

نواياه واعماله المناوئة للاسلام . وقد كان من تأثير هذا الموقف ان شن الحزب الحاكم حملة ارهابية وحشية على المرجعية والمعاهد العلمية في النجف الاشرف، وسفر عدداً كبيراً من الشخصيات العلمية الاسلامية بصورة وحشية ، وزج بآخرين منهم في السجن .

ولكن النجف رغم كل ماتلاقي من المحن في سبيل الله ستبقى صامدة في سبيل اعلاء كلمة الله ونشر رسالته ، لتحقيق المجتمع الاسلامي ، واقامة حكم الله تعالى على وجه الارض ، وتعبيد الانسان ، انما يكون ، لله تعالى .

والتاريخ يشهد لها ان ماتلقاها من المحن في سبيل الله تزيدها الاصمود أوقوة ضد الجاهلية والانحراف .

٣ ـ انعاش الحركة العلمية والادبية :

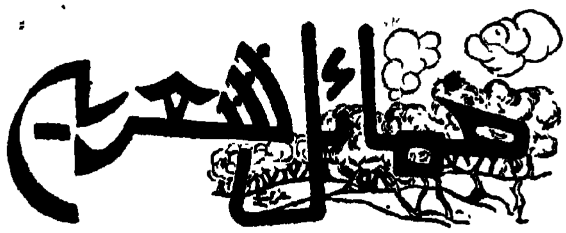
وهذا جانب ثالث من رسالة النجف الاشرف فقد بلغت مدرسة النجف القمة في دراسة الفقه واصوله وطورت من اتجاهاتهما وجددت النظر فيهما وبلورت مفاهيمهما

ويكفي ان يلقي الانسان نظرة واحدة على الموسوعات الفقهية النجفية كجواهر الكلام و كشف الغطاء ومفتاح الكرامة ومستمسك العروة الوثقى ليلمس مدى تطور البحث الفقهي في مدرسة النجف .

وفي دراسة الأدب يكفي ان نقول ان الشيخ الرضي الاسترابادي كتب موسوعته النحوية الكبيرة (شرح الكافية) بحمى المرقد العلوي ، كما يشير الى ذلك هو في كتابه قبل ما يقارب من سبعمائة سنة وهو من اكبر الموسوعات والمصادر النحوية .

وفي المكتبة النجفية تراث فكري ضخم في الحديث واصوله والرجال والتأريخ والرياضيات والفلك والادب. والنجف الاشرف منهل عذب من مناهل الشعر ، وفيها يجد الباحث آفاقاً رحبة والواناً جديدة من الشعر .

اما بعد فهذه لمحة خاطفة عن الحياة الفكرية في النجف الاشرف نرجو ان نكون قد وفقنا في عرضها بامانة واخلاص .



اللقيا الوهوب

محمد علي اكبر

لربيع الخير يا نفس استجيبي … وبقلب النور يا نجواي ذوبي
ها هو الركب فماذا بعده … غير تسبيحة حب وحبيب ؟
ايها الاخوة في أضعلنا … ظمأ يرنو للقياه الطروب
كم اقاموا اخوتي من حجب … فكثيب أسود اثر كثيب
غرسوا الاحقاد في أبعادنا … وصغى البعض لاحقاد الغريب
ثم عدنا . . يا دنا الكفر اخسأي … نزرع الخطو على وقع مهيب
نزرع الخطو معاً نحو العلى … بجنان ثابت العزم دؤوب
مرحباً يا قادة قد صعدوا … في مراقي العلم بالفكر الاريب
نحن ان لم نفرش الحفل لكم … من ورود ونجوم وطيوب
فلقد رفت على ارواحكم … من حنايانا تسابيح القلوب

* * *

ما أحيلي اليوم فيه نلتقي … ونجاوانا منى الكون الرحيب
يا رفاق الحق في قلبي شجى … زرعته كل هاتيك الكروب
سفر الالام في عاطفتي … قد احال الحرف دنيا من لهيب
فالعروق انبجست في دمها … ثورة . . تزأر . . تدعو للهبوب

كيف كنا . . ليتنا في صحوة   لنرى النــور بطيات الغيــوب
كان منــا الفــرد يلقى أمــة   بجنان الاسد والقلب الغضوب
مشرق الطلعة ان لاحت لـه   جولـة لله في قلب الحــروب
باسـم الوجـه اذا ما زرعـت   في حشاه شربة الموت الحبيب
فهــو الشمـس ضـرام لاهب   وهـو البـدر بلئلاء وهـوب
فـاذا شـعت لـه بـارقـة   من كتاب الله في لطف وطيب
خشـعت أوصالـه وارتعـدت   فهي منها في رفيف ووجيب
ورعيـل جـمعـت أحـلامـه   ففداء هـو للنصر القريب
سمت التقوى بهم فانحسرت   كل دعوى مـ حسيب او نسيب

* * *

امس قد مرت بنا الدنيا التي   اقفرت الا من التيـه الجديب
فـزرعناهـا حقـولا للهـدى   ووهبناها من الفكر الخصيب
هكـذا كنـا كرامـا قـادة   وترانا اليوم فـي دل عجيب
كيف اصبحنا . . وعدنا أمة   خبطت عشواء في درب مريب
صـور كان لهـا ان تنجلي   في سرانا بمنى عـزم دؤوب
آه لكن سـكرت اجيالنـا   كالنشـاوى بين آثام وكـوب
يسـتحم العتم في أفكارنـا   فلنا منـه افانين الشحـوب
جسـد يصهـره العري ومـن   قبل أن يلفح بالفكر المذيب
يرقص العـار على اشـلائنا   ويغني العهر للجرح الصبيب
ارضنـا يضرى بهـا اعـداؤنا   وقوانا . . آه . . في صمت كئيب
وحـدود . . قيدتنا . . زمنـاً   فلقانـا . . كغريب بغريب
والمقـاييس سـراب خـادع   نتباهى بأكـول أو شروب
او صـراخ وهـزيج مـائج   فكأن النصر في الصوت الرهيب
والحروف امتهنت في سوقها   مـذ غفت عنها عيون للرقيب
وخطيـب مصقع في أثـره   ـ كلما كلّ ـ لنا الف خطيب
هيه . . هيا . . ارزموا . . ياويحنا   أبهـذا عودة المجد السليب؟

صرخـة القرآن دوت في المـدى   تطلب العون لها هل من مجيب؟

* * *

ايه يا وفد الرباط الفذ في   هيبـة العلم واصرار وهـوب
نحن من عاصمــة العلم هنــا   نفتح الصدر لكم في كل طيب
فلتعـانق روحنــا أرواحــكم   ولنذد عن ديننا كل الخطوب (*)

الربط . . . والرابطة

« . . فالرابطة مكلفة على الصعيد الثقافى بأن تقوم باستقصاء الانماط الفكرية الثقافية ومحاولة تقييمها ومن ثم العمل على تقريب هذه المستويات من بعضها راجية ان تمنح الامة المستوى الثقافى المتميز الموحد . . . ، وعلى الصعيد العملى . . بأن تقوم بعملية خلق للتفاعل الاحساسى بين كل قطاعات الامة .

وعلى الصعيد العقائدى بازالة الحجب الكثيفة من سوء الفهم بين المذاهب الاسلامية . . . »

(من كلمة الترحيب بوفد رابطة العالم الاسلامى)

(*) القيت هذه القصيدة تحية لوفد رابطة العالم الاسلامى ، بمناسبة زيارته لدار التبليغ الاسلامى العامرة .



محمد عبد العلي

تنفست الجداول ،
سالت الأكمام أغنية من الألوان .
وللابعاد بوح الماء . وهو يتيه . .
ينسج زرقة الشطآن
تبرجت الحقول البكر ، لمعت الحجارة
صمتها الأبدي بالاغصان
وساج أنت كالاكفان ! !

* * *

ومر العيد ، بعد العيد ،
جارحة هي الأصداء باقية
تدير بذهني الأقداح
لمن عبروا . . ترنحت المعابر بالخطى والشمس ، والاثمار
سواي وضجت الأفراح
سواك وضجت الاحزان
وساج أنت كالاكفان!!

* * *

ومر العيد بعد العيد ،
مغتر باعلى الأبواب
ومسفوحاً على الطرقات ،
ولم تسمع خطاه البيض ، لم تسمع
وفي الساحات برق الضفة الاخرى على الاثواب
ومجمرة من التاريخ فوق توهج الاطفال
وتجهش حولي الاسوار ، والمذياع ، والاقفال
فتنخب في دمي الاكواب
وتثلج حولك النيران
وساج أنت كالاكفان! !

* * *

لبقيا من نثار الريش
فوق تمزق الامواج
لمركبك الذي ما عاد يمسح وحشة الافاق
سأحمل واحة الأشواق
وتعبر قلبي السفن الشتائية
وفيك توقف الماضي ،
الذي نضجت به الأعناق
وما سقطت بكف الريح لم تبرح أثيرية
تخلد فجأة الاشراق
أجل ، ها ، تلك
قد زفت هي العقبان
وساج أنت كالبركان

* * *

شموع وقناديل

قالوا غداً ...

قالوا : غداً تهمي سحائبنا ... فرجعت ادراجي أقول . . غداً
لكنني لما مددت يدي ... وأدرت طرفي لم أجد أحدا
لا تسألوا عنهم ، وان سألوا ... لا تذكروني عندهم . . أبدا
لا يملأ السروال واحدهم ... ولهم وعود تملأ البلدا
ياليتني ضيعت معرفتي ... من قبل أعرف منهم أحدا

الشاعر القروى

الجندى المجهول

نحن الحفاة السائرون على الحصى ... نحدوا السراة الراكبين خيولا
للمجد نحملهم على اكتافنا . . ... ولربما حمل الخفيف ثقيلا
حتى اذا عثر الاديب تفرقوا ... عنه فلا يجد الأديب مقيلا
طرقوا المهاجر فاتحين ، وليتهم ... فتحوا قلوباً مثلنا وعقولا . .
لو تعرف الفصحى مدى خدماتنا ... ضفرت لنا من شعرها اكليلا
لا بد من يوم أغر محجل . . ... نلقى المنية فيه ، والتبجيلا
لم يخلد الجندي ، وهو محارب ... كخلوده في قبره مجهولا

جورج صيدح

اليتيم

أذكى على القلب من جمرله شرر | مدامع من جفون اليتم . . تعتصر
بات اليتيم بجنح الليـل يـذرفها | عن مقلة لم يبارح جفنها السهر
قارورة مـن دمـوع كل أونـة | على الصعيد من الاهات تنكسر
تجرى وليس لديها من يكفكفها | بعطفه حينمـا يطغـى فتنفجـر
كـأنها قـدح صـهبـاؤه علـق | أو جمـرة بين ينبوعين تستعـر
عين مقـرحـة الاجفـان منبـعها | قلب جريح براه الحزن والضجر
وارحمتـاه لطـفل بائـس نكد | أدمى حشاشته مـن بؤسه ظفـر
باتت تعانقه البلوى على مضض | كما تلف بجيـد الرازح الزبـر
وبـات مضجعه ممـا يكابـده | يكاد يعرب لـولا انه.. حجر . .
في حين يبصر من اترابه زمراً | هـم الملائك لـولا انهم بشـر

عبد المنعم الفرطوسى

رسالة الحرف

عالم الحرف في جبين الزمان كاختـيـال النسيـم كالبـركان
ذلك الحرف وهو يعصر من فكر مـندى بـروعـة الايـمـان
هـو حرف لو شع في كل قلب سوف يخضل بالنهى والاماني
هو حرف تجـن فيه الأعاصير فتـهوي مشارف الـطغـيـان
هو حرف لو استفاق على الصخر لـرفت مبـاسـم الـريحان
هو حرف من بسمة الفجر اندى ومن اللطف في حجال الغواني
هو مثل النسيم يبدع في الأفق هدوءاً لـو قـرأفـق المـكان
وهو مثل البركان لو عصف الشر فيهمـي الفـضـاء بالاحـزان

هاشم الهاشمي

ما روى في بدء الخليقة

الشيخ ابراهيم الانصارى

وردت فيما يتعلق بابتداء الخليقة روايات تفسر الايات بما لا دليل عليه من القرآن ولا من السنة الصحيحة ، بل بعضها مخالف لظاهر القرآن ، وبعضها مخالف للعقل .

مانعنى من الاسرائيليات

ونحن بعد التأمل والتتبع رأينا اكثرها موافقة لما عند اليهود من المدارك المقبولة ، وحيث ان اكثرها منقولة عن علماء اليهود الذين اظهروا الاسلام، وبعضها منقولة عن الصحابة والتابعين الذين كانوا يعتمدون على علماء اليهود ويأخذون عنهم فلذا نذكر هذه الروايات فى ضمن الروايات الاسرائيلية ، فالمراد من الاسرائيليات فى محل البحث ، ما دل دليل او شهدت قرينة في سند الرواية او متنها على كونها مأخوذة من اليهود .

واما القطع بذلك والحكم بأنه كذلك واقعاً . فيحتاج الى اثبات عدم ورود مضمونها ، فى رواية صحيحة . ونحن لسنا بصدد نقل ما هو مأخوذ من اليهود واقعاً بل نريد ذكر ما فيه قرينة وشاهد على ماذكرنا .

والموجود فى كتب التاريخ والتفسير من هذا الروايات ثلاثة اقسام :

القسم الاول: ما اخبر به بعض علماء اليهود امثال كعب ووهب عما يتعلق بابتداء الكون من دون اسناده الى النبي الاكرم (ص) او الى واحد من الصحابة والتابعين .

القسم الثاني: مارواه بعض هؤلاء مع اسناده الى رسول الله (ص) .

القسم الثالث: مااسندوه الى بعض الصحابة والتابعين . ونحن نكتفي من كل واحد من هذه الاقسام بذكر بعض رواياته :

القسم الاول : فيه روايات كثيرة نذكر منها ما يلي :

١ ـ روى ابو جعفر الطبري بسنده عن عبد الله بن سلام انه قال :

ان الله خلق الارض يوم الاحد والاثنين ، وخلق الاقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء ، وخلق السموات في الخميس والجمعة ، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة ، فخلق فيها آدم على عجل ، فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة) (١) .

٢ ـ وعن كعب الاحبار «بدأ الله خلق السموات والارض يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وفرغ منها يوم الجمعة ، فخلق آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة . قال : فجعل مكان كل يوم الف سنة) (٢) .

٣ ـ وعن وهب بن منبه قال : (ان العرش كان قبل ان يخلق السموات والارض ثم قبض قبضة من صفاء الماء، ثم فتح القبضة فارتفع دخان، ثم قضاهن سبع سموات في يومين ، ثم اخذ طينة من الماء فوضعها مكان البيت ، ثم دحى الارض منها ، ثم خلق الاقوات في يومين ، ثم فرغ من آخر الخلق يوم السابع) (٣) .

٤ ـ وروى الفخر الرازي في تفسيره فقال : قال كعب : خلق الله تعالى ياقوتة خضراء ، ثم نظر اليها بالهيبة ، فصارت ماء ، وبعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ، ثم وضع العرش على الماء) (٤) .

٥ ـ وفي تفسير الرازي ايضاً قال : خلق الله السموات والارض ملتصقتين ، ثم خلق ريحاً توسطهما فتقبلها) (٥) .

---

(١) تفسير الطبرى ج ١ ص ١٩٥ .

(٢) تفسير الطبرى ج ١٢ ص ٣ .

(٣) الطبرى ج١ ص .

(٤) مفاتيح الغيب ج ٧ ص ٤٨٥ .

(٥) مفاتيح الغيب ج ١ ص ١٤٦ .

٦ ـ وقال ايضاً : وروى صاحب الاثر : انه كان عرش الله على الماء منذ خلق الله السموات والارض ، فاحدث الله في ذلك الماء سخونة، فارتفع منه زبد ودخان اما الزبد فبقي على وجه الماء ، فخلق الله فيه اليبوسة ، واحدث منه الارض ،واما الدخان فارتفع وعلا ، فخلق الله منه السموات) (١) ثم ذكر الرازي انه موافق للتوراة الموجودة .

ما يرد على هذه الروايات

ويرد على هذه الروايات اولا : انه لم يقم دليل على صحة هذه الآراء لان كعب الاحبار وغيره من علماء اليهود لم يكونوا حاضرين عند خلق السموات الارض ، ولم يكونوا عالمين بالغيب ، فكيف اطلعوا على كيفية خلقهما وماجرى هناك من الوقايع ولقد قال الله تعالى : (ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً) (٢) فاذا لم يشهدهم الله فكيف يشهدون،واداء الشهادة فرع لتحملها ورؤية المشهود به .

وربما يقال : بانهم كانوا يخبرون بما سمعوه من النبي (ص) ، ولكن في مقام النقل لم يصرحوا باسمه (ص) ، واكثر هؤلاء لم يدركوا النبي (ص) اصلا ، مثل كعب الاحبار فانه انما آمن في زمن خلافة عمر او عثمان على اختلاف الروايتين ، ووهب بن منبه متأخر عنه ايضاً ، لانه في رتبة تلاميذ عبد الله بن عباس ،وعبد الملك بن جريج متأخر عن وهب ايضاً،فهم اما ان يخبروا من عند انفسهم،او عن النبي(ص) بواسطة شخص آخر ، فيجب ذكر الشخص الذي اخبرهم ، فالرواية اذن تكون مرسلة، مع ان فرض ترك الاسناد الى النبي (ص) في فرض كونها مروية عنه(ص) بعيد جداً اذ لامحذور في ذكر اسمه الشريف ، ولا يجوز اسناد حديثه (ص) الى انفسهم. اما عبد الله بن سلام فهو وان ادرك النبي (ص) ولكنه لم يرو هذه الرواية عنه

---

(١) مفاتيح الغيب ج ٧ ص ٤٨٥ .

(٢) سورة الكهف آية ٥١ .

(ص) بل اخبر من عنده وعلى فرض روايته عنه فقد ضعفه علماء الرجال (١) .

وثانيا : ان اليوم او اليومين او الايام المذكورة في الايات فسرت في هذه الروايات بالمعنى المعهود عندنا لتصريحها بأن المراد بالأيام الستة المذكورة في القرآن الكريم هي عبارة عن الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة واكثرها تصرح بان السبت خارج عن هذه الستة ، وان الله تعالى لم يخلق فيه شيئاً

وكل عاقل يعلم ان فرض الاحد والاثنين وغيرهما فرع على وجود اصل الليل والنهار ، وهما معلولان لحركة الارض الموضعية في مقابل الشمس ، فقبل خلق السموات والارض والشمس والقمر لايعقل وجود ليل او نهار حتى يوجد مايسمى بالاحد او الاثنين او غير ذلك .

والقرآن الكريم اقتصر على ذكر اليوم او اليومين او الايام ، واليوم ليس صريحاً في اليوم المصطلح لكثرة استعماله عرفاً في المدة المحدودة من الزمان او كل امد موهوم ، وان لم يكن طلوع الشمس من المشرق وغروبها من المغرب موجودا فيه ، كما في يوم القيامة الذي ورد فيه : (وان يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون) (٢) وقوله تعالى : (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم) (٣) ومعلوم ان الاستخفاف بهذه البيوت لايختص باليوم دون الليل بل المراد وقت ظعنكم ووقت اقامتكم ، وقوله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون : (ياقوم لكم الملك اليوم) (٤) والمعنى لكم الملك في هذه المدة من الزمان ، اي في هذه الأيام والليالي .وقوله تعالى :(كل يوم هو في شأن) (٥) والمعنى كل آن او كل زمان ، والالزم اختصاص شؤونه تعالى بالايام دون الليالي

(١) تنقيح المقال كلمة عبد الله ابن سلام .
(٢) الحج ـ ٤٨ .
(٣) النحل ـ ٨٠ .
(٤) غافر ـ ٢٩ .
(٥) الرحمن ٢٩ .

وقوله تعالى حكاية عن اهل النار : (ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب)(١) اذ المراد مدة من الزمان ، اذ ليس فى جهنم يوم ولا ليل ، ولا يفرق بحالهم ايضاً وقوله تعالى (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) (٢) يعني زمان غلبة الروم على فارس يفرح المؤمنون ، ولا تعنى خصوص اليوم المقابل لليل .

فهذه الآيات وغيرها من الموارد والتي استعملت فيها كلمة «يوم» بمعنى مطلق الزمان وكذا موارد استعمالها من الاحاديث والاخبار ، وكلام العرب واشعارهم ، يدل على ان استعمال هذه الكلمة بمعنى الزمان المطلق شايع فى الاستعمالات الشرعية والعرفية ، اما لأنه حقيقة ثانية ، او مجاز مشهور لا يحتاج حمل الكلام عليه الى مؤونة زائدة .

فملاحظة هذه الاستعمالات ، وان حمل اليوم على مقابل الليل كما هو المعهود غير متصور قبل خلق السموات والارض يقتضي حمل كلمة يوم أو يومين أو أيام مما ذكر فى آيات خلق السماوات والارض على قطعة من الأمد الموهوم المناسب للازل ، على ماذكره جماعة من المحققين واختاره جمهور المتكلمين فى مسألة (حدوث العالم زماناً) واليه يشير الفخر الرازى حيث يقول : (معناه انه مضى من المدة زمان لو كان هناك فلك وشمس لكان المقدار مقدراً بيوم) .

او كما قال الحكيم المحقق الداماد فى معنى الدهر بأنه وعاء المجردات وان السرمد بمنزلة الزمان للواجب ، وان حدوث العالم المادي برمته ومنه الزمان ، حدوث دهر يعلم بقياسه الى عالم الدهر ، كما ان حدوث عالم الدهر بأجمعه حدوث سرمدى ، يعلم بقياسه الى الواجب .

وهذا هو القدر المتيقن من الآيات لا اليوم المعهود كما صرح به فى بعض هذه الروايات وكما صرح فى التوراة بان المقصود اليوم المقابل لليل ، ولذا صرح فيها بان هذه الايام كانت مشتملة على الصباح والمساء ، حيث كررت فيها هذه الجملة

---

(١) غافر ـ ٤٩ .

(٢) الروم ـ ١ .

(وكان صباح وكان مساء يوماً واحداً) (١) .

ومحصل هذا الاشكال ان اليوم بالمعنى المذكور في هذه الروايات لايمكن تصوره فضلا عن تصديقه .

روايات اسرائيلية :

القسم الثاني ماارواه ونسبه علماء اليهود الى النبي(ص) ونذكر من رواياته مايلي.

١ ـ مارواه الطبري في تاريخه ، عن هناد بن السري ، عن ابى بكر بن عياش ، عن ابى سعد البقال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال هناد : وقرأت سائر الحديث على ابى بكر : ان اليهود اتت النبي (ص) فسألته عن خلق السموات والأرض فقال : خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء ومافيهن من منافع وخلق الشجر يوم الأربعاء، والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه اربعة ، ثم قال : (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين، وتجعلون له انداداً ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسي من فوقها ، وبارك فيها ، وقدرفيها اقواتها في اربعة ايام ، سواء للسائلين) (٢) قال : وخلق يوم الخميس السماء ، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقيت منه، فخلق من اول ساعة من هذه الساعات الثلاث الاجال : من يحيى ومن يموت ، وفى الثانية ألقى الافة على كل شيء مما ينتفع به الناس ؛ وفى الثالثة خلق آدم ، واسكنه الجنة ، وامر ابليس بالسجود له ، واخرجه في آخر ساعة ؛ ثم قالت اليهود ؛ثم ماذا يامحمد ؟ قال : (ثم استوى على العرش) (٣) ، قالوا: قداصبت لو اتممت . قالوا : ثم استراح ، فغضب النبي (ص) غضباً شديداً فنزلت الاية : (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون) ، وتكرر

---

(١) العهد العتيق سفر التكوين الاصحاح الاول .

(٢) فصلت آية ٩ .

(٣) تفسير الطبرى ج ٢٤ ص ٩٤ .

نقل هذه الرواية في كتب التاريخ والتفسير والحديث ، مثل تفسير الطبري ، والدر المنثور ، وتفسير الفخر الرازي ، وغيرها ، ولكن سندها ودلالتها ضعيفان ، اما السند ففيه عكرمة ، وقد قال فيه علماء الرجال والحديث انه كان قليل العقل خفيفاً ، وانه كان يحدث برأي نجدة الحروري ، وكان اول من احدث رأي الخوارج في المغرب ، وكان ينسب هذه العقيدة الى ابن عباس ، ولاجل هذه العقيدة تركه مالك بن انس ، وكان ابن عمر يقول لمولاه نافع : (اتق الله ويلك يانافع لاتكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس) وكان سعيد بن جبير يقول لغلامه برد : (يابرد لاتكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس) ، وقد كان علي بن عبد الله بن عباس قيده ، وكان يضربه فسئل في ذلك فقال : لانه يكذب على ابي ، وقال يحيى بن سعيد انه كان كذاباً ، ونقل عن القاسم بن محمد : مايدل على ان عكرمة نفسه اعترف على نفسه بالكذب وجعل الحديث (١) .

واما (ابو سعيد البقال) فانه ضعيف عند علماء الرجال والحديث ، وقد ضعفه البخاري ، وابن ابي حاتم ، والنسائي ، وغيرهم ، ونسبوا اليه الكذب والتدليس، وغير ذلك (٢) فهذا حال سندها .

واما دلالتها : فقد ذكر في هذه الرواية أنه تعالى خلق يوم الأربعاء المدائن والعمران والخراب ، ومن المعلوم ان الله تعالى لم يخلق مدينة واحدة ، فضلا عن المدائن، وكذلك العمران فهو من فعل البشر ، فليس هناك مدينة يكون بناؤها بيد الله بلا توسط بشر . واما الخراب فلا يتصور قبل العمران والبناء ، مضافا الى انه امر عدمي ليس قابلا للخلق ، وعلى فرض تصوره لاوجه لخلق الخراب من اول العالم وايضاً مامعنى خلق الآجال -من يحيى ومن يموت- فان اريد تقدير ها وتعين اوقاتها فلا يناسب التعبير بالخلق ، وان اريد خلق نفس الموت والحياة ، فلا معنى لخلقهما قبل خلق النفوس القابلة للحياة والموت ، الامجازاً كما في قوله تعالى : (الذي خلق

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٦٣ .

(٢) تهذيب التهذيب ج٤ ص ٧٩ .

الموت والحياة ليبلوكم) (١) وعليه فالانسب التعبير بخلق الموت والحياة لاخلق الاجال من يحيى ومن يموت) .

ثم مامعنى القاء الافة في كل شيء مما ينتفع به الناس ؟ وما سببه ؟ اليس هذا من باب اخذ الدية قبل الجناية ؟ . وهناك نكتة يجب التنبيه عليها وهوان ترتيب هذه الرواية يخالف فى بعض خصوصياته الترتيب المذكور في العهد القديم ،ومع هذا فاليهود كيف صدقوا بهذه الرواية ولم ينكر واعليه ؟

٢ ـ وروى الطبري ايضاً عن القاسم بن بشر بن معروف ، والحسين بن علي الصدائي ، قال حدثنا الحجاج ، قال : قال ابن جريج : اخبرني اسماعيل عن ايوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، مولى ام سلمة ، عن ابي هريرة قال : اخذ رسول الله (ص) بيدي فقال : خلق الله التربة يوم السبت ،وخلق فيها الجبال يوم الاحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلثاء ، وخلق النور يوم الاربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق ادم بعد العصر من يوم الجمعة، آخر خلق خلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل) (٢)

قال مالك : (ابن جريج) حاطب ليل ، وقال ابن معين ليس بشيء ، وقال الدارقطني تجنب من تدليس ابن جريج فانه قبيح التدليس لايدلس الا فيما سمعه من مجروح، وذكر علي ابن المدني في كتابه ، سألت يحيى بن سعيد ، انه يقول : ابن جريج ليس بشيء كله ضعيف ، انما هو كتاب رفع اليه ، وكان نسبه رومياً يهودياً ، وحسبه اموياً وكان من ابطال الاسرائيليات ،

وهذه الرواية مضافاً الى ضعف سندها ، مخالفة لصريح القرآن ، فقد صرح في مواضع من القرآن بان خلق السموات والارض وما بينهما كلها كانت في ضمن الستة ايام ، وفي هذه الرواية جعلها سبعة ايام ، لادخالها السبت فيضمن هذه الايام ، وايضاً ما معنى خلق المكروه ، فهل المكروه شيء معين من الموجودات ؟ او ان كل موجود محبوب عند مسانخه ، ومكروه عند معانده ؟ فالذئب محبوب للذئب ومكروه للشاة . . . وهكذا ؟ !

للبحث صلة

---

(١) الملك آية ٢ .

(٢) تاريخ الطبرى ج ١ ص ٢٣ .

الهادى فى

الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي

السيد هادى الخسروشاهى

تلقينا دعوة كريمة من (وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية في الجزائر) للاشتراك في الملتقى العالمي السابع للتعرف على الفكر الاسلامي . وقـد انعقد المؤتمر فى يوم ١٠ جمادى الثانية ١٣٩٣ ه الموافق ١٠ تموز ١٩٧٣ ولمدة اثني عشريوماً ، وحضرته مندوباً عن الحوزة العلمية في قم المقدسة ، ومبعوثاً من اسرة مجلة (الهادي) الغراء .

وقد انعقد المؤتمر هذا العام فى مدينة (تيزي‌وزو) التي تبعد بمقدار ١٢٠ كم عن الجزائر (العاصمة) وفي قاعة معهد التكنولوجيا العـالي ، وقد حضر جلسات المؤتمر المتتابعة ما يقرب من ١٥٠٠ شخص يشكـل مايقرب من مئتي شخص منهم العلماء والمفكرون والشخصيات الاسلامية اللامعة والأساتذة المشهورون في الاقطار الاسلامية المختلفة في حين يشكل القسم الاكبر منهم الطلاب الجامعيون في الجزائر والذين اختيروا للحضور بالقرعة. وبالطبع فان عقد هذا المؤتمر في الجزائر سنوياً يهدف بالاضافة الى العرض العام للافكار الاسلامية التي يحملها علماء اجلة ومفكرون لهم سابقة فى الدعوة ومناقشة هذه الافكار ، بالاضافة الى ذلك فـانـه يهدف لتعريف الشعب الجزائري وخصوصاً الجيل الشاب المثقف والطلاب الجامعيون بذلك وصولا الى الثقافة الاسلامية المركزة والاصيلة ، ويمكننا ان نتبين اهمية ذلك اذا لاحظنا ان الجزائر المسلمة كانت ترزح وخلال ١٣٠ سنة تحت نير الاستعمار الخارجي الذي حمل فيما حمل مهمة الاستعمار الفكري ، والتبشير المسيحي، ومع ان الجزائر كانت قد اكدت رغم كـل الظروف على شخصيتها الاسلامية وقاومت كل حبائل الاستعمار وحاربت مخططاته ولكن ورغم كل ذلك كان الاستعمار قد

ترك بعض الاثار غير المرغوب فيها من تشويش فكري وايجاد جهل متعمد وغير ذلك،وعندما استقلت الجزائر رافعة علمها بيد مخضبة بدم الجهاد واجهت بعض المشاكل الاجتماعية وبعض سوء الفهم للاسلام مما دفع المسؤولين في الجزائر لان يطرحوا تلك المشاكل في مثل هذه المؤتمرات محاولين حلها على حسب الموازين الاسلامية .

وعقيدتي الشخصية في المجتمع الجزائري واكثريته الساحقة هي ان الاستعمار والتبشير المسيحي لم يستطع ان يؤثر بعمق في الاداب والعادات الاسلامية والبرامج الحياتية ، ومع غض النظر عن الامور التي نلاحظها كظواهر غريبة في كل العواصم الاسلامية او عطلة يوم الاحد محل يوم الجمعة ومن قبيل ذلك فان الجزائر حافظت وبكل رجولة على روحها الاسلامية .

ولو انك لاحظت في الجزائر ـ العاصمة ـ او ككل عاصمة اخرى اموراً وظواهر لا اسلامية كالسفور او شرب الخمر فان هذا لايعني بتاتاً كونه سنداً للحكم الكلي عليها اذ عليك ان تنفذ الى اعماق المجتمع اولاً ثم ترحل الى القرى والمدن الثانوية وتتصل بالجماهير هناك لتكتشف الحقيقة فان الظواهر الغربية التكنيكية والاثار السيئة للحياة الميكانيكية لتشاهد في اي موضع ، ولكن الاستعمار بمفهومه الواسع ـ ومع ١٣٠ عاماً من التبشير المسيحي ـ ان لم نقل انه معدوم الاثار فعلى الاقل يجب ان نقول انه امتلك آثاراً لاقيمة لها ويمكن ازالتها بالوعي الاسلامي ومع ملاحظتنا لنكتة اساسية مهمة في البين : وهي ان ثورة الجزائر منذ اندلاع شرارتها الاولى كانت تحت لواء العلماء الاسلاميين هناك ـ مع ملاحظة ذلك فلامعنى للعجب من هذا الوضع اي من بقاء الشخصية الاسلامية للجماهير في الجزائر .

والحقيقة انني هنا لاابحث في تقييم مسألة تسلط الاجنبي والاثار المشؤومة للاستعمار اذ ذلك يحتاج الى فرصة اخرى ، والذي يجب على علمائنا الاجتماعيين ان يبحثوها بكل عمق ويعلنوا نتائج بحثهم للامة ليكون ذلك ضياء لها في دربها الطويل ودرساً قاسياً لاولئك المخدوعين في البلاد الاسلامية بالبهارج الغربية البراقة

والذين باعوا شخصياتهم لها .

وكانت الموضوعات المطروحة للبحث والنظر والمناقشة عبارة عن :

١ ـ التشريع وروح الشريعة الاسلامية .

٢ ـ الوحدة الاسلامية ومؤامرات أعداء الاسلام .

٣ ـ التبشير المسيحي في البلاد الاسلامية .

٤ ـ الجاليات الاسلامية والاقليات المسلمة في الخارج .

٥ ـ دور وسائل الاعلام فى العالم المعاصر ، وقد اعددت بحثاً واسعاً فى موضوع (الاتجاهات العامة في التشريع الاسلامي) ولكنه مع الاسف لم تتح لي فرصة القائه ، نظراً لعدم ارسالي نسخة منه قبل ايام من المؤتمر ، كي يدرج فى البرنامج .

ففي موضوع « روح الشريعة الاسلامية وواقع التشريع اليوم فى العالم الاسلامي » وما يتعلق به حاضر كل من الاساتذه الدكتورمحمد عبده يماني ، الدكتور عبدالرحمن الصابوني . فضيلة الامام موسى الصدر، الاستاذ مصطفى الزرقا ، الدكتورعبد القهار مذكر ، الاستاذ الشيخ محمد ابوزهرة، والاستاذة زينب الغزالي ،والدكتورصبحي الصالح،والاستاذمحمد المختار ولدباد،والاستاذأحمد حماني والشيخ ابراهيم بيوض. وفي موضوع الوحدة الاسلامية حاضر كل من الاساتذة الدكتور عبد العزيز كامل والدكتور سيد جعفر شهيدي والدكتور عثمان امين .

وفي موضوع التبشير : حاضر الاساتذةالدكتورعبد الجليل التميمي والدكتور الحبيب الجنحاني والاستاذ عثمان الكعاك والاستاذ دنس وولكر والسيد المهدي بو عبدلي، والدكتور محمد وصفي ابو مغلي .

وفي موضوع الاقليات والجاليات الاسلامية : الاستاذ محمد عبد الله عنان والدكتور محمد عبدالرحمن بيصار والدكتورالعربي زبيري وفي موضوع الاعلام: الاستاذ سيدي محمد يوسف جيري والاستاذ مفدى زكريا(شاعر الثورة الجزائرية) .

وفي يوم الاربعاء ١٨ جمادى الثانية . القى الاخ مصطفى ابو مغلي الفلسطيني

محاضرته عن «التبشير بين الاستعمار والصهيونية» واشار فيها الى « البهائية » كما اشار من قبل الاستاذ ادريس الكتاني من المغرب، والاستاذ فكري طوقان من تركيا الى نفس الموضوع .

فرأيت من الضروري التعقيب على محاضرة الاخ مصطفى ابو مغلي والاشارة الى حقيقة البهائية وخطرها على العالم الاسلامي فتحدثت بحديث اقتطف منه مايلي:

« *لقد اشار الاخ المحاضر في محاضرته عن التبشير بين الاستعمار والصهيونية الى* مسألة البهائية والقاديانية .

واعتقد ان الكلام عن ذلك سيبدو ناقصاً جداً ان لم ندرس طرق التبشير ووسائله الخاصة في البلاد المختلفة. ان اعداءنا قد اجمعوا على ان محو الاسلام لا يتأتى عن طريق السلاح و اشعال نار الحروب وانما يتحقق بطرق اخرى تتضمن النتيجة المطلوبة لذلك فان الخطوة الاولى التي اقدم عليها المستعمرون هي وضع مخططات واسعة شاملة لجوانب هذه القضية بنيت على دراسات علمية تطبق من قبل هيئات رسمية وارساليات تبشيرية تمولها الدول الاوربية والرأسمالية ويغذيها الحقد الصليبي ولعل جذور تلك المخططات تعود الى القرون الوسطى وبعد خيبة الحروب الصليبية .

اما الهجوم المنظم حسب ذلك المخطط الاستعمارى فقد بدأ عملياً وبصورة واسعة جداً منذ بداية القرن التاسع عشر وفى جميع البلاد الاسلامية حيث انتشرت فيها عشرات المئات من الارساليات التبشيرية وتحت تصرفها عشرات الالوف من المدارس الخاصة والعامة المتشكلة فى رياض الاطفال والابتدائية الى الكليات ، والجامعات ومن المستوصفات والمستشفيات الى الصيدليات والملاهي منتشرة هنا وهناك فى كل اقطار العالم الاسلامي ، كلها كانت تعمل لغاية واحدة وهي تنصير المسلمين حتى تتحطم العقبات وتنزوى الحوافز امام مطامع المستعمرين .

الا ان لغة الاساليب المغرية المتنوعة الخداعة لم تثمر ثمرتها المرجوة ولم تستطع ان تنال من العقيدة الاسلامية .

وعندما يئس الاستعمار من القضاء على الاسلام عن طريق التنصير لجأ من خلال

المؤسسات التبشيرية ذاتها الى محاولة زعزعة العقيدة الاسلامية في نفوس المسلمين وذلك بعدة طرق منها :

نشر الأفكار المضادة للاسلام وتربية ابناء المسلمين تربية علمانية مادية بحيث تحجز بينهم وبين اسلامهم وسخروا الذلك المناهج الدراسية في الجامعات والمدارس العلمانية كما جاء في كتاب التبشير والاستعمار :

ان هذه المدارس قد ادت واجبها الاستعماري فاستطاعت ان تربي آلافاً من ابناء المسلمين تربية الحادية اباحية فقدوا معها الثقة بعقيدتهم وتراثهم وأمتهم ولجأوا الى الافكار والمبادىء الشرقية والغربية ، ينتظرون منها الحلول لمشاكلهم ومعضلات حياتهم .

ومن تلك الطرق المخططة لزعزعة العقائد والأفكار وزحزحة الاسلام عن واقع الحياة والتي اكدعليها الانجليز خاصة، ايجاد افراد من المسلمين يتحركون باشارتهم ويأتمرون بأوامرهم فيدعون الالوهية والنبوة لافساد العقيدة والغاء الجهاد وابطال الشريعة والحيلولة دون رجوع المسلمين اليها .

وقد مرت هذه الحركات الارتدادية بتطورات معينة حسبما وضعت لها من خطط وكانت جذورها واحدة وتعمل من أجل اهداف معينة وان اختلفت في مظاهرها حسب الظروف الزمانية والمكانية فمن هذه الحركات الهدامة حركة التبشير القادياني التي ظهرت في القرن التاسع عشر ، والتي قامت في الهند على يد العميل الميرزا غلام احمد «القادياني» الذي ادعى بانه المسيح الموعود والمهدي المنتظر فأعلن ابطال الجهاد وحرض على الطاعة التامة للانجليز .

ومنها ايضاً فرقة ظهرت في ايران في النصف الاول من القرن التاسع عشر وهي البابية التي كانت تعتمد اساساً على تبرير الانجليز والروس ومكائدهم. ان المستعمرين ايها الاخوة في جميع هذه الحركات الهدامة كانوا يستفيدون من القاعدة القديمة للتبشير بين المسلمين التي تقول بأن تبشير المسلمين يجب ان يكون بواسطة رسول من انفسهم ومن صفوفهم ، لان الشجرة يجب ان يقطعها احد اعضائها كما جاء في

كتاب «الغارة على العالم الاسلامي» ، فظهور البهائية لم يكن صدفة بل كان وفق مخطط استعماري خاص ضد الاسلام والمسلمين وقد بدا واضحاً للعيان ارتباط هذه الفئة بالاستعمار والصهيونية من اتصالات القائمين عليها بالاسياد الكفرة ، وخاصة حينما اتخذوا اسرائيل مقرهم الرئيسي الذي فيه يعقدون محافلهم ومؤتمراتهم ليؤكدوا صلتهم بالصهيونية العالمية . ومن المؤسف ان البهائية قد حاولت التغلغل في بعض البلاد العربية الاسلامية وطلبت الاعتراف رسمياً في لبنان ولكن جهود المخلصين الغيارى قضت على لعبتهم كما وصلت انباء عن تسرب بعضهم الى المغرب العربي واندونيسيا ـ والفلبيين .

وانني في هذا الملتقى ارى من الواجب علي ان أوجه هذه الصرخة الى من يهمهم امر هذه الامة وخاصة العلماء والمفكرين ليقوموا بدورهم في كشف حقيقة هذه الفرقة الضالة والحركة الهدامة وبيان زيفها واباطيلها أمام الناس جميعاً لتكون الامة الاسلامية في مأمن من الانزلاق في ما تضعه من مغريات ولئلا تقع فريسة للتبشير الاستعماري الصهيوني الحاقد .

ان البهائية كانت في خدمة السياسة الاستعمارية في اول يوم ولدت ولها صلة وثيقة مع الاستعمار الصهيوني وعندنا وثائق كثيرة تثبت هذه الصلة ولضيق المجال فاني اشير الى مسألة هامة جداً قرأتها في احدى المجلات الاسلامية اذ يقول الاستاذ عبد الفتاح المليجي في مقال له نشرته مجلة (الوعي الاسلامي) الكويتية ، العدد الثاني والاربعون بعنوان «صورة عن الاسلام في امريكا» ما نصه :

ان هناك حركات باسم الاسلام كالبابية ، والقاديانية ، والبهائية التي قدمت ابان العشرينيات والتي استطاعت ان تبني لها معبداً من افخم المعابد التي شاهدتها في امريكا على الاطلاق وهو المعبد البهائي في مدينة ديلمت بالقرب من مدينة شيكاغو بولايه ايليسوي وقد يدهش القارىء او المستمع اذا علم ان هذا المعبد قد تكلف بناؤه حوالي ستة عشر مليوناً من الدولارات . مع ان البهائيين لايزيد عددهم في كل الولايات المتحدة عن عشرة آلاف شخص ليس بينهم شخص واحد من اصحاب

الملايين ، والشيء البارز الذي يواجه زائر هـذا المعبد من الداخل خريطة ضخمة لاسرائيل ! !

ويقول الدكتور شلبي في كتابه «مقارنة الاديان» فيما كتبه حول الجمعيات السرية الخطرة التي كانت ولا تزال من اهم المؤسسات التي اعتمد عليها اليهود لتنفيذ اغراضهم وعد منها البهائية ، يقول «من الواضح ان حياة البهائية في عكا بين جماعات اليهود اثرت فيها تأثيراً واسعاً فاصبحت البهائية وجهاً آخر لليهودية وحركة صهيونية واسفرت البهائية عن وجهها الصهيوني اذ اجتمع المجلس الاعلى للبهائية في اسرائيل وانتخب صهيونياً امريكياً اسمه «ميسون» ليكون رئيساً روحياً لجميع افراد البهائية في العالم. وفي الختام فنحن مع الأستاذ الشيخ محمد ابوزهرة في ما قاله عن البهائية في كتابه «المذاهب الاسلامية» فهو يقول :

«الحق ان البهائية يشتد نشاطها في الديار الاسلامية في عهود الدعوات الانحلالية التي يغذيها أعداء الدين. فقويت عقب الحرب العالمية الاولى وقويت عقب الحرب العالمية الثانية وهي الان ترفع رأسها ولابد من قطعه وعودته الى «شيكاغو» موطن دعايته والى «لندن» مصدر وحيه !

واختتم الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي اعماله بعد ثلاثة عشر يوماً أضيف اليها يومان للتجول والسياحة عبر جبال القبائل ومدنها وقراها وقد تناولت الدراسات والمناقشات والمحاضرات خمسة مواضيع رئيسة توزعت عليها خمس لجان متفرعة عن الملتقى (وقد اشتركت في اللجنه الثالثة (للتبشير) والخامسة (الاعلام)) وأعدت التوصيات النهائية بشأنها . وقرئت في الجلسة الختامية يوم الاثنين بعد ختام كلمات الوفود وقد تحدثت آنذاك بحديث مختصر بصفتي ممثل الجامعة الاسلامية في قم مهنئاً باسم امام الجامعة وأساتذتها وطلابها بالجهود التي تبذلها جزائر الثورة في سبيل احياء الشريعة الاسلامية وتطهير المجتمع من الافات ثم القي الأخ مولود قاسم كلمة الختام وشكر فيها الاساتذة والعلماء الذين تحملوا المتاعب في سبيل المشاركة في الملتقى ثم تعرض الى التوصيات فقال «ان هذه التوصيات تتخذ للمرة الاولى

فيما نعلم على مستوى العالم الاسلامي واننا لنرجو من متابعة تنفيذها العلاج لكثير من امراض مجتمعاتنا الاسلامية والانطلاق من جديد نحو تدارك مافات واسترجاع مافقد وتحقيق المجتمع الفاضل الذي تسعى اليه الانسانية كلها ويحثنا عليه الاسلام»

ثم اكد انه رغم اجتماعات العلماء المسلمين في عواصم مختلفة من عالمنا الإسلامي الواسع فانه لأول مرة ربما في العصر الحديث يجتمع رجال من سائر المذاهب الاسلامية في صعيد واحد لتبادل وجهات النظر حول المصير الواحد للامة الواحدة ثم أضاف «فهنيئاً يا تيزي وزو بما أتيح لك أن يتلاقى فيك السادة المالكية والزيدية والشيعة والحنفية والشافعية والحنابلة، ولم يخلف لك احد الميعاد بل جاء كل منهم بحسن النية ووافر الزاد وكنت لعلماء الاسلام المجمع والمسجد الجامع ، لقد تباحثوا في ربوعك بشؤون الشريعة الواحدة واتفقوا على ضرورة ارجاع الامة بها الى الطريق المستقيم الواضح المعالم على هدى النقل والعقل وحصنوا البنيان بالاركان وجعلوا السقف يحمي الديار ويقيها من العار والدمار وتركوا بهذا الشرط باب الاجتهاد واسعاً مفتوحاً» ، وهكذا انتهت جلسات هذا الملتقى الاسلامي العامر بالفكر البناء والحرف الرسالي المقدس فنرجو له ان يتحقق في كل عام فيقدم للامة نتاجه المعطاء الذي يتحول الى سراج وضاء ينير للامة دربها اللاحب .

جانبان من المؤتمر





صيفي بن فسيل

السيد مرتضى مرتضى - قم

مضى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الى ربه شهيداً بعد أن أدى ما عليه ، ووفى بجميع التزاماته ، وخلا الجو لمعاوية بن هند ، فأخذ يعبث في الارض فساداً ، وجعل كل همه في الكيد للهاشميين والانتقام منهم ، بعد ان ثارت فيه أحقاد الجاهلية ، واستيقظ فيه ماكان كامناً من الحقد والبغض لعلي وأبنائه بصورة خاصة ، فأخذ يلاحق أبناء علي وأصحابه واتباعه ويعمل على النيل منهم بشتى الصور ومختلف الوسائل ، ويأمر جلاوزته وعماله بذلك .

بل . . انه لم يكن يوصيهم الا بالتنكيل بشيعة علي وتشريدهم ، وسلب أموالهم وممتلكاتهم فقد كتب الى عماله يقول :

«أنظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته ، فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه . . . » .

وكتب اليهم أيضاً : «من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم ـ يقصد علياً وأبناءه ـ فنكلوا به واهدموا داره . . . » .

وأصبح الامام يلعن في داره وفي بلده ، وبين أهله وذويه ، حتى طفح الكيل وبلغ السيل الزبى ، وأصبح أبناء الامة غير قادرين على التحمل والصبر .

فكان القتل والتشريد من جهة ، والسب واللعن من جهة أخرى حافزاً لهم على

القيام وداعياً اياهم الى الانتفاض فقامت المعارضة في وجه معاوية وولاته .. . قامت قوية شديدة ، وقام الرجال المخلصون من أبناء الامة يطالبون بحقوقها ، وقامت الامة ـ في أول الامر ـ بدورها المطلوب منها، فآزرت الثائرين وساندتهم ، ومدت اليهم يد التأييد والمساعدة فاحتموا بها واستندوا اليها حتى قويت شوكتهم واشتد أمرهم ، وأصبح معاوية يلعن ـ في الكوفة ـ في مجلس واليه المغيرة بن شعبة دون أن يستطيع ـ المغيرة ـ في قبال ذلك أمراً .

وقام فيمن قام نخبة ممن تربوا عند علي ، وتخرجوا من مدرسته فخرجوا رجالا أقوياء ، أشداء في ذات الله ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا ترهبهم سطوة ظالم يقولون الحق ولو على أنفسهم ، ولايرضون بغير العدل ولو بذلو أرواحهم في سبيل تحقيقه .

لهذا كله فلم يكونوا ليسكتوا عما كان يجري تحت سمعهم وبصرهم ، من ظلم وعسف واستخفاف بالحرمات وانتهاك للاعراض ، واستحلال للاموال فرفعوا أصواتهم في وجه الظلم والطغيان عالياً ؛ واستطاعوا ـ بما هم عليه من الحق ـ ان يكسبوا تأييدالناس لهم ومؤازرتهم اياهم ـ في مطالبهم ـ فاشتدت بذلك سواعدهم وقويت هممهم على مقارعة الباطل ومجابهة الفساد .

وأصبح المغيرة بن شعبة أمامهم ضعيفاً لايعارضهم في شيء ، ولا يبرم في قبالتهم أمراً حتى أوشكوا أن يخرجوا الكوفة من يد معاوية، لولا أن عاجل المغيرة القضاء ومات حتف أنفه ؛ وخلفه على الكوفة ذلك الطاغية الظالم زياد بن أبيه ، فوقف في وجه التيار المعادي وأخذ يطارد حجرا وأصحابه بعد أن أعلن له بصراحة قائلا :

«أرأيت ماكنت تعرفني به من حب علي ووده ، فان الله قد سلخه من صدري فصيره بغضاً وعداوة ؛ وما كنت تعرفني به من بغض معاوية فان الله قد سلخه من صدري وصيره حباً ومودة . . .» .

واستطاع زياد بالترهيب تارة ، وبالترغيب أخرى ؛ أن يجلب الى صفه كثيرا

من أهل الكوفة الذين كانوا - للحظات - مع حجر وأصحابه .

نعم.. انقلب بعض اهل الكوفة على حجر وأصحابه عندما جعل لهم زياد الجعالات ووعدهم بالجوائز المغرية ان قبضوا على أحد الثائرين أو دلوا عليه ، فباعوا - بقليل من المال - ضمائرهم ونفوسهم ؛ وكل ما يمتلكون من قيم ومثل وسخروها في خدمة الشر والفساد واخذوا يساعدون ابن سمية في القبض على النخبة المجاهدة ويدلونه عليهم .

وكان من جملة اولئك الأبطال الثائرين صيفي بن فسيل وهو ذلك الرجل العظيم الذي أرادوا للتاريخ أن ينساه أو يتناساه وحاولوا أن يغمطوا حقه ويطمسوا اسمه ؛ . . . ولكنهم لم يستطيعوا من ذلك شيئاً فخلد على رغمهم ، وبقي الرجل الصلب الذي لم يلن للظالمين لحظة واحدة ، والذي استمر يعارض ويعارض حتى آخر لحظة من لحظات حياته .

واستطاع ابن سمية - بما بذل من الأموال ووعد من الوعود - ان يقبض على الثائرين واحداً تلو الاخر، حتى وصل الدور الى ابن فسيل عندما جاء قيس بن عباد الشيباني - طامعاً في قليل من المال - الى زياد قائلا :

«ان امرءاً منا يقال له صيفي بن فسيل ، من رؤوس أصحاب حجر وهو من أشد الناس حباً له» .

فماكان من زياد هذا الا أن أمر جلاوزته وجلاديه بالتفتيش عن ابن فسيل واحضاره بين يديه ، فسارعوا الى تنفيذ أمره ونيل رضاه ، وأخذوا يبحثون عنه .

ولكن صيفي - وهو ربيب علي - لم يكن بالجبان الذي يخاف ابن سمية وأمثاله ، فما سمع بالامر حتى أسرع في الحضور اليه بنفسه ، ودخل عليه مجلسه ، فابتدره زياد بقوله :

«ياعدو الله ما تقول في أبي تراب ؟»

فأجابه ابن فسيل - ببرودة - قائلا :

«ما أعرف أبا تراب» .

قال زياد مغضباً :
«ما أعرفك به ؟ ! ! أما تعرف علي بن أبي طالب ؟ ! !» .
قال صيفي : «بلى»
قال : «فذلك أبو تراب»
قال صيفي : «كلا . . . ذاك أبو الحسن والحسين عليه السلام» .
فالتفت اليه صاحب الشرطة قائلا :
«أيقول لك الامير هو أبو تراب وتقول أنت لا» ؟ ! !
فأجابه ابن فسيل ـ ببرودة المعتاد ـ :
«أفان كذب الامير أردت ان اكذب وأشهد بالباطل كما شهد» ؟ ! ! .
فاشتد غضب زياد قال له :
«وهذا أيضاً مع ذنبك ، عليّ بالعصا . .
فأتى بالعصا فعاد الى حيث بدأ بالسؤال وقال له :
«ما قولك في علي» ؟ .
فأجابه ابن فسيل دون ان تخيفه العصا أو ترهبه قائلا :
«أحسن قول أنا قائله في عبد من عبيد الله ، أقوله في أمير المؤمنين» .
فالتفت زياد الى جلاديه قائلاً :
«اضربو عاتقه بالعصا حتى يلصق بالأرض» .
فضرب حتى لصق بالارض
ثم قال زياد :
«ايه ما قولك في علي» ؟
وهنا . . . تجلى الايمان الراسخ والعقيدة الصلبة الثابتة عندما أجابه بقوله :
«والله لو شرحتني بالمواس والمدى ما قلت الا ماسمعت» .
وفي قبال ذلك تجلى الحقد والبغضاء في زياد عندما قال :
«لتلعننه ، أو لأضربن عنقك» .
فأجابه صيفي بصلابته وثبات عقيدته وهدوئه :

«اذن والله تضربها قبل ذلك، فان أبيت الا أن تضربها رضيت بالله وشقيت أنت».

حينئذ فقط يئس زياد من امكان التأثير على ابن فسيل فالتفت الى شرطته قائلا :

«ادفعوا في رقبته» .

ثم قال :

«اوقروه حديداً واطرحوه في السجن» .

ولم تمض أيام قليلة حتى سيره مع ركب الثائرين والمناضلين الى معاوية في الشام حيث لاقوا ما أعد لهم من مصير مظلم ، على يد جلاوزته الذين سخرهم لمحق معالم الدين . . وذهب اولئك الأبطال الى ربهم راضين مرضيين وأحنى التأريخ رأسه اعجاباً ببطولتهم النادرة ، ومواقفهم الرائدة ، التي طبعت على جبينه غرر النور والعظمة . . . ذهب أولئك القادة الميامين ليعبدوا طريق الخير لمحبي الرسالة التي تمثلت تعاليمها في أمير المؤمنين واقعاً حياً مجسداً استلهموه ووعوه في مسيرتهم ، وصبروا على الأذى في سبيل ما وعوه . . . فسجل الخلود لهم أروع الصفحات .

مشروع الزواج بين الجاهلية والاسلام

أم إبتهال

الجاهلية انحراف عن الفطرة قديماً وحديثاً . قد يحصل تبدل في الشكل وفي صورة الانحراف الا ان الجوهر في كل شيء واحد ، انحراف عن الفطرة وعن القيم الانسانية .

قديماً ، كانت نظرة الانسان الى المرأة انها سلعة وبضاعة للهو والسلوى والى الزواج انه مشروع لغايات غريزية وجسدية .

فقد كانت المرأة في احسن الحالات في الجاهلية الاولى ، شيئاً بين الانسان والحيوان ، وكان الزواج بالمرأة شراً لابد منه . وهو شر لان الرجل يضطر اليه رغم ارادته ولابد منه لان الانسان يندفع اليه عن غريزة ملحة لايجد سبيلا للتخلص منها

فلم تكن المرأة في نظر الفلسفات القديمة بالكائن الذي يستحق ان يقترن به الرجل، ليكون معها حياة مشتركة قائمة على اساس من التفاهم والمصلحة المشتركة وانما هي الضرورة التي ترغم الرجل على الزواج رغم الفارق الكبير بينه وبين المرأة .

ولم تختلف الجاهلية الحديثة في تصوراتها عن الزواج والمرأة عن الجاهلية الاولى فقد حاولت الجاهلية الحديثة ان تحرر الانسان المعاصر من قيود الحياة

الزوجية وتزعزع كيان الأسرة وتقضي حاجة الفرد الجنسية عن طريق الأسرة ففي امريكا قلت نسبة الزواج بصورة واضحة وبعكس ذلك ازدادت نسبة الطلاق بصورة واسعة ويعودسبب هبوط مستوى الزواج في امريكا الى الحرية المطلقة التي يمارسها الشاب والشابة الامريكيين في حياتها الجنسية بصورة فضيعة . وقد أدت مثل هذه الحرية الى تهديد الكيان العائلي .

وقد اساء الانسانالمعاصر فهم المرأة كما اساء فهم مكانة المرأة في المجتمع فقد عادت المرأة الى الجاهلية الاولى حينما كانت كالسلعة تعرض للبيع والشراءكما يعرض سقط المتاع ، وعادت الحضارة الحديثة لتعيد المرأة الى الجاهلية الاولى فاستغلت المرأة للعرض التجاري المبتذل في أسواق الخلاعة ، واستغلت مفاتن المرأة وجسدها وحديثها وابتسامتها للتجارة في الصحف والسينما .

* * *

قدمت هذا الحديث اثر حديث قرأته عنكتاب صدر حديثاً في اوروبا يطرح مشروع الزواج المفتوح ويدعو الى تطوير مؤسسة الزواج بما يتفق وميول الشبيبة الصاعدة وبحيث يقبل على الزواج كل انسان بكامل شهيته الجنسية ما دام الزواج المفتوح يجعلالفرد فيحل من أيةمسؤولية وهو في نظر المؤلف نوع من الانقاذ أو نوع من الحفاظ على شكل الأسرة القديم مع اعطاء الزوجين مزيداً من الحريات الجنسية والفكرية واعطاء المرأة الحق في التحرير الكامل من الأعباء المنزلية والاعمال البيتية على أن يقوم بها الرجل أو تشاركه هي فيها ويقول المؤلف ان الزواج المفتوح هو الصيغة الوحيدة المكنة لمنح الزوجين الحرية والارتباط دون ان يكونا قطبين متناقضين .

* * *

وعند المقارنة بين هاتين الجاهليتين من جانب وبينهما وبين الاسلام من جانب آخر نجد ان الجاهلية بكل اشكالها انحراف وشذوذ ، وانقلاب على الأعقاب ، وتحول عن الفطرة ، وردة الى عالم الحيوان ومسخ لمقاييس الانسان وقيمه .

فالجاهلية ـ على اختلاف اشكالها ـ لاتنظر الى مؤسسة الزواج الا من زاوية الجسد ، ومن زاوية الغريزة فقط ، والا من خلال الغريزية من الاقتران الذي يحصل بين أي حيوان وحيوانة من نوعه دون ان تستطيع ان تلمس ما وراء ذلك من ركون واستقرار ، ودعة واطمئنان ؛ واشتراك في تحمل متاعب الحياة ، وبهجة زوجية ، وارتباط مصيري بين الزوجين .

اجل لا تستطيع الجاهلية ان تدرك هذه المؤسسة بابعادها الانسانية الحقيقية ، ولاتستطيع ان تعي من أمر هذه المؤسسة اكثر من هذا البعد الغريزي الذي يشترك فيه مع الانسان أي فصيل من فصائل الحيوان .

فليس على هذه المؤسسة اذن من بأس ان تكون مفتوحة لكل رجل ، وان ترفض الانغلاق ، وتبقى مفتوحة مادامت الغريزة هي كل شيء من هذه المؤسسة في حساب الجاهلية وما دام الامر لا يتصل باستقرار الانسان وطمأنينته في الحياة .

* * *

وعندما نقارن هذه الصورة الجاهلية المبتذلة للحياة الزوجية بالصورة الانسانية التي يرسمها القرآن الكريم لمؤسسة الزواج نجد الفارق كبيراً بين النظرية القرآنية والنظريات الجاهلية . . . بين ان تكون المرأة والحياة الزوجية شراً لابد منه وجحيماً لايطاق وافعى تلدغ وبين ان تكون شريكة الرجل وقرينتة وشقاً منه وتكون الحياة العائلية مبعثاً للاطمئنان والاستقرار والركون في الحياة وضرورة لابد منها ، فالحياة الزوجية في نظر القرآن الكريم ركون واستقرار نفسي كما يتجلى ذلك واضحاً في الايات الكريمة التالية :

«ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون» .

«والله جعل لكم من أنفسكم ازواجاً» .

«هن لباس لكم وأنتم لباس لهن» .

فالحياة الزوجية ذات ابعاد انسانية في الحياة تختلف كثيراً عن تصورات الجاهلية الضحلة ، التي لاتعي من امر هذا المشروع غير الجوانب الغريزية منه .

فهي في نظر الأسلام ركون واستقرار لحياة كل من الزوجين ومودة ورحمة ، ولباس يستر كلا من الزوجين ويحفظهما من الابتذال وصيانة لهما عن الانزلاق والانحراف (من تزوج فقد احرز نصف دينه) .

وفي قبال ذلك تعمد الجاهلية الى هذه المؤسسة لتفرغها من كل محتوى انساني ، ولتجعلها مؤسسة شاحبة هزيلة لاتحمل أي بعد انساني ، وأي قيمة من قيم الحياة ؛ ولتجعلها مجرد وسيلة لغاية غريزية .

وذلك الفرق الكبير بين الأسلام والجاهلية .

واخيراً : فاني اوجه ندائي الى اخواتي المؤمنات خاصة والى المؤمنين من أبناء هذه الامة عامة على صفحات هذه المجلة الغراء بأن لا ينخدعوا بمثل هذه النغمات النشاز التي تطالعنا بين الاونة والاخرى في ما تكتبه الايدي الغريبة على الواقع الاسلامي . . . واطلب من اولئك المخدوعين بزخرف الالحاد ان يرجعوا الى انفسهم وواقعهم قليلا . . عسى ان يتبين لهم وجه الصواب .



اعداد: ابو مقداد

صرخة اسلامية من الاعماق

نشر البروفسور دنيس ووكر الاستاذ بقسم الشرق الاوسط بجامعة ملبورن في استراليا النداء التالي الى العالم الاسلامي «غينيا الجديدة في حاجة ماسة الى الكتب التي تعرف ملايين السود بالعقيدة الاسلامية، ارسلوا ما فاض لديكم من المجلات والنشرات والكتب . . . من الدول الاسلامية باللغة الانجليزية للطلبة السود بالجامعة بغينيا الجديدة.

الهادى :

ونحن بدورنا نضم صوتنا الى الاستاذ الفاضل في أن يتحمل الجميع مسؤولينهم في الدعوة الى الله وابلاغ رسالته الى العالم اجمع وانها لعمر الله مسؤولية عامة شاملة لا تخص فرداً دون آخر ولا قطاعاً معيناً من المجتمع وحبذا لو خصص اهل الثراء في العالم الاسلامي -وكثير ما هم- حصة من اموالهم لتصرف في هذه الموارد ولامداد العطشى المتلهفين لعلوم الاسلام ومعارفه وللاخذ بايديهم من متاهات الحيرة والظلام الى حيث نور الهداية والاسلام ، ولهم في القادة الاول من المسلمين اسوة حسنة حين كانوا ينفقون اموالهم سراً وعلانية ليلا ونهاراً في سبيل السير قدماً بهذه الرسالة المقدسة ونشرها . كما ولهم من المؤسسات الصليبية الحاقدة والمشاريع اليهودية الماكرة التي تمد اولاهما التبشير والمبشرين المسيحيين وتتكفل الثانية بتثبيب اقدام الصهاينة في اماكننا المقدسة وانجاز خططهم الجهنمية نعم لهم من هؤلاء خير محرك لغيرتهم وحميتهم على مبدئهم ودينهم .

الكتلة الاسلامية

اقترح تنكو عبد الرحمن تكويـن كتلة من دول العالم الثالث الاسلامية للتعاون الاقتصادى والسياسي وقال في مقابلـة أذيعت من اذاعة ماليزيا أنه لامكان للدول الاسلامية فى التكتلات الدولية القائمة وقدآن الاوان لتكون كتلتها الخاصة بها

امباكت

١٩٧٣/٤/١٢

الهادى :

ان هذا الاقتراح مماتفرضه الضرورة الاسلامية فقد اوجب صريح القرآن على المسلمين جميعاً ان يتحدوا ويكونوا صفاً واحداً كالبنيان المرصوص وان يتعاونوا على البر والتقوى، وحقاً فقدآن الاوان لتستفيق الأمة القائدةمن هذا السبات الذي اراده لها اعداء الله وتخلع عن نفسها رداءالذل والتبعية وترتدي لباس الأستقلال والاصالةولتقوم بالعبء وتؤدى الدور الرائد الذي اراده لها الله تعالى حين خاطبها بقوله فى كتاب المجيد«وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس» هكذا يصنف الله المسلمين فى كتلة شاهدة ومسؤولة اساسها الفكرة القويمة والمبدأ الصالح، بعيدة كل البعد عن جميع اشكال التعصب الذميم والحقد الطبقي ان المرحلة الحساسة التي يمربها العالم الآن لنضطر المسلمين ان يتفكروا بجدية فى امورهم ويتخذوا من عقيدتهم اساساً لوحدتهم ومنطلقاً لنهضتهم سيما وقداكتشفنا كيف ان جميع الشعارات قد سقطت ولم يبق لعدم الانحياز سوى شكل باهت قدافرغ من محتواه ومضمونه اذ ارتبط الكثير بهذه الكتلة او تلك .

مشروع احياء التراث

بدأ مجمع البحـوث الأسلامية فى القاهرة بتنفيذاكبر مشروع لاحياء التراث الاسلامي وذلك بالاعـداد على مـدى السنوات الثلاث القادمة لنشر نحو الف كتاب اسلامي من أمهات كتب الحديث والسيرةوالتفسيروالفقه واللغة العربية...

مجلة الشبان المسلمين نيسان ١٩٧٣

الهادى :

أنه لمشروع حيـوي وجليل واننا لنباركه من الاعماق ونأمل أن يرى النور ويبرز الى الوجود ليتعرف المسلمون الذين انقطعت صلتهم بماضيهم المجيد الزاهر ليتعرف هؤلاء جميعاً على تراثهم الضخم وما يتضمنه من ثروة عديمة النظير ويمكن الامة ان تساهم اليوم فى مسيرة الأجيال الصاعدةوتحقيق طموحاتها ونظراً لخطورة المشروع واهميته فأننا نرى ان يستعين

المجمع بالحواضر العلميــة العريقة كالجامعة الاسلامية الكبرى فى النجف الأشرف وقم المقدسة بالاضافة الى الأزهر وهذا مما يساعد على تحقق الانفتاح على كافة المذاهب والاتجاهات الاسلامية كما يحقق اكبر قدر ممكن من اثراء المكتبة الاسلامية .

البنك الاسلامي

عقد في ٢٢ تموز ١٩٧٣ بمقر الامانة العامة الاسلامية بجدة اجتماع الخبراء الاقتصاديين في الدول الاعضاء في المؤتمر الاسلامي ودار البحث فيه حول الاسس العامــة للبنك الاسلامي واختيار اســمه ومقره والاهداف المتعلقة بانشائه لمعاونة الدول الاسلامية والنهوض بمشاريعها.

الهادى :

حبذا لو أسرع المشرفون في تنفيذ هذا المشروع وانجازه وتجاوزوا الروتينات ليتخلص العالم الاسلامي من سيطرة البنوك الربوية والرساميل الاجنبية التي دأبت على ابتزاز اموال المسلمين واستثمارهـا بعد ذلك لاغراض عدوانية لم نجن منها الا الويل والـدمار والتخلف اذ بقيت الشعــوب الاسلامية مع كل ما بث الله في ارضهـا من خيرات وثروات ومنابع طبيعية فى عداد الشعوب الفقيرة والمتخلفة، وعلى احسن تقدير فانها تصنف مع البلــدان النامية بينما كان الاولى بها ان تكــون فى عداد الدول المتقدمة بـل فى طليعتها اذ ان كل مقومات التقدم والرقي الصناعي والاجتماعي متوفرة لديها ولكن الاستعمار بكافة اتجاهاته ومصادره واشكاله قد حال دون وصول هذه الامة الى ماتصبو اليه واننا لنعتبر فكرة ايجاد البنك الاسلامي خطوة موفقة فى هذا السبيل على شرط ان تراعى فيه نصوص الشريعة الاسلامية بصورة دقيقة وكاملة ويمكن للقائمين على هذا المشــروع الاستعانة بالمجتهديــن والمفكرين الاسلاميين بهذا الصدد او على الاقل الاستهداء بكتاباتهم حول اطروحات للبنك اللاربوي فى الاسلام .

مؤتمر الشباب الاسلامي

عقد في طرابلس بليبيا مؤتمر الشباب الاسلامي العالمي ونوقش فيه الوضــع الاسلامي العام وما يمر به المسلون اليوم من اوضاع ومتاعب ، وقالت وكالات الانباء ان المؤتمر طالب زعماء العالم الاسلامي في برقية ارسلها لهم بتحمل مسؤولياتهم تجاه اضطهـاد المسلمين الواقعين تحت سيطرة الكفر الشرقي ومساندتهم لنيل حق تقرير مصيرهم كما ووافق المؤتمر على اعتبار يوم ١٥ آيار

من كل عام يوماً عالميا لنصرة قضية فلسطين وحركات التحرير الاسلامية وذلك من أجل التعريف بقضايا المسلمين وتنظيم حملة لجمع التبرعات لصالحها كما واعرب المؤتمر في ما ابرق به للرؤساء عن قلقه البالغ بسبب استمرار حكومة الهند في حجز اسرى الحرب الباكستانيين المدنين منهم والعسكريين في معسكرات حرب وظروف سيئة .

الحرمات المنتهكة
فى الاقصى الجريح

كرر المشرفون على الشؤون الاسلامية في القدس احتجاجهم لدى السلطات الاسرائيلية ضد المحاولات التي تقوم الجماعات الصهيونية بها لاقامة الشعائر اليهودية داخل ساحة الحرم الشريف في القدس وكانت مجموعة من الصهاينة قد اقتحمت ساحة الحرم وتعمدت فعل ذلك اثناء اقامة الإذان لصلاة العشاء حيث اخذت تنفخ بالبوق التقليدي وتتعرض للمصلين الوافدين على المسجد وقد طالب المحتجون بوضع حد نهائي لهذه الانتهاكات المغرضة .

مسابقة الهادى

فاستبقوا الخيرات

كنا قد أعلنا في العدد الماضي من مجلة (الهادي) أنها قد تبنت فكرة اجراء مسابقة بين كتابنا المسلمين بعد أن قام أحد المحسنين ـ وفقه الله ـ بتخصيص جائزة نقدية مقدارها عشرة آلاف تومان ايراني لاحسن كتاب يقوم باعطاء صورة صادقة مستوعبة قدر الامكان لمختلف مجالات الاسلام العقائدية والتشريعية بالاضافة الى التعريف بمفاهيم الاسلامية التي تبنتها الرسالة وغرستها في قلوب أتباعها .

وقلنا بأن الكتاب سيطبع بسرعة ممكنة ليباع بسعر الكلفة ، كما سيترجم الى اللغات الحية لينشر في شتى أنحاء العالم بسعر زهيد يمكن جميع الأفراد من اقتنائه .

واننا في هذا العدد اذ نعلن تمديد أمد المسابقة الى أواخر عام ١٣٩٣ الهجري نهيب بالقادة المفكرين وحملة لواء العلم والدعوة الى الحق أن يبادروا الى الاستجابة لهذا النداء خدمة منهم لدينهم الحنيف وتوعية لقطاعات الامة كلها بالثقافة الاسلامية المطهرة من شوائب الانحراف والتحريف .

ولنا من اخلاص الاخوة المفكرين وحميتهم الاسلامية الحارة وتطلعهم للمستقبل الاسلامي الشامل للبشرية خير عون ودافع في سبيل النهوض بعبء هذا المشروع والله من وراء القصد .

الهادى



زيارات هامة :

المفتي العام للجمهورية العربية السورية

١ ـ قام سماحة المفتي العام للديار الشامية الشيخ احمد كفتارو بزيارة سماحة آية الله العظمى الامام المؤسس في بيته العامر وكان اللقاء حاراً وقد قام احد الاخوة الأفاضل بالقاء كلمة ترحيبية بين فيها المركز الهام الذي يحتله العالم الاسلامي من جهة والتآمر العالمي الذي يواجهه من جهة أخرى ثم أردف « ومن هنا كان اللازم على الصفوة من العلماء والمفكرين الاسلاميين ان يلتقوا لتدارس قضايا المسلمين ورسم الخطط المناسبة لاعادة الاسلام الى حياة أبنائه . . . وقد حرم المسلمون طيلة قرون خلت من خير هذه اللقاءات . . . اما الان وقد كسر الطوق بحمد الله فانا نعلق على على المستقبل الآمال الجسام» وتمنى في الختام ان تكون هذه اللقاءات فاتحة عهد جديد من الوحدة والتعاون الاسلامي البناء .

وقد تأثر سماحة الضيف بالكلمة والقى كلمة تحية وشكر بعدها ، ثم نوقشت القضايا الاسلامية الملحة ومنها :

أ ـ الهوة القائمة بين الواقع الاسلامي وواقع المسلمين .

ب ـ تقييم عوامل الانحراف الحالي لبعض قطاعات الامة .

ج ـ الحلول التي يمكن طرحها في مجال التخلص من الواقع الاليم .

د ـ الانفتاح الفكري للمذاهب الاسلامية على بعضها البعض .

ثم توجه سماحة الضيف الى دار التبليغ الاسلامي العامرة حيث تفقد المراكز الاعلامية المختلفة وابدى اعجابه الشديد بتنضيمها ثم حضر الحفل الوجيه الذي اقيم في القاعة الكبرى ترحيباً به وهناك القى احد الأخوة كلمة ترحيبية ثم اعقبه سماحة الضيف بكلمة قيمة جاء فيها «كنت اشتهي هذا اللقاء منذ سنوات وسنوات ، حتى اذن الله عزوجل ، ارجو من الله ان يتكرر هذا اللقاء وان يكون حصاده : الوحدة والتعاون على اعادة تجديد الاسلام في نفوس المسلمين ، ثم العمل صفاً واحداً لاعادة كلمة الله عزوجل ، ونشر دينه في كل هذه الدنيا ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء ، وهو العزيز الحكيم . . واشكر سماحة السيد على اذنه لي، لالقاء هذه الكلمة في حضوره وأسأل الله أن يطيل حياته وعمره للمسلمين جميعاً ويبارك جهوده وجهود كل العاملين في كل العالم الاسلامي» .

ثم سجل كلمة قيمة في سجل التشريفات جاء فيها : «انه ليسعدني وما يملأ قلبي غبطة وابتهاجاً ماشاهدته في هذه القلعة الاسلامية الحصينة وما رأيته في هذا المصنع الاسلامي لتهيئة علماء الدين الاسلامي وقادة فكره وروحانيته العظيمة . . . واني لاشكر جزيل الشكر سماحة حجة الله السيد محمد كاظم شريعتمداري على هذه الجهود العظيمة الرائعة في انشاء هذه الدار العلمية الاسلامية» .

وقد شرف سماحة الامام المؤسس المجلس بزيارته للدار اثناء الحفلة ليرد لسماحة الضيف زيارته وكان العناق المقدس . وتبودلت في نهاية الحفلة الهدايا العلمية الثمينة ، وقد غادر الضيف بمثل ما قوبل به من حفاوة وتكريم .

وفد رابطة العالم الإسلامي

٢ ـ كما وقد قام بزيارة الأمام بعد ذلك في بيته العامر وفد من رابطة العالم الاسلامي ، وكان الوفد برئاسة المفكر الاسلامي السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي وعضوية كل من الاستاذ الدكتور عباس الندوي والاستاذ الشيخ أحمد محمد الجمال وقد القيت كلمة ترحيبية بالوفد جاء فيها : « لقد آن ان نطوي الصفحات السود من تاريخ تقاطع الأخوة وأصحاب المبدأ الواحد ـ ونبدأ المسيرة المباركة . . ونواجه المرحلة المصيرية بكل ثبات وصمود لنسترجع حقوقنا المغتصبة ونستلم قيادة الحضارة الانسانية من جديد» .

وقد كان للكلمة أثرها البالغ في الحاضرين ونهض سماحة الأستاذ الندوي فرد على الكلمة بكلمة قيمة وردفيها «انني لاوافق كل الموافقة على ما جاء في هذه الكلمة البليغة فان العدو لايفرق بين مذهب ومذهب . . فمعركة اليوم قد انحصرت وتركزت على محاربة الدين . . ان المعركة الحقيقة بين الدين واللادين فهناك رايتان راية سيدنا محمد (ص) وراية ابليس .

وانني لاهنئكم واهنىء نفسي على هذا اللقاء السعيد وتحت الراية المحمدية التي يجب ان نقاتل في سبيلها »

ثم دار حوار هام وصريح حول الكثير من القضايا الاسلامية كما نوقش بعض أنواع نشاط رابطة العالم الاسلامي واقترح ان تكون الرابطة رابطة لجميع المسلمين مما يوجب ان يكون فيها ممثلين عن مختلف الطوائف الاسلامية .

ونوقشت مشكلة الشباب بشكل واسع ومركز وطرق اعادته الى حضيرة الاسلام كما تطرق النقاش الى وسائل الاعلام وكيفية توجيهها التوجيه الصحيح .

ثم قام الوفد بزيارة دار التبليغ الاسلامي مطلعاً على المراكز التدريسية والتبليغية

المختلفة ومنها المكتبة العامة الملحقة بالدار وأبدى أعجابه الشديد بها . . وقدأعد للترحيب به برنامج حافل كان من ضمنه كلمة ترحيبية وقصيدة نشرت في محل آخر من هذاالعدد وكلمة تعريفية بالوفد وكلمة عن دار التبليغ الاسلامي ثم أعقب ذلك كلمة الاستاذ المفكر أبي الحسن الندوي القيمة والتي جاءفيها ـ مخاطبا طلاب الدار الذين اجتمعوا للترحيب به ـ «اهنئكم على سعادتكم اذ هيأ الله لكم هـذه الفرصة النادرة بانضمامكم الى هذه الدار التي تجمع بين التعليم والتوجيه وبين التدريس والدعوة وتنمية مواهبكم للدعوة في سبيل نشر العلم والفضيلة» وقـد اختتم كلمته بالاشـارة الى المحن التي تمر بها الامة الاسلامية وانه لا يمكـن التغلب عليها الا بالايـمان الصادق الراسخ والثقة بالله والعزوف عن الشهوات والاستقامة على الطريق» .

وفي الختام تبودلت الهدايا العلمية وسط جو حافل بالقدسية والاخاء .

٣ ـ كما قام سماحة السيد محمد بن علي الحبشي العلوي رئيس دار التدريس الديني قسم الدعوة والوعظ بمعهد الدراسات الاسلامية ، ومدير المكتبة الاسلامية ومسجد الاوابين ـ كويتنع ـ في جاكرتا باندونيسيا، قام بزيارة سماحة الامام المؤسس ودار التبليغ الاسلامي وبعد الاطلاع على برنامجها التثقيفي واساليبها في الدعوة قرر ترك ابنه المحروس فيها لينشأ التنشئة الاسلامية المطلوبة وينهل من علوم اهل البيت (ع) ولذا فقد امر سماحة الامام بعض المشرفين على الدار بأن يقوموا بتعهد هذا الغرس الناشيء وتربيته التربية التي تجعله انشاء الله عالماً اسلامياً واعياً ومبلغاً مخلصاً للرسالة الاسلامية الحقة .

٤ ـ كما وقد قامت بعض الشخصيات الشيعية اللبنانية اخيـراً بزيارة الامـام والاستفادة من توجيهاته الحكيمة ، وزيارة دار التبليغ الاسلامي ، والاستماع الى شرح مفصل عن اعمالها وبرامجها ، وغادروا قم المقدسة وهم يرددون كلمـات الاعجاب ، ويدعون الله ان يديم ظل الامام المؤسس على رؤوس المسلمين ويوفق الدار للقيام باعبائها الثقيلة .

مكتبة المجلة

١ ـ بين يدي الرسول الأعظم (القسم الأول) السيد محمد بحر العلوم

وهو الحلقة الأولى من سلسلة (في السيرة والتاريخ) ينوي سماحته اصدارها تباعاً والكتاب عبارة عن فصول في السيرة النبوية الشريفة ومواقف للابطال الأول في الدعوة والذين ادركوا بعمق مفهومها واخلصوا في تضحياتهم لها وقد عرضت بريشة ادبية فنية وذوق اسلامي رفيع كما هو المعهود من سماحته في مختلف مؤلفاته.

٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط من منشورات دار الزهراء بيروت.

٢ ـ كما واهدانا سماحة السيد محمدحسين فضل الله المؤلفات التالية :

أ ـ اسلوب الدعوة في القرآن (الطبعة الثانية) وهو كتاب يتعرض لموضوع قرآني مهم ويشتمل على قسمين يعالج في الأول منهما طبيعة الدعوة الاسلامية واسلوبها في القرآن ويعرض بعض النماذج التطبيقية لذلك وفي القسم الثاني للمؤلف وقفة مع المستشرقين في اسلوب القوة في الاسلام يناقشهم فيها بكل جدارة وعمق والكتاب جدير جداً بالمطالعة لانه يملأ فراغاً محسوساً في المكتبة الاسلامية ويقع في ١٧٣ صفحة من القطع المتوسط من منشورات دار الزهراء بيروت.

ب ـ مفاهيم اسلامية عامة، ووصلنا منها ثلاثة اعداد وهي عبارة عن محاضرات قيمة القاها سماحته في ندوة الشباب المؤمن في بنت جبيل وتعرض فيها الى التهذيب

الاجتماعي فى الاسلام ، موقف الاسلام من الترددوالقلق والوسوسة فيالعمل،قضية العز والذل .

اضافة الى ردود المؤلف على الأسئلة الموجهة اليه فى هذه الندوة .

٣ ـ وقد اهدانا الشيخ علي الشيخ منصور المرهـون الكتاب التالي «كتاب التوحيد» وهو تأليف العلامة الشيخ محمدهادي الطهراني النجفي وهو كتاب يبحث فيه المؤلف عن ركن العقيدة الاسلامية الأول (التوحيد) ويستعرض الادلةالتيأقيمت على ذلك والكتاب ملحق يبعض الكتب الاخرى (٣٠٠ صفحة من القطع الوزيري عنيت بنشره مكتبة الصدر فى طهران)

٤ ـ اهدانا الشيخ علي حجتي كرماني عن (مؤسسة كانون انتشار) الـكتب القيمة التالية والتي قامت هي بنشرها مشكورة ؟

أـ وقائعالايام بقلم المحدث الفقيد الشيخ عباس القمي وهو كتاب جليليذكر الحوادث الهامة الواقعة فى السنة بالتـرتيب مع ذكـر بعض السنن والمستحبات الواردة فى ذلك الشهر (٣٨٣ صفحة من القطع الوزيري طبع مطبعة(مشعلآزادي)

ب ـ فاجعة تمدن ورسالت اسلام ، المترجم الشيخ علي حجتي كرماني وهو ترجمة لكتاب (الاسلام ومشكلات الحضارة) حيث يتعرض المؤلف فيـه للمشكلة الحضارية القائمة واسلوب الاسلام فى حلها .

حـ ـ اسلام آئين زندگى (الاسلام دين الحياة) ويتعرض فيه المؤلف الى راي الاسلام فى الامور التالية : الدنيا ، الحياة الاجتماعية ، المسألة الاقتصادية ، الرقابة العامة ، القضاء ، حماية الحيوان ، حقوق الاقليات الدينية ، الحرب ، الجزاء،فلسفة تشريع القوانين الجزائية .(والكتاب يقع فى ٣٦٢ صفحة من القطع المتوسط طبع مطبعة مشعل آزادي) .

د ـ (١٤ داستان) (١٤ قصة) الشيخ على حجتي كرماني وفى الكتابقصص

تربوية واجتماعيةمنها :الرهبانيةالمرفوضة، السجين البريء، القاضي الخائن والشاب الحر،الأذان المفاجيء والكتاب فى ١٤٠ صفحة من القطعالجيبي طبع مطبعة(زيبا)

هـ ـ دروس زندگی (دورس الحياة) اعداد : الاستاذ محمدحسن عدلوالكتاب مجموعة خواطر مركزة ومقطوعات مقتبسة من مختلف الكتب والحقول ويقع فى ١٤٢ صفحة من القطع المتوسط طبع مطبعة (آفتاب) .

و ـ (تراژدی کشمیر) (مأساة كشميـر) السيد جعفـر الطباطبائي ويتحدث الكتاب عن مأساة كشميرالدامية التي مازالت تهزضميركل مسلم وتضاعفمسؤولياته تجاه قضاياه المصيرية ويقعفى ١٨٤ صفحة من القطع الجيبي طبع مطبعة(آفتاب)

ك ـ سياسة الحسينية (السياسة الحسينية) مسيو ماربين الالماني ترجمته نفس المؤسسةوهو كتاب يحوي محاضرتين عن ثورة الحسين(ع)وبعض اهدافهاونتائجها وقد القاها المسيوماربين الالماني والدكتور جوزيف الفرنسي ويقع فى ٦٣ صفحة من القطع المتوسط طبع مطبعة زهرة .

ز ـ بهلول عاقل (بهلول العاقل) تأليف حسن مصطفوى والكتاب يؤرخ لشخصية تضاربتحولها الأراء كان لها دورها الاجتماعي الفعال في مقارعة الظلم في العصر العباسي ويقع فى ٢٤٥ صفحة من القطع المتوسط طبع مطبعة (آفتاب) .

ح ـ (بانوی كربلاء) المترجم السيد رضا الصدر وهو ترجمة دقيقة لكتاب (بطلة كربلاء) للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) وتتحدث فيه المؤلفة عن الشخصية الفذة الرائدة التي كان لها الدورالكبير فى ثورة الامام الحسين (ع) الخالدة ١٨٦ صفحة من القطع المتوسط طبع مطبعه زهرة .

ط ـ (افسانه تحريف قرآن) (اسطورة تحريف القـرآن) تاليف السيد احمد مهدوي (فخر كرماني) وهو كتاب يرد فيه المؤلفعلىالاتهامات الباطلةالتيتتوجه الى الشيعة على انها تقول بالتحريف فيثبت بحال لايقبل التشكيك منروايات شريفة واقوال من علماء الشيعة ان ذلك الاتهام مجرد اسطورة لاغير ويقع فى ٢٨٧ صفحة

من القطع المتوسط طبع مطبعة (زهرة) .

ي ـ پيامبر نور (رسول النور) ترجمة وتلخيص السيد احمد الطيبي الشبستري وهو ترجمة وتلخيص لكتاب (في موكب الدعوة) تأليف الاستاذ محمد الغزالي والكتاب مجموعة مقالات متفرقة عن الحياة الملاًى بالنور للرسول القائد والرسالة الخالدة ويقع في ٢٦٠ صفحة من القطع المتوسط طبع مطبعة (آفتاب).

٥ ـ تفضلت جامعة بيروت العربية مشكورة باهدائنا الكتب التالية :

١ ـ تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام للدكتور احمد مختار العبادي والدكتور عبد العزيز سالم .

٢ ـ مصطفى صادق الرافعي للدكتور مصطفى الشكعة .

ـ حق الدولة في العقاب للدكتور عبد الفتاح مصطفى .

٤ ـ نسبية آثار الطعن في الحكم الجنائي في التشريع المصري واللبناني للدكتور عمر السعيد رمضان .

٥ ـ مفاهيم اساسية في ادارة الافراد للدكتور صلاح الشنواني .

٦ ـ دراسات تجريبية في سيكولوجية الابتكار الدكتور حلمي المليجي .

٧ ـ مفاهيم حديثة للمناهج الدراسية ـ للدكتور محمد جمال صقر .

٨ ـ من اسرار العربية في البيان القرآني للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء)

٩ ـ دور التأمين في التنمية الاقتصادية الدكتور عادل عبد الحميد عز .

١٠ ـ الاصول الادبية في صبح الاعشى الدكتور مصطفى الشكعه .

١١ ـ مجموعة من الكراسات التي تعرض منهاج جامعة بيروت العربية التي نرجو لها دوام النجاح والتوفيق .



١ ـ وردتنا رسالة كريمة من الاخ الأستاذ حمود السيد باقر جاء فيها ـ بعد تحيته لاسرة التحرير ـ ان مجلة «كمجلة الهادي» الاسلامية ، تعتبر بحق من اولى المجلات والنشرات ، خاصة فى هذا الجزء من العالم الاسلامي ، ذلك لانها اخذت على عاتقها بكل أمانة واخلاص ايضاح مفاهيم الاسلام السامية وتعرية الشبهات التي تثار حول الدين الاسلامي الحنيف من هنا وهناك، فى عصر يتبرقع بالمدنية والتطور الكاذب ، وأخذت جاهلية القرن العشرين تفتك به فتك سباع ضارية بفريستها . . !

وجاءت «الهادي» ثابتة الخطى قويتها ، حاملة مشعل الاسلام لتنور به الدروب المقفرة ، والقلوب المظلمة التي ألبستها الجاهلية الحديثة غشاوة أسمتها التمدن والتطور . . . » .

والهادي تشكر للاستاذ الكريم شعوره الفياض وترجو له دوام الموفقية ، وتسأل الله تعالى ان يجعلها فى مستوى مسؤوليتها المقدسة .

٢ ـ كما و وصلتنا رسالة كريمة من الاخ الأستاذ عبد الله اليوسفي من جامعة نيواورليانز بولاية ليويزيانا الامريكية يحيي فيها مجلة الهادي والعاملين فيها ويتحدث عن نشاطه الاسلامي الفعال فى الجمعية الاسلامية المؤسسة هناك ، ويطلب مشكوراً أن يكون وكيلا للمجلة هناك .

والهادي اذ ترحب بالاخ الاستاذ ترجـو من الله العلي القدير ان يوفقه وكل اخوانه هناك وتأمل ان يكونوا رسل الخير والوعي .

٣ ـ ومن اندونيسيا وصلتنا رسالة من الاستاذ الفاضل محمد بن عبد الرحمن شهاب العلوي الحسيني يحيي فيها المجلة ويقول «وقد تصفحتها مرات فوجدت بين دفتيها مقالات قيمة فيها درر نفيسة قلما اجد مثلها في غيرها من المجلات العربية انها مجلة اسلامية دينية تغذي قراءها بتعاليم الاسلام» .

٤ ـ وقد بعث لنا الاستاذ مالك زيعور من بيروت رسالة ودية حارة العواطف واقترح فيها على المجلة ان تفتح باباً ثابتاً يتعلق بقضايا المعاد والحياة الاخرى . . ونحن اذ نشكر للاستاذ عواطفه نعده بأن نوافي القراء ببحوث قيمة في المستقبل عن هذا الجانب الحي .

٥ ـ وقد وصلتنا من الاهواز رسائل عديدة يحيي اصحابها المجلة فيها ويطلبون بعض المطاليب التي نعدهم بتنفيذها انشاء الله

وقد وصلتنا رسائل كريمة اخرى كلها تعبر عن شعور السادة اصحابها تجاه المجلة وأسرة التحرير ولنا من توفيق الله عزوجل ودعاء الاخوة وتمنياتهم العون في سبيل اداء رسالتنا ان شاءالله .

صيحة واستنجاد

ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ، والذين كفروا الى جهنم يحشرون (الانفال ــ ٣٦) .

تحالف الشيوعية والصليبية لمحاربة الاسلام في اندونيسيا

لم تعد حقيقة الأطماع الاستعمارية الغربية فى اندونيسيا خافية على الشعب الأندونيسي المسلم الذي خبر مكر الاستعمار وقاسى منه اشد البلاء واقسى النكبات، ولقد اصبح المسلمون يعرفون مرامي عدوهم واهدافه واساليبه الخبيثة وحقيقة الدوافع التي تحركه ، فان اي متتبع لتاريخ الاستعمار فى اندونيسيا وفى سائر البلاد الاسيوية والافريقية التي ابتليت بشره يدرك تماما ان الدوافع الحقيقية للاستعمار الغربي هي مزيج من المصلحة الاقتصادية ونشر الروح الصليبية السوداء وبعبارة اصح واوضح هي مزيج من اللصوصية والتبشير :

فالاولى ـ لسرقة اقتصاديات الشعوب وافقارها .

والثانية ـ لتشويه عقائد هذه الشعوب وقتل فضائلها وهذه وسيلة لتلك . ولذا فاننا نلاحظ دوما كيف ان الاستعمار يستعين بالتبشير كما يستعين بنشر الرذيلة ولا يبالي الاستعمار الصليبي بنوع الوسيلة التي يتوسل بها مادامت تحقق اهدافه .

ولقد ادرك الاستعمار الصليبي ان لا سبيل لتحقيق مصالحه الا بالقضاء على الاسلام

وعلى الروح الاسلامية فى نفوس المسلمين فوضع لذلك خططه المختلفة ، وحالفه النجاح فى تحقيق بعض اغراضه وفشل فى البعض الاخر .

نجح باحتلال البلاد الاسلامية بالقوة العسكرية الغاشمة المتوحشة ، وفشل فى محاربة الاسلام فى نفوس المسلمين. ولقد هال الاستعماريين تمسك المسلمين بدينهم وفشل ارسالياتهم التبشيرية المنظمة القوية فى كسب ابناء المسلمين الى جانب كنائسهم فاخذوا يفكرون بوسائل اخرى تنفس عن حقدهم الاسود نحو الاسلام والمسلمين وبعد ان تأكد لهم عدم جدوى التبشير الصليبي وحده فى هدم الاسلام فى نفوس المسلمين استعانوا بالشيوعية وهي فى ظاهرها عدوة لهم فشجعوا دعاة الشيوعية وساندوا نشاطهم وتحالفوا مع قواهم لهدم الاسلام والقضاء عليه كمرحلة اولى لجر المسلمين الى صفهم فان لم يتمكنوا من كسب المسلمين الى صف الكنيسة فلا اقل من التنفيس عن حقدهم الدفين على الاسلام بانتزاع قدسيته من نفوس ابنائه وذلك صنيع الحقد الاعمى الذي استقر فى نفوس الغربيين منذ قرون طويلة .

ولم يكشف الاستعمار الصليبي الغربي بالتحالف مع الشيوعية والتعاون معها بل شد بيده على يد الصهيونية مستعيناً بأحقاد اليهود ونفوذهم لتدمير الاسلام .

والاسلام كله كان وما يزال وسيبقى منيعا قويا تتحطم على صخوره محاولات الصليبية والشيوعية والصهيونية العالمية وان بدا لاعداء الاسلام اليوم ضعف فى المسلمين هنا وهناك . . . . ومن حين لاخر . . . . . . فالعاقبة للمتقين ، المسلمين والمستقبل للاسلام وليس اكثر من الادلة القاطعة على مثل هذا التعاون الخبيث بين الثالوث الحاقد الصليبية والشيوعية والصهيونية العالمية . . . . فجرائمهم الوحشية المتكررة فى كل مكان فى فلسطين المحتلة والحبشة وقبرص وكشمير وتشادوغيرها كثيــرة .

ولنأخذ اندونيسيا كمثل من امثلة البلا التي تتعرض ولا تزال تتعرض لجرائم الصليبية والشيوعية المتعايشتين المتعاونتين للقضاء على الاسلام فيها .

فاننا فى اندونيسيا لم نكد نشعر بفرحة انتصارنا على الشيوعية والتخلص من

كابوسها حتى نشطت الطوائف والارساليات الصليبية على اختلاف مذاهبها لمحاربة الاسلام ونشر الفساد بين المسلمين رافق ذلك تهديد ونشاط مريب من الصين الشيوعية وروسيا لاستعادة النفوذ الشيوعي المضمحل في اندونيسيا .

ولقد هللت الطوائف الصليبية للتهديد الصيني الروسي وللنشاط الشيوعي تحت ستار الظلام وقامت هذه الطوائف بشد ازر الشيوعيين واحتضانهم ومساندتهم وفي نفس الوقت نشطت السفارة الروسية في تمويل فلول الشيوعية واغداق الاموال والمساعدات عليها .

وهذه جريدة ، كومباس، الكاثوليكية الصادرة في جاكرتا كتبت بمناسبة مرور خمسين عاما على ثورة ١٧ اكتوبر الروسية تشيد وتطنب بالثناء على المساعدات الروسية للبلاد المستعمرة حتى تقوم بما يجب عليها نحو الاستعمار . اما الصين الشيوعية فقد لجأت لارسال الضباط والمعدات الحربية سرا من طريق سراواك بكاليمنتان الشمالية لدعم النشاط الشيوعي في البلاد .

ولقد وجهت الطوائف الصليبية نداء الى الدول الغربية بطلب المساعدات.. فتدفقت عليها المساعدات السخية بالمراكب البحرية وطائرات الهيلوكوبتر لتساعدها في تأمين راحة الرهبان والراهبات في تجوالهم ونشاطهم بين مختلف المناطق كما قدمت الدول الصليبية الغربية مساعدات مختلفة كالمطابع والنشرات وكتب وأفلام وغير ذلك وفي هذا المجال قررت ألمانيا الغربية التبرع ببناء اربعين مستشفى باندونيسيا تدار من قبل المؤسسات الصليبية في أمريكا وأستراليا وأوربا لدعم لنشاط المعادي للاسلام في اندونيسيا .

نتائج هذه المساعدات والحملات

ولقد تمكن الشيوعيون والصليبيون نتيجة لهذه المساعدات الضخمة التي وردتهم من امريكا واوربا وغيرها ان يحققوا نتائج خطيرة لم يسبق لها مثيل .

فقد استطاعت الشيوعية في الماضي القريب ان تستميل اكثر من ثلاثة ملايين

مسلم الى مذهبها . . . . كما استطاعت الارساليات الصليبية ان تشتري اكثر من ربع مليون مسلم كاد الجوع والعري والمرض والجهل ان يفتك بهم . . . . والى جانب ذلك فقد تمكنت الشيوعية والصليبية بالتعاون والتساند ان تخنق الخناق على كثير من المناطق الاسلامية لتزيد فى افقارهم وارغامهم على الالتجاء اليهم والاستعانة بهم واتباعهم . ذلك الى جنب نشر وسائل الفساد والانحلال الخلقي من الشباب كمرحلة لاستدراجهم الى شباكهم ومصائدهم .

وبعد فان هذا الذي ذكرته انما هو غيض من فيض من واقع التعاون بين الصليبية والشيوعية فى اندونيسيا وتصوير لجانب من أطماعهم ووسائلهم .

فما الذي ينبغي ان نعمله نحن المسلمين لاحباط جهود المعسكرين المتعاونين ضدنا ولاثبات وجودنا وانقاذ اجيالنا من خطر الضياع والضلال والاغراء الذي يمعن عدونا فى وضع خططه وحشد الوسائل للقضاء بها على وجودنا وعلى عقيدتنا .

ما الذى يجب ان نعمله لاحباط مساعى المعسكرين الشيوعى والصليبى ؟

سؤال طالما تردد على ألسنة الغيورين من أبناء الاسلام ودعاته وما يزال دون جواب عملي ودون حل ايجابي . . . . والذي اعتقده الآن واراه هو ان نعمل نحن المسلمين اول مانعمل على توحيد الهيئات والمؤسسات والجماعات الاسلامية فى العالم التي تعمل بروح واحدة ولغرض واحد ودعوتها لعقد مؤتمر ينبثق عنه مجلس أعلى للشؤون الاسلامية يعمل على تنسيق الجهود وتوحيد الخطط والاشراف على تنفيذها . . . . . ويجب ان يكون التمهيد والعمل لتقريب وجهات النظر بين الحكومات الاسلامية ودعوتها الى عقد مؤتمر قمة اسلامي تمهيدا لقيام جامعة اسلامية تعيد للامة الاسلامية كيانها وقوتها واعتبارها من اولى مهمات هذا المجلس الاعلى .

وانني فى صدر هذا الاقتراح لااخفي رأيي فى الذين يعارضون ـ فى مثل هذه الظروف القاسية التي نعيشها باعصابنا لاندري من حاضرنا ماالله صانع بنا ولا من

مستقبلنا ماالله قاض فينا ـ فكرة التكتل الاسلامي . . . ففي اعتقادي ان الذي يعارض هذه الفكرة انما هو احد اثنين : اما شخص لا يعي حقيقة الواقع الذي نعيشه وحقيقة الأخطار التي تحيط بنا . واما عميـل يعمل لحساب احـدى الكتلتين المتعايشتين المتعاونتين ضدنا .

متى نصحو ؟

أجل متى نصحو؟ اننا ننادى دائما متسائلين متى نصحو؟ فقد طال بنا الرقاد... ومتى نفيق . . . . ؟ ومتى نرجع الى الله تعالى . . . . ؟ ومتى نصحو على حقيقة تخلفنا وضعفنا . . ؟ وندرك ان هذا الضعف وهو التخلف انما هو بسبب بعدنا عـن الله وعن منهج الله وشريعته وطريقه المستقيم الذي خطه لنا فجعلنا عندما اتبعناه خير امة اخرجت للناس ، وتمكنامن بناء حضارة دونها كل الحضارات سموا وتقدما ... لقد اصبحنا وياللاسف عالة على الأمم الاخرى وعالة على نظمها وتقاليدها وتفكيرها بعد ان اغنانا الله بخير النظم وارفع التقاليد وأسمى اساليب التفكير . فمتى نعـود الى الله لنرفع رؤوسنا من جديد وسط الزحام وما كان للمسلم الا ان يكون مرفوع الرأس ابـدا .

ان عدونا في المعسكرين يسهر الليالي الطوال ويبذل الجهد العظيم الـدائب لدرس مخططات القضاء علينا وعلى مصيرنا ونحن مع أشد الأسف في لهونا سادرون.

ان الامكانات المهدورة في الوطن الاسلامي لو احسن الأستفادة منها لاستطعنا ان نحقق بها أجل الاعمال . . . . فلو استطعنا مثلا اقناع المدخنين في العالم الاسلامي كله بالامتناع عن التدخين اسبوعا واحدا فقط لاستطعنا توفير مبلغ يقارب المائتي مليون من الدولارات وهو مبلغ يكفي لشراء معامل للطائرات تغني العالم الأسلامي بقوة جوية هائلة وهذا ما فعله المحتلون اليهود لفلسطين وتمكنوا مـن اقامة مصنع للطائرات والفرن الذري . . . . .

ونحن نوذي أجسامنا واقتصادياتنا بالتدخين والمسكرات والمخدرات ونفدق الاموال الطائلة ثمناً لها لتحول رصاصاً الى صدورنا وقذائف تجلينا عن أرضنا. فمتى نصحو . . . . . . ؟

اللهم اني بلغت اللهم فاشهد .

ايها المسلمون اتحدوا

ابحثوا عن نقاط الالتقاء لا الافتراق . . . عن نقاط التجمع لا التبدد، اتركوا الجزئيات واركضوا نحو الكليات .

حسين الحبشي

ملحق مجلة (الهادي)
العدد الرابع - السنة الثانية

توصيات :

الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي

من منشورات القسم العربى فى دار التبليغ الاسلامي

قم - ايران

بسم الله الرحمن الرحيم

وبكل سرور تلقت مجلة الهادى الدعوة الموجهة اليها من قبل المشرفين على تنظيم الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي في الجزائر واشترك في المؤتمر فضيلة العلامة السيد هادى الخسروشاهي ليقوم بتمثيل الحوزة العلمية واسرة الهادى ..

وقد انعقد المؤتمر في جو من الاخوة والصفاء وتداول البحوث الاسلامية العالية وخرج بتوصيات هامة اردنا نشرها ملخصاً في قسم شؤون المسلمين في العالم، ثم رأينا ان ندرجها في كراس ملحق للمجلة في عددها الرابع للسنة الثانية ونقدمه الى القراء الكرام . . تحقيقاً لتوصيات المؤتمر . . وخدمة للفكر الاسلامي وارشاداً لكل القطاعات في هذه الامة .

اللجنة الاولى

التشريع الاسلامي

قال الله تبارك وتعالى لرسوله (ص) : «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين» وكانت رحمة الله ــ عز شأنه ــ في الشريعة الغراء التي أمر نبيه بتبليغها ، ودعوة الناس الى الأخذ بها ، فبلغها الرسول (ص) ، وعلمها أصحابه الذين شاهدوا وعاينوا وحي الله يتنزل من السماء .

وسجلها القرآن الكريم في محكم آياته «وكان تطبيقها عزا للمسلمين» وتكريما للانسانية ، ورفعا لقدر الانسان ، حيث جاء الاسلام نظاما كاملا شاملا قائما على

التكافل والتضامن والعدالة الاجتماعية ، يوحي للآخذين به كل عوامل التقدم والرقي والانطلاق في ميادين مختلف العلوم ، بما يفرضه من الاخذ بكل أسباب القوة والعزة في الناحيتين الروحية والمادية .

ولما هجر المسلمون شريعة الله تعالى ، واتبعوا أهواء الانسان في قوانينه الوضعية ذلوا وهانوا ، ولا شك أن التخلف الذي أصاب الأمة الاسلامية ناشىء عن ترك المسلمين تنفيذ أوامر شريعتهم ، ومسئولية ذلك محيطة بأعناقهم ، فكان حقاً عليهم أن يعودوا الى شريعة الله تعالى ، ويعملوا بها في التشريع والقضاء والتربية والتعليم ، استعادة لمجدهم وانقاذاً لوجودهم الانساني، وتمهيداً لطريق النصر أمامهم

ولقد اتجهت المحاضرات والتعقيبات التي ألقيت في هذا الملتقى المثمر الى ضرورة العودة لشريعة الله : شريعة الحق والعدل والعزة ، وتطبيقها تطبيقاً كاملاً غير منقوص ، حتى يعيدوا لأنفسهم العزة الاسلامية ، والرفعة في الأرض .

واستيحاء من هذا كله يقرر الملتقى مايلي :

١ ـ الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان ، وهي علاج حاسم لكل الأدواء الاجتماعية في البلاد الاسلامية .

٢ ـ يجب على كل دولة اسلامية أن يكون قانونها مأخوذاً من الشريعة الاسلامية ولها أن تجعله من المذهب الفقهي الاسلامي السائد بين أهلها .

٣ ـ يجب ان يتعاون حكام المسلمين وعلماؤهم وشعوبهم على العودة الى الاحكام المستمدة من القرآن والسنة .

٤ ـ القرآن الكريم هو أصل الشريعة الغراء ، والأساس في تنظيم العلاقات فيما بين المسلمين ، وبينهم وغيرهم ، والسنة هي المبينة له ، وآثار السلف الصالح هي الموضحة .

٥ ـ باب الاجتهاد مفتوح لاهله القادرين عليه ، ولا يجوز بحال من الاحوال أن يكون الاجتهاد مخالفا لنص أو اجماع ، ولا ينبغي الاجتهاد في مسألة اذا كان في الفقه الاسلامي بمذاهبه المختلفة ما يصلح علاجا لها ، ويوصي الملتقى بما يلي :

١ ـ العمل على اقامة الحدود الشرعية،مع ملاحظة أن الحدود تدرأ بالشبهات فلا يقام حد الا اذا اتفقت المذاهب الفقهية على اقامته .

٢ ـ تنفيذ عقوبات القصاص فى النفوس والأطراف والديات ، وما لم يرد فيه تقدير شرعى من حد أو قصاص تكون العقوبة فيه تعزيرية .

٣ ـ اقامة نظام اقتصادي واجتماعي متكامل ، مستقل ومتميز عن المذاهب والنظريات الفلسفية والاجنبية ، ويقوم على الاقتصاد غير الربوي ، وعلى التكافل والتضامن الاجتماعي ، وايجاد الفرص المتكافئة للجميع .

ويصر الملتقى بصورة خاصة على وجوب منع التعامل بالربا فى أية صورة من صوره ،وفى أي تعامل بين الاحاد والمؤسسات .

٤ ـ أ ـ أحكام الاسرة بكل فروعها لا تؤخذ الا من الفقه الاسلامي فى شتى مذاهبه .

ب ـ لا يجوز تقييد تعدد الزوجات ،ولا تقييد الطلاق بقيد .

٥ ـ وضع مشروعات قوانين مدونة في مواد ، من الشريعة الاسلامية ، لتحل محل القوانين الاجنبية ، مع الشروع فورا فى تطبيق القوانين الاسلامية .

٦ ـ ان التعاليم الاسلامية يجب أن تدرس في كافة المعاهد والمدارس والجامعات على أن يكون فى المدارس الابتدائية والثانوية اهتمام خاص بالجو الصالح والتربية العلمية ، وفى الكليات المتنوعة تدرس المواد الاقتصادية والهندسية والفلسفة وتاريخ العلوم والآداب الخاصة بالاسلام ، كل حسب اختصاصها .

٧ ـ انشاء مجمع فقهي اسلامي ، تمثل فيه كل المذاهب الفقهية فى البلاد الاسلامية ، على أن تكون له صفة العالمية ، ولا يرتبط بدولة معينة .

٨ ـ انشاء موسوعة فقهية تحت اشراف هذا المجمع الفقهي .

٩ ـ احياء التراث الاسلامي فى شتى الفروع الاسلامية .

اللجنة الثانية :

توصيات الملتقى في موضوع الوحدة الاسلامية

لما كانت الوحدة ركناً وطيداً من أركان الاسلام ، كانت مكانة الوحدة في الشريعة الاسلامية قد بلغت أسمى درجة في الرعاية الدينية.

وتأييداً لما دعا اليه رواد الوعي الإسلامي . وتعبيراً عن رغبات الشعوب الأسلامية، ودرءاً للاخطار المحدقة بالامة، واستجابة لما دعت اليه ملتقياتها ومؤتمراتها ومجامعها من وجوب العمل الجاد السريع على تحقيق هذه الوحدة ، بالتأكيد على جوانب الالتقاء بين الشعوب الاسلامية، مع تجنب الخوض في المسائل الخلافية ، وتزكية كل تحرك اسلامي في هذا الاتجاه ـ يوصي الملتقى بما يلي :

(١) تشكيل مجلس يسمى: «مجلس الامة الاسلامية» يتألف من ممثلي المؤتمرات والملتقيات والمجالس والمجامع والهيئات الاسلامية في كل بلد ، للاجتماع مرة على الاقل في كل عام ، لرسم الخطط و وضع البرامج اللازمة للنهوض بالأمة الاسلامية، ومواجهة ما يقابلها من تحديات، والتمهيد لاعادة وحدتها واستعادة مجدها.

(٢) انشاء هيئة تنفيذية لهذا المجلس ، تقوم بتنفيذ قراراته ومتابعتها ، على أن يكون من مهامها جمع الوثائق المتصلة بقضايا المسلمين في مختلف أقطار العالم .

اللجنة الثالثة

توصيات لجنة التبشير

(أ) الحيثيات :

(١) حيث أن الكثير من الأقطار الاسلامية قد خرجت من الحرب العالمية الثانية مستقلة ، بعد أن كانت تحت نير الاستعمار المكشوف أو المقنع ، وبعد أن كان خصومها يظنون أنها لم تعد قوة سياسية أو عقائدية أو معنوية في العالم .

(٢) وحيث أنها محتوية في الدرجة الاولى على الطاقات [illegible] من خط و[illegible] وخامات غذائية ونباتية .

(٣) وحيث أنها ذات سيادة على بحار أساسية و[illegible] [illegible] استراتيجية من الطراز الاول .

(٤) وحيث أن ذلك يجعلها مخيفة في نظر أعدائها و منافسيها وحاسديها من أشخاص وجماعات وطوائف دينية وعقائدية وغيرها .

(٥) وحيث أنهذا الموقف جعلهم يعقدون النيةعلى مصارعتها بجميع الوسائل والتألب عليها بأي حجة وبأية حيلة في حملة تبشيرية عارمة شاملة .

(٦) وحيث أنهذا التبشير يصطبغ باصطباغات دينية مختلفة أو عقائدية متنوعة أو ثقافية قاتلة لاصالتها الثقافية ورسالتها الحضارية العالمية واجتماعية هدامة للفرد والأسرة والمجتمعات وبالتالي للامة الاسلامية جمعاء .

(٧) وحيث أن ذلك يهدف في المقام الاول الى القضاءأو الحط أو التشويه لقيمها ويتناول أولا وبالذات الاقليات وتقسيم دولها الكبرى والسعي الى تخريب مؤسساتها والتشكيك في كل عنصر من عناصر مقوماتها والسعي بالايهام والسفسطة والترويج والدعايات بجميع وسائل الاعلام المرئية والسمعية والمقروءة السافرة أو الخفية على السواء .

(ب) السندات :

وبعدالاستماع الىالمحاضرات التيألقاها أصحابها فيخصوص هذا الموضوع وما جرى فيها من مناقشات وتحريرات وتعليقات جعلت الموضوع واضحاً ودقيقاً ومحدداً .

(ج) التوصيات :

فاعتباراً للحيثيات الواردة أعلاه وبالاطلاع على المستندات والوثائق والمصادر توصي اللجنة بما يلي :

التوصية الاولى :

انه من واجب الحكومات والشعوب الاسلامية أن تكون واعية مرهفة الحس لهذا الخطر الماحق فتنبري في جد وصرامة لوضع حد لاسبابه من هيئات تبشيرية ومدارس اجنبية تقوم بدعايات خفية وسافرة ضد الاسلام وصحافات محلية أو واردة ملونة أو وسائل اعلام متوارية سافرة يدس فيها السم في الدسم وكتب دعايات ونشارات مستوردة وما أشبه ذلك مما يخطط له تخطيطاً دقيقاً شاملا بعد دراسات تقنية جامعة للوثائق البينة وممتدة سطحاً وعمقاً .

التوصية الثانية :

الوقوف بالمرصاد للهجرات الاجنبية الواردة على ديار الاسلام التي يقصد أصحابها في خفاء بواسطة التعليم أو العمل أو المحاضرة على تخريب ديار الاسلام بأي وجه من الوجوه ، وأيضاً ندعو الحكومات الاسلامية الى عدم منح جنسيتها لاي أجنبي الا بعد التأكد من اعتناقه للاسلام وممارسته له فترة طويلة تثبت أنه لايخفي وراء طلب التجنيس أهدافاً تخريبية في المجتمع الاسلامي ، ونرى أن أولى الدول الاسلامية بتطبيق هذه المبادرة هي دول شبه الجزيرة العربية التزاماً بالمبدأ الذي قرره الرسول (ص) بأن الجزيرة لا يجوز أن يكون فيها الا دين واحد .

التوصية الثالثة :

حماية المسلمين المغتربين بتأسيس المساجد وحلقات الوعظ والمدارس ونشر الصحف والكتب المصححة للاوضاع وتنظيم رحلات ابناء المغتربين وبناتهم الى الوطن للارتواء من مناهل القيم الاسلامية من مصادرها الاصلية والعيش مدة ما في محيط اسلامي .

التوصية الرابعة :

تنظيم مدارس للاباء والامهات حتى يكونوا على بينة من الاخطار المحدقة بهم وبأبنائهم وعلى بينة من اصالة الاسلام ورسالته التاريخية والاطلاع على المناهج التوجيهية الراجعة الى البيئة التربوية الاولى التي هي الاسرة وبتجهيز دقيق بوسائل الكشف على جراثيم التخريب والحط من القيم .

التوصية الخامسة :

تنظيم الشباب المسلم تنظيماً يجعله في مأمن من الدعايات الهدامة والتشكيكية

التوصية السادسة :

دعم وكالة الانباء الاسلامية العالمية بوسائل اعلامية اسلامية تخبر عما يجري في العالم الاسلامي سواء في الاقطار الاسلامية ذات السيادة أو أقطار الاقليات يوماً بيوم ودقيقة بدقيقة حتى يمكن الاسراع العاجل بالاسعاف والتصدي في الوقت المطلوب وقبل فوات الوقت .

التوصية السابعة :

تأليف تقويم للعالم الاسلامي يعطي معلومات عن كل [illegible]

مع أحدث المصادر وأوثقها .

التوصية الثامنة :

أعداد مراجع شاملة تكون مستنداً ومقياساً كاشفاً لاساليبه وأهدافه .

التوصية التاسعة :

أعداد سلسلة شعبية من الكتب يتحـدث فيها عن كل قطـر اسلامي أو أقلية اسلامية حتى يعرف المسلمون بعضهم بعضاً .

التوصية العاشرة :

ترجمة الكتب الموضوعية التي ألفها الاجانب المنصفون التي تتعلق بالرسالة الحضارية الأسلامية العالمية في ميادين العلوم والآداب والفنون والثقافة .

التوصية الحادية عشرة :

احداث كراس فيما يتيسر من الجامعات الاسلامية بخصوص تاريخ العلوم والاداب والفنون والفلسفة عند المسلمين وتأثيرها على أوربا وأمريكا .

التوصية الثانية عشرة :

ارسال بعثات تعليمية الى أقطار الاقليات الاسلامية لتعليم أبناء المسلمين هناك .

التوصية الثالثة عشرة :

اعداد المعلمين المرسلين للاقطار الأسلامية للقيام بمهمة التعليم الاسلامي واللغة والآداب العربية والمشاركة المتطوعة أو المأجورة في الاطار التعليمي المحلي .

التوصية الرابعة عشرة :

أعداد مجموعات من الكتب المبسطة باللغات الاسلامية المحلية لبيان محاسن ومبادىء تاريخ الاسلام ورسالته الحضارية .

التوصية الخامسة عشرة

ايجاد معهد أو معاهد لتعليم اللغات الاسلامية الافريقية والاسيوية أو لغات للامم التي تحسن الدعاية الاسلامية لديها حتى تمكن الصلة المباشرة .

التوصية السادسة عشرة :

ايجاد معاهد اسلامية أصلية لتخريج شباب مسلم نظيف و متحمس ومزود بالمعلومات والمصادر من أبناء الاقطار الاسلامية التي ليس فيها أو لا يمكن أن يكون بها معاهد اسلامية سليمة .

التوصية السابعة عشرة :

اعادة النظر في برامج التعليم كتبه ولا سيما تعليم التاريخ حتى تطهر برامج التعليم وكتبه من المفاهيم الخارجة عن الاسلام وتتجرد من المعلومات الكاذبة المغرضة التي تحط من قيمه وتشوه صورته .

التوصية الثامنة عشرة :

تقترح اللجنة أن يكون موضوع مقاومة التبشير والتيارات الالحادية والمذاهب الهدامة مثل القاديانية والبهائية وما الى ذلك في جدول أعمال جميع الملتقيات الاسلامية وما أشبه ذلك .

التوصية التاسعة عشرة :

نطلب من الحكومات الاسلامية وضع الحد للعمل التبشيري في البلاد الاسلامية ومنع نشر الكتب والنشرات التبشيرية بين الشعوب الاسلامية .

التوصية العشرون :

نشر اللغة العربية بين المسلمين في البلاد الاسلامية بوضع كتب للاطفال والكبار على طريقة تربوية علمية تراعى فيها الاصطلاحات الاسلامية لكل قطر اسلامي .

* * *

توصيات اللجنة الرابعة

الجاليات الاسلامية

ان اللجنة الرابعة المنبثقة عن الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي ، بعد الاستماع الى محاضرات الاساتذة: الدكتور محمد عبد الله عنان والدكتور محمد عبد الرحمن بيصار ، والدكتور العربي الزبيري ، وكذلك سائر التعقيبات والملاحظات وبعد الدراسة الوافية لكل ذلك .

ونظرا لما تتعرض له الجاليات الاسلامية في المهجر من أخطار الذوبان والانسلاخ ونظرا لانعدام وجود منظمة اسلامية رسمية تعنى بشؤون الجاليات الاسلامية روحيا وماديا ،

ونظرا الى عدم وجود الوسائل الكافية لمواجهة أخطار [illegible] ومعالجة المشاكل [illegible]

ونظراً لما تتعرض له الاقليات الاسلامية من أخطار العنصرية والاضطهاد، وضرورة العمل على حماية حقوقها الانسانية وممارسة شعائرها الدينية والمحافظة على مقوماتها الروحية .

توصي بما يلي :

١ - انشاء منظمة اسلامية رسمية تشارك فيها كل الدول الاسلامية لترعى شؤون الجاليات الاسلامية روحياً ومادياً وتربوياً .

٢ - انشاء مصالح (مكاتب) خاصة بكل سفارات الدول الاسلامية لرعاية شؤون الجاليات الاسلامية فى المجالات الروحية والمادية والتربوية وحماية أبنائها من الانعزال والذوبان فى المجتمعات الغربية عنها .

٣ - انشاء مراكز اسلامية بالبلاد التي تكثر فيها جاليات اسلامية يشرف عليها سفراء الدول الاسلامية فى تلك البلاد وتهتم على الخصوص بالناحية الثقافية والتربوية الدينية لضمان ارتباطها بقيمها ومثلها العليا وحمايتها من اخطار التبشير وحملات التشكيك الالحادية .

٤ - انشاء هيئة اسلامية حرة تساندها الدول والمنظمات الاسلامية، تهتم بالاقليات الاسلامية فى مجال الثقافة والتربية الاسلامية وحمايتها من الاضطهادات العنصرية والطائفية البغيضة مع القيام بمساعدتها على تحسين أوضاعها بالوسائل المستطاعة وتقوم هذه الهيئة فى نفس الوقت بتنسيق عملها مع المؤسسات الموجودة الآن التي تهتم بشؤون الاقليات الاسلامية .

٥ - يطلب من الحكومات المضيفة أن تساعد المسلمين المقيمين عندها على تربية أبنائهم وتنشئتهم وفق شريعتهم وكل ماتتطلبه مقومات شخصيتهم .

وترى اللجنة بناء على هذه التوصية أن تعمل الدول الاسلامية على عقد اتفاقات ثقافية مع الدول التي بها أقليات اسلامية لتتمكن المنظمة بواسطتها من القيام بواجبها نحو هذه الاقليات فى مجال الثقافة الاسلامية وضمان حقوقهم الانسانية وممارسة شعائرهم الدينية والاتصالات باخوانهم فى العقيدة ومشاركتهم فى كل مجال يخدم الاسلام والمسلمين فى جميع بقاع الارض .

٦ – تطالب المكونات الاسلامية بالتدخل لدى هيئة الامم المتحدة بصفتها منظمة ترعى حقوق الانسان أن تتدخل لحماية الاقليات الاسلامية من أخطار الاضطهاد العنصري والطائفي والعقيدي التي تتعرض لها في كثير من البلاد التي بها أقليات اسلامية حتى لا يلجأ الى المعاملة بالمثل فتتعرض العلاقات الدولية الى فوضى ما أغنى الانسانية عنها .

٧ – تحية المبادرة الخاصة للجزائر بانشاء مؤسسة ثقافية في فرنسا تعنى بتعليم اللغة القومية لابناء الجالية الجزائرية والجاليات الاسلامية، والتوصية بضرورة تنسيق الجهود حتى لا تتبعثر .

اللجنة الخامسة

توصيات لجنة الاعلام

نظراً للمرحلة التاريخية الصعبة التي تجتازها الامة الاسلامية في مواجهة الحروب النفسية والاجتماعية والعقائدية والثقافية والاقتصادية والسياسية التي تشن ضدها من القوى المعادية للعالم الاسلامي .

ونظراً للدور الخطير الذي يلعبه الاعلام بطاقاته غير المحدودة في تكييف الرأي العام ، وتوجيهه بل وخلقه .

ونظراً للاخطار التي تهدد المجتمع الاسلامي عن طريق اجهزة الاعلام الصهيوني والصليبي والرأسمالي والشيوعي الهادف الى تشويه القيم الاسلامية واشاعة الانحلال وتغذية نزعات الاجرام، والعنف والتشكيك في أوساط المجتمع وبالأخص الشباب.

ونظراً لما تشكو منه مجتمعاتنا الاسلامية من مظاهر التفسخ والانحراف الفكري والخلقي ، وفي الزي ، والسلوك والمعيشة بشكل مزعج في جل طبقات مجتمعاتنا نظراً لما تشيعه أجهزة الاعلام من صحافة ووكالات أنباء ، وسينما وتلفزة ، واذاعة ومسرح ، ودور نشر وذلك تسابقاً وراء التبعية والتقليد .

ونظراً الى أن تلك الاعلا...

الاسلامي على حساب القيم الاخلاقية. فان الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي يوصي بالعمل على تحقيق الاهداف العامة التالية :

١ ـ ضرورة ابراز حقائق الايمان والاسلام وتقديمها وعرضها في اجهزة الاعلام بصورة واضحة مبرأة من الشوائب ، وبلغة عصرية على اساس من الاصالة والتفتح معا ، وعرض وتقديم الثقافة والفكر الاسلامي بخير مافي الاسلوب التقليدي من عمق وبخير معطيات الوسائل الحديثة من فن وامكانيات وبأفضل مناهج التأثير والاقناع.

٢ ـ التعريف بالاسلام في مختلف جوانب العقيدة والعبادات والمعاملات مع مراعاة التبسيط والكشف عن عظمة الشريعة والفكر والثقافة الاسلامية وثرائها وتأثيرها في تمدين أوروبا وابراز صلاحيتها لدستور كامل في كافة جوانب الحياة.

٣ ـ العناية بقضايا التراث الاسلامي وتحقيقه بموضوعات السيرة النبوية مع تصحيح النظرة الى تاريخنا وحمايته من محاولات التزييف على أن تحظى اللغة العربية بعناية خاصة .

٤ ـ مواجهة حملات الغزو الفكري الضارية وموجات الالحاد التي تسلط على عقول وافكار ابناء الامة الاسلامية ، والتصدي لها ـ على اختلاف مصادرها بالفكر الاسلامي الصحيح ، على الا ينطلق موقف اجهزة الاعلام وادوات الاتصال الجماهيري من موقف الدفاع دائما ، وانما ينبغي ان يكون لها زمام المبادرة في كل المجالات .

وفي سبيل تحقيق هذه الاهداف يؤكد الملتقى مايلي :

١ ـ ضرورة أن يعمل كل جهاز اعلامي على مستوى الاقطار الاسلامية أو على مستوى المؤسسات المعنية وفق خطة اعلامية ذات أهداف رئيسية لخدمة الدعوة الاسلامية .

٢ ـ أهمية دعم المادة والاعمال الفنية التي تقدم وتعرض من خلال الاجهزة المعنية بزيادة كم هذه الاعمال وزيادة المساحات المخصصة في الصحف والاوقات المقررة في الاذاعة والتلفزة والاعمال والعروض الفنية في السينما والمسرح وغيرها.

وكالات تقطع محتوى المضمون والبعيدة عنها .

٣ – ضرورة الاستفادة من أجهزة الاعلام في توسيع نطاق الثقافة الاسلامية وفي القيام بدور ايجابي ونشيط في مجال التعليم المدرسي والجامعي وتعليم الكبار وفي محاربة الأمية وفي ترسيخ القيم الاسلامية ومحاربة الجهالات والخرافات .

٤ – يرى الملتقى انه من الضروري أن يكون هناك ميثاق اخلاقي يتعاهد به العاملون في مجالات الاعلام ويلتزمون بموجبه بقيم الاسلام ومبادئه وبالتقاليد الاسلامية الصحيحة ، ويقفون ضد كل مايسيء المجتمعات الاسلامية ويتعاهدون على أن يمنعوا ذلك بكل الطرق الممكنة ليس فقط بالتعليمات التي ينبغي أن تصدر اليهم ، ولكن ايضا بوحي من ضمائرهم ووعي جاد للمسؤولية الملقاة على عاتقهم .

٥ – تمكينا لوسائل الاعلام من أن تؤدي دورها كاملا يجب أن تكون أجهزة الاعلام في أيد أمينة مؤمنة من حملة الفكر الاسلامي كما يجب انشاء معاهد اعلامية اسلامية في مختلف البلاد لتكوين اطارات اعلامية في كل مجالات الاعلام تؤمن بالكلمة الصادقة المخلصة وتعتبر العمل في الحقول الاعلامية ، واجباً دينيا لا مجرد عمل روتيني وتكون مزودة بالعلم والمعرفة قادرة على التعرف على كل جوانب الفكر الاسلامي وعلى تقديم مواد اعلامية جيدة في ثوب مشوق يحبب الجماهير اليها ، وبصفة خاصة يرى اعضاء الملتقى السابع أولا : أن الصحافة في البلدان الاسلامية قد اسرفت في الغالب في نشر الاخبار المثيرة والجرائم ، والموضوعات غير الهادفة وغيرها .

وهم يطلبون من المشرفين على الصحافة الاسلامية الامتناع عن نشر ذلك كله والاهتمام بنشر القضايا والانباء المؤكدة التي تدعم وحدة العالم الاسلامي ، ولذا كانت الصورة العارية قد أصبحت – في بعض الصحف – خطرا شديدا فان الكلمة العارية قد أصبحت أكثر خطورة، ان الصحافة في البلاد الاسلامية ينبغي أن تكون دائما صحافة رسالة ، لا صحافة تجارة تباع وتشترى .

ويطالبون بدعم وكالة الانباء الاسلامية وبطالبة الصحف والاذاعات والتلفزيون أن تتحرى كل ما يرد اليها من وكالات الانباء الاستعمارية والاجنبية التي تعمل ضدها

...ة الى الاسلام والمسلمين .

كما يطالبون الصحف والمجلات الاسلامية بأن تصدر اعدادا خاصة بالاسلام ...شخصيات والمناسبات الاسلامية وأن تفتح ابوابها وصفحاتها للعلماء والمفكرين المتخصصين فى الدراسات الاسلامية للاستفادة من علمهم وتجاربهم .

اولا ــ المطالبة بالاكثار من اصدار الصحف والمجلات الاسلامية فى صورة ...كفل اقبال الجماهير عليها والاستفادة منها مع العناية باصدار مجلات خاصة بالاطفال .

ثانيا ــ يسجل الملتقى بمزيد من الارتياح اهتمام بعض الاذاعات الاسلامية بالشؤون الدينية ، و التزامها غالبا ببرامج مخططة هادفة ، ويسجل بكل أسف أن بعض الاذاعات فى بعض البلاد الاسلامية قد اسرفت فى تقديم البرامج السطحية والاغاني السوقية وغيرها مما يسيء الى جماهير المستمعين و لذلك يجب الاهتمام بالامور الجادة و الاكثار من البرامج والاحاديث الدينية وخاصة ما يتعلق منها بالشباب المسلم، لكى تؤدي الاذاعات الاسلامية دورها فى خدمة الدعوة الاسلامية كما يجب .

يرجى من كل دولة اسلامية أن تخصص موجة او أكثر من موجاتها للدعوة الاسلامية على ان تبحث الدول الاسلامية موضوع انشاء اذاعة أسلامية قوية تذيع بمختلف اللغات الحية و لغات الشعوب الاسلامية .

وتمكينا للسينما والتلفزة من أداء دورها كاملا يجب انشاء شركة افلام اسلامية تجمع الجهود،والطاقات الاسلامية وتقدم الافلام الجيدة الصالحة على نطاق واسع والرواج الذى تلقاه مثل هذه الافلام يؤكد الحاجة اليها والاقبال عليها .

ثالثاً ــ و فى المسرح يجب منع كافة المسرحيات اللاموضوعية والمترجمة التى تخدم الاهداف الاستعمارية ، وتقديم مسرحيات جادة مستمدة من التاريخ الاسلامي .

رابعاً ــ المطالبة بتبادل الخبرات والمواد الاعلامية الاسلامية داخل البلاد الاسلامية .

خامساً ــ منع نشر وتوزيع الكتب والموضوعات التى تدعو الى الالحاد ، والآراء التخريبية ، و مطالبة دور النشر والتوزيع بالاكثار من نشر وتوزيع كتب

سادساً – تشكل اجهزة الرقابة على الاعمال والمصنفات الادبية والفنية من عناصر ذات مستوى رفيع علماً وخلقاً ، ويجب ان يكون عمل تلك الاجهزة محكوماً بضوابط صارمة ، لاتتساهل فيما يمس الدين والضمير والمثل العليا .

سابعاً – يبدي الملتقى السابع أسفه للمواقف السلبية التي تقفها جل اجهزة الاعلام في البلاد الاسلامية من نشاطات المؤتمرات الإسلامية ويدعو هذه الاجهزة الى بذل اقصى ما تستوجبه تلك المؤتمرات من الاهتمام بدافع من الغيرة على الاسلام وعلى مصالح المسلمين .

ثامناً – يوصي الملتقى بالدعوة الى عقد مؤتمر (للاعلام) فى البلاد الاسلامية يدعى اليه المسؤولون عن الاعلام ورؤساء التحرير ، والمسؤولون عن الصحافة الاسلامية لتبادل الرأي في شؤون الاعلام الاسلامي . كما يوصى بتبليغهم مقررات وتوصيات الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي .

ان أعضاء الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي ليتطلعون الى يوم قريب يتحقق فيه للعالم الاسلامي اعلام اسلامي قوي يخدم العقيدة الاسلامية ، ويلتزم بالخط الاسلامي القويم ، ويهتم بالجوهر والمظهر ، بالشكل والمضمون ، ويخدم الجماهير المسلمة بالاسلوب الذى يتناسب مع عقيدة الاسلام وشريعته .

من النظام الاساسي للمجلة :

اولا ـ تلتزم المجلة بعرض الاسلام مبدءاً و تاريخاً وحضارة باسلوب منسجم مع متطلبات العصر ، ولغته ، والتركيز على مختلف العلوم الاسلامية ، ذات الصلة الوثيقة بالكيان التربوي ، والاهتمام بشوون المسلمين في العالم بصورة عامة .

ثانياً ـ المجلة هادفة لاتنشر الا مايلتقي و رسالتها الدينية .

ثالثاً ـ المجلة على استعداد لقبول كل اقتراح ، ونقد بناء .

رابعاً ـ التعاون التام مع المؤسسات والجمعيات والنوادي الاسلامية في العالم .

خامساً ـ لاتلتزم المجلة بنشر كل مايصلها من مواد، ولاتلتزم با عادتها لاصحابها ولها حق التعديل عند الضرورة .

سادساً ـ توزع المقالات ، والبحوث، والقصائد عند النشر على اساس فني لاعلاقة له بمكانة الكاتب .